فهرس المجلد الخامس

من المقتبس

اصلاح الاغلاط

التي وقعت في مجلد هذه السنة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٦	فلان	فلاناً
١١	١٠	معاني	معان
١٩	٧	احد	احدا
٣٧	١٤	الاقتصاديين	الاقتصاديان
«	»	الاثريين	الاثريان
«	»	المؤرخين	المؤرخان
«	١٥	الفيلسوفين	الفيلسوفان
٣٩	١٥	نجيم	نجم
٤٤	١٤	احد	احدى
٨٠	١٨	اوثلاثا	او ثلاث
٨٨	٤	واحدة	واحد

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١١	٠٠	هذه الصفحة طبعت خطأ مقدمة على التي تليها	
١٣١	١٢	ان عبد	ابن عبد
١٤٩	١١	ثلاثة	ثلاث
١٨٠	١٠	فافتقر	فافتقرا
١٨٢	١٢	في الصروع	في المصروع
«	١٣	علم به	علمه به
١٨٣	١٤	واذ	واذا
١٨٤	٢١	قادراً	قادر
١٨٩	١٩	واذ	وان (او) واذا فليراجع

اصلاح الاغلاط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٥	١٢	استيساق	استيثاق
٢١٥	٤	ابي عبدالله ابي عامر ابي عيسى	اباعبدالله ابا عامر اباعيسى
٢٤٦	١٦	قمراو	قمرا
٢٥٣	١٤	فلا يسوع	فيسوغ
٢٥٤	١٢	خطب	خاطب
»	١٤	سليمان	سلمان
»	»	بالنبوة	بالبنوة
٢٧١	٢٢	الغيرصافية	غيرالصافية
٢٧٢	٢٥	لتقدير	. . . .
٢٧٤	١٩	في السنة الاشهر	في ستة الاشهر
٢٧٥	١٥	حتى	حق
٢٧٨	٩	التونسيين	التونسيون
»	١٨	فانفضت	فانفصمت
١٨٣	١٢	وولايتا	وولايتي
٣١٣	٢٥	بعض لم	بعض من لم
٣٣٤	٩	بتزبينا	بتزيينا
٣٥٢	١١	أحد	احداً
٣٩٢	٩١	مثلهم كالحمار	التلاوة كمثل الحمار
٤٠٨	٣	مليون	مليوناً
٤١٣	٢٦	الصغير	الفطر
٤١٧	١٧	اين	اي
»	٢٠	وبصيص	وكصيص
٤١٩	٢٦	ابو الحسن	ابو الحسين
٤٤٨	١٤	تبجينها	تمتينها
٤٥٠	١٩	الاقدمين	الاقدمون
٤٥٠	٢٤	الاولى	الاول
٤٧٢	١٨	يسعتين	يستعين
٤٧٥	٢٠	واري	وار
٤٩٠	٢٠	والطافة	والطائفة
»	»	احد	احداً
٤٩١	٨	البرآء	البرءآء
٤٩٥	١	البرآء	البرءآء
٤٩٦	١٧	ابو	ابي
٥٠٣	١٦	الفرق	الغرف
»	»	قسمان	قسمين
٥٠٦	١٧	وتطالب	بل تطالب
٥٠٧	٢٠	التجار وهم	التجار
٥١١	٤	الغير	غير
٥١٤	٦	محكماوجاهلا	محكم وجاهل
٥٢٤	٧	الاراضي	الارض اوالارضي
٥٢٥	١٧	موفوراً	موفور
٥٤٦	١	وتزنفه	وتزلفه
٥٥٤	٢٦	وقو	وقول
٥٥٥	١	البحري	البحتري
٥٦٢	٢٣	علي النسيان	علي من النسيان
٥٦٣	٣	اذا جئته	اذاماجئته
٥٦٤	٢٣	الادن	الاديان
٥٦٦	٧	لما	لما
٥٦٩	١٥	ومدارس	والمدارس
٥٧٤	٤	احد	احدى
»	١٨	اولا وثانياً	اولا وثوانياً

اصلاح الاغلاط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٧٩	٢٣	الغرفة	الغرف
» »	٢٤	متقارنا	متارنا
٥٨٠	١٨	اثنين	اثانين
٥٨١	١١	الفريقان	الفريقين
٥٨٥	١٦	فالاولين	فالاولون
» »	١٧	والآخرين	والآخرون
٥٩٦	٩	واثنين	واثنان
٦٠٥	٨	يراقبواانفسهم	يراقبا نفسيهما
٦٠٦	١	يخلوا	يخليا
٦١٠	٢٥	وابو حيان	وابي حيان
٦١٢	١٠	شاب ابن ظ	شاب من ابن
٦١٥	١٤	عشرين رجب	عشري رجب
٦٥٧	٢٢	دوم واشتمام	روم واشمام
٦٦٨	١٩	الاثنا عشر	الاثني عشر
٦٧٣	١٧	خمس	خمسة
٦٧٥	٥	وقرقماس	وترقماس
» »	٢٦	تخريجه	خريجه
٦٩٣	٢و٣	ملأ كف —ملأها	ملء كفي —ملأهما
٦٩٤	٨	ومن	وعن
٦٩٥	٢٥	فيها	فيه في محلين في السطر
٦٩٦	١	الآخر	الاخرى
» »	١٤	يبلغ ثمان وعشرين اواربع	تبلغ ثمانيا وعشرين او اربعا
٦٩٧	٣	محدود	محدودة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٩٧	١٩	الف	الفا
٧٠٦	١٣	ونيف	ونيفا
٧١٤	٢١	أن سلع	ان سلعا
٧١٦	٦	سلع	سلعا
٧٣٨	٣	ابو	ابي
٧٣٩	٧	مع ذكرهم	من ذكرهم
٧٥١	١	ونصف	ونصفا
٧٥٢	١٨	ستار	استارا
» »	٢٠	الحسابين	الحسابيين
» »	٢١	قسطاس	القسطاس
٧٥٤	٢٠	الشعر	العشر
» »	١٥	الحسابين	الحسابيين
٧٥٩	١٢	ونصف	ونصفا
٧٦٠	١	الف	الفا
» »	٣و٤	بصاع	بالصاع
» »	٥	الف ومائة وسبعون	الفا ومائة وسبعين
» »	٧	يجرى	يجزى
٧٦١	٩	اذا	اذ
٧٦٢	١	واثنى	واثنا
» »	٢٣	تفاوتا	تفاوت
٧٦٤	٣	واثنا	واثنى
» »	٢٧	وكسر	وكسرا
٧٧٣	٧	بوادي	بواد
٧٩٠	٤	الفاخر	المفاخر
» »	»	إنباه :أبناه	إنباء : أبناء

al-Muqtabas

المقتبس

مجلة علمية اجتماعية

تصدر في كل شهر عربي بدمشق

لمنشئها

محمد كرد علي

المجلد الخامس

١٣٢٨ — ١٩١٠

قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف

وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً

طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

سعة التأليف

في الاسلام

من جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتابان عظيمان تعددت مجلداتهما فدلا عَلَى اتساع نطاق التأليف في الاسلام ايام كان علماؤه منصرفين الى العلم والعمل يصرفون اثمن اوقاتهم في خدمة الامة وهما كتاب الكواكب الدراري في تبويب مسند الامام احمد عَلَى ابواب البخاري لجامعه الامام ابي الحسن علي بن عروة الحنبلي من اهل القرن التاسع وكتاب تاريخ دمشق الكبير لواضعه الحافظ ابي القاسم ابن عساكر من اهل القرن السادس ·

هذان السفران الجليلان آيتان ناطقتان عَلَى طول نفس اجدادنا وشدة وناءنا وجهالتنا فقد وجد من الاول مجلدات كثيرة ضخمة لاتقل عن ثمانين مجلداً متفرقة ومما وجد منها المجلد الثاني والعشرون بعد المئة بحيث لايظن ان الكتاب بلغ اقل من مئة وخمسين مجلداً في التفسير والحديث والاصول والفقه الحنبلي وتراجم الحنابلة ومباحث في الفلسفة والكلام والتاريخ والادب فهو دائرة معارف اسلامية حقيقية ضمت بين جوانحها اشهر كتابات علماء الحنابلة وكبار مجتهدي الامة مثل شيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن رجب وغيرهم من الاعلام

واما تاريخ دمشق فمنه الآن نسختان نسخة في عشرين مجلداً ونسخة وقعت في عشرة مجلدات ضخمة وهي تامة وكان كتب في ثمانين مجلداً · ولقد جرى ذكره بين حافظ[1] مصر في عهده زكي الدين المنذري وطال الحديث في امره واستعظامه فقال حافظ مصر : ما اظن هذا الرجل الا عزم عَلَى وضع هذا التاريخ من يوم عقل عَلَى نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يقصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبه · قال ابن خلكان : ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات مايكاد ينضبط حصرها وله غيره تواليف حسنة

---

(١) وفيات الاعيان

و بعد فان الخالق تعالى وضع في افراد من كل امة خاصيات وملكات قلما يشاركهم فيها كثيرون وآتاهم هبات يستخدمونها في نفع البشر ونفوساً لاتعرف الملل لدرك مقاصدهم الشريفة ٠ وكلما ارتقت الحضارة في شعب ينبغ فيه رجال يصرفون عَلَى الافادة والاستفادة نقد اعمارهم ويتمحضون لاحسان الخدمة حتى لايكادون يرون السعادة والملاذ والخير وكل ماتطمح اليه نفوس بني الانسان من المعالي الا فيما هم بسبيله

ومن انعم النظر في تراجم نوابغ العلماء ودرس حياتهم حق دراستها لايلبث ان يزول عجبه اذا شاهد كيف كانوا يستغرقون في اعمالهم و يتفانون فيما اخذوا به نفوسهم فيزهدون في المال والبنين ويفطمون انفسهم عن حب المناصب والمراتب والزخارف والسفاسف

كنا ذات يوم نذكر لاحد اصدقائنا من الاطباء الذين صرفوا شطراً من حياتهم في الغرب اتساع التأليف في هذه الامة قديمًا فقال اما مابلغكم عن اكثر المؤلفين في الغرب اليوم من كثرة المصنفات فليس لاكثرهم منه الا النظر القليل يكتبه لهم اذكياء المتخرجين بهم بعد ان يكونوا ثقفوا عنهم بعض ماله علاقة في الموضوع الذي ألفوا فيه حتى اذا انوا عَلَى آخره يدفعونه الى اساتذتهم فيجيلون فيه انظارهم ويمثلونه للطبع مفتتحًا باسمائهم والمنصف منهم من يذكر ان تلميذه فلاناعانه في التأليف وبعضهم يضنون بمثل هذه الاشارة

ولما اوردنا لصاحبنا اسماء كثير ممن اشتهروا في الاسلام وألفوا التواليف الممتعة الضخمة وعنوا وحدهم في الاكثر بجمعها وتنسيقها وتصنيفها وتبييضها وتسويدها وان ماأثر عنهم كان مردوداً لو لم يرد عَلَى لسان اهل العدل والصدق من المؤرخين وعلماء التراجم وبعضهم قد يكونون من اضدادهم وحاسديهم — عند ذلك اقتنع صاحبنا بصحة رأينا وقال ان حال الافرنج اليوم يخالف حال سلفنا فان الافرنجي مهما بلغ من حبه الحكمة وتفانيه في خدمة المعارف يقتطع له اوقاتًا لراحته وادخال الفرح على قلبه لينشط الى متابعة السير في عمله اما الشرقي فانه يفرط فيما تمحض له فحاله اما تعب ليس وراءه غاية او راحة ما بعد ورائها وراء

افتح اي كتاب من كتب التراجم ولاسيما تراجم اهل القرون الستة الاولى للاسلام تسقط عَلَى مبلغ عناية رجالنا بالتأليف وتوفرهم عَلَى النفع وقد يظن ان معظم ماخلفوه من كتبهم دو

ديني محض ولا اثر لهم في العلوم الدنيوية ولكن هذا الظن لا يغني من الحق شيئاً لان جماهير المؤلفين المجيدين لم يكونوا متمكنين من علوم الدين باغفال علوم الدنيا بل انهم كانوا يعتقدون بان العلوم باسرها نافعة في الدارين وما نفع في هذه الاولى كان خليقاً بان ينفع في الاخرى

هذا ابو محمد بن حزم الظاهري واهل الظاهر نفاة القياس والتعليل وهو معدود في الطبقة الاولى بين علماء الدين ومع هذا تجد له تآليف ممتعة فيما نعتبره من علوم الدنيا فقد ذكر غير واحد من علماء الاندلس [١] ان تصانيفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الادب والرد على المخالفين نحو من ار بعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة . وهذا شيء ما علمناه لاحد ممن كان في مدة الاسلام قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير الطبري فانه اكثر اهل الاسلام تصنيفاً فقد ذكر ابو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلة وهو الذي وصل به تاريخ ابي جعفر الطبري الكبير ان قوماً من تلاميذ ابي جعفر لخصوا ايام حياته منذ بلغ الحلم الى ان توفي في سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها اوراق مصنفاته فصار لكل يوم اربع عشرة ورقة ومن جملة تآليفه التفسير الكبير والتاريخ الذي هو اصح التواريخ واثبتها وكلاهما مطبوع متداول وهو الذي قال لتلاميذه : هل لكم ان املي عليكم كتاباً في التاريخ قالوا وكم يكون حجمه فقال ثلاثون الف ورقة فاستعظموا ذلك وارادوه على الاختصار حتى املاه عليهم في ثلاثة آلاف ورقة فجاء كما رأيناه اليوم احد عشر مجلداً ضخماً املاه بهذا القدر وهو يحوقل و يقول ماتت الهمم لان تلاميذه لم يوافقوه على جعل تاريخه في ثلاثين الف ورقة فماذا كان يقول لو جاء في هذا العصر ورأى انحطاط علوم الدين وعلوم الدنيا بين قومه

وابن جرير في اجادته في التأليف واكثاره منه مشهور كغيره من تقدمه ومن تأخر عليه من المصنفين مثل ابن تيمية من اهل القرن الثامن فقد قال فيه احد واصفيه [٢] ان له من المؤلفات والقواعد والفتاوى والاجوبة والرسائل والتعاليق مالا ينحصر ولا ينضبط ولا اعلم احداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ماجمع ولا صنف نحو ماصنف ولا قريباً من ذلك مع ان تصانيفه كان يكتبها من حفظه وكتب كثيراً

(١) المعجب (٢) فوات الوفيات

منها في الحبس وليس عنده مايحتاج اليه ويراجعه من الكتب . وقال غيره كان الامام يكتب في اليوم والليلة من التفسير او من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة الاوائل نحواً من اربعة كراريس او ازيد وما يبعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد وجمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى فجاءت نحو ثلاثين مجلداً وقيل ان تآليفه تبلغ ثلثمائة مجلد .

ومثله ابو الفرج ابن الجوزي الواعظ من علماء القرن السادس صنف في فنون [1] عديدة وكتبه اكثر من ان تعد وكتب بخطه شيئاً كثيراً والناس يغالون في ذلك حتى يقولون انه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ماخص كل يوم تسع كراريس وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل ويقال انه جمعت براية اقلامه التي كتب بها حديث الرسول فحصل منها شيء كثير واوصى ان يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها

ومن المكثرين من التأليف ابن الهيثم الرياضي الطبيعي فقد عدد ابن ابي أُصيبعة [2] مصنفاته في زهاء اربع صفحات هذا عدا ماضاعت دساتيره منه لما فارق البصرة والاهواز وانتقل الى مصر قال : وما اظنها تنقص عن مئة مجلد . ومثله الفارابي احد فلاسفة الاسلام كان مكثراً من التأليف وقد اضاع اكثرها لانه كان يكتب في رقاع كيفما اتفق ويختار الفلاة ومجاري الانهار للتأليف فتطير الاوراق التي يكتبها

ومثلهما ابو الريحان البيروني قال ياقوت : كان لغوياً اديباً له في الرياضيات والنجوم اليد الطولى ولما صنف القانون المسعودي اجازه السلطان بحمل فيل فضة فرده للاستغناء عنه وكان مكباً على تحصيل العلوم منصباً على التصنيف لايكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر دخل عليه بعض اصحابه وهو يجود بنفسه فقال له في تلك الحال كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة فقال : أفي هذه الحال قال : ياهذا أُودع الدنيا وانا عالم بها أليس خيراً من ان اخليها وانا جاهل بها قال : فذكرتها له وخرجت فسمعت الصريخ عليه وانا في الطريق . قال ياقوت : واما تصانيفه في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوت الحصر ورأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في ستين ورقة . وقال بعض مترجميه : ان كتبه زادت على حمل بعير

(١) وفيات الاعيان (٢) طبقات الاطباء

والبيروني احد كبار فلاسفة العرب يجيء في طبقة ابن سينا وابن رشد وابن زهر والفارابي ومثلهم الكندي فيلسوف العرب[1] وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والارثماطيقي والموسيقى والنجوم وغير ذلك وقد عدد اسماءها ابن النديم في ست صفحات . ومثله ابو بكر بن زكريا الرازي صاحب المصنفات الممتعة في الطب والعلوم العقلية والادب وهو الذي استنار الغربيون لاول نهضتهم بمصنفاته واول ماطبع عندهم من تآليف العرب كتبه ذكر اسماءها ابن ابي أصيبعة في نحو سبع صفحات وابن النديم في ثلاث . ومن المكثرين من التأليف في عهد الحضارة الاسلامية حنين بن اسحق وثابت بن قرة ويعقوب بن اسحق الكندي وقد ساق ابن ابي أصيبعة تآليف آخرهم في خمس صفحات وكلها كتآليف حنين وثابت فلسفية علمية وهم ائمة النقل من اليونانية الى العربية

ومن المكثرين من التأليف المجودين فيها حجة الاسلام الغزالي والماوردي وعمرو بن بحر الجاحظ وجار الله الزمخشري وهذان الاخيران من ائمة المعتزلة قيل في الاول ان تآليفه تعلم العقل وفي الثاني ان تآليفه يكتفى بها في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان والادب . ومن المكثرين المجودين من ائمة المعتزلة القاضي عبد الجبار قيل ان تآليفه التي وضعها في كل فن اربعمائة الف ورقة ومن ائمة المعتزلة كثيرون من جاوزت مؤلفاتهم المئة والخمسين الف ورقة

ومن المؤلفين الاول المكثرين من التأليف هشام الكلبي العالم بالنسب واخبار العرب وايامها ومثالبها ووقائعها المتوفى سنة ٢٠٦ ذكر كتبه ابن النديم في نحو ثلاث صفحات وهي تزيد على مئة وخمسين ومنهم المدائني المتوفى سنة ٢١٥ في نحو اربع صفحات ومنهم المرزباني من اهل القرن الرابع قال ان تآليفه بلغت الوفًا من الاوراق ومن الفقهاء والحفاظ المكثرين من التأليف محمد بن ادريس الشافعي وداود بن خلف الاصفهاني وابو العباس بن سريج المعروف بالباز الاشهب من ائمة الشافعية كانت فهرست كتبه تشتمل على اربعمائة مصنف وقيل ان تصانيف الحافظ ابي بكر ابن البيهقي تبلغ الف جزء ولابي بكر ابن الخطيب صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣ قريب من مئة مصنف وللنسفي من كتب الاصول والفقه والحديث والادب والتاريخ مايقرب من مئة مصنف . وكان ابن سبعين ممن صنف تصانيف كثيرة وللاشعري خمسة وخمسون تصنيفًا .

(١) الفهرست

وكان ابو حاتم البستي من اوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ قال ياقوت (١) وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته وروى عن ابن ثابت ان من الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ماترجمها واصفها مصنفات ابي حاتم محمد بن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر الشجري ووقفني عَلَى تذكرة باسمائها ولم يقدر لي الوصول الى النظر فيها لانها غير موجودة بيننا ولا معروفة عندنا وانا اذكر منها مااستحسنت سوى ماعدلت عنه واطرحته وهناعدها فجاءت زهاء مائتين وخمسين جزءاً و بلغت مصنفات ابي بكر بن فورك المتكلم الاصولي الاديب النحوي الواعظ قريباً من مائة مصنف . ولفظة المتكلم (٢) تطلق على من يعرف علم الكلام وهو اصول الدين وانما قيل له علم الكلام لان اول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله عزوجل أمخلوق هو ام غير مخلوق فتكلم الناس فيه فسمي هذا النوع من العلم كلاماً اختص به وان كانت العلوم جميعها تنشر بالكلام اه ولابي الحسين الراوندي صاحب المقالة المشهورة في علم الكلام وهو الذي ينسب اليه اليوم غالباً كل كلام فيه سفسطة ومغالطة وكفر من التآليف نحو مائة واربعة عشر كتاباً مع انه لم يتجاوز الاربعين من عمره

ولرأس المتصوفة محيي الدين بن عربي تآليف كثيرة ومنها الممتع ذكر في اجازة كتبها للملك المعظم انه اجازه ان يروي عنه مصنفاته ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفاً واربعمائة مصنف والف رسالة عدد فيها كتبه كما جرت عادة بعض المؤلفين ان يترجموا انفسهم ويذكروا مؤلفاتهم في رسائل خاصة مخافة ان يدس عليهم بعضهم مالا يروقهم ويقول فيهم ماليس فيهم .

وابن سعيد الاندلسي المؤرخ من المكثرين من التآليف منها المرقصات والمطربات والمنتطف من ازاهر الطرف والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد والموضوعان الغريبان المتعددا الاسفار وهما المغرب في حلي المغرب والمشرق في حلي المشرق وغير ذلك قال لسان الدين (٣) حدثني الوزير ابو بكر بن الحكيم انه خلف كتاباً يسمى المرزمة يشتمل عَلَى وقر بعير من رزم الكراريس لايعلم مافيه من الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى .

ومن المكثرين من التآليف لسان الدين بن الخطيب وابو العلاء المعري ولهذا كتاب (٤) سماه الايك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب المئة جزء في

(١) معجم البلدان (٢) ابن خلكان (٣) الاحاطة في اخبار غرناطة (٤) وفيات الاعيان

الادب قال ابن خلكان : وحكى لي من وقف عَلَى المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف وقال لا اعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد · ومن المكثرين القاضي الفاضل قال ابن خلكان : اخبرني احد الفضلاء الثقات المطلعين عَلَى حقيقة امره ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ماتقصر عن مائة مجلد وكان الحاجب المنصور ابو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المدعو بالافطس اديباً جليلاً ومن تآليفه [1] الكتاب المظفري المسمى بالتذكرة في خمسين مجلداً · وكتب عبداللطيف البغدادي الفيلسوف نحو مئة وخمسين كتاباً وذلك في سياحات له طويلة دامت نحو اربعين سنة ساحها بين العرق والشام ومصر والروم

ومن المكثرين من التأليف والمتوسعين فيه احمد بن ابان بن السيد اللغوي الاندلسي يعرف بصاحب الشرطة وهو مصنف كتاب العالم في اللغة نحو مئة مجلد مرتب عَلَى الاجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة وله في العربية واللغة كتب اخرى · ومثله ابن سيدة الضرير صاحب المخصص والمحكم وغيره وهو من المكثرين من التآليف والحفظ ومن المكثرين ابو اسحق ابراهيم بن الاعلم البطليوسي له نحو خمسين تأليفاً · وبلغت تآليف محمد ابي طالب القرطبي المتوفى سنة ٤٣٧ – ٧٧ تأليفاً والف عيسى بن عمر النحوي نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو قال سيبويه جمعها بعض اهل اليسار واتت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق في الوجود سوى كتابين ولو تنافس اهل العلم وغلاة الكتب بمثل هذه الكتب لتعاورتها الايدي بالنسخ ولما فقدت ·

ومن المكثرين من التأليف عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة ٢٣٨ قال المقري [2] رأيت في بعض التواريخ ان تواليفه بلغت الفاً ومن اشهرها كتاب الواضحة في مذهب مالك · ولابي عمرو الداني القرطبي من علماء القرآن مئة وعشرون مصنفاً وكان يقول ما رأيت شيئاً قط الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته وآخر من له التآليف الكثيرة من ائمة الاندلس ابو الحسن القلصادي المتوفى سنة ٨٩١ واكثر تصانيفه في الحساب والفرائض

ومن عرفوا بسعة التأليف احمد بن ابي عبد الله عَلَى مذهب الامامية فان ما كتبه بلغ مائة تصنيف عددها ياقوت في معجم الادباء · ومن فقهاء الامامية ابو النصر العياشي ذكر ابن النديم اسماء كتبه في نحو صفحتين ·

(١) نظم الدول للسان الدين (٢) نفح الطيب

ويقال ان تواليف ابي جعفر بن النحاس تزيد عَلَى خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب وذكروا [١] ان محمد بن جماعة من اهل القرن الثامن كان اعجوبة زمانه في العلم وليس له في التأليف حظ مع كثرة مؤلفاته التي جاوزت الالف فان له عَلَى كل كتاب اقرأه التأليف والتأليفين والثلاثة واكثرها من شرح مطول ومتوسط ومختصر وحواش ونكت الى غير ذلك وكان يعرف علوماً عديدة منها الفقه والتفسير والحديث والاصلان والجدل والخلاف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والهيئة والحكمة والزيج والطب والفروسية والرمح والنشاب والدبوس والثقاف والرمل وصناعة النفط والكيمياء وفنون اخر وعنه انه قال : اعرف ثلاثين علماً لا يعرف اهل عصري اسماءها .

ومن الذين اكثروا من التأليف احمد بن مكتوم من اهل القرن الثامن وعبد الرحمن الانباري من اهل القرن السادس وعيسى اللخمي الاسكندراني من اهل القرن السادس وتقي الدين السبكي من اهل القرن الثامن وله مئة وخمسون تصنيفاً والجلال السيوطي من اهل القرن العاشر اطلعنا علي فهرست كتبه في سبع ورقات وربما لا تقل عن اربعمائة مجلد وفيها الجيد

واعجوبة المؤلفين ابو موسى جابر بن حيان [٢] قال : الفت ثلثمائة كتاب في الفلسفة والفاً وثلثمائة كتاب في الحيل عَلَى مثال كتاب تقاطر (؟) والفاً وثلثمائة رسالة في صنائع مجموعة وآلات الحرب ثم الفت في الطب كتاباً عظيماً والفت كتباً صغاراً وكباراً والفت في الطب نحو خمسمائة كتاب الى ان قال : ثم الفت كتباً في الزهد والمواعظ والفت كتباً في العزائم كثيرة حسنة والفت كتباً في النيرنجيات والفت في الاشياء التي يعمل بخواصها كتباً كثيرة ثم الفت بعد ذلك خمسمائة كتاب نقداً عَلَى الفلاسفة ثم الفت كتاباً في الصنعة (الكيمياء) يعرف بكتب الملك وكتاباً يعرف بالرياض

وماذا عسانا ان ندون هنا ونقتبس من كلام المؤرخين في المكثرين من المؤلفين العارفين ولو اردنا ان نذكر فقط من لهم منهم الى عشرة كتب لاستغرق الكلام مجلد هذه السنة برأسه . وانا ليحزننا يوم نذكر ان كل واحد ممن ذكرنا خلف للامة خزانة كتب من مصنفاته ونلتفت الآن عن ايماننا وعن شمائلنا فلا نرى المؤلفين في الاقطار العربية يعدون عَلَى الاصابع والمكثر منهم من لا تتجاوز مصنفاته العشرة

(١) بغية الوعاة للسيوطي (٢) الفهرست

نشوء اللغات الاسلامية (١)

ففي عَلَى اللغات في كل عصر ومصر ان تقتبس بعضها من بعض ما يعوزها من الالفاظ لتعبر بها عن الافكار الحديثة والعربية والفارسية والتركية لم تخلص من هذا القانون · فاقتبست اولاً من اللغات السامية ومن اليونانية ثم من اهم لغات اوربا الحديثة ولا سيما من الفرنسوية كما اقتبست كية وافرة من الالفاظ للافصاح عن الافكار التي ليس في معجمها ما يدل عليها ثم هجمت تلك الالفاظ الاعجمية هجوما كثيراً كادت تأتي معه عَلَى مفردات تلك اللغات نفسها فقامت تريد الرجوع الى اصولها وهب القوم ينبذون من اللغات الاسلامية الثلاث تعابير رأوها وحشية ويستعيضون عنها بالفاظ يشتقونها من المادة الاصلية في العربية والفارسية والتركية او بالفاظ كانت موجودة ولكنها أطلقت عَلَى معاني جديدة

ومن الضروري ان لايفوتنا النظر بان اصحاب هذه اللغات اليوم يريدون الرجوع بلغاتهم الى اصولها الصحيحة ويطرحون الالفاظ التي ليست لهم مدفوعين الى ذلك بتأثيرات الدعوة الى الوطنية في البلاد الاسلامية · وهذه الحركة في الرجوع بهذه اللغات الى اصولها لاترمي الى نبذ الالفاظ الافرنجية فقط بل ان القوم في فارس يطمحون الى حذف التعابير العربية وفي البلاد العثمانية كما هو في سائر البلاد التركية يحاولون طرح الالفاظ العربية والفارسية · ويبحث الادباء من اهل هاتين اللغتين فيما لديهم من الالفاظ الايرانية والتترية عن الالفاظ التي كان من تأثيرات الفاتحين اومن رغبة المغلوبين في اظهار معرفتهم بلغة غالبيهم ان زهد فيها واستعملت الفاظ اقل منها انطباقاً مع الروح التركية والفارسية وان كثر استعمالها وعدت او كادت من مادة اللغة الاصلية ·

جرت اللغات الاسلامية كاللغات الاجنبية في اقتباسها الالفاظ عَلَى طريقتين علمية وعامية فالعامة يقتبسون عَلَى ايسر وجه من الالفاظ ما يتكرر على مسامعهم دائماً او ما يفصح عن افكار لامقابل لها في لغتهم الاصلية ولقد عرفت منذ القديم القوانين التي تجري عليها في الاقتباس فالاسماء تنتقل من لغة الى اخرى باعظم مايكون من السرعة

١ للمسيو لوسين بوفا احد علماء المشرقيات نشرها في مجلة العالم الاسلامي البارزية وقد التزمنا في نقلها الترجمة الحرفية

واقل من ذلك انتقال الصفات وفي النادر اقتباس الظروف ويشذُّ او لايكاد يكون اثر لاقتباس الافعال . ومن اللغات ما اذا نظر فيه الى المفردات يمكن وصفه باللغات المختلطة وهي تتألف في البلاد التي عرفت بتجارة المقايضة ولاسيما في الموانئ البحرية مثل لغة البجيين في الشرق الاقصى وهي مزيج من اللغة الانكليزية والصينية ولغة السابير موءلفة من العربية والافرنسية والاسبانية والايطالية او اللغة الافرنجية وهي مجموعة من كلمات مقتبسة من جميع لهجات البحر المتوسط من البلاد التي تمتد من سورية الى مراكش ولا بأس باعتبار اللغة المالطية من هذا الضرب من اللغات وان اصبح لها صحافة وآداب منذ عهد ليس ببعيد ولكنها لم تعد تحسب لهجة عربية تكون صلة بين لغة مصر والمغرب جامعة الى نحوها الذي هو كنحو اللغات السامية مفردات ايطالية وبعبارة اصح صقلية في الاكثر وكتابتها لاتينية (١)

وما عدا هذه اللغات المشتركة البحرية التجارية خصوصاً فقد تألفت في البلاد الاسلامية التي استولى عليها الاوربيون لهجة عامية دخلتها الفاظ من لغات الفاتحين واصطلاحات دواوين الحكومة وارباب الصناعات وهكذا نجد قرارات الحكومة الفرنسوية في الجزائر كانت تكتب زمناً بلهجة محرفة ممزوجة بكلمات فرنسوية نقلها المترجمون بجهل منهم او كسل فيهم الى حالها ولم يعنوا بترجمتها وترى جند الرماة والمشاة هناك يستعملون لغة شتى احرى بها ان تكون مما تواطأوا عليه بينهم وهي خليط من التعابير الفرنسوية المحرفة كثيراً بحيث يصعب الاهتداء الى معرفتها غالباً

ولكن هذا لايصح الى اطلاق الا الى اللغة المحكية وكتابات من لم يتعلموا . اما اللغة الادبية التي مست حاجتها كذلك الى ايجاد تعابير جديدة فقد عمدت الى طرق

(١) توجد امثلة اخرى للغات اسلامية يتكلم بها اناس من غير المسلمين مثل اللغة الاسرائيلية الفارسية وهي لغة فارسية ممزوجة قليلا بالفاظ عبرانية ومكتوبة بحروف عبرية وهي لهجة يهود فارس . و يستعمل اليهود القراءون في القديم هذه الحروف ايضاً في الكتابة التركية وهي اللغة الدارجة بينهم . وفي البلاد العثمانية اناس من الارمن والروم يتكلمون بالتركية ولكنهم يكتبونها بحروفهم القديمة ولهم ادبيات ارمنية تركية وادبيات يونانية تركية ذات صحافة خاصة بها . وهناك اللغة الكرشونية وهي تطبيق المسيحيين للحروف السريانية الى اللغة العربية والعبرانية العربية او العربية التي يكتبها اليهود بالحروف العبرانية .

عديدة في الاقتباس فبدأت بنقل الفاظ اوربية كما هي او بتبديلها قليلاً حتى توافق التلفظ المحلي وهذه هي الطريقة التي كانت تعمد اليها اللغة العامية ومضى زمن كانت هي المعول عليها اما فكر الرجوع بتلك اللغات الى اصولها فلم ينشأ الا في السنين الاخيرة فاللغة العربية الغنية بمفرداتها ولها من الاشتقاق موارد كثيرة قد عمدت الى ما في متنها من المفردات فاشتقت منها وكذلك كان من الفارسية وان كانت لاتستغني بعض الاحيان عن الالفاظ العربية · اما التركية التي انتقرت بتأثير اللغات الاجنبية فيها فقد اخذت بادئ بدء من العربية والفارسية وهي تحاول منذ مدة الاكتفاء بما عندها باستعمال التعابير التترية القديمة التي كادت تتلاشى ·

ماهي المؤثرات التي عرضت للغات الاسلامية من اللغات الاجنبية ؟ ان اقدم النصوص العربية التي انتهت الينا هي الاشعار التي قيلت قبل الاسلام والقرآن نفسه لايخلو من بعض الفاظ اصلها فارسي · وذلك لان الصلات بين الفرس والعرب كانت قديمة مستحكمة فاخذت العربية عن اللغة المجاورة لها بعض الالفاظ · فمن الفاظ القرآن الغير العربية في العربية ابريق وسجيل · واقتبست اللغة الآرامية اللغة العربية بعض الفاظها ايضاً فان اتحاد اصول هاتين اللغتين والمناسبة القوية في تركيبهما قد جعلت الاخذ منها سهلاً للغاية · وكذلك الحال في اللغة العبرانية فقد اقتبست العربية بعض الالفاظ واكثرها ديني فمنها « جهنم » و « ملك » واقتبست اللغة الرومية منذ عهد بعيد بعض الالفاظ للغتين العربية والفارسية مثل سجل وسندس وانتقلت هذه الى العربية ووردت في القرآن عن طريق الفارسية

ولقد نشأت في فارس لغة صناعية واعني بها البهلوية واستعملت الخط السامي واستعاضت عن المفردات الايرانية بما يقوم مقامها من المفردات الآرامية وتصريفها يجمع بين تصريف اللغتين ولكن اللهجة الشائعة من هذه اللغة بقيت غير متأثرة كثيراً بالنفوذ الغريب الى زمن الفتح العربي · ولا حاجة الى ذكر ما اصاب اللغة الايرانية من التبدل بالفتح فقد سرت الى لغة الجمهور الفاظ كثيرة دينية وعلمية · واعتمدت فارس في كتابتها على الخط العربي ·

اما الاتراك فالظاهر انهم لم يقتبسوا الفاظاً كثيرة من جيرانهم قبل ان يدينوا بالاسلام هذا اذا استثنينا منهم المغول · وربما اخذوا قديماً بعض الالفاظ من الصين وفارس حتى اذا انتحلوا الاسلام كثرت في لغتهم الكلمات العربية والفارسية · ونرى العربية الى عهد

ظهور الاسلام تقتبس من الفارسية والسامية والآرامية خصوصاً واليونانية ودام هذا الاقتباس وارتقى ارتقاء ظاهراً عَلَى عهد خلفاء الأمويين والعباسيين · وظلت اللغات الفارسية والسريانية والرومية بحسب الاقطار لغات الادارة في المملكة العربية ولا عجب من ثم ان ادخلت الى لغات الفاتحين عدداً كبيراً من الالفاظ العلمية · وكان من درس فلاسفة يونان ورياضييهم وكيماويهم وطبيعييهم ان مرت الى العربية من اليونانية اصطلاحات علمية

وفي الحروب الصليبية دخلت الى اللغة العربية الفاظ مختلفة اقتبستها من لغات الشعوب التي اختلط بهم المسلمون ولكن ما اخذته هو من الافاصيص محدود معدود ولم تدخل عَلَى اللغة العربية الالفاظ الغربية الا في القرون الحديثة الموافقة لارتقاء العثمانيين في آسيا واوربا · اما تأثير اللغات الاوربية في العربية فلم يكد يشعر به الى الدور الاخير وهو اقل من ذلك في الفارسية بالنظر لبعدها الجغرافي ·

ومن اراد الآن ان يبحث في تأثير كل لغة اوربية في اللغات الاسلامية منذ زمن النهضة فليقرر ما يأتي : ان اثر اللغة الافرنسية كبير جداً وقد فاق غيره في جميع العالم الاسلامي في البحر المتوسط وآسيا السالفة ولكن اثرها بالنسبة لغيره حديث العهد وكانت البواعث اليها ١ً الاصلاحات التي جرت في البلاد العثمانية عَلَى عهد السلطان محمود ٢ً تنظيم محمد علي لمصر عَلَى نحو ذاك العهد ايضاً وما تركه الفرنسيس من الفاظهم فيها بعد حملتهم عَلَى مصر سنة ١٧٩٩ ٣ً فتح الجزائر ٤ً الصلات التي نشأت بين فرنسا وفارس وقد بدئ بها في اوائل القرن التاسع عشر عَلَى ايدي بعثة جوبر والقائد غاردان ثم اعيدت بعيد حين ٥ً شدة ميل المسلمين في البلاد العثمانية ولا سيما في فارس لتعلم الآداب الفرنسوية والانطباع بالافكار الفرنسوية

وانت ترى بهذا ان نفوذ فرنسا في الشرق غير بعيد العهد لا يتجاوز القرن الواحد وهو قوي للغاية عَلَى الرغم من تقلص ظل سياستنا من البلاد العثمانية مدةً من الزمن وعَلَى تداخل انكلترا في مصر وقلة علائقنا مع فارس نتأيد نفوذنا ابداً في تلك البلاد التي لم يبق فيها اولئك الشعوب الذين هم اكثر منا مضاء في الامور السياسية والاقتصادية شيئاً من لغاتهم الا القليل الذي لا يؤبه له ولا ننسى ان تأثير اللغة الفرنسوية قد استحكم في اللغات التترية في روسيا ولكن لا مباشرة بل دخلتها الفاظ من الافرنسية بواسطة اللغة الروسية او اللغة التركية العثمانية

اما تأثير اللغة الانكليزية فضعيف وهو مقصور على الصحافة العربية في مصر والصحافة الفارسية في الهند (بقطع النظر عن اللغة الهندستانية وسائر لغات الهند الوطنية) التي تعمد كل حين الى استعمال كمية من الالفاظ الفرنسوية وليس للانكليزية في فارس غير اثر ضئيل جداً ولا اثر لها في التركية الا ما كان من بعض التعابير العلمية والبحرية واكثرها في السباق وانواع الارتياض ·

وبعد ذلك فان تأثير اللغة الايطالية قديم ثابت باق فهو يرد الى الزمن الذي كانت فيه البندقية دولة بحرية قوية في البحر المتوسط وما زالت اللغة التركية العثمانية منذ ذاك العهد تأخذ عن اللغة الايطالية جملة من الالفاظ لا العلمي منها فقط (مثل الفاظ الملاحة والتجارة والصناعة وغيرها) بل الفاظاً شائعة في الاستعمال وكان للغة العثمانية ان تكتفي بما عندها من مقابل لها مثل لفظة « فامليا » التي تجلى فيها اللهجة البندقية كل التجلي وكذلك كان من اللغة الصقلية ان شغلت مكاناً معاً على نحو ما رأيناه آنفاً في ان جزءاً من المفردات المالطية مأخوذ منها · ودخل على اللغة في تونس كثير من الالفاظ الايطالية وقد لاحظ احد العارفين ان هذه الالفاظ لا تستعمل الا في الكلام الدارج اما اللغة المكتوبة فمنقحة للغاية ولذلك لا تستعملها · وفي مصر ترى بعض الالفاظ الايطالية والظاهر ان بعضها سرت اليها بواسطة اللغة التركية مثل كلمة سيغورتا (الضمان او التأمين)

واللغة اليونانية الحديثة ادخلت كالايطالية على اللغة التركية العثمانية الفاظاً كثيرة فان ما وصل الينا من النصوص القديمة يبين ان تاريخ الصلة بينهما يرد الى ماقبل القرن الخامس عشر ولفظة « افندي » الغريبة التي ذكر المسيو جان بسيشاري تاريخها وما تقلب عليها من التبدل الغريب في الصورة والمعنى هي من جملة تلك الالفاظ

وفي لغة عرب المغرب جملة من الالفاظ ومنها ماهو من اصل اسباني وهي مألوفة الاستعمال في مراكش فقد كان للبرتغاليين اثر كبير في هذه البلاد فكيف يتأتى ان لا يتركوا فيها شيئاً من لغتهم واذ كانت المناسبة قوية بين الاسبانية والبرتغالية وكان سكان مراكش يحرفون ما يقتبسونه عن الاوربيين من الالفاظ فمن الصعب ان يميز في هذه الاقتباسات ما سرى الى تلك اللغة من اللغة البرتغالية خاصة

ولقد كانت الالفاظ الالمانية التي سرت الى الشرق قليلة جداً وقال بعضهم ان لفظة غروش التركية مأخوذة من غروش الالمانية ولكن بعد البحث الدقيق في المعجم

العثماني تبين انه لم يسر الى التركية الا الفاظ جزئية من التعابير الجرمانية

وهنا ننتقل الى اللغات الصقلبية (السلافية) فنرى لغات البلقان قد نقلت الى التركية عدداً جزئياً من التعابير ومنها بعض الالفاظ العسكرية وهي من جملة الالفاظ القديمة في تنظيم الجيش العثماني · واللغة الروسية اكثر سرياناً ولكنها مقصورة عَلَى اللغات التترية في القريم وقازان وقافقاسيا وآسيا الوسطى فهي لم تعد تلك التخوم فالالفاظ الروسية في البلاد العثمانية الايرانية نادرة للغاية · ويجب ان لا يفوتنا ان ما تقتبسه اللغات التترية او الروسية هي في الاغلب من اصل فرنسوي او الماني او ايطالي · وما ذكرناه فيما تقدم عن اللغات الصقلبية البلقانية ينطبق ايضاً عَلَى اللغة المجرية ولكن اللغة الارناؤدية والارمنية وغيرها من اللهجات المحكية في البلاد التي يتكلم فيها بالتركية لم تؤثر الا قليلاً جداً بهذه اللغة

وهنا نأتي عَلَى تأثير اللغة التركية في فارس حيث تحكم اليوم أُسرة قاجار فنجد كثيراً من التعابير والمعاني المختلفة مأخوذة من التركية مثل الاعداد والقاب الشرف واسماء المناصب والمراتب · ومثل ذلك يقال عن اللغة العربية في مصر فانها اخذت اسماء الرتب العسكرية التي دخلت الى البلاد العثمانية بعد الانكشارية ولم يدخل عَلَى اسماء الرتب من التعديل الا ما لا غنية عنه للتلفظ العربي · وترى في طرابلس الغرب الخاضعة للحكم العثماني جميع هذه الالفاظ شائعة بالاستعمال وتجد الفاظاً اخرى تركية مستعملة في تونس بل وفي الجزائر حيث ابقت الحكومة الفرنسوية رسمياً عَلَى بعض الالقاب التي اخترعها العثمانيون مثل اغا وباش عدل وخوجه وجاويش وغيرها وما عدا لغة البربر التي سرت بعض الفاظها الى اللغة المغربية

اما اللغة الهندستانية فلم يدخل منها الا بعض الالفاظ النادرة الى الفارسية اما اللغات الشرقية الاخرى فلا تعثر عليها بين الالفاظ العربية والفارسية والتركية الا نادراً جداً

وها نحن نبدأ الآن بالكلام عَلَى كل واحدة من اللغات الاسلامية الثلاث فنستفتح بالعربية · فقد رأينا هذه اللغة قبل ولا سيما بعد ظهور الاسلام قد اخذت عن اللغات السامية كالعبرانية ولا سيما الارامية والفارسية واليونانية · وحمل الصليبيون الى العربية بعض الالفاظ الجديدة خلافاً لما يعتقده بعضهم ويظفر بهذه الالفاظ في كلام المؤرخين ولكنها لم تسر الى اللغة المحكية ولا الى اللغة المكتوبة فمن الامثلة الغربية

استعمالهم لفظة « ترم » بمعنى المدفوع وجمعهم له عَلَى تروم كما في تاريخ ابي شامة ولكنه من الصعب ان ترى هذه اللفظة في كلام آخر . واخذت العربية من الافرنج بعض الالقاب النصرانية مدنية كانت او دينية مثل قومس (كونت) وكاغيكوس او كاتوغيكوس (بطريرك) و بعض التعابير الحربية واللغه المالطية التي هي لسان شعب خاضع للحكم المسيحي ومتدين بدينه قد اقتبست بالطبع من اللغات الغربية اموراً كثيرة

ولم يبدأ دخول الالفاظ الاجنبية ولاسيما الافرنسية عَلَى العربية الا في اوائل القرن التاسع عشر دخلت بكثرة حتى ان القائلين بتطهير اللغة من الدخيل قد دهشوا لها . ثم ان دخول تعابير افرنسية كثيرة الى اللغة الرسمية اي التركية في سورية ومصر قد نشأ منه اثر في اللغة الوطنية وازدياد صلات الشرق مع امم الغرب ودخول الافكار الفرنسوية وتأييد الحكم الفرنسوي عَلَى الجزائر وتونس ولا سيما انشاء صحافة عربية حذا فيها اهلها حذو الصحافة الاوربية كل ذلك مما دعا الى تحول اللغة

وذلك ان الصحافة هي التي احدثت اللغة العربية الحديثة في الجملة وهي تختلف عن لغة القرآن كما تختلف لغة الرومايك عن اللغة الرومية القديمة هكذا قال المسيو واشنطون سرويس الملحق بقنصلاتو البلجيك في بيروت منذ ثلاث عشرة سنة في مقدمة كتاب مهم للغاية وضعه في وصف هذه اللغة الحديثة وعَلَى ما فيه من الاغلاط والنقص القليل فان هذا الكتاب الذي لم يؤلف عَلَى مثاله قد نفع وينفع كثيراً وهو عبارة عن مقدمة عرض فيها المؤلف هذه المسألة عَلَى وجه جلي مفصل مشفوعاً بقائمة للصحف التي كانت تنشر اذ ذاك مع تاريخ انشائها وهي قائمة ثمينة وان كانت فهارس الرجوع اليها مختصرة و بعض الانموذجات من كلامها تأليفاً كانت او ترجمة فأتى فيه اولاً عَلَى الجرائد ثم عَلَى المواد الرسمية ثم عَلَى معجم لغوي مفيد وهو وحده يفسر الكلمات المولدة

ومن رأي المؤلف ان اللغة الحديثة قد نمت في غضون خمسين سنة بسرعة هائلة وهذا النشوء يظهر خاصة من نشوء العربية المحكية او المكتوبة قبل ظهور الجرائد فقد كانوا يكتفون بان يأخذوا عن اللغات الاجنبية بعض المفردات الدخيلة اللازمة لهم من دون ان يعدلوا صورتها التعديل اللازم لها في الظاهر . (للبحث صلة)

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

ليعلم ان من المسائل الجديرة بالعناية و بذل الجهد للوقوف عَلَى ماقيل فيها وكتب عنها (مسألة الجن) فقد تنوعت في شأنها المشارب وتعددت في مباحثها المذاهب وكان للاعراب معها في الجاهلية مخايل ولها في كل عصر نغمات جديدة وعجائب ولاغرو فهي من اقدم المسائل وارسخها في الاذهان اذ دار اسمها عَلَى كل لسان وورد ذكرها في جماع النحل والاديان

ان مسألة كمسألة الجن ليست مما تدرك باللفظة او يشار اليها بلحظة حتى لا يرفع لها الحشوي رأسا ولا يقيم لها الجامد وزنا فلوضمت شواردها وقيدت اوابدها وانتظمت فرائدها لعثر عَلَى الجم من اللطائف الفائقة والنوادر الرائقة مما يملك السمع والبصر اعجابا ويرتفع عن القلب للاصغاء حجابه

كل مسألة لا يتناولها الفهم في بداية النظر ولا يصل اليها الا باستعانة من درس امرها وسبره فلا بد من بحث عنها وتنقيب واستقراء وتنقير لا سيما ان تلك ذات شعوب واطراف وفروع واوصاف لاجرم ينبغي استقراؤها وتعرفها واستجلاؤها اكتشافا لما خبأته كنوز الحقيقة ووقوفاً عَلَى كل جليلة من دررها ودقيقة

اكثر من ألف في العلم الالهي اوماوراء المادة تكلم في (الجن) فموجز ومسهب ومقارب ومغرب والواقف عَلَى ما كتبه فلاسفة الاسلام يراه قريبا مما نحاه علماء اهل الكتاب في شأنها اللهم الا في خيالات شط بها البحث فبعدت عن القصد شأن كل شيء جاوز حده

من استقرأ ما كتب و بذل جهده في التنقيب عن به من علوم الاوائل مايغني عن زهر الرياض حسنه وعن فتيق المسك نشره فمن تأمله ازداد حرصا عَلَى تأمله وتصفحه مستعيداً مايستحليه من فوائده

الطريقة المثلى والخطة الوسطى هي اخذ المهم وايثار الاجود من كل شيء وهذا ما نوخياه في هذه المسألة مما طالعناه والا فسعة علم السلف مما يدهش الخلف فليس لنا الا المختار من آرائهم والمنتقى من انبائهم ولله ابن المقفع اذ يقول « فمنتهى عالمنا علم في هذا الزمان — زمانه رحمه الله — ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محسننا ان يقتدي بسيرتهم واحسن مايصيب من الحديث محدثنا ان ينظر في كتبهم »

ان استقصاء ما للقدماء في (مسألة الجن) واستقراءه كله يعوز الى عدة مجلدات وسعة اوقات والحاجيات كثيرة والمطالب وفيرة لذا آثرنا جمع شذرات تكشف عن وجهها نقابها وتجلي هدف عويصاتها لطلابها

ينحصر ما نأثره في هذه المسأله في مقدمة ومقصدين وخاتمة

اما (المقدمة) فنحكي فيها ما قاله فلاسفة اللغة في شرح المراد من الجن واشتقاقه وعمومه وخصوصه وحقيقته ومجازه

واما (المقصد الاول) ففي مذاهب الاعراب ومزاعمهم في الجن وقد حوى احد وعشرين مبحثا (ا) من ادعى من الاعراب والشعراء انهم يسمعون عزيف الجان ويرون الغيلان وما يشبهونه بالجن والشياطين و باعضائهم واعمالهم

(ب) اضافتهم مباني تدمر وامثالها الى الجن

(ج) تفرقتهم بين مواضع الجن

(د) تنزيلهم الجن في مراتب

(ه) زعمهم ان الغول من انثى الجن وكذلك السعلاة

(و) زعمهم انهم يظهرون لهم ويكلمونهم و يناكحونهم

(ز) مزاعمهم في الهاتف والتابع والرئي

(ح) ماروى من هتوفهم بالبعثة المحمدية

(ط) مزاعمهم في اوصافهم ومن قتلوه

(ى) من استهووه ومنهم خرافة

(يا) توصيفهم رجل الغول وعين الشيطان

(يب) مزاعمهم في ارض وبار و بلاد الحوش

(يج) مزاعمهم في الصرع

(يد) مزاعمهم في الطاعون

(يه) مايزعمونه في تمثلهم وتصورهم

(يو) رأيهم في قرناء الشعراء الفحول

(يز) خيالهم في جن الشام والهند

(يح) توهمهم ملامح الجن في الانس

(يط) قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان

(ك) مايحكونه من نيران السعالي والجن

(كا) فلسفة ماتزعمه الاعراب من عزيف الجان وتغول الغيلان

(واما المقصد الثاني) ففي آراء فلاسفة الاسلام في الجن (ا) ابن سينا (ب) ابو طالب المكي (ج) الغزالي (د) ابن حزم (ه) الفخر الرازي (و) القاشاني (ز) الماوردي (ح) القاضي ابو يعلى ابن الفراء (ط) ابن تيمية (ى) ابن القيم (يا) الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده انما تأثرت مذاهب الاعراب بما أثر عن الائمة في هذه المسألة انتقالا الى الجد في مباحثها اذ المقصد الاول اشبه بالجمام والمشراح لما شاب جده من مخاريق ومخايل وختمت البحث بمتفرقات من شوارد هذه المسألة تتميما لفوائده وتأييداً لمقاصده

ليس لنا من مزية فيما أثرناه الا انتقاء المهم مما طالعناه وترتيبه على هذا الاسلوب . نسأله تعالى ان يمن علينا بتنوير القلوب و يدخلنا في عباده الذين يؤمنون بالغيوب

المقدمة

فيما قاله فلاسفة الامة في الجن

قال الراغب الاصبهاني في مفرداته في مادة جن : اصل الجن ستر الشيء عن الحاسة يقال جنه الليل واجنه والجنان القلب لكونه مستوراً عن الحاسة والجنة كل بستان يستر باشجاره الارض (ثم قال) : والجن يقال على الروحانيين المستترة عن الحواس كلها بازاء الانس وسيأتي تتمة كلامه

وقال الزمخشري في اساس البلاغة : جنه ستره فاجتن واستجن بجنة استتر بها واجتن الولد في البطن واجنته الحامل ووراءه جنان الليل اي ظلمته وفلان ضعيف الجنان وهو القلب وجنت الارض بالنبات ولاجن بكذا اي لاخفاء به قال سويد :

« ولاجن بالبغضاء والنظر الشزر »

ونقل الامام ابن جرير في سورة البقرة في تفسير آية « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس » ان استثناءه من الملائكة يدل على انه منهم وعن ابن اسحق ان العرب يقولون : ما الجن الا كل من اجتن فلم يروا ان آية « الا ابليس كان من الجن » اي كان من الملائكة وذلك ان الملائكة اجتنوا فلم يروا وان آية « وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً » اشارة لقول قريش ان الملائكة بنات الله (قال) وقد قال الاعشى — اعشى

بني قيس بن ثعلبة البكري وهو يذكر سليمان بن داود وما اعطاه الله

ولو كان شيء خالداً ومعمرا لكان سليمان البري من الدهر
براه الهي فاصطفاه عباده وملكه مابين ثريا الى مصر
وسخر من جن الملائك تسعة قياماً لديه يعملون بلا أجر

(قال) فابت العرب في لغتها الا ان الجن كل مااجتن يقول : ما سمى الله الجن الا انهم اجتنوا فلم يروا وما سمى بني آدم انساً الا انهم ظهروا فلم يجتنوا فما ظهر فهو انس وما اجتن فلم يرفهو جن

ثم قال ابن جرير : واما خبر الله عنه انه من الجن فغير مدفوع ان يسمى مااجتن من الاشياء عن الابصار كلها جناً كما قدذكرنا قبل في شعر الاعشى فيكون ابليس والملائكة منهم لاجتنانهم عن ابصار بني آدم :

وقال الراغب الاصبهاني في مفرداته : الجن يقال على وجهين (احداهما) للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بازاء الانس فعلي هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة وعلى هذا قال ابو صالح : الملائكة كلها جن وقيل بل الجن بعض الروحانيين وذلك ان الروحانيين ثلاثة (اخيار) وهم الملائكة (واشرار) وهم الشياطين (واوساط) فيهم اخيار واشرار وهم الجن ويدلك على ذلك قوله تعالى « قل اوحي اليَّ » الى قوله عز وجل « وانا منا المسلمون ومنا القاسطون »

❋ من ادعى من الاعراب والشعراء انهم يرون الغيلان [١] ويسمعون عزيف الجان وما يشبهونه بالجن والشياطين وباعضائهم واعمالهم ❋

انشد أعرابي :

كأنه لما تدانى مقربه [٢] وانقطعت اوذامه [٣] وكربه [٤]
وجاءت الخيل جميعاتذنبه [٥] شيطان جن في هواء يرقبه
اذنب فانقض عليه كوكبه

«١» جمع غول وهو شيطان يأكل الناس — بزعمهم — او دابة رأتها العرب (قاموس) «٢» مصدر ميمي أي قربه «٣» جمع وذم كسبب واسباب وهو سير يشد في العنق «٤» بفتحتين حبل يشد في الوسط «٥» ذنبه يذنبه و يذنبه تلاه فلم يفارق اثره كاستذنبه

وأنشد:

ان العقيلي لاتلقى له شبها ولو صبرت لتلقاه على العيس [1]
بينا تراه عليه الخز منكتنا اذمر يهدج [2] في حش [3] الكرابيس [4]
وقد تكنفه عرامه [5] زمنا اشباه جن عكوف حول ابليس
اذ المفاليس يوما حاربوا ملكا ترى العقيلي منهم في كراديس [6]

وقال ابوالخطفي [7]

يرفعن بالليل اذا ما اسدفا اعناق جنان [8] وهاماً رجفا
وعنقا [9] بعد الرسيم [10] خيطفا [11]

وانشد ابن الاعرابي

غناء كلبي برى الجن يبتني صداه اذا ماآب للجن آيب

وقال الاعشى:

فاني وما كلفتموني اتباعه ليعلم ربي من اعق واحوبا [12]
لكالثور والجني يضرب ظهره وما ذنبه ان عافت الماء مشربا

وقال الرقياني:

بين اللهى منه اذا ماهدا مثل عزيف الجن [13] هدت هدا

وقال ذو الرمة:

قد اعسف [14] النازح المجهول معسفه في ظل اخضر يدعو هامه [15] البوم
للجن بالليل في ارجائها زجل [16] كما تناوح بين الريح عيشوم [17]

«١» العيس بالكسر الابل البيض «٢» اي يمشي مشية الشيخ «٣» الحش مثلثة موضع قضاء الحاجة «٤» جمع كرباس وهو ثوب قطن والكربسة مشي المقيد «٥» جمع عارم وهو الشرس الشديد المؤذي «٦» اي جموع عظيمة «٧» بفتحات لقب حذيفة جد جرير الشاعر «٨» جمع جن «٩» بفتحتين نوع من السير «١٠» الرسيم حسن المشي «١١» كهيكل سريع المشي «١٢» صار الى الحوب بالفتح وهو الاثم (١٣) العزيف صوت الجن وهو جرس يسمع في المفاوز بالليل والهد الصوت الغليظ (١٤) اعسف عن الطريق مال وعدل وتخبطه على غير هداية (١٥) الهام جمع هامة وهو طائر من طير الليل وهو الصدى (١٦) الزجل بفتحتين رفع الصوت (١٧) جمع عيشومة وهي شجر وما هاج من نبت

دوية (١) ودجى ليل كأنهما يم (٢) تراطن (٣) في حافاته الروم

وقال :

وكم عرست بعد السرى من معرس (٤) بها من صداء الجن اصوات سامر

وقال :

كم جبت دونك من بهماء مظلمة تيه (٥) اذا ما مغنى جنه سمرا

وقال :

ورمل لعزف الجن في عقداته هرير كتضراب المغنين بالطبل

وقال :

وتيه خبطنا غولها وارتمى (٦) بنا ابو البعد من ارجائه المتطاوح (٧)

فلاة لصوت الجن في منكراتها هرير وللابوام فيها نوائح

وطول اغتماسي في الدجى كلما دعت من الليل اصداء المثاني الصوائح

و يقولون لمن به لقوة (٨) اوشتر (٩) اذا شيء بالطيم الشيطان و يقولون للرجل المفرط الطول يا ظل النعامة وللمتكبر الضخم يا ظل الشيطان

وكان عمر بن عبد العزيز اول من نهى الناس عن حمل الصبيان على ظهور الخيل يوم الحلبة وقال : تحملون الصبيان على الجنان وانشد في تشبيه الانس بالجن لابي الجويرية العبدي :

انس اذا أمنوا جن اذا فزعوا (١٠) مرزؤن بهاليل اذا حشدوا

وانشدوا :

وقالت والله لترحلنا قلائصا تحسبهن جنا

وقال ابن الزوائد :

بجور خفض لمن الم بهم جن بارماحهم اذا خطروا

وانشدوا :

اني امرؤ تابعني شيطانيه آخيته عمري وقد آخانيه

(١) الدوية الفلاة (٢) اليم البحر (٣) تكلم بالاعجمية (٤) اعرس القوم نزلوا آخر الليل للاستراحة كعرسوا والموضع معرس ومعرس والسرى كهدى سير عامة الليل (٥) ارض تيه مضلة (٦) ارتمى به القاه (٧) تطاوحت به النوى ترامت (٨) داء في الوجه (٩) الشتر انقلاب الجفن من اعلى واسفل وانشقاقه (١٠) هذا كقول الآخر من المولدين في الترك

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

يشرب في قعبي [1] وقد سقانيه   فالحمد لله الذى اعطانيه

وقال عبيد بن اوس الطائي :

هل جاء اوسًا ليلتي ونعيمها   ومقام اوس في الخباء المشرج [2]

مازلت اطوي الجن اسمع حسهم   حتى دفعت الى راق المروج

وانشد آخر :

ذهبتم وعدتم بالامير وقلتم   تركنا احاديثا ولحما موضعا

فما زادني الا سناء ورفعة   ولا زادكم في القوم الا تخشعا

فما نفرت جني ولافل مبردي [3]   ولا اصبحت طيري من الخوف وقعا [4]

واشعارهم في هذا المعنى تفوت الحصر

اضافتهم مباني تدمر وامثالها الى الجن

قال النابغة الذبياني :

الا سليمان اذ قال الاله له   قم في البرية فاحددها [5] عن الفند [6]

وخيس الجن [7] اني قد اذنت لهم   يبنون تدمر بالصفاح [8] والعمد

قال الجاحظ : واهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء قبل زمن سليمان عليه السلام باكثر مما بيننا اليوم و بين سليمان بن داود عليهما السلام « قالوا » ولكنكم اذا رأيتم بنيانا عجيبا وجهلتم موضع الحيلة فيه اضفتموه الى الجن ولم تعانوه بالفكر ٠ وقال العرجي :

سدت مسامعها لقرع مراجل   من نسج جن مثله لا ينسج

وقال الاصمعي السيوف المأثورة هي التى يقال انها من عمل الجن لسليمان بن داود عليهما السلام فاما القوارير والحمامات فذلك مالا شك فيه ٠ وقال البعيث :

بني زياد لذكر الله مصنعة   من الحجارة لم تعمل من الطين

كأنها غير ان الانس ترفعها   مما بنت لسليمان الشياطين

وقال الاعشى في بناء الشياطين لسليمان :

---

(١) اي قدحي (٢) اي المشدود بالشرج وهو العري (٣) الفل الثلم (٤) الطير اذا كانت على شجر اوارض يقال لها وقوع ووقع (٥) اي امنعها (٦) اي الكذب (٧) اي ذللها (٨) كرمان حجارة عراض رقاق والعمد جمع عماد

اری عاديا لم يمنع الموت ربه ووردا بتيماء اليهودي ابلق [١]
بناه سليمان بن داود حقبة [٢] له جندل [٣] صم وطي موثق [٤]

﴿ تفرقتهم بين مواضع الجن ﴾

قال الجاحظ: كما يقولون تنفذ برقة [٥] وضب سحا [٦] وارنب الخلة [٧] وذئب خمر [٨] فيفرقون بينها وبين مايتسب لذلك اما في السمن واما في الخبث واما في القوة كذلك ايضا يفرقون بين مواضع الجن فاذا نسبوا الشكل منها الى موضع معروف فقد خصوه من الخبث والقوة والعرامة [٩] بما ليس لجملتهم وجمهورهم قال لبيد:

غلب [١٠] تشذر [١١] بالدحول كأنها جن البدي [١٢] رواسيا اقدامها

وقال النابغة:

سهكين [١٣] من صدإ الحديد كأنهم تحت السنور [١٤] جنة البقار [١٥]

وقال زهير:

عليهن فتيان كجنة عبقر [١٦] جديرون يوما ان ينيفوا فيستعلوا

وقال حاتم:

عليهن فتيان كجنة عبقر يهزون بالايدي الوشيج المقوما [١٧]

---

(١) الابلق الفرد حصن للسموأل بن عاديا بناه ابوه او سليمان بارض تيماء وقصدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت: تمرد مارد وعز الابلق وتيماء قرية معروفة على نحو عشر ساعات من منزلة المعظم — احدى منازل ومواقف السكة الحجازية — تابعة لحكومة نجد (٢) الحقبة بالكسر مدة من الدهر لاوقت لها والسنة (٣) كجعفر مايقله الرجل من الحجارة (٤) اي محكم (٥) بضم فسكون احدى ديارات العرب (٦) بفتح اوله مقصور الآخر منونا جمع سحاة وهي ناحية وشجرة شاكة (٧) الخلة بالفتح الثقبة الصغيرة والرملة المنفردة (٨) الخمر بفتحتين ماواراك من شجر وغيره وجبل بالقدس كما في القاموس (٩) اي الشراسة والاذى «١٠» جمع اغلب «١١» تشذر تهيأ للقتال وتوعد وتهدد «١٢» بضم فكسر يقال قوم بدي و بدا بادون «١٣» السهك صدأ الحديد «١٤» بفتح اوله وثانيه وتشديد ثالثه مفتوحا لبوس كالدرع «١٥» واد وموضع برمل عالج كثير الجن «قاموس» «١٦» موضع كثير الجن «قاموس» «١٧» اي الرمح واصل الوشيج شجر الرماح

﴿ تنزيلهم الجن في مراتب ﴾

قال الجاحظ : ثم ينزلون الجن في مراتب فاذا ذكروا الجني سالما قالوا جني · فاذا ارادوا انه ممن سكن مع الناس قالوا عامر والجميع عمار · وان كان ممن يعرض للصبيان فهم ارواح فان خبث احدهم وتعرم فهو شيطان · فان زاد على ذلك في القوة فهو عفريت والجمع عفاريت · وهم في الجملة جن وخوافي قال الشاعر

ولا يحس سوى الخافي بها أثر

فاذا ظهر الجني ونطق ونقي وصار خيراً كله فهو ملك في قول من تأول قوله « كان من الجن ففسق عن امر ربه » عَلَى ان الجن في هذا الموضع الملائكة وقال آخرون : كان منهم عَلَى الاضافة الى الدار والديانة لا عَلَى انه كان من جنسهم وانما ذلك عَلَى قولهم : سليمان بن يزيد العدوي وسليمان بن طرخان التيمي وابو علي العبدري وعمرو بن قائد الاسواري : اضافوهم الى المحال وتركوا أنسابهم في الحقيقة :

وقال آخرون : كل مستجن فهو جني وجان وجنين وكذلك الولد في البطن قيل له جنين لكونه في البطن واستجنانه وقيل للميت الذي في القبر جنين وقال عمرو بن كلثوم

ولا شمطاء [1] لم تدع المنايا لها من تسعة الا جنينا

يخبر انها قد دفنتهم كلهم « قالوا » وكذلك الملائكة من الحفظة والحملة والكروبيين [2] فلا بد من طبقات ، وربما فرق بينهم بالاعمال واشتق لهم الاسماء من السبب كما قالوا لواحد من الانبياء خليل الله وقالوا لآخر كليم الله وقالوا لآخر روح الله · والعرب تنزل الشجعان في المراتب والاسم العام شجاع ثم بهمة [3] أليس هذا قول ابي عبيدة

فاما قولهم : شيطان الحماطة [4] فانهم يعنون الحية وانشد الاصمعي

تلاعب مثنى حضرمي كأنه تعمج شيطان بذوي خروع [5] قفر

وقد يسمون الكبر والطغيان والخنزوانية [6] والغضب الشديد شيطانا عَلَى التشبيه · قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : والله لانزعن نعرته [7] ولاضربنه حتى انزع

«١» الشمط بياض الرأس يخالط سواده «٢» بتخفيف الراء في القاموس هم سادة الملائكة «٣» بضم فسكون قال في القاموس هو الشجاع الذي لا يهتدى من اين يؤتى «٤» بفتح الحاء شجر شبيه بالتين احب شجر الى الحيات «٥» كدرهم نبت لا يرعى «٦» بضم الخاء هو الكبير «٧» بالنون اي خيشومه

شيطانه من نحرته [1] وقال حسان بن ثابت في معنى قوله والله لاضربنه حتى انزع من رأسه شيطانه فقال

وداوية [2] سبسب سملق من البيد تعزف جنانها
قطعت بعيرانة [3] كالفنيق يمرح في الآل شيطانها

وابين منه قول منظور بن رواحة

اتاني واهلي بالرماح وغمرة مسب [4] عريف اللؤم حتى بني بدر
فلما اتاني ما تقول تقلصت شياطين رأسي وانتشين من الخمر

والاعراب تجعل الخوافي والمستجنات من قبل ان ترتب المراتب جنين تقول حن وجن بالجيم والحاء وانشدوا

ابيت اهوى في شياطين ترن مختلف نجارها حن وجن

ويجعلون الحن فوق الجن وقال اعشى سليم

فما انا من جن اذا كنت خافيا ولست من النسناس في عنصر البشر

ذهب الى قول من قال البشر ناس ونسناس والخوافي حن وجن و يقول انا من اكرم الحيين حيث ما كانت

وضعفة النساك واغبياء العباد يزعمون ان لهم خاصة شيطانًا قد وكل بهم يقال له المذهب يسرج لهم النيران ويضيء لهم الظلمة ليفتنهم ويريهم العجب اذا ظنوا ان ذلك من قبل الله تعالى

(قال) واما الخابل والخبل فانما ذلك اسم للجن الذين يخبلون و يتعرضون ممن ليس عنده الا العزيف والنوح وفصل ايضًا لبيد بينهم فقال

اعاذل لو كان البداد [5] لقوتلوا ولكن اتانا كل جن وخابل

﴿ زعمهم ان الغول من انثى الجن وكذلك السعلاة ﴾

قال الجاحظ: «قالوا» اذا تعرضت الجنية وتلونت وعبثت فهي شيطانة ثم غول. وربما جعلوا الغول اسمًا لكل شيء من الجن يعرض للسفار و يتلون في ضروب الصور والثياب

«١» اي اعلى صدره «٢» الداوية الفلاة والسبسب الارض البعيدة المستوية والسملق القاع الصفصف «٣» العيرانة بالفتح من الابل الناجية في نشاط . والفنيق الفحل المكرم . والآل السراب «٤» بكسر ففتح كثير السباب «٥» اي البراز اي لو بارزناهم رجل رجل لغلبوا بفتح الباء

ذكراً كان او انثى الا ان الاكثر عَلَى انه انثى وقد قال ابو المضراب عبيد بن ايوب العنبري

وحالفت الوحوش وحالفتني بقرب عهودهن وبالبعاد
وامسى الذئب يرصدني مخشاً«١» لخفة ضربتي ولضعف آدي
وغولاً قفرة ذكر وانثى كأن عليهما قطع البجاد

فجعل في الغيلان الذكر والانثى وقد قال الشاعر في تلونها

وما تزال على حال تكون بها كما تلون في اثوابها الغول

فالغول ما كان كذلك . (والسعلاة) اسم لواحدة من نساء الجن تتغول لتفتن السفار « قالوا » وانما هذا منها عَلَى العبث او لعلها ان تفزع انساناً فيتغير عقله من اجله عند ذلك لانهم لم يسلطوا عَلَى الصحيح العقل ولو كان ذلك لبدؤا بعلي بن ابي طالب وحمزة ابن عبد المطلب وابي بكر وعمر في زمانهما وبغيلان والحسن في دهرهما وبواصل وعمرو في ايامهما وقد فرق بين الغول والسعلاة عبيد بن ايوب حيث يقول

وساخرة مني ولو ان عينها رأت ما الاقيه من الهول جنت
ازل وسعلاة وغول بقفرة اذ الليل وارى الجن فيه ارنت«٢»

وهم اذا رأوا الفتاة حديدة الطرف والذهن سريعة الحركة ممشوقة محضة قالوا سعلاة وقال الاعشى :

ورجال قتلى بجنبي اريك«٣» ونساء كأنهن السعالى

ويقولون تزوج عمرو بن يربوع السعلاة وقال الراجز :

ياقاتل الله بني السعلاة

وفي تلون السعلاة يقول عباس بن مرداس السلمي :

اصابت العوم غول جل قومهم وسط البيوت ولون الغول الوان

وقال عبيد بن ايوب وكان جوالاً في مجهول الارض لما اشتد خوفه وطال تردده وابعد في الهرب

لقد خفت حتى لو تمر حمامة لقلت عدو او طليعة معشر
فان قيل امن قلت هذي خديعة وان قيل خوف قلت حقا فشمر
وخفت خليلي ذا الصفاء ورابني وقيل فلان او فلانة فاحذر

«١» يقال هو محش حرب بالكسر اي موقد لها «٢» اي صاحت (٣) كامير واد

فلله در الغول ايّ رفيقة | لصاحب قفر خائف متنفر
أرنت بلحن بعد لحن واوقدت | حوالي نيرانًا تلوح وتزهر
واصبحت كالوحشي يتبع ماخلا | ويطلب مأنوس البلاد المبعثر

ومما ذكر الغيلان قوله :

تقول وقد المت بالانس لمة | مخضبة الاطراف خرس الخلاخل
اهذا خليل الغول والذئب والذي | يهيم بربات الحجال الكراهل
رأت خلق الادراس[1] اشعث شاحبا | عَلَي الجدب بسامًا كريم الشمائل
تعوّد من آبائه فتكاتهم | واطعامهم في كل غبراء[2] شامل

ومما قال في هذا المعنى :

علام ترى ليلى تعذب بالمني | اخا قفرات كان بالذئب يأنس
وصار خليل الغول بعد عداوة | صفيا وربته القفار البسابس[3]

وقال في هذا المعنى :

فلولا رجال يا منيع رأيتهم | لهم خلق عند الجوار حميد
انالكم مني نكال وغارة | لها ذنب لم تدركوه بعيد
انا بنو الاحسان حتى اغرتم | عَلَي من يثير الجن وهي هجود

وتزعم الاعراب ان الغول اذا ضربت ضربة ماتت الا ان يعيد عليه الضارب قبل ان تقضي ضربة اخرى فانه ان فعل ذلك لم تمت وقد قال شاعرهم :

فثنيت والمقدار يحرس اهله | فليت يميني قبل ذلك شلت

وانشدوا لابي البلاد الطهوي :

لهان عَلَي جهينة ما الاقي | من الروعات يوم رحا بطان[4]
لقيت الغول تسري في ظلام | بسهم كالعباية صحصحان[5]
فقلت لها كلانا نضو[6] ارض | اخو سفر فصدي عن مكاني
فصدت وانتحيت لها بعضب | حسام غير مؤتشب[7] يماني

(١) الادراس جمع درس وهو الثوب الخلق (٢) الغبراء من السنين الجدبة (٣) جمع بسبس كسبسب اوهو مقلوبه وهو القفر الخالي «٤» بكسر الواو حدة موضع «٥» الارض المستوية الجرداء «٦» النضو بالكسر حديدة اللجام المهزول من الابل «٧» بفتح الشين اي معاب

فقد سراتها (١) والبرد منها نخرت للبدين وللجران
فقالت زد فقلت رويد اني تملّى امثالها ثبت الجنان
شددت عقالها وحططت عنها لانظر غدوة ماذا دهاني
اذا عينان في وجه قبيح كوجه الهر مشقوق اللسان
ورجلا مخدج (٢) ولسان كلب وجلد من فراء او شنان

قال الجاحظ : وابو البلاد الطهوي هذا كان من شياطين الاعراب وهو كما ترى يكذب وهو يعلم و يطيل الكذب و يجيزه وقد قال كما ترى :

فقالت زد فقلت رويد اني تملّى امثالها ثبت الجنان

لانهم هكذا يقولون يزعمون ان الغول تستزيد بعد الضربة الاولى لانها تموت من ضربة وتعيش من الف ضربة.

✻ زعمهم انهم يظهرون لهم ويكلمونهم ويناكحونهم ✻

قال الجاحظ : ومن قول الاعراب انهم يظهرون لهم ويكلمونهم و يناكحونهم ولذلك قال شمر بن الحارث الضبي :

ونار قد حضأت (٣) بعيد (٤) وهن بدار لا أريد بها مقاما
سوى تحليل راحلة وعين اكالئها مخافة ان تناما
أتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الانس الطعاما

وذكر ابو زيد عنهم ان رجلا منهم تزوج السعلاة وانها كانت عنده زمانا وولدت منه حتى رأت ذات ليلة برقا على بلاد السعالى فطارت اليهن فقال

رأى برقا فأوضع (٥) فوق بكر فلا بِك ما أسال وما اعاما

فمن هذا النتاج المشترك وهذا الخلق المركب « عندهم » بنو السعلاة من بني عمرو ابن يربوع و بلقيس ملكة سباء

وتأولوا قول الشاعر :

«١» بفتح السين اي ظهرها «٢» بفتح الدال هو ولد الناقة ناقص الخلق «٣» حضأ النار اوقدها «٤» تصغير بعد «٥» اي اسرع فوق ناقة . واللأي الشدة والاسالة الجري والاعامة مسير الابل

لاهم ان جرهما عبادكا الناس طرف (١) وهم تلادكا

فزعموا ان اباجرهم من الملائكة الذين كانوا اذا عصوا في السماء أُنزلوا الى الارض كما قيل في هاروت وماروت فجعلوا سهيلا عشارا مسخ نجماً وجعلوا الزهرة امرأة بغياً مسخت نجماً وكان اسمها اناهيد . وتقول الهند في الكوكب الذي يسمى عطارد شبيها بهذا

ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون الى انه اذا عزم عَلَى الشياطين والارواح والعمار اجابوه واطاعوه . فمنهم عبد الله بن هلال الحميري . الذي كان يقال له صديق ابليس . ومنهم كدياس الهندي وصالح الموسوي . وقد كان عبيد يقول ان العامري حريص عَلَى اجابة العزيمة ولكن البدن اذا لم يصلح ان يكون هيكلا لم يستطع دخوله والحيلة في ذلك ان يتبخر باللبان الذكر و يراعي سير المشتري و يغتسل بالماء القراح و يدع الجماع واكل الزهومات و يتوحش في الفيافي و يكثر دخول الخرابات حتى يرق و يلطف و يصير فيه مشابهة من الجن فان عزم عند ذلك فلم يجب فلا يعودن لمثلها فانه ليس ممن يكون بدنه هيكلاً لها ومتى عاد خبطه فربما جن وربما مات قال فلو كنت ممن يصلح ان يكون لهم هيكلا لكنت فوق عبدالله بن هلال

« قالت الاعراب » وربما نزلنا بجمع كثير ورأينا خياما وقبابا وناسا ثم فقدناهم من ساعتنا

والعوام تروي ان ابن مسعود رضي الله عنه رأى رجلا من الزط فقال : هؤلاء اشبه من رأيت من الجن ليلة الجن . وقد روي عنه خلاف ذلك

وقال ابو النجم * بحيث تستن مع الجن الغول * فاخرج الجن من الغول الذي باتت به الجن . وهذا من عادتهم ان يخرجوا الشيء من الجملة بعد ان دخل ذلك الشيء في الجملة فيظهر لامر خاص

وفي بعض الرواية انهم كانوا يسمعون في الجاهلية من اجواف الاوثان همهمة وان خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة فخذه حتى عوذه النبي صلى الله عليه وسلم « قال الامام الجاحظ رحمه الله تعالى » وهذه فتنة لم يكن الله تعالى ليمتحن بها الاعراب من العوام « قال » وما اشك انه كان للسدنة حيل والطاف لمكان التكسب . ولو سمعت او رأيت بعض ماقد اعدت الهند من هذه المخاريق في بيوت عباداتهم لعلمت ان الله تعالى قد من عَلَى جهلة الناس بالمتكلمين الذين قد نشوا فيهم : يعني علماء الكلام وفلاسفة الدين عليهم رضوان الله

يتبع

«١» الطريف المستحدث والتليد القديم

حكم افرنجية

من لم يكن يكرم الشيخوخة كان كمن يهدم في الصباح البيت الذي يجب عليه ان ينام فيه في المساء (كار)

لا يجب المرء ان يحبه الناس الا لانه يحب نفسه وربما يجعل له سبباً الى ان يحب اكثر مما يحب (ديدرو)

كلما اراد احمق ان يكون شقياً يصادف شقياً يبحث عن احمق آخر « بومارشيه »

المرء في حاجة الى غيره سعيداً كان او شقياً فعمره قصير اذا لم يعش الا بنفسه «دليل»

التقدم هو النقطة الكبرى ولم يصل اليه احد منا فكلنا اناس سائرون في الطريق « كاسباران »

ليس من الامور العظيمة ان يكون عقل المرء حاداً اذا لم يكن مستقيماً فليس كمال الساعة الدقاقة بسرعة سيرها بل بانتظام ادواتها

يدفع العمل عنا ثلاث مفاسد : الملل والرذيلة والحاجة ٠

توشك السلطة في البلاد المصابة بالجمود ان تنتقل الى ايدي الهذارين السافلين من الناس

افضل السلطات مالم يشعر المرء بثقل وطأته

مامن جندي مهما كان الى الضعف والضعة الا ويحسب قائداً في نظر آخرين

افضل الاطباء من ركض في البحث عنه زبونه فلم يجدوه٠

النار تغلي الماء والماء يطفئ النار فلا تدفئ ناكر الجميل فانه يطفئ شعلتك

ينتف ريش البط في القرى وريش المتقاضين في المدن

حاذر من اظهار مكانتك لئلا يكثر معادوك

اني لاءوثر ان أُخدع عليّ ان اعيش ابداً في حذر وهو ابن الجبن وابو الدناءة « بوسويه »

لو كنت اعلم شيئاً نافعاً لوطني مضراً للجنس الانساني لابقيت عليه كما أُبقي عليّ جريمة ارتكبها « مونتسكيو »

احرى الناس بالاستماع من يستعمل الكلام للتعبير عن الفكر والفكر لبيان الحقيقة والفضيلة « فنيلون »

غرائب الغرب (١)

الطباعة الباريزية

المعنا مرات في الفصول السالفة الى تفنن الباريزيين في الامور الذوقية والطباعة من جملة فنون الذوق وان كانت تتوقف علَى علم وفضل تجربة . واجور الطبع هنا غالية لغلاء الاسعار واجور الدور والمنازل فالعامل الجيد لايرزق اقل من نصف ليرة واقل عامل لايرزق اقل من اربعة فرنكات في يومه . ولذلك ترى بعض ارباب المجلات وغيرهم من المؤلفين والطابعين يطبعون مجلاتهم وكتبهم في مطابع الولايات لرخص اجورها وجودة طبعها الذي لايختلف عن المطابع الباريزية في شيء

ومن جملة المطابع العظمى التي زرتها مطبعة الامة اي مطبعة الحكومة التي أسسها لويز الثالث عشر سنة ١٦٤٠ ثم نقلت الى قصر الكردينال روهان من اجمل القصور الباريزية القديمة المعروف ببيت اساقفة ستراسبورغ . وقد أنشئت لها بناية هائلة في شارع الكنفانسيون لضيق هذا المكان علَى سعته البالغ سطحها عشرة آلاف متر مربع

تدخل من الباب فترى في فناء الدار تمثال غوتنبرغ مخترع الطباعة والمتفضل علَى الانسانية معمولاً من البرونز فلا تتمالك من الدعاء له وذكر بيض اياديه علَى العالم ثم يأخذك الدليل في الوقت الذي تعينه لك من قبل ادارة المطبعة و يطوف بك قاعات مسابك الحروف وفيها حروف في ثمانين لغة واللغة العربية في مقدمة لغات الشرق رأيناهم في بعض الغرف كتبوا ابياتاً من الشعر العربي ليرن الاستاذ العملة على تعلم هذه اللغة فيحسنوا تنضيد حروفها بفهم

(١) من كتاب لنا تحت الطبع

ثم طاف بنا الدليل قاعات التنضيد والتجليد والطبع والطي فرأينا كل شيء قد جعل في مكانه اللائق به والعملة والعاملات يعملون في مكان واحد كتفاً الى كتف وقد يتولى الاعمال الشاقة الرجال من دون النساء · وعدد العاملين والعاملات في المطبعة يناهز الالف والخمسمائة وفيها ما يربو على ستين آلة طابعة على آخر طرز منها خمس آلات من المعروف بالروتاتيف وعلى مثلها تطبع جميع الجرائد الكبرى في الغرب اليوم · وتنفق الحكومة على هذه المطبعة نحو تسعة ملايين فرنك سنوية وفيها تطبع الجريدة الرسمية ومطبوعات الحكومة والنظارات ومناشيرها وفهارسها واوامرها فالاستعداد فيها تام لكل ما تطلب الحكومة طبعه وليس في وقتها متسع لطبع مطبوعات الافراد وناهيك بمطبعة حوت من الادوات ما يلزمها من سبك الحروف حتى التجليد وناهيك بكثرة اشغال حكومة الجمهورية التي تقع ميزانيتها وحدها في ثلاثة آلاف صفحة كبيرة يطلب طبعها في وقت قصير وهذا لا يتيسر الا بمطبعة متقنة جداً ·

ولهذه المطبعة معامل للتصوير الشمسي وطبع الصور والطبع المحفور المجوف والحفر على الخشب والحفر على النقش والحفر الناتيء على النحاس والزنك والطبع الملوّن وطبع الحجر والتصفيح والطبع المنحس وغير ذلك من التفنن في الطباعة · وتسمح المطبعة باعارة الطابعين بعض الحروف الغريبة من اللغات الاجنبية ولا تطبع من الكتب الا ما كان بلغة غريبة لا يوجد من حروفها في كل مطبعة وذلك لمحض خدمة المعارف والفنون ·

هذه جملة ما يقال في مطبعة الامة ولو جمعت مطابع مصر كلها ما دانتها بالمكانة وكذلك لو جمعت مطابع الاستانة واضفت اليها مطابع الولايات

العثمانية برمتها والمطبعة التي تنفق عليها الحكومة نحو اربعمائة وخمسين الف ليرة في السنة يستحيل علَى حكومة كالحكومة العثمانية والمصرية ان تقوم بمثلها وهي لاتنفق علَى المعارف كلها نحو هذا القدر من المال او اكثر منه بقليل فتأمل

مدرسة فرنسا

من المعاهد التي استغرقت شطراً كبيراً من وقتي في باريز دروس مدرسة فرنسا (كوليج دي فرانس) لسهولة التلقي فيها في كل علم يخطر في البال ولأن هذه المدرسة ذكرتني بمدارس الاسلام ايام حضارتنا وقد جعلوا العلم مباحاً لكل طالب يلقنونه اياه بلا عوض

في شارع المدارس بالقرب من كلية السوربون قام بناء عظيم أسسه فرنسيس الاول ملك فرنسا حوالى سنة ١٥٣٠ وجعل فيه درسين الاول لتعلم اللغة الرومية والثاني للعبرانية وسمي المدرسة مدرسة الملك فرأت الكلية اذذاك ان قد استهين بها فاوعزت الى مدرسة اللاهوت أن تتهم مدرسي مدرسة الملك بانهما يدعوان الى الزندقة فحال الملك دون صدور الحكم عليهما واضاف الى المدرسة درساً في الفصاحة اللاتينية ليخلص وجماعته من تهمة الالحاد ومازال عدد الدروس يزيد علَى عهد كل الملوك حتى اضاف اليها هنري الثالث درس العربية ونابوليون الاول درس التركية ولم يبرح بناؤها ودروسها عرضة للقلب والابدال حتى علَى عهد الجمهورية الثالثة

ولقد اصبحت هذه السنة الدروس التي تلقي علَى الناس مجاناً ٤٩ درساً يصح ان يقال انها مجموع علوم البشر يتولى تدريسها اعاظم اساتذة هذه البلاد

وعلمائها ممن اشتهروا بفن او علم اولغة وصرفوا في البحث فيه شطراً مهماً من حياتهم ولم ار في هذه المدرسة استاذاً تقل سنه عن ستين الا بعض المعاونين ممن يتجاوزون الاربعين وينتخبهم المجمع العلمي او المجامع العلمية الخمسة واساتذة المدرسة ويقبض الاستاذ عشرة آلاف فرنك في السنة ولا تتجاوز مدة الدروس ستة اشهر يتلو في خلالها درسين في كل اسبوع فقط

اما العلوم التي تلقى عَلَى جمهور المستمعين فهي (١) علم الاثقال التحليلي والسماوي (٢) العلوم الرياضية (٣) علم الطبيعة والرياضة (٤) الطبيعة العامة والتجربية (٥) الكيمياء المعدنية (٦) الكيمياء العضوية (٧) الطب (٨) علم الحياة العامة (٩) تاريخ الاجسام الغير العضوية الطبيعي (١٠) علم تكوين الجنين (١١) التشريح العام (١٢) علم النفس التجربي (١٣) تاريخ العلوم العام (١٤) تاريخ التشريع المقابل (١٥) الاقتصاد السياسي (١٦) الجغرافيا والتاريخ والاحصاء الاقتصادي (١٧) تاريخ العمل (١٨) جغرافية فرنسا التاريخية (١٩) تاريخ الاديان (٢٠) الفلسفة الاجتماعية (٢١) علم الاجتماع الاسلامي (٢٢) علم الجمال وتاريخ الفنون (٢٣) علم الكتابات والعاديات الرومانية (٢٤) الكتابات والعاديات اليونانية (٢٥) الكتابات والعاديات السامية (٢٦) الآثار المصرية واصول لغاتها (٢٧) الآثار الاشورية واصول لغاتها (٢٨) الآداب العبرانية والكلدانية والسريانية واصول لغاتها (٢٩) لآداب العربية واللغة العربية (٣٠) النقود القديمة ونقود القرون الوسطى (٣١) آداب اللغات الصينية والتترية والمنشوية ولغاتها (٣٢) آداب اللغة السنسكريتية (٣٣) آداب اللغة اليونانية (٣٤) فقه اللغة اليونانية (٣٥) تاريخ آداب اللاتينية (٣٦) التاريخ الوطني والعاديات الوطنية (٣٧) الفلسفة الحديثة

(٣٨) اللغة الفرنسوية وآدابها في القرون الوسطى (٣٩) اللغة الفرنسوية الحديثة وآدابها (٤٠) اصول اللغات الجرمانية وآدابها (٤١) لغات اوربا الجنوبية وآدابها (٤٢) اللغات والآداب السلتية (٤٣) اللغة السلافية وآدابها (٤٤) علم النحو المقابل (٤٥) العاديات الاميركية (٤٦) الرياضيات (٤٧) تاريخ فن الموسيقى (٤٨) التاريخ العام والطريقة التاريخية (٤٩) اصول اللغات الهندية والصينية وتاريخها

هذه العلوم التي تدرس في مدرسة فرنسا ولا يستغرق الدرس منها ساعة يتلو في خلالها الاستاذ زبدة علمه وبحثه ولا يكثر المستمعون الا في بعض الدروس التي رزق اساتذها فضل بيان وطلاقة لسان واكثر الحضور غرباء اي غير فرنسويين وفيهم كثير من الفتيات طالبات العلم ممن قصدن فرنسا من المانيا وانكلترا وروسيا والنمسا وايطاليا وبلغاريا ورومانيا والصرب والسويد واسبانيا واميركا ليغترفن من مدارس باريز ويمكن لغتها الجميلة · فكأن اهل هذه العاصمة زهدن في حضور هذه الدروس المجانية وازهد الناس في الرجل اهله وجيرانه · وان درساً يعد من جملة اساتذتها لفاسور وبول لوروا بوليو الاقتصاديين وماسبرو وغانو الاثريين وجونيان ومونو المؤرخين وبرجسون وريبو الفيلسوفين وغيرهم من الائمة الاعلام لحرية بان يستفيد منها كل طالب ويغترف من درر بحورها عاشق العلم

وان هذا المعهد ليولي فرنسا شرفاً ليس وراءه غاية ويدل على تفانيها في نشر المعارف والاخذ بايدي القائمين عليها وينادي بلسان الحال والمقال على توالي العصور والاجيال ان فرنسا اذا هرمت في سياستها واخلاقها فهي على الدهر فتية في جمال علمها وجدة حكمتها

التجارة البار يزية

لم يكتف الفرنسويون بل الغربيون بما بلغوه من اسباب الراحة والرفاهية بل تراهم يعملون ليلهم ونهارهم لئلا يسبق بلد بلداً آخر او مملكة مملكة أُخرى كأن المنافسة التي هي من اعظم عوامل الارتقاء قد تجسمت في صدر الكبير والصغير من الافرنج فكان من آثارها ما يبهرنا من تلك الحضارة الراقية والسعادة الشاملة

رأيت روح الاجتماع مستحكمة في اعمال الاوربيين فلا يكاد يأتي زمن قليل حتى تصبح جميع مشاريعهم واعمالهم شركات وجمعيات ليخفى عمل الفرد ويظهر عمل الجماعة ويتراجع ضعف الواحد امام قوة المجموع فقد ظهرت لتلك الامم نتائج الاشتراك جماعة ظهوراً لا ينكره الا من يكابر حسه ويغش نفسه فانشأ من كانوا الى الانفراد في متاجرهم ينضمون بعضهم الى بعض ومن عاشوا بالوحدة يربحون ويخسرون فلا يدري بهم احد عدلوا عن سالف طريقتهم واقتدى المتأخر بالمتقدم او العناصر اللاتينية والسلافية بالعناصر الانكليزية السكسونية

مثال ذلك مدينة باريز مهد الحضارة اللاتينية فانك تجد معظم مشاريعها ومتاجرها ومصانعها لشركات ومشاريع الافراد ومتاجرهم ضعيفة ضئيلة لا تكاد تحيا حتى تموت وكلها آيلة طوعاً او كرهاً الى الاندماج في سلك الاشتراك مع الجماعة . دخلت كثيراً من مخازن باريز فكنت اشهد على قلة المامي بفن التجارة روح الجماعة مرفرفة عليها وتمدد القوى زائدة في نمائها وحسن الذوق وسلامة الابداع تتخلل ارجاءها وتزيد بهاءها .

باريز اعظم بلد تصرف فيه السوق المالية والتجارية والصناعية من فرنسا

ورؤوس اموالها مقدمة جميع متاجرها ولا تفوقها في ذلك الا لندرا · وقد بلغ عدد مافي باريز من البيوت المالية والمصارف وشركات الضمان فقط زهاء الفي محل توشك ان تكون كلها لشركات واعظم متاجر باريز بل فرنسا تجارة الاطعمة المحضرة والامتعة والثياب والازياء وكلها مهمة جداً لا بكثرة عددها بل بمكانتها وفخامتها وانتظام اعمالها ·

زرت بعض هذه المخازن من مثل لابل جاردنيير والبرنتان والبون مارشه واللوفر ولافاييت ودوفاييل وكل واحد منها يتاع بما حوى قطراً واسعاً من اقطار الشرق ويحتاج وصفه الى الكلام ساعات على شرط ان يكون المتكلم عارفاً بالتجارة وما يتصرف او يتوقف عليها وتتوقف عليه وكل مخزن يعد مستخدموه وموظفوه بالمئات ففي مخزن دوفايل وهو لفرش الدور والقصور وما يلزم لها من الاثاث والخرثي والرياش والاواني والسرر والصناديق والمقاعد والمتكآت والكراسي وادوات الطبخ وكل مايتصرف تحت انواع الزينة والتبرج والبذخ والرفاهية ماياخذ بمجامع القلب ويعد من اغرب غرائب الغرب · ولا يقدر المرء ان يطوف هذا المخزن في اقل من ثلاث ساعات اذا احب ان يلقي نظرة واحدة على مافيه من التحف والامتعة الثمينة وهو قصر فخيم جداً لم ار اجمل من نقوشه البديعة وبنائه العظيم سوى متحف اللوفر ومتحف فرسال ودار المجلس البلدي الباريزي · وفي مخزن دوفايل محل للتمثيل ومحل للموسيقى ومحل لالعاب السينماتوغراف يختلف اليها الزائرون باجور معتدلة جـداً والغرض منها ان يمروا ببعض مخازن ذاك المحل الكبير فيكون مرورهم بها والقاء انظارهم عليها بمثابة اعلان عما فيها من الاعلاق النفيسة وببركة الاعلان يشتري من لم يكن تحدثه نفسه بالشراء ·

ومن الغريب ان هذا المكان الذي لا يشبهه في الفخامة الا ارقى قصور الملوك والامم كما قلنا آخذ الآن في توسعة مخازنه لانها ضاقت به على سعتها وما ادري ماهو رأس مالهولا مقدار ارباحه وعدد مستخدميه وغاية مارأيت ان مصرفه اشبه بمصرف كيبربل هو في سعته وكثرة مستخدميه اشبه بمصرف الكريدي ليونيه في القاهرة لا في باريز فانه هناك العجب العجاب بعينه ·

وقرأت في احصاء اخير ان مخزن لافاييت احب ان يزيد رأس ماله فقرر مساهموه ان يزيدوه اثنين وعشرين مليوناً ونصف مليون من الفرنكات فاذا كان مخزن واحد زاد رأس ماله فى جلسة نحو مليون ليرة عثمانية فكم يكون اصل رأس المال ·

ومما هو حري بالنظر في المسائل الاقتصادية ان اهل باريز علَى شدة كرههم للالمان يبتاعون في بلدهم البضائع الالمانية لرخص اسعارها والتفنن في ابداعها حتى كادت بضائع الالمان تأْتي علَى بضائع فرنسا مع جودة هذه ومتانتها واصبحت بذلك معظم البيوت التجارية لاناس او لشركات من الالمان وغيرهم ومثل ذلك قل على ماقرأته في احدى المجلات عن تجارة لندرا او تجارة نيويورك فان القسم المهم منها بيد الالمان يصرفون علَى الانكليز والاميركان سلعهم وحكومة انكلترا واميركا مع شدة حرصهما على مصلحة قومهما التجارية لم تستطيعا بالتعاريف الجمركية ولا بغيرها ان تقيماسداً منيعاً دون تسرب البضائع الالمانية اليهم · ولكن المانيا او العنصر الجرماني ومن لف لفه تحارب هذه الحرب التجارية بسيف العلم والمعارف وسدود الدول لاتقوى علَى صد هجماتها المعقولة

ذكر الاحصائيون ان مدارس المانيا تخرج كل سنة اربعين الف طالب وبيدهم الشهادات التجارية فاين يذهب هؤلاء الرجال بعد ؟ وهل لهم الا ان يصرفوا متاجرهم في مشرق الشمس ومطلعها بالطرق الاقتصادية المدهشة . فكم رجل تخرج من البلاد المصرية العثمانية يا ترى حتى الآن في المعارف التجارية وكم طالب اتقن اللغة الالمانية منا حتى اصبح يكتب فيها ويترجم منها واليها كما يكتب الفرنسوية او الانكليزية ويترجم بها ومنها ؟

قال لي احد علماء الالمان اتدري باي شيء غلبنا الفرنسيس في حرب السبعين قلت لا اعلم قال غلبناهم لاننا كنا عارفين بما عندهم اما هم فلم يكونوا يعرفون ما عندنا وانا اقول ان اقتصارنا معاشر العثمانيين والمصريين والسوريين خاصة على تعلم اللغة الفرنسوية في الاكثر هو من الاحتكار الضار فيجب ان نعرف او بعضنا لغة امة كبرى تريد ان تحارب العالم حرباً اقتصادية حتى لا يكون مثلنا مثل الفرنسيس مع جيرانهم الالمان قبل حرب السبعين جهلوا ما عندهم فخسروا في مادياتهم ومعنوياتهم .

نعم نتوفر على الاخذ من اوربا كل ما تمتاز به مملكة من ممالكها فنحول وجهتنا بعد الآن الى جرمانيا لنتعلم علومها واقتصادها ومتاجرها وبريتها ونأخذ عن فرنسا الزراعة والحقوق وعن انكلترا السياسة والعلوم والبحرية وعن ايطاليا الصنائع النفيسة ونجعل للغة الالمانية والايطالية حظاً من عنايتنا حتى لا نكون حكرة مضرة لحكومة خاصة من حكومات الغرب فنحن كما نريد في السياسة ان نعامل الدول كلهن بوئام يجب ان نأخذ عن كل دولة راقية احسن ما عندها حتى لا نكون من الجامدين على امة بعينها والجامدون في مسائل الدين كالجامدين في مسائل الدنيا لا يخلو حالهم من ضرر على المجتمع .

الاعلان اساس التجارة

تقدم في الفصل السالف ان البيوت التجارية في باريز تبيع ماتبيع ببركة الاعلان عن نفسها وهنا مجال لان افصل ذاك الكلام المجمل فاقول: كل من زار مدينة اوربية اواميركية من ابناء هذا الشرق الاقرب يأخذه العجب من وفرة الاعلانات وتفننهم في نشرها والفرنسيس في الاعلانات مقلدون لامجتهدون قلدوا الاميركان والانكليز وهؤلاء ينفقون عليها نفقات لاتكاد تصدق فقد ذكروا ان معمل الموازين (١) فيربانك وشركاؤه الذي كان ينفق على الاعلانات نحو ثلاثة آلاف فرنك مسانهة اخذ اليوم ينفق نحو ثلاثة ملايين ونصف فرنك وقد كان خصص احد معامل الصابون ثلاثين الف ريال للاعلان عن مصنوعاته وهو اليوم يصرف الف ريال في اليوم وتخصص المعامل الكبرى التي تبيع بالمفرق في مدينة نيويورك وحدها زهاء اربعة ملايين ريال في السنة لنشر اعلاناتها في الصحف وفي مدينة شيكاغو يستخدمون البريد لنقل قوائم باعلاناتهم وقد انفق احد اصحاب المخازن لارسال طبعة واحدة من الاعلانات بطريق البريد ٦٤٠ الف ريال وليس من محل في اميركا الا ويصرف خمسة في المئة من ارباحه على الاعلانات وقد انفق احدهم ٧٥٠ الف ريال للاعلان عن موسى له فباع ستة ملايين موسى وكذلك فعل توما بيشام بحبوبه فصرف للاعلان عنها مليوني جنيه

فاشتهار اسم المعمل او صاحبه من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي وترداده في افواه ارقى الامم واوحشها موقوف على كثرة التفنن في الاعلان عنه والبذل في هذا السبيل عن سعة حتى قال كارنجي اعظم اغنياء الاميركان:

(١) المقتبس م ٢ ص ٢١٦

اذا اردت ان تبيع قبعة بريال فانك تستطيع ان تبيعها بريالين اذا وضعت اسمك عليها وذلك لانك تفهم الناس بان لاسمك بعض القيمة ٠

وذكروا (١) ان شركة ولن سي الاميركية وهي شركة معامل اصواف مؤلفة من ٢٧ معملاً رأس مالها ٦٩٠ مليون ريال وكانت مجموع ارباحها سنة ١٩٠٢ ١٨٧،٠٠٠،٠٠٠ على حين بلغ مجموع المنسوجات الصوفية المصنوعة في الولايات المتحدة كلها ملياراً و ٤٨٥ مليون ريال فبيدها جزء من ثمانية اجزاء من عمل الصوف ذكروا انها توصلت بفضل التفنن في الاعلان عن نفسها الى ان كادت تلتهم جزءاً عظيماً آخر من ارباح الشركات الاخرى ان لم تكن التهمتها حتى الآن

والطرق الى ذلك مختلفة فمن ضروب الاعلانات الاعلان في الجرائد والمجلات على اختلاف انواعها ووضع صفائح منحسة في الصفحة السابعة او الثامنة اي الاخيرة واعلانات في شبك ودس الاعلانات في اخبار الجرائد وبين اخبار الرياضات والسباق ودور التمثيل والازياء وادماجها في المقالات وتعليقها على حيطان الدور وفي شوارع المدن والقرى وعلى طول السكك الحديدية وفي اماكن النزهة والمناظر التي يسرح فيها النظر وفي عجلات الحوافل والترامواي والسكك الحديدية تحت الارض وفوق الارض وستور دور التمثيل والقصور وجميع الاماكن العمومية حتى المراحيض وترسم الاعلانات على القرطاس الذي يضعه الكاتب تحت يده وعلى المقطع والسكاكين وعلبة عيدان الكبريت والدواة والبارموتر وكتب التقاويم وورق

(١) كتاب الاعلان الرابح المعقول لارين

La publicité lucartive et raisonnée, par J. Arren.

النشان وبطاقات البريد وتجعل من الورق الملون والمقوى والزجاج والخزف والخشب والمعدن وغيرها . وتبدو في المساء بألوان مختلفة مقطعة بادية بالكهرباء وغيرها مما يطول ذكره

ومن غريب تفننهم في الاعلانات ان مخزن ادوات نحاسية وحديدية في ليفربول اخذ يعلن في جرائدها بانه يقدم مفتاحاً بلا ثمن لكل من يضيع مفتاح بابه او خزانته فبهذه الواسطة كان يأتيه المضيع فينصح له المحل بان يبتاع قفلاً كاملاً ويغير القفل القديم حتى لا يقع المفتاح في يد لص وربما هانت عليه السرقة فبعض الناس يبتاعون وبعضهم يكتفون بأخذ مفتاح بلا ثمن ولكن النصح يفعل في اكثرهم . واخترع احد البدالين من بائعي المأكولات المحضرة في لندرا طريقة للاعلان عن محله بان اغتنم فرصة حضور جوق تمثيل فابتاع مئات من الكراسي لمستخدمي محله ادخلهم على نفقته فتحدث القوم بذلك وذكرته الجرائد فحصل المقصود للمحل بالاعلان عن نفسه . ومن غريب تفننهم ان احد مخازن القبعات في بلتيمور في اميركا اعلن في الجرائد انه يريد ان يعرف احد النساء المحكوم عليهن بالقتل فاهتدى اليها واعطاها مئة ريال على ان تقول قبل ضرب عنقها هذه الجملة : « كل ما استطيع ان اقوله الآن هو ان محل المستر بلانك يعمل احسن القبعات بريالين » ثم قطع عنقها واغتني صاحب المعمل .

والامثلة على ذلك كثيرة ويكفي القاء النظر على اي حائط او مجلة او جريدة لتعرف مبلغ تفنن الغربيين في الاعلان والاساليب في الكتابة التي يختارونها والصور المنوعة ومنها المضحك وغيرها الجدي وبعضها لطيف وآخر بشع ومنها السياسي والادبي والعلمي وقد جعل الانكليز السكسونيون

للاعلانات قواعد حتى صارت علماً من العلوم لايبرز فيه الا من حسن ذوقه وعرف النقش والرسم والتصوير والطباعة وكان ملماً بالاقتصاد السياسي وعلم النفس ومحيطاً بعالم المالية والصناعة والتجارة والجرائد والمجلات وكان ذا هبة بالتفنن والادب والخطابة حاسباً كاتباً مقنعاً يعرف التفنن في المسائل الحاضرة او يحسن علم الحال

ولا تعيش معظم الجرائد والمجلات الكبرى الا باجور اعلاناتها حتى ان اجرة صفحة واحدة مرة واحدة في جريدة «لادي هوم جورنال» تؤجر بالف جنيه · ويؤخذ من احصاء صدر سنة ١٩٠٠ ان في الولايات المتحدة ١٨٢٢٦ جريدة ومجلة بلغ مجموع مايطبع من اعدادها من كل نسخة ١١٤،٢٩٩،٣٣٤ ومجموع ماتطبعه في السنة ٨،١٦٨،١٤٨،٧٤٩ وبلغ مجموع ايرادها تلك السنة ٨٧٨،٩٤٨،٢٥٠ فرنكاً منها ٤٧٩،٣٠٥،٦٣٥ فرنكاً من اجور الاعلانات اي ٥٤،٥ في المئة من مجموع دخلها وتطبع بعض الجرائد نسخاً خاصة بنشر الاعلانات فقط وتوزعها على مشتركيها ومن الجرائد ما لا يطبع غير الاعلانات وتوزع مجاناً · ويصرف احد بيوت الثياب في فيلادلفيا نصف مليون فرنك في السنة اجرة صفحة واحدة من احدى الجرائد الكبرى في تلك المدينة اسمها لروكورد ويصرف مخزن آخر يريد منافسته مليون فرنك على اربع جرائد · ومن كتاب الاعلانات من يرزق الف ليرة في السنة

ومن الاعلان الغريب ان بعض التجار ليس لهم بيوت ولا مخازن بل هم يطبعون اعلانات وينشرونها في قوائم خاصة وعلى صفحات الصحف والكتب والرسائل فيرسل الطالبون بالبريد يطلبون منهم مايشاؤن من بضائع

ومأكولات وهم يرسلونها اليهم بالبريد ايضاً وهذه الطريقة اخترعت في الولايات المتحدة لان ثلاثة ارباع سكانها يعيشون في القرى والمزارع بعيدين عن مراكز التجارة واشغالهم لاتسمح لهم بالاختلاف الى المدن لابتياع مايشاؤن وبهذه الواسطة يوفرون عليهم عناء التعب والمساومة ويصلهم مايشتهون وهم في اعمالهم وناهيك بما في هذه الطريقة من تبادل الثقة بين التاجر والشاري وفي شيكاغو وحدها تبيع مثل هذه المحال التجارية في السنة بما قيمته مليارات وخمسمائة مليون فرنك وان ثلاثة محال منها لتأخذ وحدها كل يوم خمسة وعشرين الف رسالة في طلب مايلزم اصحابها . وقد حسبوا ان عشرة ملايين اي ثمن اهالي الولايات المتحدة يبتاعون حاجياتهم عَلَى هذه الكيفية .

وان لاحد هذه المحال التجارية في شيكاغو زبناً يبلغون مليوني نسمة يتناول منهم في السنة اربعة ملايين رسالة وهذه الرسائل لاتفتح واحدة واحدة بل تجعل كل ستين منها في آلة تفتح كلها بلحظة ثم ترسل الى مئات من البنات تجعل كل قسم مع قسمه وكل طلب مع مايضارعه وتجعل في لوالب كهربائية لاتقل عن خمسة عشر الف لولب وترسل في اسرع مايمكن الى البيوت التي تقدم للمحل طلباته وهي لاتقل عن ٧٧ الف نوع فتأتي كلها عَلَى جناح البرق بحيث يكون العمل ما امكن مستغنياً عن الايدي الكثيرة عَلَى ان محلاً واحداً من هذه المحال التجارية التي تبيع بالمراسلة عنده من المستخدمين ٦٢٠٠ مستخدم ولم يكن صاحبه قبل ربع قرن يملك ليرة واحدة وثروته تعد اليوم بملايين الليرات والناس يطلبون الى محله والى غيره من المحال التي عَلَى شاكلته كل مايخطر ببالهم ومنهم من يطلبون او يطلبن الزواج بواسطته .

وعلى الجملة فانك لاترى في ديار الغرب محلاً تجارياً او معملاً او مشتغلاً بالفنون الجميلة بل ولا عالماً ولا كاتباً ولا صانعاً الا وينفق جزءاً من ماله عَلَى الاعلانات ليربح المئة مئات وللاعلان يد طولى في عامة الاعمال الصناعية والزراعية والعلمية ولولاها مارأينا المخازن الكبرى والمعامل الكبرى والجرائد الكبرى فعسى ان يقتدي الشرق باخيه الغرب في هذا السبيل فيعلن خصوصاً عن اصقاعه الجميلة ليجذب السياح اليها ويربح منهم مئات الالوف من الليرات كما فعلت سويسرا واغتنت بعد فقرها بكثرة تشويق العالم الى زيارة ربوعها وكما فعلت فرنسا وايطاليا والمانيا وغيرها من اصقاع اوربا واميركا مثل مدينة دالاس في ولاية التكساس في الولايات المتحدة فان اهلها كانوا سنة ١٨٨٠ عشرة آلاف نسمة فازمع بعضهم ان يؤسسوا نادياً سموه نادي المئة والخمسين الفاً اي ان مدينتهم ستكون سنة ١٩١٠ مئة وخمسين الف نسمة وما برحوا يتذرعون الى ذلك بكل حيلة حتي بلغ عددهم سنة ١٩٠٤ ٨٣ الفاً وتوصلوا الى ان قال الرئيس روزفلت في خطاب له ان شمالي التكساس هو حديقة الرب ومدينة دالاس تطالب و يحق لها ذلك ان تكون نقطة دائرة هذه الحديقة

نعم ان الاعلان اساس من أسس الثروة اليوم بل هو سبب من الاسباب المعقولة المشروعة واثره في الاعلان عن الاشخاص ظاهر وكم من نابه اشتهر بتحدث الناس في أمره ومن آخر خمل ذكره لانه لم يعرف كيف يتوصل الى الشهرة فعاش ومات ولم يدر به احد فاللهم اجعل الشرقيين من النابهين بحق لا الخاملين المجهولين

دور التمثيل والانس والاجتماع في باريز

ان ماشهدته من التمثيل العربي المنحطجداً في الديار المصريةوالشامية زهدني في التمثيل على انواعه فصرت لا اختلف الى دار تمثيل الا متكارهاً وذلك في المدة الطويلة لقلة غنائه وانقطاع الرغبة فيه واعلل ذلك بان التمثيل لم يعهده العرب ايام حضارتهم بل لم يكن لهم مايشبهه في قرطبة ولا في بغداد ولا في دمشق ولا في القاهرة ايام عزتها ولذلك قلما مال ابناء العرب اليه ميل الغربيين له وقدروا مزاياه حق قدرها ٠

ولما حللت باريز كان من اوائل المسائل التي توخيت دراستها حالة التمثيل في الغرب والسر في توفر اهله عليه وخدمتهم له كما يخدم الشعر والموسيقي والخطابة بل جعلوا هذه الفنون خادمة للتمثيل واصبح عندهم من ضروريات الحياة كالطعام والشراب لاحياة بدونهما وكذلك التمثيل لاحياة روحية بدون الاختلاف الى دوره ولو مرة في الشهر ان لم يكن مرة او مرتين في الاسبوع ٠

والتمثيل في باريز من اعظم ملاهيها وقل ان تجتمع لعاصمة ما اجتمع لها من ضروبه ولشدة عناية الحكومة به تنفل من مالها كل سنة اربعة دور تمثيل مبلغاً تستعين به على تحسين حالها فتمنح الاوبرا ثمانمائة الف فرنك والتياترو الفرنسوية ٢٤٠ الف فرنك مع الدار وتعطي الاوبرا كوميك ٣٠٠ الف وتعطي الاودبون ١٠٠ الف فرنك وفي باريز ٥٣ دار تمثيل كبرى ذهبت الى اشهرها مثل الاوبرا والتياترو الفرنسوية والاوديون والشاتليه وساره برنارد والفودفيل وغيرها

فكنت كلما ألفت اصطلاحاتهم في احاديثهم وحركاتهم وسكناتهم

ومظاهرهم ورقصهم وغناهم تبين لي سر تغالي الغربيين بالتمثيل وانه حقيقة مدرسة تهذيب وفضيلة عملية ودار سلوى وارتياح ارواح فلا عجب اذا عدوه من اكبر العوامل في نهوضهم وتثقيف مجتمعاتهم وشغفوا بفصوله ولا شغف الشرقي بفضوله وحرص الفرد منهم على ساعاته حرصه على عزيز اوقاته

اما دور التمثيل فهي قصور فخمة هندسوها على ضخامتها بحيث لا يحرم الحضور على اختلاف درجاتهم من سماع مايقال على مسارحها ورؤية مايعرض فيها من المشاهد والمناظر . وكفى بان دار الاوبرا كلف بناؤها ثلاثين مليون فرنك وذرعها احد عشر الف متر . واقل دار تمثيل تساوي عشرات الالوف وبعضها مئات الالوف من الليرات وان ممايبهج جوق الموسيقى في الاوبرا وقد حزرته بمائتي شخص وجوق الممثلات والراقصات والممثلين على المسرح وما اظن جمهرته تقل عن خمسمائة .

واذا عرفت ان الاوبرا تدفع لاحد ممثليها ٢٢٠٠ فرنك كل ليلة اي ١٢٨ الفاً عن ٦٤ ليلة في السنة وتدفع لغيره من الممثلين رواتب تختلف بين ٨٥ الفاً الى ٣٠ الفاً . وعن كل ليلة يغني فيها كاروزو عشرة آلاف فرنك وتتناول بعض الممثلات اربعة آلاف فرنك في الشهر جاز لنا ان نستقل اعانة الحكومة للاوبرا ونحكم على كثرة دخلها وخرجها

ولقد كنت اتمثل نفسي في حضرة اعاظم فصحاء الارض وعلماء الاجتماع والنفس ساعة تنتهي الى مسمعي اصوات الممثلين والممثلات وتنفتق السنتهم بكلمات الحكمة والادب ويشخصون الفضيلة في ابهى مظاهرها كانك تراها فلا اتمالك من توقير الممثلين والممثلات واكبار فائدة التمثيل . المدارس لتنشئة الصغار في وقت معين من السن ودور التمثيل مدارس دائمة للصغار

والكبار تلقنهم من ايسر السبل حكمة وآداباً وتلقنهم عبرة مفيدة وفكاهة رشيدة

حضرت رواية « مثل الاوراق » في الاوديون ورواية « الباريكاد » لبول برجه في الفودفيل ورواية « جان دارك » في تياترو ساره برنارد ورواية الجندي الصغير في الشاتليه فكان يخيل لي وانا اسمع وارى ان الامر واقعي وان هذه المشاهد حدثت الآن وقد اجتمع جمال الصوت الى جمال الوجوه الى جمال الكلام الى جمال الهندام الى جمال المكان الى جمال النظار واقل هذا مما يستهوي النفس فلا تدري اي شيء ترى ولا اي فائدة تعي

وما اظن اكبر متنطع لو حضر التمثيل في مثل هذه الدور العظمى يستطيع ان يعيب شيئاً مما يشهد · واي عين لا تقع على ساره برنارد اشهر ممثلة فرنسوية وهي في الخامسة والستين من عمرها تمثل دور جان دارك وهي في التاسعة عشرة فتظهر كأنها هي بصوتها وحركتها ونضرة وجهها ولا ترتاح وتعجب واي اذن تسمع الحكمة في رواية الباريكاد يقولها احد الممثلين بصوت رخيم « ان الطبقات الاجتماعية كالامم يضيع حقها في حفظ مالم تقو على الدفاع عنه · » ولا يفكر طويلاً

ولقد رأيت في دور التمثيل حتى مايوصم منها بان فيه شيئاً من الخلاعة مثل « مولن روج » ان الادب يغلب على السامعين والناظرين · وان قاعات الاستراحة بين الفصول ليسير فيها الخرد العين كاسيات عاريات معطرات متبرجات ولا ترى الا من يغض الطرف حياءً وادباً · والغالب ان النساء يلبسن لليالي التمثيل اجمل ثيابهن وازيائهن كأنهن في بيوتهن وبين صويحباتهن واصحابهن وقلما تراهن في الشوارع الا مكتسيات من اللباس بما خف محمله وقل ثمنه

اما سائر اماكن الطرب كمحال السماع والموسيقى والمراقص العامة فكثيرة جداً في باريز واحسنها ماكان على جوانب الجواد العظمى او بالقرب منها ويكون فيها المرء بحسب مبلغه من التهذيب · وموسيقى الافرنج وعزفهم وزفنهم يستحسنها الشرقي مع طول الألفة لها والأنسة بها ومن لم يعرف عندهم ولو احد هذه الانواع الثلاثة استغربوا أمره وعدوه محروماً من لذائذ الدنيا ساقطاً من رسوم الهيئة الاجتماعية · ولكل قوم عاداته واخلاقه يحرص عليها كثيراً ولا يرى فيها حرجاً ولا نكيرا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً

من باريز الى الاستانة

قضيت شهرين اثنين في هذه العاصمة طفت المعاهد ورأيت المشاهد وعرفت العامل الجاهد و تبينت العالم المجاهد وطعمت الجشب والشهي من الطعام ووصلت السير بالسرى وعمل الليل بعمل النهار ورأيت العملة في حاناتهم ومطاعمهم وواكلت الاغنياء في مقاصفهم وشاركتهم في نعيمهم واختلطت بطبقاتهم اسمع عباراتهم ولم استنكف من غشيان كل مكان ارجع منه بفائدة مستطلعاً طلع خلق جارياً من الاختبار فيه على عرق فكانت عيني تملّ النظر وأُذني تسأم السماع وذهني يتأفف من التفكر وقلبي يتخوف كثرة الوعي · ومع ماصرفته من الوقت والقوة خرجت من هذه المدينة وفي النفس منها اشياء لم اتمكن من درس معالمها ومجاهلها ولا سيما اماكن الرياضات البدنية واللعب على اختلاف ضروبه وزيارة مجاري العاصمة تحت الارض وسراديبها والاعتبار بقبورها ومدافنها وهي مزينة

كقصور الاحياء ومقطعة الى طرق ومناطق

وفي يوم بدأ نهر السين بفيضانه المشؤم الذي طغى على السدود والـكور فدكها وبثقها واودى بالاموال الجسيمة من ناطق وصامت ركبت القطار وقت الظهر الى الحدود الالمانية فكان نهرا الموز والمارن هائجين حتى طغت مياههما على السهول والاودية ولم يصل القطار الى نانسي على الحدود ويبلغ ستراسبورغ في ارض الالمان وقاعدة الالزاس الا وقد انقلبت تلك الامطار ثلوجاً وذاك الهدير سكوناً ولون تلك المياه الكدرة بلون الثلج الابيض الناصع وبلغنا مونيخ عاصمة مملكة بافيرا الالمانية صباح الغد فوقف القطار زهاء ساعتين فرأيت ان لا اضيع الفرصة فاخذت اطوف المدينة ولكن كانت الثلوج غمرتها فلم ار منها الا واجهات الابنية ورؤوسها وهنا تمثل لي النقص واحسست بالعجز وشعرت بالغربة وانا التفت عن يميني وشمالي فلا اسمع الا الالمانية التي لا اعرف منها اكثر مما اعرف من الكردية وقد تركت بعض رفاق لي في القطار ومنهم بولونيون يتكلمون بالافرنسية تطيب نفسي بمحادثتهم ومفاكهتهم حتى اذا عدت آخذ مكاني من القطار اجتاز بنا بعد قليل في ارض النمسا وهكذا حتى وصلنا مساء اليوم الثاني الى فينا عاصمة النمسا ·

وعلى ذكر اللغة لا بأس بان اقول انني يوم دخلت فرنسا لم اشهد وحشة ولم اشعر بغربة لمعرفتي بلسان اهلها واطلاعي على تاريخهم وعاداتهم فكنت كأنني داخل ولاية من الولايات العثمانية التركية او قطراً من الاقطار العربية في غربي آسيا او شمالي افريقية ولما انتقلت من ستراسبورغ شعرت بتغير العادات واللهجات وايقنت بان الغريب الذي يزور بلداً لا يعرف لغة اهله كالاصم والاعمى وهذا ماعاقني في الاكثر عن زيارة انكلترا والمانيا خلال

هذه الرحلة مع شغفي بحضارة هاتين الامتين لانني استصعب ان ارى غيري بعيون غير عيني وآذان غير اذني"

قضيت في فينا يومين استرحت فيهما من وعثاء السفر واطلعت على بعض معاهدها الا ان الثلوج التي بلغت نحو ذراع عاقتني عن اتمام الزيارة فركبت ثالث يوم بعد الظهر القطار قاصداً بلاد المجر فاجتزنا عاصمتها بودابست في الليل ووقف القطار فيها ساعة لم اتمكن في خلالها حتى ولا من روية المحطة وعدنا الى قطارنا حتى تخطينا من الغد ارض الامبراطورية الى ارض البلقان ولم يكد القطار يجتاز نهر الطونة حتى تمثل امام خيالي تاريخ هذه البلاد وبينا كنت اذكر وقائع العثمانيين في سلستريا والبروج المعروفة ببرج العرب واذكر تلك الدماء العزيزة التي اهرقت على ضفاف الطونة لفتح هذه البلاد ركبت معنا من اول محطة في بلاد الصرب فتاتان صربيتان في الخامسة عشرة من عمرهما عليهما سيماء الحشمة والادب فسألت الرفيقة رفيقتها ان تغني شيئاً فالتفتت الينا وكان معنا رفيق بلغاري يعرف التركية فاستأذن في ذلك فقلت له لا بأس فاندفعت الفتاة تغني بنغمة على ايقاع غريب فاضت له نفسي بالدموع خصوصاً وقد جاءها الغناء وهي تفكر فيما اصابنا في هذه الديار من الشقاء. فعجب رفيقي البلغاري وقال لعلك فهمت هذا النشيد الوطني الصربي قلت لم افهم وانما تأثرت من النغمة ومن امور أخرى فسألني ماهي فلم يسعني الا ان بحت له بذات نفسي ولما ذكرت له كيف تقدموا هم وتأخرنا من بلاد هواؤها عثماني وسيماؤها عثماني واكثر عاداتها عثمانية عذرني على شعوري بما فيه من فضل ادب.

ووقف القطار ساعتين في بلغراد عاصمة الصرب فاغتنمت الوقت لزيارتها

وهي نظيفة لطيفة صغيرة حرية بان تكون قاعدة لتلك المملكة التي يقطعها القطار طولاً باقل من عشر ساعات ، وزرت من الغد صوفيا عاصمة بلغاريا وهي اجمل واضخم منظامة على مثال المدن الاوربية ويغلب الادب اهلها وكثير منهم يعرفون التركية وقد وقفنا عليها نحو ست ساعات تمكنت اثناءها من درس معالمها وحدائقها ومتنزهاتها وبعض قصورها وهي اقرب الى ان تكون مدينة شرقية منها الى ان تكون مدينة غربية ويقال انها ترتقي سنة عن سنة ارتقاء يحسدها عليه حتى الاوربيون الراقون وعجبت لما سمعت بعض الالفاظ التركية يستعملونها مع اللغة البلغارية حتى الآن كأنهم تركوها عضواً اثرياً يذكرهم بايام حكم الاتراك عليهم ٠

وعند الظهر سار بنا القطار يقطع بلاد البلغار ووصلنا الى جسر مصطفى باشا في ولاية ادرنه اول التخوم العثمانية عند العشاء وهناك جاءنا رجال شرطتنا يدمدمون ويبرقون ويرعدون يحكمون على هذا بالجزاء النقدي ويعفون عن ذاك ويطلبون من هذا جوازاً ومن الثاني ان ينبشوا صوانه وهميانه ومن الثالث ان يفتشوا صندوقه ويراقبوا كتبه والخلاصة تغيرت معنا الحال من الاعلى الى الادنى حتى بلغنا بلادنا فرأينا الانحطاط بادياً عليها في كل شيء وادارتها هي تلك الادارة الاستبدادية بعينها لم يعدل الدستور من شدتها ومازلنا على ذلك حتى بلغنا صباح الغد الاستانة عاصمة سلطنتنا العثمانية ٠

عاصمة السلطنة العثمانية

صقع جميل وسواحل بديعة ومناظر رائقة وسماء صافية ورفاهية مفرطة

وأنس دائم فمن المضيق الى الخليج الى جزر البحر الى متنزهات منقطعة القرين الى غابات ملتفة وجبال مكسوة وعيون خرارة وكل ذلك بهجة النفس والخاطر وهذه هي الاستانة واحياؤها وضاحيتها ·

اما عمرانها فصورة مكبرة من عمران الولايات لا نظام ولا شوارع منظمة ولا طرق معبّدة ولا راحة للراكب والسائر ولا للمقيم والنازل وغاية مافيها من مصانع وآثار قصور السلاطين والجوامع الكبيرة الزاهية التي انشأوها منذ عهد محمد الفاتح الى يومنا هذا وبعض ثكن ومدارس عالية حديثة لا شأن لها من حيث فن البناء

والاستانة من حيث قوتها المادية ضعيفة ضئيلة نصف اهلها اتراك يبلغون نحو ستمائة الف والنصف الآخر اروام وارمن واكراد وارناؤد وعرب وغيرهم من العناصر العثمانية · ويغلب على الاتراك الاتكال لانهم مازالوا حتى بعد الحرية يعتقدون من انفسهم الغناء والسؤدد اكثر من بقية العناصر ويتوهمون انهم العنصر الحاكم ولذلك قلما ترى بينهم تاجراً معتبراً او زارعاً كبيراً او مالياً دراكة يعيشون كلهم الا المرتزقة والباعة عالة على الامة لا يعرفون غير تقلد الوظائف الادارية والعلمية والقلمية والعسكرية ·

فالاستانة من هذه الوجهة مدينة الاتكال المجسم يعيش اهلها كالحلمة الطفيلية على عنق الولايات ولكم خربت ولاية او لواء او قضاء ليعمر بها احدهم مصيفاً له على ضفاف الخليج او في جزيرة الامراء ويقتني من الجواري والسراري والعبيد بقدر ماتطيب له نفسه ·

ولاهل الاستانة فضل ادب ولين جانب عرفوا به منذ القديم فترى الواحد منهم يعاملك باقصى اللطف والظرف حتى يرضيك وفي باطنه على

الاغلب يسر لك غير ذلك وهذا الخلق عام في عمال النظارات والادارات الكبرى ولولا ذلك ماانصرفت وجوه ارباب الاشغال من سكان الولايات الى الاستانة يقصدونها لكشف ظلامة ونيل رتبة ومرتبة وراتب ·

صرفت في هذه العاصمة عشرين يوماً قابلت في خلالها كثيراً من اهل العلم والسياسة وكنت اتكاره في الاختلاف الى المعاهد والناس اذ سئمت نفسي كل ذلك بعد باريز التي رأيت فيهامن كل شيء احسنه ومن العالم ارقاهم ولطالما اسودت عاصمة بلادي في عيني وودت على الاقل لو كتب لي ان ازورها قبل الرحيل الى الغرب وامتاع النظر والحواس بحضارته البهجة حتى لا ارى الانحطاط بعد الرقي ولا الظلام بعد النور ·

ومن جملة المعاهد التي هي جملة مقصدي وغاية مناي من زيارة الاستانة مجلسنا النيابي زرته خمس مرات واعضاؤه نحو مائتين وخمسين نائباً من جميع عناصر الدولة واصقاعها تجد فيهم ذا العمامة البيضاء او الخضراء كما تشهد فيهم لابس الكوفية والعقال وثلاثة ارباعهم من لابسي الطرابيش ولقد سمعت من ارباب العمائم مناقشات راقية لم اكد اسمعها الا من النواب الذين صرفوا شطراً من اعمارهم في اوربا يتعلمون ويتمرنون ويدير حركة المجلس من النواب اليوم نحو عشر اعضائه شأن مجالس العالم كلها فان ارباب العقول الراقية والمضاء الكبير قلائل في كل طائفة · خصوصاً ومجلسنا ما برح طفلاً ويرجى ان يكون في الانتخابات المقبلة ارقى مما هو الآن

رأيت النظام قليلاً في المجلس يبدأ قبل الظهر بالنظر في قانون كذا وبعد الظهر يتناقش في غيره قبل ان يكمله ومن الغد يتناقش في مسألة أخرى وينسى القانون او اللائحة الاولى وذلك لانهم وسدوا رئاسته لرئيس اشتهر

بخدمته الحرية والشهرة قد تكذب · وكم وسدوا النظارات في هذا العهد الدستوري الجديد الى اناس اشتهروا بعلمهم وعقلهم في الدور السالف حتى اذا جاء الآن دور العمل ابانوا عن ضعف في المدارك وخور في العزائم وبضاعة مزجاة من العلم والعمل ونفس شريرة تعد قتل عنصر من العناصر قتلاً معنوياً لغاية بعيدة الحصول اسهل من تناول الكاس اوالسلام على الناس

وكل اولياء الامر اذا حدثتهم في نقصنا والسعي لاصلاحنا شاركوك في حديثك وربما تظاهروا باكثر من غيرتك وحملوا اشد من حماتك فاذا اتت نوبتهم ليعملوا تراهم يقرون القديم على قدمه ان لم نقل يزيدون الحال اعضالاً واشكالا · فهم فلاسفة قول لا عملة عمل وجربذتهم في اساليب لهم يتقنونها لا في ظلامة يرفعونها وولاية يرقونها واصلاح يدخلونه ·

ولا اغالي اذا قلت ان عمال الاستانة الآن صورة من صور العهد الحميدي الا انهم يدعون الحرية وهم مضطرون الى الاسراع بمصالح العباد باقل مراوغة ومطاولة مما كانوا عليه في العهد الماضي اما الاصلاح الحقيقي فاظن من سيقومون به لهذه البلاد العزيزة لم يخلقوا بعد ونحن نكتفي من الحاليين ان يحتفظوا فقط بالحالة الحاضرة ريثما يتخرج جيل جديد يربى على ادب النفس وادب الدرس وينشأ بعيداً عن اخلاق الحكومة الاستبدادية المطلقة التي غرست مبادئها الساقطة في القلب واللحم والدم والعظم

المتحف السلطاني (١)

دخلنا هذه الدائرة الفخمة من بابها الغربي الكائن بجوار نظارة العدلية

(١) لم تتيسر لنا زيارة هذا المتحف فعهدنا الى صديقنا شاكر افندي الحنبلي ان يزوره عنا ويكتب لنا مقالة في وصفه ففعل وانا اشكره لفضله وعنايته ·

ومررنا امام دار الضرب العامرة وبعدها دخلنا من باب آخر ينتهي الى ساحة كبيرة بني على اطرافها رواق ذو قباب اشبه ببنيان التكايا ثم دخلنا من باب ثالث فاستقبلنا بهو كبير يسمونه غرفة العرض كان يجلس فيه الوزراء والامراء للمذاكرة والمشاورة وفي صدره مصطبة كبيرة يصعد اليها من درجة واحدة كان يجلس فيها السلطان متوارياً عن الاعين

ثم خرجنا من هذه الغرفة وصعدنا الى قصر شامخ يصعد اليه بسلم من رخام جدرانه مزينة بالقيشاني بناه السلطان مراد الرابع بعد رجوعه من بغداد على طرز قصر هرون الرشيد وسماه (قصر بغداد) وهو قصر مبني على الطرز الشرقي بشكل مثمن منتظم تحيط به من الخارج ردهة ضيقة ذات منافذ تطل على الخمائل والبحيرات وتشرف على بحر مرمرة وقسم من البوسفور واحياء القسطنطينية وضواحيها وبجانب هذا القصر دائرة (الخرقة الشريفة) وفيها الرداء النبوي وبقية المخلفات والآثار النبوية

وخرجنا بعدئذ من هذا القصر ودخلنا قصراً آخر فيه غرفة كبيرة طولها نحو عشرين ذراعاً وعرضها نحو ثلاثة عشر ذراعاً يقال انها من بناء السلطان مصطفى الرابع وفي الجهة القبلية من هذا القصر قصر آخر بناه السلطان عبد المجيد ويسمونه (سلطان مجيد كوشكي) مبني على الطرز الايطالي وهذا القصر اجمل قصر رأيناه هناك ومما يجدر بالذكر في هذا القصر صفاء بلور النوافذ حتى انك تظن النافذة مفتوحة لا بلور فيها لشدة صفائه وعلى جانب هذا القصر حجرة صغيرة بناها السلطان عبد المجيد لتبديل لباسه قبل دخوله دائرة الخرقة الشريفة

ثم انتهينا الى دائرة التحف السلطاني وهي بيت القصيد في هذه الزيارة

وهنا لايتمالك الانسان من الدهشة عند مايشاهد تلك الآثار النفيسة والمصنوعات الثمينة النادرة التي لاتقدر لها قيمة لنفاستها التاريخية · دخلناهذه الدائرة وهي موءلفة من ثلاث غرف تحتانية وثلاث أخرى فوقانية واول شيء وقع نظرنا عليه تخت كسرى الذي غنمه السلطان سليم الاول من الشاه اسماعيل الصفوي في حرب (جالديران) الشهيرة وقد نصب في وسط المتحف يوحي الى الرائي بعظمة الدولة العثمانية ومجدها السالف ويصور للناظر السلطان سليم الاول ممتطياً جواده سالاً سيفه يقود جيشه الباسل الى بلاد الاكاسرة و يشتبك مع صاحب العجم في حرب عوان فيهزم جيشه و يستولي عَلَى عرشه وخزائنه ·

هذا التخت عَلَى هيئة مستديرة قائم على اربعة اعمدة يصعد اليه بدرجة واحدة و كله مرصع بالياقوت والزمرد مما يبهر الناظر · شاهدنا في هذا المتحف سيف قسطنطين بالئوغوس آخر قياصرة الروم وهو سيف مرصع بالماس اخذ من جملة غنائم يوم فتح القسطنطينية · شاهدنا مهد السلطان محمود الثاني وهو عَلَى شكل السرر التي تصنع في دمشق من الخشب مرصعة بالصدف وهذا مرصع بالاحجار الكريمة · وفي المتحف ثلاث قطع من الزمرد الاولى بقدر جوزة الهند ووزنها ثمنمائة درهم والثانية عَلَى شكل مستطيل وزنها ستمائة درهم والثالثة بينهما في القطع والوزن وهنالك اوان من النجف بعضها مرصع و بعضها بدون ترصيع وساعات واوان من العاج و بواطي من الصيني ودروع وطبرات ومغافر و بنادق قديمة مرصعة مما لايكاد يحصى وخواتم من الماس بعضها فضة بقدر الجوزة · والى جانبيها دوي قديمة ذهبية وقماقم ومحاريب وسبحات ومراوح مرصعة وفي جملة هذه المراوح ثلاث تعد من نوادر المصنوعات الواحـدة

قبضتها مرصعة بالماس والاخرى مرصعة بالياقوت والماس في وسطها ياقوتة بقدر الجوزة والثالثة مرصعة بالاحجار الكريمة وعليها رسم الكرة الارضية

ومما امتعنا به النظر صورة شخص طوله عشرة سانتيمرات صدره و بطنه لؤلؤة واحدة ورجلاه فيروزتان و بالقرب منه صندوق وعليه فيل من الذهب مرصع بالاحجار الثمينة . رأينا اغطية مناضد من الاطلس والديباج بعضها مرصع باللؤلؤ فقط والبعض الآخر مرصع باللؤلؤ والزمرد والياقوت بنقش بديع يأخذ بالعقول وهناك قلب من الماس حجرته الوسطى بقدر البيضة و يقال ان هذه الحجرة هي رابع حجرة في الدنيا من حيث الحجم والوزن وقد امتعنا الطرف برسم السلطان عبد العزيز مجسماً معمولاً من النحاس الاصفر ممتطياً جواده بقطعة كبيرة طبيعية وآخرين صغيرين ورأينا رسم اسكندر الثاني قيصر الروس ورسم غليوم الاول عاهل الالمان

ومما رأيناه ثلاث آلات للمنظومة الشمسية مصنوعة من النحاس الاصفر تدور فيها الارض والسيارات حول الشمس بحركة دولاب يدار باليد كل ذلك بل اكثره موضوع في خزائن من البلور لا تمسه الايدي رأينا مسميات لا نعرف اسماءها مما يحار لها العقل و يدهش لها الفكر وانى لنا بابن المعتز يقف في هذه الخزينة و يصف ما فيها من الحلي والحلل والجواهر الثمينة والمصنوعات الفاخرة النادرة بمنظومات تحكي ترصيع الجواهر المكنوزة في هذا الكنز الكبير

ليس شيء اصعب على الكاتب من ان يرى اشياء لم يألف مشاهدتها ولا يعرف لها اسماً فهو اذا اراد وصفها عصته الالفاظ وضاقت به التعابير رأينا في هذا المتحف شيئاً كثيراً كله من النادر الغريب الذي لا يوجد الا في خزائن الملوك ولو اردنا ان نصف كل ما رأيناه لطال بنا البحث واحتجنا الى

سفر كبير ولكن نكتفي بذكر الآثار التاريخية الثمينة بالنظر لما لها من المكانة العلمية والقيمة الادبية

فمن ذلك درع مرصعة بالماس والياقوت مع سيف مرصع ايضاً مكتوب عليها هذه العبارة « هذه الدرع غنمها السلطان مراد الرابع لما فتح بغداد في اليوم الثامن عشر لسنة الف وثماني واربعين هجرية » وتخت معمول من الباغا مرصع بالفيروز والزمرد وهو تخت السلطان احمد الثالث كان يجلس عليه يوم عرفة وفي وسطه فراش من الاطلس مرصع باللآلي بنقوش لطيفة يصعد اليه بثلاث درجات صغيرة وخزانة من الكهرباء الملون المعرق اهدتها فيكتوريا ملكة الانكليز للسلطان عبد العزيز ومكتب (قنصل) كبير مرصع بالماس والياقوت وسائر الاحجار الكريمة اهدتها كاترينة قيصرة الروس للوزير الاعظم محمد باشا الباطهجي يوم وقعة (بيروت) الشهيرة وهذا المكتب من اثمن ماشاهدناه في هذه الخزينة لما فيه من الاحجار الكريمة وحلل ملوك بني عثمان وعمائمهم موضوعة كلها على قوالب مخصوصة على شكل انسان بالهيئة التي كانت عليها ومكتوب على كل منها اسم صاحبها وسيف السلطان الغوري عزيز مصر وخاتم السلطان عبد العزيز الذي نزع من اصبعه يوم استشهاده ووسامات مختلفة اهداها ملوك اوربا للسلاطين العثمانيين وغير ذلك من الآثار البديعة التاريخية

وفي الجملة ان هذه الخزينة هي اعظم خزينة على وجه الارض لانها جمعت بين خزائن الاكاسرة وخزائن القياصرة وملوك الاسلام وكانت في الدور القديم تجمع فيها الاموال الزائدة عن نفقات الدولة وتدخر لاوقات الحروب وتسمى (ايج خزينة) اي الخزينة الداخلية · يروى ان السلطان مصطفى

الثالث كان جمع فيها مبالغ طائلة صرفها كلها في الحرب الروسية ويقدر ماصرفه في ذلك الوقت باثني عشر مليون ليرة على حساب هذا الزمان

اما بناء الدائرة فليس من الابنية الفخمة المزينة بل هو بسيط جداً على طرز التكايا وليس فيه ما يستحق الذكر سوى ما ذكرناه آنفاً من القصور الحديثة التي بناها ملوك بني عثمان بعد الفتح وانما هي تمتاز بجمال موقعها وحسن مناظرها ومكانتها التاريخية فالواقف في فنائها او في احد قصورها يمتع طرفه بتلك المناظر البهيجة ويسرح فكره في غابرها وحاضرها ويهتز طرباً وتتجلى له عظمة آل عثمان وسلطانهم ويرى الفاتح يسوق اسطوله على اليابسة باعجوبة لم يسبق لها نظير ويفتح القسطنطينية ويملك قصر القياصرة وخزائنهم كما افتتح اجداده بلاد الاكاسرة وقوضوا عروشهم ويكون نعم الامير الذي امتدحه الرسول وجيشه نعم الجيش ·

وفي الحقيقة ان هذا البناء اللطيف من اجمل ما يتصوره الفكر والطف ماتشعر به النفوس فهو يحتاج الى قريحة شاعر مطبوع او قلم كاتب مجيد يصف ماتشعر به النفس من المعاني الشعرية في جانب هذه المناظر البهيجة والآثار التاريخية · هذا ولا يسعني هنا الا ان اثني الثناء الطيب على ناظر المتحف حافظ محمد رفيق بك لما ابداه من المجاملة والملاطفة في زيارتنا هذه كما اني اشكر للاستاذ الزهراوي وعبد العزيز افندي قوجه لي عنايتهما في هذه الزيارة التي هي من اثمن الزيارات التاريخية ·

المتحف العثماني[1]

ليس بين معاهد الاستانة وقصورها معهد توفرت فيه شروط التجديد

---

(١) كتاب « موزهٔ همايون عثماني، مخصوص رهنما اثر وحيد »

ودخلته الروح الغربية مثل المتحف العثماني فهو المعهد الوحيد الذي قلدنا فيه الاوربيين وأحسنا التقليد يستفيد به زائره تاريخ الصناعة ولا غرو فقد ضم عاديات الامم القديمة كالرومانيين واليونانيين والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمصريين والهيتيين والبيزنطيين المتأخرين من نواويس وتماثيل واواني وآثار حجرية وخزفية وبلورية وكلها شاهدة على الدهر بما كانت عليه حضارات الشعوب التي انقرضت فاصبحت بلادها من جملة ولايات هذه السلطنة العثمانية أبد الله اركانها

ومن اجمل مايشاهد فيه مسلتان عثروا على الاولى في صامسون والاخرى في ازنيق واسد وجد في هاليكارناس (قصبة بودروم) ويرد تاريخه الى اربعة قرون ق · م وبجانبه ناووس روماني استخرج من دراج في ولاية اشقودرة ومن الطف عاديات هذه الدار النواويس التي عثر عليها في صيداء وهي عبارة عن ستة وعشرين ناووساً ادعي بعضهم ان احدها هو ناووس اسكندر المقدوني لان الاسكندر توفي في العراق وجيء به الى سورية على ان روايات المؤرخين مختلفة في مدفنه · ومن النواويس ناووس دفن فيه تابنيت ابن اشمونازار ملك صيداء وعليه كتابة بالخط الفينيقي · وناووس الاسكندر من اغرب ما نقش النقاشون تحسدنا عليه وعلى كثير من الآثار الموضوعة في قاعات متحفنا اهل العاديات والآثار ويبذلون لنا لو اردنا في الحصول عليها مئات الالوف من النضار ونواويس المتحف البريطاني واللوفر ليست باعظم منها

ومن عاديات المتحف ناووس معروف باسم « صدراب » احد ولاة فارس فيه رسوم الصيد والقنص والحرب واللعب والسباق ووضيمة جنازة ومنه يستدل على ماوصلت اليه هذه الصناعة من تلوين الرخام في ايونيا في الساحل

الثالث كان جمع فيها مبالغ طائلة صرفها كلها في الحرب الروسية ويقدر ماصرفه في ذلك الوقت باثني عشر مليون ليرة على حساب هذا الزمان

اما بناء الدائرة فليس من الابنية الفخمة المزينة بل هو بسيط جداً على طرز التكايا وليس فيه مايستحق الذكر سوى ماذكرناه آنفاً من القصور الحديثة التي بناها ملوك بني عثمان بعد الفتح وانما هي تمتاز بجمال موقعها وحسن مناظرها ومكانتها التاريخية فالواقف في فنائها او في احد قصورها يمتع طرفه بتلك المناظر البهيجة ويسرح فكره في غابرها وحاضرها ويهتز طرباً وتتجلى له عظمة آل عثمان وسلطانهم ويرى الفاتح يسوق اسطوله على اليابسة باعجوبة لم يسبق لها نظاير ويفتح القسطنطينية ويملك قصر القياصرة وخزائنهم كما افتتح اجداده بلاد الاكاسرة وقوضوا عروشهم ويكون نعم الامير الذي امتدحه الرسول وجيشه نعم الجيش ·

وفي الحقيقة ان هذا البناء اللطيف من اجمل ما يتصوره الفكر والطف ماتشعر به النفوس فهو يحتاج الى قريحة شاعر مطبوع او قلم كاتب مجيد يصف ماتشعر به النفس من المعاني الشعرية في جانب هذه المناظر البهيجة والآثار التاريخية · هذا ولا يسعني هنا الا ان اثني الثناء الطيب على ناظر المتحف حافظ محمد رفيق بك لما ابداه من المجاملة والملاطفة في زيارتنا هذه كما اني اشكر للاستاذ الزهراوي وعبد العزيزافندي قولجه لي عنايتهما في هذه الزيارة التي هي من اثمن الزيارات التاريخية ·

المتحف العثماني (١)

ليس بين معاهد الاستانة وقصورها معهد توفرت فيه شروط التجديد

(١) كتاب « موزهٔ همايون عثماني » مخصوص رهنما اثر وحيد »

ودخلته الروح الغربية مثل المتحف العثماني فهو المعهد الوحيد الذي قلدنا فيه الاوربيين وأحسنا التقليد يستفيد به زائره تاريخ الصناعة ولا غرو فقد ضم عاديات الامم القديمة كالرومانيين واليونانيين والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمصريين والهيتيين والبيزنطيين المتأخرين من نواويس وتماثيل واواني وآثار حجرية وخزفية و بلورية وكلها شاهدة على الدهر بما كانت عليه حضارات الشعوب التي انقرضت فاصبحت بلادها من جملة ولايات هذه السلطنة العثمانية أيد الله اركانها

ومن اجمل ما يشاهد فيه مسلتان عثروا على الاولى في صامسون والاخرى في ازنيق واسد وجد في هاليكارناس (قصبة بودروم) و يرد تاريخه الى اربعة قرون ق · م و بجانبه ناووس روماني استخرج من دراج في ولاية اشقودرة ومن الطف عاديات هذه الدار النواويس التي عثر عليها في صيداء وهي عبارة عن ستة وعشرين ناووساً ادعي بعضهم ان احدها هو ناووس اسكندر المقدوني لان الاسكندر توفي في العراق وجيء به الى سورية على ان روايات المؤرخين مختلفة في مدفنه · ومن النواويس ناووس دفن فيه تابنيت ابن اشمونازار ملك صيداء وعليه كتابة بالخط الفينيقي · وناووس الاسكندر من اغرب ما نقش النقاشون تحسدنا عليه وعلى كثير من الآثار الموضوعة في قاعات متحفنا اهل العاديات والآثار و يبذلون لنا لو اردنا في الحصول عليها مئات الالوف من النضار ونواويس المتحف البريطاني واللوفر ليست باعظم منها

ومن عاديات المتحف ناووس معروف باسم « صدراب » احد ولاة فارس فيه رسوم الصيد والقنص والحرب واللعب والسباق ووضيعة جنازة ومنه يستدل على ما وصلت اليه هذه الصناعة من تلوين الرخام في ايونيا في الساحل

الغربي من بلاد الاناضول من الارتقاء في القرن الخامس ق · م وهناك تمثال ثماني عشرة امرأة من اعجب مانقش النقاشون جعلن على اشكال منوعة بعضهن قائمات و بعضهن قاعدات ودن يذرفن دموع الحزن واللهفة و بالقرب منهن ١٩ قطعة من نواويس رومانية عثر عليها في جبل لبنان وحمص و بيروت

ومن النواويس البديعة ناووس اسمه ناووس ليكيا اي البلاد المعروفة اليوم بسواحل اضالية من اعمال قونية وهو رومي الصنعة محلي الاسلوب · وعلى مقربة منه تمثالان من الخزف المنقوش لابي الهول عثر عليهما في مدينة اورله او ميناء قلازومن من ازمير

قلنا ان الناووس المعروف بناووس الاسكندر هو من ابدع ما صنعت الايدي ولذلك زاره الوف من علماء اوربا واميركا يعجبون بصنعه وفيه كثير من الرسوم والخطوط النفيسة الملونة ومن الصور المزبورة عليها وقائع الاسكندر المشهورة · ومن كتاباته ما كتب بالخط الهيروغليفي المصري ومنها بالخط الفينيقي

ومن الرسوم الموجودة في ناحية قريبة ما يرجح انه رسم الحرب التي نشبت بين الاسكندر في ايسوس او اربيل وبين دارا ملك الفرس سنة ٣٣٣ ق · م

ومما يقع نظرك عليه في القاعة الرابعة بعض عاديات هيتية مثل اسود وجدت في زنجيرلي وقصورها وتمثال يمثل احد ملوك الهيتيين وقاعدة تمثالين لابي الهول وتمثال من الحجر الاسود اسمه « اسد مرعش » كتبت عليه كتابات هيتية وهو اشهر اثر عثر عليه من آثار هذه الامة حتى الآن ·

والهيتيون امم مختلفة كانت في القرن الخامس عشر قبل المسيح تنزل في

جبال الاكراد في سورية وقبادوكيا وقسم عظيم من بلاد الاناضول حتى مجرى نهري الاحمر (قيزل ايرمق) وكديز واصولهم كثيرة متباينة بل ان البلاد التي كانوا مستولين عليها هي كما يقول المحققون في شمالي سورية اي في المنطقة الممتدة من فرع الفرات الاكبر الى جبال طوروس . وقد انشأوا عَلَى الفرات قلعة قارغاميش المعروفة الآن بجرابلس واخذوا يهددون مدينة نينوى القديمة (الموصل) الى اواخر القرن الثامن ق . م وبلغوا منتهى مجدهم بين القرن العاشر والثامن ق . م وقد استولى عَلَى هذه القلعة صارغون ملك اشور سنة ٧١٢ وباستيلائه عليها محي اسم الهيتيين من عالم الوجود . عَلَى ان تاريخ هذه الامة مع مابلغت من الحضارة بين الامم القديمة لم يؤثر عنها بالذات شيء يدل عَلَى عظمتها لان خطها لم ينحل حتى الآن ويرجى ان يكتشف كما اكتشف الخط المصري القديم بواسطة حجر وجد في رشيد كتب بالخط المصري مترجماً الى اليونانية

ومن العاديات المهمة في التحف الاواني الزجاجية والخزفية واحسن الزجاج ماجاء من سورية وقد كتب عَلَى كل قطعة منها اسم البلد الذي عثر فيه عليها . ومعلوم ان تاريخ وجود الزجاج قديم يتعذر معرفته وهناك قطع من الفسيفساء عثروا عليها في استانكوي او جزيرة كوس من جزائر البحر الرومي ويرد تاريخها الى الدور اليوناني وآثار معبد اشمون في صيداء من آثار الفينيقيين الخزفية وآثار سوكة وآياثلوغ وناموردن من اعمال ازمير وغيرها من بلاد الاناضول واكثرها يوناني . وفي قاعة أخرى اوان وجدت بالقرب من صوروويج في ولاية مناستر في بعض المدافن واوان في ليندوس (رودس) وغيرها يرد تاريخها الى ادوار مختلفة يونانية ورومانية ومنها ماعثر عليه في لابسكي من اعمال كليبولي

ومن الآثار المهمة في القاعة الحادية عشرة عاديات ارض فلسطين ومنها ماعثروا عليه في جوار القدس ويرجع تاريخه الى القرن الثامن ق · م وما عثر عليه في بحيرة حمص في الجزيرة التي حفر فيها من القدور والاسرجة وقد اعتبروا القسم الاعظم منها من عهد الزمن النحاسي · وفيه قطعتان من المرمر وجدتا بالقرب من المسجد الاقصى وعليها كتابات بالرومية تحظر على الغرباء ان يتخطوا معبد سليمان والا فيعاقبون بالموت · وهناك حجر كلسي عثروا عليه في القدس مكتوب عليه كتابة فينيقية وفيه ذكر جر الماء تحت الارض في قناة حفرت في الصخور من نبع جيحون الى سور القدس حتى تصل الى نبع عين سلوان وينسبونه الى الملك حزقيا احد من ورد ذكرهم في سفر الملوك من التوراة

وليست العاديات المصرية كثيرة في المتحف ومنها صور ابي الهول وفي ثلاث قاعات الآثار الكلدانية والبابلية والاشورية واكثرها الواح واوان واكواب وعظام كتبت بالخط المسماري

ومنها ناووس من الخزف يرد الى عهد بابل اي الى نحو ٦٠٠ سنة ق · م ومنها مسلة من الحجر من مخلفات نابونيد ملك بابل كسرها تخريب في وقائعه مع السيتيين · ومن العاديات ماوقع في خرابة نيفر في الشمال الشرقي من الديوانية من اعمال بغداد ومنها ماوجد في تللو من اعمال البصرة ومنها ماعثروا عليه في سيبارا او ابي الحبة من اعمال الجزيرة

وقد خصوا القاعة السابعة عشرة بالآثار التدمرية والحميرية ومن الآثار التدمرية ما يستدل منه على ان صنعها من بدائع صناعهم وان كانت تشبه الصناعات اليونانية لان مملكة تدمر وان كانت يهودية لم يبق فيها اثر لهم لان

الاشوريين قرضوا عمرانها ثم ارتقت على عهد اوريليانوس اوائل ظهور النصرانية ودخلت في حوزة المملكة اليونانية على عهد الاسكندر واستعملت اللغة الرومية ولا سيما في الرسميات وان كانت لغتها الآرامية او السريانية . اما الآثار الحميرية فهي آثار اهل سبإٍ ومعين في الجوف وعاصمة سبإٍ مأرب واهل معين كانوا نازلين في قصبة العلى في جوار مدائن صالح ومملكة حمير اليمانية انما نشأت بعد هلاك مدينة سبإٍ ومعين واستدلوا من ذلك على ان الخط الحميري يشبه الفينيقي ولكن دخله قلب وابدال كثير

ومن العاديات آثار قبرص منها تمثالان للمعبودين هركول وآفروديت واوان خزفية ونذور . ومنها حلي اشورية وفينيقية وحلي وجواهر واقراط واساور وقلائد وجدت في مدينة ترواده اي في محل اسمه الآن حصارلق من اعمال لواء بيغا شمالي جون ادرميد وكان اسمه في القديم ايدا وهو بين جبل قار وهللسبون اي بين جناق قلعة وبحر الارخبيل وكانت هذه عاصمة قديمة مشهورة . ومنها ماوجدوه في ترال من ازمير وليبة من طرابلس الغرب وبرقة وغيرها في طرسوس وآخر في برغمة وفي نابلس

هذه جملة اشرنا بها الى ماحواه المتحف وله قسم آخر اسلامي جعلوه في قصر الصيني امام البناء الجديد كما قسمت مصر عادياتها الى متحفين متحف الآثار المصرية واليونانية القديمة والمتحف العربي . وقصر الصيني هذا مما أمر بانشائه السلطان محمد الفاتح ولكن لم يبق عليه من آثار ايامه الا اثر ضئيل جداً مثل الآثار التي يحويها وبعض عاديات واكثرها من قرون الانحطاط اي القرون الخمسة الاخيرة ومنها بعض الصيني الذي كان يعمل في دمشق ورودس وازنيق وكوتاهية وبعض الكاشاني المكتب بالكوفي ومنها ماعثر

عليه في مصر وقونية ودمشق و بورصة و كان يعمل فيها كما تعمل الطنافس البديعة في معامل دمشق وتوقاد واصفهان وغيرها

ومن عاديات قصر الصيني درفتان من صنع قرهمان وقونية ومنهار حالي وقماقم وطنافس ومصابيح وخطوط صدرت عن بعض الملوك العثمانيين ومنبر من صنع الرها (اورفة) واوان خزفية وجدت في الرقة من اعمال حلب وجلود كتب من صنع مهرة المجلدين من العرب والفرس والترك واصونة وخزائن وبعض آثار حجرية يقال انها أموية عثر عليها في القدس وبعض نقوش حيوانات رسمت على الزجاج من الادوار التركمانية والارتقية وملوك بني آرتق من مماليك ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي حكموا جهات ماردين وديار بكر وحلب الى سنة ٨١١ ه وانقرضت دولتهم بعد حكم ٣٣٤ سنة الى غير ذلك من العاديات والآثار ومما عرضوه عود طرب او طنبورة وهي من صنع عصور الظلمة ايضاً

وبالجملة فان العاديات القديمة التي جعلت في البناء الجديد كلها حسنة ومفيدة لو لم يكن الكسر والتحطيم يغلب عليها لما قاسته من اهاويل الدهور اما العاديات التركية والعربية الاخيرة فتافهة على الاكثر . وفي الاستانة محل قرب جامع السلطان احمد عرضوا فيه صور الانكشارية مجسمة من الجبس من صنع النمسا وهم يلبسون البستهم المعروفة وجالسون على مراتبهم وعاداتهم لا بأس بزيارتها لما فيها من الفائدة التاريخية

سير العلم والاجتماع

تربية صغار العملة

في السويد الآن ٧٢ معملا لصغار الاولاد منها ١٦ في استوكهلم والمخترعة لهذه المدارس العقيلة كوستاف سيستا رتزويس التي انشأت اول معمل من هذا النمط منذ عشرين سنة تذكاراً لامها وهذه المعامل هي عبارة عن ملجإ لاولاد الشعب الذين لاتفتح لهم المدارس ابوابها الا صباحاً من الساعة الثامنة الى الواحدة او بعد الظهر من الساعة الثانية الى السادسة فيتعلم فيها الاولاد صنع الخشب وتطريق الحديد واصلاح الثياب وخياطتها وخصف النعال وصنع الاحذية . وقد تبين لهذه المعامل ان الاولاد يعنون كثيراً بالثياب التي يخيطونها بانفسهم ولا يقصد من هذه المعامل اعداد عملة ماهرين خبيرين بل يكتفى بتمرين ماخصوا به من الحذق والنظر والاجتهاد وتقوية ميلهم الحسن الى الاعتياد عَلَى العمل ولا يسمح لولد ان يتخلى عن صنعة قبل ان يعمل بنفسه شيئاً فيها يرضى عنه معلموه ومعلوم ان الحذق في العمل اليدوي يكون قبل الرابعة عشرة او الخامسة عشرة هذا مع ما في عملهم من التأثير الادبي النافع ويزيد ذلك سهر الاساتذة عَلَى تلامذتهم ومعاملتهم لهم بالحب والحرية ولا تعطيهم هذه المعامل لقاء عملهم سوى طعامهم وهم يهيئونه بانفسهم معظم الاحايين .

اترابنا العميان

تحت هذا العنوان كتبت معلمة انكليزية من العميان في احدى المجلات العلمية مقالاً اثبتت فيه ان العميان ليسوا كما يتوهم الناس عاجزين الا عن استعمال قسم قليل جداً من القوى التي يستخدمها المبصرون واوردت عَلَى ذلك امثلة من التعليم الخاص بالعمي في بيوتهم او في المدارس الابتدائية والعالية فقالت ان هذه المدارس التي يديرها العمي في الاكثر مثل مدرسة المعلمين العميان في انكلترا تعلم تعليماً موافقاً لحاجات الطلبة بحيث يغادرها هؤلاء وهم يعرفون القراءة والكتابة والخياطة باليد او الآلة وطباعة الالة وتيب والكتابة على الآلة الكاتبة واللعب . وتعليمهم اللعب من اصعب الامور وهذا مايحرض عليه اساتذة مدرسة المعلمين المذكورة حتى غدا تلاميذهم يعرفون اللعب بالشطرنج والداما ويركبون الدراجة ويحسنون التجذيف والعوم ولعبة الفوتبول .

تعلم اللغات الحية

نشر احد ضباط الانكليز في الجيش الهندي مقالة في المجلة المدرسية ذكر فيها ان حكومته ارسلته مع الحامية الى تخوم الشمال الشرقي من مستعمرة الهند بين قبائل متوحشة تتكلم بلهجة هندية صينية ليس لها قواعد ولا معجم مفردات مكتوبة فقاده الاتفاق الى ان صارت له صلة مع احد شيوخ ذاك الصقع يستعمل السحر والكهانة فانشأ بادئ بدء يستمع لما يلقيه ذاك الساحر من القصص مشفوعاً باشارات ورموز واضحة تجلب النظر فلم يمض زمن طويل الا وقد توصل الى ادراك المعاني التي يريدها الساحر وما هو الاقليل ايضاً حتى دهش من نفسه وقد اخذ يألف الكلمات التي يدمدم بها الشيخ المتوحش واصبحت له من هذه اللغة البربرية معرفة واسعة لم يتعب في تحصيلها كأنه تعلمها من كتاب . واستنتج بعد ذلك بان خير طريقة يجب اتباعها في تعليم الاحداث لغة لا يعرفونها ان يسير المعلمون لها على الطريقة التي تعلم بها صاحبنا الانكليزي لغة الهند الصينية .

الاخلاق بالطعام

يرى بعضهم انه يستدل على اخلاق المرء من خطوط يده او من تفلطح رأسه او من استعماله القهوة اوغير ذلك ولكن احد الاطباء الانكليز قال : « قل لي ما تأكل لاقول لك من انت » فاستدل بان الاغتذاء بلحم البقر يورث نشاطاً وقوة . واستعمال لحم الخنزير يورث النفس انقباضاً ويسود المستقبل في النظر . ولحم الخروف يورث السوداء والاكثار من لحم العجل كثيراً مدة طويلة يضعف كل نشاط ومقاومة . وتناول اللبن الحليب والبيض يولي قوة ذهن ولا سيما في النساء والزبدة تكثر البلغم والتفاح يوافق العاملين بعقولهم والخردل من باعثات الذهن ومنشطاته .

المباحث الليمنولوجية

الليمنولوجيا من العلوم الحديثة وهو يبحث عن الظواهر والتراكيب التي تبدو في البحيرات وعلى سطوحها وفي داخلها وتدل هذه الظواهر على الخصب الذي لا يتناهى في جوف الارض ولهذا العلم شأن عظيم في اميركا . ففي نيكاراغا مثلاً بحيرة اسمها نجيابا هي في الحقيقة حوض ماء من الصابون تحتوي كميات وافرة من محلول بيكاربونات البوتاس والصودا وسلفات المغنيزيا اذا ثار الهواء تحدث منه امواج يتكون منها زبد يستعمله سكان ضفاف البحيرة في غسل رؤوسهم والتداوي من الامراض

الجليدية . وفي وسط ولاية الالاسكا بحيرة اغرب من هذه يكون سطح مائها حلواً وسمكها ابيض اللون اما الماء في داخلها فاملح من ماء البحر وتوجد فيه الاسماك التي لاتصاد الا من البحار . ومن البحيرات الصغرى في ولاية اوتاح ماتجد ماءه مركبًا من توابل مملحة متبلورة يمشي عليها الفارس ولا يسقط وفي ذاك الصقع ايضاً بحيرة لون مائها وردي وتنبعث منها رائحة بنفسج ولونها ورائحتها صادران من وجود الحث «نبات الماء» فيها و بالقرب من سانتافي في كولورادو بحيرة تحتوي كمية وافرة من الكبريت . ومثل ذلك تجده في كثير من اقطار الارض وهو ناشيء من نوع الحيوانات والنباتات التي تعيش في تلك البحيرات ومن طبيعة ارضها بركانية كانت او غيرها . قالت المجلة التي عربنا عنها وربما علل بذلك ماوجد في بحيرة اكتشفت حديثًا في آسيا من الغليان الدائم في مياهها بحيث لاتنزل حرارتها عن ١٢٠ درجة بالميزان المئوي

التمثيل في الخلاء

ضاقت في الغرب بيوت التمثيل فهرع الناس الى الخلاء يتخذون منه دوراً للتمثيل لاتضيق بالممثلين ولا بالحضور . وقد مثلت مدرسة هارفرد الجامعة في اميركا في المدة الاخيرة رواية جان دارك للفيلسوف الالماني شيلر فكان الممثلون الذين شخص والحضور خمسة عشر الفًا وهو اعظم اجتماع عَلَى مثل هذه الحال .

الجيش العامل

عَلَى الرغم من احتجاج الملوك ومعارضة دعاة السلم مابرحت اوربا تزيد في جيوشها العاملة حتى بلغ الجيش العامل اربعة ملايين وربعاً من اصل ٤٣٥ مليونًا من السكان اي عاملا واحداً يؤخذ من كل ثلاثين عاملا في اوربا ولالمانيا وحدها ٦٣٤ الفاً ولفرنسا زهاء ٦٠٠ الف وهكذا ازداد عدد هذه الجيوش زيادة كبرى فزادت اوربا جيشها العامل منذ سنة ١٨٦٩ ضعفي ماكان وكذلك نفقاته . وفي الاحصاآت الاخيرة ان اوربا تنفق عَلَى جيشها مسانهة ستة مليارات و٧٢٥ مليون فرنك في السنة

صفات السياسي

نشرت مجلة الاجتماع الدولية مقالة في الاخلاق التي يجب ان يكون عليها الساسة فما قالته ان الناس يزعمون بان احسن سياسي اكثرهم جربذة واحتيالاً وقد ابان استورنل كونستان فساد هذا الرأي مؤكداً بان الثقة والسلطة والاعتبار حليفة اهل الحشمة والوقار من الناس اما النجاح الموقت الذي يأتي به بعض الظرف فهو من شأن الساسة

السطحيين وولاة الشأن المخطين · فمن يجيد السلام يسلم عليه ولكن لا يعد شيئاً عند التحقيق · ومن النقائص المضرة جداً في السياسي ان يكون واسع الفكر ورديء النية فعليه اذا احب النجاح ان يتحامى ادهاش المجتمع بفضيلة · كما ان الواجب عليه ان لا يعيش عيش الفقراء بل ان يكون له مسكن في المدينة التي يقيم فيها وواحد في الضاحية وآخر في بلده الاصلي واحياناً مسكن في احدى الولايات والانفاق عَلَى اربعة بيوت يحتاج الى البذل كثيراً ولكن ذلك ضروري لمن يحب ان يقوم بوظيفته حق القيام عَلَى صورة محتشمة ·وختم الكاتب مقالته بان السياسة مثل سائر المسالك والاوضاع آخذة بالنشوء والابتعاد عن التقاليد القديمة من دس الدسائس واستعمال الشدة وغايتها الآن العمل لما فيه نشر السلام بين الانام

المعادن الشفافة

جربوا الذهب فظهر لهم انه من المعادن الشفافة ومن المحتمل ان يكون النحاس والفضة كذلك · واثبات ان هذه المعادن شفافة يحدث الواناً مدهشة وتغييراً في الصناعة

خفقان القلب

يختلف خفقان القلب في الحيوان باختلافه في الطول فكلما كان نوع الحيوان صغيراً زادت ضربات القلب فقلب الفيل يخفق ٣٠ مرة في الدقيقة والحصان ٤٠ والحمار ٥٠ والانسان ٧٠ والكلب ٩٠ والارنب من ١٥٠ الى ٢٠٠ والفأرة من ٥٠٠ الى ٦٠٠ · ولم تتيسر حتى الآن بالآلات الموجودة معرفة خفقان قلوب الحيوانات الصغيرة وغاية ماعرف ان الفأرة نفسها كلما كانت فتية زاد خفقان قلبها

جمعية الموسيقيين

تألفت في فرنسا جمعية مهمة لتجمع جميع الجمعيات الموسيقية في فرنسا عَلَى اختلاف مقاصدها في نقابة واحدة · ففي فرنسا الآن ١٢ الف جمعية موسيقية مؤلفة من ٣٠٠ الف انسان عَلَى الاقل فاذا دفع الواحد فرنكاً في السنة تيسر لهذه النقابة ان تعمل اعمالاً مهمة ومنها انشاء مكتبة موسيقية عامة

التمثيل في ايطاليا

الشعب الايطالي مولع من وراء الغاية بالتمثيل ولعه بالتصوير والنقش والموسيقى حتى بلغت دوره عندهم اكثر من جميع البلاد المتمدنة بالنسبة ففي ايطاليا ١٥١٧ مسرحاً اي مسرح واحد لكل ثلاثة وعشرين الف شخص ولولاية بروز المقام الاول حتى ان بليدة

صغيرة اسمها كامبوناكورد في البندقية سكانها ٣٥٠ شخصاً لها معهد تمثيل · ومعظم دور تمثيلهم تسمى باسماء اعاظم رجالهم ·

حوادث السكك الحديدية

على كثرة عناية الاميركان لاتقاء مايحدث عن السكك الحديدية من المكدرات تزداد حوادثها يوماً عن يوم وقد حسبوا انه هلك من وقائع السكك الحديدية منذ شهر حزيران ١٩٠٦ الى مثله من سنة ١٩٠٧ ١٢٢٨٨٥ اي اكثر مما هلك وجرح في معركة واترلو حيث بلغ مجموع من هلكوا ٥٣ الفاً وفي معركة موكدن حيث لم يتجاوز الهالكون مئة الف · وقد اخترعوا في روسيا طريقة سموها طريقة التجسس وهو ان يداهم المفتش وقاد القاطرة والميكانيكي وغيرهما من عملة القطار اثناء السير فاذا صادف خللاً او نقصاً يحكم على المتراخي في الحال · ويقضى على كل سائق ووقاد ان تفحص عيناه كل شهر فاذا شوهد فيها ادنى ضعف يمنع من الخدمة وقد جربوا هذه الطريقة في روسيا واميركا فظهرت لهم فوائدها ·

البريد الالماني

في احصاء رسمي لسنة ١٩٠٨ انه كان عدد الرسائل وغيرها التي مرّت بالبريد الالماني تلك السنة ١٤٠٥٧ مليوناً وكانت سنة ١٩٠٠ ٨٨٤٠ مليوناً وعدد مستخدمي البريد ١٩٤٢٥٦ سنة ١٩٠٠ فاصبحوا في سنة ١٩٠٨ ٢٨٨٧٢٥ وتجيء بعد سويسرا المانيا بجودة بريدها في حين كانت انكلترا الثانية منذ ثلاث سنين · ولكل ٨٢٥ نفساً في سويسرا مكتب بريد ولكل ١٤٩٥ نفساً في المانيا مكتب وفي انكلترا لكل ١٨٧٣ وفي البلجيك لكل ٥١١٩ وفي ايطاليا لكل ٣٩٤٠ وفي النمسا ٢٩٦٥ وفي فرنسا ٣٠٠٨ وفي اسبانيا ٤١٤٣ وفي روسيا لكل ١٠٣٦٥ وفي الدولة العثمانية لكل ١٨٣١٥

مدرسة الخلية

الخلية اوعش النحلة اسم وضعه احد مفكري رجال التربية في فرنسا المسيو سباستيان فور لمدرسة له اوجدها في مدينة رمبوليه من مقاطعة الواز في شمالي فرنسا لتربية اليتامى او الاطفال المهملين او ذوي الحاجة يختارون من ابناء السادسة ويعلمون الى الخامسة عشرة فيتلقى الطفل الى السنة الثانية عشرة التعليم الابتدائي وبعد ذلك يضاف اليه قسم فني فيتعلم الطالب حرفة فاذا بلغ الخامسة عشرة يخير بالخروج من المدرسة او ان

يعمل فيها عَلى ان يقسم ارباحه من صناعته ثلاثة اقسام ينفق الاول لطعامه ومسكنه والثاني يضاف الى رأس مال الخلية والثالث يودع له في صندوق التوفير لحاجته الذاتية والخلية الآن مكان لطيف فيه ٣٦ طالبا وأسرة المؤسس ١٤ يعيش هؤلاء الاربعون نسمة كأسرة واحدة ورأس مال هذه الخلية من ثمرة اعمال المؤسس وحسنات المحسنين وقد كانت نفقتها سنة ١٩٠٩ نحو عشرة آلاف ليرة ودخلها اقل من ذلك بقليل وقد اسست منذ سنة ١٩٠٦ وهي الى الآن تخسر ويسد العجز منه ويربي الطلبة عَلى التربية البدنية والتربية العقلية ولا يعلمهم الدين ولا التاريخ ليختاروا متى شبوا لانفسهم ديناً ومذهباً سياسياً لانه يقول ان التاريخ كما هو الآن لا يخلو من زيادات كثيرة فمن نصفهم بانهم عظماء كانوا في الحقيقة مجرمين اشراراً ولذلك يكتفي بتلقينهم تاريخ الحضارة والمدنية اذ يلقنهم بذلك حقائق راهنة لا يتطرق اليها الفساد

اكتناء عرب الشام

كتب الامير شكيب ارسلان في النبراس فصلاً قال فيه تحت العنوان السالف ما يأتي : انه لمعلوم ان لكل مبارزٍ شعاراً ينادي به في ميدان الحرب ، وهذا هو المسمى عند الماضين بالاكتناء وعند المعاصرين « بالنخوة » ، وهي في اللغة العظمة والفخر : يقولون انتخى عليه افتخر وتعظم . وحيث كان المنتخي اكثر ما ينتخي عَلى طريق الكنية كأن يقول : « انا ابو فلان او اخو فلانة » جعل هذا المذهب من الفخر في ساحة القتال اكتناء وسمي هذا الاكتناء انتخاء . ومنه قول الامام علي رضي الله عنه : « انا ابو حسن القرم » ومنه : « انا الغلام الفزاري » . وقد ورد في الحديث : « رأيت دعلجًا في القادسية وقد تكنى وتحجى » والتكني هو هذا والتحجي هو الزمزمة عَلى عادة الفرس .

ولا ينحصر الاكتناء المقصود هنا بذكر الاب والام بل هو تعريف الفارس بنفسه في ساحة الوغى بلقب من الالقاب او وصف من الاوصاف يصير عليه علماً . فالشعلان وهم شيوخ الرُّولا من عنزة من اعاظم العشائر الضاربة في بادية الشام ينتخي واحدهم بقوله « انا راعي العليا » ومتى قيل « رعاة العليا » عُلم انهم الشعلان عند كل العرب . ولهم نخوة اخرى وهي « اخوصيته » ولا ادري ما اصل هذه التكنية ولكن الصيتة في اللغة هي بمعنى الصيت ومنه قول لبيد :

وكم مشترٍ من ماله حسن صيتةٍ لآبائه في كل مبدٍ ومحضرِ

ثم ان ابن سمير شيخ ولد علي فخذ آخر من عنزة يتكنى بقوله « اخو عذرا » وعذرا هذه

قرية في مرج راهط شرقي دومة الشام كان لابناء سمير عليها اتاوة سنوية او عَلَى رأيهم « خوة » فتكنوا بها فكان قولهم « اخو عذرا » يشير الى ان قرية عذرا تؤدي لهم « الخوة » .

ثم ان ابن الطيار شيخ الفرقة الثانية من ولد علي يكتني « باخي ثنية » ولا اعلم اذا كانوا يريدون بهذه الثنية المحل المسمى بثنية العقاب الواقع الى الشرق من عذرا والذي هو المطلع من المرج الى جبل القلمون .

ثم السردية وهم من العرب المعروفين في بلادنا باهل الشمال ولهم قدمة في حوران وامارة في الايام السابقة ويزعم بعضهم انهم بطن من تنوخ فهؤلاء ينتخون بقولهم « اخو ذيبة »

ثم بنو صخر النازلون شرقي البلقاء عَلَى طريق الحاج وهم فرقتان الطوقة والخرشان .

فالطوقة ثلاث فرق : الغبين وشيوخهم الفايز وهم شيوخ سائر بني صخر ايضاً ومنهم المرحوم طلال باشا ابن فندي الفايز والحامد والزين . فالفايز كنيتهم في الحرب « اخو بلها » والحامد يقولون « اخو عمشاء » والزين « اخو وضحا » . واما الخرشان احدى فرقتي بني صخر فيقولون « اخو فلوا » والبلهاء في اللغة هي المرأة الكريمة الغريرة التي لا تعلم الشر ، وورد ايضاً انها الناقة : قالوا ناقة بلهاء لا تتحاش من شيء مكانةً ورزانةً كأنها حمقاء . ولم اعلم سبب قولهم « اخو بلها » . اما « العمشاء » فهي مؤنث الاعمش من العمش وهو ضعف البصر مع سيلان الدمع . ولم ارَ في فصيح اللغة « الفلواء » وانما قيل ان الفلو وهو المهر يقال له فلوّ بالتشديد ثم يؤنث فيقال فلوة مثل عدو عدوة فهل ذلك تحريف ام تخفيف ؟ لا اعلم . وجميع بني صخر يقال لهم البواسل وهو لقب يجمعهم فاذا قيل جاء البواسل فهمَ العرب من ذلك انهم بنو صخر ومعناه مفهوم . ولهم لقب آخر وهو « رعاة العرفاء » والعرفاء مؤنث الاعرف وهو الطويل الذي له عَرْف : يقال ناقة عرفاء اي مشرفة السنام . و يقال ايضاً ناقة عرفاء اي مذكرة تشبه الجمال ، ويقال ايضاً عرفاء للضبع لطول عرفها وكثرة شعرها وقد وردت العرفاء في شعر الشنفرى قال :

ولي دونكم اهلون سيد عملّسٌ وارقط زهلولٌ وعرفاء جيألُ

ثم ان العدوان وهم عشيرة ينزلون منذ نحو مائتي سنة بالبلقاء يشتون في الغور ويقيظون في حسبان يكتنون « باخوة شيخة » . ومن الريب ان هذه الكنية في الحرب كنية المشايخ العوامرة من رؤساء الدروز في جبل حوران . عَلَى ان للعدوان ايضاً لقباً آخر وهو « رعاة الضبطاء » . اخبرني شيخهم وشيخ مشايخ البلقاء في هذا العهد وهو سلطان

ابن علي بن ذياب ان الضبطاء اسم ناقة غنموها في حربهم مع الامراء آل مهدي الذين كانوا في البلقاء قديماً وكانوا امراء تلك الجهة وزحزحهم العدوان عنها بعد حرب عوان وان آل مهدي كانوا قد حملوا على تلك الناقة اوقار كنوزهم من الحلي والذهب والفضة فهزمهم آل عدوان وغنموا الناقة بما عليها وتقاسموا فيما بينهم تلك الاموال فكانت بدء سعادتهم وحق لهم ان ينتسبوا الى ناقة حملت سعدهم فوق متنها . واما الضبطاء في اللغة فهي مؤنث الاضبط والاضبط هو الذي يعمل بكلتا يديه : يقال اسد اضبط اي يعمل بيساره كعمله بيمينه، وناقة ضبطاء ولبوة ضبطاء . قال الجميح الاسدي :

اما اذا أحردت حردي فمجرية ضبطاء تسكن غيلاً غير مقروب

ثم عشيرة عباد من نزالة البلقاء ايضاً وهم يناظرون العدوان يقال لهم « الطرائفة » فتسمعهم في الهيجاء يصيحون « اين ذهب الطرائفة ؟ اين ذهب الطرائفة؟ » وهم فرق ست منهم المناصير « اخوة عوجاء » ومنهم الختالين (بدون تشديد) ومنهم الفقهاء ومنهم الرماضنة ومنهم غير ذلك . والطرائفة اسم جامع للكل

ثم الحويطات النازلون باطراف معان والعقبة على طريق الحاج هؤلاء يقال لهم «اخوة صالحة » وينتخون في الحرب بكلمة « خيالة الصفحة » . سمعت انهم يعنون بذلك محلاً صعباً وعراً كثير الحجارة في بلادهم وفي اللغة الصفائح هي بهذا المعنى

ثم العجارمة وهم من عشائر البلقاء ايضاً ولهم قدمة في التاريخ رأيت السائح ابن بطوطة في رحلته يشير اليهم اذ مرّ من هناك قاصداً الى الحجاز هؤلاء كنيتهم « صبيان الصباح » ولا اعلم الاصل في ذلك . وعشيرة ابي الغنم جيرانهم يقال لهم « اخوة دلعب » ولا اعلم وجه هذه التسمية ولم ارَ في الفصيح « دلعباً » فلعله مقلوب دعلب اودعبل فان الدعلبة والدعبل هما بمعنى الناقة .

وبنو حميدة من عرب الكرك « صبيان السياح » والمجالية شيوخ عرب الكرك الذين منهم مبعوث ذلك اللواء في مجلس الامة هؤلاء كنيتهم « اخوة خضرا »

والصايت من عرب الكرك ايضاً يقال لهم « رعاة الحيزا » ولا اعلم للحيزا معنى الا ان كان من الحيز وهو السير الرويد والسوق اللين : يقال حاز الناقة يحيزها اي سار بها برفق

وللفريحات من عرب عجلون كنية هي « اخوة شيرة » ولعل « شيرة » مخفف « شيّرة » اي جميلة لانه يقال امرأة شيرة اي حسنة الشارة

والصقر من عرب غور بيسان يقال لهم « رعاة الجدعا » والجدعاء من الجدع وهو القطع

واكثر ما يستعمل في الانف والشفة والاذن وقد رأيت في لسان العرب « بنو جدعاء » بطن من العرب ٠

ثم المساعيد النازلون بغور الفارعة في عدوة الاردن الى الغرب على طريق نابلس اميرهم ضامن المسعودي لهذا العهد يقال لهم « بنو عقبة » وبلغني انهم في الاصل اشراف واردون من الحجاز

والسرحان من العرب التي يقال لها عرب الشمال اسمهم « رعاة البويضا » ٠ والكعيبر اسمهم « رعاة الصفرا » والدعجه من عرب مادبة يقال لهم « اخوة خشفة » ٠ والمشالخة من عرب غور ابي عبيدة (رضي الله عنه) منهم الربيع « اخوة عمشيا » والفاعور « اخوة صبحا » والشرارات وهم من عرب البادية الضاربة الى الجوف يقال لهم الآن « بنو مكلب » واظن انهم هم بنو كلب لان التاريخ ذكر نزول كلب باطراف البلقاء من الشام ٠

ومن جملة الكنى المشهورة في حوران « اخوة باجاء » وهي كنية بني الاطرش اشهر مشايخ الدروز بذلك الجبل ٠ ولا ادعي انني اتيت على جميع ما للعرب الشام من اصطلاحات النخوة والكنية واللقب اذ بقي هناك قبائل و بطون وافخاذ لا يكاد يأخذها العدد ولكل منها كنية ومعرفة تتعرف بها وانما نتبع القول السائر : « ما لا يدرك كله لا يترك كله » ٠

هلكى السل

ثبت ان الالكحول هي الباعث الاقوى للسل وانه حيثما كثرت الحانات زادت الاصابات والوفيات بهذا الداء العياء ٠ واذ كان في فرنسا مثلاً نحو نصف مليون حانة يصيب كل ثمانين انساناً من اهلها حانة واحدة وفي بلاد الشمال يصيب كل ٥٣ شخصاً حانة اصبح السل فيها اكثر انتشاراً من غيرها ٠ وقد اكدوا ان بلاد نروج توصلت بالقواعد الصحية ومراقبة التلامذة والاساتذة في المدارس التي هي بؤرة العدوى الى ان قلّ فيها عدد المصابين بالسل وفي احصاء ظهر منذ خمس سنين ان فرنسا يهلك فيها ٣١ نسمة من كل عشرة آلاف بهذا الداء وايرلاندا ٢٦ وابكوسيا ٢٠ والمانيا ١٧ وايطاليا ١٦ وانكلترا ١٦

التنزيه في الفرصة

بدأت الشركات في سويسرا منذ عشرات من السنين بجلب الاولاد من بلادها وغيرها وتنزيههم مدة الفرصة فجرت على اثرها شركات اخرى في اكثر ممالك اوربا حتى بلغ عدد من تنزههم الشركات من التلامذة في المانيا ٣٥ الفاً في السنة وفي انكلترا

٣٠ الفاً وفي فرنسا ٥٠٢ الفاً ومن التلامذة من يرسلون تحت حماية معلميهم الى نزل للشركة ومنهم من تكتري لهم دوراً خاصة وفريق منهم تبتاع او تبني لهم دوراً من ارض لها لينزلوها خلال فصل الصيف

الاستشفاء في الشمس

كتب الدكتور تريمولير في مجلة مطالاتنا في البيوت مامثاله معرباً : جاءت الشهور التي يستشفى بها بالشمس العجيبة فلنفتح لها ابوابنا ونوافذنا ولا يكفي تسخين المساكن باشعتها وانارة زواياها بحرارتها فان الشمس في تلك الحال لاتزيد الجراثيم التي تنمو في الرطوبة والظلمة الا نضوجاً ولا يقتصر على الاستحمام بنورها المحرق الذهب خلال الارتياض والخروج للنزهة بل الواجب ادخال اشعتها الى جسمنا وهو عريان لتطهر اشعتها جثماننا وتحيي انسجتنا وتحول المادة الحية المكتئبة الى مواد حيوية طاهرة تحوي في مطاويها النشاط والقوة ·

فقد اوصى اسكولاب المشهور في الاساطير القديمة الذي احترم الاطباء في كل عصر اقواله -- كل من ضعفت وظائفهم ان يعيشوا عراة في الشمس بوقاية رؤوسهم من ضربات الشمس · وكان الرومان يقتطعون من مساكنهم اومدنهم اماكن يخصصونها بحمامات الشمس والهواء الطلق يدعونها سولاريوم وبذلك حسن نسل اليونان واللاتين · قصد الاسكندر الكبير ديوجنس الكلبي ذات يوم وهو خارج من برميله يستحم على مهل بنور الشمس فسأله الملك اي غرض تريد ان اقضيه يافيلسوف فاجابه هذا اريد ان تبتعد عن طريق شمسي

وقد اتفق الاطباء في عصرنا على هذه المسألة وجاءت من كل مكان اخبار فوائد اشعة الشمس · وحدث ان رجلاً كان مصاباً بخراجين نغارين من الخنازير فعرض احدهما للشمس فشفي اما الثاني فلما لم يحرن مداواته باشعة الشمس بقيت بحالها تنز · وهكذا الحال في كثير من الرضوض والقروح السلية والنواسير والبثور وجروح الجلد فانها كلها تتحول بتأثير المداواة بالشمس ·

واشعة الشمس لا تؤثر فقط في ظاهر الجلد بل تخترق البشرة والادمة (الطبقة الغائرة من الجلد) وتسري الى الداخل وتعدل الحواس الداخلية فالحرارة المنبعثة منها تجلب التعريق فتلين الاعصاب وترخص المفاصل و يزول الشعور بالملل والثقل بتأثير الاشعة ومايتبعها من ارتفاع درجة الحرارة ويحسن الهضم شيئاً فشيئاً و يسكن القلق والاضطراب

الحادثات من اوجاع مجهولة · و يرتفع التأثر الشديد الناشئ من وجع الكلي والرحم والمبيض والآلام العصبية ووجع الاضلاع او يقل تناوبه على المصاب به فتنبسط نفسه وترتاح روحه وتتعدل حالة البول بادراره تارة وتجمعه اخرى وتحسن موازنة الوظائف المديدة في تركيب الانسان وأكسل الاحشاء التي تقاوم كل تأثير تنتهي بها الحال الى الخروج عن ضعفها · ويقف السمن عن النمو او يرجع القهقرى وذلك بدون عقاقير ولا تعاطي ادوية ولا حاجة للوصول الى هذه الغاية الى اكثر من الشمس على طريقة منظمة بتوجيه الاشعة الى البطن السمين والعنق والخاصرة حتى تعود الى اعتدالها وحالتها الطبيعية و بعد المداواة بالشمس اشهراً يعود الصدر الى سالف طبيعته ·

وان الحركات الرياضية التنفسية اللازمة للبالغين ممن ضاقت صدورهم ولكل من لهم استعداد للسل انتقضي بان يعري المرء نصفه الفوقي ويعرضه للشمس وهذه المداواة تنفع جميع الضعفاء والهزالى والمنهوكين والمتعبين · واكثر المستشفين انتفاعاً باشعة الشمس من اسودت بشرتهم فاذا لم يكتب لهم ذلك فالواجب ان يعمدوا الى طريق آخر في الاستشفاء · ويجب ان يعرض الجزء اللازم شفاؤه للشمس مباشرة بدون حاجز اللهم الا سجف يقي الجسم من النظر وهبوب الهواء فلا يحم المستحم على هذه الصورة ولذلك رأى بعضهم ان خير استشفاء ما يكون في الشتاء ورأى آخرون ان الواجب الاحتياط ووضع رفادات ندية او مثلجة على الرأس والنقرة والقلب ولذلك يجب مراجعة الطبيب

السجناء

مابرح الناس في الغرب يسعون الى تخفيف عذاب السجون والرفق بالسجناء حتى اصبح السجن بهيجاً كالمعمل او الثكنة بل ان بعض السجناء قال لمفتش احد السجون انهم لا يعطوننا خبزاً مثل خبز الجند كأنه ظن نفسه ارقى منهم طبقة ويحق له ان يطالب باكثر مما نال فليس عجيباً من ثم ان تزيد الجرائم · واختلف الباحثون في الجرائم والعقوبات فمنهم من رأى الاستعاضة عن الحبس بغرامة مالية ولكن ما كل الناس في سعة يستطيعون معها بذل المال وقال آخر يجب تشهير الجاني بالاعلانات ورد عليه غيره بان ذلك مناط بعقل المجرم · وذهب آخرون الى وضع المجرمين في بيوت اهلها من اهل العرض والشرف ثم عاد عن هذا الفكر وارتضاه فقط لصغار الاولاد · واحسن السجون سجن لوفن في البلجيك حيث يفصل المحكوم عليهم عن اخوانهم ويزورهم اناس من ارباب الشرف والحشمة يسلونهم ويعطونهم عملا ويستمعون لمطالبهم و ينصحون لهم سراً بنصائح صالحة

وقد ارتأى احد العلماء ان المحكوم عليه يجب ان يفصل ما امكن عن اقرانه و يكون قريباً ماامكن من المجتمع

شركات المطاط

كان يستخرج المطاط الى العهد الاخير من اشجار برية مرشة اسمها « ليان » ثم اصبحوا يغرسون شجره و يزرعونها فصارت غلاته على طريقة منظمة واجود واغزر من قبل وانتشرت هذه الزراعة في المستعمرات الانكليزية فأنشئت سنة ١٩٠٩ — ٨٩ شركة انكليزية برأس مال قدره عشرة ملايين جنيه كما أنشئ من اول كانون الثاني ١٩١٠ الى ١ آذار ٥٤ شركة جديدة اخرى رأس مالها خمسة ملايين ونصف من الجنيهات وكل يوم تنشأ شركات جديدة وقد كانت رؤوس الاموال الموضوعة سنة ١٩٠٦ امليونين ونصفاً من الجنيهات فاصبحت اليوم ثلاثين مليوناً واهم تلك الشركات تملك ٢٠٧٠٠٠٠٠ شجرة يستخرج منها المطاط

مدرسة التربية

يذهب كثير من الباحثين الى ان المدرسة اذا علمت الاولاد قليلاً اوكثيراً فهي لا تربيهم وقد كتب احد علماء الطليان بحثاً في هذا الشأن قال فيه ان المدارس تفرط في تدريس التعليم المسيحي على حين ليس هو نافعاً في تربية اخلاق الاولاد وذلك لانهم لايفهمون منه شيئاً فالواجب ان يعمد الى تربية الطفل على العمل حتى تصبح المدرسة مربية حقيقة فان ساعتين تكفيانه في اليوم لتعليم اللغات والمعارف الابتدائية فينبغي تخصيص بقية الوقت اي ساعتين او ثلاثاً للاعمال اليدوية بحسب ميل الطفل وذوقه لان الاستعداد للعمل امتن اساس في الاخلاق وبذلك لاتكون المدرسة سجن الطفل تتبرم نفسه من الجلوس على دكات المدارس خمساً او ست ساعات في اليوم وتضطرهم المدرسة الى حضور التعليم الديني بلا فهم والفطرة تدعوهم الى الحياة العملية التي تهيئ مستقبلهم في المجتمع ·

سماد الفوسفات

انتشرت صناعة السماد الكيماوي ولاسيما الفوسفات فقد ظهر هذا السماد لاول مرة سنة ١٨٦٧ في كاروليں ثم جاء سماد البلجيك والجزائر وتونس وجزائر المحيط وفلوريدا وغيرها وكان المستخرج منه سنة ١٨٨٦ ثمانمائة الف طن فاصبح هذه السنة خمسة ملايين طن والولايات المتحدة اكثر الممالك اخراجاً للفوسفات اي نصف مايستخرج من آسيا

واوربا وافريقية وزاد المصروف من هذا السماد ٧٩ مرة خلال العشر السنين الاخيرة ·

القرى والمدن الانكلوسكسونية

قابل احدهم بين نمو المدن في انكلترا ونموها في المانيا فقال ان الالمان اشد ميلاً الى سكنى المدن من الانكليز في حين بدأ الانكليز بالتحضر في المدن قبل الالمان بكثير فقد كان ٥ في المئة من سكان المملكة الجرمانية سنة ١٨٧١ يعيشون في المدن التي تضم كل واحدة منها بين جوانحها مئة الف نسمة فبلغ عدد ساكني المدن ١٩ في المئة من مجموع السكان سنة ١٩٠٥ وكان عدد المدن التي تحوي كل منها مئة الف نسمة ١٤ مدينة في انكلترا سنة ١٨٧١ فيها ٦،٢٥٠،٠٠٠ ساكن او ٢٧ ونصف في المئة من مجموع السكان فاصبحت سنة ١٩٠١ ٣٣ مدينة كبرى تحتوي كل واحدة منها على مئة الف نسمة ومجموع سكانها ١١،٥٠٠،٠٠٠ فزاد سكان المدن ضعفين خلال هذه المدة في انكلترا وزادت في المانيا ثلاثة اضعاف · والسبب في نمو المدن الالمانية كثرة اراضي المانيا وكثرة الولادات بل هجرة الناس من القرى ومعظم سكان المدن الحديثة هم شبان تختلف سنهم بين ٢٠ الى ٤٥ سنة ·

عملة الطليان

يبلغ عدد العاملين في ايطاليا ٧،٧٨٧،١٦٦ عاملاً منهم ثلاثة ملايين و ١٢٩،٥٠٠ يعملون في الصناعات و ٤٦٧،٦٦٦ في الزراعة وقد انشأ الراقون من العملة مؤتمراً للاتحاد بينهم منذ اربع سنين فبلغ عدد الداخلين فيه الى هذه السنة زهاء ثلثمائة الف وغايتهم ان تكون حركة طبقة المساكين تحت ادارتهم مباشرة وان يساعدوا على تأسيس غرف للعمل والاتحاد الوطني وينشطوا على وضع القوانين الاجتماعية النافعة للعاملين فخطتهم اصلاحية سلمية

التعليم الحديث في الصين

اخذت الصين منذ سنة ١٩٠٠ تعنى كل العناية باصلاح التعليم في الصين فنظمت كلية بكين وقسمتها الى ثمانية اقسام ثم أسست مدرسة للغات الغربية وفي سنة ١٩٠٣ وضعت مشروع قانون لجعل التعليم عصرياً محضاً فاخذ الطالب يشرع في الدرس في السنة السادسة ولا يخرج من المدرسة الثانوية الا في سن العشرين و بعد ذلك يتمرن ثلاث سنين في المدرسة العليا في عواصم الولايات قبل ان يخصي في مدرسة بكين في

علم واحد وهذه المدرسة تعد رجالاً اكفاء لستة واربعين مسلكاً . ويصرفون جزءاً مهماً من الوقت في المدرسة الابتدائية لتعلم اللغة الصينية وقراءة كتب الاقدمين من كتاب الصين اما في المدارس الاخرى فيدرسون العلم واللغات الحية خاصة وهذه اللغات تعلم على الترتيب الآتي : اللغة الانكليزية اللغة اليابانية اللغة الفرنسوية اللغة الالمانية اللغة الروسية . والتلامذة انفسهم يلاحظون في كل مدرسة امر مدرستهم ولهم حق الاشراف عليها . ولم تكد تنشر اللوائح الجديدة في التعليم حتى وضعت موضع العمل وقام الصينيون كلهم يطلبون انشاء مدارس لهم وقد فتحت في ولاية بتشيلي وحدها ثلاثة آلاف مدرسة في آن واحد وحوات كثيراً من المعابد البوذية الى مدارس للتعليم على الاصول الحديثة وقد اعوزهم المعلمون اولاً حتى اصبحوا يقبلون التعليم بعض من لا يحسنونه الا ان الصين لم تلبث ان بعثت الى يابان سنة ١٩٠٤ بالفي طالب يتعلمون في مدارسها العالية وزاد عددهم حتى بلغوا سنة ١٩٠٦ عشرة آلاف طالب وكل من يعود منهم توسد اليه الوظائف السامية في التدريس وغيره (عن مجلة العالمين الفرنسوية)

التعليم في المانيا

لاشيء ادل على ارتقاء التعلم الابتدائي في المانيا من قلة عدد الاميين بين الجند من ابنائها فقد كان عند المانيا سنة ١٨٨٧ — ١٠٢٥٠ جندياً أمياً من الجنود الذين كانوا تحت السلاح فاصبحوا سنة ١٨٩٧ مائتين وقد بلغوا هذه السنة اثنين في المئة من مجموع المجندين واكثر هؤلاء الجنود الأميين هم من البولونيين في بروسيا الشرقية اما عدد الاميين في فرنسا في السنة الماضية فقد بلغ ٩٨٢٥ من الجند ومعظم الدول تعلم جندها الأميين القراءة والكتابة بحيث لا يقضي الجند في الخدمة العسكرية الا وقد تعلم الكتابة كما تعلم الرماية

المطبوعات الاميركية

نشر احصاء بحركة العلم والمطبوعات في الولايات المتحدة خلال السنة الماضية فشوهد ان القوم اخذوا يزهدون في قراءة القصص ويرغبون في تناول كتب الجد واصبحت كتب الآداب في الدرجة الاولى من العناية بعد ان كانت في الدرجة الخامسة . وقلت العناية بكتب الدين واللاهوت كما زادت في سائر فروع العلم مثل الفنون النافعة والجغرافيا وكتب الرحلات والسياسة والعلوم الاجتماعية والتربية . وقد طبع سنة ١٩٠٩ في هذه البلاد ٨٣٠٨ كتب لمؤلف اميركي وكان عددهم في السنة التي قبلها ٦٣٤٩

وطبع ٨٢٨ كتاباً لمؤلف انكليزي او اجنبي وكان عدد هذه الفئة في السنة التي قبلها ١١٤٥ ·

اللغة الروسية

كانت اللغة الفرنسوية في روسيا منذ مئة سنة لغة الطبقة العالية والمجتمعات المنورة وما برح الروسيون يعملون عَلَى تحسين لغتهم ويحببونها الى النفوس عَلَى كثرة شذوذها ويرققونها عَلَى غلظتها حتى نشروا اعلامها لا في بلادهم فقط بل في اوربا ووصلوا بها الى اميركا ففي نيويورك وحدها حيٌّ للروس يبلغ المتكلمون بلغتهم ١٦٠ الفاً هذا واللغة الروسية على مافيها من الآداب منذ عهد بوشكين شاعر الروس الاول الى عهد تولستوي آخر ائمة النثر عندهم لم تبرح عَلَى جفائها الاول وان تسربت اليها الفاظ كثيرة من اللغات المجاورة ولا سيما من الالمانية ·

اميركا الاسرائيلية

في احدى المجلات الافرنجية ان اميركا هي بلاد الاسرائيليين لو رجعنا الى ماقاله بعض المؤرخين والاحصائيين · فقد دخل الاسرائيليون اميركا منذ اكتشافها وسهل علماء اسرائيل في البرتقال باعمالهم الرياضية والفلكية الطريق لسفر خريستوف كولمبس الى اميركا بل ان مال اليهود هو الذي يسر له رحلته وكان معه في السفينة لويز دي تور الاسرائيلي وهو اول من داس الارض الاميركية واخذ المهاجرة من الاسرائيليين منذ افتتاح تلك البلاد يأتونها زمراً زمراً فاليهود هم الذين استعمروا سان تومه حيث أسسوا معامل السكر وبهم نجحت برازيل الى ان طردوا منها سنة ١٦٥٤ وجزائر باربادا وجامايك ارتقت بواسطة الاسرائيليين وقد صرح احد حكام الانكليز ان الاسرائيليين هم احسن رعايا عظمة الملك · وما كانت الولايات المتحدة لتدخل في طور الفلاح لولا العنصر اليهودي فيها · وقد قال الرئيس روزفلت يوم عيد الـ ٢٥٠ لهجرة الاسرائيليين ان هؤلاء القوم قد شاركوا في عمران هذه البلاد ونشأتها · وقال الرئيس كلفلند لم يؤثر احد كاليهود في تأسيس معالم الحضارة الاميركية اليوم ·

الرياضات اليابانية

يقول اليابانيون ان اجسام بنيهم اخذت بالضعف منذ تخلي الناس في يابان عن الارتياض واللعب عَلَى طريقتهم القديمة عَلَى خلاف مايظن الاوربيون فان كثرة المواصلات بالترامواي والسكك الحديدية قللت السير عَلَى الاقدام والمشي من انفع

الرياضات كالسباحة وقد نصحوا بان الواجب عَلَى كل ياباني ان يحسن العوم و يتعلمه مكرهًا في المدارس وعَلَى الناس ان يرجعوا من تلقاء انفسهم الى تعاطي اللعب والرياضات والمشي فليس ادل عَلَى ضعف البنية اليابانية اكثر من ان حكومة الميكادو اخرت ١٧٨ الفًا من الجند او اعفتهم من الخدمة من اصل ٤١٤ الفًا لضعف بنيتهم ولانهم لم يستوفوا الشروط المطلوبة للخدمة العسكرية ٠

خريطة العالم

دعا المؤتمر الجغرافي في جنيف سنة ١٩٠٨ مؤتمراً دوليًا للتعاون على وضع خريطة للعالم من مقياس مليون فاجتمع المؤتمر في لندرا وقرر ان ترسم انكلترا معالم افريقية ومجاهلها وترسم الولايات المتحدة معالم اميركا الشمالية والجنوبية والمانيا ترسم آسيا وستكون هذه الخريطة اصح مصوَّر للاقاليم والبلدان تنفق عليه النفقات العظيمة ٠

محصول الحنطة

ذكر احد كبار الاحصائيين الاقتصاديين منذ عشر سنين انه سيجيء وقت ليس ببعيد يظهر عجز كبير في محصول القمح فلا يعود يكفي الناس لانهم في ازدياد كل يوم والمحصول لا يزيد على نسبتهم فقد ابان بعضهم بان محصول الحنطة في العالم سنة ١٩٠٥—١٩٠٦ كان ٢٣٧٥٨٦١٩٢ هكتولترًا (الهكتولتر مئة لتر) وما صرف منها ٢٢٩٧٧٣٧٣٠ فبلغت الزيادة ٧٨١٢٤٦٢ هكتولتراً وبلغ المحصول في العالم سنة ١٩٠٧—١٩٠٨ ٢٠٠٩٧٣٦٤٣٠ والمصروف ٢٣٣٥٨٥٩٠٠ اي بعجز ٣٢٠٨٤٩٤٧٠ ولا يتأتى سد هذا العجز الا بخزن القمح وخزنه لا يتيسر عَلَى ماينبغي والمستقبل لايخلو من خطر عَلَى غذاء البشر ٠ وقد عاد الاقتصاديون فبحثوا عن الاراضي التي تزرع قمحًا فاثبتوا بالارقام ان كثيراً من الاصقاع في اميركا وآسيا آخذة بالنمو العجيب في زراعة الحنطة وانه يمضي الجيل اثر الجيل والقرن بعد القرن والحنطة تكفي البشر وانه اذا كانت بعض المطاحن والمخابز وقفت عن الطحن والعجن والخبز ولا سيما في العواصم الاميركية والانكليزية فذلك ناشئ من مضاربة تجار الحنطة لا من قلة المحصول ٠

الصحافة في سويسرا

ظهر تقويم الصحافة السويسرية لهذه السنة فتبين منه ان سويسرا عَلَى قلة سكانها اكثر البلاد الراقية بصحفها ومجلاتها ففيها ٢٦٢ جريدة سياسية واخبارية تصدر باللغة

الالمانية و١٠١ باللغة الفرنسوية و٢١ باللغة الايطالية و٣ بلغة الرومانش (الرومانش من شعوب سويسرا الشرقية ينزلون اليوم في كريزون ولغتهم مشتقة من اللغة اللاتينية) وعندهم اربع مجلات فلسفية مهمة و٤٠ مجلة فرنسوية برتستانتية و٣٧ المانية و٢٧ جريدة كاثوليكية و١٠ جرائد للمرسلين ومجلتان اسرائيليتان وثلاث مجلات لاتقول بدين هذا عدا الجرائد الرسمية التي تصدر في المقاطعات والمجلات الحقوقية والاقتصادية والاجتماعية والفقهية ومجلات الضمان والنساء والفلسفة والعلوم والصناعات النفيسة والرياضات والآداب فيكون مجموعها ٧٦٦ مجلة وجريدة فحيا الله بلاد العلم والعمل ·

منع التقبيل

اشتدت ولاية ايوا في الولايات المتحدة اكثر من غيرها من اصقاع الارض في منع التقبيل وقد صنعت الوفا من الشريط الابيض والوردي كتبت عليه « لا تقبل » ووزعت مجاناً على تلامذة المدارس واخذت ادارة الصحة تبعث باطبائها الى البلاد يخطبون القوم في مضار التقبيل واساتذة المدارس يساعدونهم بما يبثونه من النصائح للتلامذة والطلبة

حماية الجمال الطبيعي

في المانيا عدة جمعيات اخذت على نفسها حماية الجمال الطبيعي في اصقاعها البهجة وهي تبذل كل مرتخص وغال لحماية المصانع القديمة من سوء ينزل بها ومنذ عشر سنين مابرحت المؤتمرات لهذه الغاية تنعقد وتتوالى ومن هذه الجمعيات ما يبلغ ايراده مئة الف فرنك في السنة تصرفها في هذا السبيل

الحمة

هي تلك الاراضي الفسيحة الواقعة في وادي اليرموك الجميل على الخط الحجازي الآتي من طريق حيفا في الكيلومترو ٩٣ و٩٥ الذي يشقه نهر الشريعة الشهير على جنوبي جبال مكيس ذات الآثار الجليلة المعروفة قديماً بمدينة (جدره) وفي الحمة ينبع ثلاثة ينابيع معدنية حارة تنبجس بغزارة وتجري حتى تنصب في نهر الشريعة على بعد قليل ويبعد النبع عن الآخر بضع دقائق يدعى احدها « المقلي » « اوحمام سليم » ودرجة حرارته ١١٩ والآخران (حمام الجرب)وحرارته ١٠٨ وحمام « الريح » وحرارته ٨٢ بميزان فارنهيت ويلحق بهذه الحمامات ثمانمائة دونم كلها صالحة للزراعة ذات خصب وثراء وقد عرف الاقدمون مكانة هذه الينابيع فعمروها على احسن طرز من البناء الروماني

الضخم الجميل يدلنا عَلَى ذلك ماخلفوه لنا من الآثار الجليلة والابنية الدائرة الفخمة التي تخاطبنا بافصح لسان بما كانت عليه من الجلال والمنعة ابان مجد الرومانيين الدابر منها آثار تياترو من الحجر الصلد الاسود عَلَى غاية الرونق والاتقان

وقد جرى تحليل هذه المياه في ادوار مختلفة لمعرفة خصائصها ومنافعها في الاستشفاء والمعالجة فافصحت التجارب عن حقائق ذات شأن كبير منها شفاء اوجاع المفاصل المعروفة بالروماتيزم عَلَى انواعها عضلية اومفصلية وامراض الجلد والقروح حادة اومزمنة والرمل الكلوي وامراض المعدة والكبد والامراض الزهرية والامراض المانعة للحبل والتوليد وغير ذلك وفيها ايضاً نبع غزير بارد له خاصية شفاء الاسهال اذا شرب منه المصاب ولهذه الحمامات شأن في كثير من جهات البلاد المجاورة لذلك يقصدها الكثيرون يستشفون بها ويمتعون البصر بمناظرها الطبيعية الجميلة بين ماء وكلاء وجبال شماء واودية غناء ولاابالغ اذا قلت ان معدل قاصديها في شهر نيسان لا يقل عن عشرين الفاً يقيمون اياماً تحت حر الشمس وهبوب الريح لابيت يؤويهم ولا نزل يكنهم فان كان قاصدوها يبلغون هذا العدد وهي قفراء خربة في شهر واحد فكم يكون عددهم لو تهيأت لهم حمامات منتظمة وابنية وفنادق ومابه يستتب لهم الراحة فيه أأبالغ اذا قلت انهم يزيدون عن المائتي الف؟

وقولي هذا يقوله الوف غيري ويضيق بي المقام لو قصدت الاستفاضة في وصف ماتجتنيه شركة مساهمة من الارباح ومايحوزه الوطن من الفوائد المادية والمعنوية والشركة تحتاج الى خمسين الف ليرة منها خمسة واربعون الف ليرة للابنية من حمامات ونزل ومستشفيات وخمسة آلاف ليرة لاصلاح الاراضي المجاورة ونصب اشجار مثمرة من ليمون وبرتقال وغيره وحدث عن خصب هذه الاراضي ولاحرج فان شجرة البامبا بلغت مترين فكم تكون غلة الاشجار المثمرة وكم يكون نموها عجيباً وكم من الارباح والفوائد التي تستغلها الشركة وتتمتع بها دون اعنات وعناء ؟ عجلون : نجيب فركوح

مطبوعات ومخطوطات

العبرانيون والفينيقيون

نشر المسيو سلوش من علماء المشرقيات كتاباً بالافرنسية ذكر فيه ان الاسرائيليين والفينيقيين من عنصر واحد وليس اصل سكان فينيقية بعيداً عن وقت دخول الهكسوس اي العرب الى مصر · ومعنى فينيقي ساكن الكثبان والرمال الحمراء وكان العبرانيون والفينيقيون على عهد القضاة شعباً واحداً قال وقد دخل التمدن الى بلاد اليونان من مصر وان كان موسى اخو ابي الهول قد خرج من صحراء ليبيا ليحمل الحضارة الى يونان والكادموسيون اخوان الفينيقيين البكر اما اجداد الساميين المذكورين باسم بني قدم في التوارة فان اصل مقامهم كان في الهندكوش وخليج فارس ومعني اسمهم الساميون الشرقيون ومنهم خرج العبرانيون سكان ماوراء بحر الفرات والآراميون سكان بلاد الشمال الجبلية والعرب سكان الغرب · وقال انه كان سنة ٤٧١ ق · م اناس من المستعمرين اليهود في أسوان وجزيرة الفيلة من صعيد مصر وانتشر اليهود في القرن الثاني ب · م في افريقية ولما دمرت القدس سنة ٧٠ كان اليهود ومن تبع عاداتهم هم المواد الاعظم من سكان صحراء ليبيا · وبعد الحروب التي نشبت بين يهود اليونان ويهود الرومان خربت بلاد برقة وصحراء ليبيا الشرقية واضمحل سكانها وسقطت اليهودية اليونانية منذ ذاك الحين في افريقية ولما قامت مدينة قرطاجنة الرومانية على انقاض قرطاجنة الفينيقية اصبحت مدينة تقاليد اليهود التلموديين وامتدت المستعمرات اليهودية من قرطاجنة الى بلاد مراكش وكثر عددهم في مراكش الرومانية وافريقية الفاندالية في القرن الثالث للمسيح · وتكلم على اليهود الحميريين واليهود البربر وعلق شأناً عظيماً على قول ابن خلدون في البربر النازلين في افريقية منذ عهد متطاول والبربر الذين اتوا من حمير وهم عرب اختلطوا في افريقية بالسكان الاصليين وتبربروا مثلهم وقد انصبغت هذه الشعوب الحميرية بصبغة اليهود وقال ان اليهودية انتشرت في جنوبي بلاد العرب منذ سنة ١١٥ ق · م

ديوان سلامة بن جندل

نشر المسيو كليمان هوار من علماء المشرقيات من الفرنسويين ديوان سلامة بن جندل من شعراء الجاهلية نقلاً عن نسخة مخطوطة من مكتبة ايا صوفيا في الاستانة وقد ترجمه كله الى الافرنسية ونشره في المجلة الآسياوية فساه بجرده على حدة

فقه العلم

هو كتاب قدمه اصدقاء المركيز ملكيوردي فوكوية المستشرق الفرنسوي بمناسبة ذكرى ثمانين سنة من ولادته و بعض تلامذته واصدقائه والمعجبين به من علماء المشرقيات فكتب كل واحدة مقالة او بحثاً في الموضوع الذى يغلب عليه فكان عدد مقالاته ٥٨ مقالةوقد جرت العادة ان يقدم للعلماء مثل هذه الهدايا كما قدم لنولدكه احد كبار علماء المشرقيات من الالمان مثله ومن مقالات هذا السفر النفيس مقالة للمستشرق «ماكس فان برشم» للكتابات المأثورة عن دولة الاتابكية في دمشق وحل ماعرف من الكتابات الخمس عن امراء البور بين منها ثلاث من الاتابك طغتكين وواحدة من ابنه بوري واخرى من محمود بن بوري . ومنها مبحث للمسيو برونوف في حصون تخوم بلاد العرب من العقبة الى حوران واشار الى المعبد الذي أنشئ في اوائل التاريخ المسيحي في سي من بلاد حوران اكراماً لوساترا وفيه المصورات والرسوم اللازمة . وبحث المسيو جويدي في المعلومات التي تؤثر عن علماء العرب في الجغرافيا من قبل الادريسي مثل ابن خرداذبة واليعقوبي وابن الفقيه والاصطخري والمقدسي في وصف اوربا الغربية فقال ان هذه المعلومات ضعيفة لان العرب الذين جاؤا اسبانيا قد ساروا على شواطئ اوربقية ولم يتيسر لهم ان يزوروا البلاد الغربية على ان هؤلاء الجغرافيين وصفوا رومية وصفاً مستوفى في الجملة اخذوه عن مصادر مسيحية ولكنها شرقية . وجميع هذه المقالات متعلقة بآثار الشرق وتاريخه وآدابه وشعوبه وفي جملة الكاتبين اناس من كبار المستشرقين مثل سنار ونولدكه ومولر وماسبرو ومرجوليوث ودوسو وغانو

مجلتان جديدتان

العلم — هي اول مجلة عربية نشرت في العراق لمنشئها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني في النجف وتطبع في بغداد وهي شهرية دينية فلسفية سياسية علمية صناعية ومؤلفها مشهور من القديم بكتاباته ورسائله وقيمة اشتراكها ٢٠ قرشاً في محلها وريال ونصف في سائر الاقطار

النجف — هي اول مجلة فارسية ظهرت في العراق لمنشئها اغا محمد المحلاتي تصدر في النجف مرة في الشهر في ٦٤ صفحة وثمنها ثمانية بمالك وهي تبحث في موضوعات دينية ومدنية

المقتبس

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

تتمة ماورد في الجزء الماضي

مزاعمهم في الهاتف والناقل والرئيّ (١)

قال الجاحظ : والاعراب واشباه الاعراب لايتحاشون من الايمان بالهاتف بل يتعجبون ممن رد ذلك فمن ذلك حديث الاعشى ابن ماس بن زرارة الاسدي انه سمع هاتفاً يقول :

لقد هلك الفياض غيث بني فهر وذو الباع والمجد الرفيع وذو القدر

قال فقلت مجيباً له :

الا ايها الناعي اخا الجود والندى من المرء تنعاه لنا من بني فهر

فقال :

نعيت ابن جدعان بن عمرو اخا الندى وذا الحسب القدموس والمنصب القصر

وهذا الباب كثير

« قالوا » ولنقل الجن الاخبار علم الناس وفاة الملوك والامور المهمة كما تسامعوا بموت المنصور في اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة . وهذا الباب ايضاً كثير

« وكانوا » يقولون اذا الف الجني انسانا وتعطف عليه وخبره ببعض الاخبار وجد حسه ورأى خياله ، واذا كان عندهم كذلك قالوا مع فلان رئيّ من الجن . وممن يقولون

«١» الرئي كغني ويكسر جني يرى فيحب او المكسور للمحبوب منهم « قاموس »

ذلك فيه عمرو بن لحاء ابن قمعة — والمأمون الحارثي — وعتيبة بن الحارث بن شهاب في ناس معروفين من ذوي الاقدار من بين فارس رئيس وسيد مطاع

فاما الكهان [1] فمثل حارثة بن جهينة وكاهنة باهلة وعنز سلمة ومثل شق وسطيح واشباههم

واما العراف وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسيدي والاجلح الزهري وعروة بن زيد الاسدي وعراف اليمامة رباح بن كحلة وهو صاحب المستنير البلثعي وقد قال الشاعر :

فقلت لعراف اليمامة داوني فانك ان ابرأتني لطبيب

وقال جبهاء الاشجعي :

اقام هوى صفية في فؤادي وقد سيرت كل هوى حبيب
لك الخيرات كيف منحت ودي وما انا من هواك بذي نصيب
اقول وعروة الاسدي يرقي اتاك برقية الملق الكذوب
لعمرك ما التثاوب ياابن زيد بشاف من رقاك ولامجيب
لسير الناعجات اظن أشفى لما بي من طبيب بني الذهوب

وليس الباب الذي يدعيه هؤلاء من جنس العيافة [2] والزجر والخطوط والنظر في اسرار الكف وفي مواضع قرض الفار وفي الخيلان في الجسد وفي النظر في الاكتاف والقضاء بالنجوم والعلاج بالفكر

وقد كان مسيلمة يدعي ان معه رئيًا في اول زمانه، ولذلك قال الشاعر حين وصف مخاريقه وخدعه :

---

(١) قال ابن الاثير في النهاية : الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان و يدعي معرفة الاسرار وقد كان في العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما فمنهم من كان يزعم ان له تابعًا من الجن ورئيًا يلقي اليه الاخبار ومنهم من كان يزعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله او فعله او حاله وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما اه وقال ايضًا : العراف المنجم او الحازي الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به . (٢) العيافة زجر الطير والتفاؤل باسمائها واصواتها وممرها وكان ذلك من عادة العرب كثيراً وهو كثير في اشعارهم يقال عاف يعيف اذا زجر وحدس وظن . افاده ابن الاثير . وقال ايضًا الزجر للطير هو التيمن والتشوؤم بها والتفوءل بطيرانها كالسانح والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة

ببيضة قارور وراية شادن وخلة جني وتوصيل طائر

الا تراه ذكر خلة الجني

﴿ ماروي من هتوفهم بالبعثة المحمدية ﴾

حكى الامام الماوردي في اعلام النبوة مارواه اهل السير من هتوف الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وانه كان من آيات نبوته الصادرة عن الهام فمن ذلك مارواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له : اتعرف هذا المار ياامير المؤمنين قال : ومن هو قالوا هذا سواد بن قارب قال نعم ياامير المؤمنين فقال انت الذي اتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم ياامير المؤمنين بيناانا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ اتاني رئي من الجن فضربني برجله وقال : قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس باقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ماصادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم فليس قدماها كاذنابها

فقلت له : دعني فاني امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأساً فلما كانت الليلة الثانية اتاني فضربني برجله وقال : قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته وانشأ يقول:

عجبت للجن وتجبارها وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم بين روابيها واحجارها

فقلت : دعني فقد امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأسا فلما كانت الليلة الثالثة اتاني فضربني برجله وقال : قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول :

عجبت للجن وتجساسها وشدها العيس باحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ماخير الجن كانجاسها

فارحل الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى رأسها

قال : فاصبحت وقد امتحن الله قلبي للاسلام فرحلت ناقتي واتيت المدينة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقلت : اسمع مقالي يارسول الله قال : هات فانشأت

اتاني نجيٌّ بين هدو ورقدة ولم اك فيما قد نجوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة اتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت من ذيل الازار ووسطت بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد ان الله لاشيء غيره وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله ياابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا ووثب اليه عمر فالتزمه وقال : قد كنت احب ان اسمع منك هذا الحديث فهل يأتيك رئيك اليوم فقال : مذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن

وروى ابراهيم بن سلامة بسنده الى رجل من خثعم قال : كانت خثعم لاتحل حلالا ولا تحرم حراما وكانت تعبد اصناما (قال) فبينا نحن عند صنم منها ذات ليلة نتقاضى اليه في امر قد شجر بيننا اذ صاح صائح من جوفه

ياايها الركب ذوو الاحكام ماانتم وطائش الاحلام
ومسندو الحكم الى الاصنام
هذا نبي سيد الانام يصدع بالحق وبالاسلام
اعدل ذي حكم من الاحكام
ويتبع النور على الاظلام سيعلن في البلد الحرام
قد طهر الناس من الآثام

قال الخثعمي : ففزعنا منه وخرجت الى مكة واسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم

وروى ابراهيم بن سلامة بسنده عن رجل حدث عمر بن الخطاب قال له : خرجت واصحاب لي في تجارة لنا نريد الشام فتبعنا رجل من يهود فلما كنا ببعض اودية الشام هتف هاتف

اياك لاتعجل وخذها موثقه فان شر السير سير الحقحقه

قد لاح نجم فاستوى في مشرقه يكشف عن ظلماء بؤس موبقه
يدعو الى ظل جنان مونقه

فقال اليهودي : تدرون مايقول هذا الصارخ قلنا : مايقول قال : يخبر ان نبيًا قد ظهر خلا فكم بمكة فقدمنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة

ومن بشائر هتوفهم ما حكاه ابو عيسى قال : سمعت قريش في الليل هاتفًا على ابي قبيس (جبل) يقول :

فان يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لايخشى خلاف مخالف

فلما اصبحوا قال ابو سفيان من السعدان سعد بكر وسعد تميم فلما كان في الليلة الثانية سمعوه يقول

اياسعد سعد الاوس كن انت ناصرا وياسعد سعد الخزرجين الغطارف
اجيبا الى داعي الهدى وتمنيا عَلَى الله في الفردوس منية عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات زخارف

قال الماوردي : ولئن كانت هذه الهتوف اخبار آحاد عمن لايرى شخصه ولا يحج قوله لخروجه عن العادة نذير وتأثيره في النفوس بشير وقد قبلها السامعون وقبول الاخبار يؤكد صحتها و يؤيد حجتها (فان قيل) ان كانت هتوف الجن من دلائل النبوة جاز ان تكون دليلا عَلَى صحة الكهانة فمنه جوابان (احدهما) ان دلائل النبوة غيرها وانما هي من البشائر بها وفرق بين الدلالة والبشارة اخبارا والثاني ان الكهانة عن مغيب والبشارة عن معين فالعيان معلوم والغائب موهوم اه كلام الماوردي

❊ مزاعمهم في اوصافهم ومن قتلوه ❊

يقولون من الجن جنس صورة الواحدمنهم عَلَى نصف صورة الانسان واسمه «شق» وانه كثيرا مايعرض للرجل المسافر اذا كان وحده فربما اهلكه فزعا وربما اهلكه ضربا وقتلا (قالوا) فمن ذلك حديث علقمة ابن صفوان بن أمية بن حرب الكناني جد مروان ابن الحكم في الجاهلية خرج وهو يريد مالاً له بمكة وهو عَلَى حمار وعليه ازار ورداء ومعه مقرعة في ليلة اضحيانية حتى انتهى الى موضع يقال له حائط جرمان فاذا هو بشق له يد ورجل وعين معه سيف وهو يقول

علقم اني مقتول وان لحمي ماكول

اضربهم بالذهلول[١] ضرب غلام شملول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

ياشق‌ها مالي ولك ، اغمد عني منصلك
تقتل من لا يقتلك

قال شق

عنيت لك عنيت لك ، كيما ابيح مقتلك
فاصبر لما قد حم لك[٢]

فضرب كل واحد منهما صاحبه فخرا ميتين . فممن قتلت الجن علقمة ابن صفوان هذا وحرب بن امية قالوا وقالت الجن

وقبر حرب بمكان قفر ، وليس قرب قبر حرب قبر

(قالوا) ومن الدليل ان هذين البيتين من اشعار الجن ان احداً لا يستطيع ان ينشدهما ثلاث مرات متصلة لايتعتع فيها وهو يستطيع ان ينشد اثقل شعر في الارض واشقه عشر مرات ولا يتعتع

(قالوا) وقتلت مرداس بن ابي عامر ابا عباس بن مرداس — وقتلت الغريض خنقا بعد ان غنى بالغناء الذي كانوا نهوه عنه — وقتلت الجن سعد بن عبادة بن دليم وسمعوا الهاتف يقول

نحن قتلنا سيد الخز رج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

❋ من استهووه[٣] ومنهم خرافة ❋

(قالوا) استهووا سنان بن ابي حارثة ليستفحلوه فمات فيهم واستهووا طالب بن ابي طالب فلم يوجد له اثر الى يومنا هذا — واستهووا عمرو ابن عدي اللخمي الملك الذي يقال فيه شب عمرو عن الطوق ثم ردوه على جذيمة الابرش بعد سنين — واستهووا عمارة ابن المغيرة ونفخوا في احليله فصار مع الوحش

(١) الذهلول بالضم الفرس الجواد ولعل المراد به هنا السيف (٢) اي قضى (٣) في القاموس : استهوته الشياطين ذهبت بهواه وعقله او استهامته وحيرته او زينت له هواه

ويروون عن عبد الله بن قتادة يرفعه قال : خرافة رجل من عذرة استهوته الشياطين ورووا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم قال : الروث : قال فما كان شرابهم قال البول

❊ توصيفهم رجل الغول وعين الشيطان ❊

العامة تزعم ان الغول يتصور في احسن الصورة الا انه لابد ان تكون رجلها رجل حمار ، وخبروا عن الخليل بن احمد ان اعرابيا انشده

وحافر العير في ساق خدلجة [1] ، وجفن عين خلاف الانس في الطول

وذكروا ان العامة تزعم ان شق عين الشيطان بالطول : قال الجاحظ : وما اظنهم اخذوا هذين المعنيين الا عن الأعراب

❊ مزاعمهم في ارض وبار وبلاد الحوش [2] ❊

تزعم الاعراب ان الله تعالى حين اهلك الامة التي كانت تسمى وبار كما اهلك طسما وجديسا وعملاقا وثمودا وعادا ان الجن سكنت في منازلهم وحمتها من كل من ارادها وانها اخصب بلاد الله واكثرها شجرا واطيبها ثمرا واكثرها حبا وعنبا واكثرها نخلا وموزا فان دنا انسان من تلك البلاد متعمدا او غالطا حثوا في وجهه التراب فان ابى الرجوع خبلوه وربما قتلوه

(قال الجاحظ) والموضع نفسه باطل فان قيل لهم دلونا على جهته واوقفونا على حده وخلاكم ذم زعموا ان من اراده التي على قلبه الصرفة حتى كأنهم اصحاب موسى في التيه وقال الشاعر

وداع دعا والليل مرخ سدوله زجاء القرى يامسلم بن حمار
دعا جعلا لا يهتدي لمقيله من اللؤم حتى يهتدي لو بار

فهذا الشاعر الاعرابي جعل ارض وبار مثلا في الضلال ، والاعراب يتحدثون عنها كما يتحدثون عما يجدونه بالدو [3] والصمان [4] والدهناء [5] ورمل يبرين [6] وما

(١) خدلجة اي ممتلئة (٢) بضم الحاء المهملة في القاموس : الحوش بلاد الجن او فحول الجن (٣) الدو — والدوية — والداوية ويخفف الفلاة ودوى تدوية اخذ في الدو (٤) الصمان كل ارض صلبة ذات حجارة الى جنب رمل وموضع بعالج (٥) الدهناء الفلاة وموضع لتميم بنجد (٦) ويقال ابرين قال في القاموس : رمل لا تدرك اطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة .

اكثر. ايذكرون ارض وبار في الشعر عَلَى معنى هذا الشاعر (قالوا) فليس اليوم في تلك البلاد الا الجن والابل الحوشية والحوش من الابل عندهم هي التي قد ضربت فيها فحول ابل الجن فالحوشية من نسل ابل الجن والعيدية والمهرية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الحوش وقال رؤبة

حوت رجال من بلاد الحوش

وقال ابن هرمة

كأني عَلَى حوشية او نعامة لها نسب في الطير وهو ظليم

وانما سموا صاحبة يزيد بن الطثرية حوشية عَلَى هذا المعنى، وقال بعض اصحاب التفسير في قوله تعالى «وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً» ان جماعة من العرب كانوا اذا صاروا في تيه من الارض وتوسطوا بلاد الحوش خافوا عبث الجنان والسعالي والغيلان والشياطين فيقوم احدهم فيرفع صوته انا عائذون بسيد هذا الوادي فلا يؤذيهم أحد وتصير لهم بذلك خفارة

مزاعمهم في الصرع

يزعمون ان المجنون اذا صرعته الجنية وان المجنونة اذا صرعها الجني ان ذلك انما هو عَلَى طريق العشق والهوى وشهوة النكاح، وان الشيطان يعشق المرأة منا — وان نظره اليها من طريق العجب بها اشد عليها من حمى ايام — وان عين الجان اشد من عين الانسان

مزاعمهم في الطاعون [1]

قال الجاحظ: العرب تزعم ان الطاعون طعن من الشيطان، وتسمي الطاعون رماح الجن، قال الاسدي للحارث الغساني ملك غسان

لعمرك ما خشيت على ابيّ رماح بني مقيدة الحمار
ولكني خشيت على ابيّ رماح الجن او اياك حار

يقول لم اكن اخاف عَلَى ابيّ مع منعته وصرامته ان تقتله الانذال ومن يرتبط العير دون الفرس ولكني انما كنت اخافك عليه فتكون انت الذي تطعنه او يطعنه طاعون الشام وقال العماني يذكر دولة بني العباس

---

(١) اصل الطاعون الطعن والقتل بالرماح ثم اطلق عَلَى المرض العام والوباء الذي يكثر فيه الموتان.

قد دفع الله رماح الجن   واذهب العذاب والتجني

وقال زيد بن جندب الايادي :

ولولا رماح الجن ما كان هزمهم   رماح الاعادي من فصيح وأعجم

ذهب الى قول ابي دوءاد :

سلط الموت والمنون عليهم   فلهم في صدا المقابر هام (١)

يعني الطاعون الذي اصاب ايادا ، وروي ان عمرو بن العاص قام في الناس في طاعون عمواس فقال : ان هذا الطاعون قد ظهر وانما هو وخز من الشيطان ففروا منه في هذه الشعاب : و بلغ ذلك ابن جبل فانكر عليه

﴿ مايزعمونه في تمثلهم و تصورهم ﴾

قال الجاحظ : تزعم العامة « ان الله تعالى قد ملك الجن والشياطين والعمار والغيلان ان يتحولوا في اي صورة شاؤوا الا الغول فانها تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها الا رجليها فلا بد ان يكونا رجلي حمار »

وانما قاسوا تصور الجن على تصور جبريل عليه السلام في صورة دحية ابن خليفة الكلبي — وعلى تصور الملائكة الذين اتوا مريم وابراهيم ولوطا وداود في صورة المؤمنين — وعلى ماجاء في الاثر من تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك — وعلى تصوره في صورة الشيخ النجدي

(قالوا) فاذا استقام ان تختلف صورهم واخلاط أبدانهم وتتفق عقولهم ونياتهم واستطاعتهم جاز ايضا ان يكون ابليس لعنة الله عليه والشيطان والغول ان يتبدلوا في الصور من غير ان يتبدلوا في العقل والبيان والاستطاعة اه

ونقل الحافظ احمد ابن حجر في فتح الباري عن البيهقي في مناقب الشافعي باسناده عن الربيع قال سمعت الشافعي يقول : من زعم انه يرى الجن ابطلنا شهادته الا ان يكون نبياً اه

---

(١) الهامة اسم طائر كانوا يتشاءمون بها وهي من طير الليل وقد قيل انها البومة وكانت الاعراب تزعم ان روح القتيل الذي لا يدرك بثاره تصير هامة فتقول اسقوني فاذا ادرك بثاره طارت وقيل كانوا يزعمون ان عظام الميت او روحه تصير هامة فتطير و يسمونه الصدى فنفاه الاسلام ونهاهم عنه (اه نهاية)

(قال ابن حجر) وهذا محمول عَلَى من يدعي رؤيتهم عَلَى صورهم التي خلقوا عليها واما من ادعى انه يرى شيئًا منهم بعد ان يتطور عَلَى صور شتى من الحيوان فلا يقدح فيه وقد تواردت الاخبار بتطورهم في الصور ، (قال) واختلف اهل الكلام في ذلك فقيل هو تخييل فقط ولا ينتقل احد عن صورته الاصلية وقيل بل ينتقلون لكن لا باقتدارهم عَلَى ذلك بل بضرب من الفعل اذا فعله انتقل كالسحر (اي الشعبذة) (قال) وهذا قد يرجع الى الاول اه وسيأتي تحقيق تمثلهم في اول مباحث الخاتمة

﴿ رأيهم في قرناء الشعراء الفحول ﴾

قال الجاحظ : يزعمون ان مع كل فحل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر ويقولون اسم شيطان المخبل [١] عمرو واسم شيطان الاعشى مسحل [٢] وكذلك ايضًا اسم شيطان الفرزدق عمرو وقد ذكر الاعشى مسحلا حين هجاه جهنام فقال :

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له بجهنام يدعى للهجين المذمم

وذكره الاعشى فقال :

حباني اخي الجني نفسي فداؤه بافيح جياش العشيات مرجم

وقال اعشى سليم :

وما كان جني الفرزدق اسوة وما كان فيهم مثل فحل المخبل

وما في الخوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحل

وقال الفرزدق في مديح اسد بن عبدالله :

لتبلغن ابا الاشبال مدحتنا من كان بالغور او طودي خراسانا

كأنها الذهب العقيان حبرها لسان اشعر خلق الله شيطانا

وقال

فلو كنت عندي يوم قوٍّ عذرتني بيوم دهتني جنه وخبائله

فمن اجل هذا البيت ومن اجل قول الآخر

اذا مازاع جارية [٣] فلاقى خبال الله من انس وجن

زعموا ان الخابل الناس . ولما قال بشار بن برد

---

(١) بزنة اسم مفعول (٢) كمنبر (٣) اي اجتذبها

دعاني شقنان الى خلف بكرة　　فقلت اتركني فالتفرد احمد

اي احمد لي في الشعر من ان يكون لي عليه من معين فقال إعشى سليم يرد عليه

اذا الف الجني قرداً مشنفاً　　فقولوا لخنزير الجزيرة ابشر

فجزع بشار عند ذلك جزعاً شديداً لانه كان يعلم مع تغزله ان وجهه وجه قرد وكان اول ما اعترف من جزعه من ذكر القرد الذي رأوا منه حتى انشد قول حماد عجرد

ويا اقبح من قرد　　اذا ماعمي القرد

وفي ان مع كل شاعر شيطاناً يقال معه قول ابي النجم

اني وكل شاعر من البشر　　شيطانه انثى وشيطاني ذكر

وقال آخر

اني وان كنت صغير السن　　وكان في العين نبوٌّ عني

فان شيطاني كبير الجن

واما قول عمرو بن كلثوم

وقد هرت كلاب الجن منا　　وشذبنا قتادة من يلينا

فانهم يزعمون ان كلاب الجن هم الشعراء . ومما دل على انهم يقولون ان مع كل شاعر شيطاناً قول شاعرهم

اذا ماترعرع فينا الغلا　　م فليس يقال له من هوه

اذا لم يسد قبل شد الازا　　ر فذلك فينا الذي لاهوه

ولي صاحب من بني الشيصبا　　ن فطوراً اقول وطوراً هوه

وشيصبان وشنقنان رئيسان ومن آباء القبائل في زعمهم وقد ذكرهما ابو النجم

لاني شنقنان وشيصبان

﴿ خيالهم في جن الشام والهند ﴾

قال الجاحظ : واصحاب الرقي والاخذ والعزائم والسحر والشعبذة يزعمون ان العدد والقوة في الجن والشياطين لنزالة الشام والهند وان عظيم شياطين الهند يقال له (سكو يرك) وعظيم شياطين الشام يقال له « دركاراب » وقد ذكرهما ابو اسحق في هجائه محمد ابن بشير حين ادعى هذه الصناعة فقال

قد لعمري جمعت من اصعياب ثم من شعر آدم والخراب
وتفردت بالطرائق والهيكل والدهمتات من كل باب
وعلمت الاسماء كي ماتلاقي زحلا والمريخ فوق السحاب
واستثرت الارواح بالبحر يأتين لصرح الصحيح بعد المصاب
جامعاً من لطائف الدهمسيا ت كنوسا نعتها في كتاب
ثم احكمت منقن الكرويا ت وفعل النساريس والنجاب
ثم لم تفتك السماية والخد مة والاحتفاء بالطلاب
بالخواتيم والمناديل والسعي بسكويرك ودركاراب

❋ توهمهم ملامح الجن في الانس ❋

قال القعقاع بن معبد بن زرارة في ابنه عوف بن القعقاع : والله لما ارى في عوف من شمائل الجن اكثر مما ارى فيه من شمائل الانس : وقال بجير بن ايوب :

اخو قفرات حالف الجن وانتفى من الانس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الانسي يعرف نجله وللجن منه خلقه وشمائله

وقال الآخر :

وصار خليل الغول بعد عداوة صفيا وربته القفار البسابس
فليس بجني فيعرف نجله ولا هو انس تحتويه المجالس
يظل ولايبدي لشيء نهاره ولكنه ينتاع (١) والليل دامس

❋ قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان ❋

انشد اعرابي :

فما يعجب الجنان منك عدمتهم وفي الاسد افراس لهم ونجائب
انسرج يربوعا وتلجم قنفذا لقد اعوزتهم ماعلمت المراكب
فان كانت الجنان جنت فبالحرى ولاذنب للاقدار والله غالب
وما الناس الاخادع ومخدع وصاحب اسهاب وآخر كاذب

وقال دعلج بن الحكم

(١) اي يخرج

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب　　وشيطانه عند الاهلة يصرع

وانشد عبد الرحمن بن منصور الاسدي

جنونك مجنون ولست بواجد　　طبيبا يداوي من جنون جنون

وانشد

أتوني بمجنون يسيل لعابه　　وما صاحبي الاالصحيح المسلم

وقال ابن ميادة

فلما اتاني مانقول محارب　　تغنت شياطين وجن جنونها

وحكت لها مما اقول قصائدا　　ترامت بها صهب المهاري وجونها

وقال في التمثيل

ان شرخ الشباب[1] والشعر الاسو　　د مالم يعاض كان جنونا

وقال الآخر

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها　　ان الشباب جنون بروءه الكبر

وما احسن ماقال الشاعر

جادت بها عند الغداة يمينه　　كلتا يدي عمرو الغداة يمين

ما ان يجود بمثلها في مثله　　الا كريم الخيم[2] او مجنون

وقال الجمحي

ولو انني لم انل منكم معاقبة　　الا السنان بذات الموت مطعون

اولا خطبت فاني قد هممت به　　بالسيف ان خطيب السيف مجنون

وانشد

هم احموا حمى الرقبي بضرب　　يؤلف بين اشتات المنون

فنكب عنهم درء الاعادي　　وداووا بالجنون من الجنون

﴿ مايحكونه من نيران السعالي والجن ﴾

انشد ابو زيد لسهم بن الحارث

ونار قد حضأت بعيد هدء　　بدار لااريد بها مقاما

(١) اي اوله (٢) بكسر الخاء المعجمة السجية والطبيعة

سوى تحليل راحلة وعين ... اكالئها مخافة ان تناما
اتوا ناري فقلت منون انتم ... فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم ... زعيم نحسد الانس الطعاما

قال الجاحظ : وهذا غلط وليس من هذا الباب بل الذي يقع ههنا قول ابي المطراب عبيد بن ايوب

فلله در الغول اي رفيقة ... لصاحب قفر خائف متنفر
ارنت[1] بلحن بعد لحن واوقدت ... حوالي نيران تبوخ[2] وتزهر

﴿ فلسفة ماتزعمه الاعراب من عزيف الجنان وتغول الغيلان ﴾

قال الجاحظ رحمه الله : كان ابواسحاق يقول في الذي تذكر الاعراب من عزيف الجنان وتغول الغيلان اصل هذا الامر وابتداؤه ان القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ، ومن انفرد وطال مقامه في البلاد والخلاء والبعد من الانس استوحش ولاسيما مع قلة الاشتغال والمذاكرين والوحدة ، لاتقطع ايامهم الا بالمنى او بالتفكير ، والفكر ربما كان من اسباب الوسوسة وقد ابتلي بذلك غير حاسب كابي ياسر ومثنى ولد القنافر (قال) وخبرني الاعمش انه فكر في مسألة فانكر اهله عقله حتى حموه وداووه ، وقد عرض ذلك لكثير من الهند واذا استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه فيرى مالايرى ويسمع مالايسمع ويتوهم على الشيء الصغير الحقير انه عظيم جليل ثم جعلوا ماتصور لهم من ذلك شعرا تناشدوه واحاديث توارثوها فازدادوا بذلك ايمانا ونشأ عليه الناشيء وربي به الطفل فصار احدهم حين يتوسط الفيافي وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس ، فعند اول وحشة او فزعة وعند صياح بوم ومجاوبة صدا وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في الجنس واصل الطبيعة نفاخا كذابا وصاحب تشنيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلمت السعلاة ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول قتلتها ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول تزوجتها قال عبيد بن ايوب

---

(١) اي صوتت (٢) اي تسكن

فلله در الغول اي رفيقة　　لصاحب قفر خائف متنفر

وقال

اهذا رفيق الغول والذئب والذي　　يهيم بربات الحجال الهواكل

وقال آخر

اخو قفرات خالف الجن وانتفى　　من الانس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الانسي يعرف نجله　　وللجن منه خلقه وشمائله

ومما زادهم في هذا الباب واغراهم به ومدّ لهم فيه انهم ليس يلقون بهذه الاشعار وبهذه الاخبار الا اعرابيا مثلهم والا غبيا لم يأخذ نفسه قط بتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق او الشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط — واما ان يلقوا رواية شعر اوصاحب خبر فالرواية عندهم كلما كان الاعرابي اكذب في شعره كان اظرف عندهم وصارت روايته اغلب ومضاحيك حديثه اكثر فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية الغول اوقتلها او مرافقتها اوتزويجها ، وآخر يزعم انه رافق في مغارة نمرا فكان يطاعمه ويؤاكله فمن هؤلاء خاصة القتال الكلابي فانه الذي يقول

ايرسل مروان الامير رسالة　　لآتيه اني اذاً لمضلل
ومابي عصيان ولا بعد منزل　　ولكنني من خوف مروان اوجل
وفي ساحة العنقاء اوفي عماية　　اوالاود (١) مامن رهبة الموت موئل
ولي صاحب في الغار هدك صاحبا　　هو الجون (٢) الا انه لايعلل
اذا ما التقينا كان جل حديثنا　　صماتا وطرف كالمعابل (٣) اكحل
تضمنت الأروى (٤) لنا بطعامنا　　كلانا له منها نصيب ومأكل
فاغلبه في صنعة الزاد انني　　اميط الاذى عنه ولا يتأمل
وكانت لنا طب (٥) بارض مضلة　　شريعتنا لايي من جاء اول
كلانا عدو لو يرى في عدوه　　محزا وكل في العداوة مجمل

وأنشد الاصمعي

(١) الاود بالضم موضع بالبادية (٢) اي الاسود (٣) جمع معبلة بكسر فسكون وهو النصل العريض الطويل (٤) بضم الهمزة انثى الوعول (٥) بالكسر اي عادة وشان

ظللنا معا جارين نحترس الثأي[1] يشار بني من فضلتي واشاربه

ذكر سبعا ورجلا قد توافقا فصار كل واحد منهما يدع فضلا من سوءره ليشرب صاحبه ، والثأي الفساد ، وخبر ان كل واحد منهما يحترس من صاحبه

فاما من جميع ماذكرناه عنهم فانما يخبرون عنه من جهة المعاينة والتحقيق وانما المثل في هذا مثل قوله

قد كان شيطانك من خطابها وكان شيطاني من طلابها
حينا فلما اعتركا ألوى بها

والانسان يجوع فيسمع في اذنه كالدوي وقال الشاعر

دوي الفيافي رابه فكأنه اميم[2] وساري الليل للضوء يعود

يعود اي يضجر ، وربما قال الغلام لمولاه دعوتني فيقول لا وانما اعترى مسامعه ذلك لعرض لانه سمع صوتا

ومن هذا الباب قول تأبط شرا او قول القائل في كلمة له

يظل بموماة ويمسي بقفرة جحيشا[3] ويعروري ظهور المهالك
ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي بمنخرق من شده المتدارك
اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كالئ من قلب شيحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه الى سلة من حد اخضر باتك
اذا هزه في عظم قرن تهللت نواجذ افواه المنايا الضواحك
يرى الانس وحشي الفلاة ويهتدي بحيث اهتدت ام النجوم الشوابك

(قال الجاحظ) : ويدل على ماقال ابواسحق من نزولهم في بلاد الوحش وبين الحشرات والسباع مارواه لنا ابومسهر عن اعرابي من بني تميم نزل ناحية الشام فكان لايعدمه في كل ليلة ان يعضه او يعض ولده او بعض حاشيته سبع من السباع او دابة من دواب الارض فقال

تعاورني دين وذل وغربة ومزق جلدي ناب سبع ومخلب
وفي الارض احناش وسبع وحارب ونحن اسارى وسطها نتقلب

ثم عد في قصيدته ماينيف عن الثلاثين صنفا مابين حيوان وحشرات

« يتبع » جمال الدين القاسمي

(١) كالثرى الافساد وسيذكره (٢) الاميمة كجهينة الحجارة تشدخ بها الرؤوس
(٣) الجحيش كامير الشق والناحية

نشوء اللغات الاسلامية

تتمة ماورد في الجزء الماضي

دعت ضرورة ايجاد الفاظ جديدة للتعبير عن افكار حديثة ان تأخذ اللغة العربية من اللغات الاجنبية او ان تعمد الى معجمها بان تصيغ الفاظاً جديدة اوبان تضع معاني جديدة للالفاظ التي تجدها في متن اللغة · ولم يكن في العربية سهولة اللغات الرومانية بان تعمد الى اللاتينية او اليونانية لتصيغ منها التعابير الجديدة وبهذا تألف حزبان حزب يقول باخذ الالفاظ الافرنجية والآخر لأيرضى الا بالرجوع الى الاشتقاق من متن اللغة · والظاهر ان الحزب الاول قدكتبت له الغلبة اولاً ولا سيما في بلاد الجزائر وذلك لجهل المترجمين اولغلبة الكسل عليهم فبدلاً من ان يبحثوا في ايجاد لفظ يقابل اللفظ الفرنسوي اكتفوا بنقله عَلَى ماهو بدون ان يحدثوا فيه تغييراً ثم ان عدم وجود صحافة وطنية مما ساعد عَلَى ذلك ايضاً فان جريدة المبشر الرسمية مابرحت الى عهد قريب هي الجريدة الوحيدة في الجزائر اما جرائد البلاد الخارجية فلم يكن دخولها اليها الا من المتعذرات · وقد ذكر المسيو واشنطون سويرس من جملة الالفاظ الاعجمية التي دخلت عَلَى اللغة الجزائرية لفظة شامبيت ويجمعونها عَلَى شامابيت اي حارس الحقل بدلاً من عسس الفحص وفي الاوراق الرسمية « السيد الكوفرنور جنرال » اي سيدي الحاكم العام في حين كان من السهل جداً ان يقال سعادة والي مملكة الجزائر وقد انحى برسنيه في كتابه الملح العربية عَلَى هذا النقل الرديء وحق له ان ينحي عليه قال لانه لايفهم له معنى حتى عند الفرنسيس انفسهم ·

ويالبت يرى ماسرى الى لسان العامة من الجزائريين وفي مكاتباتهم من الالفاظ الفرنسوية المحرفة تحريفاً تتعذر احياناً معرفته · وقد جاء في كتاب الرسائل العربية المخطوطة الذي نشره المسيوهوداس والمسيودلفين لفظة « لانتورالبزه فرانسه» بمعنى المتجنس بالجنسية الفرنسوية ولفظة « كاتارفاوبت » بدلاً من لفظة ثمانية وثمانين · ونحن لانورد الفاظاً كثيرة من هذا القبيل من الالفاظ الافرنجية التي يقل فيها التحريف ولاتتأذى منها النفس في العبارة العربية مثل لفظة « كونسسيون دو » امتياز ماء التي وردت في رسالة لاحدهم فنقلها كما هي ·

ولقد وقع زجوع الى الاصل في مكافحة الالفاظ الاعجمية التي اوشكت ان تغير

نصرة اللغة . فاكد المسيو باربية دي ميناز سنة ١٨٩٦ مع السرور ان الصحافة العربية في مصر وسورية اخذت تستعيض عن الالفاظ الاجنبية التي كثرت فيها بالفاظ عربية صرفة وذلك ان اللغة يمكنها بما لها الاستغناء عن الالفاظ الاعجمية وكان منها ان عربت سنة ١٨٩٧ لفظة « كونغره » بلفظة موتمر للدلالة عن موتمر المستشرقين الذي عقد تلك السنة في مدينة باريز ووضعت كلمة مستشرق للفظة « اوريانتاليست » الفرنسوية وهي اسم فاعل من شرق والمصدر استشراق اي طلب الشرق او انتحاء نحو الشرق وهي تنطبق عَلَى الاصل الافرنجي كل الانطباق . واخذ اللسان العثماني هذه الالفاظ الثلاث عن العربية وانشأ يستعملها وكان من قبل ينقل اللفظ الفرنسوي برمته واحتذاء اللغة العربية مطالب الحياة الحديثة هو من العادات المتبعة في الصحافة التونسية ويرجى ان تجري سائر الجرائد العربية في البلاد الاخرى والجرائد السورية والمصرية وهي نموذجها ومصدرها الوحيد عَلَى مثال الجرائد التونسية في تعريب الالفاظ

واليك الآن عدة امثلة في استعمال المولد من الالفاظ العربية الصرفة اقتبسناها من كتاب المسيو واشنطون سوبرس ومن هذه الالفاظ لفظة منطاد للبالون ودراجة للبيسيكليت ومطفأة لمضخة الحريق ومستوصف . ومن جملة الالفاظ التي كانت موجودة في اللغة واستعملت لمعنى جديد لفظة امتياز وانهاء ودشن « افتتح » وتحقيق ومذهب (سيامي) وصبغة (سياسية) . وانت ترى ان لفظة صبغة بالمعنى الخاص معناها اللون والصباغ اما الذين يصوغون الكلمات المولدة عندما يعمدون الى الفاظ موجودة في متن اللغة فانهم يستندون عَلَى المعنى الاصلي للفظ الذي يريدون ان يعربوه . ومن هذه الالفاظ التي كان عَلَى المسيو واشنطون سوبرس ان يضيفها الى قائمة الالفاظ المعربة لفظة « كلية » فقد كان المترجمون يستطيعون ان يطلقوا عليها لفظة دار العلوم اودار الفنون ولكن كثيراً من الكتاب لاحظوا ان لفظة « اونيفرسيته » تعطي معنى الاجتماع والمجموع فصاغوا من كل كلية وهي ترجمة حرفية للفظة الفرنسوية . ولفظ كلية شائع اليوم في مصر كثيراً .

وبعد فاننا اذا بحثنا عن الالفاظ في كل قطر عربي وعن علاقة الفاظه بالالفاظ الفرنسوية نستنتج ما يأتي : ففي سورية ومصر وتونس كمية كبيرة من الالفاظ الفرنسوية مختلفة الاساليب وفيها ايضاً كثير من الالفاظ التركية او الفارسية التي انتقلت الى العربية بواسطة التركية وهي في الاكثر تعابير عسكرية وادارية او الفاظ تشريف مثل باشا

و بك وافندي وخانم · والفاظ المانية مثل سيغورطه (ضمان من الحريق اوضمان الحياة) المستعملة في التركية · وندر استعمال هذه الالفاظ في البلاد الاخرى وهي شائعة بالاستعمال عَلَى الالسن في طرابلس الغرب كما تجد بعض الالفاظ الرومية وهناك الفاظ اعجمية اخرى ولكنها قليلة وهي مستعملة في مصر خاصة مثل لفظة « جنيه » الانكليزية لليرة المصرية · وهذا جماع الالفاظ الاعجمية وقد سبق لنا الكلام على المالطية وهي بين اللغة التونسية والمصرية وفيها اثر كبير من الايطالية

ثم ان في تونس لغة مكتوبة منقحة للغاية ليس فيها شيء من الالفاظ الاجنبية ولغة محكية دخلت اليها الالفاظ الافرنسية والايطالية بكثرة · اما لهجة الجزائر فتكثر فيها الالفاظ الفرنسوية وفيها كما في لهجة تونس بعض الالفاظ التركية وقليل من الاسبانية والايطالية · اما لغة مراكش فتجد فيها تعابير فرنسوية وايطالية واقتبست قليلاً من لغة البربر وكثيراً من اللغة الاسبانية وربما بعض الالفاظ البرتقالية · وقد اكد المسيو مرسيه في بحثه عن هذه الالفاظ المشتركة ان الالفاظ البربرية (التي قد تكون احيانًا الفاظًا من اصل عربي متبربرة ثم اعيدت الى اللغة العربية) قلما توجد الا في البلاد الكبرى التي تكثر فيها اللغة البربرية ثم ان تأثير اللغة الاسبانية في المدن الساحلية محسوس جداً فتراهم يستعملون في الكلام لفظة « كوشطا » للساحل مأخوذة من « كوستا » الاسبانية و « فالسو » اي رديء الصفة و« فافور » نعمة و « خلينالد » محتذاة من جنرال و « موندا » من « موني » اي المعاملة · ولم يثبت بان الادوات او الحروف دي وديال الكثيرة الاستعمال قد اتت من دي ودل ولكن اللغة العربية المراكشية اخذت عن الاسبانية حرف ب · وقد لاحظ المسيو مرسيه وحقت له هذه الملاحظة بان قلة التناسب في هذه اللغة وتأثيرها باللغة البربرية والاسبانية ناشئة من اسباب كثيرة والحقيقة ان اللغة البربرية ليست لغة مكتوبة هو من اهم الاسباب عَلَى ان العربية كانت في كل زمن نحو اللغة البربرية وعاملة عَلَى تمدينها وتحضيرها

من الصعب تعيين الالفاظ الدخيلة عَلَى لغات فارس الوطنية قبل الفتح العربي فاللغة البهلوية كتابة آرامية واكثر الفاظها آرامية ولكن اي تأثير كان في اللغة من هذه الالفاظ السامية المشتركة ؟ والواقع ان هذه الالفاظ الدخيلة لم تكن اسماء مجردة بل اسماء كثيرة الاستعمال وضعت لما يقابلها من الالفاظ الايرانية التي كانت ولا تزال موجودة وهذا يقرب من الحقيقة رأي من يدعون ان البهلوية لاتختلف الا في الخط

وقد تبدل كل شيء في الفتح الاسلامي فدخلت عَلَى اللغة الفارسية الفاظ سامية جديدة ومنها العربي التي هي تعابير دينية والفاظ مجردة واخذوا يكتبونها بالف باء العرب وهذا هو اصل الفارسي الحديث . ولكن هذا التحول طال امره حتى ان الفردوسي كتب في القرن العاشر كتابه الشاهنامة وهي قصة ابطال فارس بدون ان يستعمل الالفاظ العربية وهذا مما يدل عَلَى مقدرة يصعب تقليدها اليوم وان كان بعض العلماء يقدرون على كتابة مكاتيب مطولة ومقالات جرائد مقتصرين فقط على الالفاظ الايرانية ولكن من ادغام اللغة الفارسية بالالفاظ العربية نشأت اللهجة الفارسية الحالية .

ولقد كانت للفرس والاتراك او التتار في القرون الوسطى كثير من العلائق التي ابقت اثراً منها في اللغة ومرت بعض الالفاظ التركية الى الفارسية منذ قرون ومن جملتها ماذكره ارمنيوس فمبرى من الالفاظ المستعملة في الفارسية وهي من اصل تركي مثل « سالار » قائد و « خواجه » معلم او استاذ . ومرى اليها بعض الالقاب واسماء الوظائف مثل آغا و بك وخان وباشي (زعيم) التي كثيراً ما نراها متصلة بالفاظ فارسية مثل « متولي باشي » وهو اسم لقب ديني و « ده باشي » زعيم عشرة (اون باشي) اما سائر اللهجات المحكية في فارس كالآرامية ولغات الشعوب القافقاسية الخاضعة للحكم الفارسي فلم تتأثر حتى اوائل القرن التاسع عشر بالمؤثرات الفارسية وهكذا في اللغة الهندستانية عَلَى كثرة الصلات الموجودة بين فارس والهند فالواجب مع هذا ان لا نغفل عن لفظة « لك » مئة الف و« كورور » خمسمائة الف و « تشاب » طبع او مطبوعات وتنوب هذه عن لفظة « طبع » العربية وهي لفظة حديثة العهد

هذا ما يقال في الدور الذي سبق الدور الذي صار لفارس صلات مع اوربا في اوائل القرن الماضي . و بعد ذاك الدور داهمت الالفاظ الاجنبية اللغة ولم تكن هذه الالفاظ مأخوذة من اقرب الامم من فارس كما كان المنتظر ولا من اكثرهن نفوذاً فيها من حيث السياسة والاقتصاد بل ان اللغة الفرنسوية هي التي دخلت عَلَى اهل الجيل الحاضر بافكارها ومصطلحاتها اللازمة للتعبير عن الالفاظ الحديثة في الشرق

بحث في هذا الموضوع احد كبار رجال فارس المرزا علي خان ذكاء الملك مدير مدرسة السياسة في طهران في محاضرة له القاها في مدرسة الاتحاد الاسرائيلي في عاصمة ايران يوم ١٣ نيسان ١٩٠٧ ونشرت محاضرته في المجلة الزرقاء تكلم فيها بعد ان اورد بعض الملاحظات عَلَى الالفاظ العربية والتركية والهندية التي اخذتها الفارسية عَلَى نشوء

لغته الحديث فقال ان اللغة الروسية واللغة الانكليزية لم يسر منهما الى الفارسية الا الفاظ قليلة جداً

وربما وجد الناظر في لغة اهل طوريس ورشت بعض الفاظ روسية في اللغة الدارجة ولكنها قليلة للغاية وهذا مما يدل على ان الروس قد اخذوا الفاظاً كثيرة من لغتهم عن الاجانب مثل الفرنسو بين والالمان والانكليز والطليان فلم تستعر الفارسية من الروسية الا لفظ «سماور» «واستكان» طاس و« دروخكا» عربة و« كاليسكه» كاليش (وهي عربة ذات اربعة دواليب) و« تارانتاس و باراخود» للسفينة البخارية و« اسكنات» معاملة الورق وهي من اصل فرنسوي اسنيا

والالفاظ الانكليزية عبارة عن عشر وهي « فاغون » و « تراموای » و« نوت » من بانكنوت و « شيك » وجيلاس (قدح للشرب) وجلاس وسار لاسهم الشركات الخ ٠ اما الالفاظ الفرنسوية في الفارسية فكثيرة جداً وهي تنقسم على الوجه الآتي : الالفاظ العلمية واسماء العقاقير واسماء الاطعمة مثل « سوب » حساء و « جيكو » فخذ و « كوتلت » ضلع واسماء الالبسة مثل « كالوش » حذاء الرجل و « بلوز » مشلح و « بالتو » معطف و « باردسو » شعار واسماء للتعبير عن المخترعات الحديثة : مثل « تلغراف » و « تلفون » و« اتوموبيل » و « بالون » و « غاز » للاستصباح والفاظ الجندية مثل « اسكادرون » كتيبة و « باتري » (بطارية) عدة مدافع و« مارش » سير « هالت» وقوف و« دفيله » مضيق و « موسيك » موسيقى وان وجود معلمين من الفرنسيس في الجيش الفارسي في ازمان مختلفة قد انتهى باستعمالهم الالفاظ الافرنجية واسماء الاثاث مثل « بيانو » و« لانترن » مصباح واسماء مدرسية مثل « كلاس » صف و « بروغرام » خطة و « ديكته » املاء و « نمرة » واستعمالهم لفظتي « بارلمان »و« كونستيتوسيون » اللتين نقلوهما بلفظ شوراي ملي ومشروطيت واسماء سياسية فيقولون عنها سياست وتعابير دولية مثل « قنصل » و « تمبر» طابع و « بودجه » ميزانية و «هنور » شرف التي تقابل لفظة هنر الموجودة في الاصل الفارسي وقد استخرجها مونتسكيو وقبلت بين الفارسيين كما قبلت لفظتا « مرسي » الشكر و « باردون » العفو

واستنتج ذكاء الملك بانه لا فائدة من اختراع الفاظ جديدة متى أريد التعبير عن افكار حديثة فان اللفظ الجديد على ما يرى هو غريب كاللفظة الاجنبية التي يراد اتقاؤها٠ ومن رأيه ان لا يؤخذ من اللغات الاجنبية لفظ مادام في اصل اللغة الفارسية ما يقوم

ولاسيما في اللغة العثمانية الادبية فانك لاتكاد تجد لفظة تركية مقابل ثلاثة الفاظ عربية او فارسية الاصل ففي آذربيجان والقافقاس تجد تأثيرات اللغة الفارسية ظاهرة في لهجة القوم كل الظهور وفي آسيا الصغرى ترى اللغة العربية موثرة في لغة السكان ولا سيما في اللفظ ·

وليست هذه الالفاظ المشتركة الاسلامية هي الوحيدة في بابها فانك تجد في لغة سكان التركستان الصينية الفاظاً سرت اليها من اللغة الصينية ولكن ما أُخذ من اللغات الاوربية كثير للغاية

في اي عصر دخلت الى التركية الالفاظ الاولى التي هي من اصل غربي ؟ انه من الصعب ان يحكم بذلك حكماً صريحاً عَلَى ان الاخذ عن الرومية نشاهده قد حدث في التركية منذ القرن الثالث عشر · وفي المعجم اللغوي الذي نشره المسيو هوتسما وكتاب نحو التركية لابي حيان بعض الفاظ من هذا القبيل مثل لفظة (اوغور) سعادة (ارغات) صانع وهذه الالفاظ على ندرتها في اللهجات الشرقية تكثر بسرعة عجيبة في اللغة التركية العثمانية بعد فتح الاستانة حتى ان لفظة (افندي) الذي كتب المسيو بسيشاري تاريخها الغريب والتي تنقلت بها الحالات صورة ومعنى كانت مستعملة منذ القرن الخامس عشر ·

واذ كانت الايطالية هي اللغة البحرية والتجارية في البحر المتوسط فقد اقتبست في كل زمان كمية عظيمة من الالفاظ للغة العثمانية فاننا نجد فيها تعابير بحرية وتجارية وهي من لهجة البندقية خاصة ·

وقد اقتبس اللسان العثماني اليوم عدة تعابير بحرية ورياضية من اللغة الانكليزية كما اقتبس قديماً من اللغة المجرية واللغات السلافية في البلقان عدة الفاظ عسكرية اما سائر اللغات المحكية في المملكة العثمانية فاللغة التركية العثمانية تكاد لم تأخذ عنها شيئاً وقد سرت اليها بعض الالفاظ الالمانية وبعض الالفاظ من اللغات الاخرى ولكن الالفاظ الافرنسية كانت ولاتزال اكثر وجوداً في اللسان العثماني من جميع اللغات الاجنبية · بدأ دخولها عَلَى عهد السلطان محمود مبيد جيش الانكشارية ويجب اعتبار هذا التأثير في الاصل عَلَى الاقل نتيجة لازمة للاصلاحات التي جعلت الدولة العثمانية مملكة تشابه اليوم بعد اليوم سائر ممالك اوربا بحكومتها وعاداتها وقوانينها فقضت الحال للتعبير عن افكار جديدة لايجاد الفاظ جديدة وكان معجم اللغة التركية الفارسية العربية يكفي في احوال كثيرة لسد هذه الثلمة ولكن الاتراك رأوا من الانسب قبول

مقامه . ولذا عبروا عن السكة الحديدية بلفظ « راه آهين » ومتولي الاشغال بلفظ « ... لحتكذار »ولفظ« مرسل فوق العادة » بلفظ مأمور فوق العادة و« غرفة التجارة» بلفظ « انجمن تجارتي » ومهندس بلفظ « فني مأمور »

و يغلب عَلَى الظن ان عدد الالفاظ الاجنبية سيقل بعد حين فانا نرى الجدال قائماً منذ بضع سنين في الصحافة لاعادة اللغة الفارسية الي نضرتها الاولي والقوم يريدون الرجوع بلغتهم الى لغة الفردوسي بحذف الالفاظ العربية التي كثرت سرايتها الى الفارسية وألفنا استعمالها عَلَى ماتراه من الامثلة التي اوردناها . و يدعي القائلون بهذا الرأي ان حذف الالفاظ العربية لا يفهم منه مخالفة للدين فما من شيء في القرآن يقضي علينا بان نستعمل في لغتنا الفاظ عربية . وان تناغي الفرس بوطنيتهم ومافطر عليه القائمون بهذا الرأي من الغيرة والاقتدار ومن جملتهم اللغوي العالم مؤلف الدولة ليدعو الى عقد الرجاء بنجاح هذا المشروع

كان الاتراك قبل ان يدينوا بالاسلام يستعملون الف باء من اصل سامي اما الالف باء اليونانية اوالرومانية القديمة والويغور فالظاهر انها لم تكن تقتبس شيئاً من اللغات السامية . واقتبسوا عدداً قليلاً من الالفاظ الفارسية والصينية وعدداً غير قليل من الالفاظ المغولية التي كان الاشتراك في الاصول بينها وبين التركية يسهل احتذاء مثالها بالنظر لكثرة الصلات بين الشعبين . وهذه جملة ما اخذه الاتراك قبل الاسلام من جيرانهم حتى اذا انتحلوا الدين الاسلامي تغير كل ذلك . فكانت العربية وهي لغة الدين والعلم مصدراً للاتراك يتناولون منهما الالفاظ الدينية والعلمية التي تمس حاجتهم اليها وكانت اللغة الفارسية عَلَى اتم نشوئها ولها آداب رائقة هي لغة الاتراك الادبية في عامة الاقطار وما الشعر التركي الاعلى مثال الشعر الفارسي وانتشر التهذيب الفارسي من آسيا الوسطى الى البحر الرومي وكانت له المكانة العليا في كل مكان يتكلم به باللغة التركية التي كانت مفرداتها كثيرة في القديم بفضل طرق الاشتقاق الكثيرة الهينة ولكنها لم تلبث ان افتقرت بما دهمها من الالفاظ العربية الفارسية

وانك لترى في النصوص القديمة من لغة الويغور الفاظاً مثل كوتادغو بيليك وهي من القرن الحادي عشر وهي تكثر في لغة الجغتاي نحو القرن السادس عشر وقد تركت لغة الويغور بالمرة واستقام امر التركية بانها لغة اسلامية . اما اللهجات الشرقية التي هي اكثر غرابة في تراكيبها القديمة فقد احتفظت بتراثها الوطني من المفردات اما في اللغة العثمانية

التعابير الاجنبية ولا سيما الافرنسية منها عَلَى ماهي عليه • واذا غيروها احيانًا فانما يغيرونها لتكون موافقة للفظ التركي • وزاد في هذا الاقتباس من الافرنسية انشاء صحافة تركية وطنية نسجوا فيها عَلَى مثال الصحافة الاوربية وكثر شغف ادباء العثمانيين بتلاوة مصنفات الفرنسويين حتى حلت محل مصنفات الفرس نحو سنة ١٨٥٠ فاصبحت المثال الذي يحتذيه كتاب الاتراك ولا سيما ترجمة القصص الفرنسوية التي هي في الاكثر من اسلوب الانشاء الطبيعي

ثم عاد القوم منذ خمس عشرة سنة يريدون وضع حاجز دون هجوم الدخيل عَلَى لغتهم وطرح مادخلها منه وارادوا ان يعبروا عما يريدون بالالفاظ التركية واذا لم يكن فيها مايقابل اللفظ الافرنجي يعمدون الى الفارسية او العربية • وكاد هذا الاصلاح يأتي بالنتائج المنتظرة منه خصوصًا وان له علاقة بالحركة لتوحيد اللغة العثمانية وهي الحركة التي أشير اليها وسنعود الى الكلام عليها • وعلى اي حال فانا نرى الآن في الصحافة التركية الفاظًا مولدة مثل « تحت البحر سفينه سي » اي غواصة و« آثار عتيقة » اسم العاديات او الآثار العتيقة و « بيطرفلك » الحياد « بين الملل »دولي وغيرها • وقد نقلوا الى التركية كما نقل كتاب العربية الفاظًا افرنجية ووضعوا لها مسميات فترجموا دارعة باللفظ « زرخلي » ولكن الطراد ابقوه على اصله الفرنسوي فقالوا (كروازور) وقالوا عن النسافة (تورپيدو) وهي من الايطالية وبالافرنسية (تورپيل) و (غانبوط) اي سفينة مدفعية وهي من الانكليزية (كونبوت)

اما المصطلحات العلمية فتكاد تكون تقريبًا باجمعها تركية او فارسية او عربية ويعمد الى الفرنسوية واللاتينية في النادر ولا تستعمل الانكليزية ولا الالمانية

اما سائر اللهجات الشرقية التي تأثرت من اللغة العثمانية باللغات الاوربية فان اللغة الروسية تكاد تكون وحدها منفردة بهذا الامتياز ولا يشاهد ذلك الا في اللغة التتارية خاصة والظاهر ان ذلك بدأ في النصف الاول من القرن التاسع عشر فانك تجد في القصص الهزلية التي الفها الميرزا فتح العلي آخوان زاده التي كتبت بين سنتي ١٨٥٠ و ١٨٦٠ بعض الالفاظ ان لم تكن روسية فتكون قد سرت الى التتارية من اللغة الروسية مثل (زاكون) قانون (بيلت) من (بيله) الفرنسوية اي تذكرة و (باشبور) من (باسبور)اي جواز و (مدال) من ميدال اي نوط ولا تكاد الآن تفتح جريدة مثل ترجمان التي تصدر في بغجه سراي وترقي التي تصدر في باكو وجريدة قازان مخبري

الا وتدهش مما تراه من كثرة الالفاظ الروسية او المصبوغة بالصبغة الروسية لان كثيراً منها من اصل فرنسوي او الماني او ايطالي

اذا عرفت هذا فما هو مستقبل اللغة التركية ؟ انا نشهد الآن لجنة المعارف العمومية في مجلس النواب الروسي تعنى بالكتب المؤلفة باللغة المحلية للمدارس وقد رفضت الاستعاضة عن اللفظ التتري باللفظ التركي وذلك ليحولوا دون « الجامعة التركية » . ولكن من اين نشأت هذه المخاوف ؟

نشأت من كون جميع العناصر التركية مهما كانت لهجتهم من الاستانة حتى سمرقند يريدون ان يتعارفوا ويتفاهموا وان الجرائد والصحف العثمانية تقرأ في روسيا كثيراً والصحافة التترية تتخذها نموذجاً تحتذي به حتى ولو كان ما يقتبسونه منها من المولد مأخوذاً من اصل اوربي ولا يجب ان يفوتنا ان كثيراً من الالفاظ الفرنسوية قد سرت الى اللغة التترية بواسطة اللغة الروسية ولكن ما جاء منها من طريق اللغة العثمانية اوفر عدداً

ولقد اصبح من الظرف في البلاد العثمانية منذ بضع سنين ان تحتقر اللهجات الشرقية وينظر اليها كما ينظر الى ما يسمونه « قبا ترك » اي التركي الغليظ وشغف القوم بالرجوع الى لغة النيفاو سلطان بابر القديمة الغنية التي افتقرت وتبدلت اوضاعها بما دهمها من الالفاظ العربية والفارسية اولا والالفاظ الافرنجية ثانياً فالقوم فيها يبحثون في حذف جميع هذه الالفاظ ليستعيضوا عنها بما يقابلها من الالفاظ التركية التي نسيت منذ عهد بعيد وهي اكثر التئاماً مع روح اللغة . واصبح لهذه الحركة شأن عظيم بما توفر عليه القائمون بطرح الالفاظ الدخيلة على التركية من الابحاث اللغوية المهم اكثرها كابحاث العلماء امثال القائممقام نجيب عاصم بك والمقالات الكثيرة التي نشرت في الجرائد وتأسيس الجمعيات لهذا الغرض مثل جمعية (ترك درنكي) اي المنتدى التركي وغرضه درس اصول اللغة التركية واحياء ما عاث فيه البلى من الالفاظ ويقول المسيو هارتمان احد علماء المشرقيات انه يرجى ان تكون لهذه الحركة نتائج حسنة

وهكذا يرجع العثمانيون الاتراك الى التركية القديمة والتتر الروسيون يحاولون الجري على مثال اللغة التركية الشائعة في الاستانة ويطمعون في كل مكان ولاسيما في روسيا ان يوحدوا اللغة . وهذا العمل يلاقي صعوبات مهمة ولاسيما فيما تعلق منه باللغة العامية . فاللغة المحكية في القريم هي اللغة العثمانية الا قليلا ولا فرق بين هذه اللغة ولغة القافقاس الا ببعض التعابير المتعلقة باللهجة وبعض الالفاظ الروسية التي يريد القوم طرحها وبعض

الصيغ النحوية على ان هذا الفرق لايحول دون العثماني وفهم لهجة ازري من ايسر وجه، ومن المتعذر ارجاع لهجات بلاد قازان وآسيا الوسطى الى هذا الاسلوب · ومهما تم في هذا الامر فالانظار متجهة لما يحدث من هذا القبيل في البلاد التركية اتجاهها لما يحدث في سائر العالم الاسلامي مما فيه تأييد روح الوطنية باللغة الوطنية

المالية العثمانية

لاشيء يشغل بال العارفين من العثمانيين مثل اصلاح ميزانية الدولة وبينما النفوس متطلعة الى مايجري في مجلسنا النيابي بشأنها وردت مجلة العالمين الباريزية وفيها مقالة بقلم احد الاخصائيين في هذا المعنى قال فيها ان واردات السلطان سليم الأول كانت تقدر سنة ١٥٠٨ بـ ٣،١٣٠،٠٠٠ دوكا [1] وبلغت سنة ١٥٥٣ ١٥ مليون دوكا وبعد ذلك عاد ارتقاؤها انحطاطاً وقوتها ضعفاً مشهوداً لما وقعت فيه الدولة العثمانية من الغوائل السياسية والفتن العسكرية · فظهرت عندئذ نقود الورق واخذت الدولة بالاقتراض فاصبحت المملكة في قبضة ارباب المصارف من الماليين ولا تزال حتى يوم الناس هذا · فليت شعري هل ينهض احرار الامة العثمانية المجددون لانهاض ماليتهم من كبوتها ؟ فالجواب عَلَى ذلك اقتصدوا على وجه حسن تحسن ماليتكم لان هذه لاتستمد الا من الاقتصاد عَلَى ان الحالة الزراعية والصناعية والتجارية في السلطنة العثمانية ليست عَلَى مايرام بالنظر لمثل هذه المملكة الواسعة الرباع والاصقاع · فقد اخرجت المملكة العثمانية سنة ١٩٠٥ ١٨ مليون قنطار من الحنطة و٣٤ مليون قنطار من الشعير والجاودار (الحنطة السوداء) والقرطان والذرة · ويستخرج من اليمن قهوة حسنة معروفة منزلتها · وتبلغ مساحة الغابات

---

(١) الدوكا معاملة ضربها دوق اودوج في البندقية تكون من الذهب او من الفضة وهي من سكة القرن الثالث عشر اما سعرها بمعيار هذه الايام فقد كان يختلف باختلاف البلاد فالدوكا الذهبي كان سعره نحو نصف ليرة عثمانية في المانيا والنمسا وسويسرا وهانوفر وهولاندة و بولونيا و بروسيا وروسيا والسويد وفي امارتي باد و بال وغيرهما من ١٠ فرنكات و٦٩ سنتيماً الى ١٠ و٧٥ سنتيماً وفي الدانيمرك وهولستاين ٩ فرنكات و٣٠ سنتيماً وفي البندقية ٧ و٤٨ س وكان في البندقية ايضاً دوكا بسعر ٣ فرنكات وربع

التي خربتها المواشي عشرة ملايين هكتار . ويصدر من ولاية بورصة ولواء ازميد نحو الف طن من الفيالج (الشرانق) وكثير من الموارد الطبيعية عَلَى ظاهر الارض وباطنها لم تستثمر الى الآن لقلة رؤوس الاموال والمهندسين . وتقدر صادرات المملكة وارداتها بنحو ١١٥٠ مليون فرنك تكاد تنقسم نصفين وطول سككها الحديدية ٦٦٠٠ كيلومتر.

هذا ماقاله صاحب هذا المبحث وقال ان اصلاح المالية العثمانية ليس بالامر المتعذر فانها اذا لم تحدث للدولة مشاكل خارجية تستطيع ان تلم شعثها بعد بضع سنين اذا احسن الاحرار السياسة والادارة . وهو قول يشبه مايردده ناظر ماليتنا عَلَى انه مثل بعض الماليين لايرى عَلَى الدولة حرجًا في الاقتراض لسد العجز من ميزانيتها لان الدولة تقترض من جهة وتوفي ديونها من جهة اخرى .

ولما كانت الدولة العثمانية دولة حربية منذ قامت في الوجود الى اليوم والى مابعد اليوم تحتم عليها ان تنفق على جيشها شطراً عظيماً من دخلها وبذلك كانت العسكرية اول ادارة دخلها الاصلاح في الدولة بعد اعلان الحرية وهذا الاصلاح يستدعي نفقات طائلة فقد جعل مايطلب للحربية في ميزانية سنة ١٣٢٦ ٨١٢٨٠٤٥٢ ليرة عثمانية او نحو ٤٠ في المئة من الواردات والدولة تحاول ان تجعل لها بحرية تضاهي قوتها البرية وهيهات ان يتم لها ذلك وقد جعلت المخصص لهذه الغاية زهاء مليون ليرة واخذت تجمع اعانة لانشاء اسطول من رواتب الموظفين عَلَى اختلاف درجاتهم وتهز اكف المحسنين من الاهلين فجمع حتى الآن اثنان واربعون مليون قرش اوصت باكثرها عَلَى مدمرات ونسافات . وتدفع الدولة زهاء ثمانية ملايين وربع للديون العمومية العثمانية مما يبلغ مع اللازم للجيش البري والبحري زهاء ثلثي الدخل والباقي يصرف رواتب لرجال الادارة والدرك والمعارف والنافعة

اما اصلاح المالية فموقوف كما يقول العارفون على اصلاح طرق الجباية وتعديل قيم الاملاك وتضمين الاعشار بحيث يتعادل مايجبى منها من الفلاحين ومن كبار الاغنياء المالكين وان تطبق من خطط الاصلاح مالا يكلفها النفقات الطائلة ويكون مأمون المغبة مثل اصلاح ري العراق واستثمار الاقرب فالاقرب من مناجمها وانشاء الاهم فالاهم من خطوطها الحديدية ومرافئها البحرية . والاضطلاع بجباية رسوم الاغنام وفرض ضريبة التمتع عَلَى التجار الوطنيين والاجانب على صورة عادلة واذا قبلت الدول بزيادة الرسوم الجمركية اربعة في المئة تبلغ ١٥ في المئة فتبلغ الزيادة فيها ٣٤ في المئة واذا اضفنا

اليها اصلاح ادارة الجمارك بتكثير رواتب الموظفين والاقتصار عَلَى المقتدرين منهم تزيد الواردات نحو ٢٥ في المئة

وبيت قصيد كل هذا الاقتصاد في النفقات فقد رأينا الحكومة اقتصدت في الظاهر من امور طفيفة واسرفت في امور كبيرة وما ندري على اي قاعدة من قواعد الاقتصاد طبقت قانون التقاعد في موظفيها فبعد ان كان العامل من الموظفين يقبض الف قرش مثلاً اجرت تقاعده واخذت تدفع له الفاً ومئة قرش اي انها زادته في رزقه وبذلك خسرت من وجهين الاول انه دخل في زمرة المتقاعدين اناس كان يرجى ان ينفعوها بمعارفهم وتجاربهم لو داموا على عملهم مع مراقبتهم واستعاضت عنهم باغمار لا يحسنون كيف يسيرون الا قليلا وتكبدت الخزانة من الوجه الثاني زيادة رواتب المتقاعدين

ولو كانت الحكومة تقترض المال اللازم لها لسد عجز ميزانيتها والقيام بالاصلاحات النافعة من البيوت المالية العامرة باموال رعاياها لهان الامر وقلنا لها لا بأس من اقدامها الآن على تحسين ماتريد تحسينه والتوسعة في النفقة ولكنها تنفق بالاستدانة من مصارف اوربا وعليها الآن نحو ١٣٠ مليون ليرة عثمانية دين للمصارف وقد استلفت في العام الفائت لسد عجز الميزانية اربعة ملايين وهي تحتاج هذه السنة لعشرة ملايين ليرة اخرى

ويقول المسيو لوران المستشار المالي ومع انه لا يعرف مقدار الديون العثمانية معرفة صحيحة فالمظنون انه لا يقل عن ٢٩٥٠ مليون فرنك فاذا ضم هذا المبلغ الى القروض التي عقدت منذ سنة ١٨٨٢ اي منذ انشاء ادارة الديون العمومية وهي ١٠٣٩٥٠٠٠٠٠٠٠ فرنك منها ١٠١٧٥٠٠٠٠٠٠ للديون العمومية ١٥٥٠٠٠٠٠٠ مليون سلفة و ٦٥٠٠٠٠٠٠ للمصرف الزراعي واخذنا المعدل المتوسط لانجد العجز يقل عن اربعة وستين مليون فرنك سانهة وقد تراكمت عليها هذه الديون لانها سعت في استهلاك الديون المنتظمة

وكيف يتأتى للدولة ان تكثر وارداتها فتصبح كما قال ناظر المالية ثلاثين مليوناً بعد ثلاث سنين ونحن نراها لم تضع في ميزانية الزراعة والمعادن سوى جزء من مئة جزء واقل من ثلثمائة جزء في المئة للتجارة والنافعة ومعظم هذا القدر يصرف رواتب لموظفي هاتين الادارتين فاين ما ترك لينفق على اصلاح ري العراق وفتح المناجم وانشاء الخطوط الحديدية والطرق والمرافئ ولم يزد المخصص للمعارف سوى ٣٥٠ الف ليرة وهو قدر زهيد بالنسبة لاتساع المملكة واكثرها مما يصرف على تتريك العناصر العثمانية لا على تعليمها علماً ينفع

الامة والوطن

ومن الغريب انه ورد على الخزينة في السنة الماضية خمسة وعشرون مليون ليرة من الضرائب المنوعة ومليونان ونصف عن ولايتي البوسنة والهرسك واربعة ملايين بدل التخلي عن بلغاريا ونحو خمسة ملايين صودرت من اموال المخلوع عبد الحميد واموال اعوانه ونحو مليون من واردات الاراضي السنية ماعدا القرض الذي عقدناه وهو زهاء اربعة ملايين وانفق كل هذا في سنة واحدة ولعل هذه السنة لاتكون اقل من طريدتها لان الدولة لاتأمن كل ساعة ان يفتح عليها باب فتنة داخلية او خارجية تضطر الى الانفاق فيها ما لم تدخله في ميزانيتها٠

اهم الواردات المخمنة في الميزانية ٦٠٢٣٣،٢٥٩ ليرة من الاعشار و٣٩٩٨٠٦٣٩٥ من الجمارك و ١،٢٢٢٠٦٠ ليرة خراج الاراضي ١٠٣٧٧٠٣٦٠ خراج العقارات و ١٦٧٩٠٠٧٢٠ رسوم الاغنام و ١٠٢٨٩٠٦١٢ البدلات النقدية الى غير ذلك من رسوم التمتع والمرتب على الغابات والمناجم مما لايتجاوز الستة والعشرين مليوناً ٠ وقد الغي منذ ابتداء سنة ١٣٢٦ من البلاد التي لم تحرر نفوسها واملاكها جميع الرسوم التي كانت تؤخذ باسم الدكاكين والخيم وماشاكل ذلك عدا عن رسم الاحتساب او الدخولية (OCTROI) الذي كان وضعه من اهم عوامل فتنة الارناؤد الاخيرة كما ألغيت الرسوم التي تؤخذ من الصيارف واصحاب المعامل المنشأة حديثاً وجميع القوانين المتعلقة بالعملة المكافئة وتذاكر المرور اي الجوازات وتحصيل بدلات الطرق نقداً لابدناً وتلغى الرسوم التي احدثت في الكمارك بدون استناد على قانون او نظام والغيت الرسوم التي كانت تستوفيها الحكومة تحت اسماء الدلالية والزورق والرحى والحطب والفحم والباج والصياغ ومعمل القرميد والقصب والمضيق ومرور الحيوانات وميزان الفضة وتمغتها وغيرها كما الغيت رسوم الجسور والمعابر في ولايات بغداد والبصرة والموصل والقدس وبعض جهات ادرنة فانها تركت للبلدية

وقد كتب شفيق بك المؤيد نائب دمشق في مجلس الامة العثمانية وهو ثقة في الشؤون المالية مبحثاً قال فيه : ان ديون الدولة يوم تألفت ادارة الديون العمومية محررة بالضبط في قانون تأليف هذه الادارة وكانت يومئذ عبارة عن ١١٦٦٨١٥٥١٧٢ ليرة عثمانية غير انا اذا دققنا نجد ان قيمة هذه الديون الحقيقية لاتتجاوز ثلاثين مليون ليرة لان القيمة المحررة في القانون هي قيمة اعتبارية لاحقيقية وقد قسمت الديون المذكورة

وقتئذ الى اربعة اقسام اعظمها وكان يتناول اكثر من ثلاثة ارباعها ما كان معروفاً عند اصحاب الدين باسم (ترتيب د)

وهكذا كانت المئة منه تختلف ابداً بين ١٧ و ٢٠ وانا عَلَيَّ اذكر ماتجاوزت قط قبل ان تظهر مسألة توحيد الديون ٢١ او ٢٢ كما ان مجلس الديون العمومية لم يدفع قط في مشتراه لاستهلاك الدين قيمة فوق ذلك. واني لآتٍ ببرهان جلي عَلَى ان قيمة الديون الحقيقية اعني قيمتها في البورص لم تتجاوز قط ثلاثين مليوناً . وذلك ان مجلس الديون العمومية كان ولم يزل ينشر كل سنة خلاصة اعماله في رسالة مخصوصة يطبعها و يوزعها عَلَى اصحاب الدين . وقد وقعت بدي الآن اتفاقاً عَلَى رسالته عن عام ٣١٤ فوجدت ان الفائدة التي اداها المجلس تلك السنة عن الاقسام الاربعة المذكورة بلغت ١٠٠١٤٠٤٨٣ ليرة عثمانية فاذا اضفنا الى هذا المبلغ مايعود من صافي الواردات لاسهم السكة الحديدية الروملية وهو ١٥٦٣٣٥ ليرة بلغ المجموع ١٠١٧٨٠٠٨٠ ليرة واذا اخذنا رأس ماله هذا المبلغ بحساب قيمة الديون الموحدة وجدنا ذلك لايبلغ ثمانية وعشرين مليوناً غير انه يجب لاجل تعيين مقدار الديون الخارجية وقتئذ ان نضيف الى هذا المبلغ قيمة الديون المضمونة بخراج مصر والدين الذي كان معروفاً بالتحويلات الممتازة فيبلغ مجموع ذلك زهاء خمسين مليون ليرة وهذا يكاد لايتجاوز مقدار الدين الموحد الآن فاين هذا من ١٥٠ مليوناً .

اما ديوننا الخارجية الآن فهي كما يأتي وهي ارقام حقيقية راهنة لااعتبارية

١٨٠٦٠٦٠٦٩٨	الديون المضمونة بخراج مصر
٥٢٠٣٩٤٠٦٥٩	الديون الموحدة
٣١٠٣٣٢٠٥٥٤	ديون اخرى مودعة لمجلس الدين
٢٠٣٩٩٠٦٠٦	ديون لبعض البيوت المالية
١٥٠٢٦٢٠٧٦٤	ديون منوط امر تأديتها بنظارة المالية (منها القرضان الاخيران)
١١٩٩٩٦٢٨١	المجموع

فاذا اضفنا الى هذا المبلغ قيمة القرض الذي تنوي الحكومة عقده واضفنا عشرين مليوناً رأس مال ماندفعه كل سنة ضماناً لشركات السكك الحديدية نجد ان مجموع ديون الامة ستتجاوز في منتهى هذه السنة المالية مائة وخمسين مليوناً فتزيد عنها يوم تأسست الديون العمومية مايقرب من مائة مليون

قال عَلَى اني لست من الذين يستعظمون هذا المبلغ و يرون ان احوالنا المالية وخيمة العاقبة لمجرد تراكم هذه الديون علينا . كلا وانما الخطر كله في سياسة الحكومة المالية وانحرافها عن طريق الاقتصاد متبعة خطة التبذير والاسراف في جميع شؤونها وامورها مما لا يقف بنا عند هذا الحد بل يجرنا الى عقد القروض الجديدة فنحمل عاتق اخلافنا مالا يقدرون عَلَى القيام باعبائه ونبيع آجل الامة بعاجل لقمة نحن في غنى عنها .

وان في ميزانية السنة الحالية اجلى برهان واعظم دليل عَلَى ماقدمت

تقررت ميزانية الدولة العثمانية عن سنة ٣٢٦ بعجز يتجاوز عشرة ملايين ونصفاً من الليرات العثمانية ومهما قال القائلون فهذا العجز لا ينقص عندي عن ثمانية ملايين فتحتاج الحكومة لسده ان تعقد قرضاً يقرب من عشرة ملايين بزيادة نحو ثلاثة ملايين عن العام الماضي .

ولا يخفى ان ديوننا الخارجية وضمانات السكك الحديدية مع الواردات المخصصة لها مفوضة ادارتها جميعها الى دائرة اجنبية لا تأثير للحكومة في اعمالها وهذه الواردات مع النفقات وفائدة الديون المخصصة لها يجب في الحقيقة تنزيلها من الميزانية ايراداً ومصروفاً فاذا فعلنا ذلك رأينا ان صافي الواردات التي للحكومة حق التصرف بها يبقى عبارة عن ثمانية عشر مليوناً فاذا استقرضت الحكومة عشرة ملايين لسد عجز الميزانية تكون قد استقرضت مايقرب من ستين في المائة من مجموع وارداتها فما ظن القراء بتاجر لا يكتفي ان يصرف سنويا عَلَى خاصته وأسرته جميع كسبه وايراده بل يقترض فوق ذلك ستين في المئة من مجموع هذا الكسب والايراد اهـ.

حكم افرنجية

التألم عَلَى مايرغب فيه اكثر من الاستمتاع بما تملكه اليد هذا ليس من السعادة في شيء بل هو من شأن الطامع

ان ما تشمئز منه نفوس ارباب الافكار الصالحة من المناقشات هو انها تنتهي بالخصام

كثيراً مايكون الاستهزاء افلاساً في الفكر

مامن شيء ادل عَلَى الحذق اكثر من حسن السلوك

الجهل عَلَى ثلاثة ضروب : جهل بكل شيء ومعرفة ناقصة فيما تعلمه ومعرفة غير مايجب عليك معرفته

يتوهم الاولاد والمجانين ان عشرين فرنكا وعشرين سنة لايتأتى ان تنتهي

شارك الناس في افراحك تعظم وشارك الناس في اتراحهم فان الترحة المجزأة يقل تأثيرها

يسأل الحكيم نفسه عن سبب اغلاطه والاحمق يسأل عنها غيره

سران يضمنان احترام الشيخوخة وصفاء الحياة : حب العمل والشعور بالواجب

النظام يسعف الذاكرة و يوفر الوقت و يحفظ الاشياء ·

يقرأ الانسان ليمهر فلو كان الناس يقرؤن ليكونوا احسن حالاً يصبحون عما قريب امهر واحذق

نشكو قليلا في الاحيان من احبابنا لنبرر سالفًا خفتنا (لاروشفوكولد)

ان تعلم النظر هو اطول الفنون واصعبها (كونكور)

اننا نحب من يعجبون بنا ولكننا لانحب ابداً من نعجب بهم (لاروشفوكولد)

يجد المرء في السياحة رأس مال للبطالة لايخلو منه زاوية من زوايا قلب كل منا (بانفيل)

علينا وحدنا ان نحرس افكارنا ففي البيوت نسهر عَلَى اخلاقنا وفي المجتمعات نحرس السنتنا (العقيلة دي ستايل)

لايحدث في الحياة امر لا كما يخشى منه ولا كما يؤمل فيه

اشبه بمن يقول الكذب من يورد قولاً في معرض الحق وهو لم يفكر فيه

في القراءة اجمل سلوى عن الحياة وعن النفس

استمع مئة مرة ولاتتكلم الا مرة واحدة

من العار الحذر من الاصحاب اكثر من الانخداع بهم

احق انواع الاسراف باللوم الاسراف في الوقت

الاغتياب نذالة ولاقوة له الا عَلَى المتغيب

العفو طيب الفضيلة

ان لك من الحاضر دواء وما دمت تتعذب منه فاعقد الرجاء بالخلاص

التربية الاوربية (١)

سادتي الاخوان الاعزة :

اوعز الي بعض اعضاء هذا المنتدى الكريم ان احدثكم بما رأيت في رحلتي الاخيرة الى اوربا فلم تسعني مخالفتهم لان الطلاب اعزة وتبادل الافكار معهم من اشرف المطالب ولكن الموضوع كبير لا يتسع وقتي الآن للاحاطة باطرافه كله ولا اوقات الحضور الكرام الى وعيه وسماعه ولذلك اقتصر منه في هذه الليلة على الاشارة الى طرف مما تأثرت به نفسي في درس معالم الحضارة الاوربية في اماكنها واستطلاع طلعها بالعمل بعد الاشتغال بدراستها بالنظر مدة · ولذا استميح عفوكم اذا لحظتم في اقوالي شيئاً مما لم يعتد بعضكم سماعه فانا أقص عليكم شعوري ولا حرج على الشاعرين كما لا حرج على الشعراء ·

اول مايقع عليه نظر الداخل الى ارض اوربية ذاك الانتظام الغريب في مرافق الحياة ومظاهر القوة فيسقط لاول وهلة على نموذج صالح من استبحار العمران هناك بل يتجسم في عينه وذهنه ماسمعت اليه ولا تزال تسعى تلك الامم الراقية من الاخذ بأسباب الراحة والبسطة من طريق التكمل العلمي والنشوء الاجتماعي والعملي ·

ولا يزال هذا النموذج من العمران يعظم في نظر السائح كلما طاف المعاهد وزار المشاهد وجال في القرى والدساكر والحواضر والقواعد · وكل

(١) خطاب القيناه في المنتدى الادبي في الاستانة وهو مجمع الناشئة العربية من طلاب المدارس العالية

فرع من فروع هذا الارتقاء العجيب يحتاج الناظر في وصفه الى مجلد برأسه حتي يتجلى للسامع بعض التجلي وما راءٍ كمن سمعا ·

ماذا اذكر لكم ايها الاخوان من حال اوربا ومدنية الغرب الراقية التي بلغها بقوة العقل وتطبيق العلم على العمل ؟ أأحدثكم بصناعاتها التي تبهر النفس ؟ او باتساع متاجرها التي لا يحصيها العد ؟ او بارتقاء زراعتها التي تنادي بلسان حالها ومقالها بانه لم يبق بعد مابلغته غاية ؟ ام اذكر لكم حال المجامع العلمية والسياسية والجمعيات الاجتماعية والنقابات التجارية والصناعية ام المدارس الجامعة والكلية والثانوية والابتدائية ام المتاحف والمعارض والمكاتب والمجالس والمصارف ودور التمثيل ومحال الطرب والانس ؟

كل هذه المشاهد كنت اختلف اليها في اوقاتها واجتمع برجال العلم والادب والسياسة منذ الصباح الى مابعد منتصف الليل ونفسي تتأثر بتغير المشاهد بحيث تمالك عليّ مشاعري فلا استطيع التفريق في الحسنات كأنني ابتليت بداء الاستحسان لا تقع عيني على شيء ولا تسمع اذني بشيء ولا يتصور ذهني اي شيء الا واخذ به جملة وتغرق النفس في استحسانه وتحار في وصفه

ولقد كنت عزمت ان ادون في مفكرتي مايعرض لي من المظاهر والمناظر و يتردد في صدري من الافكار والخواطر واحضره من المحاضرات والخطب والدروس النوادر ولما كثرت عليّ الموضوعات كلّ القلم من التقييد وقلت انك ياهذا تكتفي متى عدت لتحدث قومك بما رأيته من تسجيل مايعلق في ذهنك وبعضه مما فيه الغناء والكفاية ·

نعم تركت التقييد على خلاف عادتي فصدق فيّ قول الشاعر

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش مايصيد

لولا ان اليأس من اعظم الامراض في الافراد والجماعات لطاوعت النفس وقنطت من نهضة هذا الشرق لمجاراة الغرب ولولا انني اعتقد بان النجاح مقدور لكل مخلوق يعمل وان الأجسام تتكون من الذرات وان من الجزئيات تنشأ الكليات لسجلت بان قيام الشرق العثماني وهو عَلَى نهضته المتثاقلة البطيئة التي نشهدها امر متعذر الا بعد قرون ان كتبت له الحياة· ولكن امامي مثال الدولة اليابانية مملكة الشمس المشرقة رأيتها جارت اكبر الدول الاوربية في ثلاثين سنة وفاقت من كانت تعمل منذ ثلثمائة سنة من الدول الغربية فبلغت درجة عالية من الحضارة

نعم ان اليأس يجب ان لايتطرق الينا وان كنا و يا للاسف تحت وصاية الغرب اليوم في كل شأن من شؤون حياتنا السياسية والاجتماعية والعلمية والتجارية يصرفون علينا كل مايريدون من ضروب المعارف ويربحون بعقولهم منا انواع الارباح والمكاسب و يستثمرون شرقنا بكل مالديهم من ذرائع العلوم والفنون ونحن منهم باهتون شاخصون شأن عبد مع سيده او جاهل مع عالم

حضرت دروساً كثيرة في الكوليج دي فرانس وهي المدرسة العظمى التي تضم في صدرها زهاء اربعين عالماً من كبار علماء فرنسا يقرأ كل واحد منهم درسين اثنين في كل اسبوع في العلم الذي اخصى فيه وتفرد به طول عمزه وتكون دروسهم عامة يحضرها كل من اراد فتدل على كرم الفرنسويين في العلم

وحضرت دروساً في مدارس أخرى ووفقت الى سماع خطب ومحاضرات كثيرة فلم ار في اكثرها الا تعصباً عَلَى الشرق وغمطاً لحقوقه

اذكر لكم على سبيل المثال محاضرتين دعيت اليهما لتعلموا منهما مقدار ما يعده الغرب للشرق ومبلغ حكم ابنائه علينا ولكم بعدها ان تقيسوا حاضرهم بحاضرنا وغابرهم بغابرنا وتضحكون بعدها او تبكون ·

فالمحاضرة الاولى كانت في قاعة السوربون الكبرى اي كلية باريز وهي المكان الذي جرت العادة ان يكون معهد العالمين للعلم من الفرنسويين فاقامت جمعية آسيا الفرنسوية والجمعية الجغرافية حفلة للاحتفاء باعضاء بعثة بليو الى التركستان الصينية وكنشو بحضور جماعة من اعضاء المجمع الفرنسوي ولم يكن الحضور اقل من الف وخمسمائة مستمع ومستمعة والمسيو بليو هو في الثامنة والعشرين من عمره طلق اللسان آية في البيان وهو استاذ اللغة الصينية في المدرسة الفرنسوية في الشرق الاقصى · شرح في محاضرته ما لاقاه في رحلته التي بدأت في ١٥ حزيران سنة ١٩٠٦ وانتهت في الصيف الماضي واتى على ما وفق اليه من الاكتشافات الاثرية والكتابية وغيرها في آسيا الوسطى مما حفظ لفرنسا شهرتها القديمة في البحث عن الآثار وقال ان التعصب انتشر هناك بانتشار الاسلام في القرن الحادي عشر للمسيح فكان من ذاك التعصب ان اتى على الآثار بجملتها · وقد قرّع الشرقيين عامة والمسلمين منهم خاصة انواع التقريع · اما رحلته فهي كسائر الرحلات العلمية التي يرحلها الغربيون الى آسيا وافريقية فيكونون مقدمة للفتح والاستعمار وقديماً كان الشاعر يقول « السيف اصدق انباء من الكتب » فاذا ارادت امة ان تفتح بلداً اخرى ترسل اليها السيوف والبنادق ثم تمهد البلاد بالمعارف اما اليوم فيرسل الغرب رجال العلم يرتادون البلاد اولاً ثم يرسلون مدافعهم وبنادقهم وآلات تدميرهم والامثلة على ذلك كثيرة

وقد ادعي بليو صاحب البعثة والغالب انه على حق فيما ادعاه ان ماوفق الى جلبه من الآثار قد اغنى مكتبة الامة في باريز بالوف من المخطوطات الصينية ومنها شيء في تاريخ الصين كما اغنى متحف اللوفر الشهير بتماثيل ورسوم ونقوش فاصبحت باريز بذلك عاصمة الدروس الصينية في اوربا ويحق لها ان تفاخر بان مجموعة ماعندها الآن من الآثار الصينية ليس لها مثيل في الغرب حتى ولا في الصين نفسها قال وغاية البعثة في التركستان الصينية ولا سيما في مقاطعات قاشار واورومشي البحث عن بقايا التمدن البوذي الذي سبق التمدن الاسلامي الى هناك وانه رأى جميع اهل التركستان من اهل الاسلام واذ كان دينهم يحرم التماثيل والصور لم يظفر بكثير منها في الاماكن المطروقة اذ كانت تعبث بها ايدي المتعصبين منهم

وقال انه رأى لسوء الحظ ان قد سبقه الى ارتياد تلك الاصقاع اناس من الالمان والانكليز واليابان والروس للغاية نفسها ولكنه وفق الى ان اكتشف بين قاشار وكوتشار في نصف الطريق في طومشونك تمثالاً بوذياً صغيراً بين الصناعة اليونانية والبوذية حري بان يكون صلة بين الصناعة الشرقية القديمة والغربية وظفر في قاشار تحت انقاض احد المعابد في طبقة كثيفة بمخطوطات هندية فاحرز ثلثها بواسطة راهب انقطع في تلك المغاور ووصف تلك البقاع بانه لاشجر فيها ولاعشب مع انك تمشي فيها الوفاً من الكيلومترات اللهم الا في بعض الواحات . واكثر تلك الاصقاع جبال شامخة ومنحدرات كثيرة ورمال محرقة فكانت الحرارة في الصيف تصل الى الاربعين درجة وفي الشتاء الى الخمس والثلاثين تحت الصفر حتى كان الحبر يجمد في ايدي اعضاء البعثة متى ارادوا ان يقيدوا آثار بعثتهم وقد اخذ احد اعضاء البعثة صورة

طوبوغرافية من خط هذه الرحلة وفوائدفلكيةفيعدة نقاط وآب بمجموعة من الحشرات والحيوانات تغني المتحف الطبيعي وبصور كثيرة عرضت بالفانوس السحري على الحضور تلك الليلة حتى لكأنهم ذهبوا بانفسهم الى تلك الاصقاع النائية ·

هذه المحاضرة الاولى التي تكهرب بها جسمي وتأثرت عواطفي وسمعت بها مهانة أمتي بأذني · والمحاضرةالثانية القاهاالمسيو تارديومن كبارالسياسيين الفرنسويينوصاحب المقالاتالافتتاحية فيجريدة الطان في الدولةالعثمانية فهو اول اخصائيفيسياسةالشرق ولاسيمادولتنايقلبالقلم بيناصبعه كما تشاء حكومته · حضرت خطبة له في مدرسة اللغات الشرقية الحية القاها على طلبة تلك المدرسة العالية ممن يتخرجون الآن ليذهبوا الى الشرق فيما بعد لخدمة حكومتهم ويكون منهم التراجمة والقناصلوالسفراء ببيان لم اسمع من العرب ولا من العجم ابلغ منه لم يتمتم ولم يعطس ولم يكرر وقلما رأيت انساناً درس موضوعه واعد له المواد التاريخية والمستندات اكثر من ذلك ولكن سياسة المنافع والمصالح كانت تلوح صراحة من خلال كلام الخطيب فكان عجبي بتحامله على هذه الدولة اكثر من عجبي بذلاقة لسانه فقدتكلم علىعلاقة فرنسا بالشرق ولا سيما بالدولة العلية منذ القديم فقال انفرنسا صاحبة الفكر الاول في الحروب الصليبية قد اتى عليها زمن حالفت فيه الدولة العلية ايام قوتها لتستخدمها لاغراضهاوقد جنى الفرنسيس ثمار هذا الوفاق ثم لما مضت سنون والدولة لم تر خيراً لها من تلك المحالفة نزعت يدها من يد حليفتها ثم عادت فرنسا فبعثت بابنائها الى القريم ليحاربوا مع الانكليز والعثمانيين جيوش الروس لان مصلحتها اقتضت ذلك اذ ذاك وافاض في نشأة الامتيازات

الاجنبية في البلاد المصرية والعثمانية وقال ان فرنسا في كل دور من ادوارها استخدمت الدولة العلية لمقاصدها وان لها اليد الطولى في المسألة الشرقية اي استقلال بلاد البلقان واليونان وانها لاتقصر كل حين في بتر عضو من اعضاء هذه الدولة حتى تموت وتفنى

فيا اخواني ويا سادتي ايسمع عثماني هذا الكلام ولا تجهش نفسه بالبكاء ولا تذوب كمداً وحسرة وتسود الدنيا في عينيه ؟

هذا بعض مايعده الغرب للشرق فما ذا يعد الشرق للغرب ؟

نحن ياقوم لانحفظ كياننا ولا نحتفظ بلغتنا وديننا وآدابنا الا اذا قاتلنا من يريدون قتالنا بالسيف الذي يقاتلوننا به . واعني به سيف العلم . نحن يقضي علينا ان نأخذ من تلك المدنية الغربية التي تدهشنا كل ماينفعنا لقيام مجتمعنا نأخذ عن رجال العلم منهم ونحتك بهم زمناً لنستفيد ونعرف الطرق التي يجب علينا سلوكها

رأيت الدولة بعد انقلابنا الاخير بعثت بزمرة من الطلبة العثمانيين ليدرسوا في مدارس اوربا ولا سيما في مدارس باريز فقدرت عددهم قليلاً جداً بالنسبة لمجموع هذه الامة . واني لاانخجل ان اقول لكم ان عدد الطلبة البلغاريين في روسيا والمانيا والنمسا وفرنسا والبلجيك وانكلترا اكثر من عدد الطلبة العثمانيين واياكم ان تظنوا ان جميع طلبة الاجانب تبعث بهم حكوماتهم ليدرسوا على نفقتها بل ان لهمم الافراد شأناً عظيماً في هذا الباب وكثيراً ما ينفق الطالب من مال ابيه عن سعة حتى لايتم دروسه الا وقد اتى على آخر فلس مما عنده وهو مغتبط بما صنع لانه احرز رأس مال كبير لايقدر بالملايين والكرات وعاد وهو يعرف كيف يخدم امته وبلاده

نحن مقصرون كل القصور في ارسال ابنائنا الى ديار الغرب يلتقطون درر العلوم من بحار كلياتها ومدارسها والعرب في هذا المعنى اكثر العثمانيين قصوراً · ولقد احصيت جميع من يدرسون من ابناء سورية في اوربا على نفقة الحكومة او على نفقاتهم فلم اقدر ان اوصلهم الى ثلاثين طالباً اكثرهم يدرسون على نفقتهم فليت شعري أليس هذا العدد بقليل على قطر يناهز سكانه الثلاثة ملايين · هذا من سورية ارقى البلاد العربية وما اظن احداً من ابناء العراق والجزيرة والحجاز واليمن وطرابلس وبرقة وغيرها من الاقاليم العربية يدرس في مدارس اوربا فيكون هؤلاء الثلاثون طالباً لخمسة عشر مليوناً من العرب العثمانيين يصيب كل مليون نسمة طالبان وما اعظم ذلك من قصور وتقصير

نعم هو قصور ليس وراءه وراء وخمود همم كاد يصدق به علينا حكم الغريب · واني لارجو ان لا تكون اقوالنا اكثر من افعالنا فان الكلام لا اثر له بقدر الفعل · نريد معاشر العرب ان نجاري الامم الراقية بل سائر العناصر من اخواننا العثمانيين ولا نجاريهم على الاقل في مضمار التعلم ؟

نتناغى بالوطنية ونندب حظ اللغة العربية ونحن ابناؤها الذين نعقها ولا نتعلمها · اليس مما يزعج ان يخاطب العربي اباه وامه واخاه وصديقه بغير لغته الاصلية ؟ يعمل ذلك لا ليتمرن على تلقف غير لغته بل لانه لا يعرف ان يتكلم ويكتب بلسان ابيه وامه وقد يكون في الاكثر ممن يفرض عليهم فرض عين تعلمها ليفهم بها كتابه وشريعته

انا ان كنت عربياً واحب العرب واريد نهوضهم ايتيسر لي كل ما اريد اذا لم اخاطبهم واخطبهم واكتب لهم بلغتهم التي يفهمونها · انا ان كنت

اريد الاطلاع على مجد آبائي واجدادي أ أتمكن من ذلك بدون دراسة ماخلفوه من آثارهم وهل يتيسر لي هذا الا باللغة التي كتبوا بها ؟ اقول هذا وانا آسف كل الاسف على قصور العرب عن تعلم لغتهم قصوراً لا ابالي اذا قلت ان فيه العار والشنار ٠

ايزهد سلالة العرب الاكارم في لغتهم ويتعلمها المستشرقون اكثر من علماء العرب انفسهم ؟ ايزهد العربي ابن العشرين في العربية ويتعلمها رجل اعجمي في الستين من عمره ٠ واعني به الكنت دي ساردبج الفرنسوي ٠ هذا الرجل من اهل الطبقة العالية في غناه كان والده سفيراً في طهران عن الملك لويز فيليب ملك فرنسا وقد كان هو موظفاً في السفارات وآخر وظيفة له رئاسة تراجمة سفارة فرنسا في مدريد ثم استقال وهو يسكن في الصيف في قصر له في لوزان في سويسرا وفي الشتاء في باريز وقد قام في ذهنه منذ اشهر ان يدرس اللغة العربية للاطلاع على حضارة العرب ومدنيتهم الباهرة فاتخذ له استاذاً صديقنا ووطنينا ميشل افندي بيطار وانشأ يتخرج به فقطع شوطاً في التعلم واذ كانت الدواعي تضطره الى المقام في قصره في سويسرا اكثر من باريز وكان استاذه لايستطيع ان يلحق به الى سويسرا كتب اليه يلتمس منه التماس التلميذ من استاذه ان يبعث اليه بدروس عشرين يوماً حتى لايضيع وقته مدة مقامه في سويسرا ويحرم من الاستفادة والتحصيل فاذا آب الى العاصمة يعاود مابدأ به ٠

هذا الرجل على ابواب الشيخوخة وهو في هذه السن يحاول ان يتعلم لغة شرقية لاعهد له بمعرفتها ٠ او ان يتعلم لغة القرآن ليدرس بها مدنية اهله وشبان العرب انفسهم يترفعون عن ان يقضوا ولو بعض أوقات فراغهم في

إحكام لغتهم . هذا هو مثال صغير من امثلة الهمم في الشرق وامثلتها في الغرب فهل فيكم ياشباب المستقبل وقرة عيون العثمانية العربية من يمشي على اقدام هذا الشيخ الفرنسوي حتى لايجيء علينا وقت نضطر فيه ان نأخذ لغتنا بل ديننا عن اوربا ونكون تحت وصايتها حتى في امسّ الامور بنا واعلقها بقلوبنا ؟

كل مانراه من همم الغربيين ومنافعهم هو محصول الكتاب والمدرسة فانتم وامثالكم شباب هذه الامة في ايدي اقتداركم ان تجددوا لها شبابها اذا وضع كل منكم نصب عينه الذهاب الى الغرب وقضاء سنين في الدرس والبحث ليرى بعينه ويحكم بنفسه على قصورنا عن الغربيين وفقرنا وغناهم وشقائنا وسعادتهم ليعلم انني لا اغالي فيما اوردته لكم بل انني عاجز عن الوصف والتعريف . ولا يقعن في اذهانكم ان الذهاب الى اوربا بعيد المنال وانه لايتيسر الا لكبار الاغنياء فالعيش في معظم البلاد الاوربية ارخص من الاستانة ومصر ودمشق وبيروت والمدارس رخيصة اجورها او لايكاد يكون لها اجور ومنها ما اجرة الطالب فيه مع الأكل والنوم والدرس ستون فرنكاً في الشهر ومثل هذا القدر من المال لايصعب على احد فيما احسب ان يعده او يستلفه على المستقبل مهما بلغ من ضيق ذات يده

ياابناء قومي ويازهرات أمتي ! أليس من العار ان تكون بلادنا التي لاتعيش الا بالزراعة ولا تحيا الا بالزراعة خالية من عارفين بها على الاصول الحديثة فلا يكون الذين يتعلمون منا هذا الفن في اوربا سوى طالبين اثنين احدهما في المدرسة الزراعية في لوفان من اعمال البلجيك وهو رفيق بك بيضون من بيروت والآخر في كرنيون من اعمال باريز في مدرسة كرنيون الزراعية

واسمه مصطفى افندي الكيلاني من حماة · كلاهما من ابناء الاعيان ولهما اراض ومزارع فنعما عملا بالاختصاص بهذا الفن الشريف المفيد ولكن أليس في ابناء سورية بل البلاد العربية احد من ابناء الاعيان يملك اراضي وقرى غير هذين الشابين ؟ بلى ان المالكين كثار ولكن محبي الدرس قلائل ! هذا في فن الزراعة فمتى يقوم منا اناس لتعلم الكهربائية ومد الخطوط الحديدية والهندسة العملية والصناعات الحديدية واليدوية والتجارة وغير ذلك مما نحن فيه عيال عَلَى الاوربيين

زرت مدرسة كرنيون الزراعية وهي عَلَى مسافة ساعة من باريز فرأيت شعارها مكتوباً بقلم غليظ في مكتبتها بما معناه : « الارض هي الوطن ومن توفر على تحسينها يخدم وطنه » ولكن قومي غفر الله لي ولهم يحتقرون هذا الفن فيما ارى · فان كنا نختلف في البديهيات فمتى نتفق في غيرها ؟

زرت كرنيون ورأيت بها ان عبد القادر الكيلاني يلبس مشالح الزراع ويدرس كما يدرس ابناء الاعيان في فرنسا ويجاريهم في ذكائه واطلعني عَلَى مافي مدرسته من متاحف ومعارض واصطبلات وحظائر لتربية الماشية وحدائق لغرس النبات والبقول وغابات للنزهة والانتفاع وادوات للعمل وحرث الارض وكرثها

رأيت كل هذا واكبرته وقلت في نفسي لو حذا السوريون في الزراعة وتربية الماشية حذو الفرنسيس فيها وتربتهم تلائم تربتنا واقاليمهم اشبه باقاليمنا لاغتنينا غنى يغنينا عن الهجرة وتطلب الوظائف الاتكالية فقد ذكروا لي ان خروفاً اعلفته ادارة المدرسة سنتين عَلَى الطريقة العلمية فبيع في احد المعارض بسبعين ليرة · فاين خرفاننا التي يباع الواحد منها بسبع ليرات مهما علفناها

بجهلنا وبساطتنا واطمناعـا السمسم المقشر او الشيح والقيصوم والعرار والعرعر ·

ولكن الآمال معقودة بان نعلف خرفاننا على طريقتهم ونستثمر تربتنا على اصولهم ونربي عقولنا على مناحيهم ونطبع دوابنا وماشيتنا بحسب سنتهم فيكون اذ ذاك ابناء عبد القادر في التوفر على زكاء التربة في نفعهم لهذه الامة على مستوى جدهم الذي زكى النفوس في عصره · وتزكية التربة لاتقل عن تزكية التربية والمآل واحد ·

مدرسة كرنيون الزراعية هي التي اوصي ابناء الاعيان وغيرهم الى التخرج فيها لتخصب بهم تربتنا بعد اجدابها وتملأ جيوبنا بعد فراغها والمال مبدأ كل عمل وفاتحة كل ارتقاء مادي وادبي ·

نحن لانرقى الرقي المطلوب الا اذا تعلمنا العلم العملي وزهدنا قليلاً في شقشقة الألسن والنظريات المجردة · ومن جملة المدارس التي زرتها في فرنسا وتأثرت ايضاً بنظامها مدرسة جزيرة فرنسا في مقاطعة الواز · زرتها بدعوة من صديقي مرسي افندي محمود احد كتاب مصر فكانت زيارتها وزيارة مدرسة كرنيون من اسعد الايام التي قضيتها في ارض الفرنسيس واني احب ان اقص عليكم قصة هذه المدرسة لتعرفوا الغرض منها فاقول : قام منذ عشر سنين في فرنسا رجل من رجال الصحافة اسمه ادمون ديمولانس درس طرق الحضارة والتعليم والتربية عند الالمان والانكليز والاميركان وقابل بين طرائقهم واخلاقهم وعاداتهم وبين ما عند الفرنسيس منها ووضع لذلك الكتب وكتب المقالات وانشأ مجلة العلم الاجتماعي التي تدور على هذا الغرض ومن جملة كتبه سر تقدم الانكليز السكسونيين الذي نقل الى

العربية فعمت فائدته العرب كما عمت الافرنج

وقد وفق ديمولانس صاحب تلك الدعوة بان التف حوله اناس من ارباب الغيرة عَلَى ارتقاء بلادهم والاهتمام بمستقبلها فكانوا يعطونه بالمئات لقيام الغرض الذي حاول بلوغه وتربية ابناء الفرنسيس عَلَى الطريقة الانكلوسكسونية العملية فأسست لذلك ثلاث مدارس كبرى عقيب دعوته الاولى مدرسة بروش أسست سنة ١٨٩٩ باسم جماعة من المساهمين وأخرى في اقليم نورمانديا لجماعة من كبار الصناع منها وأُخرى في ليانكور أسست سنة ١٩٠١ وهي التي اريد ان احدثكم عنها

ليانكور قرية سكانها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وهي عَلَى نحو ساعة من باريز الى الشمال في مقاطعة الوازوفيها مافي سائر بلاد فرنسا من انواع المرافق والرفاهية والمعامل الكبرى الصناعية والزراعة الراقية الغنية بل فيها من دور التمثيل فقط ثلاث دور وفي قصر الدوك دي لاروشفوكول الواعظ المشهور صاحب الكلمات المأثورة الذي أسس بنك التوفير في فرنسا في اواسط القرن التاسع عشر قامت هذه المدرسة العملية · وقصره هذا في ارض مساحتها مائتا هكتار اي نحو ثلثمائة فدان لم يبق منها الا دائرة حشمه اما دائرة قصره فقد اتى عليها رجال الثورة الاخيرة فدكوها وجعلوا عاليها سافلها وقد جعلت المدرسة في تلك الدائرة فوسعت كل صفوفها ومرافقها ومعاملها ·

في هذه البقعة الجميلة الواسعة بل الابعدية الكبيرة والحانوت الفخم التي حوت الغابات والمروج والحدائق والغدران والآكام والسهول يتربى رجال المستقبل عَلَى الطريقة الانكليزية وفيهم الفرنسويون واكثرهم من ابناء الباريزيين وعدد قليل من الاميركان والانكليز والبرتغاليين والاميركيين

والمصريين · يعيشون في هذا البيت كأنهم في أُسرة لا في مدرسة وقد رفعت عنهم اكثر القيود التي تقيد طلبة المدارس الداخلية واختصر منها على مايحفظ به النظام والآداب من مثل الحظر على احدهم ان يركض ويرفع صوته في المدرسة او في حجر الدروس وان يلعب في الاماكن التي هي ممر لاخوانه وان لايخرج من المدرسة ولا يركب في قارب في الغدير بدون رخصة اولاً وان لايبتاع اي شيء كان من المدينة بدون استئذان وان لايدخل جرائد ولا كتباً الا اذا وقع عليها المدير ولا يدخن وان يلبس ثياب اللعب عند ما يخرج من غرفة المائدة وقت الظهر ولا يركب دراجته الا يومي الخميس والاحد وان لا يعبث بما حوت حديقة المدرسة ومكتبتها وان لايتكلم بعد ان يطفأ النور في غرف النوم مساء ولا قبل ان يستيقظ رفاقه صباحاً وماعدا ذلك فهو حر ان يلعب اللعب الذي يختاره في الاوقات التي خصصت لذلك منذ الظهر الى حوالى الساعة الرابعة بعده ·

وكل هذه القيود لاتكبر على التلميذ لانه يعرف انه لابد منها لكل عائلة كبرى وما هذه المدرسة الا كذلك · والمدرسة تقسم الى ثمانية صفوف أسسها الاستاذان الانكليزيان هوكنسن وسكوت ومديرها اليوم المسيو لبلا وهو فرنسوي لان قانون فرنسا يحظر على الاجانب انشاء مدارس باسمائهم في البلاد · وفي المدرسة نحو عشرين معلماً ومعلمة وناظرة · ورئيسة المدرسة الآنسة باري من اقرباء اديمون ديمولانس صاحب الدعوة الى الاخذ بطريقة الانكليز السكسونيين في التربية ومن اولئك المعلمين معلمان انكليزيان واثنان المانيان

ويقسم تلامذتها بحسب اسنانهم واستعدادهم ولا يختلط الكبار بالصغار

الا في بعض ساعات النهار وهذه المدرسة تعد التلامذة لنيل شهادة البكالوريا او العالمية ولكن على غير الطريقة التي يحشى بها رأس التلميذ بالمواد النظرية وهي عن العلم العملي بمعزل · فالمدرسة تربي الارادة والعين والذوق واليد والجسم اكثر مما تربي الذهن والذاكرة

واسماء الصفوف كصفوف سائر المدارس ويشترك جميع المعلمين في التعليم ويلاحظون الدروس ايضاً ولا يراجعون التلامذة في ماتعلموه خارج الصفوف النظامية لان النهار يكفي لذلك ويتولى الاولاد بانفسهم امور ابيهم وحفظ النظام العام وسائر شؤون الحياة وربما لاتروق اكثر الاولاد هذه الطريقة خصوصاً واكثر من فيها من ابناء الاغنياء والامراء اعتادوا ان يخلقوا وحواليهم الخدم والحشم يتولون من امورهم مايتقاعسون هم عن عمله ويصعرون خدودهم كبراً من القيام به

ويقسم التلامذة بعد الصفوف والفرق الى بيوت مختلفة وكل بيت يديره استاذ ويعهد الى النساء بالادارة البيتية والعناية بالمرضى وتعليم الموسيقى وتعليم الاحداث من الطلبة وهن يعشن في المدرسة نفسها وعلى الطلبة ان يحضروا ثلاث جلسات في الاسبوع لتعلم لعب الكوكي والكريكة بنظارة اساتذة في هذه الالعاب · وفي المدرسة دار للتمثيل كما فيها ميدان للعب السيف ومحل لتعلم الرقص والموسيقى ومحال دروسهم اشبه بمكتب رجل منه بقمطر تلميذ لكل واحد منضدة عليها دواة وورق نشاف يتصرف فيها كما يشاء ، ويرى فيها الدروس التي يدرسها بطريقة عملية اكثر منها نظرية

فيتعلم مع العلم صناعة من الصناعات التي هي احب الى قلبه كالزراعة والنجارة والحدادة والتصوير والتجليد وصنع المقوى والفخار والجلد وغيرها

وذلك بنظارة اساتذة هذا الشأن يدلونه على الطرق التي يسلكها ولا يعملون معه بل يدلونه على عيوب عمله و يده وعينه هما اللتان تعملان ليعتمد بذلك على نفسه فاذا عاد الى اهله يستطيع ان يصنع بذاته عملاً من مثل ذلك فلا يكون فرق بين ماعمله في المدرسة و يعمله بعد الخروج منها و يتولى اكثر شؤونه كما قلنا بنفسه حتي يسهل عليه كل جهاد في حياته فان الرياضات التي يقومون بها في البستان والحقول والرحلات في الخلاء سواء كانوا مشاة ام ركباناً على الدراجات تزيد في قواهم وقابليتهم للرياضات البدنية ولا يقل النوم عندهم عن عشر ساعات للصغار الى تسع للكبار ليستريحوا من اتعاب النهار

وتمتاز هذه المدرسة بان يرحل تلامذتها بمراقبة اساتذتهم او بعضهم الى البلاد المجاورة كالبلجيك وهولاندة او غيرهما من مقاطعات فرنسا البعيدة ليعتادوا الاستغناء عن الرفاهية ويحسنوا التخلص عند الحاجة من مشاكل الاحوال التي كثيراً ماتصادف الانسان في حياته وذلك ايضاً ليحتملوا بصبر وحسن خلق معاكسات الوقت ونكد الايام وتتوثق عرى المحبة بينهم ففي عيد الفصح تنقسم المدرسة الى ثلاث فرق بحسب سن التلامذة المؤلفة منهم فتذهب كل واحدة في وجهة خمسة ايام وكل من حسنت اخلاقه ودروسه يرحل به ايضاً كل ثلاثة اشهر مرة او مرتين يوماً او بعض يوم الى مكان بعيد وللمدرسة في الصيف شهران ايضاً عطلة فتكون عطلتها السنوية من حيث المجموع ثمانين يوماً وتستوفي المدرسة اجرة من كل طالب الى سن الحادية عشرة ٢٥٠٠ فرنك فاذا تجاوز هذه السن تأخذ منه ثلاثة آلاف يدخل في ذلك اكثر حاجاته ماعدا بعض الدروس كالرقص والموسيقى والرسم فانه يدفع اجرتها على حدة . وهو مبلغ كثير بالنسبة لاهل بلادنا ولكنه لا يستكثر

في مدرسة مثل هذه تنفق النفقات الطائلة على الاساتذة والعيشة والرحلات ويطبق فيها العلم على العمل وتربى الحواس بالعمل اكثر من تربية الذاكرة

حدثني احد اساتذة المدرسة قال كان فكر مؤسسها ديمولانس ان تكون على الطريقة الانكليزية المحضة ولكن لم تمض مدة حتى انقلبت اوضاع الدروس والرياضات الى مايشبه الاوضاع الفرنسوية لان ماتوهمه ديمولانس من انه يمكن تطبيقه في بلاده قد غالى فيه كثيراً ولو كان حياً — مات منذ نحو سنتين — لرجع عن كثير مما نعاه على قومه وعد عدمه نقصاً في تربيتها وسبباً في ضعفها . وهو قول حق سديد لان مايوافق امة لا يطبق بالحرف على اخرى وللعادة والمحيط والتقاليد دخل كبير في اوضاع الامة على ان هذه النغمة قد افادت فرنسا وغيرها بلا شك واطلعت الشرق على ان التربية الفرنسوية مع ماهي عليه من الحسن هي في رقيها دون التربية الانكليزية السكسونية من وجوه وان كانت هذه دونها من وجوه ولعل بلادنا تستفيد من كل ذلك عبرة

تقدم ان تلامذة مدرسة ليانكور هم من الفرنسيس وخليط من البرتقاليين والاميركان والانكليز والمصريين وهكذا شأن معظم المدارس في فرنسا ولا سيما كلياتها الجامعة فلا يتعلم فيها الطلبة من الذكور فقط بل يتعلم فيها الطالبات من الاناث واني لا اذكر انني حضرت خطبة او درساً او مجلساً علمياً ولا زرت متحفاً ولا مطبعة ولا ادارة جريدة الا ورأيت الفتيات سبقنني الى تلك الامكنة ومعظمهن روسيات وانكليزيات والمانيات وبلقانيات وبولونيات . والبولونيات [1] اكثر الفتيات الاجنبيات في فرنسا واكثرهن عناية بتعلم

(١) شارك النساء الرجال في اوربا في كل عمل من اعمال الحياة وفي فرنسا شاركن الرجال في الامور الذهنية ايضاً وثلث ماينشر في فرنسا من الكتب هو من اقلام الكاتبات

اللغات الاجنبية حتى ان الواحدة منهن لتكلمك فلا تحسبها الا فرنسوية لكثرة اتقانها للغة الفرنسوية واجادتها النطق بها مما لا يكاد يتيسر مثله لغريبة ولا لغريب عن اللغة وهن مع هذا اكثر النساء الاوربيات تفانياً في احكام ملكة لغتهن وحرصاً على آدابها وتلقينها

ولقد كانت المرأة البولونية تعلم اولادها لغتهم في الغابات والحقول عندما كانت الحكومة الروسية تحظر عليهم الى قبل بضع سنين تعلم لغتهم لتجعلهم روساً مع الزمن فلما دالت دولة الجهل ونال البولونيون كسائر العناصر السلافية بعض حريتهم عقيب انشاء الدوما الاولى كان من البولونيين ان فتحوا في شهر واحد في البلاد التي وقعت منذ قرن ونصف تحت سلطة الروس زهاء اربعة آلاف مدرسة يعلمون فيها العلوم العالية والدروس المنوعة بلغتهم ولم ينقصهم اساتذة ولا اعوزهم بالطبع التلامذة

فالمرأة البولونية وان عنيت بتعليم اللغات الاجنبية عنها تحتفظ بلغتها

والشاعرات وكثيرات منهن يكتبن ويجدن كالرجال مثل مارسل تينايز مؤلفة كتاب دار الخطيئة والكونتس دي نوايل والعقيلة دي رنيه امرأة الشاعر المشهور وهي شاعرة مثله ومريم هاري صاحبة كتاب فتح البيت المقدس وعشرات امثالهن من المشهورات .
والمنافسة الادبية بين الجنسين النشيط واللطيف على اتمها في فرنسا حتى قال لي احد كتابهم انه سيجيء يوم على فرنسا لا يبقى لكتابها وجه للمعاش الا ان يطيروا في مناطيد الهواء فقط وما عدا ذلك فالنساء يتولينه بدلنا . ولعل من يسيح في اوربا بعد عشرين سنة يشاهد مالم نشهده الآن من الارتقاء المادي والادبي فقد ساح الشيخ رفاعة الطهطاوي في منتصف القرن الماضي ولم يكن من مرسيليا الى باريز سكة حديدية بل كانت فيها حافلة بالدواب فاغتبط بما رأى وساح احمد زكي بك في اوائل هذا القرن فركب القطارات في اوربا جمعاء وسحنا نحن اليوم فرأينا مالم يكن يعهد من السيارات الارضية والطيارات الهوائية والمؤلفات في العلوم والصناعات الادبية فماذا يشهد اولادنا واحفادنا بعدنا يا ترى ؟

ووطنيتها احتفاظاً اسأل الله ان يرزقنا نحن بعضه حتى انها اذا تزوجت من اجنبي لا تلبث ان تصبغ اولادها بصبغتها بحيث اضطر بسمرك ان يسن في عهده قانوناً يحظر فيه على الضباط الالمان ان يتزوجوا من البولونيات اذ ثبت له ان الوطنية الالمانية كادت تضعف ويعروها الانحلال في القسم الذي اصاب مملكة بروسيا من ارث صاحب بولونيا

فياليت شعري متى يكون نساؤنا بل رجالنا في هذه المنزلة من صحة الوطنية مع الحرص على الجامعة العثمانية التي هي عدتنا في شدتنا وبدون هذه الجامعة السياسية لا يرجى لنا بقاء بعد الذي رأيناه من تكالب الغرب على الشرق فنحن ان انصفنا لا ننتزع يدنا من الجماعة لان يد الله مع الجماعة ومن رأى كيف كانت حالة سويسرا والمانيا والولايات المتحدة قبل الوحدة السويسرية والالمانية والاميركية يدرك سر الاجتماع والتعاضد ويعرف ان المركب الكبير يستحيل ان تأتي عليه الانواء بقدر ما تضر بالصغير فقد يغرق هذا او يستغرق في غيره ولا من يسمع به

تعلمنا اوربا واميركا كل يوم معنى من معاني الوطنية والجامعات الجنسية فان كان بعض الاجتماعيين يدعون اليوم الى انشاء جامعة اوربية واحدة وبعضهم الى انشاء جامعة اميركية واحدة و بعضهم الى انشاء جامعة صفراء من اليابان والصين واحدة افلسنا نحن يا ابناء العثمانية احرياء بان نزيد في تكاتفنا وتكافلنا ونرفع من بيننا سوء التفهم بسعي العقلاء منا

طال المقال وبت اخشى عليكم الملال فهل تأذنون بان اختمه بجملة واحدة للمقارنة بين اخلاقنا واخلاق الغربيين وهي الاخلاق التي كانت من اعظم الوسائط في ارتقائهم كما كان نقيضها واسطة في انحطاطنا وذلك انني

تبينت بالاختبار ان الافرنج اكثر تفكراً منا في مصادر الاحوال ومواردها فهم لا يقدمون مثلنا على امر قبل ان يوقنوا من انفسهم الغناء فيه فالصانع في الغالب لا يتطال الى ان يكون سياسياً والمحامي لا يعمل في الزراعة وهكذا اختص اهل كل طبقة بطبقتهم وتفرد كل عالم بما يعلم ولم يتعده فالاختصاص او الاخصاء هو الذي كان واسطة نجاح الغرب ودعوى معرفة كل شيء هي التي كانت واسطة انحطاط الشرق

الغربي يفتخر بانه لا يعرف غير ما تعلمه في مدرسته وحصله من حرفته ولكنه تعلمه فبرز فيه واحاط باطرافه وصبر حتى نضج فتناول ثماره جنية . اما نحن فنسارع في الهبوب كما نسارع الى الرقود فنهب دفعة واحدة كما نخمد كذلك

الغربي يهمه نجاح العمل من حيث هو عمل نافع لامته ولنفسه ولذلك جاءت مصانعهم ومعاهدهم بل وجميع شؤون حضارتهم فخمة خالدة وكانت مصانعنا ومعاهدنا وسائر اعمالنا مختلة معتلة لا تدوم الا بدوام من عمل لها اول مرة فاذا ماذهب تذهب بذهابه

الغربي استفاد ويستفيد بتجارب غيره لان من عادته ان يحسن الانتفاع بكل شيء ونحن من عادتنا ان نهزأ في الاكثر بكل شيء

الغربي يدخل الاصلاح الى داره وبيته وامته بالتدريج بحسب سنة النشوء في عالم الكون والفساد ونحن نحب ان نطفر طفرة في اصلاحنا والطفرة محال لان سنن الفطرة لا تغالب ولا تعاند . الغربي يحب النظام حتى صار ذلك طبيعة ثانية له ونحن لا يهمنا النظام ولا التنظيم . الغربي معتدل علَى الاكثر في عامة احواله ونحن اميل الى الافراط او التفريط . الغربي عبد الواجب ونحن قلما نقوم بفرض او واجب فالغربي كما احسن تقسيم الاعمال والاخصاء فيها

احسن استخدام الوقت احسانه لاستخدام عناصر الطبيعة فجده جد ولكن في اوقات الجد وهزله هزل ولكن في اوقات الهزل ونزهته نزهة ولكن في اوقات النزهة وعمله عمل محض ولكن في زمن العمل والشرقي ويالالاسف ليس كذلك ·

احسن الطبائع في الغربي خلق الاعتماد عَلَى النفس وانكار النفس فهو يعتمد عَلَى كفاءته اولاً ثم عَلَى محيطه وامته وقد يهتم في الاكثر بمصلحة امته اهتمامه او اعظم بمصلحة نفسه ولذلك جاء كل غربي راقٍ امةً برأسه وامة تتألف من افراد هذا حال سوادهم الاعظم ينبسط ظل عمرانها ويمتد عَلَى الارض سلطانها · فالله اسأل ان يهب هذا الشرق المحبوب نفثة من تلك الروح العالية وهذا لا يرجى لنا الا بتكثير سواد امثالكم يا طلاب المدارس العالية فطلاب المدارس العالية هم ولا جرم اهل المطالب العالية فاعرفوا مقدار انفسكم ومقدار الآمال التي تعلقها عليكم امتكم نضر الله وجوهكم وبيض بكم وجوهنا

سير العلم والاجتماع

الدرس في النزهة

اعتادت بعض المدارس في الغرب ان تخرج بتلامذتها في ايام معينة من الاسبوع الى الضواحي تدرسهم في كتاب الطبيعة بعيدين عن الدفاتر والكتب وجدران صفوفهم مايحرر حواسهم من رقها و ينزه عقولهم من اتعابها و يعلمهم معالم بلادهم ومجاهلها وهذا ما سماه احد علماء التربيه بمدارس النزهة وليست هذه المدارس عبارة عن نزهة بسيطة يهيم فيها التلامذة والاساتذة عَلَى وجوههم كما في نزهات المدارس بل انها نزهات هي الى الجد اكثر منها الى الهزل وخطتها واسعة لانها تجمع بين الولد والارض والحياة وتعلمه النظر والتبصر والتفكر والشعور بالحقيقة وجمال الموجودات حيوانات كانت اوجمادات وتوقفه

عَلَى مناظر الطبيعة واعمال ابنائها فيجمع فيها الولد شعوراً ومشاهدات وملاحظات واحكاماً وتذكارات وصوراً عَلَى اختلاف ضروبها يستمد منها معرفة وحكمة

ويخرجون الى هذه المدارس في مساء يوم الاربعاء الاول والاربعاء الثالث من شهر نيسان وايار وحزيران وتموز وآب وتشرين الاول اي في شهور الربيع والخريف اما في الصيف فيخرجون اليها صباحاً خوف الحرارة وفي الشتاء يخرجون في اوقات الصحو والفرق بين هذه النزهات وغيرها ان الاساتذة يكونون عارفين بالخطة التي يجرون عليها وما فيها من مظاهر الكون المفيدة وظواهر الاشياء ليلفتوا اليها انظار تلامذتهم واذا كان في الطريق شيء يغيب عن اذهان المعلمين فيتخلصون من مأزقه في الحال

فباستعداد المعلمين لمثل هذه النزهات ينجو التلميذ من هوى النظام المدرسي وخلل العادات ويتعود التنظيم المدقق بما يسبق نزهاته من تدقيق المعلم بما يلزم لكمال هذه النزهات من الفوائد التي تناسب مدرسته ومحيطه فيذهب التلامذة مجتمعين حول معلمهم اكثر مما هم في صفوف المدرسة يسايرونه في البراري وينظرون ويتأملون ويستمعون ويسألون ثم يعودون الى المدرسة ببذرة من التذكارات فيكتبون مشاهداتهم ويجعلونها في جريدة مذكراتهم وربما اضافوا صور المناظر والاشياء التي وقعت عليها انظارهم ٠

والسبب في هذه المدارس البرية هو ان بعضهم قالوا ان المدرسة لاتعطي سوى جزء معين من المعارف وهذه المعارف منتخبة بحيث لاتضمن للولد كل المعرفة العملية التي يحتاج اليها في الحياة بل انها تؤثر في قواه وتخلق له فكراً وتنيره وتوسعه وفيها التربية الحقيقية فالواجب ان يحمل الطفل من ابناء الشعب عن معلمي مدرسته الابتدائية عادات حسنة من التفكر وذكاء نبيهاً منفتحاً وافكاراً رائقة وصحة حكم وبعد نظر ونظاماً واستقامة في الفكر واللسان ٠ وليس في هذه الطريقة من التعليم طرائق ميكانيكية تبلد الذهن ولا دروس عالية تحوي في مطاويها معلومات تافهة باردة بل فيها كل ضروب التعاون في الافكار المختلفة المرنة ولا سبيل الى ابلاغ العلم الى العقول اذا كان المعلم يلقيه عَلَى صورة مجردة ويعلمه كالمتسلط فعلى المعلم ان لايلقن الا مايقرب من اذهان الطلبة وعليه في كل تعليم ان يستخدم اموراً محسوسة ويري الاشياء بحيث تمسها اليد ويقف بالطلبة امام حقائق ناصعة ويمرنهم بالتدريج عَلَى استخراج المجردات فهو يربي صحة الحكم في تلميذه بما يقوده اليه من النظر ويربي فكر البحث بكثرة النظر والعقل بمعاونته عَلَى التعقل بذاته من دون قواعد منطقية ٠

التلميذ لا يتعلم دروس الاشياء في كتاب مالم تضع امام عينيه صورة الشيء اوعينه والا فيكون كالببغاء يسمع المدرس فيتثاءب والاولى ان ينظر الى الشيء بذاته فان صورته واسطة وخير للناظر ان ينظر مباشرة فينطبع بطابع مايرى واشكاله ويسمع صداه وينشق رياه ويغتني باسماء الاعيان والاجناس التي تفهمه الاشياء وتمثلها لعينيه بما فيها من زخرف ثم يحسن ان تذكر في كتاب مع صورتها . ولئن افادت المعارض الطبيعية والمتاحف في المدارس فان الافيد منها والاقرب الى حصول المقصود ان تعرض الاشياء على انظار الطفل في اماكنها فالواجب ان يرى الحجر في الجبل والحصاد في الحقل المتموج باشعة الشمس والنبات والزهر في النور المرتج قبل ان يفهم بل لاجل ان يفهم مجموعة المعرض من اعشاب وزهور واحجار . يجب ان يذهب الى الطبيعة ليلاحظ الاشياء والمخلوقات في مساكنها واماكنها واكتشاف الصلات بين الارض والبشر .

فيخرج الطفل من المدرسة وهو اقرب الى العمل والحقائق مسلحًا بسلاح ماض من التعليم لطعن عوائق الحياة وليس معني هذه التربية اخصاء التلاميذ في العلم بل تلقينه مبادئ عامة واستعدادًا موسعًا فيه يحبب اليه البلاد التي خلق ليعيش فيها وتلقي في نفسه ذوقًا للبقاء فيها ليعمل لها ويضرب فيها اوتاد مقامه ولذا اقتضى ان ينظر في مظاهرها الطبيعية ويرى صناعاتها وفنونها كيف رقيت ويقرأ تاريخ اجداده ويشعر بالصلات والاتحاد المعقودة بين الارض واجيال الناس الذين راقهم النزول فيها وحولوها منذ قرون الى الحالة التي وقع استحسانهم عليها .

وبهذه التربية تتربى الحواس في التلميذ عَلَى حين تصاب بين جدر المدرسة باغفاء . والتربية الطبيعية تشد أزر التربية العقلية وهناك القوة والنفاذ فيتيسر للتلامذة ان يقدروا الابعاد الشاسعة بسيرهم عَلَى الاقدام ثم بالعين من بعيد ولا يبرحون يتصورونه حتى يرسخ في ذاكرتهم فينظرون الى قامة انسان وعلو بيت وطول شجرة عَلَى اختلافها في البعد والطول ويميزون بين جمال الاصقاع وما يتخللها من المظاهر والالوان اما صغار الاطفال فلا يستطيعون ان يسايروا اترابهم الاكثر منهم سنًا فيجلسون الى ناحية يقطفون زهورًا واوراقًا ويعدونها وبذلك يكون لهم درس في الحساب ثم يجمعونها بحسب اشكالها وحجمها وبذلك تتمرن السنتهم عَلَى الكلام واذهانهم عَلَى النظام . فحاسة الذوق والشم تتمرنان باستنشاق الزهور وجنيها ورائحة الارض والمرج وغابة الصنوبر والسمع يتعود الانصات الى خرير المياه وتقدير المسافات التي تبلغ بها الآذان وتتمرن الايدي كما تتمرن العيون

عَلَى المساحة وتكعيب الخشب فتقرب التلميذ من الارض ومن اعمال البيوت

نعم بهذه الواسطة يتمرن الطفل عَلَى الحساب والمساحة والعلوم الطبيعية بما يعده ويحسبه ويحوله ويجمعه من النبات والحيوان والمعادن والاحجار والمسافات وهكذا ينتقل نظر التلميذ في الخلاء من حقل يعمل فيه صاحبه بيده وكرم يعزقه مالكه ومعمل يشتغل فيه الفتيان والفتيات وترتفع الكلفة بين المعلم وتلاميذه فيسيرون معه او يسير معهم كما يسير اب مع بنيه و يدرك التلامذة باحتكاكهم بارباب الصناعات وعملة الحقول ان العمل شريف في ذاته وانه خير مايعد له نفسه

العالم في الصور

كتبت الآنسة برس في مجلة التربية مقالة قالت فيها : ان اول من رأى تسهيل الدرس عَلَى الاطفال بوضع صور في الكتب المدرسية هو احد قدماء العلماء آموس كومنيوس (١٥٩٢—١٦٧١) وما برحت طريقته تنتشر ولكن عَلَى ضعف حتى العهد الاخير وقد غدت الكتب المدرسية وغيرها مصورة كلها بل افرطوا في تصويرها حتى قال بعضهم ان كثرة الصور توشك ان تأتي عَلَى كل اجهاد للفهم وتفكر الانسان بنفسه في موضوع بمجرد وصفه وصفاً بسيطاً . ولكن الذاهبين الى ان الصور تضعف قوة التصور هم عَلَى خطإ في دعواهم فان الصورة تقوي الجهاد للفهم وذلك بان تجعل الحواس والذهن تتحرك بنفسها منذ الصغر و يتسع امام الطفل عالم العلم المنوع وتعلق بواسطته مبادئ من العلم غير قليلة و بذلك يكون الفكر في سعة من الوقت والقوة اللازمة للبحث في امور أخرى لايتأتى التمكن منها بالنظر . نعم ان الصور توضح كل شيء بحيث تكتفي ارباب ارباب العقول العادية بما فيها وهي مفيدة ايضاً لتفتح لارباب الافكار العالية اموراً جديدة أخرى . ولعمري اليس التصوير من حيث الجملة هو سبب ونتيجة لاتساع الانتباه العقلي في السنين الاخيرة .

فالواجب ان تري الجغرافيا عيوننا صوراً من بلاد العالم لم نرها ولن نراها . وان يكون التاريخ معرض صور لكل عصر او لكل القصص التي تعظم قيمتها لقلة صحتها لانها تعبر عن حالة الافكار العامة لزمن او لشعب اهم من فكر الابطال الذين تنسب اليهم . وان يكون التاريخ الطبيعي عبارة عن نزهة حية في حدائق حيوانات او حيوانات تتمثل حية ونباتات تبدو بجمالها وقوة اصولها وصخور تبدو عَلَى اجمل مظهر لتنبه النظر الى التأمل

نعم فلتكن عجائب المعامل والادوات وما وصلت اليه بعض الصناعات والاعمال

الاجتماعية من الارتقاء من مألوف عقل الولد بواسطة التصوير وبذلك يربح الطفل لنفسه وللمستقبل لان مايتمثل لعينيه يقيمه وسط التمدن العصري محفوفاً باكتشافات العلم وتبدل الاخلاق السريعة في تحولها اليوم وكم من عادة كانت بالامس غريبة فاصبحت اليوم من المألوفات وقد كان اجدادنا يضحكون من الكهربائية وتأثيراتها وها قد بلغت منزلة المألوف وكذلك سيكون الحال غداً في الطيران في الهواء فلكي يستعد الطفل لتلقي مايحدث غداً من الارتقاء يجب عليه بعد الآن ان ينظر بلا انقطاع بكل مافيه من قوة نظر الى ارتقاء اليوم ٠

والصور مفيدة في تعليم الحساب وتصور الحياة العملية وفي دراسة النحو والصرف فان كتاب علم مصور تصويراً جيداً هو درس في الذوق والطف في الصناعة والواجب ان ينبه المعلم تلميذه الى ماحوت الصورة التي تمر في الدرس من المعاني وان كان من الصور ماينطق بنفسه فالاولى ان ينطقه ٠ فالطفل لاول حركته يعطى لعباً وصوراً منقوشة مجسمة فاذا تقدم في السن تعرض عليه صور على الورق ليتعلم منها مايحدث في الحياة البيتية فيشرح المعلم لتلميذه كل الادوات والآنية والخزف والماعون والثياب لينبه ذهنه الى كيفية استعمالها واذا شرحت الصور للولد شرحاً كافياً لايلبث متى ادرك ان يقلدها بيده ويتعلم ماهو بعيد عنه كأن يدرس ابن المدينة مايجري في القرية وابن القرية مايتم في المدينة فبالتصوير يدخل الطفل في عالم جديد والتصوير يمثل لعينيه العالم في مظاهر لم يكن يتوقعها فيرى حواليه الاشياء والمناظر التي رآها في كتابه وربما كان يمر بها وهو ساه لاه عنها وبذلك يعلم جمال الحقيقة فالاكثار من مجاميع الصور في المدارس والبيوت من اقوى اسباب التعليم ٠

صحة العين

نشر الدكتور دوفور في مجلة التربية مقالة في صحة العين في البيوت والمدارس قال فيها : ان الواجب تنظيف عيون الاولاد والعمل لما فيه وقايتها لا ان يمدوا ايديهم اليها وهي وسخة فلا تستعمل لها اسفنجة ولا خرقة استعملت في سائر اجزاء الجسد ولا ان تغسل عيون الاولاد بماء استحموا به ٠ لان الاسفنجة حتى مايستعمل منها لفرك الوجه لاتخلو من وسخ ولكي يثق المرء بنظافتها يجب ان تجعل في ماء غال كل مرة يراد استعمالها وكثيراً ماتكون الفوط قاسية القماش فالاحسن استعمال شيء من القطن للعيون ثم ترمى بعد الاستعمال واحسن سائل لغسل العين الماء الطاهر واذا أريد مزيد العناية فالواجب استعمال ماء

أغلي ثم فتر وتجعل فيه قطعة من القطن المعروف ثم تمسح بها العين ولاسيما وراء الجفون والحدقتين من جهة الانف والواجب تنشيف العيون بعد غسلها حتى لا يبقى فيها اثر للنداوة · وان يفهم الطفل متى وعى عَلَى نفسه ان لا يقرب يديه وهما موسختان من عينيه كما لا يقرب منها شيئاً يؤذيها من مثل قلم او مقص او شنكل او موسى فاذا كبر وتعاطى بعض الصناعات تجعل عَلَى عينه نظارات تقيها الذرات الضارة

و يقضى ان تكون غرفة المدرسة منوَّرة بالنور الابيض و بنور النهار ما امكن وما دام النور الطبيعي كافياً يجب تفضيله عَلَى النور الصناعي · ومما يضر العين بل مجموع حالة الانسان ان يبقى المرء في غرفة منوَّرة بنور احمر مثل غرف التصوير الشمسي فان للالوان الملونة تأثيراً في النظر · يجب ان يكون النور غزيراً فان مضرة النور القليل تضطر التلميذ الى الاقتراب من دفتره اوكتابه فيشغل قواه النظارية بافراط فاذا عني بصحة عينيه منذ صغره يجود نظره في كبره ولتدارك ذلك يجب ان يكون النور كافياً بحيث يستطيع التلميذ ان يقرأ عن بعد ثلاثين سنتمتراً عَلَى الاقل براحة · و يقضي ان تكون غرفة الدرس بحيث يرى منها التلميذ شعاعاً من نور الشمس اومن ضوء النهار واسوأ المدارس ماجعل خالياً من النور في الطبقة السفلي من البناء لا ترى منها الا الفناء اوشوارع ضيقة

والاصلح ان يدخل النور عن شمال الولد فانه اذا قابله يبهر نظره فيضره واذا استدبره يظلل جسم الطفل ما تحت يده من الورق والكتاب واذا جاءه عن يمينه يغطي السطر الذي يخطه · ويمكن تنوير الغرف العالية من سقوفها واذا أُريد التوقي من نور الشمس في غرف الدرس فالاحسن اختيار ستور رمادية فاتحة كما تجعل الجدر كذلك حتى لا تبهر عيونهم ويجب ان يكون النور الصناعي شديداً ما امكن فالغازدون الكهرباء ضوءاً وخيره ما جعلت له زجاجة ولذلك تفضل مصابيح البترول والغاز والكهرباء عَلَى الشموع وغيرها مما لا زجاج يمنع الهواء عن العبث بنوره · و يقتضي للغرف المنورة بمصابيح البترول والغاز ان تهوى لانه ينبعث من تلك المصابيح بخار وحامض كربونيك تستدعي الهواء اكثر من الغرف المنورة بالكهرباء ·

اما كيفية الجلوس فينبغي ان لا تكون لي كراسي لا تليق الا للجلوس عليها بضع دقائق في احدى القهوات بل تكون بحيث لا يقترب التلميذ مما بين يديه من الكتاب وغيره اقل من ٣٢ الى ٣٣ سنتمتراً و يكون جسمه وذراعاه ورأسه عَلَى وضع يستريح به فاذا جلس بعيداً عن الكتاب اوالدفتر لا يصير احسر قصير النظر او انه اذا كان مصاباً بالحسر

لايزيده اعضالاً . فاذا احب الكتابة يسندمقدم ذراعه علي المنضدة ويبقى مرفقه مطلقاً في الهواء وان تكون المقاعد عالية في الجملة وعلو محل كل تلميذ ٦٥ سنتيمتراً على الاقل ويجب ان يعود الطفل علي الكتابة المستوية لاالسطور المائلة لان المائلة تسبب الحسر وان يعلم العمل بالادوات الكاتبة التي شاعت بالاستعمال في اميركا . ويختار من الكتب مانقرأ حروفه مطبوعة على ورق غليظ في الجملة بحيث لاتبدو الحروف الناتئة من اسفله ويكون الورق ابيض خيراً من الرمادي اوالاصفر الذي يمتدحه بعض اطباء العيون فالحروف الجيدة مالاتلتبس فيه الحروف المتشابهة بالرسم حتىعن بعد . ويجب ان لايتجاوز طول السطر ثمانية سنتيمترات وبين كل سطر مسافة ثلاثة مليمترات وان لاتطول الصفحات ويكون لهاهوامش بيضاء

لايدخل الطفل المدرسة قبل السادسة من عمره ولا يبدأ بتعليم الكتابة الا بعدسنة من بداءته بالقراءة ويعلم الكتابة بالورق والقلم لاعلى الواح من الحجر ولا يعلم في النهار اكثر من اربع ساعات وهو جالس بحيث لاتتجاوز كل مدرسة اكثر من ساعة يفصل بين كل واحدة منها ربع ساعة علي الاقل يصرفها التلميذ في اللعب في الهواء الطلق او تحت رواق بحسب الفصل ولايقرأ التلامذة ولا يكتبون خلال النزهةوان تقلل ساعات درسه في بيته ماامكن لان شروط الصحة تكون فيالبيوت غيرمستوفاة في الجملة وكذلك ينقطع الولد عن الدرس ايام العطلة وكل اسبوع كما تصرف العطلات المدرسية فيالهواء الطلق لافي العمل . والاحسن ان لايملي الاستاذ علي تلامذته مايقتضي عليهم ان ينسخوه بل ان يكتبه ويوزعه عليهم ويلاحظ الاطفال المولعون بالمطالعة فلا يسمح لهم ان يطالعوا في الفراش لان جلستهم تكون غالباً مختلة ونور الغرفة ضئيل ويجب تعويد الاطفال رؤية الاشياء البعيدة حتى تمرن عيونهم على النظر

والحسر هو من الاسباب الرئيسة ان لم يكن فيالعمى التام فلنصف عمى يجعل الانسان عاجزاً ويحول بينه وبين تعاطي اكثر الصناعات وقد فحص كوهن في المانيا سنة ١٨٦٥ زهاء عشرة آلاف طفل فتقرر بان الحسر فيمدارس القرى يكادلا يوجد لهم اثر ويزيد عددهم بزيادة الدرس ويبلغون الدرجة الكبرى من قصر البصر في المدارس العالية والجامعات وان الحسر في التلامذة يزيد من الطبقة الواطئة الى الطبقةالعالية وان كان يكثر في العلماء لكثرة تحديقهم الساعات الطويلة وان الحسر يزيد فيصاحبه كلما تقدم في درسه . وقد اكد كثيرون في بلدان مختلفة هذا الاحصاء فابان البحث بان الافراط

في تقريب العين من المرئيات يورث الحسر وهذا ناشيء من سوء جلسة التلميذ الذي يحني الى جنبه الى الامام مستنداً على مقدم ذراعيه مصعراً رأسه والسبب في الحسر واختلال وجهة العمود الفقري رداءة وضع التلميذ

ولقد كان ولا يزال لمسألة الحسر في المدارس شأن عظيم ولطالما ارسلت الحكومات الى مدارسها بالتعاليم الواجب عَلَى المعلمين تطبيقها علي التلامذة لوقاية اعينهم من الضعف والقصر ومن احسن الخطط التي اختطوها (١) ان يتسم التعليم عَلَى وجه لايضطر فيه التلميذ الى صرف اكثر من ساعة متتابعة (٢) ان تمرن العيون عَلَى النظر الى مسافات متراخية (٣) الرياضة المتوالية في الهواء الطلق والرياضات البدنية (٤) الامتناع من القراءة في العتمة اوفي الشفق اوضوءمظلم (٥) حسن العناية بوضع التلميذ خلال القراءة والكتابة (٦) الحظر عَلَى التلامذة ان يضعوا نظارات عَلَى عيونهم بدون استشارة طبيب العيون (٧) يجعل التلامذة الذين ضعفت عيونهم في مكان يعينه الطبيب (٨) يجب ان ينبعث النور للقاريء والكاتب والمصور من شماله اومن اعلى رأسه (٩) يجتنب النور الصناعي واذا كان لامناص منه فالاقلال ماامكن من القراءة والكتابة عَلَى ضوئه و يبتعد عن التصوير فيه (١٠) يعلم الاولاد بحروف غليظة (١١) يحظر استعمال الورق ligné (١٢) يباعد بين العنق والعمل القريب

تربية البيوت في الضاحية

اشتهر الدكتور ليز في المانيا بانشاء مدارس سماها بهذا الاسم وشاعت طريقتها في اوروبا واميركا عَلَى نحو ما كانت شاعت منذ بضع سنين كتب اديمون ديمولانس في فرنسا القائل باتخاذ التربية السكسونية . وقد كتب في مجلة التربية الفرنسوية يصف طريقة مدارسه قال : اننا انشأنا خلال العشر السنين الاخيرة من بيوت التربية ثلاثة وهي في الضواحي بعيدة عن المدن يتربى فيها التلاميذ ممتعاً بكل قواه الطبيعية والدينية والادبية فيعيش في محيط ملائم لتربية شخصيته عَلَى القوة والنشاط علي صورة تعرف بها قيمة الحياة وافراحها وتكون جديرة بان تساعد على سعادة الخلق فيقوم المعلمون في هذه المدارس بوظيفة المربي الحقيقي يعيشون مع الفتيان الذين عهدت اليهم تربيتهم كما يعيش الاصحاب و يعينونهم ماامكن عَلَى اتمام تربيتهم الشخصية فيلعبون و يعملون معهم و يقاسمونهم اللذائذ والاعمال الجدية و يؤثرون فيهم بالمثال والقدوة و بما يبثونه في قلوبهم من حب الميل الى كل الصور الشريفة والنافعة في العمل . وللتربية العملية المقام الاول في هذه

التربية فيمكنون الطفل ان يعيش في الهواء الطلق ومايتحتم عليه القيام به من انواع الرياضات البدنية يكون متناسباً مع نموه و يعمل به بدون افراط فيوصونه بالمشي والعدو واعمال الرياضة وركوب الدراجة وهذه الرياضة الاخيرة تكون في السنة الحادية عشرة ومن جملة الاعمال التي تقوي جسمه زراعة البقول والزروع والنجارة وهي من الصناعات التي كتبت لها المدرسة فضل التقدم واذ كان الدكتور ليز يعلق شأناً عظيماً عَلَى تأثير جمال الاقليم في التلميذ أسس مدارسه الثلاث في ثلاثة اقاليم بهجة من بلاد المانيا اما الاشغال العقلية فيجب ان يعلمها الطفل عَلَى صورة مقبولة و يتقبلها بفرح فينمو مافيه من الميل الفطري وهبات في النظر وقوته في التفكر كما تربى فيه العواطف الدينية والادبية والوطنية وتنمى بما يحفظ نظام الحياة وسذاجتها واخلاصها المطلق نحو الواجب · و يدرس ارقى صور الصناعة ينمي في الطفل معنى الصناعات وفكرها والشعور بها ·

قال لقد انشأنا في ثلاثة اقاليم بهجة من بلاد المانيا (في هارز تورنغ ورون) ثلاثة دور للتربية للاطفال والمتوسطين والكبار وذلك ليكون ابناء كل سن مع ابناء سنهم و يخلصوا من حبسهم في مدارس داخلية اشبه بالسكن منها بالمدارس فيعمل اهل كل سن مايشاؤن لتنمية شخصياتهم ولهم من تنوع الاقاليم التي ينقلون من مدارسها مايوسع امامهم أفق العمل في الحياة وليس في كل مدرسة اكثر من ٥٠ الى ٧٠ تلميذاً يقسم كل ١٠ الى ١٢ منهم فرقة واحدة يتولى امرها معلم يعيش معهم كما يعيش الاب مع اولاده وهكذا تتسع دائرة اختبار الطفل وافكاره بتنقله من فرقة الى اخرى ومن مدرسة في هذا القطر الى اخرى في قطر آخر تخالفها بعض الشيء في النظام

والعيش في هذه المدارس منوع الاساليب حسن النظام بحيث يلائم تنمية القوى العقلية والطبيعية فيستيقظ الاولاد فيها بين الساعة السادسة الى السابعة صباحاً ليغنموا نشاط البكور فبعد ان يستحموا و يفطروا يبدأون بالدروس وهي خمسة طول كل منها ٤٥ دقيقة وذلك للمتوسطين والكبار اما الصغار فدروسهم اربعة · ودروس الصباح لاتكون الا في فرعين اوثلاثة و يفصل بين كل درس فرصة للنزهة وفرصتان تدوم كل منهما ثلاثين دقيقة تخصص احداهما للركض في الغابة اذا كان الوقت صاحياً وفي الشتاء للتزحلق على الثلج واللوج luge والنزهة الثانية لتناول الطعام الثاني ويتغدون الساعة الواحدة بعد الظهر والتعليم ينتهي الظهر وللتلميذ ساعة قبل الطعام يتعاطى فيها اعماله الخاصة اما الاكل فانا نتبع فيه طريقة الدكتور لاهمان وذلك باننا نكثر من البقول

والثمار ونقلل من تناول اللحم ونتحامى الاطعمة ذات التوابل والمشروبات الروحية والجزء الاول من وقت بعد الظهر اي من الساعة الثانية الى الرابعة نستعمله في الاعمال العملية مثل البستنة والنجارة او في الفنون اللطيفة كالرسم والموسيقي الآلية وبعد الساعة الرابعة يبدأ العمل العقلي عَلَى انه تقال فيه ماامكن التمارين المكتوبة والنصوص المستظهرة . والعمل الجوهري في المدارسة يتم في الصباح وتدوم مدة الدرس في المساء ساعة في المدرسة الصغرى وساعة ونصفاً في المدرسة الوسطى وساعتين ونصفاً في المدرسة الكبرى وبعد رياضة طبيعية قصيرة اودرس في الفضاء يذهبون الى المائدة الساعة السابعة وبعد ذلك يستريح الطفل قليلاً عَلَى نحو مايشاء ثم ينتقلون الى قاعة الأسرة فيبدأ استاذ الموسيقى وجوقة التلامذة في اول الاجتماع وآخره بتلحين قطعة من الشعر ثم يتلو المدير قطعة ادبية تنتشر بها روح الطفل وتكون الادبيات متناسبة مع اقتدار القوى العقلية في الطفل فالصغار يرتاحون الى تلاوة الاقاصيص والحكايات والقطع الشعرية اما الكبار فيحبون انواع الآداب العالية وينام الصغار في الساعة الثامنة وينام الكبار في الساعة التاسعة

وفي كل اسبوع تقضي كل فرقة او أسرة السهرة في رفقة اب الأسرة ويخصصون سهرة اخرى لسماع الموسيقى وكثيراً ماتتلى عليهم محاضرات يقوم بها اصدقاء المدرسة اوالاساتذة انفسهم وهكذا ينتهي اليوم بما يعلي نفس التلميذ ويحدوها الى المطالب العالية . واذ كان التلميذ في حاجة الى الحرية لترتقي مداركه فالمدرسة تطلق سراحه بعد ظهر الاربعاء والسبت ولايخشى ان يسيء استعمال هذه الحرية لان انفراد المدرسة في الخلاء والعيشة الاشتراكية بين الاساتذة والتلامذة وكثرة الاعمال الطاهرة والجاذبة تستدعي نشطته وتقود ارادته

وطريقة المدرسة في التعليم طريقة الوصف والاستدلال التي تساعد الطفل ابداً عَلَى مؤازرة المعلم في عمله . ولا تطبق هذه الطريقة الا عَلَى شرط ان تنظم المواد المدروسة في هذا العمل الابتدائي المشترك وان تعرض من جديد عَلَى الطفل في صورة علمية . واذ كانت الفروع التي تدرس كل صباح قليلة سهل البحث في المسائل التاريخية والعلمية واللغوية وذلك بدرس تجارب الغير والمستندات الموجودة وعَلَى هذا يتأتى التوسع في درس تاريخ الادب بدون ان يجزأ وللطفل من وقته متسع ليعرض افكاره ويقدم اعتراضاته ويهيئ اجوبته .

ان احترام التلميذ لشخصية المربي وطاعته له هي من الشروط الجوهرية في نجاح التربية وهذه المدارس لا تتطلب ذلك من تلامذتها بالخوف ولا بالقصاص . فان التأثير الروحي الناشئ من الشخص المربي الحري بكل تجلة والانقياد للطبيعة او للعقل وتأثير نوع الحياة والعمل المطلوب هي وحدها حرية بتربية اخلاق حرة .

وعَلَى ذلك يسمح للتلميذ ان يجري مع ميوله ويقوم بما يزيد في نشاطه عَلَى عمله ولا تطلبه المدرسة الا بما لا غنية عنه في تربيته الطبيعية والعقلية فتعلمه بالقدوة وبما يسود فيها من الافكار العامة الى ان يدرك ماهية الواجب بحيث يتضح له بان نجاحه هو نتيجة لازمة انتظام منطبق عَلَى العقل .

اما العقوبات فيستغنى عنها في هذه المدرسة لان المربي يتنزل الى تقريب منهاجه من عقل التلميذ ويعامله على نصاب العدل واذا اختلت هذه الشروط تصبح الحاجة ماسة الى العقوبات وعلى التلميذ من ثم ان يتعاطى عمله بابتهاج وهذه هي الطبقة من التلامذة التي تتوخى المدرسة تنشئتها والقيام عليها ولا تطلب منهم الكمال بل تريدهم عَلَى ان يرتقوا ارتقاء تدريجياً متناسباً مع قواهم واستعدادهم . واذا لم يكف ذكاء التلميذ وارادته للتوقي من الاغلاط او لسد مواضع الخلل من تربيته فان المدرسة تنشطه وتصبر عليه في جهاده عَلَى انها لا تكلفه ما لا طاقة له به .

ويعامل كل تلميذ بالاحترام اللائق بشخصه فان المربي الحقيقي هو الذي يكتشف في كل تلميذ حتى في المقصرين منهم في المدارك ماهو جدير بالاحترام وقابل للتكمل فاذا تم ذلك فالحياة المدرسية تنقضي في دعة نافعة ونفع شامل .

واذا مست الحاجة الى انزال القصاص بالتلميذ فلا يكون الا عَلَى اقل درجاته فمن اساء استعمال حريته تحجز عليه ومن تراخى في درسه يغيرون له الاسلوب في الالقاء والمراقبة وطريقة تنشيطه وهكذا تجتهد المدرسة ان تحمل الولد عَلَى الاعتراف بخطائه وتأخذ بيده كل الاخذ لتوقد في نفسه جذوة العمل الصالح . ويحرمون العقوبات البدنية والقصاص الخارجي التي ليس لها علاقة داخلية مع الخطأ الذي ارتكبه كما لا يعمدون الى مكافأة المحسن من التلامذة بمكافآت مادية . لاجرم ان اعظم الصعوبات التي تشاهد في تربية مدارس المدن ناشئة من الخروج عن سنة الفطرة وهذا ساقط من ذاته في مدرستنا بالنظر لموقعها من الخلاء ولطرز معيشتنا .

ولقد اقتنعنا بان كل شخص لم يطرأ عَلَى قلبه وذكائه ما يشوههما كل التشويه هو

قابل للخير حري بالعناية لاصلاح حاله . فالثقة والحب والاخلاص والمعاملة بحسب قانون العقل كلها من العاملات في ضمان النجاح للمرء حتى ان النجاح وان كان لا يرجى في الحال بهذه الطريقة فاننا على ثقة بان البذرة الملقاة لابد عاجلاً او آجلاً ان تأتي اكلها .

نحن نحاول ان نحبب تلاميذنا بدون ضعف افهامهم معنى الواجب ونحببه الى نفوسهم وننشطهم على الرغبة فيه ابداً . هذه هي القواعد التي جرينا عليها منذ عشر سنين وظهرت بعض نتائجها وحذت حذونا بعض المدارس التي انشئت في البلاد الخارجية فابانت عن نجاح وستعظم فائدته في المستقبل اكثر .

معنى التاريخ

كتب الدكتور ماكس نوردو كتاباً بالافرنسية تحت هذا الاسم جاءت فيه بعض الفقرات الآتية :

ان ما كان يراه الجيل الماضي في التاريخ لا يراه الحاضر وما يناسب هذا لا يناسب المستقبل وما يناسب الهنود واليابانيين لا يناسب الاوربيين والاميركيين فالتاريخ يختلف باختلاف الازمنة والامكنة والاشخاص فما ننتبه به اليوم الى مصلحة عامة لا يكون له غداً تأثير في العالم . فالتاريخ يسير في ظلمات الماضي كالانسان الذي يحمل مصباحاً وشخصية المؤرخ تظهر وان قال ذلك المؤرخ ان الواجب اخفاؤها لايراد الحقائق مجردة . وقد قال هيرودتس ابو التاريخ ليس التاريخ سوى لعب ممن يرويه ولا يختلف عن القصائد التي تنظم في تمجيد الابطال الا بكونه نثراً وهذه شعر . وهو الى اليوم لم يبرح على ما يدعيه بعضهم من انه اصبح علماً عبارة عن قصة ولا يختلف المؤرخ عن القصصي الا بان حريته محدودة بحوادث حدثت وعرفت في الجملة وذلك لانه لا يستطيع ان يناقض ما وقع التسليم به عند السواد الاعظم . ليس التاريخ علماً لان العلم ليس الا معرفة الصلات بين النتائج والمقدمات التي تربط الظواهر بعضها ببعض ومعرفة النواميس العامة في الطبيعة التي هي منفصحة عنها . وقد رد المؤلف هربرت سبنسر قول من يطلق لفظ علم على هذا النوع من التقييد والتنسيق في الحوادث . وعبثاً حاولت فلسفة التاريخ ان تحدد الصلة الاصلية في الحوادث وان تضع القوانين التي تتسلسل بها الوقائع التاريخية وربما جاء زمن اقتدر الناس فيه على تدوين تاريخهم خالياً من التناقض اذ ارتقى الفونوغراف والتصوير الشمسي اكثر من الآن . ولكن لا يتأتى ان يدون بهذه الواسطة الا جزء صغير من الحوادث وما وراءها وهو الاهم كنحو ما يضمر في روح البشر ويبقى مخفياً عنا

فلا سبيل الى نقشه ونقله . والحقيقة ان لكل مؤرخ رأياً خاصاً في الصور الكبرى من الماضي والحاضر وقلما تتفق صوره عَلَى صور رصفائه .

التاريخ هو غير تدوين الوقائع بل هو خارج عنه وارقى منه وما التاريخ الا مجموع حوادث اعترضت الجهاد الانساني في سبيل الحياة فهو تابع الاعمال والمحن والميول والحقائق التي يحاول الانسان بها ان يوفق بينه وبين الشروط الطبيعية والصناعية الكائنة في المحيط الذي ولد فيه ويجب عليه ان يعيش وسطه فلا ترى بين رجل عادي ورجل فاتح فرقاً في الطبيعة وكلاهما خاضعان للقوانين الفطرية فالاول لاعلاقة له بغيره قد يعيش ويموت فلا يدري به احد اما الثاني فيؤثر بافكاره واعماله في الوف وملايين من ابناء جنسه فالفرق بينهما في الكمية لا بالكيفية وكم من اناس كبر مقامهم من دونوا اخبارهم حتى ان كثيرين ليعجبون من ارباب الرحلات السخفاء عجبهم من كبار الفاتحين المصلحين وكم من اناس هم عظماء في نظر امة ولا يذكرون عند اخرى وكم من زلازل وحرائق اثرت في الانقلاب البشري اكثر من الحروب والغارات وما سبب ذلك الا المؤرخون فانهم غالوا في هذه وسردوا اخبار تلك على وجه عادي .

قال ومن المحقق ان معرفة الحوادث التاريخية ليس فيها ضرورة حيوية كما هو الحال في الظواهر الطبيعية ونواميسها بل انها تسد في المرء حاجة نفسية بل حاجة اجتماعية . وملكة النقد على الجملة غير مرئية في السواد الاعظم من الخلق فلم يرزقوا استعداداً للتمييز بين الحق والباطل وقلما يهتمون بذلك فكل قول يؤكد قائله صحته يقبلونه مصدقين بدون ان يطلبوا الدليل عليه وان يبحثوا عن درجته من الصحة والتثبت . فكما ان اللاهوت يوقف الناس عَلَى الاسباب الاخيرة في نظام هذا العالم او المعجزات تكشف خفايا المستقبل هكذا تدوين الحوادث التاريخية كان يوقفهم على معميات الماضي . ولو اهتم البشر بالاطلاع عَلَى الاسباب الاخيرة على نسبة اهتمامهم بالاطلاع على الاسباب القريبة لقضي عَلَى عالم اللاهوت منذ عهد طويل عَلَى نحو ما جروا في التاريخ الطبيعي الذي خلفه بلنيوس وعلم الحياة تأليف ارسطو وكتاب الطبيعة لبطليموس ولو اهتموا بمعرفة الماضي اهتمامهم بالمستقبل لادركوا منذ عهد بعيد ان تدوين وقائع التاريخ لا يوصل الى معرفة المستقبل الا كما يدل علم النجوم والقيافة والعرافة

الصحة المدرسية

اجتمعت جمعية الصحة الالمانية في ديسو من بلاد المانيا وبحثت في امور كثيرة في

حفظ صحة التلامذة ولاسيما في مسألة العيون فقر الرأي عَلَى ان خير وقاية للعين من الامراض عناية الامهات بنظافة عيون ابنائهم و بناتهم ثم عناية المدارس بذلك والتوفر عَلَى تقليل النقائص الارثية وملاحظة وضع النور في المدارس بحيث لايقترب الاولاد مما ينظرون فيه وان تجعل الدروس في الصباح اما وقت العصر فيصرف في الالعاب والرياضات حتى يتيسر للنظر ان يتمرن على النظر الى المسافات البعيدة · ولا بأس حين الحاجة من انشاء مدارس خاصة بضعاف الابصار من التلامذة وهذا خير طريق للعناية بنظر حماة الوطن وابناء المستقبل عَلَى ان يعنى ارباب البيوت بصحة عيون ابنائهم عناية المدارس بها بعد

كلية ليبسيك

اختفلت كلية ليبسيك الالمانية بمرور خمسمائة سنة عَلَى تأسيسها فقد أُنشئت سنة ١٤٠٩ عَلَى يد اساتذة وتلامذة من الالمان هاجروا من براغ للخلاص من النفوذ السلافي فمد فريدريك المحارب ظل حمايته عليها وكذلك صاحب مسينا فحازت شهرة وقوة لم تزل محتفظة بهما حتى اليوم · وفيها الآن خمسة آلاف تلميذ من اقطار اوربا وانتدبت كليات المانيا وغيرها من كليات الغرب مندوبين عنها حتى اضطرت عمدة الاحتفال ان تحدد عدد الخطباء وناب كثير من ملوك الامارات الالمانية فيها وقد احتفلوا باقامة موكب تاريخي اشترك فيه الفا رجل يمثل الادوار المختلفة في الحياة المدرسية في ليبسيك منذ سنة ١٤١٩ الى ١٨٣٠ ومما مثلوه فيها مناقشة لوثيروس صاحب الدعوة البرتستانتية مع خصمه ايك وحرب الثلاثين سنة والدور الذي رفض فيه الفيلسوف ليبنز من نيل شهادة الحقوق ودور ليسنج و كيتي واربعة من قدماء تلامذة ليبسيك ·

بلجيكا الحديثة

نشر فرنسوي اقام في بلاد البلجيك زمناً كتاباً في وصفها جاء فيه ان ليس في بلجيكا روح بلجيكية كما ليس في المانيا روح المانية ولا في فرنسا روح فرنسوية ولا في انكلترا روح انكليزية لانه مامن شعب في الارض يملك روحاً خاصة به بل هو مزيج ارواح مختلفة ففي البلجيك شعبان الفالون والفلامند وقد انتبه الشعب الفلامندي في السنين الاخيرة فطلب ان تعامل اللغة الافرنسية واللغة الفلامندية بالمساواة · وفي البلجيك ٢٠٨٢٢٠٠٠ نسمة لايتكلمون بغير الفلامندية و ٢٠٥٧٤٠٠٠ نسمة لا تتكلم بغير الافرنسية و ٨٠١٦٠٠ يتكلمون بالافرنسية والفلامندية و ٢٨٣٠٠ لا يعرفون ان يتكلموا بغير الالمانية

و٧٢٠٠ يتكلمون الفلامندية والالمانية و٤٢٩٠٠ يتكلمون باللغات الثلاث الشائعة في البلاد . والبلجيك متأخرة من حيث التعليم فتجد فيها ١٠١ أمي في كل ١٠٠٠ جندي اي اكثر من عشر ابنائها في حين ليس في هولاندة سوى ٢٣ أمياً في الالف وفي فرنسا ٤٧ وبحث المؤلف في احزاب البلجيك فردها الى ثلاثة احزاب حزب الاحرار وحزب الدين وحزب الاشتراكيين وقال ان الحزب الاول ضعيف بالنسبة للثاني الذي استولى عَلَى الامر فالاحرار يكتفون بان يخاطبوا الارواح والافكار اما سائر الاحزاب فتدعو الى مذهبها بما تقوم به من الاعمال النافعة العملية فهي تسطو عَلَى الفلاح والعامل والطفل ايضاً تتناولهم من المهد ولا تتركهم الى اللحد

محصول الذهب

قالت مجلة الاقتصاديين : مابرح محصول الذهب في العالم يزيد سنة عن سنة وليس هو الذي زاد غلاء المعيشة بل ان الغلاء ناشئ بطبيعة الحال من التدابير السياسية والقوانين الاجتماعية وهاك جدولاً بمحصوله سنة ١٩٠٩ ومنه تفهم ان الاولية قد فازت بها الترنسفال في هذا الباب

	فرنك
الترنسفال	٧٧٠،١٠٠،٠٠٠
الولايات المتحدة	٤٩٢،١٥٠،٠٠٠
اوستراليا	٣٦٧،١٠١،٩٧٨
روسيا	١٧٤،٢١٦،٠٠٠
المكسيك	١٣٢،٦٠٠،٠٠٠
رودوسيا	٦٤،٢٨٥،٥٠٠
الصين واليابان وكوريا	٥٦،١٠٠،٠٠٠
كندا	٥٤،٨٢٥،٠٠٠
الهند الانكليزية	٥٣،٨٨٦،٦٠٠
افريقية الغربية	٢٣،٥٨٧،٥٠٠
مدغسكر	١٢،٦٤٨،٠٠٠
الاقطار الاخرى	١٢٧،٥٠٠،٠٠٠
المجموع	٢،٣٢٩،٠٠٠،٠٠٠

مخطوطات ومطبوعات

أمهات مخطوطات

ندر جداً بين غلاة الكتب العارفين في البلاد العربية مثل الشيخ طاهر الجزائري في دمشق ومحمود شكري افندي الآلوسي في بغداد واحمد بك زكي في القاهرة فهم يتوسلون الى نشر كتب السلف بكل ما لديهم من ذرائع لينيروا بها افاق البلاد ويحيوا موات المجموع والافراد ٠ وطريقة العالم المصري في الدعوة غريبة لانه متبع باللغة او باللغات الافرنجية فقد نشر بالامس تقريراً طبعه بالعربية والتركية لتنظيم خزائن الكتب العامة في الاستانة واقرب الطرق الى الانتفاع بها واليوم نشر كراسة بالافرنسية فقط ذكر فيها الاسباب التي يجب الاعتماد عليها في مصر لاحياء الآداب العربية فيها فقال ان القاهرة منذ أسسها الفاطميون استأثرت بالارث العلمي الذي كان لبغداد وقرطبة فازهرت فيها الحضارة الاسلامية وانارت الافق آثارها فنجحت مساعي العلماء المصريين الى آخر عهد سلاطين المماليك واثمرت اعمالهم ثمرات جنية وكان لهم من تنشيط الملوك والافراد الذي شغفوا بالآداب والعلوم ما دعاهم الى تأليف مجاميع من المخطوطات النادرة والآثار الثمينة وكان للجوامع الا قليلا مدارس وخزائن كتب دع عنك المكاتب التي جعلت خاصة لحفظ المخطوطات

وان الاعمال الباهرة التي قامت عَلَى ذاك العهد لتدل عليها كتب النويري وابن فضل الله العمري وابي شامة والمقريزي والقلقشندي والسيوطي ثم ابن اياس والجبرتي من المتأخرين وان المناصب السياسية التي تولى معظم هؤلاء امرها قد كان لهم منها اعظم مساعد عَلَى اقتباس المواد النافعة لهم من سجلات الدولة وآخرهم علي باشا مبارك صاحب الخطط الجديدة التوفيقية ولكن ما جمع في مصر من مصنفات السلف في خمسة او ستة قرون قد تمزق شذر مذر وانتقل الى مكاتب مختلفة ولا سيما الى الاستانة عقيب ان فتح السلطان سليم العثماني مصر وحمل القسم الآخر الى مكتبة باريز ولا سيما منذ عهد حملة بونابرت عَلَى مصر ومكاتب برلين وليدن ولندن واكسفورد ورومية وفينا وغيرها فجمعتها تلك الحكومات المنتبهة الغيورة عَلَى الآداب واخذ علماؤها يبعثون الينا منها الحين بعد الآخر ما يطبعونه اجود طبع ويعيدون الينا ما ضاع منا بالانقلابات السياسية ويجهل بعض الاجيال الماضية ولقد جمعت بفضل الخديوي اسماعيل واشارة علي مبارك باشا بقايا

تلك الكنوز وأسست لها المكتبة الخديوية توهما قد جاء دور يحق فيه للمصريين ان يستعيدوا سالف مكانتهم العلمية في العالم الاسلامي وبعد ان تكلم على ما ابرزته المطبعة الاميرية من مصنفات علماء العرب مثل كتاب الاغاني والعقد الفريد وتاريخ ابن خلدون وصحاح الجوهري وقاموس الفيروزآبادي وغيرها من المصنفات التي لها شأن حتى عند علماء المشرقيات من الافرنج لفت انظار الحكومة المصرية في عهد الخديوي عباس الثاني الى احياء ما خلفه لنا السلف الصالح واورد ما وفق الى جمعه من مكاتب منوعة بواسطة التصوير الشمسي من الكتب الممتعة او ما استنسخه او عرف مكانه ككتاب « نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين احمد بن عبد الكريم النويري » (ونويرة قرية بالقرب من بني سويف في صعيد مصر) وهو كتاب دائرة معارف في العلوم البشرية التي عرفت في عصره قسمه الى خمسة اقسام وهي السماء والارض وما فيها والانسان وعالم الحيوان وعالم النبات (وفيه نبذة في الطب) والتاريخ وهو في ٣١ مجلداً انتهى قبيل سنة وفاة المؤلف سنة ٧٣٣ هجرية

وتكلم ماشاء بيانه على هذا السفر الممتع وما لقيه من العناء في جمع اجزائه المتفرقة ثم ذكر دائرة معارف اخرى لمؤلفها شهاب الدين ابي العباس احمد ابن فضل الله العمري واسم كتابه « مسالك الابصار في ممالك الامصار » وهو في ٣٢ مجلداً قسمه الى قسمين الارض والانسان وهو دائرة معارف طبيعية جغرافية مع المصورات وتاريخية وادبية وسياسية وهذا المؤلف دمشقي وكان معاصراً للنويري

والكتاب الثالث الذي لفت اليه الانظار « جوامع العلوم لفريعون تلميذ ابي زيد البلخي » من اهل القرن الثالث وهو مثل دائرة معارف ايضاً . والكتاب الرابع والخامس «درر التيجان لابي بكر بن عبدالله بن ايبك الداواداري »و « كنز الدرر وجامع الغرر » للمؤلف نفسه وهو تاريخ مهم فيه امور لم تنتشر بالطبع عن دولة الفاطميين والايوبيين والمماليك وحياة المصريين وغارات التتار واخلاقهم وتقاليدهم واساطيرهم وسبب زوال الخلافة العباسية وفيه ترجمة مطولة للسلطان الناصر قلاوون صاحب المعاهد الخيرية في مصر والشام واحسن سلاطين المماليك وحامي الآداب والمعارف في عصره

والكتاب السادس سيرة السلطان جقمق لابن عربشاه والكتاب السابع كتاب « تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه » وهو من مؤرخي الاسلام الذين تفلسفوا في التاريخ . تطبعه على نفقتها اليوم أسرة جيب الانكليزية بمعرفة

الامير كايتاني الايطالي في رومية والكتاب الثامن « ذيل تجارب الامم للوزير ابي شجاع » و « لطائف المعارف للنيسابوري » وهو في الادب والتاريخ والسياسة والجغرافية والاحصاء و « شجرة النسب الشريف النبوي للملك الاشرف السلطان ابي النصر قانصوه الغوري » وكتاب « صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد احمد بن سهل البلخي » وهو في الجغرافيا وفيه ٢٢ مصوّراً . والبلخي اول جغرافي في الاسلام استعمل رسم الارض وكتاب « تاريخ الامير يشبك الظاهري » وهو رحلة فيها وصف سورية وارمينية وفارس في القرن التاسع للهجرة . ومن الكتب التي لفت اليها الانظار كتاب « الادب الصغير والادب الكبير لابن المقفع » وقد كتب لنا يقول فيهما ان النسختين اللتين ظفر بهما من كتابي الادب الكبير والادب الصغير لابن المقفع هما اجمل واصح بكثير من اللتين اعتمدنا نحن واعتمد عليهما الامير شكيب ارسلان في الطبع وان الذي سميناه بالدرة اليتيمة انما هي الادب الكبير بعينه ونسخة زكي بك هي بالشكل الكامل ومنها كتاب « ترجمة البقية من كتاب يسطوس » احد الاسفة يونان المعروف عند الافرنج بجامبليك وهو الذي قاوم النصرانية في القرن الثالث للميلاد واراد ان تبقى يونان عَلَى وثنيتها والكتاب الخامس عشر رسالة في تاريخ الغناء وعدم حرمته واخبار المغنين في بلاد العرب ومؤلفه من اهل القرن الثاني والكتاب السادس عشر كتاب « العز والمنافع للمجاهدين بآلات الحرب والمدافع » وهو كتاب معرب عن اللغة الاسبانية الاسلامية (الجيادو) بقلم قاضي فاس سنة ١٠٥٠ هـ قال فيه ان البارود اخترعه راهب الماني

هذه هي الكتب التي لفت اليها صاحب اللائحة انظار العالم العربي والغربي معًا وهو يرى ان يبدأ بطبع دائرتي معارف النويري المصري والعمري الدمشقي ليكون لمصر مجد خالد كالاهرام عَلَى الدوام وفقه الله وسائر العاملين لخدمة العلم .

فلسفة الاسلام

نشر الماجور ليونارد الانكليزي كتابًا في الاسلام وسيرة صاحب الشريعة (عليه الصلاة والسلام) عَلَى وجه يرفع الغشاء عنها ويزيل الشبه الشائعة في الغرب اليوم عن حقيقة هذا الدين وقد قدم له السيد امير علي العالم الهندي المشهور مقدمة بالانكليزية واثنى عَلَى عمله وحبه للحق والكتاب يطلب من مكتبة لوزان في لندرا .

النصائح الكافية لمن يتولى معاوية

كتاب في ٢٢٤ صفحة في افعال معاوية بن ابي سفيان رأس خلفاء بني امية وما

عامل به آل البيت وكيف قام عَلَى الامام الحق وشيء من تاريخ ذاك الدور تأليف السيد محمد بن عقيل العلوي الحسيني من نحارير الكاتبين والعالمين

مبادئ الفلسفة القديمة

هي مجموعة فيها كتاب ماينبغي ان يقدم قبل تعلم فلسفة ارسطو لابي نصر الفارابي وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة له ايضاً عنيت بتصحيحهما ونشرهما المكتبة السلفية بمصر لمؤسسيها محب الدين افندي الخطيب وعبد الفتاح افندي القتلان. وقد جعلت له مقدمة في ترجمة الفارابي مطولة وعلقت عليه حواشي مفيدة

سمير الليالي

طبعت المكتبة الرفاعية في طرابلس الشام الجزء الاول من هذا الكتاب تأليف محمد امين افندي صوفي السكري وهو في جغرافية المملكة العثمانية وشيء من تاريخها وهو في ١٩٨ صفحة وعسى ان يزيد المؤلف كتابه تدقيقاً في الطبعة القادمة لان فيه بعض نواقص لايصح ان تبقى فيه

الغصن الرطيب في فن الخطيب

هو مختصر في تعليم الخطابة للشيخ سعيد الشرتوني من فصحاء لبنان وانوييه وفيه كثير من القواعد و بعض امثلة

مطالع الاضواء في مناهج الكتاب والشعراء

هو موجز ايضاً للشيخ سعيد الشرتوني انتقى فيه زبدة علوم المعاني والبيان والبديع والعروض بعبارات وجيزة قال احد الناظرين فيه « تبين لنا اثناء مرور النظر عَلَى مباحث هذا الكتاب ان المؤلف اذا استشهد ببيت شعر يعزوه لقائله او فقرة من المزامير يبين عدد الصحيفة التي وردت بها الا الآيات القرآنية الشريفة فانه اذا استشهد بها لا يعزوها بل يتخذها كالمثال المبتكر من عنده او كالكلام المعتاد فياحبذا لو ارجع الآيات كما يرجع غيرها »

الارض في السماء

هي قصائد ادبية اخلاقية تاريخية واساطير حكمية تأليف امين افندي ظاهر خيرالله من الشعراء والكتاب جمع فيها الحقائق العلمية والنتائج العقلية والفوائد الزراعية عَلَى نمط جديد ولم يلتزم فيها الروي في كل شطر وسماه الارض في السماء اي ماينال به الانسان رغد العيش وحلاوة الامن وهو مشكول بالشكل الكامل ليسهل على كل متناول

وعـدد صفحات هـذا الجزء ١٤٢ ص طبع بالمطبعة الادبية في بيروت و يطلب من مؤلفه في دمشق ·

دروس الحياة الانسانية في مدرسة الله النباتية

هو كتاب في ١٥٢ ص تأليف امين افندي ظاهر خير الله المشار اليه جعل شعاره ان المبروَّات المحدودة تنطق بلسان صمتها عن تمام حكمة الباريء الغير المحدود وفيه مباحث ادبية واجتماعية جعل الدين ولا سيما آيات الكتاب المقدس دعامتها الكبرى وذلك لينتفع به طلاب المدارس المسيحية وهـو مشكول ايضاً سهل العبارة حسن الاسلوب والنسج ·

تاريخ ابي المحاسن

بدأت جامعة كليفورنيا في اميركا بنشر كتب في اللغات السامية فرأت ان تستفتح عملها بنشر الجزء الثاني من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابي المحاسن ابن تغري بردي وهو في ست مجلدات كان نشر الجزء الاول منه في ليدن· وهذا التاريخ يبدأ من الفتح الاسلامي و ينتهي سنة ٨٧٢ للهجرة · وفي هذا الجزء كلام عَلَى خليفتين من خلفاء الفاطميين العزيز الناصر والحكم ·

حضارة بابل

نشر المسيو مارتين ٢٤٨ رسالة باللغة البابلية وجدت في ابي حبة عَلَى خمسين كيلومتراً من مدينة بابل وفيها اشـارات الى ثروة تلك البلاد واشخاصها ومجتمعها المدني والديني واشغالها التجارية والحقوقية وذلك مدة خمسين سـنة من سقوط بابل الى اوائل قيام دارا ملك الفرس ·

ابن الطفيل

نشر المسيو ليون غوتيه بالافرنسية كتاباً على ابي بكر ابن الطفيل احد فلاسفة الاندلس فيه ذكر حياته واعماله واشار الى رسالته حي بن يقظان في الحكمة المشرقية ·

ابن رشد

نشر المستشرق المؤما اليه كتاباً في ابن رشد الفيلسوف الاسلامي جعله تتمة لما كتبه الفيلسوف رنان عنه وافاض في الكلام عَلَى كتاب فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ·

المقتبس

جرائد الولايات العربية

كل شيء آخذ بالنشوء والنمو في هذه الديار الا جرائد الولايات العربية الرسمية فانها كلما طال عليها الزمن تنحط مكانتها لانها كانت ولا تزال تقدس اعمال الولاة وتزكيهم الا قليلاً وجرائد هذا حالها كيف يرضيك خبرها ومخبرها .

للحكومة العثمانية اليوم اثنتا عشرة ولاية (او لواء) عربية تصدر فيها ١١ جريدة رسمية أسوة سائر الولايات في آسيا الصغرى والروم ايلي وهي طرابلس الغرب ، بيروت جبل لبنان ، القدس ، سورية ، حلب ، الموصل ، بغداد ، البصرة ، الحجاز ، اليمن تصدر مرة في الاسبوع لتقريظ اعمال الولاة والمتصرفين ونشر بعض اوامر الحكومة باللغتين العربية والتركية لان الاولى لغة البلاد والثانية لغة الحكومة والعربية منقولة عن التركية بالحرف ولكنه نقل لا تقدر ان تقول عنه عربياً ولا مولداً واحر به ان يكون لغة خاصة يكاد لا يفهمها الا قلائل ممن ألفوها اوممن يعرفون التركية فاذا عسر عليهم فهم عبارة قلبوا الوجه التركي من الجريدة فقرأوا الاصل لينحل معهم الاشكال .

الى هذه الدركة من الانحطاط بلغت لغة تلك الجرائد بفسادها ولو كانت منتشرة بين طبقات القوم انتشار سائر الجرائد العربية لافسدت من ملكة الادب العربي فساداً لا يشبهه فساد ولكن من حسن الطالع ان قراءها محصورون او يكادون يعدون عَلَى الاصابع واقدمها أُنشئ منذ خمس وار بعين سنة واحدثها منذ سنتين وثنتان منها وهي الزوراء جريدة بغداد والموصل تصدران بالتركية الصرفة كأن الحكومة اعتبرت الجزيرة والعراق من الاقاليم التركية اوانها ارادت ان توفر عَلَى اللغة العربية بعض الالفاظ والتراكيب الرديئة تصدر عن اعظم العواصم العربية القديمة اوانها لم تجد في دار

السلام والموصل الحدباء من يعرب لها جريدتها الرسمية . وجريدة لبنان تصدر بالعربية فقط وهي احسن الجرائد الرسمية عبارة . ولذا فان كلامنا اليوم مقصور عَلَى تسع جرائد لتسع ولايات كبرى كل منها خربة بان تدعى مملكة لاولاية لاتساع بقاعها وكثرة نفوسها وقديم مجدها ونكتفي بايراد جمل من جرائدها الرسمية ننقلها نموذجاً على انحطاط اسلوبها وتراكيبها نلتقطها من صفحة واحدة من كل صحيفة ولانشير الى الجريدة حرصاً على كرامة القائمين بها وان كان معظمهم لايعرفون من العربية جملة ولا من قواعدها قاعدة وهم عامة يكتبون وينشرون بدون مبالاة بما يفسدون به لغة العامة والخاصة وان كانت تتفاوت تلك الجرائد في عباراتها . فما ورد في احداها قولها : «صورة التحريرات الواردة بالشرف» وهي تعريب عن الاصل التركي بالحرف ولفظ التحريرات لم يسبق في الفصيح استعماله كما لم يسبق للعرب استعمال خطاب بمعنى كتاب المستعملة بين المصريين ويجمعونها عَلَى خطابات قال في التاج « وتحرير الكتاب وغيره تقويمه وتخليصه باقامة حروفه وتحسينه، باصلاح سقطه وتحرير الحساب اثباته مستوياً لاغاث فيه ولاسقط ولا محو » فالتحرير يجمع عَلَى تحارير وليس هو مقابل لفظ رسالة او ألوكة او كتاب . اما تركيب « الواردة بالشرف » فمن اسمج التركيب

وقالت : « ان التشتت والافتراق هما يسببان ويحدثان الغوائل والمشكلات الداخلية ويؤديان الى انقراض الهيئة المعظمة العثمانية واضمحلالها كما تشهد بها امثالها التاريخية ولايحصل لها السلامة والسعادة والترقي والتعالي الا باتحاد قلوبهم واتجاهم جميعاً نحو غاية واحدة فنظراً لهذه الحقائق رئت نواب الملة تشكيل الجمعيات المبنية عَلَى اساس القومية والجنسية والمعنونة بهامخلة بالوحدة العثمانية » ففي هذه الجملة من الركاكة والالفاظ المبذولة الزائدة الدخيلة ماتراه . فاي داع اولاً لتكرار لفظي التشتت والافتراق والغوائل والمشكلات وفعلي يسببان ويحدثان وانقراض واضمحلال وكلها بمعنى واحد يستغنى باحداهما عن الاخرى ثم الى اين يرجع ضمير امثالها وكذلك كيف يرجع ضمير اتجاهم جميعاً . وتركيب يحصل لها السلامة والسعادة والترقي والتعالي من التراكيب السقيمة ولامعنى للتعالي هنا ولو قال لتتم لهم السلامة الخ لكان اسلم ومن القبيح استعمال « فنظراً لهذه » واقبح منه « رئت نواب الملة تشكيل » فان في هذا التركيب ثلاث غلطات فقط الاولى في الرسم فكان الوجه ان يقال « رأى » ولفظ الملة لاتستعمل بمعنى الامة في العربية وهو من استعمال الترك فالملة الشريعة او الدين كملة الاسلام والنصرانية

واليهودية قال في التاج : وقيل هي معظم الدين وجملة مايجيء به الرسل وقال الراغب : الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه ليتوصلوا به الى جواره وقال ابو اسحق : الملة في اللغة السنة والطريقة . وكذلك يقال في « تشكيل » فليس في العربية التشكيل بمعنى التأسيس اوالانشاء فتشكل في الامر عندهم تصوروشكله تشكيلاصوره . وما ابشع تركيب « الجمعيات المبنية عَلَى اساس القومية والجنسية والمعنونة بها » فتجد الالفاظ عربية في الظاهر ولكنها مبذوءة في تركيبها

وقالت : « فيجب ان تبلغون الذين يقتضي لهم التبليغ بالصور الحسنة والمناسبة وتبينون لهم ان ليس في هذه المادة غرض سوى المحافظة عَلَى الوحدة العثمانية المتكفلة بالسلامة والسعادة العمومية وان تجري التدريسات الابتدائية بالالسن القومية وتساعد على الجمعيات الخيرية والعلمية وان لا يتلقى احد الممنوعية المذكورة في شكل التعرض الى الاقوام » فالغلط النحوي في هذه الجملة وهو ما نسامح به لانه بسيط لا يفسد اللغة بقدر ماتفسدها تلك الالفاظ المعسلطة والتراكيب الشائنة المغلطة مثل « تبلغون الذين يقتضي لهم التبليغ بالصور الحسنة والمناسبة » ولو قال : تبلغون من يجب عَلَى مايجب . لكان اخصر واسلم . ولو قال الكفيلة بالسلامة العامة والسعادة الشاملة لاجاد ولفظ التدريس لايجمع عَلَى تدريسات ومن الالفاظ مايستحب مفرده اكثر من جمعه ومنها مايعذب جمعه اكثر من مفرده ولعل جمع تدريسات جمعت عَلَى مثال تحريرات وكم ادخلت التركية عَلَى العربية من هذه الجموع والالفاظ التي تجدها عربية الاصل ولكن اتى عليها شيء من العجمة ومنها مانقل به اللفظ عن اصله مثل التشكيل .

ومن سخيف اللفظ « الممنوعية » فان المنع عربي في الاصل ولكن هذه الصيغة لم تعهد للعرب ولا لمن بعدهم وانما جاءتنا في القرون المتأخرة ومثلها الممنونية ولا يقال انا ممنون منك فالممنون المتطوع بل ممتن لك كما لا يقال المحظوظية والمسرورية والامنية بمعنى الامن والمقطوعية والمعلومية والمأذونية والمفهومية والانتقالية والفراغية وكل هذه الصيغ لاتجوز في لغة العرب دخلت عليها من التركية فاللحن كما قال عبداللطيف البغدادي يتولد في الامم والنواحي بحسب العادات والسير

وما دام في اللغة متسع عن هذه الالفاظ فالاحسن نبذها وكذلك يقال في التنسيقات والمأموريات فقد خطأوا من قال من المتكلمين هذه المحسوسات وقالوا صوابها المحسات لانه يقال احسست الشيء بمعنى ادركته فاما المحسوس فهو المقتول من حسه اذا قتله .

ولو راجع من يمسكون القلم العربي ليكتبوا به الجرائد في معاجم اللغة مثل هذه الالفاظ ونظروا في اصولها لردوا اكثرها الى الصحة من تلقاء انفسهم

وتقول « ينبغي اجراء التعقيبات المتمادية والشديدة بواسطة مأمورين البلدية تحت نظارة الاطباء في المواقع المحررة آنفا وتجري الفيران الميتة والقائهن في الماء المغلي وامساكهن بمللقاط الحديد الطويل وتبليلهن بدهن الكاز واحراقهن بالنار ... يجب اجراء الوصايا والتوضيحات الكافية للاهالي لاتلاف الفيران اللواتي لم تصبهن المرض بعد لالا يمرضن ويكن واسطة لانتشار المرض ويجب ايضاً على الدوائر البلدية اعطاء اجورات مناسبة لكل فارة التي يصطادونها الاهالي بالفخ قصداً لتقليلهن في البلد »

هذه الجملة وحدها كانت تكفي الدلالة على ما في هذه الجريدة من منافيات البيان والقواعد المألوفة لصغار الطلبة دع عنك كبارهم . فمن الاغلاط اللغوية التي فيها « التعقيبات » و « التوضيحات » و « الاجورات » و« وقوعات» ومن الاغلاط النحوية « مأمورين البلدية » والصواب مأموري البلدية و « لكل فارة يصطادونها الاهالي بالفخ» وهذه اللغة يسمونها لغة البراغيث من قولهم اكلتني البراغيث واولى ان تسمى لغة الفيران للتناسب ومثله تنزيل الفيران منزلة العاقل فقال (القائهن) والصواب القاؤها (وتبليلهن بدهن الكاز واحراقهن الفيران اللواتي لم تصبهن المرض بعد لالا يمرضن ويكن ... قصداً لتقليلهن) والاولى ان يقال دهنها بالكاز واحراقها ... الفيران التي لم يصبها المرض بعد لئلا تمرض فتكون ... قصد تقليلها و (لالا) هذه من اغلاط الرسم وصوابها لئلا كما يفهم من سياق العبارة ومن مراجعة الاصلي التركي وكذلك (مللقاط) والاحسن ملقط ولم تكتف هذه الجريدة باستعمال الالفاظ التركية المهزعة بل هي تدخل الى العربية الفاظاً افرنجية لها في اللغة مايقابلها مثل لفظة (كادرو) التي شاعت في العهد الاخير في هذه البلاد يراد بها الموظفون الغير العاملين فيقولون اخرج فيها خارج الكادرو او القادرو وهي لفظة فرنسوية والاولى ان يقال اخرج من الخدمة او اسقط او ما ماثل ذلك . و (محلول السوبليمه) ولو قال محلول السليماني لافهم وما اعجم و (البارافات) ولو استعاض عنها بالاكواخ لاصاب شاكلة الصواب ولفظ (سوبليمه) و (باراك) من الالفاظ الفرنسوية ايضاً وعندنا مايقابلهما من اللسان العربي

وجاء في جريدة اخرى لقطر آخر .. المتعين لمتصرفية .. والصواب المعين . و

ندعوا لماليه بالموفقية وهي جملة لم تشتم رائحة العربية ولو قالها عربي لاوردها هكذا (ندعو له بالتوفيق) فالموفقية من الالفاظ العربية المتتركة والاولى حذف الالف من ندعوا كما تحذف في موزعوا الجرائد ومأموروا الادارة · وقالت: (بحمد الله تعالى وعنايته التي لانهاية لها من منذ يومين ثلاث قد تنزلت الامطار النافعة في ·· وجوارها واخذت الزراع صيب المواضع · وفي اثناء نزول المطر في يوم الاحد قد اصابت الصاعقة المطبخ الواقع في الجهة الشمالية من خسته خانة المركز العسكري وبحمد الله لم يكن تلفات في النفوس ولا ضايعات سوى احتراق يسير في ارجل محمد علي من الخدمة بدون تأثير) هذه القطعة التي افتتحها الكاتب وختمها بحمد الله نقول فيها الف سبحان الله لما فيها من الركاكة والافساد للغة قريش · وما اظن رجلا من عرض الناس يكون له بعض مطالعة قليلة يكتب عبارة احط من هذه ودليلنا (من منذ يومين ثلاث) و (لم تكن تلفات في النفوس ولا ضايعات سوى احتراق في ارجل محمد علي من الخدمة بدون تأثير» وغير ذلك من الغلط الفظ الفظيع · اما « تلفات وضايعات » فتتصرف على وزن (موفقيات) و(تنسيقات) (وتعقيبات) الفاظ اصلها عربي ولكن تركيبها اعجمي · ولم نفهم (اخذت الزراع صيب المواضع) الا عندما قلبنا الوجه التركي فرأينا فيه ماتعريبه: (فاخذ الزراع يحرثون حقولهم ويسرعون الى بذرها) كما انا لم نفهم نسبة الارجل الى محمد علي وهل هذا الخادم له اكثر من رجلين كما نرى الآدميين ام له عدة ارجل ولعل هذا يقاس عَلَى ما مر بك آنفا من تنزيل غير العاقل منزلة العاقل في جملة الفيران · ومن ابشع التعابير تعبير (بدون تأثير) في آخر العبارة اما لفظ (خسته خانة) فلها في العربية مايقابلها مثل دار المرضى اومستشفى وكذلك جميع الالفاظ التي تختم بخانه فالواجب عَلَى العربي ان لا يخون لغته بل يردها الى اصلها فلا يقول دفترخانه ولا تيمارخانه ولاطوبخانه ولاموزخانه ولاباروDخانه ولاقره‌قولخانه بل يقول دار السجلات ودار المعتوهين ودار المدافع والمتحف اودار التحف ودار البارود ودار الخفر او الخفرة الخ

ومن ركاكات هذه الصحيفة (لاجل تقوية الانضباط بداخل المملكة روي لزوم انشاء واحد قره‌غول في مواقع ····· مخصوص لاقامة قوميسر البوليس · وقد تبرع ··· بخدمة مفتخرة باعطاء عرصة منهما يكون انشاء القره‌غول ·· المصارف الانشائية المقتضية للقره‌غول المذكور تعهد بتأديتها اعانة من طرف ·· مأمور التوتون الرژي ·· فابراز الحمية من المومى اليهم بهذه الصورة اوجبت التقدير والممنونية ·)

وكان الاجدر ان يقال لتوطيد امور الضبط في البلاد دعت الحاجة الى اقامة مخفرة ..
ليقيم فيها مفوض الشرطة خاصة فتبرع فلان باعطاء عرصه تبنى فيها المخفرة واخذ عَلَى نفسه اداء النفقات لبنائها ... فلان وفلان مأمور حصر الدخان .... وحمية المومـا اليهم حرية بالشكر موجبة للاجر وهنا ننبه الى رسم (المومى اليهم) الواردة في العبارة فالاولى رسمها بالالف لانها من اومأ والاتراك يرسمونها بالياء وكثير من كتاب الصحف يتابعونهم عَلَى رسمها غلطاً . وجاء في هذا العدد (التقسيط المعطا من طرف ...) وكان الاولى ان تجعل الف المعطى بدل ياء (المومى اليهم)

وجاء فيها : (تفضل بالاشعار من جانب قوماندان القواي العمومية ان مجموع الاعانة للبوابير العثمانية في المعسكر الهايوني بلغت كما هو محرر اعلاه تسعة وخمسين الف وسبعمائة وثمانية وثلاثين قرش وعشر بارات وقد ارسلت رأسـاً الى دار السعادة فابراز حمية المتبرعين الجدية جديرة بالمحمدة والشكران) في هذه الجملة اربع الفاظ اعجمية كان يتأتى الاستعاضة عنها بالفاظ عربية مثل (قوماندان) قائد (وقواي) القوة و (البوابير) السفن و (الهايوني) السلطاني . ولو قال كتب قائد القوة العامة ان قد بلغت الاعانة للسفن العثمانية في المعسكر السلطاني ... لاحسن ولفظ (قرش) تنصب عَلَى التمييز ولم نفهم معنى حمية المتبرعين الجدية ولا الشكران .

وفي هذه الصفحة من الصحيفة اغلاط شائنة اخرى اكثرها مما يعرفه احداث المدارس مثل : (ان طالبين المأمورية تؤخذ منهم ورقة ترجمة الحال ابتداء ليعلم منشاهم وهويتهم والغير تابعين لهذا الاصول لايكون اسعافهم لمسئولهم) وتعريب هذه الجملة هكذا : تؤخذ من طالبي التوظف تراجمهم باديء بدء ليعرف منشأوهم واحوالهم ولا يجاب سؤل من لايجرون عَلَى هذه الاصول) ولفظ «هوية» تكثر في الكلام المولد مثل كمية وكيفية .

وجاء ايضاً مانصه وفصه : «فالمأمور الذي يمتنع ويصر على عدم اعطاء ترجمة الحال بلا مانع فيلاحظ انه لمقصد ستر واخفا بعض خصوصـات عائدة لسيئات سوابق احواله فالمأمورين المختارين السكوت في مقابل اغماض العين بهذا الباب يرى انهم غيرموافقين للمصلحة» وتعريب هذه الجملة كما يأتي : «علم ان لمن يمتنع من الموظفين عن اعطاء ترجمته بلاموجب مقصداً يريد ستره لسوء حاله والسكوت عن اهل هذه الطبقة يعد من الاهمال ولا يوافق المصلحة بحال»

ومثله «في هذا الحال واختياره لايكون تجويز هذا المقصد والطالبين المأمورين

بداية اذا مااعطوا ورقة ترجمة الحال لايكون قبولهم في خدمة الدولة قياساً للاصول » و « لاجله لزم التبليغ تعميماً ٠٠٠ لايجوز قطعياً لمأمورين الحكومة ٠٠٠ وعلى فرض يحصل خلاف هذا الاساس من المستخدمين في خدمة الحكومة فطبيعياً تجري بحقهم المعاملة اللازمة وبناء عليه يقتضي ايفاء التنبيهات » جمل كلها من السخافات والركاكات بمكان لايصل اليه كاتب الا بخذلان من الله ٠

وجاء في جريدة لقطر آخر : « بناء على شدة احتياج اهالي الولاية وضرورتهم كما علم من قرار تصفية البقايا وكان تدقيق ذلك وتطبيق تعليمات مضبطة البقايا الى نهاية سنة ١٣٢٠ في درجة الوجوب فقد تقرر استحصال الامر بالتلغراف واجراؤه » وتعريب هذه الجملة كما يأتي : علم من قرار تصفية بقايا الاموال ان اهالي الولاية في حاجة ماسة الى ان تطبق عليهم لائحة البقايا الى نهاية سنة ١٣٢٠ ولذا تقرر استصدار الامر بلسان البرق وجرى العمل به ٠

وفي هذه الصفحة من الصحيفة الفاظ اعجمية عمت بها البلوى في اللغة القرشية مثل : « ارسلت الولاية بمحررة » اي في كتاب او رسالة ٠ و« استحصال امر وتسريع اجرائه لاهميته » والاولى استصدار الامر والعمل به في الحال لخطورته او خطره او شأنه اومكانته ولفظة اهمية مثل موفقية ومعمورية اصلها عربي وتركيبها اعجمي وكذلك « لتأمين وادامة نعمة الامنية والراحة الى منتهى حدودها » اي لتوطيد دعائم الامن والراحة للغاية ٠ ومثله نسب قوميسيون التنسيق اعطاء معاش المعزولية الى ٠٠٠ اي رأت لجنة الاصلاح منح راتب عزل الى ٠٠ ولفظ معاش غير وارد في هذا المعنى والاولى ان يقال راتب اومشاهرة وكذلك نسب رأى مناسباً و « قوميسيون » لجنة و« المعزولية » مثل الممنونية والامنية والاهمية تقاس عليها ولكن لا تقس عليها بالله عليك ومثلها تبليغات وتعليمات وايضاحات ٠ وفي هذه الجمل تراكيب رديئة مثل : « باش كاتب الاعشار وبلغت لهم الكيفية بتذاكر مخصوصة ٠٠٠ المخبر عنه يكون مظنوناً باشهار السلاح ٠٠٠ ان ينظموا محاسباتهم العائدة لزمان ادارتهم بمجرد ماينفكون عن مركز وظائفهم ٠٠٠ وبذلك ظهرت انه نزلت علامة الخصب والبركة في السنة الآتية ٠٠٠ يقرر في حق المفتين بعض احوال مخصوصة مستثناة ٠٠٠ » والخطب يسير في ارجاع هذه الجمل الى العربية فيقال : رئيس كتاب الاعشار وابلغوا ذلك في رسائل خاصة ٠٠٠ المتهم بانه شهر السلاح ٠٠٠ يضعون محاسباتهم ايام ادارتهم عندما يغادرون وظائفهم ٠٠٠ الخ

وتقرأ صورة من صور الركاكة في صفحة واحدة ايضاً من تلك الجرائد التي تصدر في قطر آخر ايضاً فمنها : « يلزم ايفاء التعقيبات القانونية بحق من ٠٠٠ لكل الملحقات والمراجع الايجابية ٠٠٠ اسماء الذوات الذينهم عينوا ٠٠ حيث كانت ارض انموذج الزراعة بعيدة عن البلد وواقعة في محل لايمر فيه احد ولم يستفاد من هذا الانموذج شيء حال كون نفق عليه الاموال الكثيرة وبذلت باصلاحه المساعي الوفيرة فاستئذن كل من مجلس الولاية العام ومجلس الادارة من نظارة الاحراش والمعادن والزراعة بان يجعل الميدان والبستان الذي في جواره جفتلك الانموذج ٠٠٠ وعرف عن اهمية المسئلة ايضاً وحين اقتران ذلك بالتصديق العالي يجري الايجاب اللازم » ٠ وصوابه : اسماء الاعيان الذين عينوا ٠٠٠ لعامة العمالات والمراجع ٠٠٠ لما كانت ارض الحقل الانموذجي ٠٠٠ لم ننتفع به في حين انفقت عليه الاموال الطائلة استأذن مجلس الولاية العام ومجلس الادارة نظارة الخراج بان يجعل مزرعة انموذجية ٠٠٠ عرف بمكانة المسألة حتى اذا صدق عليه يعمل بموجبه ٠

وفي هذه الصحيفة من الالفاظ الاعجمية كل ماتنقبض منه النفس العربية مثل « المشروطية » و « الشائعة » و « والمضبطة الاسترحامية » و « حيثية ملة النجيبة العثمانية » و « استرحامات » و « تفوهات لسانية » الخ ويمكن ان يقال عنها الحكومة النيابية او الدستورية والاشاعة ومضبطة الاسترحام وشرف الامة العثمانية الكريمة ٠ واسترحام وتفوه ٠ ونرى هذه الجريدة كلما ارادت ان تتفاصح تسقط مثل قولها : « ماتقرر وما افتكر بتاتا تبديل والينا المحترم واعهد بان هكذا اشعارات لاتنقص بعزم وحزم حضرة المشار اليه الذي يتعلق باصلاح المملكة ٠٠ المرتبة العليا والمكان المسمى ٠٠٠ تترنم بالانغام المحزنة التي تفعل بالارواح مالاتفعله السراح » تريد ان تقول لم يتقرر ولم يفكر بتاتاً في ابدال والينا المحترم وعهدي بان مثل هذه النبآت لاتضعف عزمه ولاحزمه وهو العامل على اصلاح البلاد ٠٠٠ المرتبة العليا والمكان السامي او الاسمى ٠ ولم افهم مايراد بالسراح هنا ٠ وكذلك « نحن متحسسين بحياة حب الوطن » اي شعورنا وطني اوما شاكل ذلك ولفظ حسيات يرسمونها بالتاء المفتوحة مثل ثقات لاثقاة ولكن ليست من العربي في شيء ٠

واليك انموذجات اخرى من جريدة قطر عظيم آخر : « غير خاف على ان جميع المأمورين والمستخدمين هم مكلفون باعطاء اوراق تراجم احوالهم وكان الذين لم يقدموا

اوراق لايتعينون في المأموريات ابتداء وذلك من الاصول المتخذة فمن الضروري ان الذين يتعينون في خدمة يجب ان يعطوا ورقة ترجمة حالهم في اقل مدة وان لايتسببوا الى الاحتياج بتبليغهم فيكون معلوماً لدى العموم انه اذا وقع خلاف ذلك لاتجري معاملتهم وتكون الاشارة عَلَى اسمائهم في دفاتر القيود طبقاً للاشعار الواقع من نظارة الداخلية هذه المرة فلتجري التبليغات اللازمة الى مأموري ومستخدمي النافعة بالمثابرة عَلَى مقتضاه »

وجاء فيها : لحيث انه من اللزوم ان اوراق الاخبارات ... مستندة الى قناعة كاملة من اصحابها وان يصرح في الامضاآت ... اخبرنا بذلك العموم فيقتضي اعلانه بطرفكم ... رياسة شوراء الدولة وتعليمات البول ... المعاونية الاولى ... باطن مظروفات مبطنة تعمل له خاصة لاجل ارساله بتمام المحافظة عن الضياع ... حاصلات البول تقيد في خاناتها المخصوصة بالدفاتر المحلية ... صندوق تسهيلات ... من عموم مأموري البلدية ... تلقى المسئولية عَلَى الآمر والصارف ... يقيد مصرفاً بانواعه ومقاديره بجهة المدفوعات في دفتر عينيات البول الخ

وهنا نترك تصحيح هذه العبارات مكتفين بايرادها بنصوصها لئلا يطول البحث . وعندنا ان هذه الجرائد اذا دامت عَلَى هذا المنوال توجد في اللغة العربية لهجة جديدة لايفهمها الا طبقة مخصوصة ويكون الاختلاف بينها وبين الفصحى اكثر مما بين الاسبانيولية والبرتقالية وهناك بعض صحف رسمية هي اقرب الى الصواب في منشوراتها وان كانت لاتسلم مما تقع فيه الجرائد الركيكة العبارة مثل قول احداها : « باشمديرية الرسومات » « وصل الى مياه ثغرنا » « طريق شوسة » « للتحري عَلَى المزيفين » « استلفت الانظار » « القشلة الهمايونية » « دفتر الاغراب » « مستملكات الروس » « رفع راية العصيان ضد » « طمعاً بنوال مقاصدهم » « الامر الهام » « يحكم وهلة » « الرفاه والراحة » « بناء عليه وتوفيقاً لاحكام » والاحرى ان يقال : رئاسة مديرية الجرك . بلغ ثغرنا . . طريق مركبات اومعبدة . للبحث عن المزيفين . لفت الانظار او وجه الانظار . الثكنة السلطانية . سجل الغرباء . مستعمرات الروس . رفع راية العصيان على . طمعاً بنيل مقاصدهم . الامر المهم اوالجلل . يحكم لاول وهلة . الرفاهية او الرفاهة والراحة . عملا باحكام . اما تركيب « بناء عليه » « وعليه » « وحيث ان » فهي مولدة لايعرفها العرب والاولى ان يستعاض عنها بتراكيب اخرى عربية

تعليم النساء

وترجمة علية بنت المهدي العباسي

تمهيد

كان الخلفاء والامرآء وخاصة الناس في صدر الاسلام حتى القرن الخامس للهجرة من احرص الناس عَلَى تهذيب بناتهم وجواريهم وامهات اولادهم ينفقون الاموال ويجهدون النفوس السنين الطوال في تثقيف عقولهن وتقويم فطرتهن بالترويض والتخريج والتدريس والتحصيل عَلَى ايدي ثقات اهل العلم وائمة النحاة والرواة واشهر الحفظة والمجودين فما منهن بعد ان يتمرسن عَلَى العفاف وحب الفضيلة من لاتحفظ القرآن العزيز وطرفًا من احكام الفقه والحديث ونتفًا من علمي الانساب والتاريخ فضلاً عن آداب اللغة واخبار السلف من شعراء ومحدثين وغزاة وخطباء وكتبة وامراء فكان صدر كل فتاة من فتياتهم كنزاً من اسمى الكنوز يصيب منه سميرها ماشاء من ادب وحكمة ونكتة وفكاهة فينجذب لها فؤاده وتنزع اليها عواطفه وتحل من نفسه محل الحرمة والتجلة والاعظام بمقدار مايتوسمه فيها من مخايل الدراية والتعقل وآثار النجابة والاختبار

وما في ذلك من عجب بل العجب من النقيض وهيهات ان يخفى على امثال المنصور والمهدي والرشيد والمأمون ان الحسن المادي مهما كان بلرعًا رائعًا باهراً فتانًا اذا لم يقترن بالحسن المعنوي ويشفع بالظرف الادبي كانت صاحبته كالتمثال المنحوت والصورة المنقوشة بل اقل قيمة وابعد جاذبية منهما لان التمثال والصورة معدودان من الجمادات فلا يتوقع منهما الانسان رشاقة الحركة ولطف الاشارة وخفة الروح وحلاوة المعنى وسعة الدراية وحسن الرواية ولذلك يستحسنان ويروقان باعين الناظرين بمقدار ماأُودع فيهما من دقة الصناعة وتناسب الرسم وحسن التكوين وتشاكل الالوان بمعزل عن تلك المزايا

اما الفتاة ذات الجسم المتحرك والنفس الحية واللسان الناطق والخلق السوي العتيدة ان تكون زوجًا مؤانسة وأمًا مربية فتأباها النفس ويعافها الذوق وينصرف عنها القلب وان كانت جميلة وسيمة مادامت جامدة كالصنم بكماء كالعجماء لاتفقه من احوال

الدنيا واسرار الحيوة وحقائق الكون وماهية مايراد منها ومفروض عليها من سنن وواجب الا ما كان مداره المطعم والمشرب وقوامه الملبس والمركب ومرجعه اللهو والقصف ونتيجته الحب والبعال فاذا عرض لها امر يستوجب الانباء — وهو مما يحدث كل يوم — قصرت في الاداء وتلكأت في الكلام وسعلت وتنحنحت وتساءجت ماشاءت ولم تقو عَلَى الافهام وان سئلت عن شيء اجابت بلا ادري اوهذرت بجواب لم يكن من لحمة السوءال ولا من سداه . فمن كانت على هذا الطرز — وما عدد امثالها عندنا بقليل — احر بها ان تكون عند اذكياء الرجال وارباب الذوق والفضل ساقطة المنزلة سافلة القدر رخيصة القيمة تفضلها الشخوص وتمتاز عنها الصور لان هذه تمتع الاعين بجمالها ولا تضر النفوس اما تلك فانها تورث الكراهة وتمني بالضجر وتبلي المنازل خاصة والمجتمع القومي عامة بادواء من الهموم والموبقات تذهب بالامم الى اقصى الدركات

اجل وليس من ينكر انك لتراها بادىء الامر فتستحسنها لنقاء بشرتها وسواد حدقتها واعتدال قوامها وغضاضة جسدها وبضاضته وجدله والتفافه ثم تسمع كلامها الدال عَلَى جهلها وغباوتها المؤذن بقصر ادراكها وسذاجة قلبها وظلام ذاكرتها فتزدريها وتستهجنها وينبذها قلبك نبذ النواة ويطرحها ذكرك طرح القذاة لانها لاتصلح للموءانسة وترويح الهموم ولا ترجى للاستشارة وتسديد الرأي ولا تنفع للامومة باتم معانيها وللتربية وتدبير المنازل بكل مايراد من هذين الواجبين بحكم العقل والصواب ومن كان هذا شأنها كانت سخطاً عَلَى النوع الانساني ونيراً ثقيلاً عَلَى عاتق الوجود وكل امة تقلص ظل مجدها ونضب معين رخائها ونزفت مواد قواها وتقطعت اسباب منعتها وعزتها وهنائها انما نساوءها عَلَى تلك الشاكلة ولقد صدق من قال « ان التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسراها »

فياحبذا لواقتدى كبراوءنا واعاظمنا بمن درجوا قبلهم من اساطين الامة وسراة اعلامها وصرفوا العناية الى تعليم اولئك اللواتي لايسمين بحق اوانس الا اذا كن بالفعل نزهة المجالس ولا يقال لهن عقائل مالم يكنَّ بالحقيقة ارباب علم وادب وتهذيب وفضائل فان الناس عَلَى دين ملوكهم والعامة تقتدي باعيانها فان احسن هوءلاء الابتداء احسن القوم الاقتداء والعكس بالعكس سنة الله في الخلق فتنذحات الحضارة محل البداوة وقام التهذيب مقام الفطرة واصبح البشر درجات ومراتب وطبقات

نقول هذا توطئة وتمهيداً لما نذكره الآن من ترجمة ابنة خليفة واخت ثلاثة خلفاء وعمة

ثلاثة وهي(علية بنت المهدي)[1] التي عني قومها بتعلمها وتأديبها وتنوير عقلها وتوسيع دائرة اختبارها حتى صارت آية الفضل ونابغة الادب ومثال العفاف وعنوان الرقة والبلاغة في قرض الشعر الصحيح الاجزاء المتين التراكيب الرشيق المعاني تتفنن في اساليبه وتأخذ باطرافه اخذاً يبهر العقول و يفتن الالباب عَلَى كونها نشأة زهو وترف وغرسة صفو ونعيم . ومعلوم ان الملكة الشعرية لاتستحكم في فتاة الي هذا الحد الا بعد الامعان والجد واحياء الليالي الطوال تبحراً في علوم العرب واتقاناً لفنون الادب وتعمقاً في دراسة اشعار النابغين المجيدين من فحول الجاهلية والمخضرمين والمولدين والاَّ لما تهيأ لها ان تحذو حذوهم وتنسج عَلَى منوالهم وما تلك بالوحيدة بين اترابها في ذلك العصر الزاهر وما بعده بل يوجد كثيرات مثلها حتى بين الجواري القيان فضلاً عن حرائر الآنسات الحسان

***

ولدت علية حفيدة المنصور — ثاني خلفاء العباسيين — و بنت المهدي واخت موسي الهادي وابراهيم بن المهدي والرشيد هارون والعباسة واسماء وعمة الامين والمأمون والمعتصم وصالح من سرية ام ولد تدعى مكنونة جارية المروانية[2] وذلك في سنة «١٦٠» للهجرة وادركتها الوفاة نحو سنة «٢١٠» وقد ناهزت الخمسين عَلَى اثر حمى اصابتها وقد قال بعض المؤرخين في سبب وفاتها ان ابن اخيها المأمون ضمها اليه طويلاً وجعل يقبل رأسها والنقاب مسدول علي وجهها فغصت بريقها لشدة ما نالها من حبس انفاسها ثم شرقت وسعلت فكان في ذلك حتفها

قال ابو اسحق القيرواني في كتابه « زهر الآداب » كانت علية لطيفة المعني رقيقة الشعر حسنة مجاري الكلام رخيمة الصوت ولها الحان حسان احصاها ابو الفرج الاصبهاني في كتابه فاذا هي ثلاثة وسبعون وكلها حسن مختار

(١) هي ابنة المهدي واخت موسى الهادي وهرون الرشيد وابراهيم وعمة الامين والمأمون والمعتصم وكل هوءلاء كانوا خلفاء

(٢) كانت مكنونة هذه احسن جارية بالمدينة وجهاً فاشتريت للمهدي في حياة ابيه بمئة الف درهم فاستولت عَلَى قلبه وغلبت عَلَى امره حتى كانت زوجته الخيزران تقول « ماملك المهدي امرأة اغاظ عليَّ منها » وما زال خبر شرائها محجوباً عن ابيه المنصور حتى مات فولدت له علية هذه وعاشت الى ما بعد وفاة الرشيد

وقال النوفلي عنها انها من اوضإ النساء وجهاً واعدلهن قواماً واظرفهن كلاماً تقول الشعر المتين الجيد وتصوغ الالحان الحسنة وكان في جبينها اثر من شجة اوفضل سعة ينقص من محاسنها فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر تستر ذلك العيب فكان ما احدثته خير ماابتدعته النساء وقد وهم من قال ان اختها العباسة المبدعة لتلك العصائب فان ذلك لم يقله احد من ثقات المؤرخين

وقال ابرهيم بن اسماعيل الكاتب كانت علية حسنة الدين لاتغني ولا تشرب الا اذا كانت معتزلة الصلوة فاذا طهرت اقبلت عَلَى الصلوة وتلاوة الاوراد ومطالعة الكتب — الا ان يدعوها الخليفة الى شيء فلا تقدر عَلَى خلافه — واطرب شيء لديها قول الشعر

وكان احد احفاد الفضل بن الربيع وزير الرشيد يقول ما اجتمع في الاسلام اخ واخت احسن غناء من ابراهيم بن المهدي واخته علية وكانت اخته تقدم عليه

حدث يوماً ابو احمد بن الرشيد فقال : دخل في بعض الايام المأمون الى دار الحرم ودخلتُ معه فسمعتُ غناء اذهل عقلي فلم اقدر ان اتقدم ولا اتأخر وفطن المأمون لما بي فضحك ثم قال : هذه عمتك علية تطارح عمك ابراهيم

مالي ارى الابصار بي جافيه　　لم تلتفت مني الى ناحيه
لاتنظر النـاس الى المبتلي　　وانما الناس مع العـافيه
وقد جفاني ظالماً سيدي　　فأدمعي منهلة واهيه

والشعر والغناء لها ومن شعرها في اخيها الرشيد وقد دعته الى وليمة فلبي دعوتها

تفديك اختك قد حبوت بنعمة　　اسنا نعدُّ لها الزمانَ عديلا
الا الخلود وذاك قربك سيدي　　لازال قربك والبقاء طويلا
وحمدتُ ربي في إجابة دعوتي　　فرأيت حمدي عند ذاك قليلا

قال الراوي مامعناه : لما زارها الرشيد قال لها « غنيني يااختي » فقالت « وحياتك لاعملنَّ فيك شعراً ولاصوغنَّ فيه لحناً ولاسمعنك به غناء يطرب الثكلى ويرقص المقعد ويشجي المدنف » ثم نظمت من وقتها الثلاثة ابيات التي ذكرناها وغنت بها في لحن جديد من خفيف الرمل فاطرب الرشيد كثيراً واستعادها اياه مرات . ولها فيه ايضاً وقد دعا اختها العباسة الى زيارته ولم يدعها

مالي نسيتُ وقد نودي باصحابي　　وكنت والذكر عندي رائحٌ غادِ
انا التي لااطيق الدهر فرقتكم　　فرقٌ لي يااخي من طول إبعادي

ولها في ابن اخيها الامين وكانت لما مات الرشيد جزعت عليه جزعاً شديداً وتركت اللهو والغناء فلم يزل بها الامين حتى عاودتهما وهي كارهة فقالت

اطلت عاذلتي لومي وتفنيدي وانت جاهلةٌ شوقي وتسهيدي
لاتشرب الراح بين المسمعات وزر ظبياً غريرأنقيَّ الخد والجيد
قد رنحته شمول فهو منجدل يحكي بوجنته ماء العناقيد
قام الامين فاغني الناس كلهم فما فقيرٌ عَلَى حالٍ بموجود

ولها في « لبانة » ابنة اخيها علي بن المهدي وكانت من حسان زمانها الفاتنات

وحدثني عن مجلس كنت زينه رسولٌ امينٌ والنساء شهودُ
فقلت له كرّ الحديث الذي مضى وذكرك من بين الحديث اريدُ

وليس شعرها هذا بشيء في جانب غزلياتها فان لها من المقاطيع في « طلّ » و « رشا » وهما من مماليك الرشيد مايكاد يسيل حلاوةً و يقطر ظرفاً و يشرب سلاسةً ومنها قولها في « رشا » وقد كنّت عنه بزينب

وجد الفؤاد بزينبا وجداً شديداً متعبا
اصبحتُ من كلفي بها صباً كئيباً منصبا
ولقد كنيت عن اسمها عمداً لكي لاتغضبا
وجعلتُ زينب سترةً وكتمت امراً معجباً
قالت وقد عزّ الوصا ل ولم اجد لي مذهبا
والله لانلت المودّ ة او تنال الكوكبا

فلما اشتهر انها تكني عن « رشا » بزينب قالت وقد صحفت زينب بلفظة « ريب »

القلب مشتاقٌ الى ريبِ يارُبما هذا من العيبِ
قد تيمت قلبي فلم استطع الا البكا ياعالم الغيب
خبأتُ في شعري اسم الذي ارته كالخبء في الجيب

وكان لزبيدة زوجة الرشيد جارية اسمها « طغيان » وشت بها مرةً الى الرشيد فقالت علية تهجوها وفيه مع ادب الكتابة اشد انواع الذم وهو من مبتكراتها المأثورة

« لطغيان » خف مذ ثلاثين حجة جديدٌ فلا يبلى ولايتمزقُ
وكيف بلى خف هو الدهر كلهُ على قدميها في الهواء معلقُ
فما خرقت خفاً ولم تبل جورباً واما (ثياب فوقه) فتمزقُ

ولما مات « رشا » اوقتل شببت في « طل » فقالت وقد صحفت اسمه في البيت الاول تمليحاً

ايا سروة البستان طال تشوقي فهل لي الى « ظل » لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يهوى خروجه وليس لمن يهوى اليه دخولُ
عسى الله ان نرتاح من كربة لنا فيلقى اغتباطاً خلة وخليلُ

ولها فيه ايضاً وقد جعلت التصحيف في البيت الثالث

سلم عَلَى ذاك الغزال الاغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له ياغل الباب الرجال
خليت جسمي ضاحياً وسكنت في «ظل» الجمال
وبلغت مني غايةً لم ادر فيها ماالاحتيال

ثم صرحت به في ابيات أُخر تستعطفه بها وتتهمه بالصدود والاعراض وهي قولها وهو من ارق التشبيب

يارب اني قد عرضت بهجرها فاليك اشكو ذاك يارباه
مولاة سوء تستهين بعبدها نعم الغلام وبئست المولاه
طل ولكني حرمت نعيمه ووصاله مالم يغثني الله
يارب ان كانت حياتي هكذا ضراً عليّ فما اريد حياه

والذي ادبها وخرّجها وعلمها فنون الشعر انما هو عمرو ابو حفص الشطرنجي وقد نشأ هذا في دار ابيها المهدي مع اولاد مواليه ثم انقطع بعد موت المهدي الى علية هذه ولما زوجت بموسى بن عيسى العباسي خرج معها الى دار زوجها ولما عادت الى القصر بموت زوجها عاد معها وسمي شاعرها وهو القائل عن لسانها لما غضب عليها الرشيد

لو كان يمنع حسن العقل صاحبهُ من ان يكون له ذنب الى احدِ
كانت علية ابرى الناس كلهم من ان تكافا بسوء آخر الابدِ
ماأعجب الشيء نرجوه ونحرمه قد كنت احسب اني قد ملأت يدي

فكانت اياته هذه سبب رضى الرشيد عنها وإقباله عليها ومن احسن الغزل وارقهُ قولها

ياعاذلي قد كنت قبلك عاذلا حتى ابتليتُ فصرت صباً ذاهلا
الحب اوله مايكون مجانةً فاذا تمكن صار شغلاً شاغلا

ارضي فيغضب قاتلي فتعجبوا يرضى القتيل وليس يرضى القاتلا

وكان الرشيد قد استحلفها ان لاتكلم « طلاً » ولا تشبب به في شعرها ولا تسميه فحلفت له ثم هم يوماً بالدخول اليها واذا بها تقرأ في سورة البقرة وقد بلغت الآية « فان لم يصبها وابلٌ فطلٌ » وارادت ان تقول « فطل » فقالت « فالذي نهى عنه امير المؤمنين » فضحك وقال لها « ولا كل هذا »

هكذا روى القيرواني واما الاصبهاني فقال انه عند ما سمع الرشيد منها ذلك وهبها الغلام بعد ان قبل رأسها وقال لها « لست امنعك بعد اليوم من شيء تريدينه » وعندنا ان الرواية الاولى ادنى الى الصحة عَلَى ماعهد من غيرة الرشيد وانفته كيف لا وهو الهاشمي الابي العزوف النفس ولقد روي عن لسان علية انها قالت « لاغفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط ولا اقول في شعري الا عبثاً » وهي هي التي تقول « ماحرم الله شيئاً الا وقد جعل فيما حلل منه عوضاً فباي شيء يحتج عاصيه » و بالجملة لو لم يكن حبها للجمال مقصوراً عَلَى القيل والقال لما اكثرت من شعرها من ذكرى الهجر والوحشة والشوق فما نظمت بيتاً في التشبيب والغزل الا كاد ينطق بعفتها وادبها بغير لسان و يعرب عن نزاهتها وتصونها كافصح ترجمان لان النار لاتنبعث عن فؤاد اخمدته الشهوات واطفأت جذوته اللذات وما احلى قولها تشكو وتتألم وهو من مهلهل الشعر

نام عذالي ولم انم واشتفى الواشون من سقمي
واذا ماقلت بي الم شك من اهواه في المي

ولو شئنا ان نأتي عَلَى جميع اخبارها ومنظوماتها وما ذكر الرواة من بدائعها ونكاتها لضاق بنا المقام وادرك القارئ الملال فلم نر بدّاً من الاقتصار عَلَى مااوردنا تبصرة للرجال وتذكرة لمن اغفلن العلم ولم يعتنين بالفضل من ربات الحجال خاتمين هذا الفصل ببيتين « لعلية » لايخلوان من الحكمة والعبرة لمن يكثر الزيارة واللبيب تغنيه الاشارة

اني كثرت عليه في زيارته فمل والشيء مملول اذا كثرا
ورابني منه اني لاازال ارى في طرفه قصراً عني اذانظرا

سليم عنحوري

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

تتمة ماورد في الجزء الماضي

﴿ اقوال متقدمي فلاسفة الاسلام في الجن ﴾

« ابن سينا والفارابي »

قال ابن سينا رحمه الله في كتاب الحدود : الجن حيوان هوائي ناطق مشف الجرم من شأنه ان يتشكل باشكال مختلفة (قال) وليس هذا رسمه بل هو معنى اسمه، اه قال ابو البقاء في كلياته : اي هذا بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواء كان معدوماً في الخارج او موجوداً ولم يعلم وجوده فيه فان التعريف الاسمي. لايكون الا كذلك بخلاف التعريف الحقيقي فانه عبارة عن تصور ماله حقيقة خارجية في الذهن (ثم قال ابو البقاء) وجمهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء قداعترفوا بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضاً .

وفي رسالة للمعلم الثاني ابي نصر محمد الفارابي في جواب مسائل سئل عنها مامثاله :

(سئل) فيما رآه بعض العوام في معنى الجن وسأله عن ماهيته (فقال) : الجن حي غير ناطق غير مائت وذلك على ماتوجبه القسمة التي يتبين منها حد الانسان المعروف عند الناس اعني الحي الناطق المائت ، وذلك ان الحي منه ناطق مائت وهو الانسان ومنه ناطق غير مائت وهو الملك ، ومنه غير ناطق مائت وهو البهائم ، ومنه غير ناطق غير مائت وهو الجن : فقال السائل : الذي في القرآن مناقض لهذا وهو قوله « استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا » والذي هو غير ناطق كيف يسمع وكيف يقول : فقال : ليس ذلك بمناقض وذلك ان السمع والقول يمكن ان يوجد للحي من حيث هو حي لان القول والتلفظ غير التمييز الذي هو النطق ، وترى كثيراً من البهائم لا قول لها وهي حية ، وصوت الانسان مع هذه المقاطع هو له طبيعي من حيث هو حي بهذا النوع كما ان صوت كل نوع من انواع الحي لايشبه صوت غيره من الانواع كذلك هذا الصوت بهذه المقاطع التي للانسان مخالف لاصوات غيره من انواع الحيوان ، واماقولنا : غير مائت فالقرآن يدل بذلك في قوله تعالى « رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين » اه

« ابو طالب المكي »

قال في قوت القلوب في الفصل الثلاثين في تفصيل خواطر القلوب ما مثاله بعد سرد آيات وقال تعالى « ياايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك» وقال تعالى « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقال « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » فمن السواء والتعديل والازدواج والتقويم ادوات الظاهر واعراض الباطن وهي حواس الجسم والقلب . فادوات الجسم هي الصفات الظاهرة . واعراض القلب هي المعاني الباطنة قد عدلها الله تعالى بحكمته وسواها عَلَى مشيئته وقومها اتقاناً بصنعته واحكاما بصنعه (اولها) النفس والروح وهما مكانان للقاء العدو والملك وهما شخصان ملقيان للفجور والتقوى (ومنها) غرضان متمكنان في مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين في مشيئة حاكم وهما التوفيق والاغواء (ومنها) نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والايمان فهذه ادوات القلب وحواسه ومعانيه الغائبة وآلاته والقلب في وسط هذه الادوات كالملك وهذه جنوده تؤدي اليه او كالمرآة المجلوة وهذه الآلة حوله تظهر فيراها و يقدح فيه فيجدها

(ثم قال) فاذا اراد الله تعالى اظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نوراً في القلب فاثرت فينظر الملك الى القلب فيرى مااحدث الله تعالى فيه فيظهر مكانه فيتمكن عَلَى مثال فعل العدو في خزانة الشر وهي النفس ، والملك مجبول عَلَى حب الهداية مطبوع عَلَى حب الطاعة كما ان العدو مجبول عَلَى الغواية مطبوع عَلَى حب المعصية فياتي الملك الالهام وهو خطوره على القلب بقدح خواطره يأمر بتقييد ذلك ويحسنه له ويحثه عليه وهذا هو الهام التقوى والرشد

(ثم قال) ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل اسمائها ، فاما تسمية جملة الخواطر فما وقع في القلب من عمل الخير فهو (الهام)

وما وقع من عمل الشر فهو (وسواس)

وما وقع في القلب من المخاوف فهو (احساس)

وما كان من تقدير الخير وتأميله فهو (نية)

وما كان من تدبير الامور المباحات وترجيها والطمع فيها فهو (امنية وامل)

وما كان من تذكرة الآخرة والوعد والوعيد فهو «تذكر وتفكير »

وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو « مشاهدة »

وما كان من تحدث النفس بمعاشها وتصرفها في احوالها فهو « هم »

وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو « لم »

ويسمي جميع ذلك « خواطر » لانه خطور همة نفس او خطور عدو بحسد اوخطرة ملك بهمس اه ملخصا

« الغزالي »

قال في المضنون الكبير: الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بانفسها مختلفة بالحقائق اختلافاً يكون بين الانواع مثال ذلك القدرة فانها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفا اللون واللون والقدرة والعلم اعراض قائمة بغيرها فكذلك بين الملك والشيطان والجن اختلاف ومع ذلك فكل واحد جوهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف بين الجن والملك فلا يدري اهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف بين الفرس والانسان او الاختلاف في الاعراض كالاختلاف بين الانسان الناقص والكامل وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان وهو ان يكون النوع واحداً او الاختلاف واقعاً في العوارض كالاختلاف بين الخير والشرير والاختلاف بين النبي والولي ، والظاهر ان اختلافهم بالنوع والعلم عند الله تعالى ، وهذه الجواهر المذكورة لا تنقسم اعني ان محل العلم بالله تعالى واحد لا ينقسم فان العلم الواحد لا يحل الا في محل واحد وحقيقة الانسان كذلك فالعلم والجهل بشيء واحد في محل واحد متضادان وفي المحلين غير متضادين واما ان هذا الجوهر غير منقسم وهل هو متحيز ام لا فهذا الكلام عائد الى معرفة الجزء الذي يتجزأ فان استحال الجزء الذي لا يتجزأ فهذا الجوهر غير منقسم ولا متحيز وان لم يستحل الجزء الذي لا يتجزأ فيمكن ان يكون هذا الجوهر متحيزا — وقد قال قوم لا يجوز ان يكون غير منقسم ولا متحيز فان الله تعالى غير منقسم ولا متحيز فما الذي يفصل هذا من ذلك وهذا غير مبرهن عليه لانه ربما تباينا في حقيقة الذات وان سلب عنهما الانقسام والتحيز والامور المكانية وتلك سلوب والاعتبار بالحقائق لان ماسلب عن الحقائق كالعرضين المختلفين بالحد والحقيقة الحالين في محل واحد فان ايجاب احتياجهما الى المحل وكونهما في المحل لا يفيد تماثلهما فكذلك سلب الاحتياج الى المحل والمكان لا يفيد اشتراك الشيئين ويمكن ان تشاهد هذه الجواهر اعني جواهر الملائكة وان كانت غير محسوسة وهذه المشاهدة على ضربين اما على سبيل التمثيل كقوله تعالى « فتمثل لها بشراً سويا » وكما كان

النبي عليه الصلاة والسلام يرى جبريل في صورة دحية الكلبي[1] والقسم الثاني ان يكون لبعض الملائكة بدن محسوس كما ان نفوسنا غير محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها الخاص بها فكذلك بعض الملائكة وربما كان هذا البدن المحسوس موقوفاً عَلَى اشراق نور النبوة كما ان محسوسات عالمنا هـذا موقوف عند الادراك علي اشراق نور الشمس وكذا في الجن والشياطين اه

وقال الغزالي في الاحياء في بيان تسلط الشيطان عَلَى القلب بالوسواس بعد تمهيد مقدمة ما مثاله : فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى مايدعو الى الشر اعني مايضـر في العاقبة والى مايدعـو الى الخير اعني الى ماينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاماً والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلابد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك عَلَى اختلاف الاسباب هذا ماعرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات عَلَى الاسباب ، فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى (ملكا) وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى (شيطانا)[2] واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى (توفيقاً) والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى (اغواء وخذلانا) فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة . و (الملك) عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شـأنه افاضـة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك . (والشيطان) عبارة عن خلق شأنه ضـد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر . فالوسوسة في مقابلة

(١) وقال الغزالي قبل ذلك في مبحث الرؤية : وتمثل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس بمعنى انه انقلب ذات جبريل صورة دحية الكلبي بل انه ظهرت تلك الصورة للرسول مثالا مؤديا عن جبريل ما اوحى اليه وكذلك قوله تعالى « فتمثل لها بشرا سويا » اه

(٢) يؤيده آية من شر الوسواس (والوسواس) حقيقة في المصدر الذي هو الوسوسة . و يشبه ماللغزالي هنا قول من قال ان الشيطان قوة من جملة القوى الانسانية وهكذا قال الراغب : كل قوة ذميمة للانسان فهو شيطان .

الالهام · والشيطان في مقابلة الملك · والتوفيق في مقابلة الخذلان · واليه الاشارة بقوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين)

« ابن حزم »

قال رحمه الله في كتاب الفصل في الكلام عَلَى الجن ووسوسة الشيطان وفعله في المصروع: لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم ايضاً بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ولا فرق بين ان يخلق خلقاً عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء — وبين ان يخلق خلقاً عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته لكن لما اخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى عَلَى ايديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل عَلَى وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبانهم امة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون واجمع المسلمون كلهم عَلَى ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون واكثر اليهود ، وهم يروننا ولا نراهم قال الله تعالى « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل « الا ابليس كان من الجن » ، واذ اخبرنا الله عز وجل اننا لا نراهم فمن ادعى انه يراهم اورآهم فهو كاذب الا ان يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فاخذته فذكرت دعوة اخي سليمان ولولا ذلك لاصبح موثقاً يراه اهل المدينة اوكما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن ابي هريرة الذي رأى انما هي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جني بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي منقطعات اوعمن لا خير فيه

وهم اجسام رقاق صافية هوائية لا الوان لهم وعنصرهم النار كما ان عنصرنا التراب وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجل « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » والنار والهواء عنصران لا الوان لهما وانما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب والكتان والادهان وغير ذلك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا اجساماً صافية رقاقاً هوائية لادركناهم بحاسة اللمس

وصح النص بانهم يوسوسون في صدور الناس وان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا ان الله عز وجل جعل لهم قوة

يتوصلون بها الى قذف مايوسوسون به في النفوس ، برهان ذلك قول الله تعالي « من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » ونحن نشاهد الانسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتتبدل اعراضه وصورته واخلاقه وتثور ناريته، ويرى من يحب فيثور له حال اخرى ويبتهج وينبسط ، ويرى من يخاف فتحدث له حال اخرى من صفرة ورعشة وضعف نفس ، ويشير الى انسان آخر باشارات يحيل بها طبائعه فيغضبه مرة ويخجله اخرى ويفزعه ثالثة ويرضيه رابعة ، وكذلك يحيله ايضا بالكلام الى جميع هذه الاحوال فعلمنا ان الله عز وجل جعل للجن قوى يتوصلون بها الى تغيير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها اليه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجرى الدم كما قال الشاعر

وقد كنت اجري في حشاهن مرة كجري معين الماء في قصب الآس

(واما الصرع) فان الله عز وجل قال « كالذي يتخبطه الشيطان من المس » فذكر عز وجل تأثير الشيطان في المصروع انما هو بالمماسة فلا يجوز لاحد ان يزيد عَلَي ذلك شيئا ومن زاد عَلَي هذا شيئًا فقد قال مالا علم به وهذا حرام لايحل قال عز وجل « ولا تقف ماليس لك به علم » وهذه الامور لايمكن ان تعرف البتة الا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ماذكرنا وبالله تعالى التوفيق فصح ان الشيطان يمس الانسان الذي يسلطه الله عليه مساً كما جاء في القرآن يثير به من طبائعه السوداء والابخرة المتصاعدة الى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلاخلاف منهم فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وماتوجبه المشاهدة وما زاد عَلَي هذا فخرافات من توليد العزامين والكذابين وبالله تعالى نتأيد اه كلام ابن حزم

« الفخر الرازي »

قال في مباحث الاستعاذة من اوائل تفسيره : اطبق الكل عَلَي انه ليس الجن والشياطين عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجيء وتذهب مثل الناس والبهائم بل القول المحصل فيه قولان (الاول) انها اجسام هوائية قادرة عَلَي التشكل باشكال مختلفة ولها عقول وافهام وقدرة على اعمال صعبة شاقة (والقول الثاني) ان كثيرا من الناس اثبتوا انها موجودات غير متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها موجودات مجردة عن الجسمية (قالوا) وهذه الارواح قد تكون مشرقة الهية خيرة سعيدة وهي المسماة بالصالحين من الجن . وقد تكون كدرة سفلية شريرة وهي المسماة بالشياطين (ثم قال)

واعلم ان قوما من الفلاسفة طعنوا في هذا المذهب وزعموا ان المجرد يمتنع عليه ادراك الجزئيات والمجردات يمتنع كونها فاعلة للافعال الجزئية : وهذا باطل لوجهين (الاول) انه يمكننا ان نحكم على هذا الشخص المعين بانه انسان وليس بفرس والقاضي على الشيئين لابد وان يحضره المقضي عليهما فههنا شيء واحد هو مدرك للكلي وهو النفس فيلزم ان يكون المدرك للجزئي هو النفس (الثاني) هب ان النفس المجردة لاتقوى على ادراك الجزئيات ابتداء لكن لانزاع انه يمكنها ان تدرك الجزئيات بواسطة الآلات الجسمانية فلم لايجوز ان يقال ان تلك الجواهر المجردة المسماة بالجن والشياطين لها آلات جسمانية من كرة الاثير اومن كرة الزمهرير ثم انها بواسطة تلك الآلات الجسمانية تقوى على ادراك الجزئيات وعلى التصرف في هذه الابدان

واما الذين زعموا ان الجن اجسام هوائية او نارية فقالوا الاجسام متساوية في الحجمية والمقدار وهذان المعنيان اعراض فالاجسام متساوية في قبول هذه الاعراض، والاشياء المختلفة بالماهية لايمتنع اشتراكها في بعض اللوازم فلم لايجوز ان يقال الاجسام مختلفة بحسب ذواتها المخصوصة وماهيتها المعينة وان كانت مشتركة في قبول الحجمية والمقدار واذ ثبت هذا فنقول لم لايجوز ان يقال احد انواع الاجسام اجسام لطيفة نفاذة حية لذواتها عاقلة لذواتها قادرة على الاعمال الشاقة لذواتها وهي غير قابلة للتفرق والتمزق واذا كان الامر كذلك فتلك الاجسام تكون قادرة على تشكيل انفسها باشكال مختلفة ثم ان الرياح العاصفة لاتمزقها والاجسام الكثيفة لاتفرقها ، اليس ان الفلاسفة قالوا ان النار التي تنفصل عن الصواعق تنفذ في اللحظة اللطيفة في بواطن الاحجار والحديد وتخرج من الجانب الآخر فلم لاينفعل مثله في هذه الصورة ، وعلى هذا التقدير فان الجن تكون قادرة على النفوذ في بواطن الناس وعلى التصرف فيها وانها تبقى حية فعالة مصونة عن الفساد الى الاجل المعين والوقت المعين ، فكل هذه الاحوال احتمالات ظاهرة والدليل لم يقم على ابطالها فلم يجز المصير الى القول بابطالها

(ثم قال الرازي) اعلم ان الانسان اذا جلس في الخلوة وتواترت الخواطر في قلبه فربما صار بحيث كانه يسمع في داخل قلبه ودماغه اصواتا خفية وحروفا خفية فكأن متكلما يتكلم معه ومخاطبا يخاطبه فهذا امر وجداني يجده كل احد من نفسه . ثم اختلف الناس في تلك الخواطر فقالت الفلاسفة ان تلك الاشياء ليست حروفا ولا اصواتا وانما هي تخيلات الحروف والاصوات وتخيل الشيء عبارة عن حضور اسمه ومثاله في الخيال

وهذا كما انا اذا تخيلنا صور الجبال والبحار والاشخاص فاعيان تلك الاشياء غير موجودة في العقل والقلب بل الموجود في العقل والقلب صورها وامثلتها ورسومها وهي عَلَى سبيل التمثيل جارية مجرى الصورة المرتسمة في المرآة فانا اذا احسسنا في المرآة صورة الفلك والشمس والقمر فليس ذلك لاجل انه حضرت ذوات هذه الاشياء في المرآة فان ذلك محال وانما الحاصل في المرآة رسوم هذه الاشياء وامثلتها وصورها ، واذا عرفت هذا في تخيل المبصرات فاعلم ان الحال في تخيل الحروف والكلمات المسموعة كذلك فهذا قول جمهور الفلاسفة ،

ولقائل ان يقول هذا الذي سميته بتخيل الحروف والكلمات هل هو مساو للحرف والكلمة في الماهية اولا فان حصلت المساواة فقد عاد الكلام الى ان الحاصل في الخيال حقائق الحروف والاصوات والى ان الحاصل في الخيال عند تخيل البحر والسماء حقيقة البحر والسماء — وان كان الحق هو الثاني وهو ان الحاصل في الخيال شيء آخر مخالف للمبصرات والمسموعات فحينئذ يعود السؤال وهوانا كيف نجد من انفسنا صور هذه المرئيات وكيف نجد في انفسنا هذه الكلمة والعبارات وجدانًا لا نشك انها حروف متوالية عَلَى العقل والفاظ متعاقبة علي الذهن فهذا منتهى الكلام في كلام الفلاسفة اما الجمهور الاعظم من اهل العلم فانهم سلموا ان هذه الخواطر المتوالية المتعاقبة حروف واصوات حقيقية

واعلم ان القائلين بهذا القول قالوا فاعل هذه الحروف والاصوات اما ذلك الانسان اوانسان آخر واما شيء آخر روحاني مباين يمكنه القاء هذه الحروف والاصوات الى هذا الانسان سواء قيل ان ذلك المتكلم هو الجن والشياطين اوالملك واما ان يقال خالق تلك الحروف والاصوات هو الله تعالى (اما القسم الاول) وهو ان فاعل هذه الحروف والاصوات هو ذلك الانسان فهذا قول باطل لان الذي يحصل باختيار الانسان قادرا عَلَى تركه فلوكان حصول هذه الخواطر بفعل الانسان لكان الانسان اذا اراد دفعها او تركها لقدر عليه ومعلوم انه لايقدر عَلَى دفعها فانه سواء حاول فعلها اوحاول تركها فتلك الخواطر تتوارد عَلَى طبعه وتتعاقب على ذهنه بغير اختياره

(واما القسم الثاني) وهو انها حصلت بفعل انسان آخر فهو ظاهر الفساد . والباطل هذان القسمان بقي (الثالث) وهي انها من فعل الجن اوالملك اومن فعل الله تعالى (اما الذين قالوا) ان الله تعالى لايجوز ان يفعل القبائح فاللائق بمذهبهم ان يقولوا ان هذه

الخواطر الخبيثة ليست من فعل الله تعالى فبقي انها من احاديث الجن والشياطين ، واما الذين قالوا انه لايقبح من الله شيء فليس في مذهبهم مانع يمنعهم من اسناد هذه الخواطر الى الله تعالى) اه

« الماوردي »

قال في كتاب اعلام النبوة : الجن من العالم الناطق المميز يتناسلون و يموتون ، واشخاصهم محجوبة عن الابصار ، وان تميزوا بافعال وآثار ، الا ان يخص الله برؤيتهم من يشاء ، وانما عرفهم الانس من الكتب الالهية ، وما تخيلوه من آثارهم الخفية ،

(ثم قال) : واختلفوا في الشياطين فزعم قوم انهم كفار الجن يتناسلون و يموتون وزعم آخرون انهم غير الجن وانهم من ولد ابليس واختلف من قال بهذا في تناسلهم وموتهم فذهب فريق منهم الى انهم يتناسلون و يموتون وذهب آخرون الى انهم كابليس لايموتون الا معه وان تناسلهم انقطع بانظار ابليس الى يوم يبعثون ، فان انكر قوم خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية قهرتهم براهين العقول وحجج القياس (ثم اسهب في ذلك رحمه الله)

« القاشاني »

قال في تفسير آية « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن » في سورة الاحقاف مامثاله : الجن نفوس ارضية تجسدت في ابدان لطيفة مركبة من لطائف العناصر سماها حكماء الفرس (الصور المعلقة) ولكونها ارضية متجسدة في ابدان عنصرية ومشاركتها الانس في ذلك سميا ثقلين وكما امكن الناس التهدي بالقرآن امكنهم وحكاياتهم من المحققين وغيرهم اكثر من ان يمكن رد الجميع واوضح من ان يقبل التأويل :

وقال في تفسير سورة الجن : قد مر ان في الوجود نفوسا ارضية قوية لافي غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة ادراكها ولا على هيآت النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية — ولا في صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوي وتتجرد اوتتعلق ببعض الاجرام السماوية متعلقة باجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية اوالنارية اوالدخانية على اختلاف احوالها سماها بعض الحكماء (الصور المعلقة) ولها علوم وادراكات من جنس علومنا وادراكاتنا ، ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوي امكنها ان تتلقى من عالمها بعض الغيب فلا تستبعد ان ترتقي الى افق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة اي

النفوس المجردة — ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى فرجمت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ، ولا تنكر ان تشتعل اجرامها الدخانية باشعة الكواكب فتحترق و تهلك اوتنزجر من الارتقاء الى الافق السماوي فتتسفل فانها امور ليست بخارجة عن الامكان اه

« القاضي ابو يعلي بن الفراء »

نقل عنه السفاريني انه قال : الجن اجسام مؤلفة واشخاص ممثلة ويجوز ان تكون رقيقة وان تكون كثيفة خلافاً للمعتزله في قولهم انهم اجسام رقيقة ولرقتها لانراها (قال) : ولاقدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله ضربا من ضروب الافعال اذا فعله نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على امر اذا فعله نقله الله عن صورة الى صورة اخرى لجري العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها عن صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذاانتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها (قال) والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك (وسيأتي في اول الخاتمة مبحث تمثل الروحاني مفصلا)

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

نقل عنه السفاريني انه قال : لم يخالف احدمن طوائف المسلمين في وجود الجن وكذا جمهور الكفار لان وجودهم تواترت به اخبار الانبياء تواترا معلوما بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامة (قال) ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم ، (وقال) ليس الجن كالانس في الحد والحقيقة فلايكون ماامروا به ومانهوا عنه مساويا لما على الانس في الحد والحقيقة لكنهم مشاركوهم في جنس التكليف بالامر والنهي والتحليل والتحريم بلا نزاع اعلمه بين العلماء : (وقال في تفسير سورة الاخلاص) ان الفلاسفة كلامهم في الالهيات والكليات العقلية كلام قاصرجداوفيه تخليط كثيروانمايتكلمون جيدا في الامور الحسية الطبيعية وفي كلياتها فكلامهم فيها في الغالب جيد ، واما الغيب الذي تخبر به الانبياء والكليات العقلية التي تعم الموجودات كلها وتقسم الموجودات قسمة صحيحة فلا يعرفونها البتة فان هذا لايكون الا ممن احاط بانواع الموجودات وهم لايعرفون الا قليلا من الموجودات ومالايشهده الآدميون من الموجودات اعظم قدرا وصفة مما يشهدونه بكثير ، ولهذا كان هؤلاء الذين عرفواماعرفته الفلاسفة اذا سمعوا

اخبار الانبياء بالملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار وهم يظنون ان لاموجود الا ماعلموه هم والفلاسفة يصيرون حائرين متأولين الكلام الانبياء على ماعرفوه وان كان هذا لادليل عليه وليس لهم بهذا النفي علم فان عدم العلم ليس علما بالعدم لكن نفيهم هذا كنفي الطبيب للجن لانه ليس في صناعة الطب مايدل على ثبوت الجن والا فليس في علم الطب ماينفي وجود الجن وهكذا تجد من عرف نوعًا من العلم وامتاز به على العامة الذي لايعرفونه فيبقى بجهله نافيا لما لايعلمه ، وبنو آدم ضلالهم فيما جحدوه ونفوه بغير علم اكثر من ضلالهم فيما اثبتوه وصدقوا به،قال تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » اه

وقد اسهب رحمه الله في كتابه الفرقان — المطبوع — فيما يتعلق بالجن والشياطين فليراجع

« ابن القيم »

قال رحمه الله في زاد المعاد في علاج الصرع ما مثاله : الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية — وصرع من الاخلاط الردية . والثاني هو الذي يتكلم فيه الاطباء في سببه وعلاجه . واما صرع الارواح فائمتهم وعقلاؤهم يعترفون بان علاجه بمقابلة الارواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الارواح الشريرة الخبيثة فتدفع آثارها وتعارض افعالها وتبطلها . وقد نص على ذلك بقراط في بعض كتبه فذكر بعض علاج الصرع وقال : هذا انما ينفع من الصرع الذي سببه الاخلاط والمادة واما الصرع الذي يكون من الارواح فلا ينفع فيه هذا العلاج : واماجهلة الاطباء فينكرون صرع الارواح ولايقرون بانها تؤثر في بدن المصروع وليس معهم الا الجهل والا فليس في الصناعة الطبية مايدفع ذلك والحس والوجود شاهد به ، واحالتهم ذلك على غلبة بعض الاخلاط هو صادق في بعض اقسامه لافي كلها ، وقدماء الاطباء يسمون هذا الصرع المرض الالهي وقالوا : انه من الارواح ، واما جالينوس وغيره فتأولوا عليهم هذه التسمية وقالوا : انما سموها بالمرض الالهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس فتضر بالجزء الالهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ : وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الارواح واحكامها وتأثيراتها وجاءت زنادقة الاطباء فلم يثبتوا الا صرع الاخلاط وحده ، ومن له عقل ومعرفة بهذه الارواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء الاطباء وضعف عقولهم

(ثم قال ابن القيم) هذا ولو كشف الغطاء لرأيت اكثر النفوس البشرية صرعى

مع هذه الارواح الخبيثة وهي في اسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها وبها الصرع الاعظم الذي لا يفيق صاحبه الا عند المفارقة والمعاينة فهناك يتحقق انه كان هو المصروع حقيقة

وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح الى الايمان بما جاءت به الرسل عليهم السلام

« الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده »

قال في تفسير قوله تعالى « الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » الموسوسون قسمان قسم الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم وانما نجد في انفسنا اثرا ينسب اليهم ، ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة نازعة الى الشر يحدث منها في نفسه خواطر السوء :

وقال في موضع آخر : [1] ان الهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم وقد اسندا الى هذه العوالم الغيبية ، وخواطر الخير التي تسمى الهاما وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محله الروح فالملائكة والشياطين اذن ارواح تتصل بارواح الناس . فلا يصح ان نمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا لان هذه لو اتصلت بارواحنا فانما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لا نحس بشيء يتصل بابداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فاذن هي من عالم غير عالم الابدان قطعا

(ثم قال) يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهم بامر فيه وجه للحق او للخير ، ووجه للباطل اوللشر ، بان في نفسه تنازعا كان الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر احد الطرفين ، و يترجح احد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي اودع في انفسنا ونسميه قوة وفكرا — وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقتها — لا يبعد ان يسميه الله تعالى ملكا و يسمي اسبابه ملائكة اوماشاء من الاسماء فان التسمية لا حجر فيها عَلَى الناس فكيف يحجر فيها عَلَى صاحب الارادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع اهـ وسبق في كلام الغزالي نحوه وسيأتي في الخاتمة عن الراغب الاصفهاني مايؤيده

---

(١) نقله المنار مجلد ١١ صفحة (٥٨٨)

﴿ خاتمة ﴾

« في فوائد متفرقات من شوارد هذه المسألة »

(أ) للباحثين في تمثل الارواح آراء عديدة وانظار متنوعة نذكر منها طرفا قال في الخلاصة : اعتقاد قدماء اليهود بماهية الارواح المنيبة انها اما هواء خالص او لهيب نار (ثم قال) فعلى هذا فللملائكة اجسام هوائية لطيفة لاترى مالم تمثل كالهواء الذي تتنفسه فانه جسم لكنه غير مبصر اها (ثم قال) واقرب شاهد للتمثل هو الهواء فانه وان لم يقبل في حال تخلخله شكلا ولالونا الا انه متى تكاثف امكن تشكله وتلونه كما يتضح في السحاب وعَلَى هذا النمط يجوز ان تتكاثف اجسام الملائكة بالقدرة الربانية عَلَى قدر مايلزم لتكوين الجسم المراد اتخاذه و يقدرون بعد التجسد ان يفعلوا افاعيل حيوية اه

وقدمنا عن القاضي ابي يعلى انه قال : لاقدرة للشياطين عَلَى تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله ضربا من ضروب الافعال اذا فعله نقله الله من صورة الى صورة الخ : ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن امام الحرمين ان تمثل جبريل معناه ان الله افنى الزائد من خلقه او أزاله عنه ثم يعيده اليه بعد . وجزم ابن عبد السلام بالازالة دون الفناء وقرر ذلك بانه لايلزم ان يكون انتقالها موجبا لموته بل يجوز ان يبقى الجسد حيا لان موت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلا بل بعادة اجراها الله تعالى في بعض خلقه ونظيره انتقال ارواح الشهداء الى اجواف طير خضر تسرح في الجنة ، وقال شيخنا شيخ الاسلام — زكريا الأنصاري — ماذكره امام الحرمين لاينحصر الحال فيه بل يجوز ان يكون الآتي هو جبريل بشكله الاصلي الا انه انضم فصار عَلَى قدر هيئة الرجل واذ ترك ذلك عاد الى هيئته ومثال ذلك القطن اذا جمع بعد ان كان منتفشا فانه بالنفش يحصل له صورة كبيرة وذاته لم تتغير وهذا عَلَى سبيل التقريب والحق ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ايضا ان القدر الزائد لايزول ولا يفنى بل يخفى عَلَى الرائي فقط والله اعلم اه كلام الحافظ كله مبني عَلَى حمل الاطلاق في موارده على الحقيقة فليتأمل وقال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في رسالة التوحيد : اما وجود بعض الارواح العالية — وهم الملائكة المكرمون — وظهورها لاهل تلك المرتبة السامية (الانبياء عليهم السلام) فما لااستحالة

في بعد ماعرفنا من انفسنا وارشدنا اليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود عَلَى ماهو الطف من المادة وان غيب عنا فاي مانع من ان يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقاً لشيء من العلم الالهي وان يكون لنفوس الانبياء اشراف عليه فاذا جاء به الخبر الصادق حملنا عَلَى الاذعان بصحته ، اما تمثل الصوت واشباح لتلك الارواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند اعداء الانبياء مالايبعد به في بعض المصابين بامراض خاصة عَلَى زعمهم فقد سلموا ان بعض معقولاتهم يتمثل في خيالهم ويصل الى درجة المحسوس فيصدق المريض في قوله ان يرى ويسمع بل يجالد ويصارع ولاشيء من ذلك في الحقيقة بواقع فان جاز التمثيل في الصور المعقولة ولامنشأ لها الا في النفس وان ذلك يكون عند عروض عارض عَلَى المخ فلم لايجوز تمثل الحقائق المعقولة في النفس العالية وان يكون ذلك لها عند ماتنزع عن عالم الحس ، وتتصل بحظائر القدس ، وتكون تلك الحال من لواحق صحة العقل في اهل تلك الدرجة لاختصاص مزاجهم بمالايوجد في مزاج غيرهم ؟ وغاية مايلزم عنه ان يكون لعلاقة ارواحهم بابدانهم شأن غير معروف في تلك العلاقة من سواهم وهو مايسهل قبوله بل يتحتم لان شأنهم في الناس ايضاً غير الشؤون المألوفة وهذه المغايرة منها ما امتازوا به وقام منها الدليل عَلَى رسالتهم ، والدليل عَلَى سلامة شهودهم وصحة مايحدثون عنه ان امراض القلوب تشفى بدوائهم وان ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوة في اممهم التي تأخذ بمقالهم ، ومن المنكر في البديهة ان يصدر الصحيح من معتل ، و يستقيم النظام بمختل اه وقد مناعن الغزالي كلمة في تمثيل الملك فتذكره

(ب) شاع وصف الجن « بالارواح » في المأثور وفي كلام الحكماء قال ابن الاثير في حديث : اني اعالج من هذه الارواح : الارواح هنا كناية عن الجن سموا ارواحاً لكونهم لايرون فهم بمنزلة الارواح : الا انه غلب لفظ « روح » مفردا في التنزيل الكريم عَلَى الملك قال في الخلاصة : ان كلمة « روح » التي يوصف بها الملائكة تتضمن معنى يدل عَلَى ماهيتهم وهو انهم مجردون عن كثافة الاجسام فليسوا مثلنا (قال) لان اصل معنى الروح في العبراني واليوناني كما في العربي ريح اي هواء متحرك وكأن لغة البشر تقصر عن التعبير بتمام الكنه والحقيقة فاكتفى بلفظ يوضح الحقيقة وان لم يجلها تمام الجلاء اه وقال ابن الاثير في حديث (الملائكة الروحانيون) يروى بضم الراء وفتحها كأنه نسبة الى الرُّوح اوالرَّوح وهو نسيم الريح والالف والنون من زيادات النسب و يريد به انهم اجسام لطيفة لايدركها البصر اه

وفي كليات ابي البقاء : الروح بالضم هو الريح المتردد في مخارق الانسان ومنافذه واسم للنفس الخ وفي التاج عن الفراء قال : سمعت ابا الهيثم يقول : الروح انما هو النفس الذي يتنفسه الانسان وهو جار في جميع الجسد فاذا خرج لم يتنفس بعد خروجه : وفي نقد المحصل للطوسي : الفلاسفة يفرقون بين النفوس والارواح فان النفوس عندهم جواهر بسيطة مجردة متعلقة بالابدان ، والارواح اجسام مركبة من الابخرة والادخنة المرتفعة من الدم المحتبس في العروق : وروى ابن جرير عن قتادة في تفسير آية « و يسئلونك عن الروح » قال الروح هو جبريل قال قتادة : وكان ابن عباس يكتمه ثم اسند الى ابن عباس ان الروح ملك وكذا عن علي رضى الله عنه اذ قال : هو ملك من الملائكة :

(ج) جاء في معجم لاروس : ان سقراط كان يزعم ان له شيطاناً خاصاً يوحي اليه مقاصده وجميع مبادئ فلسفته وحكمته ٠ فادعى بعضهم ان ذلك كان روحاً اوعاملاً فوق قوة البشر واطلق آخرون هذا الاسم عَلَى معنى ادبي لظيف وحاسة طبيعية رائقة سريعة الادراك انمتها تجارب طويلة وهم عَلَى مايرون ان شيطان سقراط لم يكن غير الهامات باطنة تعرض لقلبه وعقله موقتة عند تصور اعلى مطالب الفلسفة فمعنى استشارة سقراط لشيطانه الخاص هو انه يستشير الهامه الداخلي وعقله وحكمه التي لايراها نفحة ونعمة بل هي منبعثة عن الالوهية وهي جزء منها ٠ ورأى آخرون ان هذا الزعم كان من سقراط حيلة يريد ان يتوصل بها الى تحقيق اصلاح سياسي كبير ٠ والظاهر ان سقراط اقتنع بصحة ماوقع في نفسه فلم يخامره ولاتلامذته ادنى شك في مدعاه وكان ذلك من آكد الاسباب في الحكم عليه بالموت ٠

وجاء فيه ايضاً في مادة جني: ان الجن في الاساطير الرومانية اشارة الى الشيطان عند اليونان وهي عبارة عن الروح اوالمبدإ الحيوي فكانوا يذهبون الى ان كل عمل يعمله الانسان يمليه عليه شيطانه الخاص ٠ فالظاهر انه كان من تأثيرات الزندقة الطبيعية ان توهم عامة اللاتنيين بان للمرء شيطانين وذلك ليحلوا كما يشاؤن مسألة الخير والشر فشيطان الخير يوحي الافكار الصالحة النافعة وشيطان الشر يلهم الاعمال الشريرة والحوادث المكدرة وهكذا رأى القائدان بروتوس وكاسيوس عند ما كتبت الهزيمة عَلَى اعلامهما شيطانيهما الشريرين

وكان القوم في رومية يعبدون الشياطين الخاصة والشياطين المحلية فاذا ولد لهم ولد يقومون باحتفال اكراماً لشيطانه وكثيراً ما تقدم فاكهة وثمار لشياطين المكان وعَلَى

عهد الامبراطورية كان شيطان الامبراطور يعبد عبادة خاصة اكراماً واحتراماً اه

(د) جاء في دائرة المعارف البريطانية ماتعريبه :

ان كلمة الشيطان هي اسم وضع في الانجيل والمذهب النصراني عَلَى شرير كبير يظن انه يرأس مملكة من الارواح الخبيثة وهو الملك فيها وانه عدو لله دائماً واللفظة العبرية وهي الشيطان الدالة عَلَى معنى المعاكسة ايضا تستعمل لهذا الشرير الكبير اوملك مملكة الشر ومما لاشك فيه ان روحا خبيثة كهذه كثيرا ما استعملت في العهد الجديد وقدسمي باسماء متعددة غير ماذكر مثل كلمة الممتحن ، بعل زبوب ، ملك الشياطين ، القوى ، الشرير الخاطئ ، العدو الالد ، وهذه الاسماء استعملت مترادفة في الانجيل وحيثما استعملت تدل عَلَى نفس القوة المحركة الشريرة الخارجة عن الانسان والمؤثرة فيه اوالتي لها سلطة عليه ومن المسائل ماهو مبلغ اعتقاد المسيح نفسه في وجود مثل هذه القوة الخبيثة لانه مما لاشك فيه ان قوة كهذه كان معترفا بها في معتقدات اليهود في ايامه ومن المحقق ايضا ان هذا الاعتقاد بين اليهود لم ينم دفعة واحدة بل نشأ عَلَى مهل ولا يتأثره المطالع في العهد القديم بوضوح كما نجده واضحا في العهد الجديد وفي الحقيقة ان كلمة الشيطان لاتوجد في التوراة الا في خمس مواضع وفي آثار الانبياء العبريين الاولى لايوجد اعتراف بروح شريرة تقاوم ارادة الله والصورة التي صورت بها هذه الروح الشريرة في آثار متأخريهم تختلف كثيرا عن الصورة التي صورها متأخرو علماء اللاهوت . اذاً ماهو اصل الاعتقاد بالشيطان من حيث انه روح خبيثة مطرودة « فالجواب » الذي يذكره المنقحون من المعاصرين ان هذا الاعتقاد نشأ من اختلاط اليهود بالفرس لما كانوا منفيين في بلاد فارس فالاعتقاد الفارسي يقسم الدنيا بين الهين موجودين مختلفين الواحد خير والآخر شرير الا ان كليهما له حصة في الخلق والانسان . فاهرمزده كان مقدساصادقاتجب له العبادة والاحترام واما اهرمن روح الظلام ذوالعقل الشرير فلم يكن اقل قدرة وكان يدعي الحق بمساواة اهرمزده من حيث اطاعة الانسان له « وفي القرون الوسطى » كان الاعتقاد بالشيطان عظيما فالقديسون كانوا يحسبون انفسهم وغيرهم بخصام دائم معه ومن الصعب علينا الآن ان نتصور مقدار التأثير لهذا الاعتقاد في معيشة الناس حينئذ فانه كان الفكر الثابت في رأس كل انسان خصوصا من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر وهي مدة يمكننا ان نعد هذه الخرافة بلغت فيها منتهاها ومن المحقق ان هذه العقيدة لم تنقص الا قليلافي

القرن الخامس عشر بل حتى في القرن السادس عشر اوالسابع عشر ، ولوثيروس كان يشعر دائما بتماس الروح الشريرة ومعاكستها ففي مكتبته وفي فراشه وحجرته كان الشيطان يتداخل في اشغاله او راحته ولما كان يباشر درسه سمع صوتا عرفه حالا انه صادر من عدوه « الشيطان » « قال » فلما وجدت انه يريد ان يعود مرة ثانية الى عمله جمعت كتبي وذهبت الى فراشي وسمعته مرة ثانية في الليل ماشيا في الرواق لكنني لما كنت اعلم انه الشيطان لم اهتم به بل غرقت في نومي وكذلك يقول لوثيروس ولما افقت في هذا الصباح باكرا جاءني الشرير وابتدأ يجادلني فقال لي انت مذنب عظيم فاجبته الا يمكنك ان تأتيني بنبأ جديدياشيطان . ولما تقدم المعقول في القرن الثامن عشر تناقص هذا الاعتقاد بانتشار التأثيرات الشيطانية والشعور بما فوق الطبيعة تضاءل من جميع جهاته ولا سيما الاعتقاد القديم بسلطة الشيطان المطلقة عَلَى مصير الانسان ومع ان الشعور الديني ازداد كثيرا منذ ذلك الحين فلا يمكن ان يقال بان الاعتقاد القديم بالشيطان واعماله تجدد ومن الممكن ان يكون اعتقاد النصرانية اليوم ان هنالك قوة شريرة في العالم تعاكس ارادة الله ولكن هل هذه القوة هي شخص وماهو فعلها في ارادة الانسان وايضا هل هنالك مملكة ارضية للشياطين يرأسها ملك وماهي علاقة هذه المملكة الشيطانية بمصير الانسان؟ كل ذلك مسائل لم تقرر بعد او مشكوك بها في اي مذهب من مذاهب الكنيسة . ووظيفتنا ان نلاحظ هذا التغير في اعتقاد النصارى من غير ان نبين منافعه اوغير ذلك ومن المحقق ان الاعتقاد بالشيطان لا يشغل مكانا عظيما في تصورات النصارى اليوم كما كان من ذي قبل وانه ليس لسلطته الآن الاثر الذي كان له في الانسان واختباره اه كلام دائرة المعارف البريطانية ولم نورده مع كلام المعجم قبلها الا ليتم للواقف عَلَى هذه المسألة الاطلاع عَلَى آراء بقية المفكرين من الملل الاخرى فيها

(ه) تزعم الفرس ان الجن يسكنون في بلاد تسمى جنستان ويسميها شعراؤهم ارض العفاريت والجنيات ويقولون انها واقعة في الطرف الغربي من افريقية ومنهم من يقول ان مقرهم في جزيرة الحيات في بحر الهند ويصورونهم بهيئة مخيفة بقرون طويلة واذناب وعيون مشقوقة طولا وشعر واقف كذا في دائرة المعارف

(و) قال وليّ الدين : يدعي بعض شيوخ الضلالة ورسل البهتان ان لهم تعازيم يستحضرون بها الجن ويجعلونهم تحت تصرفهم ولا يزال لهذه الاضاليل اثر يذكر يتناقله الناس ويعتقدون بصحته اه

(ز) قال الرازي في مقدمة تفسيره في بحث الاستعاذة : هؤلاء الذين يمارسون صنعة التعزيم اذا تابوا من الاكاذيب يعترفون بانهم قط ماشاهدوا اثرا من هذا الجن « قال الرازي » وذلك مما يغلب على الظن عدم هذه الاشياء « قال » وسمعت واحداً ممن تاب عن تلك الصنعة قال : اني واظبت على العزيمة الفلانية كذا من الايام وما تركت دقيقة من الدقائق الا اتيت بها ثم اني ما شاهدت من تلك الاحوال المذكورة اثرا ولا خبرا اه

(ح) ذكر بعض المحققين ان ابليس علم جنس للشيطان معرب ذيافوليس باليونانية ومعناه موقع الخلاف اومطغي اومبعد الانسان عن سبيله ، و يتضمن اسمه معنى آخر في كتب الوحي وهو رئيس الارواح الشريرة « قال » وكان شعراء الفرس الذين ينظمون في الخرافات يصفونه بلون اسود وعينين تقذفان نارا ورائحة كبريتيه وقرون وذنب واظافر معوجة وحافرين مشقوقين اه

(ط) لفظ شيطان عبراني بمعنى مخاصم اومضاد ثم اطلق على روح شريرة غير مرئية تدعو الى المعاصي والآثام « كذا في المرشد » قال الراغب عن ابي عبيدة : الشيطان اسم لكل عارم من الجن والانس والحيوانات « قال » وقد يسمى كل خلق ذميم للانسان شيطانا اه ونقله السيد الزبيدي عنه في تاج العروس شرح القاموس

(ى) قال بعض الافاضل : من الاعتقادات الشائعة ان الجن تسكن بعض الاماكن ولا سيما الخربات والقبور والعيون والآبار والبيوت المهجورة حتى العامرة ايضا فيحتاج اهلها الى الخروج منها وكانوا في الجاهلية اذا ارادوا سكنى دار ذبحوا للجن ذبيحة حتى لا تضرهم وهذا الاعتقاد المتقادم العهد لم يزل باقيا الى الآن في اماكن كثيرة ويرى بعض العامة مرائي واساطير من هذا القبيل ، وماذلك الا اوهام وتصورات تنتج من المخيلة المنطبعة فيها من جري اكثر الاخبار ، آثار لاتمحى الا بكرور الايام ، وانتشار الوية العلم في كل الاقطار بحيث تتمزق حجب الاوهام ، وتأخذ الحقائق مكانها في افكار الانام ، سهل الله سلوك سبيل العلم والعرفان انه الكريم العلام

جمال الدين القاسمي

الاتكال الشرقي

نصيحة غربي

قليل في القارئين من لم يسمعوا باسم المستر روزفلت [١] رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق الذي خدم بلاده اجل خدمة فعد العالم الاجتماعي الاقتصادي والقائد العظيم والسياسي الانساني واعظم ملوك عصره ورؤساء الجمهوريات بلا نزاع

اصل هذا الرجل هولاندي نزل اجداده الولايات المتحدة منذ مائتي سنة وتخرج هو في كلية هارفرد الجامعة وكان قبيل الحرب الاميركية الاسبانية مساعد امين سر وزارة البحرية فلما نشبت الحرب استقال وتطوع في الجيش حتى اذا عاد ظافراً عينته الحكومة والياً على نيويورك ثم معاوناً للرئيس ماكنلي فلما قتل هذا انتخبته الامة رئيساً عليها على الرغم مما كان يكيد له بعض منافسيه في السياسة ثم اعيد انتخابه بعد اربع سنين وهي المدة النظامية لكل رئيس جمهورية . ضرب روزفلت على ايدي رجال الاحتكار في الغرب وطأطأت لاقواله رؤوس ملوك الفولاذ والبترول وغيرهم من الاميركان ونصر المستضعفين والفقراء وهاله اجتماع الثروة في ايدي افراد وحرمان سائر الامة منها فقام يضرب على المحتكرين الرسوم الفاحشة ويداوي الاجسام والجيوب بافعاله كما يداوي الارواح والعقول باقواله وله عدة تآليف اجتماعية سياسية ومقالات كثيرة في المجلات والجرائد وهو الذي الف بين جمهوريات الجنوب وجمهوريات الشمال وجعل لبلاده مقاماً سامياً في السياسة الخارجية وحل المعضلة التي كانت استحكمت بين روسيا واليابان فاستحق على عمله جائزة السلام لنوبل وعينه مجمع العلوم السياسية والاخلاقية في باريز عضواً مراسلاً له دلالة على اعتبار اوربا لاعماله

ولما لم يرض المستر روزفلت ان يعاد انتخابه لرئاسة الجمهورية للمرة الثالثة عملاً بالتقليد المأثور عن الرئيس واشنطون وجفرسون رأى ان يهجر البلاد مدة ليخلو الجو للرئيس تافت الجديد فرحل الى افريقية الشرقية ليكمل نفسه في العلم والتجارب ويفيد امته من رحلته حتى اذا عاد الى نيويورك يوسد اليه تحرير مجلة الاوتلوك الاسبوعية

---

(١) المقتبس م ٢ ج ٧ صفحة ٣٥٨

وهكذا يرجع الرئيس من زعامة خمسة وثمانين مليوناً من البشر الراقي الى رئاسة تحرير مجلة · وناهيك بمنصب العلم من منصب

خطب المستر روزفلت في الخرطوم قاعدة السودان جماعة من طلبة المصريين والسوريين في دار احد مرسلي الاميركان في شهر ربيع الاول ١٣٢٨ — آذار ١٩١٠ وانتقد مايرمي اليه كثير من الشبان في اوربا واميركا وافريقية من الرغبة في التوظف وخدمة الحكومة فارادهم عَلَى ترك الاتكال والعمل في اعمال المعاش عَلَى طريق الاستقلال قال :

« فمتى قلت لكم انه يجب عليكم ان تؤيدوا الحكومة لااريد أن يخطر لكم انني اريد من قولي هذا انكم مضطرون الى السعي وراء احراز الوظائف فيها (ضحك) بل ان الامر عَلَى عكس ذلك · وارجو ياحضرة الدكتور جفن (رئيس الارسالية الاميركية في السودان) ان الاعمال التي قمتم بها هنا والتي تقوم بها سائر المعاهد العلمية التي لكم صلة بها سترمي الى تلك الغاية · فتذكرون دائماً ان اعظم الناس خدمة ونفعاً للحكومة هو الرجل الذي يأبى في كل حال ان يشغل وظائفها

أما أنا فلا أريد أن أرى كلية من كليات الارسالية موجهة سعيها الاول وجاعلة غايتها الرئيسة من التعليم مجرد تخريج طلبة لاحراز الوظائف في مناصب الحكومة · بل أريد أن ارى المتخرج مستعداً للعمل باستقلال وبدون اقل اهتمام بأية مساعدة ينالها من راتب يتقاضاه من الحكومة · فان افضل الوطنيين شأناً هو من برع في الهندسة والصناعة والزراعة ومن سوء الحظ ان يقع في الاذهان سواء في اميركا واوربا وافريقية ان الرجل المتعلم يجب ان يجعل غايته الوحيدة اتخاذ وظيفة في خدمة الحكومة · انني ارجو ان يتخرج من هذا المعهد العلمي وامثاله عدد من افاضل الموظفين لخدمة الحكومة في اعمالها العسكرية والملكية ولكن اذا وافقت الاحوال فان موظفي الحكومة بين ملكيين وعسكريين يكونون دائماً العدد الاقل من المتخرجين · لان الغاية العظمى التي يجب ان ترمي اليها المعاهد العلمية هي تخريج رجال يستطيعون العمل بدون مساعدة ويستطيعون ايضاً مساعدة انفسهم وغيرهم وهم عَلَى استقلال تام بدون أن تكون لهم اقل علاقة بالحكومة · وهذه مسألة اهتم بها كثيراً هنا اهتمامي بها في اميركا بالذات · · · ·

وفي الختام اقول لاتقعوا في الخطأ الذي يقع فيه الشبان منكم فتظنوا ان علمكم قد انتهى بخروجكم من المدرسة اوالكلية · بل اعلموا انكم انما انجزتم نصف العلم فأنا الآن

في الخمسين من عمري ولو اني توقفت عن تحسين حالي وزيادة معارفي لشعرت ان قد اوشك ان ينتهي نفعي للجمهور

فعلى كل واحد منكم متى خرج من مدرسته ان لا يقول « الآن قد انتهى تعلمي ففي وسعي ان اكسل » بل اريد ان تقولوا « قد سهلوا لي وضع اساس قوي للتعليم الناضج وفيما انا اقوم باعمالي سأواصل تمرين نفسي وتعليمها فبدلا من ان تمر بي الاعوام وانا واقف في مكاني اراني اتقدم واصير اكثر كفاءة للعمل واوفر مقدرة على انجاز الاعمال الحسنة »

هذا ماقاله في هذه الخطبة وهو كما نراه يدعو الى الاستقلال في التربية وقال في خطبة له في القاهرة القاها في الجامعة المصرية ابتدأها بالاسف لانه ليس من اهل العلم ليتكلم بالعربية ولو كان منهم لما تكلم الا بها :

« اجتنبوا الباطل والادعاء الفارغ كما تجتنبون التعصب الديني والجنسي والسياسي . ان في كليات اوربا وكليات بلادنا اموراً كثيرة تستفيدون منها ولكن فيها ايضاً اموراً كثيرة يجب اجتنابها . فاقتبسوا عنها ما كان حسناً ولكن انتقدوه قبل اقتباسه حتى تثقوا بأنكم انما تقتبسون ما هو الافضل والاصلح لكم .

واهم من اجتناب التقصيرات التعليمية اجتناب التقصيرات الادبية . فانكم ترسلون الطلبة الى اوربا لكي يدرسوا فيها و يستعدوا لان يصيروا اساتذة . وهذا الاستعداد لازم اذ من الامور الجوهرية ان تكون الجامعة مظاهرة على احسن ما يجري في معاهد اوربا واميركا العلمية ولكن ليعتن الشبان الذين يرسلون باقتباس كل ما هو حسن وحميد وواجب لارقى انواع التقدم الحديث وليجتنبوا كل ما كان غير ضروري في تمدن هذا العصر ولا سيما رذائل الامم المتمدنة الحديثة ولتكن اذهانهم مفتوحة اذ من الخطإ العظيم ان تأبوا اقتباس مارقي به الغرب في مرقاة القوة والعدل والعيشة الطاهرة وان تنضوا به حاجاتكم ولكن من الخطإ العظيم ايضاً ان تقتبسوا ما كان رخيصاً او مبتذلاً اورديئاً . ليعلم الذين يرسلون الى اوربا ان فيها اشياء كثيرة يجب ان يتعلموها وأُخرى يجب ان يجتنبوها ويرفضوها فليأخذوا الحسن ولينبذوا القبيح .

واعلموا ايها الخلان انه ان كان عندي شيء اقوله لكم فذلك الشيء هو ان الاخلاق اهم من العقول بكثير وانه يجب على كل جامعة عظيمة بالفعل ان تسعى في تربية الصفات التي تكون منها الاخلاق اكثر من تربية الصفات التي تقوم بها العقول المثقفة . نعم انه

ما من رجل يبلغ الطبقة العليا بين الرجال اذا لم يكن عاقلاً ذكياً بنفسه ولم يكن مثقفاً بعقل وذكاء اذ التثقيف لازم كالذكاء ولكن الذكاء وحده لايجدي مالم يسترشد بقلب مستقيم ومالم تكن وراءه قوة وشجاعة . فالآداب والحشمة والعيشة الطاهرة والشجاعة والمروءة واحترام الانسان لنفسه كلها صفات اهم في تربية الامم من ذكاء العقول فاجعلوا هذه الجامعة بحيث تساعد امتكم على الارتقاء دواماً .

واحذروا خصوصاً من نقص واحد في التربية الغربية فقد كثر الميل في مدارس الغرب العالية الى تعليم الشبان حتى يكونوا رجال علم وادب ورجال صناعات وموظفين في وظائف رسمية كأن لا تربية حقيقية غير التربية العلمية ولذلك سررت غاية السرور بانكم شرعتم في انشاء المدارس الصناعية والزراعية في مصر اذ التربية العلمية نوع واحد من انواع التربية المختلفة وليس من الحكمة ان يقتصر عليها وحدها سوى جزء قليل من اهل كل البلاد . اما بقية الامة فيجب ان تستبدلها بغيرها وتتمرن على اعمال أخرى . ان سمو الخديوي في اعماله الكثيرة التي تتناول جميع وجوه العيشة المصرية اظهر حكمة عالية وبعد نظر وادرك حاجات بلاده بما يظهره من الاهتمام بترقية زراعتها وتحسين الزرع والضرع .

فهذه البلاد كسائر البلدان تحتاج الى عدد معين من الرجال تؤهلهم تربيتهم الانقطاع الى العلم او التعليم في المدارس او تقلد مناصب الحكومة . ولكن ليس من مصلحة بلاد ما ان ينصرف الى هذه الامور سوى جزء صغير من ذوي العقول الكبيرة فيها .

ويجب ايضاً ترقية الميل الى الصنائع وتمرين الاهالي حتى يحسنوا الزراعة وينبغوا فيها كما ينبغ امهر المحامين والموظفين وحتى يخرج منهم المهندسون والتجار واصحاب الاعمال الاخرى التي لاغنى عنها في بلاد عظيمة متمدنة .

ان وجود سياسي شجاع مستقيم بعيد النظر مفيد في كل بلاد ولكن فائدته تتوقف خصوصاً على استطاعته التعبير عن مشيئة امة وللسياسي النصيب الاصغر في قيادتها وللتاجر والزارع والمهندس واهل الفنون الاخرى النصيب الاوفر . كل امة لايكون لها من القادة الا الكتبة والساسة والمحامون لم تدرك شأواً يستحق الذكر . فأساس الحياة الصحيحة في كل بلاد واجتماع انما هو الرجال الذين يعملون الاعمال المختلفة من حراثة وصناعة وتجارة ولا فرق بين ان يشتغلوا بايديهم او بعقولهم . وخير للانسان

ان يشتغل برأسه ويديه معاً فهؤلاء هم الذين يعملون الاعمال الكبرى في حياة المجموع وما المشتغلون بالعلوم والمعارف والسياسة والقانون وموظفو الحكومة سوى مكملين لهم .

عَلَى ان الامر المهم ان يقوم العمل على الامانة والكفاءة مهما يكن مركز العامل من اكبر كبير الى احقر حقير. وما اقوله هنا عَلَى ضفاف النيل هو نفس ماقلته عَلَى ضفاف انهر الهدسون والمسيسبي والكولمبيا .

واذكروا دائماً انه لا الفرد ولا الشعب يتربيان التربية الجوهرية بمجرد فعل يفعلانه وانما يتربيان بطريقة تتعاقب فيها الافعال كطريقة النمو فانك لاتجعل الانسان متربياً ومتعلماً تعلماً حقيقياً بمجرد اعطائه دروساً معينة وكذلك لاتجعل امة صالحة لان تحكم نفسها بنفسها بمجرد اعطائها دستوراً عَلَى الورق . بل تربية الفرد وتعليمه حتى يصير صالحاً للعمل في العالم تستغرقان اعواماً طويلة وهكذا تربية الامة واعدادها حتى تنجح في قضاء واجبات الحكومة الذاتية لايتمان في عشر سنوات او عشرين بل يلزمهما اجيال متعاقبة »

وخطب ايضاً تلميذات كليات البنات الاميركية في القاهرة فقال :

« لاتقوم امة في العالم ابداً اذا لم تكن فيها المرأة قادرة على القيام بعملها بجدارة واهلية مثل الرجل وانه من العدل ان تفهم وهي في حداثة السن في مدرستها وتعلم كيف يجب ان تنشأ وترتقي كما يرتقي الرجل ومن الواجب ان لاتتعلم العلوم فقط بل ان تعرف كل ابنة كيف تؤدي اعمالها واشغالها

اني افتخر بكل مدرسة لاتقتصر على تلقين العلوم بل تعلم العمل ولا أشك في ان تلميذات هذه المدرسة متى صرن صاحبات بيوت يبرهن عَلَى اقتدارهن عَلَى ان يقمن في بيوتهن كما تقوم نساء الارسالية في بيوت رجالهن

يسرني جداً في هذه المدرسة انها تعمل عَلَى قاعدة التسامح الديني . يسرني جداً ماعلمته من ان ثلث تلميذات هذه المدرسة مسلمات والثلثين مسيحيات واسرائيليات ومن طوائف اخرى

اود الآن ان اتكلم عن المدارس عامة لما جئت الى مصر من زمن بعيد لم تكن الحالة كما هي الآن انني لااقدر ان اصفها تماماً ولكن اتذكر منها مايجعلني مع المقابلة ارى الآن النجاح والتقدم العظيم . انني شاهدت الآن بيوتاً وترتيباً ومعيشة لم اشاهدها حينئذ . رأيت في بيوت عديدة مادلني على ان الزوجات والامهات اللواتي فيها قد كن تلميذات في مثل هذه المدرسة او انهن عاشرن معلماتها والمتعلمات فيها

انني في كلامي عن المدارس لا أخصص جنساً منها بل امتدح كل المدارس على اختلاف نزعاتها وصفاتها والقائمين بالعمل فيها ولا اقول انه توجد مناظرة بين هذه المدارس او انني اكره المناظرة في هذا السبيل بل اقول انني ارجو الخير لجميعها اذا كانت تعمل وهي ولاشك تعمل لخير المصريين »

هذا ماقاله العلامة المشار اليه وهو كما تراه يرمي الى الاستقلال وينفر الناس عن الاتكال اذ قد عز عليه ان يرى شبان الشرق يقلدون بعض شبان الغرب في مكاسبهم ومعايشهم فيصبحون عالة عَلَى الحكومات يرزقون من خزائنها مختارين في عملهم الراحة عَلَى السعي والكسل على المضاء والتضييق عَلَى الانطلاق والاتكال عَلَى الاستقلال فتخرب البلاد باهمال ابنائها لها ويفتحون بايديهم ابواب بيوتهم للدخلاء والغرباء وتترك خيرات الارض لمن يقوم عَلَى تعهدها واستثمارها واستنباتها

من طبيعة المرء ان يحب العيش المضمون المريح وليس احسن من الوظائف في هذا الباب تضمن معاش الانسان في حياته وبعد مماته فيتدرج في سلسلة المراتب ولاسيما اذا كان عَلَى شيء من المعرفة المكتسبة والجربذة والدهاء ومعرفة المدخل والمخرج في نيل رضى رؤسائه بحيث يكون كالآلة في ايدي محركها ولا يطلب من الآلة الاتنظيم سيرها فان نطقت هي وسألت عن السبب كان للموظف ولاسيما اذا كان صغيراً ان يسأل عنه . يكفي في مضار التوظف في الحكومات انها تسلب الارادة ومن سلبت ارادته فنيت نفسه ومن فنيت نفسه كان كالميت لايتحرك الا اذا حرك . وان امة يرضى نوابغ ارباب الذكاء فيها لانفسهم ان يكونوا بلا ارادة ولاشخصية ولااستقلال جديرة بالضعة والمقت والفقر والخمول واذا حاز النبهاء هذه الصفات السيئة فاولى ان يكون حظ الخاملين اتعس . ولا رجاء لعامة ضعف خاصتها عن تعهد امرها .

من اكبر الدواعي في تراجع عمران البلاد العثمانية والمصرية انه وقر في النفوس مع الزمن ان من لم يخدم الحكومة لايعد من الاشراف ولا من ارباب المكانة والرأي والوجاهة . وان كل مروءة وحكمة وعقل وعلم ورفعة وقف عَلَى الموظفين ومن لم يحتك بالحكومة كان وضيعاً مهما رفعه مقامه وشرف آبائه وجدوده وجده ومضاؤه وحنكته ودربته ومعرفته وثروته

هذا الخلق من طبيعة الحكم الاستبدادي وكم رأينا بيوتاً خربت لان اربابها عز عليهم الا ان يجاروا بيوتاً اخرى كانت منافسة لهم في التسابق الى دواوين الحكومة

فغفلوا عن تجارتهم وزراعتهم المشروعة المعقولة وتعلقوا بالتافهات من خدمة ارباب الحكم فما استفادوا بقديمهم ولا احسنوا تلقف حديثهم . واكثر مايكون هذا الخلق ظهوراً الآن في سكان العواصم مثل الاستانة والقاهرة ودمشق وحلب فترى كثيرين من اهلها كالحلمة الطفيلية ينتظرون نقل احدهم او استقالته اوموته حتى يخلفوه في مكانه

ان اقوال المستر روزفلت حرية بأن يجعلها اهل هذه البلاد رائداً بين ايدي اعمالهم ومهمازاً لهم في اقوالهم وافعالهم . ان انصراف وجوه الناس كلهم نحو التوظف قد عطل في بلادنا القوى المعنوية والمادية وغادر القوم كاعجاز نخل خاوية تركوا موارد الثروة الحقيقية وراحوا زرافات يطرقون ابواب الحكومة وما هي بمغنية رعاياها كلهم وهم هم مادة حياتها و بغناهم تغنى و بشقائهم تشقى .

لايتعلم المتعلم منا من اهل الطبقة العالية والوسطى والدنيا الا ليكون ضابطاً اوقائممقاماً او موظفاً في الاقلام او من رجال القضاء وقليل جداً من يريدون ان يتعلموا ليستعدوا لانجاح تجارتهم وزراعتهم وصناعتهم ولاسيما من اهل الاسلام الذين حصروا آمالهم في الحكومة في كل دور من ادوارهم ولذا قلما رأينا ابن تاجر منا عامله ابوه عَلَى الاسلوب الجديد حتى يكون كتجار الافرنج بتعليمه وتجاربه و يعود عليه القرش قرشين بدل ان يعود قرشه بيارة .

طف مخازن القاهرة والاستانة وازمير وسلانيك والاسكندرية و بيروت واسأل عن تراجم اربابها واجناسهم فهل ترى فيهم الا افرنجاً او غير مسلمين من اهل البلاد .

واذا وقع لك ان صادفت تاجراً مسلما فيكون في الاكثر غريباً عن تلك المدينة او انه احوج الى التعلم في عمله من اصغر تاجر من اولئك التجار ارباب الاموال الطائلة والمعرفة الواسعة .

تجول في القرى والحص المزارع هل تجد لمسلم وطني مزرعة نجحت بسعيه كما نجحت مستعمرات الالمان في فلسطين والفرنسويين في البقاع ومستعمرات الطليان والروم والارمن في مصر واذا رأيت مسلماً اخصبت تربته على سبيل الاتفاق فابحث عن السبب تراه اهتدى الى استخدام اناس ممن تربوا عَلَى غير طريقته وعرفوا في الامور الدنيوية من اين تؤكل الكتف .

وابحث عن صناعات البلاد هل تراها كل يوم الا ترجع القهقرى لان اربابها جمدوا عَلَى ماتعلموه من آبائهم ولم تحدثهم انفسهم في تقليد الراقين من صناع الايدي ولانك

لاتجد في الالف منهم واحداً يعرف مايقتضي لنجاحه من الاسباب واي الطرق سلكها الغربيون حتى بزوا بمصنوعاتهم مصنوعاتنا ويوشكون ان يقضوا عليها قضاء ابدياً .

كل هذا نتيجة الكسل والاعتماد عَلَى الحكومة في الرزق والبلاد لاترتقي الا بالمسلمين في المملكة العثمانية لانهم الجمهور الاعظم من السكان ومنهم جلّ رجال القضاء والادارة وارباب الاملاك والاراضي ولا سبيل الى ارتقائها الا اذا ارتقوا هم انفسهم ان لم يكن اكثر من مواطنيهم فلا اقل من ان يكونوا عَلَى مستواهم . ونظن هذا التصريح جارحاً ولكنها هي الحقيقة لاتدليس فيها ولا دهان .

ان كل ما كان الموظفون يجمعونه من دماء الامة لم يثمر لهم الثمرة الجنية لانه مال حرام اتاهم من غير طرقه المشروعة من كد واقتصاد فلم نر ثروة تسلسلت في اعقاب الموظفين الى جيلين الا نادراً وكثيراً ما كان يفتقر الموظفون في حياتهم ولولا رواتب التقاعد لرأيت اعظم الموظفين في السنة التي يضطرون فيها الى ترك وظائفهم فارغة ايديهم من مال يعتاشون به ولو كانت مشاهراتهم تعد بعشرات الليرات .

هذا من حيث المال اما عن سلب حرية الموظفين فحدث ماشئت ان تحدث ولولا ان العادة تسهل الاشياء لقضي عَلَى اكثر الموظفين في سن الكهولة لكثرة مايلقون من عنت رؤسائهم وتضييق وجداناتهم وكم من ذكاء ذهب سدى لان صاحبه لم يستعمله بل حصره في دائرة ضيقة من عمل اصبح له شيئاً معروفاً في بضعة اشهر وقضى عمره وهو يبيض ويسود او يحاسب في موضوع لايكاد يتعداه .

ان التوظف عمل من اعمال الناس لايصح ان يترك والا فمن يدير شؤون البلاد ولكن لايجب التهالك فيه كما نراه يتزايد اليوم بعد اليوم فالام التي كانت تفرح ابنها فيما غبر وتقول له ان شاء الله اراك باشا ينبغي لها ان تربيه مع ابيه على ان يكون بعد اليوم ممتازاً في حرفة من الحرف اوصناعة من الصناعات فقد جربت الامة ورأت من افلاسها مالا ينكره عاقل لانه لم يتعلم منها احد الا ليكون من المستخدمين . كأن خيرات الارض والسماء لاتغدق الا عَلَى من ينصب نفسه وجسمه للجري عَلَى ارادة غيره لينال بزعمه رزقه هنيئاً ابداً .

انا والله مع احترامنا لكل موظف امين يخدم الامة بصدق ويقبض راتبه بعرق جبينه لنفضل عليه من يتجر بالسماد لتعمر به الارض ومن يخرج الحجارة من المقالع ويعتمد عَلَى خالقه وعمله في معاشه على فرد ينسى كل شيء ويتجرد عن كل شيء ليقال عنه انه موظف .

نزل مصر بعض المتعلمين من السوريين منذ عهد الخديوي اسمعيل وقبله واخذوا بما فيهم من النشاط والقوة والمعرفة يتولون الوظائف و ينافسون فيها المصريين في بلدهم فبقيت ارزاقهم محدودة ولم يخرجوا عن كونهم مستخدمين يصرفون في آخر شهرهم كل ماقبضوه في اوله . ولما صعبت الحكومة المصرية وصول غير المصري الى تولي الوظائف بالقانون الذي سنته عَلَى عهد الوزارة الرياضية حول السوريون وجلهم مسيحيون وجهتهم الى التجارة والزراعة فماذا كان من اثر ذلك عليهم ؟

كان منه ان اصبحوا يتكلون عَلَى عملهم وكدهم و يبتاعون الاطيان البائرة في القطر المصري فيعمرونها بنشاط ومعرفة و يتجرون بمصنوعات البلاد ومصنوعات اوربا و يتوفرون عَلَى تنمية اموالهم بطرق اقتصادية حتى لم يمض عقد اوعقدان من السنين الا وقد اصبح ابناء سورية النازلون في مصر اغنياء بعد الحاجة موسعاً عليهم غب الضيق يملكون القصور الباذخة و يمتعون بالعيش الخضال حتى قدر احد العارفين ثروة السوريين في مصر بخمسين مليون جنيه اي بعشر مجموع ثروة مصر . ولو ظلوا راضين كلهم بالدون من المعاش لما جمعوا واحداً من مئة من هذه الثروة الطائلة ولا يكون مايجمعونه الا من التقتير والشح وكذلك فعل المسيحيون في البلاد العثمانية لما قطعوا آمالهم من الحكومة فباتت اعمال المعاش المهمة كما تقدم بايديهم ودرت عليهم اخلاف السعادة ولو قلدهم سائر العثمانيين في هذه الخطة الشريفة لخلصنا من الاشكال الذي لم تبلغه امة من الامم في سالف القرون والاجيال

قال الجاحظ في رسالته مدح التجار وذم عمل السلطان : وهذا الكلام لاينجم من حشوة اتباع السلطان فاما عليتهم ومصاصهم وذو البصائر والتمييز منهم ومن فيقته الفطنة وارهقه التأديب وارهفه طول التفكر وجرى فيه الحياء واحكمته التجارب فعرف العواقب واحكم التفصيل و ينطق (؟) غوامض التحصيل فانهم يعترفون بفضيلة التجار ويتمنون حالهم ويحكمون لهم بسلامة الدين وطيب الطعمة و يعلمون انهم اورع الناس ابداً واهنأهم عيشاً وآمنهم سرباً لانهم في افنيتهم كالملوك عَلَى اسرتهم يرغب اليهم اهل الحاجات و ينزع اليهم ملتمسو البياعات لاتلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا تستعبدهم الضرع لمعاملاتهم وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته فان اولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملق وقلوبهم ممن هم لهم خول مملوءة قد لبسها الرعب والفها الذل وصحبها ترقب الاحتياج فهم مع هذا في تكدير وتنغيص خوفاً من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب وتغيير الدول

واعتراض حلول المحن فان هي حلت بهم وكثيراً ماتحل فناهيك بهم مرحومين يرق لهم الاعداء فضلاعن الاولياء فكيف لايميز بين من هذا ثمرة اختياره وغاية تحصيله و بين من قد نال الوفاء عنه والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الاثراء وقضاء اللذات من غير منة لاحد ولا منة يعتد بها وكم بين من هو من نعم المفضلين خلي و بين من قد استرقه المعروف واستعبده الطمع ولزمه ثقل الصنيعة وطوق عنقه الامتنان واسترهن بتحمل الشكر الخ

ملك الانكليز وامبراطور الهند(١)

اذا كان فراق هذه الدنيا تزداد صعوبته بزيادة اقبال الحظ وسعادة الطالع عَلَى المرء فالملك ادوارد السابع اولى الخلق بكراهة الموت وحب البقاء · وان كان بلوغ الاماني وحصول الرغائب وازعاً للمرء عن التشبث بحبال الحياة ومفضياً به الى القناعة من الدنيا والاكتفاء من لذائذها وحب الرحيل عنها فهذا العاهل الكبير اجدر الناس عَلَى الاطلاق بالملل من العمر والازدراء باطايب الحياة ·

وذلك لانه عاش عمراً مفعماً بالحوادث العظيمة ومملوءاً بكل مااشتهته نفسه وطاب به قلبه وتمتع بجميع ماتتطلبه الاميال البشرية وتهنأ به النفوس · فقد كان قبل ان ارتقى الى العرش البريطاني في ٢٢ كانون الثاني ١٩٠١ منصرفاً الى مايلذه من السياحات والمذاكرات والمشاغل الخاصة غير متحمل عناء السياسة ولامتعرض الى مالا يعنيه من شؤونها فكان يكثر من مخالطة العلماء ومفاوضتهم في الفنون التي اولع بها ويحضر الحفلات العلمية و يسمع الخطب ويقرأ المقالات في العلوم الطبيعية و يطالع الجرائد السياسية و يقف على آراء الزعماء ومطالب الاحزاب واغراضهم و يعي ذلك في صدره لينتفع به عند الحاجة و يتلهى بالخروج الى الصيد في اوقات الفراغ والسياحه في اوربا وقد كان مولعاً بمدينة باريس جعلها موضع طربه ومقر صفائه واكثر من انتيابها واللهو فيها حتى اتهمه الناس بالمجون والطيش وحسبوا انهماكه في الملذات وقيامه على صفاء العيش وخلو الذهن من المشاكل يجعله ضعيفاً في ادارة الشؤون السياسية قاصراً عن النهوض باعباء الملك عند انتدابه اليه ·

درس العلوم العالية في جامعة كمبردج وجامعة اكسفورد ونال منهما رتبة دكتور في

(١) مقتبسة من المقتبس اليومي

الشرائع ووجهت اليه درجات علمية سامية من المدارس الكبرى في بريطانيا ومستعمراتها وعين قائداً في الجيش البري واميرالاً في البحرية الانكليزية وانتخبه الماسون رئيساً اعظم للمحفل الانكليزي وكان غيوراً عَلَى هذه الجمعية مؤيداً لمبادئها حافظاً لقوانينها حتى صار له في العالم الماسوني مقام جليل ومنزلة سامية . وقد زار سورية سنة ١٨٦٢ وجال في مدائنها وتفقد آثارها كما ساح في غيرها من بلاد الشرق والغرب مثل الهند ومصر وكندا والولايات المتحدة وغيرها وتعرف باكثر ملوك الدنيا قبل وصوله الى العرش واضطلع بالسياسة الخارجية ودرس طبائع الاقاليم والشعوب وكان ينوب عن والدته الملكة فكتوريا في اكثر الاحتفالات الدولية والجمعيات العلمية والخيرية .

افضى اليه صولجان الملك بعد وفاة والدته فطرح اللهو جانباً وانتقل من دور التأهب الى دور العمل وقد كان عندئذ الاضطراب سائداً والتلبك مستولياً في دوائر انكلترا السياسية بسبب الحرب الناشبة في جنوبي افريقية مع الترانسفال وان كان النصر قد انبلج للانكليز وتوثقوا من استيساق الامر لهم في تلك الناحية فعمد الى سياسة اللين والرفق وغير خطة العنف التي كانت تنويها حكومته مع ذلك الشعب فاباح لهم الامن والاستقرار في منازلهم ووزع عليهم الارزاق والحقوق حتى اخلدوا الى السكينة والهدوء ورتبت الشؤون في بلاد الراس عَلَى اسلوب مهد لانكلترا ثبوت القدم عَلَى نصف قارة افريقية من جهة الجنوب واقامة دولة انكليزية في تلك الاقاليم تضارع دولتها في الهند

ثم فكر بوسيلة للاطمئنان من جهة هذه الدولة الضخمة وايصالها من منابع النيل الى مصبه ومازال يدبر ويمهد حتى وفق الى عقد الاتفاق الودادي مع فرنسا واطلق يد انكلترا في وادي النيل فاصبح البأس الانكليزي مشتملاً عَلَى القسم الاعظم من قارة افريقية من الاسكندرية الى رأس الرجاء الصالح . وهذا الاتفاق الذي الف به ادوارد السابع بين الانكليز والفرنسيس هو اعظم عمل قام به في حياته واحسن ما استفادت به انكلترا في القرن الماضي خصوصاً وقد كان عقده في اثناء الحرب اليابانية في الشرق الاقصى عندما كان يخشى من ان تسعى فرنسا بتأليف حزب كبير في اوربا لمناصرة روسيا واضاعة انتصارات اليابان

في ايامه شذبت اليابان قنادة الروس في الشرق الاقصى وكفكفوا غائلتهم الى الوراء في منشوريا وبلغت السياسة الانكليزية في ذلك اوجها الاعلى بانكسار شوكة روسيا والطمأنينة من تعاظمها وتعاليها في الشرق فامنت عَلَى الهند منها وتحققت ان هذا القلق

قد خمدت جمرته وبردت ثائرته فلا يتحرك قبل اواسط القرن العشرين ·

ونفوذ السياسة الانكليزية في الشرق الاقصى اقنع اوربا قاطبة ان انكلترا هي صاحبة الكعب الاعلى والمقام الاول وهي الخصم الذي لا ينازع والقرن الذي لا يدافع فتزلفوا اليها بالمودة وتلطفوا بخطبة مودتها والتقرب منها حتى ان روسيا نفسها التي تحملت الضربة الكبرى اغتفرت لها الذنب وتناست ما للانكليز من اليد في تعزيز شأن اليابان ومساعدتهم في تلك الحرب ومالت الى مصانعتهم واسترضائهم والفضل الاكبر في هذا النفوذ كان للملك ادوارد الذي ادار دفة السياسة بيده واهتم بتدبير الامور عَلَى هذا المنوال ·

ومن غرائب الاتفاق ان السنوات التسع التي كان فيها هذا العاهل عَلَى العرش البريطاني لم يظهر في اثنائها رجال بين ساسة الانكليز مثل الذين ظهروا عَلَى عهد والدته بالاقتدار والحنكة والدربة فلم يكن لديه مثل غلادستون وسالسبوري وبيت وبكنسفيلد وبلمرستون وغيرهم فكان الحمل عليه ثقيلاً والتبعة عظيمة واخذ عَلَى عاتقه استنباط الاساليب واختراع المذاهب السياسية ومال الى سياسة السلم والرفق فزار اكثر ملوك اوربا ورؤساء حكوماتها والف بين القلوب واصفى الود لاعدائه وعقد معهم عهود المودة والاخلاص وصارت انكلترا التي كانت بالتقاليد الاوربية القديمة متهمة بالاعتزال والانفراد والكبرياء ومكروهة من الشعوب اقرب الاقوام مودة واعلقهم بقلوب الامم · فهو اول ملك انكليزي زار قياصرة الروس في عاصمتهم واول من انتزع سخائم البغض والعداوة الراسخة بين الانكليز والفرنسيس · وقد تعاصى عليه استجلاب ابن اخته امبراطور المانيا باللين والصداقة فألّب عليه جيرانه وكاد يخرج ايطاليا من المحالفة الثلاثية ويفرد الدولة الالمانية وحدها بين الممالك الاوربية

اما علاقة الملك ادوارد بدولتنا وسلطاننا فقد كانت في دور الاستبداد اقرب الى العداء منها الى الصداقة وقد صرح مراراً في مفاوضاته السياسية انه يتمنى الخير للدولة العلية غير انه يائس من اصلاحها ويحسبها عضواً فاسداً في العالم المتمدن ولذلك لم يكن نصيراً للدولة الحميدية في نكباتها ولا اعانها في ويلاتها الكثيرة بل ربما شذ في بعض مآزقها ومهد السبيل الى ندور بعض الولايات عنها فكانت له اليد الطولى في استقلال كريت ورغب في اخراج مكدونيا من الوحدة العثمانية متبعاً بذلك سياسة غلادستون الذي كان يرى الحزم بتقسيم الدولة العثمانية الى ممالك صغيرة حرصاً على السلم العام وصفاء بال العناصر من المشاكل الحميدية

ثم لما تبين الرشد من الغي وانتصر الحق عَلَى الباطل بظهور الاحرار عَلَى الاشرار واعلان الدستور في البلاد العثمانية كان الملك ادوارد اشد الاجانب فرحاً بهذا الانقلاب واكثرهم مظاهرة لحكومتنا الجديدة الحرة فوقف في وجه المانيا وعرقل دسائسها في البلقان وصرف نفوذه وقوة دولته العظيمة في استمالة الرأي العام في اوروبا لجهتنا وتسكين القلاقل في الروم ايلي وحال دون امنية الاعداء الذين حاولوا الحاق جزيرة كريت بحكومة اليونان وقد أُثر عنه كلام كثير في مواقف متعددة نشط فيه حركتنا الدستورية وتمنى لنا الخير والاقبال وتوسم فينا التقدم والفلاح وكان اول من اقر بين الملوك على خلع عبدالحميد بما هنأ به السلطان محمد رشاد من عبارات الود والاخلاص وقد اشتدت عزائم احرارنا بمظاهرته لهم وتصريحه بالسرور والاستبشار بما قاموا به من النجدة والحمية

واهتم ايضاً بحل مشاكل بيننا وبين ايران وحمل روسيا على ممالأته لتوطيد العدل واعلان الدستور في بلاد فارس

هذه اهم الاعمال السياسية التي قام بها الملك ادوارد السابع مدة ملكه القصيرة وجميعها عائدة على امته بالخير والنجاح وعَلَى العالم بالفضل والاصلاح حتى لقبه الاوربيون بصانع السلام واعترفوا انه رئيس السلم والداعي الى الوئام والوفاق وحامي الحرية والعدل ينضوي تحت رايته نحو مئة مليون من المسلمين في الهند وجزائرها وجنوبي افريقية والسودان والصومال وغيرها وقد كان يحب هؤلاء المسلمين من رعاياه ويعدهم اخلص الشعوب لعرشه واعلقهم به حباً وقد اسفوا عَلَى موته وحفظوا له ذكراً حميداً

لا يجادل احد في ان الملك ادوارد كان ارحب الملوك صدراً واوسعهم فضلاً ومن اكثرهم علماً واعرضهم جاهاً واسلمهم قلباً واصفاهم وداً · وقد اشتد حزن شعبه عليه ولم يجد سبيلاً للعزاء سوى ما يؤملونه من ان ابنه وولي عهده ينسج عَلَى منواله ويحذو حذوه في السياسة بهذه الايام التي يشكو فيها الانكليز من قحط الرجال في عواصمهم ·

ولد ابنه الملك جورج في ٣ حزيران سنة ١٨٦٥ فهو اليوم في الخامسة والاربعين من عمره وتبوأ التخت الانكليزي منذ اسبوع وليس له من الشهرة وسعة الاطلاع ما كان لوالده قبل بلوغ الملك فهو اقرب الى العلم منه الى العروش واشد ولعاً بالمطالعة والدرس منه بالتمرسات السياسية وقد صرف معظم حياته الماضية بين الكتب وفي الاندية العلمية وملاحظة المعاهد الخيرية · عَلَى ان القوم يتوقعون منه اعمالاً عظيمة ويحسبون ان عقله الكبير الذي اجاد في مجال العلم والتفكير لا يقصر في ميدان السياسة والتدبير فارس الخوري

مصطلحات آلات الطرب واغاني العرب

كل من طالع كتاب الاغاني وبعض كتب الادب القديمة التي تذكر الغناء وانواعه وآلات الطرب وملاهيه يقع عَلَى الفاظ علمية اصطلاحية اذا نقر عنها في دواوين اللغة ومعاجمها المطولة لا يرجع عنها الا بما رجع به حنين · ولقد حاول المستشرقون غير مرة البحث عنها في الكتب الادبية التي أُلفت في الصدر الاول من عصر زهو اللغة فلم يعثروا عَلَى ضالتهم كما لم يعثر عليها ادباء الشرق وعلماؤه · وقد وفق العاجز في هذه الآونة الى وجود الضالة نهباً في كتاب مخطوط كنت قد وصفته في المقتبس ٢:٢٨٢—٣٨٦ وعنوان البحث في كتابنا المذكور هو : « العود ومصطلحاته » وها نحن اولاء ننقل الى الادباء قراء المقتبس الاغر ما جاء من البحث تعميماً للفائدة وتنشأً لشوكة الجهل الناشبة في اذهاننا من هذا القبيل · قال صاحب الكتاب : « العود ومصطلحاته » في الصفحة ٢٢١ من المخطوط وما يليها

كثيراً ما كنت اطالع في كتاب الاغاني الفاظاً في مصطلح الغناء وما كنت اتوصل الى فهمها حتى ظفرت اخيراً برسالة لعبد القادر بن غيبي الحافظ المراغي المشهور بعلم الالحان فاخذت عنه ما يتعلق بفتح مغلق الكلام الخاص بهذا العلم فاقول :

اعلم ان الالفاظ الواردة في كتاب الاغاني تتعلق كلها بالعود العربي فاذا علمت تركيب هذه الآلة هان عليك فهم ما اشكل عليك من مصطلحها فهذه الآلة طولها مثل عرضها مرة ونصفاً وغورها كنصف عرضها وعنقها كربع طولها في الراحة وثخن الورقة من خشب خفيف ووجها اصلب وتمد عليه اربعة اوتار اغلظها البم بحيث يكون غلظه مثل المثلث الذي يليه مرة وثلثا · والمثلث الى المثنى كذلك · والمثلث مثل الزير كذلك وقد ضبطوها بطاقات الحرير فقالوا :

يجب ان يكون البم اربعاً وستين طاقة · والمثلث ثمانياً واربعين والمثنى ستاً وثلاثين · والزير سبعاً وعشرين · ويجعل رؤوسها من جهة العنق في ملاو والاخرى كمشط فتتساوى اطوالها · ثم يقسم الوتر اربعة اقسام طولاً ويشد على ثلاثة ارباعه مما يلي العنق وهذا دستان الخنصر · ثم ينقسم الآخر تسعة ويشد عَلَى تسعة مما يلي العنق وهذا دستان السبابة · ثم يقسم ما تحت دستان السبابة الى المشط أتساعاً متساوية ويشد عَلَى التسع مما يلي المشط ويسمى دستان البنصر فيقع فوق دستان الخنصر مما يلي دستان

السبابة · ثم يقسم الوتر من دستان الخنصر مما يلي المشط ثمانية اقسام وضعف اليها جزءاً مثل احدها مما بقي من الوتر وشده فهو دستان الوسطى و يكون وقوعه بين السبابة والبنصر · فهذه الاصطلاحات هي المصححة للنسب فاذا جذب وترمنها الى غاية معلومة سمي الزير فيجذب المثنى عَلَى نسبة تليه في الانحطاط وهذا مع الجنس بالخنصر والضرب حتى يقع التساوي ·

فالزير كعنصر النار في الطبع والتأثير · والمثنى كالهواء والمثلث كالماء والبم كالتراب · فانطبق عَلَى الاخلاط والامزجة افراداً وتركيباً · و يقوى ما يكون عَلَى الاخلاط من سجايا وامراض وامكنة وازمنة حتى قيل ان لطف النار مثل لطف الهواء مرة وثلثاً · وهكذا الهواء بالنسبة الى الماء والماء الى التراب كما مر في الاوتار واماوضعهم هذه الاوتار حتى جعلوها ثمانية فلما مر بك من انها اول مكعب مجذور لان الارض كذلك فشاكلوا بذلك مزاجها · وقد قيل ان هذه النسبة مستمرة الى الفلك · فان قطر الارض ثمانية والهواء تسعة والقمر اثناعشر وعطارد ثلاثة عشر والزهرة ستة عشر والشمس ثمانية عشر والمريخ احد وعشرون ونصف والمشتري اربعة وعشرون وزحل سبعة وعشرون واربعة اسباع والثوابت ثلاثون ولان التثمين داخل في اشياء كثيرة منها تضاعف المزاج والطبائع و بالجملة قد اختلف ميل طوائف العالم الى مراتب الاعداد كما عشقت الصوفية الواحد فطوت الاشياء فيه والمجوس الاثنين والنصارى الثلاثة واهل الطبائع الاربعة واهل الاوفاق الخمسة والهندسة الستة والحكماء الفلكيون السبعة فالذهن من حيث هو يستحسن النسب حتى اذا برزت الى الخارج زادت النفس بسطاً فان الكتابة تحسن بمناسبة حروفها استقامة وتدويراً وغلظاً ورقة واستدارة ولو بمجرد الانحناء فقد قيل ان الحروف كلها وان اختلفت بحسب الامم لاتخرج عن خط مستقيم ومقوس ومركب منهما ·

ثم قوانين الغناء لاتخرج عن ثمانية · (ثقيل اول) ورسمه :

تنَ تنَ تنَ · تنَ تنَ تنَ

وهو مركب من تسع نقرات هي ثلاث متواليات وواحدة كالسكون نخمس مطوية الاول · (وثقيل ثان) وهذا رسمه :

تنَ تنَ تنْ · تنَ تنَ تنْ

وهو مركب من احدى عشرة وهي ثلاث متواليات فواحدة ساكنة فثقيلة فاربع مطوية الاول (وخفيف الثقيل الثاني) ويسمى

مصطلحات آلات الطرب واغاني العرب

كل من طالع كتاب الاغاني وبعض كتب الادب القديمة التي تذكر الغناء وانواعه وآلات الطرب وملاهيه يقع عَلَى الفاظ علمية اصطلاحية اذا نقر عنها في دواوين اللغة ومعاجمها المطولة لايرجع عنها الا بما رجع به حنين . ولقد حاول المستشرقون غير مرة البحث عنها في الكتب الادبية التي أُلفت في الصدر الاول من عصر زهو اللغة فلم يعثروا عَلَى ضالتهم كما لم يعثر عليها ادباء الشرق وعلماؤه . وقد وفق العاجز في هذه الآونة الى وجود الضالة نهباً في كتاب مخطوط كنت قد وصفته في المقتبس ٢:٢٨٢—٣٨٦ وعنوان البحث في كتابنا المذكور هو : « العود ومصطلحاته » وها نحن اولاء ننقل الى الادباء قراء المقتبس الاغر ماجاء من البحث تعميماً للفائدة وتقشعاً لشوكة الجهل الناشبة في اذهاننا من هذا القبيل . قال صاحب الكتاب : « العود ومصطلحاته » في الصفحة ٢٢١ من المخطوط وما يليها

كثيراً ما كنت اطالع في كتاب الاغاني الفاظاً في مصطلح الغناء وما كنت اتوصل الى فهمها حتى ظفرت اخيراً برسالة لعبد القادر بن غيبي الحافظ المراغي المشهور بعلم الالحان فاخذت عنه مايتعلق بفتح مغلق الكلام الخاص بهذا العلم فاقول :

اعلم ان الالفاظ الواردة في كتاب الاغاني تتعلق كلها بالعود العربي فاذا علمت تركيب هذه الآلة هان عليك فهم ما اشكل عليك من مصطلحها فهذه الآلة طولها مثل عرضها مرة ونصفاً وغورها كنصف عرضها وعنقها كربع طولها في الراحة وثخن الورقة من خشب خفيف ووجها اصلب وتمد عليه اربعة اوتار اغلظها البم بحيث يكون غلظه مثل المثلث الذي يليه مرة وثلثا . والمثلث الى المثنى كذلك . والمثلث مثل الزير كذلك وقدضبطوها بطاقات الحرير فقالوا :

يجب ان يكون البمُّ اربعاً وستين طاقةً . والمثلث ثمانياً واربعين والمثنى ستاً وثلاثين . والزير سبعاً وعشرين . ويجعل رؤوسها من جهة العنق في ملاوٍ والاخرى كمشط فتتساوى اطوالها . ثم يقسم الوتر اربعة اقسام طولاً ويشد على ثلاثة ارباعه مما يلي العنق وهذا دستان الخنصر . ثم يقسم الآخر تسعة ويشد عَلَى تسعة مما يلي العنق وهذا دستان السبابة . ثم يقسم ماتحت دستان السبابة الى المشط أتساعاً متساوية ويشد عَلَى التسع مما يلي المشط ويسمى دستان البنصر فيقع فوق دستان الخنصر مما يلي دستان

السبابة · ثم يقسم الوتر من دستان الخنصر مما يلي المشط ثمانية اقسام وضعف اليها جزءاً مثل احدها مما بقي من الوتر وشده فهو دستان الوسطى و يكون وقوعه بين السبابة والبنصر · فهذه الاصطلاحات هي المصححة للنسب فاذا جذب وترمنها الى غاية معلومة سمي الزير فيجذب المثنى عَلَى نسبة تليه في الانحطاط وهذا مع الجنس بالخنصر والضرب حتى يقع التساوي ·

فالزير كعنصر النار في الطبع والتأثير · والمثنى كالهواء والمثلث كالماء والبم كالتراب · فانطبق عَلَى الاخلاط والامزجة افراداً وتركيباً · ويقوى مايكون عَلَى الاخلاط من سجايا وامراض وامكنة وازمنة حتى قيل ان لطف النار مثل لطف الهواء مرة وثلثاً · وهكذا الهواء بالنسبة الى الماء والماء الى التراب كما مر في الاوتار واماوضعهم هذه الاوتار حتى جعلوها ثمانية فلما مر بك من انها اول مكعب مجذور لان الارض كذلك فشاكلوا بذلك مزاجها · وقد قيل ان هذه النسبة مستمرة الى الفلك · فان قطر الارض ثمانية والهواء تسعة والقمر اثناعشر وعطارد ثلاثة عشر والزهرة ستة عشر والشمس ثمانية عشر والمريخ احد وعشرون ونصف والمشتري اربعة وعشرون وزحل سبعة وعشرون واربعة اسباع والثوابت ثلاثون ولان التثمين داخل في اشياء كثيرة منها تضاعف المزاج والطبائع وبالجملة قد اختلف ميل طوائف العالم الى مراتب الاعداد كما عشقت الصوفية الواحد فطوت الاشياء فيه والمجوس الاثنين والنصارى الثلاثة واهل الطبائع الاربعة واهل الاوفاق الخمسة والهندسة الستة والحكماء الفلكيون السبعة فالذهن من حيث هو يستحسن النسب حتى اذا برزت الى الخارج زادت النفس بسطاً فان الكتابة تحسن بمناسبة حروفها استقامة وتدويراً وغلظاً ورقة واستدارة ولو بمجرد الانحناء فقد قيل ان الحروف كلها وان اختلفت بحسب الامم لاتخرج عن خط مستقيم ومقوس ومركب منهما ·

ثم قوانين الغناء لاتخرج عن ثمانية · (ثقيل اول) ورسمه :

تنً تنً تنً · تنً تنً تنً

وهو مركب من تسع نقرات هي ثلاث متواليات وواحدة كالسكون نخمس مطوية الاول · (وثقيل ثان) وهذا رسمه :

تنً تنً تنْ · تنً تنً تنْ

وهو مركب من احدى عشرة وهي ثلاث متواليات فواحدة ساكنة فثقيلة فاربع مطوية الاول (وخفيف الثقيل الثاني) ويسمى

الملخوري وهذا رسمه : تنْ تنْ تنَّ تنْ تنْ تنَّ

وهو مركب من ست ثلاث متواليات فسكون ثم ثلاث · (ورمل) ويسمى ثقيل الرمل وهذا رسمه :

تنَّ تنْ تنْ · تنَّ تنْ تنْ

وهو مركب من سبع وهي : ثقيلة اولى فمتواليتان فسكون وهكذا الي آخره (وخفيفه) وهذا رسمه :

تنْ تنْ · تنْ تنْ · تنْ تنْ · تنْ تنْ ·

وهو مركب من ثلاث نقرات متوالية متحركة (وخفيف الخفيف) ورسمه :

تنْ تنْ تنْ · تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من نقرتين بينهما سكون قدر واحدة (وهزج) ورسمه :

تنْ تنْ تنْ تنْ · تنْ تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من نقرة كالسكون ثم سكون قدر نقرة ثم بين كل اثنتين سكون فهذه اصول التراكيب وانما تكرر بحسب استيفاء الادوار ·

(فالمسلي) بالتشديد نسبة الى المسلة من آلات الخياطة وتسمى هذه وما بعدها (الاجناس المركبة) وهي كثيرة لكن تعود الى اصول منها عَلَى التاسع ثمانية : احدها وهو المسلي سمي بذلك لرقة مدخله وغلظ وسطه و يدل عَلَى اجتماع الاخلاط في الصدر والشراسيف والقلب وكمال الربو والدبيلات وامتلاء المعدة ويعرف به تحرير الخلط من باقي البسائط وهو سهل ·

وثانيها المائل وهو عكسه هيئة ودلالة

وثالثها الموجي وهو المختلف الاجزاء تدريجاً بحيث يكون الاعظم الخنصر ويظهر اختلافه عرضا فيشبه الامواج ومنه اسمه وهو يدل عَلَى فرط الرطوبة والاستقاء الزقي واللحمي وذات الرئة وغلبة الامراض البلغمية ·

ورابعها النملي سمي بذلك لدقته وضعف حركته ويقع في رابع الحارة فيدل علي الموت في الخامس وبعد الموضع من وجود الحمي فيدل عَلَى الموت في الحادي عشر ويكون عن الدودي ايضاً فيرد عليه اذا انتعشت القوى بشرب مايقوي القوى كدواء المسك والبادزهر وانكر قوم انقلابه والصحيح ماقلناه وكل مادل عليه الدودي دل عليه النملي لكنه اشد رداءة وضعفاً في القوى

وخامسها الدودي وهو موجي ضعفت حركته بإسهال ان طال ٠ والا فالمجفف من داخل كاخذ نحو الافيون وما يكثف المزاج الى فساد الرطوبات وقد يقع في البحارين لنقص الرطوبات ويكون ابتداؤه عن الموجي كما في النبضة ٠

وسادسها المنشاري وهو مااختلفت اجزاؤه تواتراً وسرعة وصلابته وعكسها وكان قرعه الاصابع متفاوت التساوي كاسنان المنشار ويدل على فرط اليبس ويختص بذات الجنب والدبيلات والاورام ٠

وسابعها المرتعش ويدل على الرعشة ونحوها من امراض العصب بحسب مواقع اجزائه كما مر ٠

وثامنها المتشنج ودلالته كالمنشاري مطلقاً في غير مااختص اي ذات الجنب به

هذا واعلم ان اللحن يسمى مطلقاً اذا لم يكن مقيداً بلفظة تدل على وصفه كالثقيل والخفيف وخفيف الخفيف ٠ ويذكر بعد اللحن موقع الاصبع الذي يبتدأ به ليهتدي الى قراره فيقال مثلاً ثاني ثقيل مطلق اوثاني ثقيل بالوسطى او بالخنصر في مجرى البنصر او خفيف رمل بالبنصر او خفيف ثقيل اول بالبنصر الى غير ذلك وهو المعروف عند اصحاب هذا الفن بمواقع الاصابع من الدساتين ٠ والله الموفق ٠ اه نقله بحرفه

بغداد : ساتسنا

مخطوطات ومطبوعات

الذخيرة لابن بسام

في مكتبة الامة بباريز الجزء الاول من كتاب الذخيرة لابن بسام وهو بخط مغربي ناقص ورقة من اوله وآخر هذا الجزء ترجمة الوزير ابي عامر بن مسلمة وهو في ٢٦٣ ورقة من القطع الكبير حديث الخط فيما يظهر ٠ وفيها السفر الثاني من كتاب الذخيرة منسوخ عن نسخة مكتبة اكسفورد وقد ذكر فيها ان الخط المنقولة عنه رديء جداً ولذلك جاءت فيها اغلاط قد لايهتدى اليها واوله فصل في ذكر الاعيان المشاهير ارباب صناعة المنظوم والمنثور بحضرة اشبيلية ونواحيها وما يصاقبها ويدانيها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي وهو الجانب الغربي من جزيرة الاندلس وايراد ما بلغني من غرر اشعارهم ومستظرف اخبارهم مع ما يتعلق بها ويذكر بسببها ٠

قال ابن بسام : وحضرة اشبيلية على قدم الدهر كانت قاعدة هذا الجانب الغربي من الجزيرة وقرارة الريامة (؟) ومركز الدول المتداولة ومنها شهدت البلاد وانبثت الجهاد عليها الفرسان كأنها العقبان و بهذا الافق نزل جند حمص من المشرق وسميت حمص ولما كانت دار الاعزة والاكابر نابت فيها الخواطر وصارت مجمعاً لصوب العقول ودرب العلوم وميداني فرسان المنثور والمنظوم لاسيما من اول المائة الخامسة من الهجرة حين فرح كل حزب بما لديه وغلب كل رأس على ما في يديه بعد الدولة الحامدية فاضحت اقطاب الجزيرة يومئذ كبني الاعيان واهلها كما قال اخو بني عدوان

عذيري الحجي من عدوا ن كانوا حية الارض
بغى بعضهم بعضاً فلم تبق عَلَى البعض

فاشتمل هذا القطر الغربي لاول تلك المدة عَلَى بيتي حسب وجمهور في ادب مملكتان من لخم وتجيب حصرتا بلاده واكثرتا رواده فاتاه العلم من كل فج عميق وتبادره العلماء من بين سابق ومسبوق وكل ما نشأ من هذين البيتين امير وان الى العلم اطلب وفي اهله ارغب والسلطان سوق يجلب اليه ماينفق لديه حتى اجتمع في الجانب الغربي على ضيق اكنافه وتحيف الحذر قصه الله لاطرافه ما باهى الاقاليم العراقية وانسى بلغاء الدولة الديلمية فقل ما رأيت فيه شاعرا غير ماهر ولا شاعراً غير قاهر دعوا حر الكلام فلبى وارادوه فما تأبى وطريقتهم في الشعر الطريقة المثلى التي هي عَلَى طريقة البحتري في السلاسة والمتانة والعذوبة والرصانة وانا اورد في هذا القسم بعض ما انتهى الي من خير كلامهم في نثرهم ونظامهم مشوباً ذلك كله بفنون فوائد ومعارف من اخبار يحسن الوقوف عليها عَلَى ان الذي بلغني من شعر قطر ثماد من بحر ونقطة من قطر ولقد فاتني كثير من الكتاب من اعيان الشعراء ممن كان في ذلك التاريخ منهم من لم اسمع بذكره ومنهم من لم تسمح نفسي باثبات ما بلغني من شعره وربما اجريت ذكر احدهم غير مبوب عليه ولا مشيراً اليه اما لشيء اجاد فيه واما ان يتعلق ذكره بذكر من أُجريه وقد ابدى بذكر الرجل لمكانه من الاحسان لا لتقدمه من الزمان او لبعض مايدعو اليه القول من نسق خبر او موجب نظر باول ما ابتدأت به من اهل حمص آل عباد لثبات ذكرهم مع جودة شعرهم اه

وهنا اورد ابن بسام ترجمة القاضي ابي القاسم محمد بن عباد ثم اورد ترجمة المعتضد بالله عباد بن ذي الوزارتين القاضي ابي القاسم محمد بن عباد قال فيه :

ثم افضي الامر الى عباد ابنه سنة ٣٣ وتسمى اولاً بفخر الدولة ثم بالمعتضد قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ولا سلم عليه قريب ولا بعيد جبار ابرم الامور وهو متناقض واسد فرس الطاق وهو رابض متهور تحاماه الدهات وجهان(؟)لا تأمنه الكماة متأسف اهتدى ومنبت قطع فما ابقى ثار والناس حرب وكل شيء عليه ألب فكفى اقرانه وهم غير واحد وضبط شانه بين قائم وقاعد حتى طالت يده واتسع بلده وكثر عديده وعدده افتتح امره بقتل وزير ابيه حبيب المذكور طعنه في ثغرة الايام ملك بها كفه وجباراً من جبابرة الانام شرد به من خلفه فاستمر يفري ويخلق واخذ يجمع و يفرق له في كل ناحية ميدان وعلى كل رابية خوان ضرب به سهم لا يطي وسهم لا يخطي وسلم شر غير مأمون ومتاع الى ادنى حين ....

وقد اطال في ترجمته وما وقع له من المحنة وما قاله وقيل فيه من الاشعار ثم اورد باباً يشتمل على طائفة من الوزراء والاعيان ممن كان في دولة المعتضد من ارباب هذا الشأن واجتلاب ملح وطرف لشعراء كانوا بذلك الاوان مع ما يتعلق بها ويذكر بسببها فترجم ابا حفص عمر بن الحسن الهوزني . وابا الوليد الباجي وابا عامر بن مسلمة وابا الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب وابا الحسن علي بن حصن الاشبيلي وابا عمرو ابن الباجي واتى على جملة من شعر ابي الاصبغ بن عبد العزيز وترجم الوزير ابا العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الايادي . والوزير ابا عبيدة البكري وذا الوزارتين الفقيه الكاتب ابا بكر محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة وقال فيه : وهو في وقتنا جمهور البراعة وبقية ائمة الصناعة وعذبة اللسان العربي وسويداء قلب هذا الاقليم الغربي بحر علم لا يبرح وجبل حلم لا يتزحزح من بعض كور اشبيلية نشأ في دولة المعتضد شهر بالعفاف فلزمه و يسر للعلم فعلمه وعمله وكانت له نفس تأبى الا مزاحمة الاعلام والخروج على الايام وهو دائماً يغض عنانها فتجمح ويطمن من غلوائها فتتطاول وتطمح ممتنعاً من خدمة السلطان قاعداً بنفسه عن مرتبة نظرائه من الاعيان بين عفة تزهده وهيبة من المعتضد تقعده حتى فطن له ذو الوزارتين بن زيدون فلم يزل يصرح قذى العطالة عن مائه ويعلي رماد تلك الهيبة عن نار ذكائه الى ان نبه عليه المعتضد آخر دولته فتصرف فيها قليلاً على تقية من تلك البقية . وتقشف من ذلك التعفف الى ان افضى الامر الى المعتمد واخيه وقد كان في ايام ابيه من بعض من يداخله ويصافيه لحياه من علاه بنصيب وسقاه من نداه ببحر لا بذنوب وانهضه الى مثنى الوزارة واكثر

ماعول عليه في السفارة فسفر غير مامرة بينه وبين خلفاء من ملوك الطوائف بافقنى(؟) حتى انصرفت وجوه آمالهم الى امير المسلمين وناصر الدين ابي يعقوب يوسف بن تاشفين رحمه الله فسفر ذو الوزارتين بينهما مراراً فكثر صوابه واشتهر في ذات الله مجيئه وذهابه واضطر المعتمد اليه قريباً من آخر دولته فعظمت حاله واتسع مجاله واشتهر عَلَى الدولة استيلاء لاقصر عنه اشكاله الى ان كان من خلعه ما كان فكان ذو الوزارتين احد من حرب وفي جملة من نكب واقام عَلَى تلك الحال نحواً من ثلثة احوال حتى تذكره امير المسلمين بما كان عهد من حسن خليفته وسواء طريقته وقد حدثت ان سبب ذلك الذكر كتاب كان ورد من صاحب مصر لم يكن به من الجواب عليه والانصاف منه وتفقد يومئذ اعلام المشاهير فكان ذو الوزرتين اقرب مذكور فاستدعاه لحينه وولاه كتبة دواوينه حتى انساه زمانه اه ٠

ثم ترجم الوزير الفقيه الكاتب ابا القاسم محمد بن عبد الله بن الجد والوزير الكاتب ابا محمد عبد الغفور وذا الوزارتين ابا بكر محمد بن عمار والوزير الكاتب ابا الوليد بن المصيصي والوزير الاديب ابا القاسم بن مرزقان والوزير الكاتب ابا الحسين بن محمد ابن الجد والاديب ابا الحسن البكري والكاتب ابا الحسن صالح بن صالح الشنتمري والوزير ابا الحاكم عمرو بن مدحج وابا الوليد بن عمه ابني حزم والاديب ابا بكر بن يحيى بن بقى

ثم اورد فصلا يشتمل عَلَى ذكر الكتاب الوزراء والاعيان الادباء الشعراء ممن نشأ في الدولة المؤرخة بحضرة بطليوس وسائر بلاد البحر المحيط الرومي والاندلس وذكر منهم المظفر ابا بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس والوزير الكاتب ابا عبد الله محمد بن ايمن والوزير الكاتب ابا محمد عبد المجيد بن عبدون والاديب ابا جعفر احمد عبد الله بن هريرة القيسي الاعمى القطيلي والوزير الكاتب ابا بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي والوزير الكاتب ابا بكر بن قوهان والاديب ابا زيد عبد الرحمن بن مقانا الاشبوني والشيخ ابا الحسن علي بن اسماعيل القوشي الاشبيلي والاديب ابا عبدالله محمد بن الفيق وذا الوزارتين ابا محمد بن هود والشيخ الاديب ابن عمر بن فتح بن زلوحنة والاديب ابا عمر يوسف بن كوثر الشنتريني والاديب ابا الوليد المعروف بالنحلي والوزير الكاتب ابا بكر محمد بن سوار الاشبوني والاديب ابا محمد عبدالله بن صارة الشنتريني

وهذا الجزء في ٢٦٥ ورقة والجزء الثالث من هذا السفر منقول عن نسخة مغربية محفوظة في مكتبة غوتا واوله في ذكر الجانب الشرقي من جزيرة الاندلس وتسميته من نجم في أفقه من رجال النظم والنثر والرياسة بدأه بترجمة ابي عمر القسطلي ثم ذكر ذا الوزارتين ابي عبدالله الطاهر وذا الوزارتين ابي عامر بن الفرج وذا الوزارتين القائد ابي عيسى ابن لبون وذا الرياستين ابا مروان عبدالملك بن رزين والوزير الكاتب ابامحمد عبد الله بن الفقيه ابي عمر بن عبد البر النمري والوزير الكاتب ابا غالب بن التاكرني والوزير الكاتب ابا المظفر عبدالرحمن بن ساحر المعروف بابي الدباج والاديب ابا الربيع سليمان بن مهران السرقسطي والاديب الاستاذ النحوي ابا عبدالله بن خلصة الضرير والاديب ابا مروان بن غصن الحجاري والاديب ابا علي ادريس بن اليملي والوزير الكاتب ابا الاصبغ بن ارقم والكاتب ابا المظفر بن مثنى وهو عبد الرحمن بن احمد ابن صيعون والوزير الكاتب ابا عمر بن القلاس والوزير الكاتب اباجعفر بن جرج والوزير الكاتب ابا الفضل بن حداي الاسلامي والاديب الكاتب ابا الربيع سليمان بن احمد القضاعي والاديب ابا عامر البهاري والاديب ابا اسحاق بن خفاجة والاديب ابا حاتم الحجاري والاديب ابا بكر محمد بن عيسى الداني والاديب ابا جعفر احمد بن الهودين البلنسي والكاتب ابا جعفر بن احمد مردانية والوزير الكاتب ابا الخطاب عمر بن احمد بن عبدالله بن غيطون التجيبي الطليطلي وذا الوزارتين الكاتب ابا عبدالله ابن ابي الخصال قال فيه : حامل لواء النباهة بالروية والبداهة مع منظر ووقار وشيم كصفو العقار ومقول امضى من ذي الفقار وله ادب بحره يزخر ومذهب يباهي و يفخر وهو وان كان خامل المنشأ نازله لم تنزله منازله ولا فرع للعلاء هضابا ولا ارتشف للسناء رضابا فقد تميز بنفسه وتخير من جنسه والذي الحقه بالمجد واوقعه بالمكان النجد ذكاء طبع عليه طبعه ونجم في سرية النباهة .....

ثم ذكر الكاتب ابا عبدالله محمد بن ابي الخصال والوزير ابا محمد بن القاسم والاديب ابا تمام غالب الملقب بالحجام وهنا انتهى الجزء الثالث وهو في ٢٣٣ ورقة وجاء في آخره انه يتلوه في اول السفر الذي يليه في ذكر الحديث ابو عامر بن الاصيل . وفي هذه الاجزاء من الشعر الغريب والنثر المطرب ماهو ديوان الادب وناهيك بسجعات ابن بسام التي هي ابهى من سجع الحمام بل وناهيك بما يقع عليه اختياره من نظيم الكلام ونثاره ومن هذه الاجزاء يؤخذ ديوان انشاء في السلطانيات والاخوانيات والتهنئات والتعزيات

والشفاعات والوسائل والجهاد وفي مقاصد شتى

فياحبذا لو تصدى لطبعه احد ائمة علماء المشرقيات في الغرب ليخدم بذلك التاريخ والادب العربي . وفي مكتبة هذه المجلة النصف الاول من هذا الكتاب وهو بخط مغربي ينفع في المعارضة اذا كتب الطبع للكتاب ونحن نقدمه لمن يتصدى لطبعه مع الشكر وقد اقتبسنا منه عدة تراجم في مجلدات المقتبس الماضية مع بعض الصعوبة لغلبة التحريف عليه

ديوان احمد نسيم

اهدانا هذا الشاعر المصري الجزءين الاولين من ديوانه وفيهما قصائد في اغراض شتى وبعضها اجتماعي وهاك نموذجاً من شعره قال في الشرق ومصر :

تداعت رواسي الشرق فانهال جانبه ... وما هم حتى اقعدته نوائبه
تحاربه الاعداء من كل جانب ... ولم يكفهم ان الزمان يحاربه
تحدد على هاماته شفراته ... وترهف فوق الناصيات قواضبه
وحسبك ان الشرق في كل امة ... مآثره مشهورة ومناقبه
تخرج منه الفاتحون لارضه ... فماجت به بطحاؤه وسباسبه
وكان عريناً لانضمام ليوثه ... وكان كناساً لانتهان رباربه
وكان قديماً مهبط المجد والعلى ... ومصعد غطريف ترجى مواهبه
وكان طليقاً ازهر اللون وجهه ... وللغرب وجه اصفر اللون شاحبه
له النصر والتأييد في كل غارة ... اذا زحفت يوم الصدام كتائبه
وكم بات مختالاً بكل ممالك ... تسير على هام العباد مواكبه
وكم صال والهيجاء قان نجيعها ... بكل صقيل لاتفل مضاربه
اذا ما جرى وثباً الى مطلع النهى ... فلا من يجاريه ولا من يواثبه
فياشرق تأساء اذا ناخ كلكل ... من الغرب اذ مدت اليك مخالبه
تقدمك الغرب المجد فلم يدع ... مكاناً تدانيه العلى وتقاربه
هرمت فلم تقدر على الدأب فانثنى ... يشاطرك الدنيا وما طر شاربه
ومن عجب طفل على الثدي مرضع ... يطاول شيخاً حنكته تجاربه
جنحت الى حب الخمول ولم تسر ... على سنن يرجو الهداية جانبه

***

صدقتك مافي الشرق الا شراذم تخور خوار الثور آذاه ضاربه
وما فيهم الا مضل مموّهٌ عَلَي القوم حتى اخطأ الرأي صائبه
وسيف كل يوم يبتلي بناهض تغير عَلَى عرش الملوك عصائبه

***

اعاتب قومي والعتاب تودد اذا لم اجد بين الورى من اعاتبه
الى مَ ضياع العمر في غير عائد بجدوى ولم يرجع من العمر ذاهبه
يصاب الفتى بالحادثات تحيطه واول من يسعى اليها اقاربه
معائب لاتحصى اذا ما عددتها ورحم الفتى ان لاتعد معائبه
خمول ولهو وانحطاط وذلة وغدر ووعد لايؤنب كاذبه
وكم ماكر ينساب ارقم مكره وآخر مشاء تدب عقاربه
يمينك فانظر نظرة المرء خلسة تجد بائساً ملقى على الضيم غاربه
ارى ناظر الشرقي يرنو من الاسى رنوّ امرىء ضاقت عليه مذاهبه
ومما يزيد النفس بؤساً وحسرة تربصها خطباً تبيت تراقبه
وما الشرق الا موطن عبثت به علي غرة ابناؤه واجانبه
اضاعوا حمى يجري النضار بارضه وتهمي عليه باللجين سحائبه
كذا الشرق في اطواره طول عمره غرائبه ماتنقضي وعجائبه

***

رثيتك ياارض الفراعنة الالى قضوا في بلوغ المجد ما الحق واجبه
ورثت بفضل العلم عزاً ممنعاً فما بات الا وابن غيرك غاصبه
ولا خير في عرش من الغرب ربه ولا خير في مال من الغرب كاسبه
أفيقي فما في الجهل الا مذلة ولا العلم الا سؤدد عزّ صاحبه
أنيرى ظلام الشرق بعد انسداله فعند طلوع الشمس تجلى غياهبه
ولا تقنطي من رحمة الله مرة اذا شيم من برق الخذلان خالبه
امثلي ترين الغرب يقظان شاخصاً الى الشرق يرجو ان تسوء عواقبه
وددت بلادي ان تسود بنفسها لاكتب فيها خيرما انا كاتبه

وقال من قصيدة :

بعض الشيوخ ولا اقول جميعهم تخذوا التعنت والعناد لزاما

رثت عواطفهم وبات ضميرهم   خلقاً وحبل العلم صار رماما
الفوا الجمود وكل شيخ همه   ان يلبسوه عمامة ووساما
يمشون فوق الارض اعرض اهلها   جيباً واطول خلقها اكماما
فروا من العلم الحديث وحسبهم   جهلاً بان عدوا العلوم حراما
حب الجبان النفس خلفه لقى   خلف المعامع يؤثر الاحجاما
وهم الذين اذا تضافر جمعهم   هزوا العروش واسقطوا الاعلاما
والله لو شهروا سلاح علومهم   قهروا الاسود وحاصروا الآجاما
ولربما غلب الضعيف بعلمه   جيشاً تموّج كالخضم لهاما
قد حرموا علم الحساب وساءهم   ان يعرفوا الاعداد والارقاما
قنعوا بتجويد القراءة واكتفوا   مذ اتقنوا التنوين والادغاما
سلهم عن الاهرام تسمع قولهم   سيف ابن ذي يزن بنى الاهراما
سلهم عن اليابان تعرف انها   جبل خصيب ينبت الاقزاما
سلهم عن الميكاد تعرف انه   ملك غزا كسرى وحارب حاما
سلهم عن الامزون تعرف انه   جزر تحيط مراكشا وسياما

الى ان قال :

يانصف أميين كيف قرأتم   ونسيتم ان تعملوا الاقلاما
هل في اللغات نقيصة ان شئتم   ان تفحموا اربابها الاعجاما
وهم الذين كما نراهم اتقنوا   لغة النبي كتابة وكلاما
مستشرق حفظ الكتاب وآخر   اخذ الشرائع عنه والاحكاما
يكفي رجال الغرب كل عجيبة   تعيي الظنون وتعجز الاوهاما
بلغوا المطار وسوف تسمع انهم   جازوا الهواء وخاطبوا الاجراما
عابوا جمود المسلمين وصرحوا   ان لانعد مع الانام اناما
عشقوا الحياة وما عشقنا بعدهم   الا جموداً يشبه الاعداما
نمنا وباتوا ساهدين وفاتنا   حب الجمود على الضلال نياما
متعنتين على الدخيل فان يضيء   نخرج اليه من الضياء ظلاما
حتى يظن الدين دين تعنت   او دين قوم اشبهوا الانعاما

تقرير المجمع العلمي السميثوني عن سنة ١٩٠٧

ANNAUL REPORT OF THE SMITHSONIAN INSTITUTION 1907

من اهم الجمعيات العلمية في اميركا الشمالية هذه الجمعية التي جعلت مقرها في واشنطون وامامنا الآن تقريرها السنوي عن سنة ١٩٠٧ وقد وقع في ٧٢٦ صفحة وفيه عدة مقالات وابحاث مفيدة بالانكليزية في الفلك وطبقات الارض والظواهر الجوية والطبيعيات والكيمياء والمعادن او التعدين والنبات والحيوان وعلم البشر حوت ٢٧ بحثا في الاغراض المشار اليها مع بعض الصور والرسوم الانيقة فمقالة في آلة التور بين البخارية على اليابسة والماء ومقالة في ارتقاء التركيب الميكانيكي في الطباعة وفي بعض حقائق عن الكهرباء وابحاث جديدة في التلغراف اللاسلكي وخاصيات الانوار الكهربائية المنوعة وتقدم صناعة التعدين الكهربائية وتقدم جديد في التصوير الشمسي الملون والبربر في افريقية الجنوبية قبل نزول الاوربيين فيها وآلة رخيصة الثمن لتحصيل علم الفلك وعلم طبقات داخل الارض وبحر سلطون والطرق المائية في البلاد وارتقاء علم الظواهر الجوية مثال لارتقاء العلم العام ومنزلة علم النبات القديم في وقتنا الحاضر وحدائق الحيوانات في بريطانيا والبلجيك وهولاندة وعلم الحيوان الاصلي تقدمه وغايته والتاريخ العام لذوات الثدي البحرية وشعوب اقليم البحر المتوسط واليابان قبل التاريخ واصل الحضارة المصرية والمضخة النارية واصل ابجدية الكنعانيين ومسألة تعمية الالوان ومقالة في الدرن واخرى في ترجمة مارسلن بيرثيلون وغير ذلك . والتقرير كالتقارير السابقة في الغاية من حيث الطبع والوضع فمتى يكون للشرق العربي مثل هذه الجمعية التي تحيي العلوم المادية وتخلص من دور الادبيات والخيالات

تقرير المجمع العلمي السميثوني عن سنة ١٩٠٨

ANNUAL REPORT OF THE SMITHSONIAN INSTITUTION1908

هذا التقرير اكبر من التقرير السالف حجماً واغزر مادة يبدو عليه النمو الغريب وتتبين منه ارتقاء هذه الجمعية الراقية ومباحثه تدور كطريدة على العلوم المادية والطبيعية ففي مقالاته الموقعة بتواقيع اهل هذا الشأن مقالة في المناطيد الحربية واخرى في التلغراف اللاسلكي وفي التصوير الشمسي والحاكي (الفونوغراف) والمادة والاثير وارتقاء الكيمياء العامة والطبيعة في الاربعين سنة الاخيرة وارتقاء القذائف في عشرين سنة ومباحث

حديثة في تكوين الكون وتغيرات المناخ واسبابها واورنوس علم طبقات الارض وفي معارفنا الحاضرة عن الارض ورحلات الى القطب الجنوبي من سنة ١٨٨٩ وبعض مناظر جيولوجية من النيل وفي الوراثة وفصائل النبات وصبار المكسيك وسمك انكلر وانواعه وطيور الهند ونشوء الفيل والحمة الدورية في اليونان وكارل‌فون ليني احد علماء الجيولوجيا وترجمة اللورد كلفن واعمال هنري ركويل · وجميع هذه المقالات في الغاية من التحقيق ويدخل هذا المجلد في ٨٠٠ صفحة جمعت فاوعت وفيه كمجلدات السنين السابقة قائمة اعمال الجمعية والغرض منها ودخلها وخرجها لازال التوفيق حليف المجامع العلمية عَلَى اختلاف لغاتها واغراضها

الريحانيات

طبع في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٢٢٨)

قليل في كتابنا من خلصوا من ربقة التقليد وقليل فيهم من يكتب ليفيد · وامين افندي ريحاني صاحب كتاب الريحانيات هو من امثل كتابنا وشعرائنا نجا من التقاليد ووقف نفسه عَلَى نشر ما يفيد واشتهر بانه العربي الذي فاق الانكليز في البيان الانكليزي فيكتب وينظم كافضل ادبائهم ومصنفه رباعيات ابي العلاء الذي ترجمه شعراً الى الانكليزية ومقالاته في المجلات الاميركية والانكليزية ادل دليل عَلَى تبريزه ولكنه عَلَى هذه المزية الممدوحة في منافسة افاضل الانكليز لم تفته منافسة كتاب العربية فكتب ونشر عدة مقالات وابحاث في الجرائد العربية في اميركا ومصر والشام كما طبع من قلمه كتابين احدهما المحالفة الثلاثية والآخر المكاري والكاهن وجميع ما كتبه كتبه لا ليقال انه كتب بل لنفع قراء العربية وقد طبع هذه الآونة الجزء الاول من مقالاته التي نشرها في الجرائد من قلمه

صدَّر كتابه بشذرة من خطه جاء فيها وهو ما ينم عَلَى الغرض من نشر الكتاب « جرد نفسك ولو بضع ساعات من اطمار الاجيال وتعال نحج معاً · ومتى وصلت الى كعبة الحقيقة وانت في مئزر الحج تجد هناك اثوابك الموروثة واثواباً اخرى جديدة الى جانبها فاما انك تعود الى ما كنت عليه فتلبس ما الفته وتسير في سبيلك واما انك تعتاض عنه بثوب ليس بفخيم ولكن من الرقع والفتوق سليم · وفي كل حال لا انسى انك اكلت من جفنتي وشربت من ابريقي ونمت في خيمتي ···· »

في الكتاب عدة مقالات اكثرها مما كتب تحت سماء اميركا فرشحت الكتابة من

افكار محيطها وصدرت كأنها غربية لاشرقية واكثرها من نمط الشعر المنثور كمقالة وادي الفريكة التي وصف فيها الكاتب قريته وما فيها من مظاهر الطبيعة البهيجة فاجاد من وراء الغاية ومقالات « الكتاب » « انوار الافكار » « مناهج الحياة » « الصلوة » « جهل الانسان لحكمة الخالق » « عظة رأس السنة » « من عَلَى جسر بروكلن » «فوق سطوح نويرك » « الفقر وبنوه » «التمدن الحديث » « الضجيج والضوضاء » « روح هذا الزمان » « شهداء العلم » « الحرب التي تهمني » « الخيانة والخناس » « خطاب المسيح » « بين اللاهوتيين والعلماء » « ماهي السعادة » « بيتان للمتنبي » « مكروب السعادة » « المصيبة في التعزية والتعزية في المصيبة » « الرداء الاسود » « فلتر » « جان جاك روسو » « وليم غارسون » « تولستوي » « ابن سهل الاندلسي » « الثورة الافرنسية » « بذور للزارعين » وغيرها

والكتاب تتدفق حرية الفكر من اطرافه ورقة الاحساس من سطوره وبعد النظر من مراميه ومعانيه وكله معان فلسفية في قوالب عصرية وروح شفافة في شعور جديد ولقد قرأنا مرات بعض المقالات ونحن الآن نحب ان نعيد تلاوتها اذ قل في ارباب الاقلام مثل هـذا النفس في اصـلاح الافكار والتلطف في ابلاغ العقول الجامدة محاسن الحضارة المدهشة والتجديد المفيد

وما احلى قول الكاتب من مقالة في جسر بروكلن وهو جسر نويرك يخاطب تمثال الحرية قائلا : « متى ياترى تصير الحرية مثل هذا القمر فتوقد مصباحها لا في الغرب فقط بل في الشرق وفي الجنوب وفي الشمال — في العالم باسره · متى تحولين وجهك نحو الشرق ايتها الحرية ؟ متى يمتزج نورك بنور هذا البدر الباهر فيدور معه حول الارض ويضيء ظلمات كل شعب مظلوم ؟ ايتأتى ان يرى المستقبل تمثالاً للحرية بجانب الاهرام؟ ايمكن ان نرى لك في بحر الروم مثيلاً ؟ اممكن ان يولد لك اخوات في الدردنيل وفي بحر الهند وفي خليج الصين ؟ ايتها الحرية متى تدورين مع البدر حول الارض لتنيري ظلمات الشعوب المقيدة والامم المستعبدة

« وانت ايتها البواخر المقلة الى اوربا ومصر وعدن والهند منسوجات « نوا كلند » وقطن « فرجينا » وحديد « بنسلفانيا » وقمح « تكساس » وخشب « فرمنت » خذي معك الى بحر الروم وبحر الهند والبحر الاحمر والبحر المتوسط بعض موجات من هذه الامواج التي تغسل ابداً تمثال الحرية · خذي معك ولو زجاجة صغيرة من الماء المقدس ·

ورشي منها سواحل مصر وسورية وفلسطين وارمينيا والاناضول وكل جزيرة تمرين بها وكل بلاد تقصدينها وكل شعب تجيي سواريك قباب كنائسه ومآذن جوامعه .

« احملي سلام هذه الآلهة التي تنير الآن طريقك في الخروج من العالم الجديد وتوكل بها مالها في السماء من شقيقات باهرات . احملي الى الشرق شيئاً من نشاط الغرب وعودي الى الغرب بشيء من تقاعد الشرق . احملي الى الهند بالة من حكمة الاميركان العملية وعودي الى نويرك ببضعة اكياس من بذور الفلسفة الهندية اقذفي على مصر وسورية بفيض من ثمار العلوم الهندسية واقفلي الى هذه البلاد بفيض من المكارم العربية . ايتها البواخر الآتية حيي عن جسر بروكلن خرائب تدمر وقلعة بعلبك واقرأي اهرام مصر سلام هذه المعالم الشاهقة المشعشعة بالكهرباء . سيري ايتها السفن بسلام وارجعي بسلام

وقد شاهدت الآن ثلاثة مناظر عظيمة لا اقدر ان انساها حياتي . لا اتناساها لانها عندي اشبه برموز جميلة لدعائم الحياة الروحية الثلاث هي مراحل في رحلتي الفكرية التي باشرتها منذ خمس سنين — او من حين ولدت . نعم اني طفل في العالم الروحي اني سائح في مروج النفس واوديتها امامي مسافة طويلة يجب ان اجتازها وتجتي هوة هائلة يجب ان اسبر غورها وفوقي فضاء غير متناه فينبغي لي ان اتمتع بجماله وحولي من المروج والجبال والانهر والبحار مايشغل معظم وقتي لو عشت الف عام .

اما المناظر الثلاثة التي تمتع بها طرفي حتى الآن فقد تركت اثراً عظيماً في نفسي فهي لبنان وسواحله من ذروة جبل صنين وباريز من عَلَى برج ايفل ونويرك من الليل في منتصف جسر بركلن فالاول انما هو رمز الطبيعة والثاني رمز الفنون الجميلة والثالث رمز الكد والاجتهاد وهذي هي دعائم الحياة الروحية الثلاث فالمنظر الاول صنعة الله والمنظران الآخران صنعة الانسان المنظر الاول او الطبيعة هو منبع النفحات الالهية والالهامات الروحية والمنظر الثاني او باريز هو منبع التفنن في الصناعة عَلَى الاطلاق والمنظر الثالث المنبسط امامي الآن انما هو عنوان الجهاد والجلد والثبات والنجاح

فاذا كنت ايها القارئ شاعراً او مصوراً او كاتباً بل لو كنت صباغاً او دباغاً او اسكافاً وجه نظرك الى الطبيعة اولا تستمد منها الالهام الالهي وعنها تقتبس الالوان البديعة والمناظر الجميلة والاشكال الانيقة والنفحات السماوية وعرج على باريز ثانياً تتعلم فيها دقة الصناعة ولطافة الاسلوب وجمال الفنون وغرابة الابداع وسر الابتكار وانزل عَلَى

نو يرك ثالثاً تأخذ منها الاجتهاد والجلادة وتتعلم من اهلها الاستقلال في العمل والثبات بعد الفشل. الطبيعة — التفنن — الاجتهاد — هذي هي اساس الاعمال الفكرية هذي هي دعائم الحياة الروحية . لبنان — باريز — نو يرك — في الاولى روحي وفي الثانية قلبي وفي الثالثة الآن جسدي »

والكاتب ليس من الملاحدة كما يتهمه اعداوءه بل هو ماجد باكثر مايتخرص به المتخرصون من الشروح عَلَى المتون ومن قرأ مقالته في « فلتر » الفيلسوف الفرنسوي يتجلى له من اي نحلة كان ان الحرية ان لاتراعي اخاك ولا اباك فيما تعتقد صحته. قال : الالحاد مضر بالصحة فهو لاشك ينفخ الصدر ولكنه يضعف القلب و يصغر الرئتين. اقول هذا عن اختبار ولا اقول اكثر من ذلك ليعلم القاريء فكره . اذاً الالحاد مضر بالصحة ومهما قلتم لا اوضح. اختبروا لانفسكم ان شئتم ولكن اياكم والتطوح واذا كنتم لاتعرفون الحدود فالاجدر بكم ان لاتجربوا لئلا تتملك فيكم جراثيم المرض واذا كانت معدتكم ضعيفة فاياكم وفلتر.

وبعد ان افاض في مزايا هذا الفيلسوف ومآتيه ومنازعه آخذه عَلَى روايته التعصب التي طعن فيها على الاسلام واهداها الى البابا فقبلها هذا بكل سرور وبعث الى فلتر كتاباً لطيفاً اثنى فيه عَلَى غيرته (بخ بخ) وانتقد بعض ابيات في الرواية الشعرية فاجابه فلتر متجاملا على عادته في مثل هذه الامور انك لاشك معصوم عن الغلط في المسائل الادبية ايضاً (زه ثم زه) هكذا تبادل الاثنان عواطف الولاء الكاذب وانتصر فلتر عَلَى اعدائه اليسوعيين وانصارهم ولا يخفى عَلَى القاريء اللبيب مافي هذا العمل من السياسة والحيلة والمكر ناهيك بان الكاتب اخطأ في انتقاده الدين الاسلامي وفي تحامله المنكر على موءسسه العظيم . . . »

وهذه النموذجات كافية في بيان فضل هذا التأليف النفيس ومنزلة ابي عذره من سلامة الفطرة و بعد الغور والنظر فله منا الشكر عَلَى ما اتحف به عالم الآداب من هذا السفر الجديد في وضعه وطبعه

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب

المعروف بمعجم الادباء اوطبقات الادباء لياقوت الرومي

نشر الاستاذ مرجليوث استاذ اللغة العربية في كلية اكسفورد القسم الأول من الجزء الثالث من هذا السفر النفيس الذي يطبع عَلَى نفقة أسرة جيب الانكليزية وفي هذا

الجزء ٤٤ ترجمة من حرف الحاء وفيه من الاعلام ترجمة السيرافي وابن رشيق وابي هلال العسكري والاسكافي وابن مقلة وغيرهم وطرف من اخبارهم ومنثورهم ومنظومهم واكثره مما لم ينتشر بالطبع حتى الآن فسد بذلك فراغاً مهماً في آداب العربية . وانا لنكرر شكرنا للاستاذ مرجليوث لغيرته على آدابنا اكثر من غيرتنا انفسنا ونرجو ان يوفق الى اتمامه على مايحب ويحب عشاق العلم المولعون باحياء آثار السلف

كتب متفرقة

مبادىء العلوم السياسية والتاريخ الدستوري — الفه مصطفى افندي صبري فيه كلام مفيد في المجالس النيابية ونظام الحكومات ولاسيما العثمانية والمصرية والانقلابات السياسية والاقطاعات يطلب من مؤلفه في مصر

غرائب الاغتراب ونزهة الالباب — هو رحلة للسيد محمود الآلوسي صاحب التآليف المهمة وفيه وصف رحلته من بغداد الى الاستانة ومن لقيهم في عهده من المشاهير والبلاد التي حلها طبع في بغداد في مطبعة الشابندر

الخلاصة العراقية في تاريخ ادب اللغة العربية — هو كتاب في تاريخ العربية وتراجم الكتاب والشعراء الاقدمين من اهلها تأليف احمد افندي حسن الزيات في القاهرة .

فهرس مقتنيات الآثار العربية — تأليف مكس هرتس بك رئيس مهندسي دار الآثار العربية بمصر وتعريب علي بك بهجت وكيلها وفيه تاريخ هذه الدار والغاية من انشائها

المجموعة العلمية — مجموعة رسائل في الرياضيات والطبيعيات وضعها عبد الواحد افندي حمدي في مصر

فلسفة النشوء والارتقاء — او مجموعة الدكتور شبلي شميل وفيها كثير من كتابات هذا المفكر الكبير في مجلدين ظهرا منها حتى الآن وتطلب من القاهرة

مشاهد الممالك — فيه وصف مسهب لبلاد اوربا واميركا وكثير من افريقية وآسيا وكلها مما ساح فيه المؤلف ادوار بك الياس في القاهرة

نصائح للامهات — عربه الدكتور فريد عبدالله في مصر وهو نصائح لربات البيوت للعناية باطفالهن عند غيبة الطبيب

المقتبس

درس على كتاب الدارس في المدارس (1)

ايها السادة :

ان تاريخ كل أمة سواء كان مجيداً اوغير مجيدقد لايخلو مستقبله من ارتباط بماضيه لا من حيث التشابه بين طرفيه بل من حيث النتائج التي تترتب عليها نهضة الامم احيانا وتغيير مجرى الحياة الاجتماعية بان تسرع بخطا الشعوب الى مراقي الصعود

ومعناه انه اذا كان ماضي الامة عظيما محترماً في التاريخ تحرص على ان يكون اعظم احتراماً في حاضرها او على ان تسترد ذلك الاحترام اذا فقدت شيئاً منه . واذا كان ماضيها سيئاً غير محترم في التاريخ تدأب على التخلص منه وتطلب لنفسها حاضراً أسعد منه . فالنتيجة واحدة في الحالين ولكن لمن ؟ ومن يحصل على مثل هذه النتيجة من الامم ؟

تحصل عليه أمة تعلم ان لها تاريخاً فتدرسه وماضياً فتبحث فيه وترجع اليه لاسيما اذا كان تاريخاً مجيداً له آثار معروفة في الوجود واثر محقق في الاجتماع . والامة كالفرد مخمورة بالماضي الجميل اذا تمثل لها نفخ فيها من روحه فملأها نشاطا ودفعها الى الامام اشواطا

وان امة لاتعرف تاريخها أحر بها ان يتنكر لها الزمان وتزدري بها الشعوب لجهلها بماضي التاريخ وتنكرها الانسانية وتنكرها السماء والارض

ان المدنية الاسلامية التي رفع منارها اسلافنا الطاهرون وغيرت شكل الارض

(1) محاضرة القاها رفيق بك العظم في منتدى القوتلي في دمشق يوم ١٤ شعبان سنة ١٣٢٨

ومجرى الاجتماع كان لمدينتكم هذه حظ وفير منها لاسيما في التوفر على انشاء معاهد العلم ودور التربية والتهذيب

هذا ايها السادة ما دعاني لان اقف بينكم خطيباً افتح صحيفة من ماضي التاريخ فيما يتعلق باسلافكم الغابرين ومدينتكم الفيحاء وفيها ذكرى للذاكرين « وذكرفان الذكرى تنفع المؤمنين »

ان هذه الذكرى ما ترونه في هذا الكتاب الضخم المشتمل على الف وثلاثمائة وستين صفحة وهو كتاب (الدارس في المدارس) تأليف العلامة المؤرخ محمد بن محي الدين النعيمي وهو خاص بما أُنشيءَ من معاهد العلم والمساجد ودور العجزة (التكايا) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مائتين وبضعا وثمانين لو وزعت المدارس منها على السنين منذ انشاء اول مدرسة في القرن الخامس الى سنة احدى وتسعين واربعمائة الى عهد المؤلف في اواخر القرن التاسع لاصاب دمشق كل سنتين مدرسة تنشأ او دار للعجزة والمرضى تشاد هذا فضلا عما انشيء من المدارس بعد ذلك التاريخ ولم يدركه المؤرخ المذكور وهذا فهرست الكتاب نتلو عليكم بعضا من اسماء المدارس التي جاءت فيه ولا اطيل خوفا من ضيق الوقت

اما تواريخ انشاء هذه المدارس بالضبط والاوقاف التي حبست على الطلبة فيهاوالعلماء الذين نبغوامنها ودرسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس في الوقت متسع لتلاوته عليكم كما ترون من حجم الكتاب وحسبكم ان ممن درسوا في هذه المدارس وتولوا رياستها اونبغوا فيها من علماء الشريعة مثل الحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور والامام ابن تيمية صاحب التآليف الكثيرة وقاضي القضاة صدر الدين الازرعي صاحب الجامع الصغير والعماد ابن كثير والنووي وابن الصلاح والحافظ جمال الدين المزي واشباههم من العلماء الكبار ومن علماء الطب مثل الرؤساء ابن ابي أُصيبعة صاحب تاريخ الاطباء ومهذب الدين بن الحاجب ونجم الدين اللبودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين الدخوار وعماد الدين الدنيسري واضرابهم

ومن علماء العقليات والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن ابي الحكم الباهلي وعز الدين السويدي وابي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب البيمارستان النوري القائم الى اليوم من عمل يده واضرابهم

وها انا اقرأ لكم مثالا واحداً من ترجمة هؤلاء الرجال فاسمعوا ما قال تاريخ الدارس هذا في ترجمة افضل الدين ابن ابى الحكم نقلا عن الصفدي

(محمد بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي) هو افضل الدين ابو المجد بن ابي الحكم من الحكماء المشهورين كان طبيباً حاذقا وله يد طولى في الهندسة والنجوم (اي علم الفلك) وله في سائر الآلات المطربة يد عمالة وعمل اورغناً وبالغ في اتقانه وقرأ عَلَى والده وغيره في الطب وكان في دولة نورالدين بن الشهيد ولما عمر البيمارستان والمستشفى النوري بدمشق جعل امر الطب فيه اليه الى آخر ما قال

هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم لكم وهذا الفضل الكبير منهم وعدد كثير مثلهم من اهل الشهرة بالعلم والفضل درسوا في هذه المدارس او تخرجوا عَلَى رؤسائها ومشايخها ثم ملأوا المكتبة العربية بالمؤلفات النافعة في كل فن ومن راجع منكم كتاب الكواكب لابن عروة الحنبلي في اكثرمن مائة مجلدوتاريخ الحافظ ابن عساكر في اكثر من عشرين مجلداً وهماموجودان اليوم في المكتبة العمومية في مدرسة الملك الظاهر بدمشق وقاس عليها ما ألفه علماء تلك القرون الافاضل وما قبلها من الكتب في علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ والتراجم والفلك والطب والرياضيات كالهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم علم مقدار مالهذه المدارس ومؤسسيها من الفضل عَلَى الامة وما للنابغين فيها من الاثر العظيم في الوجود بما سهروه من الليالي الطوال في التحرير والتحبير وما عانوه من النصب في وضع كتب العلم لافادة الناس حتى ملأوا بها المكاتب ونشروا العلم: وما قولكم في ان عالماً واحداً من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكمية كما ذكر ذلك ابن ابي أصيبعة في ترجمة المومأ اليه

ولا يظنن بعضكم ان هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وان اكثر علمائها وطلبتها من طلبة العلوم الشرعية وآلاتها كلا فان فيهامدارس لغير العلوم الشرعية كالطب مثلا ومن هذهِ المدارس المدرسة الدخوارية والدنيسرية واللبودية كما سترون ذلك فيما يأتي من الكلام ان شاء الله

ولقد اخبرنا التاريخ ان معاهد العلم كانت مشاعةً بين طلابه من كل فن وان الطبيب او الفلكي مثلا كان يلقي دروسه في اي مدرسة كانت من مدارس العلم له فيها وظيفة

بل في الجوامع والمساجد ايضا لانها كانت قبل ان توجد المدارس عَلَى شكلها المعهود اي قبل القرن الرابع اشبه بمدارس للعلم بل هي المدارس بعينها وما زالت كذلك معاهد للعلم والعبادة معاً الى اليوم كما تعلمون

واذكر لكم مثالا واحداً عَلَى ان المدارس كانت مشاعة لطلاب كل علم ما نقله ابن ابي أُصيبعة في ترجمة رفيع الدين الجيلي قال :

«وكان مقيما في دمشق وهو فقيه في المدرسة العذراوية داخل باب النصر وله مجلس للمشتغلين عليه في انواع العلوم والطب وقرأت عليه شيئا من العلوم الحكمية»

واعلموا ايها السادة ان كثيراً من علماء الشرع بدمشق مثل الجيلي جمعوا بين العلوم الشرعية والعقلية والطب والفلك والرياضيات وكلهم من خريجي هذه المدارس بالضرورة وممن جاء ذكرهم من هؤلاء في هذا التاريخ واذكره مثالا للباقين احمد بن الحسين الدمشقي واليكم ماجاء من ترجمته في هذا الكتاب نقلا عن ابن كثير

(الجمال المحقق احمد بن عبدالله بن الحسين الدمشقي) اشتغل عَلَى مذهب الشافعي وبرع فيه وافتى واعاد وكان فاضلا في الطب وقد ولي مشيخة الدخوارية (مدرسة طبية) لتقدمه في صناعة الطب عَلَى غيره وعاد المرضى بالبيمارستان النوري عَلَى قاعدة الاطباء وكان مدرساً بالشافعية بالمدرسة الفروخشاهية ومعيداً بعدة مدارس الى آخر ماقال

هذا يدلكم عَلَى ان العلوم كانت مشاعة بين العلماء وان العالم بالشرع قد يكون عالما بعلوم أُخرى من العلوم النظرية والعملية كالفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم التي قامت عَلَى دعامتها المدنية الاسلامية وكانت الحلقة الوسطى بين المدنية القديمة والمدنية الحديثة حتى اعترف بفضلها على التمدن الغربي كثير من علماء التاريخ والاجتماع في اوربا كدربي ومونتسكيو وكوستاف لوبون وافردوا للمدنية الاسلامية كتباً خاصة اتوا فيها عَلَى ذكر ما تركته هذه الحضارة من آثار الترقي والعلم التي يجهلها اهلها لهذا العهد باللاسف والعار

نحن الآن ايها السادة بصدد علماء دمشق في القرون الوسطى وانما هم حلقة من سلسلة تلك المدنية الاسلامية التي اخنى عليها الزمان واذا سمحتم لي فاني اختم كلامي بنبذة من تاريخ تلك السلسلة بعد استيفاء الكلام عَلَى كتاب الدارس هذا ان شاء الله

علمنا مما سبق عدد المدارس ودور العجزة التي انشئت في دمشق ولكن من الذي انشـأ هذه المدارس ورفع بنيانها وادر الخيرات عليها وانفق من ماله عَلَى طلابها اهي الحكومة او الافراد او الجماعات ؟

بلغ بنا الضعف ان صرنا كالاطفال نطلب كل شيء من الحكومة كما يطلب الطفل كل شيء من والديه اما اسلافنا فلم يكونوا كذلك بل كانوا استقلاليين اكثر منهم اتكاليين يعرفون قيمة الاعتماد عَلَى النفس فكان الفرد الواحد يقوم بما تقوم به الجماعة او يطلب من الحكومة اليوم

ولهذا فان كل ماجاء ذكره في هذا الكتاب من المساجد والتكايا والمدارس انما انشأه الافراد وقام بمال اهل السخاء والجود من اسلافكم الطيبين لمحض الخير وارادة نشر العلم وخدمة الوطن والدين

لم يختص بهذا العمل الجليل والشرف الرفيع الملوك والامراء وذوو السلطة كما قد يتوهم بعضهم كلا بل كان الافراد من كل الطبقات من اهل اليسار يتسابقون الى اقامة المعاهد العلمية حسبة لله وحباً بعمل الخير واستبقاء للذكر الصالح في الوجود

فالتجار والعلماء والسيدات هم الذين اسسوا هذه المدارس كل مدرسة يؤسسها شخص بمفرده ويحبس عليها من ملكه ما يكفي ريعه لبقائها بل اقول لكم والخجل يكاد يمنعني من التكلم والحزن يوشك ان يعقد لساني ان العبدان — عبدان اسلافكم ايها السادة — شيدوا باموالهم بعض هذه المدارس ورفعوا منار العلم فيها للفضيلة كم ترفع العبدان الى منزلة السادة في حين تنحط السادة الى منزلة العبدان

ان العبدان كانوا ارفع نفوساً واسخى كفوفا منا الآن يالخجل والخسران

ان الكلام وحده لا يغني عن البرهان وانكم تنتظرون مني الدليل بعد هذا البيان واليكم امثلة من عمل العلماء . والتجار . والسيدات . والعبدان

قال المؤرخ في فصل عقده لمدارس الطب

(المدرسة الطبية الدخوازية «الدخوارية») المدرسة الدخوازية بالصاغة العتيقة بقرب الخضراء قبلي الجامع الأموي انشأها مهذب الدين عبد المنعم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار في سنة احدى وعشرين وستمائة بالصاغة العتيقة كما تقدم واول من درس فيها واقفها ثم من بعده بدر الدين محمد بن قاضي بعلبك ثم عماد الدين الدنيسري وهو بها الى الآن.

(المدرسة الدنيسرية) غربي البيمارستان النوري والصلاحية بآخر الطريق من قبلة قال الذهبي في العبر في اخبار سنة ست وثمانين وستمائة

« عماد الدين ابو عبدالله محمد بن عباس الربعي » الرئيس الطبيب ولد بدنيسر سنة ست وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وتفقه للشافعي وصحب البهاء الزهير وتأدب به وصنف الى ان قال نقلا عن الاسدي : العماد محمد بن عباس الحكيم البارع في الطب صاحب المدرسة للاطباء بالقرب من بيمارستان نور الدين الشهيد الخ ٠

(المدرسة اللبودية) اللبودية النجمية مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري انشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي في سنة اربع وستين وستمائة : الى ان قال نقلا عن ابن ابي أصيبعة ٠ كان علامة وقته وافضل اهل زمانه في العلوم الحكمية الخ

هذه امثلة من عمل العلماء : واسمعوا مثالا من عمل التجار في سبيل الخير والعلم والمنفعة العامة لم يعمل مثله احد من اغنياء هذا الزمان

(المدرسة المزلقية) بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية انشأها تاجر الخاص الشريف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلق ميلاده سنة اربع وخمسين وسبعمائة وكان ابوه لبانًا ادركه جماعة وهو يباشر ملبنة عند جامع يلبغا فنشأ ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه ان اول سفرة سافرها كسب فيها مائة الف دينار وثمانمائة الف درهم وانفتحت عليه الدنيا وعمر املاكاً كثيرة وانشأ عَلَى درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار انفق علي عمارها مايزيد عَلَى مائة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت في غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الاوقاف الكثيرة الحسنة وعين للحجرة الشريفة عَلَى الحال بها افضل الصلاة واتم السلام الشمع والزيت في كل عام الى آخر ماقال

وهذا مثال لتاجر غيره ايضا : (المدرسة الرواحية) شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الاموي ولصيقه شمالي جيرون وغربي الدولعية وقبلي السيفية الحنبلية : قال ابن شداد بانيها زكي الدين ابو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه العبر في

من مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة والزكي بن رواحة هبة الله بن محمد الانصاري التاجر المعدل واقف المدرسة الرواحية بدمشق واخرى بحلب الخ

ومن امثلة عمل النساء : (المدرسة العالمية) العالمية شرقي الرباط الناصري غربي سفح قاسيون تحت جامع الافرم واقفتها الشيخة الصالحة العالمة اللطيفة بنت الشيخ الناصح الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة التي قبل هذه (وهي المدرسة الشيخية بانيها الشيخ ابو عمر الكبير) وكانت فاضلة لها تصانيف وهي التي ارشدت ربيعة خاتون بنت نجم الدين ايوب اخت الملك صلاح الدين الى وقف المدرسة الصاحبية بقاسيون عَلَى الحنابلة الخ

ومن امثلة عمل العبدان والطواشية (المدرسة الصارمية) الصارمية داخل بابي النصر والجابية قبلي العذراوية بشرق قال القاضي عز الدين بانيها صارم الدين ازبك مملوك قايماز النجيبي ورأيت مرسوما بعتبتها ما صورته

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الاجل صارم الدين جوهر بن عبدالله الحر عتيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذرى ابنة شاهنشاه رحمها الله تعالى الخ

ارأيتم ايها السادة بماذا قامت هذه المدارس وبمن وكيف ان الافراد من اسلافكم كانوا يعملون مالا يعمله الجماعات منكم اليوم

ان الافراد هم الذين ينهضون بالامم وان المدنية الاسلامية التي تلوت عليكم حلقة من سلسلتها العظيمة كان للافراد شأن عظيم في وضع دعامتها وتشييد بنيانها

تعلمون ايها السادة ما كان لترجمة كتب اهل التمدن القديم كاليونان والفرس الى العربية من الاثر الكبير في تأسيس المدنية الاسلامية في بغداد عَلَى عهد الخلفاء العباسيين وقد يتوهم بعضهم ان الذي عني بترجمة هذه الكتب انما هم الخلفاء وحدهم واخصهم امير المؤمنين المأمون والحال ان لكثير من الافراد ورجال الفضل والنبل من الامة يداً لاتنكر في هذا السبيل .

وهذا يدلكم على ان عمل الاشخاص منفردين لايقل تأثيراً في الهيئة الاجتماعية عن عملهم مجتمعين

ولذا فلا ابالغ اذا قلت ان نوابغ الامة الذين خدموا بذكائهم وعلمهم المدنية وشيدوا

اركانها الرفيعة انما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل اهل السخاء والجود من محبي العلم والترقي وانصار النجاح الذين كانوا ينفقون من مالهم عَلَى المترجمين للكتب العلمية الى اللغة العربية

ومن هؤلاء الافاضل الاجواد الذين رصدوا جزءاً كبيراً من اموالهم عَلَى المترجمين لكتب العلم في تلك العصور : علي بن عيسى العباسي : ومحمد بن موسى بن شاكر الرياضي الشهير : وعلي بن يحيى الكاتب : وابن المدبر الكاتب : وثاوري الاسقف : ومحمد بن عبد الملك الزيات الوزير : وبختيشوع الطبيب : و يوحنا بن ماسويه الطبيب : والعدد الكثير من امثالهم المولعين بالترقي والعلم الذين كان ينفق كل واحد منهم اموالاً طائلة عَلَى نقله العلوم الى اللغة العربية حتى لقد نقل ابن ابي أُصيبعة عن محمد بن عبد الملك الزيات انه كان ينفق في الشهر الواحد عَلَى المترجمين الف دينار · قال هذا فضلا عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا القصد

انا والله نتمنى ان تجمع هذه الالف دينار في كل شهر من الف غني من اغنيائنا اليوم لتنفق في سبيل نشر العلم وتربية الناشئة من ابناء الاوطان ولو فعلوا ذلك اليوم لعوضها ابناؤهم اضعافاً مضاعفة في الغد · بل لو فعل ذلك اهل كل ولاية عثمانية لاصبحت المملكة العثمانية بعد عشر سنين جنة قطوفها العلم وسياجها القوة والحياة · ولنعد الى ما كنا بصدده فنقول :

بمثل هذا البذل عَلَى نقل كتب العلم ونشرها بين الكافة والاستفادة منها ظهر اركان النهضة في الشرق الذين ارتفع بهم شأن التمدن الاسلامي وذلك مثل بني موسى بن شاكر المهندسين الرياضيين في عصرهم وبني بختيشوع وبني سهل وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قرة وبني زهرون وابي عثمان الدمشقي وابن كرنيب ويحيى بن عدي المنطقي وابي الفرج الطبيب وابي الريحان البيروني والشيخ الرئيس ابن سينا وابي نصر الفارابي والفخر الرازي وابن الشاطر واضرابهم من العلماء الذين ظهروا في الشرق في عصور متفاوتة ابان الحضارة الاسلامية

ومثل بني زهر ويحيى بن السمينة وأبي القاسم المرحيطي امام الرياضيين والفلكيين في عصره وابن السمح الغرناطي المهندس وسعيد بن عبد ربه وابي جعفر الترحالي وابي الوليد ابن رشد وابنيه محمد واضرابهم ممن ظهروا كذلك في الغرب

ومثل ابن الهيثم البصري صاحب التآليف الغزيرة في الرياضيات والفلك والمبشر ابن فاتك وعلي بن رضوان وتلميذه افرائيم بن الزفان والشيخ السديد رئيس الاطباء وشمس الرياسة بن جميع الاسرائيلي ورشيد الدين ابي حليقة وامثالهم ممن ظهروا في مصر كل هؤلاء من علماء الفلسفة والطب والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها من العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المائة ممن ظهروا في عصرهم وبعده في الشام وبغداد ومصر وفارس والمغرب والروم اي آسيا الصغرى وغيرها من الامصار ونهضوا بالامة واعلوا ذكر المدنية الاسلامية في الشرق والغرب وانما وضع لهم الاساس افراد من الامة قدروا قدر العلم فشيدوا معاهده وترجموا كتبه واكرموا اهله فتكون من عمل اولئك وهؤلاء وتعاونهم جيلا بعد جيل بناء تلك المدنية العظيمة التي فقدناها بعد ولم نستطع اللحاق بابناء التمدن الحديث لاعراضنا عن العلم وغفلتنا عن تحدي الامم الراقية وقبض اكفنا عن امداد معاهد العلوم وانشاء دورها مع انا قد يطلب منا الآن ونحن جماعات فلا نجيب ما كان يعمله الافراد من اسلافنا من تلقاء انفسهم وبمحض رغبتهم بالعلم والمعارف وحبهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم ·

وبالجملة ايها السادة انا امة ذات ماض مجيد وتاريخ جميل وقد ترك لنا اسلافنا درساً لايمحوه الزمان ونقش في كل زاوية من المشرق ومكان فلن يبلغ بنا ضعف النظر اوضعف القلوب والهمم او فساد الاخلاق واستحالة الدم الى ان تتناساه ولانقرأ صحفه الزاهية التي يدعونا كل سطر منها الى التذكر والتفكر والسعي الحثيث الى الترقي الذي مناطه العلم والعلم يحتاج الى المال · فالمالَ المالَ الكرمَ الكرمَ الانتباه الانتباه والا قضي علينا بالدمار ولحق بنا العار وتبرأ منا اسلافنا الطاهرون ولايكون ذلك ان شاء الله مادام فينا الكرام الغيورون والرجال المفكرون والسلام عليكم

أغنياؤنا

قال لنا منذ مدة احد اعيان دمشق اني اضطررت لضائقة اصابتني ان ابيع عقارين من عقاراتي افتدري من كان يزيد فيهما ؟ قلنا لاندري · قال كان يزيد فيهما اناس لايتصور العقل ان عندهم قوت شهر واحد اناس يلبسون خلق الثياب ولاتعدهم من كبار السوقة بل من صغار المرتزقة اما من كان يظن انهم سيتلقفون ذينك العقارين فلم

يساومونا عليهما بفلس واحد لانهم لانقد عندهم وربما كان تقدير الناس لاموالهم هو دون الحقيقة بمراحل ·

واجتمعنا من المساء بمجلس غاص بالمفكرين وارباب التجارب فقص علينا احدهم ان المزرعة الفلانية التي يراد بيعها في الغوطة قد انتهى ثمنها الى عشرين الف ليرة على رجل لم يكن يظن انه يملك عشر معشارها من الثروة حتى قال انه يدفع قيمتها حوالة على المصرف دفعة واحدة ثم اجمعت آراء الحضور على ان ثروة دمشق قد زادت في العشر سنين الاخيرة زيادة محمودة بداعي الاموال الطائلة التي بذر تهافيها ادارة السكة الحجازية وهي لاتقل عن مليوني ليرة وادارة الترامواي الكهربائي الذي انفق نحو مائتي الف ليرة وما اعقب قرب المواصلات من ورود السائحين والحاجين الى دمشق ذاهبين منها وجائين وما نقلته السكك الحديدية من غلات البلاد القاصية فقدر ماحملته سكة حوران وحدها من الغلات في العام الفائت بثمانين الف طن والطن اربعة قناطير دمشقية وثمنها يناهز المليون ليرة وما نقلته سكة حديد حماة بخمسة واربعين الف طن هذا عدا ما نقلته الخطوط الاخرى وحمل على متون الدواب والجمال من الغلات والثمرات حتى عمرت بذلك قرى حوران وكانت خرابًا يبابًا منذ بضع سنين وغدا الحوراني اليوم يلعب بالليرات كما يلعب جاره الفلاح المصري بالجنيهات هذا في اقليم واحد من أقاليم بلاد الشام وفي فلسطين وولاية بيروت وحلب وسورية مقاطعات لاتقل في خصبها وامراعها عن حوران ولكنها لم تشتهر شهرتها واصبح اهلها بفضل المواصلات والحركة التجارية الجديدة في سعة من العيش تزيد كلما زادتهم الحكومة امنا ووفرت لهم مرافق الحياة ·

قالوا وهذه النهضة الاقتصادية في دمشق خاصة لانها قاعدة هذه البلاد والنقطة الوسطى منها وباب الكعبة ومقر الفيلق ومركز الولاية قد استمتع بخيراتها المقاولون والنجارون والحدادون والبناؤون والحجارون والجمالون والعملة والتجار وارباب الفنادق والمطاعم والعربات فتسربت الدراهم والدنانير الى جيوب ارباب الطبقة الوسطى فمن دونها واغتنى كثيرون وارتاشوا حتى ان كثيرين من بائعي الفول المدمس لايرضون من الربح في يومهم باقل من ليرة

كل هذا قالوه وهو صحيح ولكن الواجب علينا ان لايمر بنا دون ان نتدبر سره الاقتصادي والاجتماعي فالسر فيه ان كثيرين من الاعيان اكتفوا بما حازوه من الثروة ارثًا عن آبائهم او بفضل سعيهم ولا نقول كيف حازوها والطرق التي سلكوها فمنهم من كانت

ثروته ثمرة الكدح المشروع من تجارة وزراعة وهم قلائل يعدون عَلَى الاصابع . ومنهم من اغتنوا بالاتفاق فابتاعوا مثلاً ارضاً اوعقاراً قضت الاحوال بارتفاع اسعاره فاصبح ماابتيع بالف يساوي عشرة آلاف وعددهم محدود ايضاً ومنهم اثروا بما كان لهم او لاجدادهم من النفوذ في الدولة الاستبدادية فكان الفلاحون يأتونهم باكين شاكين طالبين اليهم ان يرفعوا عنهم ظلم الحكومة او الملتزمين اوعرب البادية و يأخذواقريتهم حلالاً زلالاً وهم يكتفون منهم بالحماية و يدفعون لهم الخمس كل سنة من مجموع ماتنبت الارض . ومنهم من تيسر لهم ان يحرزوا وقفاً عظيما لمدرسة او لمدارس فعمروا ارضه ورباعه فاخصب وعلاثمنه مع الزمن فاغتنواهم واولادهم ومنهم من وسدت اليهم الوظائف فباعوا ذممهم وفتحوا بطونهم لاكل الرشي واضاعوا حقوق العباد والدولة حتى جمعوا لهم مقداراً من المال انشوا به الحوانيت وعمروا الدور واستثمروا المزارع والدساكر . ومنهم من جرأوا عَلَى استحلال الربا ايام كان ابن حوران مثلاً لفقره يضطر في اكثر سنيه ان يقترض القرش بقرشين وكانت للمرابين والصيارف لحة وعرامة فجمعوا من رأس مال صغير كنوزاً كبيرة في برهة وجيزة ومنهم من لم يستنكفوا من ظلم الفلاح فأكلوا لحمه وعرقوا عظمه حتى تم لهم والناس في غفلة والحكومة في اغفاءة الذئ من اغفاءة الصبح نائمة عن رعاياها ان جمعوا ماجمعوا سحتاً بحتاً وحراماً لايجوزه عقل من عقول البشر ولاشريعة من الشرائع السماوية والارضية .

هكذاقام اكثر ماتشاهده من الثروات وعَلَى هذه الاسس قامت ابنية الامجاد والتقتير رائد اصحابها والامساك طريقهم الى الجمع . ومن اتاه قرش فصرف بعضه واحسن استخدام ماجمع لابد ان يأتي عليه يوم يحوز الغنى وكيف لانتسب بعض الاغنياء الى كزازة الايدي ونحن نراهم لايسمحون حتى بتعليم اولادهم مع ان تعليمهم باتفاق آراء العقلاء يعادل اطعامهم لقوام اجسامهم وتغذية الارواح مفضلة عند الكثيرين عَلَى تغذية الاشباح

لو تعلم اولاد الاغنياء التعليم العصري المطلوب وربوا عَلَى الاخلاق الفاضلة اخلاق العمل والحساب لما خيف عَلَى ثروات آبائهم من التبدد وتوارثوا النسب كما يتوارث النشب كابراً عن كابر فتتسلسل الوجاهة في بيوتهم الجيل بعد الجيل والعصر بعد العصر فلا يخافون عيلة ولايشكون سقوط منزلة . واصدق مثال يصح الاستشهاد به كل حين مايراه كل انسان من الفروق في حالة المسيحيين والمسلمين وهم ابناء وطن واحد لايختلفون

في طبائعهم ولا في عاداتهم وهم قد فاقوا المسلمين بمبادئ يتعلمونها من اللغات والعلوم وطاب عيش الفقير منهم اكثر من عيش الغني في المسلمين وذلك بفضل ما تعلموه من حسن التربية والحساب للمستقبل وعدم الاتكال عَلَى الحكومة واعمالها بل عَلَى الكفاءة واستخراج الثروة من المذاهب الطبيعية في المعاش ٠

وعقد ابن خلدون فصلا في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة آباء فقال « ان باني المجد عالم في بنائه ومحافظ عَلَى الخلال التي هي اسباب كونه وبقائه، وابنه من بعده مباشر لابيه قد سمع منه ذلك واخذه عنه الا انه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاني له ثم اذا جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقتهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم ان ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف وانما هو امر وجب لهم منذ اول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصابة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب فقط فيربأ بنفسه عن اهل عصبيته ويرى الفضل له عليهم وثوقًا بما ربي فيه من استتباعهم وجهلاً بما اوجب ذلك الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بمجامع قلوبهم فيحتقرهم بذلك فينغصون عليه ويحتقرونه ويديلون منه سواه من اهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب للاذعان لعصبيتهم بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتنمو فروع هذا وتذوي فروع الاول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك عَلَى الله بعزيز

« واشتراط الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والا فقد يدثر البيت من دون الاربعة ويتلاشى وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بانه مباشر له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه سلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم اشارة الى انه بلغ الغاية من المجد وفي التوراة ما معناه ان الله ربك طائق غيور مطالب بذنوب الآباء للبنين عَلَى الثوالث وعَلَى الروابع وهذا يدل عَلَى ان الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب اه

وبعد فان من سنن الكون ان لا يظل الغني غنيًا ولا الفقير فقيراً وان من رأيناهم اغتنوا في العهد الاخير بالنسبة لمجموع ثروة الامة هم الذين سعوا الى الرزق من ابوابه ومعظمهم يؤثرون حتى بعد ان اغتنوا ان يعيشوا عيش البساطة فدخل احدهم فائض كثيراً عن خرجه ولا يبعد ان يجيء يوم يتولى اوائك الذين لانعرفهم الآن او لانريد ان نعرفهم ازمة الامور ويصبحون هم اعيان البلاد خصوصًا اذا داووا ارواحهم وارواح ذراريهم بترياق التعليم وبلسم التربية الحديثة وطبعوا أسرائهم بطابع الاستقلال لا بطابع الاتكال في الاعمال. ربوهم ليكونوا اعضاء عاملة في المجتمع البشري لاليكونوا فقط آمرين ومأمورين. ربوهم ليعرفوا قدر المال وطرق كسبه من الوجوه المشروعة المعقولة لا بالاحتيال والنصب وخبث الطعمة وسوء القالة. ربوهم كما يربي الانكليزي ولده فيعلمه حتى اذا بلغ اشده يلقيه برضاه في معترك الحياة مانعاً عنه كل معونة مالية لا كما يربي الفرنسوي ولده فيعلمه ماأراد فاذا شب لا ينفك عنه فيزوجه ويعطيه وربما حرم بناته حتى يخلف قدراً اكثر لبنيه

التعليم الوطني

من اهم المسائل الاجتماعية فى العالم مسألة التعليم فهو الذي تحرص عليه الامم حرصها عَلَى حياتها. والتعليم الوطني هو ارقى انواع التعليم به تحفظ الجنسيات واللغات ويبقى على العادات والقوميات ولذلك تجد العراك في هذا الشأن عَلَى اشد مايكون بين الامم الغالبة والامم المغلوبة فالبولونيون لايشمئزون من الالمان والنمسويين والروسيين الا لان كلاً من المانيا والنمسا وروسيا تحاول ان تصبغ البولونيين بصبغتها. والجزائريون لايتأففون من فرنسا الا لانها تنوي القضاء عَلَى جنسيتهم ولغتهم ودينهم بتلقينهم المبادئ الافرنسية واللغة الافرنسية. والكوريون لايغضبون عَلَى اليابانيين الا لان هؤلاء يحبون ان يصبغوا اهل كوريا بصبغتهم ويطبعونهم عَلَى مناحيهم. واهل الالزاس واللورين لايكونون من الالمان الا لانهم يرمون الى تربيتهم عَلَى الاسلوب الالماني وتلقينهم اللسان الالماني لينسوا مع الزمن لسانهم وقوميتهم كما نسي اهل شلزويك هولشتاين الدانيمركيون لغتهم بانضمامهم الى بروسيا. والجاويون لايتأوهون من هولاندة الا لسعيها في تنشئتهم عَلَى مناحيها.

والهنديون اعظم مايبقمون، عَلَى الانكليز تلقينهم الناس حب انكلترا وعظمتها ولغتها وان كان الانكليز اكثر الامم مراعاة لعواطف المغلوبين عَلَى امرهم

وهكذا لو استقرينا تاريخ الانسان الى اليوم والى ما بعد اليوم نجده عبارة عن سلسلة ظلامات منشأوها سوء التفاهم بين الناس يريد القوي ان يسخر الضعيف و يطبعه عَلَى منازعه لاعتقاده بانه اعلى منه كعباً واكثر علماً وادباً وارجح عقلا وانجح سعيا شأن العالم مع الجاهل يود ان لاتمر به ساعة الا و يعلمه شيئاً ليقربه منه ويحسن الانتفاع به ولكن ما كل قوي يكون اعلم من ضعيف ولاغالب اعقل من مغلوب وندر في الناس والامم من يقر بارجحية غيره عليه، ولوكان الحق في ذلك اوضح من فلق الصبح ·

نقول هذا ونحن نرى التعليم الوطني في مصر والشام وهما اعرق البلاد العربية في الحضارة والتعلم عَلَى اضعف مايكون وان كانت مصر سيدة البقاع في هذا لان انتباه الناس منذ سنين لجعل طبقات التعليم بالعربية بعد ان كاد يصبح كله بالانكليزية لابد ان يحفظ عَلَى المصريين لغتهم واخلاقهم ونقاليدهم اكثر مما يحفظها عَلَى السوريين مثلا · فقدعبثت بالسوريين دواعي التفريق في الوطنية وضعفت ملكتها فيهم بقوة المدارس الغير الوطنية في ديارهم · فان كانت هذه المدارس قد نفعت سورية بما ادخلته اليها من النور القليل فقد اضرتها بانحلال عقدة الوطنية فمدارس الاميركان والروس واليونان والفرنسيس والانكليز والالمان قد اصلحت وافسدت · اصلحت بتلقين من تخرجوا فيها شيئاً من معارف الغرب واضعفت في نفوسهم حب الوطن بتحبيبها اليهم اوطاناً غير اوطانهم وتعريفهم الى رجال غير رجالهم ومساواتها في اعينهم الامم · والعاقل من حرص عَلَى نفع امته، قبل كل نفع وانتفع بما عنده قبل ان يتطال الى ماعند غيره

رأينا افاضل الطبقة التي نشأت من مدارس الفرنسيس والاميركان والروس في ادوار مختلفة فلم نشهد فيهم الا النادر من يغار عَلَى وطنه، كما يغار عَلَى حرمه، فكنا اذا حدثناهم بما تصير اليه حالة لغتهم ووطنيتهم بتخليهم عنهما قالوا واي نفع يرتجى لمن يتعلم اللغة العربية وهل هي الا لغة قوم بادوا وانقضت ايام سعدهم ومن يضمن لنا ان نعيش اذا تعلمنا اللغة العربية ولذلك كانت اقل لغة من لغات العالم المتمدن اكثر فائدة · اماحالتهم في انحلال عقدة الوطنية فادهى وامرّ · ومن زهد في لغة آبائه وجدوده كان حرياً بالزهد في وطنه ووطنيته · واللغة والوطن يصح ان يكونا اسمين لمسمى واحد ·

شهدنا اناساً قيل عنهم انهم حاملون للشهادات العالية من مدارس الاجانب فكنا

نسألهم بعض الاسئلة البسيطة في تاريخ امتهم وبلادهم فما كانت اجوبتهم الا استهزاء بما يترتب عَلَى معرفتهم ذلك من الفوائد وكان ايسر مايحجنا به احدهم ان، يعرف تاريخ روسيا اواميركا اوانكلترا اوفرنسامعرفة جيدة و يوردون لنا ايام تلك الام واسماء رجال الحرب والسياسة والعلم فيهم و يعجزون عن ذكر شيء من تاريخ بلادهم الا القليل الذي تلقفوه بالسماع من العامة . هذا في ناشئة المدارس الاجنبية الذين هان عليهم ان يغادروا بلادهم واكثرهم نزحوا الى مصر واميركاوغيرهاواختاروهاموطناًلهم وربما حدثتهم انفسهم ان يتجنسوا بالجنسية الاجنبية لانه لاترجى لهم عودة الى بلادهم وقد ملئت نفوسهم بحب من تخرجوا بهم .

وهناك طبقة ومعظمها من المسلمين تخرجت في مدارس الحكومة تخرجت اقرب الى العجمة منها الى العربية لان المدارس الاميرية مابرحت الى اليوم وقبل اليوم تعلم اللغة العربية تعليما صوريًا وتوفر عنايتها بالتركية لغة البلاد الرسمية وانا لنخجل ان نقول ان سورية قد نشأ منها زهاء خمسمائة ضابط ونحوهم او اكثر من الموظفين لايعرفون من اللغة العربية الا ان يتكلموا الكلام العادي البسيط واكثرهم يمزجونه بالفاظ تركية لايفهمها ابن العرب و يعتذرون عن قصورهم بانهم لم يتعلموا في المدارس لغة آبائهم واجدادهم ومن يقدرون منهم على الكتابة الصحيحة بلغتهم فافراد يعدون عَلَى الاصابع تعلموها في الغالب بعد ان انجزوا دروسهم . والمتخرجون في مدارس الحكومة لايحسنون في الاكثر تاريخ الدولة العثمانية فضلا عن تاريخ العرب وامجاد اسلافهم

جنت مدارس الاجانب والحكومة عَلَى هذه البلاد اعظم جناية لان المتخرجين فيها ومعظمهم من الذكاء عَلَى جانب عظيم لم ينفعوا الدولة حق النفع ولم ينفعوا البلاد التي ولدوا فيها فتراهم ضعافًا في حبهم اوطانهم فاماان يتنقلوا في الوظائف واما ان ينتقلوا من البلاد جملة فتحرم منهم الامة التي اولدتهم والسماء التي اظلتهم والارض التي اقلتهم والبلاد لاتعمر الا بايدي ابنائها بعد ان قيل في الامثال « قتل ارضاً عالمها » وهل اعلم بها من ابنها .

ابحث عمن تخرجوا في هاتيك المدارس منذ ثلاثين سنة تجدهم الا قليلا جداً وقفوا انفسهم عَلَى نفع غيرهم واحتقروا جنسيتهم ولغتهم وربما كان عدد المحتقرين لها في ناشئة المدارس الاميرية اكثر من متخرجي المدارس الاجنبية لان هؤلاء يرون باحتكاكهم بالاجانب مبلغ تفاني هؤلاء في انهاض اممهم وحبهم لغتها وتقاليدها ولمدارسهم عناية

بالعربية اكثر من المدارس الاميرية فاذا كان الطالب حصيف الرأي لا ينطلي عليه محال من يعلمونه ولكن من اين له وطنية كوطنيتهم وغيرة كغيرتهم وهو لا يعرف من اسباب وطنيته حتى ولا لغتها ولا من مجد اجداده الا قشوراً ولا من حاجات بلاده وقانونها الا تافهاً · وهل غير القوي يدافع عن حوزته وغير العاقل يحتفظ بعاداته ولغته والقوة لا تنشأ الا بالعلم والتربية الوطنية

ان المدارس الغير العربية في سورية اشبه بالسارق الذي يسرق الاعلاق ونفائس المتاع · استغفر الله بل ان من يسرق فلذات الاكباد ليخرجها على ما اراد اشق على النفس وطأة واعظم في المغبة اثراً وهل يقاس سارق الاموال بسارق الاطفال والرجال اوليست الارواح اثمن من كل بضاعة وهل اعز من الولد على قلب ابويه

وليس معنى هذا الدعوة الى مقاطعة المدارس الغير العربية فان اهل هذه البلاد لا غنى لافراد منهم عن تعلم اللغة التركية لغة السياسة الجامعة ولا عن تلقف بعض اللغات الاوربية الراقية كالانكليزية والفرنساوية والالمانية والايطالية ولكن الواجب ان يتعلموا ما شاؤا من اللغات والعلوم بعد ان يحكموا لغتهم كتابة وخطابة حتى لا يسرق ابناء سورية بتساهل آبائهم ويبيعوهم من اقوام اخر بالمجان على امل التوظف في وظائف الحكومة او الاحتكاك بالاجانب احتكاكاً يؤدي في الاكثر الى ارتحال المتخرج بهم عن بلده وزهده في وطنه زهداً ابدياً ·

ان المدارس التي تعلم على غير الاسلوب الوطني هي التي تسلب من سورية اليوم بعد اليوم روحها وناهب الروح ماذا يدعى في الشرع والعقل؟ ان لاهل كل قطر منازع خاصة بهم وعادات واخلاقاً ومميزات اذا فقدوها هلكوا وانحل امرهم وأضحوا عبئاً ثقيلاً على البلاد لا ينتفعون بها ولا هي تنتفع منهم · فالواجب اذاً انشاء مدارس لاحياء التعليم الوطني لتحيا بحياته البلاد لان مئة رجل يعرفون الزراعة باللغة الفرنسية اقل نفعاً من واحد يشرحها للعرب بالعربية وقد يكون تعلمها بالعمل لا بالنظر · وهكذا الحال في مئة كاتب متعلم قرأ العلوم والآداب بغير لغته لا يستفيد منه قومه عشر معشار كاتب واحد يعرف كيف يعلم عامة قومه قبل خاصتهم وجاهلهم قبل عالمهم اصول المعاش والمعاد بلغة ابيه وامه ·

ان مما عاق الاتراك عن فهم اسرار الشريعة قلة عنايتهم بالعربية التي يجب على كل مسلم ان يتعلمها والذي عاق العرب عن فهم قوانين البلاد جهلهم بالتركية لغة الجامعة

العثمانية التي توجب السياسة تعلمهافظلت اكثر قوانيننا مكتوبة باللغة التركية ولم يستفد منها الا قلائل من الاتراك وبعض من تعلموا ليتوظفوا من العرب والروم والارمن والارناوءد والاكراد واللاز والفلاخيين والبوشناقيين والبلغاريين. ولو تخرج في مدارس الحكومة اناس من العرب يحسنون الكتابة والخطابة بلغتهم كما يحسنونها باللغة الطارئة عليهم لتمكنوا عَلَى الاقل من نقل هذه القوانين الى العربية وعرف العثمانيون مالهم وما عليهم وافادوا بلادهم وقوميتهم فائدة كبرى.

ان مما يبكي ان يسن ابن الاستانة قانونًا يحاول تطبيقه عَلَى ابن حوران وهلا كان الاختلاف في الحاجيات طبيعيًا بين تركي وعربي واوربي وآسياوي. ولذلك جاءت قوائم الدروس الجديدة في المدارس الابتدائية والثانوية في الولايات العربية مثل دروس الولايات التركية لا اثر فيها لتعلم العربية الاان يكون قراءة القرآن في الصفوف الابتدائية يتلى فيها بلا فهم ولا علم

واكبر دليل على ان نظارة المعارف العثمانية جاهلة بطبائع البلاد انها اسست مدرسة لتخريج المعلمين في دمشق ولم تذكر اسمًا فيه للعلوم العربية لغة الدين والبلاد وجعلت الجهد كله مصروفًا الى تلقين التركية حتى لا يعلم الاساتذة الجدد الا مما تعلموه ويكثر عدد العارفين بالتركية والمتخلين من لغتهم فلا يأتي زمن خصوصًا متى اصبح التعليم الابتدائي اجباريًا الا وقد اهمل العرب لغتهم بتاتًا

صرحنا بهذا وان كان فيه غضاضة كبرى عَلَى العرب الذين لم يستفيدوا من حرية الدستور حتى الآن وينشئوا علي الاقل كتاتيب منظمة لتلقين لغتهم من ايسر الطرق حتى ينتفعوا بعد الآن باولادهم حق النفع ولا يفقدوا عددًا كبيرًا ممن يدخلون مدارس الاجانب فتنحل وطنيتهم وتضعف لغتهم. اما مؤسسو تلك المدارس اجنبية كانت او اميركية فانهم يعذرون للسبب الذي اوردناه آنفًا وهو ان القوي يريد ان يستغرق الضعيف سنة من سنن الكون. ولم يبلغ البشر درجة راقية من التمدن حتى تتساوى في عيونهم اللغات والعناصر كلها وتتجرد امة فتفنى لاحياء غيرها وتقلل جنسها لتزيد سواد آخر ولا تهمها دارها وتريد هدمها لتعمر بانقاضها دار جارها والسلام.

جبل الدروز وفتنتهم

الى الجنوب من دمشق على نحو عشرين ميلا منها كورة واسعة مخصبة الرباع اسمها حوران فيها نحو ستمائة قرية وفي شرقي تلك الكورة اقليم ممرع فيه السهل والجبل الاانه اطلق عليه اسم جبل حوران كما يقال له جبل الدروز الآن لان معظم سكانه منهم وهو يمتد من شمالي حوران الى جنوبيه ويحده من الشمال اللجاة وهي ارض بركانية ذات حرار وعرة للغاية ومن الشرق البادية ومن الجنوب قفر متزامي الاطراف يتصل بوادي الحجاز ومن الغرب الجنوبي النقرة والنقرة سهل جيد التربة في وسط حوران

وطول هذا الجبل نحو ١٥ ساعة على راكب المطايا وعرضه ٨ ساعات وهو من الجهة الجنوبية والجهة الغربية اي نحو ثلاثة ارباعه سهل خصيب تضاهي تربته تربة السهل من بلاد حوران وغوطة دمشق والبقاع العزيز وربما كانت احسن منها وفيه ١٠٨ قرى ويقدر نفوسها على التخمين بخمسين الف نسمة وربما استطاع حمل السلاح منهم نحو ثمانية آلاف ومنهم الذين يشنون الغارات ويقتلون الابرياء ويسلبون المارة واقليمهم هو الاقليم الوحيد في سورية بامرها الذي ازمنت فيه الفوضى واحب اهله على قربهم من الحواضر ووفرة غناهم بزراعتهم ان يعيشوا عيش السلب والنهب والقتل يؤذون من خالفهم من مجاوريهم ويطيلون ايدي اعتدائهم على ابناء السبيل ويناوئون الحكومة ويعصون قوانينها فلا يؤدون الضرائب الاميرية والخراج ولا يخدمون الجندية واذا لم يجدوا من يقتلونه ويمثلون به يقتتلون بينهم كأنهم يتعبدون باهلاك العباد والعيث بالفساد في البلاد .

وآخر عمل فظيع قاموا به انهم غزوا جيرانهم اهل قريتي معربة وغصم وسكانهما مسلمون ومسيحيون فقتلوا ٥٩ رجلا وامرأة وجرحوا ثلاثة وبين القتلى اربع نساء بينهن والدة شيخ معربة وزوجته واخته ونهبوا القسم الاعظم من السهوة وجيزة وسماقية وطيسة من بلاد السهل فطفح كأس الصبر منهم ولم تر الدولة بداً من ارسال حملة عليهم تؤدب عصاتهم وتضرب على ايدي الفوضويين والعدميين منهم وتؤلف شاردهم وتؤمن خائفهم وتخضعهم للقوانين كسائر الافراد العثمانيين

ولعل كثيرين يتساءلون عن تاريخ عمران هذا الجبل ونزول الدروز فيه فالمعروف من حاله انه كان في الدول القديمة تابعاً لحوران تشهد لذلك الآثار القليلة الباقية الى

اليوم في بعض امهات قراه مثل السويداء [1] قاعدته القديمة وصرخد وقنوات فان الكتابات اليونانية واللاتينية والنبطية والعربية المكتوبة بخط سباء تدل عَلَى انه كان عامراً للغاية

وفي السويداء بل في اكثر قرى الجبل عَلَى ما انتابها من الخرب والتدمير بعض الآثار اليونانية والرومانية [2] مثل القناة والمعبد والمسلة التي يظن انها من القرن الرابع والخامس للميلاد والجامع الخرب المزبور عليه بعض كتابات يونانية والخزان الكبير لجمع الماء الذي انشئ عَلَى اكمة تشرف عَلَى السويداء وعَلَى طريق قرية القنوات جسر مهم للغاية جعل عَلَى عمد هائلة يظن انه من القرن الاول وانه كان ناووساً

والظاهر من عاديات قنوات انها كانت اهم من بصرى قاعدة بلاد حوران كلها وكان فيها ابرشية للروم ولا تزال بعض الطرق هناك مبلطة ببلاط كبير سلم من عوادي الايام ومعظم الدور محفوظة كما كانت بنوافذها وابوابها الحجرية

ومن الآثار التي تجاب الانظار ذاك المسرح «الثياترو» الجميل الذي قام عَلَى يمين الوادي واكثره منحوت في الصخر وقطره نحو ١٩ متراً وفيه تسعة صفوف اسفله عَلَى متر ونصف تحت الملعب وفي وسطه حوض ماء وهو مطل عَلَى الوادي ومصانع المدينة وجبل حرمون (الشيخ) وفي مكان شاهق آثار معبد ذي ادراج في الصخر تؤدي الى برج اصم ربما كان جزءاً من حصن مشرف على المضيق ويستدل من الابنية السفلى ان تاريخها يرد الى ماقبل عهد الرومان وعَلَى ميلة قليلة نحو الشرق برج عظيم مدور دائرته ٢٥ متراً وربما كان برجاً لدفن الموتى وهناك بعض خرائب كنائس وجادات واروقة وارتجة وبعض قطع من هياكل وتماثيل وملاعب

---

[1] قال ياقوت في المشتبه السويداء بضم السين وفتح الواو تصغير سودا اربعة مواضع السويداء من قرى حوران من اعمال دمشق ينسب اليها ابو محمد عامر بن دغش بن خضر بن دغش الحوراني السويدائي كان شيخاً خيراً تفقه ببغداد على ابي حامد الغزالي وسمع الحديث من ابي الحسن ابن الطيوري سمع منه الحافظ ابو القاسم الدمشقي واثنى عليه خيراً ومات في حدود سنة ثلاثين وخمسمائة والسويداء موضع على ليلتين من المدينة من جهة الشام والسويداء مدينة مشهورة بين آمد وحران من نواحي ديار مضر بالضاد المعجمة واهلها ارمن نصارى والسويداء قرية من قرى حماة بينها وبين حمص [2] دليل سورية وفلسطين لبيدبكر

وعلى ثلاثة ارباع الساعة من قنوات في الجنوب الشرقي قرية ساله وفيها معبد من اهم معابد حوران تشبه هندسته معبد هيرود في القدس وفيه من رسوم الاسود والغزلان والخيول المسرجة وغيرها ما يأخذ بمجامع القلب . وهناك ايضاً مذبح في سفح درجات المعبد وكان هذا المعبد خاصاً بعبادة اله السماء ومن الآثار المهمة آثار شهبا وطرقها معبدة واسعة تكاد تكون اوسع طرق حوران وقد يبلغ عرض الشارع فيها سبعة امتار وستين سنتيماً .

وليس في الايدي مايستدل منه عَلَى منزلة تلك البلاد من العمران عَلَى عهد العرب وكانت قبيل الاسلام منازل قبائل بني غسان كما كانت البلاد المجاورة لها فقد بنى النعمان ابن المنذر الغساني من ملوك القرن الرابع للميلاد قصراً في السويداء بقي منه بعض جهاته ووجدت في صرخد [1] صخرة اللات التي عبدها الانباط والعرب كما ذكر هيرودوتس وعليها كتابة تدل عَلَى انها نصبت لذي الشرى وهو معبود نبطي له آثار في بصرى وبتره (وادي مومي)

والغالب ان صرخد حازت في الاسلام مكانة اعظم من مكانة السويداء فبالغ الملوك بتحصين قلعتها ليدفعوا عوادي البدو عن القرى العامرة وقد كثر ذكرها في كتب التاريخ عَلَى عهد الدولة الصلاحية ومن بعدها من دول الجراكسة خصوصاً بعد ان استولى عَلَى الكرك والشوبك وغيرهما من الحصون المجاورة الملك الناصر السلطان صلاح الدين بن ايوب وولى اخاه الملك العادل ابا بكر بن ايوب عليها واصبح لتينك المدينتين شأن عظيم حتى عدت الكرك من الممالك مثل مملكة بعلبك ومملكة حماة ومملكة شيزر وغيرها ومعظم هذه الممالك اصبحت بعد قرى حقيرة في القرون الاخيرة لغلبة الجهل على الحكومات التي تعاورتها ولقلة الامن وانتياب الغارات والزلازل والاوبئة التي اجتاحت سكانها .

ويؤخذ مما رواه ابو الفداء صاحب حماة ان بلاد صرخد وما والاها وبعبارة اخرى جبل الدروز كانت تدعى في عهده اي في القرن الثامن بجبل بني هلال قال :

صرخد بلدة ذات قلعة مرتفعة وليس لها ماء سوى ماء المطر في الصهاريج والبرك وهي قاعدة جبل بني هلال وليس وراء عملها من جهة الجنوب والشرق الا البرية ومن

---

[1] دواني القطوف

شرقيها تسلك طريق يعرف بالرصيف الى العراق وعلى هذا الطريق بين صرخد و بغداد عشرة ايام

وقلعة صرخد شاهدة ابد الدهر بعظمة تلك البلاد وهي كما قال الثقات اضخم واهم من قلعة حلب اه

وقد جدد الملك الظاهر بيبرس [١] فيما جدد من المصانع في بلاده ماتهدم من قلعة صرخد وجامعها ومساجدها وكذلك فعل ببصرى وعجلون والصلت وكانت قلعتا كوكب وعجلون [٢] لعز الدين بن أسامة وكان هذا ملك صرخد سنة ثمان وستمائة للهجرة وقال ابن خلكان : انه ملك صرخد سنة احدى عشرة وستمائة قال لان استاذه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب حج في السنة المذكورة واخذ صرخد من صاحبها ابن قرجه واعطاها مملوكه ايبك والظاهر ان الاول اصح واستمرت في يد ايبك الى سنة اربع واربعين وستمائة فاخذها الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل من ايبك المذكور . وممن تملك صرخد اقوش الافرم احد امراء بني ايوب .

ومن الادلة على استبحار العمران في الجبل انه نشأ من بعض امهات مدنه اعلام مشاهير ومنهم عز الدين السويدي [٣] من اهل القرن السابع كان عالما عاملا و يونس بن ابراهيم ابن سليمان الصرخدى النحوي اللغوي ٦٩٨ وابراهيم بن سليمان التميمي الصرخدي الفقيه خطيب صرخد مات فيها سنة ٦١٧ وبدر الدين السلختي قاضي غزة نسبة الى صرخد ايضاً و بعضهم يقول صلخد وسلخة والاصح صرخد فيما نرى والروايات الثانية تحريف طرأ مثله على بلدان كثيرة في سورية مثل عربيل وجماعيل فيقولون عربين وجماعين لاستسهالهم النطق بالنون اكثر من اللام

قال ابن ابي أصيبعة : « حدثني نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي ان نجم الدين القمراوي وشرف الدين المتاني وقمرا ومتان هما قريتان من قرى صرخد قال كانا اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكمية وتميزا واشتهر فضلهما وكانا قد سافرا الى البلاد في طلب العلم ولما جاآ الى الموصل قصدا الشيخ كمال الدين بن يونس (الفيلسوف العلامة) وهو في المدرسة يلقي الدرس فسلما وقعدا مع الفقهاء ولما جرت مسائل فقهية تكلما في ذلك وبحثا في الاصول وبان فضلهما على اكثر الجماعة فاكرمهما الشيخ وادناهما ولما كان آخر النهار سألاه ان يريهما كتاباً له كان قد الفه في الحكمة

---

[١] فوات الوفيات [٢] تاريخ ابي الفداء [٣] تاريخ الاطباء لابن ابي أصيبعة

وفيه لغز فامتنع وقال: هذا كتاب لم اجد احداً يقدر عَلَى حله وانا ضنين به فقالا له: نحن قوم غرباء وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز بنظرك والوقوف عَلَى هذا الكتاب ونحن بائتون عندك في المدرسة وما نريد نطالعه سوى هذه الليلة وبالغداة يأخذه مولانا وتلطفا له حتى انعم لهما واخرج الكتاب فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ولم يناما اصلاً في تلك الليلة بل كان كل واحد منهما يملي على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقابلاه ثم كررا النظر فيه مرات ولم يتبين لهما حله الى آخر وقت وقد طلع النهار فظهر لهما حل شيء منه من آخره واتضح اولاً فاولاً حتى انحل لهما اللغز وعرفاه فحملا الكتاب الى الشيخ وهو في الدرس فجلسا وقالا: يامولانا ما طلبنا الا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي يعسر حله واما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان واللغز الذي فيه علمه عندنا قديم وان شئت اوردناه فقال قولا حتى اسمع فتقدم النجم القمراوي وتبعه الآخر واوردا جميع معانيه من اول الكتاب الى آخره وذكرا حل اللغز بعبارة حسنة فصيحة فعجب منهما وقال: من اين تكونان قالا: من الشام قال: من اي موضع منه قالا: من حوران فقال: لاشك ان احدكما النجم القمراوي والآخر الشرف المتاني قالا: نعم فقام لهما الشيخ واضافهما عنده واكرمهما غاية الاكرام واشتغلا عليه مدة ثم سافرا ٠»

وهذه الرواية تدل كل الدلالة على انتشار العلم في هذه المزارع في القرون الوسطى وامتان بلد شرف الدين المتاني قرية موجودة الى اليوم اما قمراو فهي قميرة خربة واقعة الى الجنوب من صرخد عَلَى مسافة ساعتين ومنها [1] الفقيه موسى القمراوي اديب مناظر حاذق توفي سنة ٦٢٥ ومن شعره

لما تبدى بالسواد حسبته بدراً بدا في ليلة ظلماء
لولا خلافته عَلَى اهل الهوى لم يشتهر بملابس الخلفاء

ومن قرى صرخد العرّمان بتشديد الراء وفتحها والعامة اليوم تخففها قال ياقوت: انشدني ابو الفضل محمد بن مياس العرّماني من ناحية صرخد من عمل حوران من اعمال دمشق لنفسه

يعادي فلان الدين(؟)قوم لو انهم لاخمصه ترب لكان لهم فخر
ولكنهم لم يذكروا فتعمدوا عداوته حتى يكون لهم ذكر

وانشدني ايضاً لنفسه

(1) ياقوت في المعجم

ولما اكتسى بالشعر توريد خده ‏ وما حاله الا نزول الى حال
وقفت عليه ثم قلت مسلماً ‏ الا انعم صباحاً ايها الطلل البالي

وانشدني ايضاً لنفسه يمدح صديقه موسى القمراوي وقمرى قرية من قرى حوران ايضاً قريبة من العرّمان

اصبحت علامة الدنيا باجمعها ‏ تشدُّ نحوك من اقطارها النجب
بأن عَلَى كبد الجوزاء منزلة ‏ تحفها من جلال حولها الشهب
ما نال ما نلت من فضل ومن شرف ‏ سراة قوم وان جدوا وان طلبوا

وفي الجبل الى اليوم قريتان باسم نجران قال ياقوت ان نجران موضع بحوران من نواحي دمشق وهي بيعة عظيمة عامرة حسنة مبنية عَلَى العمد الرخام منمقة بالفسيفساء وهو موضع مبارك ينذر له المسلمون والنصارى ولنذور هذا الموضع قوم يدورون في البلدن ينادون من نذر نذر نجران المبارك وهم ركاب الخيل وللسلطان عليهم قطيعة وافرة يؤدونها اليه في كل عام . وقال مثل ذلك في دير نجران ايضاً وما ندري ان كانت نجران هذه هي نجران جبل حوران ام هي واقعة في السهل من قرى بصر الحريري

وتبين مما تقدم ان العمران قديم في هذا الجبل وليس في الايدي نصوص يركن اليها اللهم الا اذا كان شيء في بطون التاريخ والجغرافيا جاء بالعرض ولم نهتد الى معرفته وقد كان سكانه عَلَى ما ذكر بك آنفا مسلمين ومسيحيين ولم ينزله الدروز الا في القرون المتأخرة ويقول احدهم انهم رحلوا الى جبل حوران منذ نحو مائتين وعشرين سنة ايام ابتدأ قوم من دروز لبنان يهاجرون واولهم أسرة بني حمدان التي بطش بها التنوخيون امراء لبنان ومنذ ذاك الحين اصبح كل من يغلب في الحروب القيسية واليمنية في لبنان ومن عضه الدهر بنابه او غضب عليه الحاكم يرحل الى ذاك الجبل ثم انضم اليهم اناس من دروز وادي التيم وصفد وجبل الاعلي والقنيطرة وجوار دمشق

نزل الدروز هنا وهم مستضعفون فقراء وما زالوا يطردون المخالفين لهم من سكان البلاد الاصليين بالقوة ويستصفون املاكهم ومنها ما هو الى اليوم لبعض ارباب البيوتات في دمشق وبايديهم صكوك بملكيتهم لها حتى كاد الجبل الا قليلا جداً يكون لطائفة الدروز وزعماؤهم بنو الاطرش وبنو الحلبي والمغوش وعامر وناصر والعزام توزعوا عَلَى القرى ومن اكبر زعمائهم بنو الاطرش وبينهم وبين بني مقداد المسلمين سكان بصرى وما جاورها طوائل قديمة يتربص كل منهم بجاره الدوائر منذ نحو قرن ويعتقد الطرشان ان بني

مقداد هم الحائل دون تعديهم حدود جبلهم ولولاهم لامتد سلطانهم عَلَى سهول حوران فاستأثروا بها كما استأثروا بهذا الجبل

واول الوقائع التي قام بها الدروز في الجبل وتمت بها لهم الغلبة وقعة جرت بينهم وبين ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٠ م في جنوبي اللجاة كتبت فيها الهزيمة عَلَى المصريين وقتل منهم الفريق محمد باشا وغيرهم من قوادهم وفي سنة ١٨٣٨ انفذ ابراهيم باشا احد رجاله شريف باشا في اربعمائة فارس الى قرية ام الزيتون في محل يعرف بوادي اللواء على نحو خمس ساعات عن السويداء لتجنيد الدروز فقتلهم الشيخ حمدان الدرزي عن آخرهم ولم يبق الا عَلَى مقدمهم . وكذلك جرى لمحمد باشا القبرصي فلم يظفر بهم

ومنذ ذاك العهد اعتصموا بجبالهم ونشأ لهم شيء من الاستقلال عن الحكومة وايقنوا بانها تخاف بأسهم وتحسب لهم الف حساب وزاد سوادهم وقوتهم في حادثة الستين وقد هاجر اليهم من لبنان كثير من ابناء مذهبهم فاعتزوا بهم خصوصاً بعد ان ثبت ان الدروز هم الذين اوقدوا نار فتنة النصارى منذ خمسين سنة وانتهت بقتل وصلب مئات من اهل دمشق المسلمين ولم يكدر للدروز خاطر ولم يسألوا عما ارتكبوه في تلك الفتنة الاهلية من الفظائع

وما برحوا يفحشون القتل والسلب والتخريب منذ حادثة سنة الستين لان الحكومة استعملتهم اذ ذاك او استعملوا لها بواسطة بعض الدول آلة لمقصد تريده عَلَى مايؤكد العارفون . ولقد قتلوا من جند الدولة والاهالي المساكين مالو احصي لبلغ مقداره نحو نصف سكان الجبل اليوم . ووقائعهم في قرية امولد وقرية الكرك وقرية كحيل والحراك وبصر الحريري وبصرى اسكي شام وجوارها وقرية المليحات ومع عرب المعجل وعرب السرحان وعرب الخريشة وعرب ولد علي وغيرهم مشهورة الى الآن عَلَى الالسن دع عنك نحو عشرين قرية اغتصبها الدروز من الحوارنة في قضاء عاهرة وقضاء السويداء وقضاء صرخد وهي اقضية الجبل اليوم التابعة لمركز اللواء الذي كان اول امس شيخ سعد فاصبح امس شيخ مسكين واليوم غدا درعا

نعم لم يكن سكان جبل الدروز كما قال عارف باحوالهم منذ اربعين سنة الا اقل القليل من سكانه فالجهة الجنوبية اي قرى صرخد وجوارها كانت بايدي المسلمين والمسيحيين من اهالي حوران والقرى الغربية كانت بيد حمولة الزعبية من حوران الى ان اعتاد اشقياء دروز جبل لبنان وحاصبيا وراشيا اي وادي التيم وعكا وصفد والقرى المجاورة لدمشق

والقنيطرة ومن اعتادوا القتل والنهب وقطع الطريق وتعذرت عليهم الاقامة في بلادهم ان يعتصموا في هذا الجبل فضاقت عليهم قراهم الاصلية فجلوا الحوارنة عن بلادهم واصبح جبلهم ملجأ الاشقياء

اما وقائعهم المشهورة فاولها كان سنة ١٢٩٥ شرقية بينهم وبين اهالي بصر الحريري فساقت الدولة عليهم قوة الى موقع القراصة ولما لم تحسن الادارة زاد الدروز جرأة الى ان كانت سنة ١٢٩٧ شرقية وقد هجموا عَلَى قريتي الكرك وام ولد وذبحوا سكانهما عن بكرة ابيهم حتى الاطفال الرضع فكانوا يفسخونهم قطعتين ثم سيقت عليهم قوة بقيادة المشير حسين فوزي باشا اسفرت عن ربط دية شرعية مقسطة عَلَى الدروز وتأسيس قائم مقامية جبل الدروز وجعلها ثماني نواح وتعيين قائم مقام ومديرين للنواحي منهم

وما برحوا يشغلون الحكومة فترسل عليهم الحملات كل مدة ويراوغون ثم يستعطفون رجالها بالكذب والرشى وتارة يتحد اشقياء المقرن القبلي مع عرب السردية فيغزون قبائل بني صخر والحويطات والسرحان وقرى حوران الجنوبية وينضم اشقياء المقرن الشرقي الى عرب الصفا يغزون تجار بغداد والزور واشقياء المقرن الشمالي يتحدون مع عرب الحسن ويغزون قرى جبل قلمون والنبك وحمص ويتحد بعضهم مع عرب اللجاة يسلبون قرى سفوح جبل حوران وتارة يقتلون الموظفين ويمثلون بالعسكر ولا يدفعون الاموال وينهبون التجار حتى ارسلت عليهم الحكومة حملة مهمة سنة ١٣١١ رومية فضربتهم ضربة لو وضعت بعدها الاصلاحات الادارية المعتبرة ولم تعف بعد قليل عن زعمائهم لاستقام الامر ولم يعودوا الى سالف احوالهم حتى صيف هذه السنة

احل[1] اشقياء الدروز في حوران قتل من خالفهم والاعتداء عَلَى مجاوريهم وعَلَى القوافل الآتية من العراق ونجد حتى كادت التجارة تنقطع بين اقطار العراق ونجد والشام بسبب غاراتهم عَلَى الاقاليم المجاورة وخربوا جانباً عظيماً من القرى والمزارع واخذوا المواشي وسفكوا الدماء حتى التجأ اليهم كل من عصا الدولة من العسكر الفار من الجندية ومن الاشقياء وخربت باعمالهم كثير من القرى والمزارع واصبحوا بفعلاتهم يحولون دون امتداد العمران في اطراف هذه الولاية ولولاهم لاستفاض عمرانها ولاسيما من جهة الشرق والجنوب عمراناً تزيد مساحته عَلَى ولاية عظمى من الارض المنبتة ولكفت ملايين من المهاجرين واهل البادية

(١) خليل رفعت افندي الحوراني في جريدة المقتبس

اما الفوائد التي ستنجم من ادخالهم حظيرة الطاعة فامتداد العمران الى الجنوب مراحل كثيرة حتى يبلغ من الازرق الى بلاد الكرك بل قرى الملح الى الجوف فينتفع بما فيها من المياه المعطلة ويمتد من جهة الشرق الى تدمر مسافة عشرة ايام · وتدمر هي المعروفة بتاريخها المجيد · ويتصل من جهة الشمال ببلاد حماة وحلب · ولعل هذا المبحث لا يصدر الا وقد اخلد اولئك العصاة الى السكون بهمة قائد الحملة العام سامي باشا الفاروقي فيضع لهم اساساً راسخاً في الاصلاح لا يتمكن احد من نقض عروته ويعاملون في عهد الدستور بما لم تكن الدولة تعاملهم به ايام الاستبداد ويشرط هذا الجرح النغار بل الآكلة المزمنة في جسم سورية بمشراط الجراح الماهر الذي احسنت الحكومة ظنها به في هذه المهمة فيصبح جبلهم منتاب المصطافين كما اصبح جبل لبنان · من قبل فجبل حوران ليس دون جبل الشيخ وجبل قلمون وجبل اللكام وغيره من جبال سورية بهوائه ومائه ويزيد عليه خصب تربته وبعده عن الرطوبة هذا ويقل الماء الجاري في جبل حوران واكثره ينابيع قليلة تكاد تكفي لشرب الشفة فقط اما الزروع فلا تنمو بالسقيا بل تروى بماء السماء كسائر بلاد حوران وحدث ما شئت ان تحدث عن خصب التربة فان الحبوب تجود فيه كل الجودة وتقل الاشجار فيه اللهم الا الكرم والتين وبعض السنديان والزان واكثر الغابات التي لم يبق منها الا جذوع اشجارها تجدها بالقرب من السويداء وسهوة الخضر وسهوة بلاطة ومياماس وابي زريق وساله وقنوات وعتيل في ذروة الجبل اي في اطراف قليب حوران ولم يبق الا شجرات معدودات بين قنوات والجبل والله اعلم

اصل الدروز (١)

ينسب الدروز الى رجل يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي كان احد اصحاب دعوة الحاكم بامر الله العبيدي ويسمى في كتب هذه الطائفة نشتكين الدرزي والدرزي بالفتح معناه الخياط فارسي معرب والعامة تضم الدال ويقولون في الجمع الدروز والصواب الدرزة محركة · اما الحاكم هذا فانه سادس خليفة من خلفاء الدولة العبيدية ويقال لم

(١) ملخصة من كتاب « حل الرموز في عقائد الدروز » لاستاذنا سليم افندي البخاري من علماء دمشق وهو لا يزال مخطوطاً لم ينشر بالطبع

الفاطميون ولقبه الحاكم بامر الله وكنيته ابو علي واسمه المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بامرالله محمد بن عبيدالله المهدي .

واختلف المؤرخون في صحة نسبهم فبعضهم صححه وجعله متصلا بفاطمة الزهراء عليها السلام ونسب عبيدالله المهدي الى محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق . وطعن اكثر العلماء والمؤرخين في هذه النسبة وجعلوا نسبهم متصلاً بالحسين بن محمد بن احمد القداح وكان مجوسيا وقيل يهودياً فقالوا ان امهم فاطمة بنت عبيد اليهودي واسم المهدي هذا سعيد ولقبه عبيدالله وزوج امه الحسين ابن محمد بن احمد بن عبيدالله القداح بن ميمون بن ديصان وقيل هو سعيد بن احمد بن عبدالله القداح بن ميمون وميمون هذا هو صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة كان يظهر التشيع لآل البيت ونشأ لميمون عبدالله وكان يعالج العيون التي نزل اليها الماء بالقدح (هو اخراج الماء الفاسد منها) وتعلم عبدالله من ابيه ميمون الحيل واطلعه ابوه على اسرار الدعوة لآل البيت ثم سار القداح من نواحي كرج واصفهان الى الاهواز والبصرة ثم الى سلمية من اعمال سورية يدعو الى آل البيت

ثم توفي القداح وقام ابنه احمد مقامه وتوفي احمد وقام مقامه ابنه محمد ثم قام بعده ابنه الحسين وكان ببغداد فسار الى سلمية حيث كان له بها ودائع واموال من ودائع جده عبدالله القداح وكان يدعي انه الوصي وصاحب الامر والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه و يراسلونه واتفق انه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها وهي في غاية الحسن والجمال فتزوجها الحسين المذكور ولها ولد من اليهودي يماثلها في الجمال فاحبها واحب ولدها وادبه وعلمه العلم فتعلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد وهو عبيدالله المهدي وعرفه اسرار الدعوة من قول وفعل واعطاه الاموال والعلامات فدعا له الدعاة .

قال ابن خلدون :ولا يلتفت لانكار هذا النسب لان اغراء المعتضد لابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسلجماسة بالقبض على عبيدالله لما سار الى المغرب وشعر الشريف الرضي في قوله :

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وانف حمي
ألبس الذل في بلاد الاعادي وبمصر الخليفة العلوي

من ابوه ابي ومولاه مولا ي اذا ضامني البعيد القصي
انف عرقي بعرقه سيدالنـ ـاس جميعاً محمد وعلي
ان ذلي بذلك الجد عز وأُوامي بذلك الربع ري

شاهد بصحة نسبهم واما المحضر الذي ثبت بيغداد ايام القادر بالقدح في نسبهم وشهد فيه اعلام الائمة فهي شهادة على السماع ٠

وبدأت دولة الفاطميين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين الى سنة سبع وستين وخمسمائة وفي ايامهم كثرت الرافضة واستحكم امرهم ووضعت المكوس على الناس واقتدى بهم غيرهم وافسدت عقائد طوائف من اهل الجبال الساكنين بثغور الشام كالنصيرية والدرزية ٠ والحشيشية نوع منهم

وكانت احوال الحاكم بامرالله متناقضة فعنده شجاعة وجبن ومحبة للعلماء وانتقام منهم وميل الى اهل الصلاح وقتلهم وسخاء ويبخل بالقليل ٠ لقب نفسه الحاكم بامرالله ولما زاد ظله عن له ان يدعي الالوهية اقتداء بفرعون فاخذ يمهد لذلك المقدمات فلقب نفسه الحاكم بامره وامر الخطباء بان يقرؤا بدل البسملة (باسم الله الحاكم الحي المميت) وصار يدعي علم المغيبات باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وعنده من دعاته رجلان اعجميان من دعاة الباطنية احدهما يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي وثانيهما يقال له حمزة بن علي بن احمد اما الاول فانه قدم الى مصر في اواخر سنة سبع واربعمائة ودخل في خدمة الحاكم ووافقه على اثبات دعوته بالالوهية وصنف له كتاباً كتب فيه ان روح آدم انتقلت الى علي بن ابي طالب ومنه الى اسلاف الحاكم متقمصة من واحد الى آخر حتى انتهت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب في الجامع الازهر بالقاهرة فهجم الناس على مؤلفه ليقتلوه ففر منهم وحدث شغب عظيم في القاهرة ونهبوا بيت الدرزي وقتلوا كثيرين من اصحابه فارسله الحاكم سراً الى بر الشام فنزل بوادي التيم بالقرب من جبل الشيخ وهناك نادى بالوهية الحاكم وكان الامراء التنوخيون الذين قدموا من العراق الى الشام من الباطنية ولذلك كانوا مستعدين لقبول دعوة الدرزي فانقادوا اليها ومن ذلك تسميتهم بالدروز ٠ وقتل الدرزي المذكور في وقعة مع الترسنة احدى عشرة واربعمائة ٠

وثانيهما حمزة بن علي بن احمد وكان وقع الخلاف بينه وبين الدرزي وبعده تقدم مكانه ودعا بلوهية الحاكم فاجابه البعض واتخذ معبداً سرياً لعبادة الحاكم وجعل نفسه

ثانياً له فهو مقدس محترم عند القائلين بالوهية الحاكم يلقب عندهم بهادي المستجيبين وحجة القائم وغير ذلك . وهم يكرهون محمد الدرزي ويشتمونه ويكرهون التسمية باسمه لما انه اراد ان يغتصب منصب حمزة ويتقدم عليه بما فعله كما يعلم من رسالة الغاية والنصيحة من كتبهم . ولما قتل الحاكم قرب حلوان مصر زعم الدروز انه خرج في ليلة منفرداً الى البركة الزرقاء ومن هناك عرج الى السماء مختفياً عن اعين الناس . وكتب حمزة بعد وفاة الحاكم الرسالة المسماة بالسجل المعلق وعلقها على ابواب الجامع وفيها يقول ان الحاكم اختفى امتحاناً لايمان المؤمنين وشرع حمزة يزرع في القلوب بذر الاعتقاد بالوهية الحاكم وتوحيده وعبادته ويجتمع هو واتباعه في المعبد السري يعبدون الحاكم حتى ثارت عليهم المسلمون وظفروا بهم وطردوهم ففروا من مصر ونزل بعضهم في الجبل الاعلى من الديار الحلبية وبعضهم في جهة حوران ثم تفرقوا من هناك فذهب بعضهم الى جبل الشوف والآخر الى وادي التيم ولم يزالوا في نمو وازدياد الى هذا العصر

للدروز عادات قديمة توارثوها منها ان لهم قضاة منهم يحكمون في المعاملات المدنية الجارية بينهم عَلَى مقتضى الشريعة غير انهم يخالفونها في بعض المعاملات بحكم العادة الموروثة فلا يسوغ لاحدهم مثلاً ان يوصي بجميع ماله لاحد اولاده ويحرم الباقي من ميراثه ان كان هذا المال الموصى به من كسب يده واما اذا كان منتقلاً اليه بطريق الارث عن آبائه واجداده فلا يسوغ له ذلك لانه حينئذ يكون من حقوق الأسرة والاصول والفروع متساويان فيه فللورثة استحقاق في تقسيم هذا المال .

ومنها ان المرأة لاترث شيئاً من دار ابيها حتى ان هذه العادة سرت الى مجاوريهم في الجبل من بقية الطوائف . وكذا يخالفون في النكاح والطلاق اذ لهم في ذلك اصول خاصة ولايجوز عندهم الجمع بين امرأتين فان لم يطلق التي عنده لايمكنه التزوج بغيرها وتطلق المرأة بادنى سبب ولايجوز عندهم رد المطلقة ولو كان بعد زوج آخر

ويخالفون في عقائدهم عقائد الفرق من ارباب الديانات لكنهم يستترون بين المسلمين بالاسلام ويتزيون بزي اهله والاحرى ان نقول انهم يتظاهرون بالتبعية لمن يكونون تبعاً له واما في الباطن فانهم ينكرون الانبياء عليهم السلام وينسبونهم الى الجهل وانهم كانوا يشيرون الى توحيد العدم وماعرفوا المولى ويشنعون بالطعن على جميع ارباب الديانات من المسلمين والنصارى واليهود والديانة الحقة عندهم هي عبارة عن توحيد الحاكم

ويفترض عندهم صدق اللسان بدل الصوم وحفظ الاخوان بدل الصلاة ولكن لايجوزون مراعاة ذلك لغير افراد ملتهم

ويقرأون القرآن ويؤولونه بتأويلات تناقض الشرع ويذهبون الى قدم العالم تبعاً لبعض الفلاسفة ويقولون بالتناسخ معبرين عنه بالتقمص فالجسد يسمى قميصاً عندهم وان الميت حين موته تنتقل روحه الى من يولد وقتئذ فالارواح الانسانية لاتنتقل عندهم الا الى قوالب انسانية ويقولون ان الهوية الالهية تنتقل من قالب وتحل في قالب آخر في كل عصر فتتجلى في كل زمن بصورة وتجلت اخيراً في الحاكم وان حمزة ايضاً ظهر في كل عصر بقالب ففي زمان كان فيثاغورس الحكيم وفي زمان كان شعيباً وفي زمان كان سليمان بن داود وفي زمان كان المسيح الحق فهو النبي الكريم عندهم . وحمزة العصر المحمدي هو سلمان الفارسي

ويزعمون ان القرآن قد أوحي حقيقة الى سلمان الفارسي وانه كلامه ومحمد (عليه الصلاة والسلام) اخذه وتلقاه عنه حتى زعموا بان خطاب لقمان الذي خطب به ولده في معرض الوصية بقوله : « يابنيَّ اقم الصلاة وأمر بالعرف وانه عن المنكر » هو خطاب سلمان لمحمد والتعبير بالنبوة انما هو من خطاب المعلم للمتعلم .

ويقسمون الى قسمين العقال والجهال ويقال لهم ايضاً العوام ونساؤهم ايضا ينقسمن قسمين عاقلات وجاهلات فيقال للعاقلة جويدة وللجاهلة غير جويدة والعقال طبقتان طبقة الخاصة هي التي يعتمد عليها ويوثق بها حقاً اذ انها حصلت على تمام المعرفة باسرار الديانة وطبقة العامة وهي التي يحسن الظن بها واما الجهال فلا حظ لهم من الديانة سوى الدخول تحت اسم الدرزية واينما وجد هؤلاء العقال تتخذ هناك معابد للعبادة يسمونها بالخلوة وهي حجرة ضمن حجرة وفي كل ليلة جمعة يلتئم اهل كل طبقة في الخلوة الخاصة بهم ويجتمعون جميعاً في الخلوة الخارجية فيقرأون شيئاً من المواعظ ومن هؤلاء العقال طبقة اتقياء يقال لهم المتنزهون وهم مثابرون عَلَى العبادة والورع ومنهم من لم يتزوج ومنهم من لم يأكل لحماً مدة حياته ومنهم من هو صائم كل يوم ولهم زيادة احتياط في التورع حتى انهم لايذوقون شيئاً من بيت احد من غير العقال والعقال جميعهم يعتقدون ان اموال الحكام والامراء حرام فلا يأكلون شيئاً من طعامهم ولا من طعام خدمهم حتى ولا من طعام حمل عَلَى دابة مشتراة من مال حاكم لكنهم يستحلون اموال التجار من اي جهة كانت فان حصل في ايديهم شيء من مال اعتقدوا حرمته يذهبون به الى احد التجار

فيستبدلونه منه وينزهون السنتهم عن الفاظ الفحش والبذاءة ويتجنبون الاسراف لانه يورث نقصاً في اخلاق الموحدين عندهم

ويحرص الدروز جداً على كتمان عقائدهم ولذلك يعبرون عن مرامهم في كتبهم ورسائلهم بطريق الرمز والكناية و يذكرون مباحث من علم الكلام و بعض مقالات غلاة المتصوفة وتأويلات الرافضة والملاحدة وخصوصاً الاسماعيلية من غلاة الشيعة ثم انهم لاعتقادهم التناسخ وهو التقمص يزعمون انه اذا مات احد من كبار العقال الذين يعتقدون بولايتهم تذهب روحه الى جهة الصين وتحل في قالب ولهذا يزعمون ان لهم وراء جبل الصين كثيراً من الاولياء و يعتقدون انه كان قبل عالم الانس عالم الجن والحن والرم وعوالم اخر ويقولون انه كان قبل دور الحاكم سبعون دوراً وكل دور اربعة آلاف الف سنة « اربعة ملايين » و تسعمائة الف سنة فيكون قد مضى من مبدإ الخليقة الى دور الحاكم ثلاثمائة الف الف سنة وثلاثة واربعون الف الف سنة « ثلاثمائة وثلاثة واربعون مليون سنة » واول الادوار دور العلي وآخرها دور الحاكم وهو دور القيامة و يثبتون لكل دور من السبعين دوراً سبعة نطقاء وسبعة اوصياء وسبعة ائمة فيكون مجموع النطقاء لجميع الادوار اربعمائة وتسعين ناطقاً والاوصياء كذلك والائمة كذلك والناطق هو الرسول والوصي هو الاساس و يقولون ان اصحاب التكليف في كل عصر ستة كما كانوا في هذا العصر ومدة دعوة الناطق السابع مضمنة في مدة دعوة الناطق السادس واولو العزم خمسة في كل دور كما انهم خمسة في هذا الدور الاخير قالوا وانما كانوا خمسة لا غير لان النهاية في القوة عند الخامس من كل شيء ففي المقامات الربانية كانت عند الخامس وهو الحاكم وفي النطقاء انتهى العزم عند الخامس (يعنون به محمداً عليه الصلاة والسلام) وفي الاوصياء عند الخامس (يعنون به علياً كرم الله وجهه) وفي الائمة عند الخامس (يعنون به محمد بن عبد الله القداح) و ينتظرون ظهور يأجوج ومأجوج من داخل الصين و يحترمونه و يقولون يأتي هؤلاء القوم الكرام بالفي الف وخمسمائة الف من العساكر الى مكة وفي صباح اليوم الثاني يتجلى لهم الحاكم بامره من ركن البيت اليماني و يهدد الناس بسيف مذهب في يده ثم يعطيه حمزة وهو ايضاً يقتل الكلب والخنزير ثم يهدم الكعبة و يعطي الدروز حكومة الارض جميعها و يستخدم بقية الناس في حكم الرعية ٠

وبعد فان لهم مواجب دينية وفرائض توحيدية اوجبوا على جميع اهل ملتهم حفظها ومعرفتها والعمل بها وسترها عن غير اهلها وهي اربع وخمسون فريضة ٠ منها عشر مقامات

ربانية وهم العلي والبار وابو زكريا وعلي والعلي والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم وكلهم اله واحد . ومنها اربع تظاهر الباري بها وهي الهيئة والاسم والنطق والفعل فالهيئة هي الصورة التي ظهر بها والاسم هو اسم الحاكم الذي تسمى به والنطق هو المجالس والسجلات التي يتكلم بها وتصدر عنه والفعل هو المعجزات التي كانت تصدر منه كقهر الملوك وقتل الجبابرة وظهوره بين الاعداء وحده وخروجه ايضاً وحده في انصاف الليالي وظهوره في الحر الشديد وقت الهاجرة مع عدم تأثير الشمس في وجهه وعدم رؤية ظل له في ضوء الشمس والقمر وغير ذلك من الامور التي ذكروها معجزات له في كتبهم كالسيرة المستقيمة ومجرى الزمان وغيرهما .

ومنها عشر فرائض توحيدية الاولى معرفة الباريء وتنزيهه عن جميع المخلوقات الثانية معرفة الامام قائم الزمان وتمييزه عن سائر الحدود الروحانيين الثالثة معرفة الحدود الروحانيين باسمائهم ومراتبهم والقابهم وان قائم الزمان اولهم وهو الذي نصبهم وهم مطيعون لامره ونهيه الرابع صون اللسان الخامسة حفظ الاخوان السادسة ترك عبادة العدم السابعة التبرؤ من الابالسة الثامنة التوحيد للمولى في كل عصر وزمان التاسعة الرضى بفعله العاشرة التسليم لامره وهي مذكورة في رساله ميثاق النساء ورسالة البلاغ والنهاية

ومنها عشرة مواجب دينية وهي كن لهم في نفاسهم واعراسهم وجنائزهم على السنة التي رسمت لهم فهذه ثلاثة الرابعة اجيبوا دعوتهم الخامسة اقضوا حاجاتهم السادسة اقبلوا معذرتهم السابعة عادوا من ضامهم الثامنة عودوا مرضاهم التاسعة بروا ضعفاءهم العاشرة انصروهم ولاتخذلوهم وهي في رسالة التحذير والتنبيه .

ومنها عشرون امامية وهي اربعة انواع النوع الاول اسامي وهي خمسة الاول علة العلل الثاني السابق الحقيقي الثالث الامر الرابع ذومعة الخامس الارادة النوع الثاني طبائع جوهرية وهي خمس الاولى حرارة العقل الثانية قوة النور الثالثة سكون التواضع الرابعة برودة الحكم الخامسة ليونة الهيولى فهذه الخمسة هي العقل وطبائعه الاربعة وهي في رسالة كشف الحقائق

النوع الثالث خصائص نورانية وهي خمس الاولى الحمد لمن ابدعني من نوره الثانية وايدني بروح قدسه الثالثة وخصني بعلمه الرابعة وفوض اليَّ امره الخامسة واطلعني على مكنون سره فهذه من كلام حمزة وهي في اوائل رسالة التحذير والتنبيه

النوع الرابع منازل كلية وهي خمس الاولى حد الجسمانيين الثانية حد الجرمانيين الثالثة حد الروحانيين الرابعة حد النفسانيين الخامسة حد النورانيين فهذه المنازل الخمسة هي مجتمعة في الامام وهي مذكورة في السيرة المستقيمة

واما تلقي الديانة واخذها فله عندهم كيفية مخصوصة وهي انه اذا اراد احد من الجهال ان يأخذ الديانة و يدخل في سلك الموحدين ينبغي له ان يستجلب رضى الموحدين بتقديم الوسائل التعطفية مدة لاتقل عن سنتين يلتمس منهم قبوله واد خاله في جماعتهم واعطاءه الديانة فاذا قبلوه ادخلوه عَلَى الامام فيوصيه بحفظ السر وعدم اشهاره ويأمره بتحرير العهد الواجب تحريره اذ لا يكون موحداً خالصاً بدون تحرير العهد عَلَى نفسه فاذا حرره وسلمه الى الامام صار واحداً منهم والعهد الذي يجب تحريره هو المسطور تحت العنوان الآتي :

ميثاق ولي الزمان

توكلت عَلَى مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الازواج والعدد اقر فلان بن فلان اقراراً اوجبه عَلَى نفسه واشهد به عَلَى روحه في صحة من عقله و بدنه وجواز امره طائعاً غير مكره ولا مجبر انه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات كلها عَلَى اصناف اختلافاتها وانه لايعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة وانه لايشرك في عبادته احداً مضى اوحضر او ينتظر وانه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع مايملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع احكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من افعاله ساءه ذلك ام سره ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه عَلَى نفسه واشهد به على روحه او اشار به الى غيره اوخالف شيئاً من اوامره كان بريئاً من الباريء المعبود وحرم الافادة من جميع الحدود واستحق العقوبة من البار العلي جل ذكره ومن اقر ان ليس له في السماء اله معبود ولا في الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين وكتب في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا من سني عبد مولانا جل ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن احمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمرشدين بسيف مولانا جل ذكره وشدة سلطانه وحده اه

السجل المعلق

من المخطوطات المضنون بها عند الدروز السجل الذي كتبه حمزة بن علي هادي المستجيبين وكان سبباً لثورة الافكار في مصر حتى هرب منها ونزل سورية ونشر بها العقيدة الدرزية وهو اكبر القائلين بالوهية الحاكم وهاك بعض فصول منه تفيد مطالعتها في تمثيل حالة هذا القوم ننشرها بحرفها . وهذا السجل هو مقالات منوعة في اغراض شتى فمن مقالاته مقالة : « خبر اليهود والنصارى وسؤالهم لمولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين صلوات الله عليه عن شيء من امر دينهم باعتراض اعترضوه فيه وانكار انكروه عليه والجواب عَلَى ذلك بما اختصهم من القول واسكتهم وانصرفوا مقهورين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم حدث من نثق به ونسكن الى قوله مع اشهار الحديث في ذلك الوقت انه حضر في موقف من مواقف الدهر وصاحب العصر مولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين سلام الله عليه اذ وقف بين يديه بالقرافة في مقابر تعرف بقباب الطير نفر فسلموا عليه فوقف عليهم حسب ما كان يقف عَلَى من سلم عليه فذكروا انهم من اهل الذمة وان لهم حاجة وانهم يهود ونصارى فقال عليه السلام قولوا حاجتكم فقال نسأل حاجتنا اذا امنتنا عَلَى نفوسنا فقال ان طلبة الحوائج لاتحتاج الى امان فقالوا هي حاجة صعبة وسؤال عظيم فقال عليه السلام اسألوا فيما عسى ان تسألوا ولو كان في الملك .

قالوا : يا امير المؤمنين ماهو شيء يتعلق بامر الدنيا وانما هو شيء يتعلق بامر الدين وخطر عظيم فان آمنتنا عَلَى انفسنا ذكرناه وسألناك عنه وان لم تأمنا سألناك العفو وانصرفنا آمنين فعدلك وامنك قد ملأ الغرب والشرق وعطاؤك وجودك قد غمرا جميع الخلق . قال عليه السلام : اسألوا عما اردتم وانتم آمنون بامان الله تعالى وامان جدنا محمد واماننا لامنكوث عليكم في ذلك ولا متأول . قالوا : يا امير المؤمنين ان الذي نسألك عنه خطر عظيم وامر جسيم وانت صاحب السيف والملك ولا نشك في امانك ولكننا نخشى من سفهاء الامة . قال عليه السلام : قولوا وانتم آمنون من جميع الناس والامة . قالوا : يا امير المؤمنين انت تعلم ان صاحب الشريعة الذي هو محمد بن عبدالله الرسول المبعوث الى العرب الذي لهجرته كذا وكذا سنة وذكروا عدد السنين التي لهجرته الى تلك السنة التي خاطبوه فيها انه حين بعث الى العرب وجاهد سائر الامم لم يسمنا الدخول في شريعته

الا ان اخترنا ذلك بلا اكراه او اداء الجزية ولم يكلفنا الا هذا وكذلك كل واحد من ائمة دينه وخلفاء مذهبه ومتفقهي شريعته لم يسمنا ماسمتنا انت اياه من هدم بيعتنا واديارنا وتمزيق كتبنا المنزلة على رسلنا من عندر بنا فيها حكمة بالحلال والحرام والقصاص حتى انك ابحت التوراة والانجيل يشد فيها الدلوك والصابون وتباع في الاسواق بسعر القراطيس الفارغة ٠

وقد اخبر صاحب الملة والشريعة عن ربه فيما نزل عليه ان التوراة فيها حكم الله ثم انه ذكر في غير موضع في الكتاب المنزل عليه تفخيم امر رسلنا والافاضل من تباعهم مثلما هو موجود في كتبنا واكثر القرآن المنزل عليه فيه ذكر موسى وعيسى و يوشع واسماعيل واسحق و يعقوب و يوسف وزكريا ويحيى وهؤلاء كلهم انبياؤنا وائمة شرائعنا ومثلما ذكروا الفضلاء منا مثل بقايا موسى وحواري عيسى وما حكاه ايضاً في الكتاب المنزل عليه من تفضيل قسسنا ورهباننا بقوله ان فيهم قسساً ورهبانا واذا سمعوا ما انزل الى الرسول تفيض اعينهم بالدمع مما عرفوا من الحق ولو استقصينا كل ماجاء في الكتاب المنزل عليه من تفضيل رسلنا وتفخيم كتبنا لكان اكثر ما نزل عليه في هذا المعنى ثم قد كان من خلفاء الملة وائمة الشريعة من المحمودين آبائك والمذمومين اعدائهم واعدائك مثل بني أمية و بني العباس ممن عتا في الارض وملكها طولا وعرض (؟) مع اتساع ملكهم وعظم سلطانهم وكان يخطب لهم في كل بقعة بلغت اليها دعوة رسولهم وصاحب شريعتهم ولم يحدث علينا رسماً ولا نقضوا لنا شرطاً اقتداء منهم بصاحب ملتنا وشريعتنا المذكورة على لسان نبيهم ٠ فمن اين جاز لك انت يا امير المؤمنين ان تتعدى حكم صاحب الملة والشريعة وفعل الخلفاء والائمة الذين ملكوا قبلك البلاد والامة وليس انت صاحب الشريعة بل انت احد ائمة صاحب الشريعة واحد خلفائه والقائم في شريعته لتتممها وتشد اركانها وبنيانها و بذلك نطقت في كلامك في غير موضع من مواقفك التي خاطبت بها واشهر ذلك عنك اقرب الناس اليك من اوليائك وانت تفعل معنا مالم يفعله الناطق معنا ولا احد من ائمته وخلفائه كما ذكرناه وهذه حاجتنا التي سألناها وامرنا الذي قصدناه وطلبنا الامان عليه ونريد الجواب عنه فان يكن حقاً وعدلاً آمنا به وصدقنا وان يكن متعلقاً بالملك والدولة والسلطان بقينا على اديانا غير شاكين في مذاهبنا وازلنا الشبهة عن قلوب المستضعفين من اهل ملتنا وماجئناك الا مستفهمين غير شاكين في عدلك ورحمتك وانصافك وعلى هذا اخذنا امانك وقد قلنا الذي عندنا واخرجناه من اعناقنا

كما تقتضيه اديانا والامر اليك فان تقل لنا سمعنا واطعنا واجبنا وان اذنت لنا ولم تقل انصرفنا ونحن آمنون بامانك الذي امنتنا فقال عليه السلام : اما الامان فباق هو عليكم واماسوءالكم فما سألتم الا عما يجب لمثلكم ان يسأل عن مثله واما نحن فنجيبكم ان شاء الله ولكن امضوا وعودوا الي هاهنا ليلة غد · وليأت كل واحد منكم يعني من اليهود والنصارى بافقه من يقدر عليه من اهل ملته في هذا البلد ليكون الجواب لهم والكلام معهم

ولما كان في ليلة غد حضر القوم في المكان بعينه ووقفوا وسلموا وقالوا قد اتينا بمن طلبه امير المؤمنين منا وقدموا احد عشر رجلاً ومن قبل سبعة فقال لهم امير المؤمنين صلوات الله عليه : لهؤلاء اخترتم ولهم قدمتم قالوا باجمعهم : نعم يا امير المؤمنين قال للنفر : وانتم رضيتم ان تكونوا متكلمين عن اهل ملتكم نائبين عنهم قالوا : نعم قال : فهل تعلمون في هذه البلدة من اهل ملتكم من هو افقه منكم قالوا : لا قال عليه السلام : وانتم تحفظون التوراة والانجيل واخبار الانبياء قالوا : نعم قال عليه السلام : (انتم) عارفون بمبعث صاحب الشريعة الذي انا قائم بامته وذاب عن شريعته وسيرته واخباره وماجرى بينه وبين رؤساء ملتكم ومتقدميكم من اليهود والنصارى من الجدل والمسائل والاحتجاجات ومن سلم لامره منهم ومن لم يسلم من مبعثه الى حين وفاته · قالوا : لم نحط بذلك كله بل احطنا باكثره مما يلزمنا حفظه وعلم مما جرى بينه وبين علمائنا تصحيحاً لمذهبنا وشريعتنا وذلك عندنا محفوظ مدون مكتوب تتوارثه احبارنا واحبار عن الاولين من قبلنا حتى وصل ذلك الينا و يتصل بغيرنا كما وصل الينا الى ان يرث الله الارض ومن عليها ·

قال عليه السلام : ان اصحابكم سألوني البارحة عن سؤال بعد ان اخذوا اماني عَلَى نفوسهم ووعدتهم ان اجيبهم عن سؤالهم اذا احضروا علماءهم وقد حضرتم واعترفوا لكم بالعلم والفضل وصدقتموهم انتم على ذلك واعترفتم عندي به لما قلت لكم اتعرفون في هذه البلدة من هو اعلم منكم من اهل ملتكم باخبار صاحب شريعة الاسلام ونسبه وشيعته وعلمه وشريعته قلتم : لا · وانا اسألكم وفي آخر السؤال اجيبكم واخبركم بما سألوني عنه اصحابكم واماني باق عليكم وعليهم عَلَى شرط وهو اني كلما سألتكم عن شيء يقتضيه مذهبكم وشريعتكم ومذهب صاحب ملة الاسلام وشريعته فتجيبوني عنه بما هو مأثور في كتبكم المنزلة على انبيائكم ومدون في كتب رؤسائكم وعلمائكم واحباركم ومالم يكن عندكم ولا تعرفونه

ولا تؤثرونه في كتاب منزل ولاقول حكيم مرسل فردوه علي وادفعوه بحججكم التي عسى ان تدفعوا بها سواي وما عرفتموه وفهمتوه فلا تنكروني اياه لقيام الحجة عليكم به وفيه قالوا : نعم قال لهم ان صدقتم فاماني بعمكم وان كذبتم انفسخ اماني عنكم وعاقبتكم وكانت عقوبتكم جزاء الكذبكم ارضيتم ؟ قالوا : نعم قال : ابلغكم انه لما كان في كذا وكذا من هجرة الرسول صاحب شريعة الاسلام اتاه رؤساء شريعتكم وعلمائكم من الملتين اليهود والنصارى وهم فلان وفلان وفلان وسمى لهم رجالاً من احبارهم ورهبانهم وامسك . قالوا : نعم يا امير المؤمنين وفلان وفلان وفلان وسموا له بقية اسماء الرجال حتى اتوا عَلَى آخرهم . قال عليه السلام . قد صح عندي انكم صدقتم لما تممتم اسماء الرجال الباقين الذين بدأت انا بذكرهم افي ذلك عندكم شك تشكون فيه او ريبة ترتابون بها قالوا : لا قال لهم : لما استحضرهم ما قال لهم : قالوا : يقول امير المؤمنين فمنه القول ونحن سامعون فما عرفناه اقررنا به وسلمنا فيه ومالم نعرفه ولم يكن مأثوراً عندنا ذكرنا لامير المؤمنين . قال عليه السلام : قال لهم صاحب الملة والشريعة : الم تكونوا منتظرين لزماني متوقعين لشخصي وترجون الفرج مع ظهوري فلما ان ظهرت فيكم واعلنت دعوتي وشهرت امر ربي كذبتموني وجحدتموني ونافقتم عليَّ فطائفة منكم قاتلوني وطائفة رحلوا من جواري حسداً لي وبغضة حسبما تفعله الامم الباغية في الازمان المتقدمة اذا ظهر مثلي سنة سنتها الظالمون اولهم ابليس اللعين مع آدم الكريم فهل كان ذلك منه اليهم قالوا : نعم قال : فاذا علمتم ان ذلك قد كان منه فما كان جوابهم له عن ذلك بعد استماعهم كلامه قالوا : قد قلنا اولى لامير المؤمنين ان يقول ولنا ان نسمع ونحن محمولين عَلَى الشرط الاول الذي شرطه امير المؤمنين علينا اما ماعرفناه اقررنا به وما لم نعرفه انكرناه فنربح في ذلك سلامة ادياننا بالتصديق بالحق وسلامة انفسنا من القتل بالتزام الشرط

قال لهم امير المؤمنين عليه السلام : كان جوابهم انهم قالوا : ما انت الذي كنا منتظرين لزمانه متوقعين لشخصه ولا الذي نرجو الفرج مع ظهوره قال لهم : ما دليلكم على صحة ذلك اني ما انا هو قالوا : ماهو مأثور عندنا وموجود في كتبنا وبشرت به انبياؤنا لاممهم قال لهم : ماهو بينوه قالوا : ثلث خصال احدها ليس اسمه كاسمك وقد نطق بذلك لسانك في نبوتك وجهرت به لاصحابك وجعلت ذلك فضيلة لك فمنه آخذناك لما قلت ماحكيته عن المسيح ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يحلل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث ويضع عنكم ضركم والاغلال التي كانت عليكم فهو كما قلنا ما انت المسمى اذ

اسمك محمد والذي بشرت به باتفاق مناومنك اسمه احمد والثانية مدته قد بقي لها اربعمائة سنة من يوم مبعثك الى حين ظهور هذا المنتظر فقد خالفته ايضاً في الاسم والمدة والثالثة المنتظر انما يدعو الى توحيد ربه بلا تعطيل ولا تشبيه ولا كلفة تلحق نفوسنا حسبما ذكرته في تنزيلك من تحليل الطيبات وتحريم الخبائث ووضعه عنا اصرنا والاغلال التي كانت علينا فاي حجة بقيت لك علينا وليس اسمك اسم من ينتظر بقولك ولا فعلك فعله ولا المدة مدته فقد خالفته كما قلنا في الاسم والمدة والفعل واذا كنت انما تدعون الى شريعته فبقاؤنا في شريعتنا آثر وخير لنا

وصفة المنتظر عندنا رفع التكليفات وانقضاء الشرور ورفع المصائب والشكوك وان لا يتجاوزه في عصره كافر ولا منافق وانت اكثر اصحابك يظهرون النفاق عليك وانما بغلبة سيفك عليهم سلموا لامرك واذا كان ذلك كذلك فلم تلومنا عَلَى قتالك وتناقانا عَلَى طاعتك والدخول في شريعتك ٠ ثم قال لهم اميرالمؤمنين عليه السلام : اكذا كان قالوا : نعم كذلك كان وكل قولك حق وصدق ٠ قال: فما كان جوابه لهم عن هذا الكلام قالوا: يقول امير المؤمنين حسبما جرت به العادة ونسمع ونعترف بالجواب اذا علمناه وننكره اذا جهلناه قال لهم عليه السلام : اما اذا عرفتم ذلك وعلمتموه فلا شك انكم تعرفون صفة الحال كما جرت ان شاء الله ٠ ثم قال امير المؤمنين عليه السلام : كان جوابه لهم لاقاتلكم عَلَى الدخول في ملتي والتكذيبي والصدوف عن امري لانكم اصحاب شرائع وكتب ومتمسكون بامرها ناطقون وليس اقاتل من هذه صفته ولا انا رافع الشرائع ولا ذلك كله الي بل كلما ملكت بلداً بسيفي ممن فيه عبدة الاوثان والتناذر فلي ان الزمهم الدخول في ملتي اواقتلهم ومن كان في البلدة منكم عرضت عليه اما الدخول في ملتي واتباع امري وشريعتي او اداء الجزية فاذا كره الوطن الذي ملكته وبسيفي فتحته فمن وزن الجزية منهم اقررته في مكانه ومن انتقل عني تركته ومن قاتلني منهم عَلَى مثل ذلك قاتلته وانتظرت فيكم حكم ربي قالوا : لك ذلك فما قلت الا حقاً ولا نرى منك الا صدقاً قال لهم : اذا استقر ذلك بيني وبينكم وقد تأولتم علي ورفعتم منزلتي وفضلي الذي قد اتاني من عند ربي وزعمتم ان الذي تنتظرونه له اسم تعرفونه وفعل تعلمونه ومدة تنتظرونها وهي من مبعثي الى حين ظهور هذا المنتظر بقي له اربعمائة سنة فاكتبوا بيني وبينكم مواضعة تتضمن كل ذلك وذكره وعَلَى انكم تدفعون اليَّ الجزية طول تلك المدة التي ذكرتم ان المبعوث اليكم فيها يأتي غيري فان كنت من جملة المخرصين الكذابين فانتم تكفون مؤنتي ويرجع اليكم

الملك اذا ظهر من تنتظرونه وان لم يظهر ومدتي قائمة وشريعتي ماضية وحكمي لازماً ولم يأتكم في هذه المدة من تنتظرونه فلصاحب ملتي والقائم بدعوتي والامام الذي يكون في ذلك العصر ان يدعوكم الى مادعوتكم اليه اليوم فان اجبتموه وسلمتم وان ابيتم عليه كما ابيتم علي وصددتم عنه واستكبرتم فله ان يأخذكم بالشرط الذي شرطتموه عَلَى انفسكم ويقابلكم فان قاتلتموه قتلكم ولا يقبل لكم عذراً و يستبيح ملتكم ويهدم شريعتكم بهدمه لبيعكم و يعطل كتبكم ويكون ما بقي لكم عذر تحتجون به ولامحال تركنون اليه ولا ابليس تعولون عليه وهو المنصور عليكم يقطع شأفتكم وشأفة كل الظالمين فهذا نص المواضعة اهكذا هو قالوا : نعم قال امير المؤمنين عليه السلام : والمواضعة لم تزل تنتقل من بعد صاحب الشريعة والملة من وصي صادق الى امام فاضل حتى وصلت اليَّ فهي عندي فلم يكن عليه السلام ان ينقض شرطاً أسسه وحكما بينه وهو معروف وقت ان نشأ في الجاهلية محمد الامين فكيف ينقض ما انم به عليكم ولم يجز لاحد من ائمة دينه وخلفاء شريعته ان ينقض ما امر به من قبل انقضاء المدة اتباعاً وتسليماً لحكمه فلما وصل الامر اليَّ وانقضت تلك السنون المذكورة في المواضعة في عصري وعند تمامها امري اخذت منكم بحقه ودعوتكم الى شرطكم وشرطه حسب ماتقتضيه الامانة وحكم المعاهدة اكذلك بلغكم انه صفة الحال قالوا : نعم كذلك كان قال : فاي حجة بقيت لكم عليه وعليَّ بعدما اوضحناه واي امر تعديت فيه بزعمكم عليكم اذا كنت بشرطكم اخذتكم وما كنتم تنتظرونه اقمته عليكم وقد اوسعتكم حلماً وعدلا اذا بقيت نفوسكم عَلَى اجسامكم ونعمكم عليها امها(؟)لالتنتبهوا بعد الغفلة وتسلموا بعد المعاهدة فاي حجة لكم بعدما وصفناه واي حق معكم بعد ماقلناه واي عذر يقوم لكم بعد ماشرحناه قولوا واسألوا اتجابوا وتنصفوا ولا يكون لكم قولا ولاحجة فانصرفوا محجوجين كاذبين نادمين شاكين خائبين فقال : ماذا تقولون قالوا باجمعهم هذا والله كله حق وصدق لانشك فيه ولا نرتاب به قد سمعنا لو فهمنا ولله الحجة البالغة رب العالمين وصلى الله عَلَى نبيه وآله الطاهرين ٠ تم الكلام في هذا الفصل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله وحده وبه نستعين» اه

وسننشر في الجزء الثالي نتفاً من هذا المخطوط ايضاً جلاء لحقيقة الغامضة

اللاما وعابدوه

عرف المطالعون من مواطنينا كثيراً عن غرائب ديانات البشر وعقائدهم ومعبوداتهم القديمة والحديثة ولكن نظن انه لم يخطر لعاقل منهم ببال انه يوجد حتى اليوم امم عريقة في التمدن وهي تعد بالملايين تعبد انساناً حياً مثلهم وتقدم له من انواع التكرمة والتبجيل والاعظام مالا ينبغي تقديمه الا للاله الحي الازلي القيوم فان اللاما وماادراك ما اللاما ان هو الا بشر كسائر الناس يأكل ويشرب ويضحك ويبكي ويخطئ ويصيب ومع ذلك فالملايين من الصينيين والهنود والمغول يؤلهونه تأليهاً ويبذلون له من ضروب العبادات مايقضي بالحيرة والاستغراب والذهول هذا ولما كان الموضوع غريباً عجيباً وقد لايخلو من الفائدة لمن تتبع تاريخ واحوال وشؤون الامم وما انطوت عليه من الشذوذ والمدهشات رأينا ان نطرفهم بهذه المقالة آخذة بناصيتي الايجاز والوضوح فنقول:

ان الدين اللاماوي قديم جداً مرّ عليه زهاء ثلاثة آلاف سنة وهو زاه سائد منتشر في مساحة من المعمور تقرب من سبعمائة الف ميل ممتدة من ينبوع نهر « الاندوس » الى حدود الصين ومن تخوم الهند الى قفر « كوبي » وتسمى هذه المملكة « ثيبة » او « تيبت » وعدد سكانها يتجاوز الستة ملايين وهي مجاورة لجبال حملايا وترتفع عن سطح البحر نحو عشرة آلاف قدم بيد ان هذا الدين لم ينحصر في تلك المملكة فقط بل تسربت تعاليمه ايضاً منذ عصور متطاولة الى قبائل وفصائل كثيرة من امة التتر المتجولة بين ضفاف نهر « الولكا » و « كوريا » بجوار بحر اليابان والى كثير من جزائر الهند ومقاطعات الصين حتى يقول الباحثون ان الذين يدينون بهذا الدين لا ينقصون عن مئة مليون اكثرهم ممن لهم اقدام راسخة في المدنية الشرقية وعراقة تامة في الحضارة بين اصحاب اللون الاصفر والقوقاسيين من شعوب آسيا الكبرى

ومقر عرش هذا المعبود « استغفر الله » انما هو قصر يسمي « باتولي » مبنيّ في ذروة جبل عَلِيّ مقربة من شاطئ « بارامبوتر » بينه وبين « لاسا » عاصمة البلاد سبعة اميال وفي حضيض ذلك الجبل يقيم نحو عشرين الفاً من الكهنة تتفاوت رتبهم الدينية بحسب بعد منازلهم وقربها من عرش « اللاما » معبودهم الاكبر

وهم يعتقدون انه ازليّ لايموت محيط بكل الامور جامع لانواع الفضائل ويسمونه

«اب السماوات» وهو لا يرى الا في مكان سري في قصره يجلس فيه الاربعاء بين مئات من المصابيح الذهبية وعليه من الحلي وانواع الجواهر النفيسة مايقصر عنه الوصف فيتقاطرون الى زيارته من كل صوب واوب وحدب في موسم معلوم وقليل منهم من يفوز بالدنو منه على قيد اذرع ويكتفي الذين ينالون شرف الدخول الى مقدسه ان يطرحوا انفسهم الى الارض ركعاً سجوداً وهم بعيدون عنه مرمى النظر اجلالاً له وتكريماً ولا يخص بهذه المنحة السامية الا الملوك وعظماء الامراء وزعماء القبائل فيرونه عن بعد من طرف خفي دون ان يخاطبوه او ينبس لهم ببنت شفة

وهذه الزيارة تكفي عندهم لمغفرة كل ما اجترحوه ويجترحونه من الآثام والكبائر مدى الحيوة ومن العجب انهم يأخذون من رجيعه مايذخرونه في اوعية صغيرة ذهبية ثم يعلقونه كالتمائم والتعاويذ في اعناقهم واعضادهم يستشفون بها من الامراض ويدفعون كيد الابالسة ونزغات الشياطين وهم يشترون تلك الذخائر الرجسة بالوف مؤلفة من المال ومن حصل على مثقال منها فقد نال بزعمهم سعادة الدارين وجمع بين الحسنيين وقد يدخلون الى مطاعمهم ولو بعض نقاط من مفرزه المائي ولكن هيهات ان ينال ذلك منهم الا كل رفيع القدر نافذ الكلمة واسع العطاء فمن خدمه الحظ وخازمه التوفيق بحيث يتهيأ له ان يجمع بين «المفرزين» معاً فهو بين الاقطاب الاعلام امجد من الاسكندر في عصره او فرعون في مصره فيالله مما تحط اليه مدارك البشر

وللاما سلطان سياسي فضلاً عن سلطانه الديني ومع ان بلاده تحسب منذ القديم تابعة للامبراطورية الصينية وتؤديها بعض الجزية فهو يدير حكومة بلاده مستقلاً بواسطة عمال يسمونهم «خانات» ومامن مدافع وله في «باكين» وغيرها من العواصم في الشرق الاقصى سفراء وامبراطور الصين ذاته يؤدي له الطاعة والاحترام كمعبود ولاعوانه الكثيرين الذين يسمونهم «اللاموبين الصغار» انفذ سلطة واسمى مكانة بين عامة الناس وخاصتهم وهم يجبون الهدايا ويجمعون النذور من جميع بلاد المغول وثيبة والهند الغربية وغيرها وغيرها باسم «اللاما العظيم» ومع كونهم فاسدي الاخلاق قبيحي السيرة منغمسين في الملاذ البهيمية يحترمهم الناس اعظم احترام ولهم جميعاً من الثروات الطائلة ما اصارهم في المقام الاول بين متولي تلكم الاصقاع وموسريها

وعندهم ان «اللاما» متى ادركه الهرم او مات بسبب آخر من اسباب الموت تفارق روحه ذلك المنزل المتهدم القديم لتحل في مسكن اقوى وامتن فتنتقل تلك الروح الى جسد

طفل له عندهم علامات وفروق خاصة كالعجل « آبيس » عند قدماء المصريين فيبحثون عنها بواسطة اللامو بين الصغار حتى اذا تحققوا وجودها في اي طفل كان قالوا — هذا هو اللاما — فاتخذوه خلفاً لسلف قبله واقاموا عنه نواباً منهم حتى يبلغ اشده وعَلَى هذا لا يكون ذلك في زعمهم موتاً طبيعياً بل هو من قبيل الانتقال المادي من موئل الى آخر

وهم يؤمنون بآله واحد يثلثون اقانيمه كما يثلث الهنود « برهما » ويزعمون انه ظهر اول مرة (سنة ١٠٢٦ قبل الميلاد) وكان يملك في بلاد الهند وهو متجسد يموت في الظاهر ولكنه في الحقيقة يتنقل كما ذكرنا من مسكن الى آخر مع انه ازلي حيٌّ سرمديٌّ لا يموت ويريدون به نفس اللاما العظيم الذي يسميه الصينيون « هوفو » اي الاله الحي

ثم هم يؤمنون بخلود النفس والثواب والعقاب ولهم صلوات واصوام وذبائح وقرابين وكهانة ذات فروض ونذور ومناسك وصوامع واديار وعدد كهنتهم يتجاوز الثلاثين الفاً وكلهم يلبس البسة خاصة ذات مناطق صفراء وقبعات تختلف اشكالها واوضاعها باختلاف رتبهم الدينية ولهؤلاء الكهنة مدارس تلقنهم فروض الدين ونواميسه وتعاليمه وشيئاً من الطب وعلم الهيئة وضروباً من الشعوذة والتدجيل يمخرقون بها عَلَى العامة المخدوعة باساليبهم السحرية غير ان دهاء الانكليز الذين يستسهل امرهم بعض متهوسي الكتبة ذوي الاماني والاحلام لم يدع هذه الزمرة المضلة وآلهها الدجال ليتمتعون بما توارثوه عن آبائهم منذ آلاف اعوام من المجد السامي والمكانة العليا بل ما برحوا منذ بعض قرون فآتياً يبثون دعاتهم ورسلهم وينصبون شباكهم واحابيلهم بين اللامو بين متذرعين بكل وسيلة من وسائلهم الفعالة لبسط نفوذهم وتمتين دعائمهم في تلك الاقطار حتى الجأوا اللاما واشياعه بعد حملات سالت فيها الدماء سيل الماء الى موالاتهم والدخول في حمايتهم وتحت سيطرتهم الى غير ذلك مما كشف القناع عن بصائر الصينيين وامات ثقتهم وصدق يقينهم بذلك المعبود الكاذب فنهضوا عليه نهضة رجل واحد واجلوه عن مقدسه فمضى هارباً صاغراً مدحوراً لا يلوي عَلَى شيء يلتمس من مواليه الانكليز حماية روحه وماله الى غير ما هنالك مما فاضت ببيانه صحف الاخبار وجاء منطبقاً عَلَى ما يريد الانكليز خلافاً لما يتوهمه البعض ممن ينظرون الى المرامي السياسية بعين الاحول فسبحان مصرف الامور بحكمته ومقلب الاحوال بقدرته ان له لآيات تترى تبدو من خلال تعاقب الليل والنهار

ومن غرائب هذه البلاد ان الهوآء فيها مع ارتفاعها المتناهي عن سطح البحر ومجاورتها لاعظم جبال آسيا انما هو بارد جاف لامطر فيه اصلاً حتى ان الثلج قلما يرونه في تلك الاصقاع والخشب هنالك لايبلى بل يصير صلباً حتى يضارع الصوان ويبقى مع الدهر كذلك اللحم اذا عرضته للهوآء يجف حتى يمكن سحقه بسهولة فيصير ناعماً كالكحل وهكذا يفعلون

ومع انه لا ينبت فيها شجر برّي قط تجد في اوديتها المحجوبة عن الزعازع والاعاصير اشجاراً مثمرة كثيرة كالتفاح والتين والكرم والرمان والجوز وهناك يزرع الارز والحنطة والشعير وما يماثله من انواع الحبوب فتكون غلته جيدة بخلاف نجادها المرتفعة المعرضة للرياح فانها لاتصلح للزراعة الا شذوذاً

وهي غنية بمعادنها الثمينة فان الذهب والفضة والحجارة الكريمة كالزبرجد والماس توجد هنالك بكثرة كما يوجد ايضاً الرصاص والزئبق والحديد والبورق والملح

واهلها عَلَى غرابة دينهم وخشونة شعائره لينو العريكة دمثو الخلق خفيفو الروح اولو شجاعة وكرم وامانة ومروءة ينزعون الى الحرية والاستقامة والصدق في معاشراتهم ومعاملاتهم ولهم كاهالي فينيقية الاقدمين اشد الولوع بالتجارة عَلَى اختلاف مناحيها واكثرهم زاهد في الزراعة لعقم اراضيهم وتحلها ولكنهم يشتغلون باستخراج المناجم والتعدين ولهم حذق عجيب بتثقيف الحجارة الكريمة واصلاحها واظهار رونقها ولمعانها

ولغتهم وان كانت من ذوات المقطع الواحد الا انها واسعة يعبر بها عن المعاني الفلسفية والدينية مهما كانت دقيقة غامضة بسهولة وجلاء وهم يكتبون بها من الشمال الى اليمين كما يكتب الهنود باللغة السانسكريتية ومكتبتهم غنية في آدابها واكثرها اناشيد وتراجم وشروح مستمدة من كتب البوذيين المقدسة

ويذهب اكثر علماء (البيولوجيا) ان اصل هذه الامة مغولي ويقيم بين ظهرانيها قليل من المسلمين ومعظمهم من اهالي كشمير ويوجد هنالك ايضاً بضعة آلاف من الكاثوليك

ويكثر عند اللامويين تزويج جملة رجال بامرأة واحدة كاهالي جزيرة سيلان وهي عادة مستفيضة في كل امة او بلاد تقل نساؤها ويكثر رجالها

ولقد اختلف الكتبة والمؤرخون كثيراً في اسم هذه المملكة فمنهم من يدعوها (ثيبة) ومنهم من يسميها (تيبت) وبعضهم من قال انها (تبت) ولقد ضبطها ياقوت

الحموي بالباء المشددة اما الاوربيون فيرسمونها هكذا (Thibet) واول سائح استقرأ تلك البلاد هو (توماس مانني) وذلك سنة ١٨١٢ للميلاد ثم وليه القس (هوك) سنة ١٨٤٥ و١٨٤٦ وانما استقراؤهما اياها لم يتجاوز القسم الغربي منها ولكن دعاة اليسوعيين قد عرفوا قبلها العاصمة (لاسا) وما حولها منذ القرن السابع عشر اما سائر اقسام المملكة ولا سيما الشرقية والشمالية فهي مابرحت حتى اليوم مستغمدة احوالها في سحاب كثيف وتعد عند الجغرافيين من مجاهل الارض

هـذا مجمل ما امكن الوقوف عليه بعد التدقيق والتنقيب عن احوال تلك المملكة الغربية في ديانتها وعباداتها في اقليمها و بيئاتها في طبائع اهلها وعاداتهم اخذناه محصلاً عن عدة مصادر هي محل الثقة ثم اطرفنا به المقتبس تفكهةً لقارئيه وتبصرةً وذكرى

دمشق سليم عنحوري

قانون تكاليف العقارات

﴿ الفصل الأول ﴾

في العقارات التي عليها تكاليف

المادة الأولى — يفرض عَلَى العقارات في كل قضاء تكليف واحد بنسبة دخلها ويكون هذا بدل التكاليف الحاضرة وهي الخراج « و يركو » وحصة المعارف والتجهيزات وذلك اعتباراً من السنة المالية التي تلي تحرير هذه العقارات وتخمين ايرادهـا وفقاً لاحكام هذا القانون ويجوز ضم شيء عَلَى اصل هذا التكليف للمعارف والامور النافعة لاهل ذلك القضاء بشرط ان يعين الحد الاعظم لهذه الضمائم في قانون الميزانية كل سنة ٠ تعتبر كل دائرة بلدية في الاستانة والبلاد الثلاثة « بك اوغلي ، اسكدار ، ايوب » قضاء عند تطبيق هذا القانون

المادة الثانية — العرصات المستعملة مخازن ومعامل للتجارة والصناعة تعد من نوع العقارات وان لم يكن فيها بناء وسقف

المادة الثالثة — تعتبر افنية العقارات وحدائقها من متممات الابنية ويفرض عليها مع الابنية تكليف على نسبة سعتها وتعين هذه النسبة بنظامات خاصة ٠ اما الزائد من

الافنية والحدائق عن النسبة المذكورة اذا لم يستعمل للتجارة والصناعة كما هو محرر في المادة الثانيه فيتبع قانون تكاليف الاراضي والعرصات . والعرصات المتصلة بالطواحين والمعامل لوضع لوازمها ومصنوعاتها تعد من مشتملاتها وتعتبر مثلها من حيث التكاليف

المادة الرابعة — الاستثناء يكون اماداًئماً اوموقتا . اما المستثنيات دائمافهي :

١ — عقارات الدولة

٢ — عقارات الحضرة السلطانية سوى ماهو للاستغلال منها

٣ — عقارات البيت السلطاني المحررة اسماؤهم في الميزانية العامة في فصل رواتب البيت السلطاني عَلَى شرط ان يسكنوها .

٤ — عقارات البلديات والقصبات والقرى التي يستعملها الناس ولا ايراد لها .

٥ — التكايا والزوايا المصدق عليها في الدوائر الرسمية و بيوت العبادة والاديار وتتماتها التي في حريمها (يشترط في هذه ان لاتكون مستأجرة)

٦ — العقارات المخصصة لاقامة الخدمة والمشايخ والمتولين المصرح بها في الوقفيات اذا لم توجر اوتستأجر

٧ — العقارات الخاصة بالمدارس والمعارف ودور الخير اذا لم توجر اوتستأجر

٨ — الدور التي يسكنها الفلاح والمزارع اللذان يحرثان و يزرعان بنفسهما والدور التي يسكنها حراس المزارع والاراضي والحراج والمحلات المعدة لايواء الحيوانات وحفظ الحاصلات والآلات والادوات الزراعية (ان جميع العقارات المدرجة في هذه الفقرة الثامنة مشروط بها ان تكون خاصة باستثمار اراضي القرية اوالمزرعة وان لاتكون مفرزة من الاراضي المعدة للزراعة وموجرة)

٩ — الحظائر والزرائب والمحال الخاصة بتربية الحيوانات ودود الحرير .

المادة الخامسة — تبقى العقارات المعفاة من التكاليف بموجب معاهدات وفرامين اووثائق اشترطتها الحكومة عَلَى نفسها مستثناة من التكاليف كما كانت و بعد الآن لا يقبل استثناء سوى المواد التي ذكرت في المادة الرابعة الا بقانون مخصوص

المادة السادسة — تعين الادارة المركزية نوع العقارات المذكورة في المادة الخامسة والفقرات الاولى والثانية والثالثة والخامسة والسادسة والسابعة الواردة في المادة الرابعة

المادة السابعة — المستثنيات موقتاً هي :

١ — الطواحين والمعامل في خلال خمس سنوات مالية تلي السنة التي تم فيها الانشاء

٢ — المساكن التي أنشئت لاسكان العشائر السيارة والمهاجرين الاولى لعشر سنوات مالية والثانية لخمس سنوات مالية تمر بعد السنة التي تم فيها الانشاء سواء أنشئت هذه المساكن من قبل الحكومة اومن قبل العشائر او المهاجرين انفسهم ٠

٣ — الابنية الجديدة الحجرية والخشبية الاولى لمدة سنتين والثانية لمدة سنة واحدة تلي السنة التي تم فيها البناء الحجري اوالخشبي ٠ يجب عَلَى اصحاب البناء ان يعطوا في خلال شهرين من مباشرتهم البناء مأموري المالية في ذلك القضاء بياناً يتضمن موقع الابنية ونوعها وجهة استعمالها ٠ فاذا لم يعط هذا البيان في مدته المعينة يطرح عليه تكليف العقار اعتباراً من السنة المالية التي تلي ختام الانشاء ٠ متى اجر البناء كله او جزء منه اوصار في حالة يمكن معها استعماله والانتفاع منه بعد انشاؤه تاما

المادة الثامنة — الابنية الآتي بيانها تعد من الابنية الجديدة

١ — العلاوات التي تضم عَلَى الابنية الموجودة ٠

٢ — العرصات التي تعد للاستعمال بالصورة المحررة في المادة الثانية من هذا القانون ٠

٣ — ماجعل من العقارات الموجودة طواحين ومعامل

المادة التاسعة — العقارات التي عليها تكاليف اذا دخلت في عداد المستثنيات يجري عليها حكم هذا الاستثناء من اول السنة المالية التي تلي السنة المستدعى بها من قبل المكلف

المادة العاشرة — العقارات التي احترقت وخربت اوصارت من الخراب الى حال لايمكن الانتفاع به واخبر صاحبها موظفي المالية عنها عَلَى الاصول وثبت ذلك لديهم بالتحقيق يرفع عنها التكليف اعتباراً من التقسيط الذي يلي التقسيط المصادف تاريخ مراجعة صاحبها واخباره اما عرصتها فيجري عليها قانون تكاليف الاراضي

المادة الحادية عشرة — المطاحن والمعامل ودور الصناعات اذا لم تشتغل مدة سنة كاملة عَلَى الاقل بدون فاصلة يكون لاصحابها الحق بالعفو الموقت عن ثلاثة ارباع التكليف في المدة التي لم تشتغل بها ٠ وعلى اصحاب هذه العقارات ان يرفعوا الى الحكومة بيانين احدهما في اول مدة توقفها عن العمل والثاني في آخر تلك السنة ٠ ويكون حكم العفو الموقت اعتباراً من التقسيط المصادف نهاية السنة ٠ واذا لم يخبر اصحاب العقارات في مدة شهر واحد باستئنافها العمل ببيان يقدمونه الى الحكومة يحرمون من التمتع بالعفو

في غضون تلك السنة . اذا استمرت العطلة مدة سنتين فيجب تجديد البيان في كل سنة عَلَى الصورة المذكورة

﴿ الفصل الثاني ﴾

في نسبة التكليف

المادة الثانية عشرة — ان نسبة التكليف هي اثنا عشر في المئة عن الواردات غير الصافية وانما يزاد على هذه النسبة في ميزانية المعارف مايعادل النصف في المئة للمعارف المحلية في كل سنة

يطرح التكليف عَلَى الطواحين والمعامل ودور الصناعات والدور الخشبية المعدة للسكنى بعد تنزيل ربع وارداتها غير الصافية . العقارات المحتوية عَلَى الآلات والادوات المخصوصة والمعدة لاجراء صناعة تعد معملاً او دار صناعة . الابنية المنشأة بجدران من الخشب اوالواح خشبية اوما يسمونه بغدادي تعتبر خشبية (ولو كان اساسها قائماً عَلَى الحجر الى ارتفاع مترين من وجه الارض) الابنية المنشأة من اللبن هي من قبيل الابنية الخشبية .

المادة الثالثة عشرة — تعفى الدور التي وارداتها غير الصافية مائتان وخمسون قرشا فاقل والمعدة لسكني صاحبها من التكليف جملة . والدور التي ايرادها اكثر من مئتين وخمسين قرشا واقل من الف يصرف النظر عن مائتين وخمسين قرشا من ايرادها

المادة الرابعة عشرة — تحرر وتخمن العقارات بحسب الايجارات غير الصافية المتعارفة في محلها عامة وبحسب ايراد الابنية التي من نوع واحد وبحسب موقع البناء ومساحته وعدد ادواره وعدد غرف كل طابق منه ونوع المواد التي انشيء منها وبحسب حاله الحاضرة من حيث حسن محافظته وبحسب صورة الانتفاع منه . وعند تخمين الايراد غير الصافي للطواحين والمعامل ودور الصناعات ينظر الى مافيهامن الوسائط الصناعية الثابتة

المادة الخامسة عشرة — اذا لم يوجد وسائط كافية لتخمين واردات البناء الغير صافية تعين قيمة البناء الحقيقية ويعتبر ثمانية في المئة من قيمته ايراداً غير صاف اذا كان طاحونا اومعملا اودار صناعة او دارا خشبية لسكني صاحبها وستة في المئة اذا كان من العقارات الاخرى

❋ الفصل الثالث ❋

في تحرير العقارات ونقدير دخلها

المادة السادسة عشرة — تكتب جميع العقارات ونقدر قيمتها لتنفيذ حكم هذا القانون . يعين مبدأ التحرير والتقدير ببيان من الوالي في الاستانة والولايات ومن المتصرفين في الالوية المستقلة

المادة السابعة عشرة — تكون كتابة العقارات من قبل لجنة مؤلفة من ثلاثة اشخاص تعينهم الحكومة ويكون التقدير والتخمين من قبل لجان يلحق بها وكلاء المكلفين برئاسة احد المأمورين الثلاثة المار ذكرهم

يكون عدد الوكلاء ثلاثة تنتخبهم مجالس البلدية في القصبات التي فيها دوائر بلدية ومجالس الادارة في القصبات التي ليس فيها دوائر بلدية من اناس لهم املاك داخل البلدة وفي القرى تنتخبهم مجالس القرى . اصحاب العقارات مكلفون باراءتها لهذه اللجان واعطائهم المعلومات الكافية عن احوالها العامة وعن جهة استعمالها ومقدار اجرتها ويؤخذ ممن يمتنع عن ذلك او يخبر بخلاف الحقيقة عن عمد عشرون قرشاً الى مئة قرش جزاء نقدياً بحكم المحكمة .

المادة الثامنة عشرة — اذا كان العقار منقسماً ومفرزاً بين اصحابه بصورة رسمية يخمن ايراد كل قسم عَلَى حدة واذا لم يكن مفرزا بل كان مشاعا بينهم يخمن ايراده كله من حيث المجموع

المادة التاسعة عشرة — عند ختام تخمين القرية اوالحي في المدن من قبل اللجنة التي ذكرت آنفا يعلن اكمال الجدول الذي يتضمن قيد العقارات وتخمين ايرادها ليطالعه المكلفون ويمعنوا فيه نظرهم مدة شهر واحد ثم يبلغ كل مكلف عَلَى الانفراد ورقة اخبارية تتضمن مقدار الايراد الذي خمن عقاره ولكل مكلف الحق بالاعتراض في مدة شهرين من تاريخ تبليغ الاخبارية لمأمور مال القضاء لينظر به في لجنة التخمين

ولمأموري المال ايضاً الحق بالاعتراض عَلَى تقدير اللجنة وتخمينها في مدة شهرين من بعد ارسال الجدول المذكور اليهم وحينئذ يكونون مكلفين بتبليغ اعتراضهم هذا مع اسبابه الموجبة بصورة مختصرة للمكلف صاحب العقار التقدير الذي لايعترض عليه قبل انتهاء المهلة المذكورة يكون قطعياً

المادة العشرون — عَلَى اللجنة ان تنظر في الاعتراضات المذكورة وتسمع اعتراض

المعترضين شفاهًا اذا طلبوا او وجد لزوم لذلك وان تشاهد العقارت مرة ثانية وتحقق احوالها عند الايجاب تعطي قراراً مدة شهرين عَلَى الكثير و يبلغ هذا القرار الى المكلفين بواسطة مأموري مال القضاء

. المادة الحادية والعشرون — للمكلفين ان يستأنفوا قرار لجنةالتخمين في خلال شهر واحد من تاريخ تبليغه لدى لجنة تؤلف في كل لواء باعتراض يقدمونه لمأموري المال حاوٍ للدلائل الكافية

تؤلف هذه اللجنة برئاسة الوالي او المتصرف هكذا : الدفتردار او المحاسب ومأمور تنتخبه الحكومة وثلاثةاعضاء يقترعايهم بواسطة المجالس العمومية في الولايات والجمعية العمومية البلدية في الاستانة اذا لم يكن المجلس العمومي فيها ملتئما من بين ستةمن اصحاب الاملاك يبعث بهم اللواء

ولمأموري المال ايضًا ان يراجعوا لجنة الاستئناف في المدة نفسها على شرط ان تبلغ مراجعتهم هذه للمكلف • وعَلَى لجنة الاستئناف ان تعطي قرارها في خلال شهرين

المادة الثانية والعشرون — اذا ادعي بان قرار لجنة الاستئناف مخالف للقانون والنظام فللمكلفين ومأموري المال ان يراجعوا في خلال شهر واحد من بعد تبليغ القرار عَلَى الطريقة المار ذكرها اللجنة المركزية التي تؤلف في نظارة المالية بانتخاب الناظر من رئيس وستة اعضاء • وهذه اللجنة لاتبحث في المعاملات المتعلقة بتقدير الايراد

المادة الثالثة والعشرون — للمكلفين ان يعترضوا في خلال شهرين من بعد اعلان جدول التكليف الذي يكتب بنهاية التحرير العمومي على التكليف المطروح عليهم في الاحوال الآتية وفقًا للطريقة المدرجة في المادة التاسعة عشرة وما يليها من المواد

١ — اذا وجد سهو وامتنعت الحكومة عن تصحيحه •

٢ — اذا لم يجر التبليغ المحرر في المواد ١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢ او جرى بصورة مخالفة للقانون

تكون هذه المدة عبارة عن شهر واحد من ابتداء اعلان جداول التحرير الخاص الذي يجري في خلال التحرير العام وجداول التكاليف التي تجرر لاول مرة في ختام التعديلات •

المادة الرابعة والعشرون — الاعتراضات الواقعة عَلَى مقدار التكليف المدخل في جدول التكاليف لاتؤخر تحصيله ولكن اذا تقرر ان الاعتراض محق يرد المقدار الزائد الى المكلف حالا ٠

المادة الخامسة والعشرون — مقررات اللجان المبينة في المواد السابقة تعطى بالاكثرية عَلَى شرط ان لا يكون عدد الاعضاء اقل من النصف فاذا تساوت الآراء يرجح الطرف الذي فيه الرئيس

﴿ الفصل الرابع ﴾

في دفتر امهات التكليف ومعاملاته التعديلية

المادة السادسة والعشرون — الجداول التي تحرر بمعرفة اللجان المار ذكرها حاوية تحرير العقارات وتقدير ايرادها والتعديلات المتوالية التي تجري بموجب هذا القانون يتألف منها دفتر الامهات ٠

دفتر الامهات يكون مأخذا لجداول التكاليف السنوية المحررة في المادة الثالثة من قانون تحصيل الاموال المؤرخ في ٥ شعبان سنة ١٣٢٧ و ١٨ اغستوس سنة ١٣٢٥

المادة السابعة والعشرون — في كل عشر سنوات تجري تعديلات عمومية لتقدير ايراد العقارات وفقاً لاحكام هذا القانون ٠

المادة الثامنة والعشرون -- اذا نقص ايراد العقار او زاد مقدار الثلث لبعض الاسباب الدائمة يعدل تعديلاً خاصاً بطلب من صاحب العقار او مأمور المال عدا عن التعديلات العمومية التي تجري في كل عشر سنوات ٠ تطلب التعديلات وفقاً للفقرة السابقة في الستة الاشهر الاولى من السنة المالية وتعتبر التعديلات من السنة الآتية ٠

المادة التاسعة والعشرون — يقضي عَلَى اصحاب الاملاك بيان الخصوصات الآتية الى قلم المال كتابة من ابتداء تطبيق هذا التكليف في كل قضاء ويعطى لهم علم وخبر بمقابلة ذلك ٠

١ — العلاوات التي تضم على الابنية الجديدة الموجودة ٠

٢ — العرصات التي خصصت من جديد للجهات المصرح بها في المادة الثامنة من هذا القانون ٠

التبديلات التي تحصل في جهة استعمال الأبنية بصورة تدعو الى انقطاع الاستثناء

المسطور بهذا القانون والتحولات التي تغير نسبة التكليف المعينة في المادة الثانية عشرة .

تعطى البيانات المذكورة في خلال شهرين اعتباراً من استعمال الاملاك على الوجه المذكور او من حدوث التحولات فيها واذا لم تعط البيانات في المدة المذكورة يضم على التكليف المقتضي اخذه على حسب التبدلات التي لم يخبر عنها عشرة في المئة مرة واحدة

المادة الثلاثون — اصحاب الاملاك التي نسيت في التحرير العام ولم تكتب يقضي عليهم انهاء امرها قبل انقضاء السنة الثانية التي تلي ختام اعمال التحرير واذا لم يخبروا بدون عذر مقبول يضم على اصل تكليف ذلك العقار عشرون في المئة من ابتداء تطبيق هذا القانون في ذلك المحل الى آخر السنة التي يطلع بها على النسيان .

المادة الحادية والثلاثون — تجري المعاملات المتعلقة بتعديلات دفتر الامهات وفقاً للقواعد الموضوعة للتحرير العمومي وانما تؤلف اللجنة التي تنظر في هذه المعاملات من اربعة اعضاء اثنان منهم ينتخبان من اعضاء مجلس الادارة واثنان من اعضاء المجلس البلدي برئاسة مأمور المال . ينظر في الاعتراضات التي يقدمها المكلفون او مأمورو المال المحليون على قرار هذه اللجان في المدة المحررة في المواد السابقة في مجالس الادارة المحلية . يكون قرار مجالس الادارة قطعياً على شرط ان يبقى حق المراجعة للجنة المركزية في المدة المعينة محفوظاً في الاحوال المحررة في المادة الثانية والعشرين .

﴿ الفصل الخامس ﴾

في المكلفين الملزمين بأداء التكليف

المادة الثانية والثلاثون — اصحاب العقارات وذوو اليد على العقارات مكلفون بدفع التكليف المرتب عليها واذا لم يوجد هؤلاء فالساكنون فيها .

المادة الثالثة والثلاثون — المتصرفون في العقار مشاعاً يكلفون بنسبة حصصهم الشائعة . العقار المقيد على شخص متوفي يعتبر غير مقسوم وتجري بحقه المعاملة وفقاً للفقرة الأولى هذا اذا لم يقسم ويقيد في ادارة الطابو او اذا لم يسقط الورثة حقوقهم الارثية كلها او بعضها .

﴿ احكام عمومية ﴾

المادة الرابعة والثلاثون — يحرر ناظر المالية نظاماً يتضمن كيفية تنفيذ هذا القانون

و بعد تدقيقه في مجلس شورى الدولة ينفذ بارادة سلطانية ·

المادة الخامسة والثلاثون — تعتبر الاحكام التي كانت مرعية قبلا في تكليف العقارات لاغية من ابتداء تنفيذ هذا القانون في كل قضاء واكمال التحرير العام والمباشرة في تحصيل التكليف ·

المادة السادسة والثلاثون — عقارات الحرمين الشريفين مستثناة من احكام هذا القانون ·

المادة السابعة والثلاثون — ناظر المالية مأمور بتنفيذ هذا القانون ·

مخطوطات ومطبوعات

حالة المسلمين الاقتصادية

تأليف المسيو لشاتليه

La position économique de l'Islam, par M. A Le chatelier

اعتاد صديقنا صاحب هذه الرسالة ان يرينا كل يوم اثراً من آثار علمه واطلاعه ودليلاً من ادلة مضائه واضطلاعه فهو اليوم المرجع الاكبر في احوال الاسلام والمسلمين ومن اعظم ائمة الغربيين الواقفين على منزلة الشرقيين ورسالته هذه كسائر ما خطته يراعته اوصدر تحت رعايته مملوءة بحسن الظن بمستقبل المسلمين افتتحها بقوله ان العالم الانكليزي السكسوني الذي ذهب بفضل التقدم في اعماله الاقتصادية ليس هو من حيث العدد الا نصف العالم الاسلامي فهو عبارة عن ١٢٥ مليون ساكن في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وكندا واوستراليا وافريقية الجنوبية والهند وسائر المستعمرات الساحلية التي ينزلها العنصر الانكليزي اما الاسلام فتجمع كلمته من ٢٠٠ الى ٢٥٠ مليون من البشر ويمتد سلطانه من الصحاري المتجمدة في ايرتيش واوهيو الى مدنافر يقية الجنوبية من الارخبيل الهندي الى شواطيء الاتلانتيك مع فروع في اوربا تصل الى ليتوانيا وبولونيا كي ينتشر من وراء البحر المحيط الى اميركا واوستراليا · والمسلمون كالسكسونيين تجدهم تارة مجتمعين في بلاد اسلامية خاصة بهم واخرى متفرقين بين من لا يدينون بدينهم فمركزهم الجغرافي ذو شأن في العالم

والسواد الاعظم من المسلمين في آسيا فهو فيها عبارة عن ١٧٠ مليون مسلم اي مثل مجموع سكان اميركا الشمالية والجنوبية واسبانيا والبرتغال · ففي الهند الانكليزية ٢٨٤ مليونًا من السكان منهم ٦٢ مليون مسلم وفي الهند الهولاندية ٣٠ مليونًا وليس معدل السكان واحداً في كل بلد بل ان نسبة المسلمين في الهند الصينية الى سائر السكان نسبة ٥— ١٠٠ من مجموع السكان ومعدلهم في الصين من ٥ الى ٦ في المئة وفي الافغان ٥—٩٩ في المئة وفي بخارى ٩٦ في المئة وبلوجستان ٩٤ في المئة و٩٣ في فارس وينزل معدلهم كلما تقدمت نحو الغرب فبينا تجدهم ٩٨ في المئة ببلاد العرب ينزل معدلهم الى ٨٦ في المئة بين النهرين والى ٧٨ في المئة في آسيا الصغرى والمعدل العام للمسلمين في آسيا هو ٢٠ في المئة ويبلغ في افريقية ٣٦ ففيها ٦٠ مليون مسلم مقابل ١٦٥ مليون افريقي وينزل معدل نفوسهم من الشمال الى الجنوب ويكون سوادهم الاعظم في الشمال اي في مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر واصل سكان افريقية الشرقية من جالية العرب والهنود ينزلون في رودوسيا والترنسفال والناتال والراس ومدغسكر وجزائر كومور وموريس ولا يقل عددهم عن مائتي الف ولا يكثر عدد المسلمين في اوربا الا في بلاد روسيا ففيها نحو ثلاثة ملايين من التاتار وكذلك ترى في شبه جزيرة البلقان اجناسًا من الاتراك والارناؤد وغيرهم لا يقل عددهم عن ثلاثة ملايين ايضًا اما سائر بلاد اوربا فليس فيها الا عدد قليل لا يتجاوز الالوف من المسلمين المختلفين في اجناسهم وليس هو ثابتًا · واذا اضفنا الى اوستراليا وتوابعها نحو ٤٠ الى ٥٠ الف افغاني وهندي وماليزي ومثل هذا القدر في اميركا باسرها من الاتراك والعرب والصينيين والزنوج جاءت معنا لائحة صحيحة في الجملة من العالم الاسلامي

وبعد ان افاض قليلاً في وصف معتقدات المسلمين وعاداتهم قال ان لسان القرآن الالهي يحدث صلة اخرى بين اعضاء الاسرة الاسلامية الكبرى فاذا كانت اللغة العربية لا يتكلم بها سوى خمسين مليونًا من الآسياويين والافريقيين من نهر الفرات الى النيجر فهي يترنم بها في المدارس الاسلامية من بلاد الصين الى افريقية الجنوبية من جزائر الفيلبين الى مراكش وتستعمل لغة كتابة عند الخاصة في كل بلد اجتمع فيها المسلمون ليتلوا القرآن العظيم · وان الشعوب الاسلامية التي لم تقبل اللغة العربية قد دخل الى لغاتها منها الشيء الكثير فالفارسية والتركية والملازية تكتب بحروف عربية ولغة

الاوردو الهندية قد دخلها كثير من التعابير العربية وكذلك اللغة السواحلية ولغة البول والبربر في افريقية

وذكر المؤلف تاريخ الصحافة الاسلامية بايجاز فقال مع ان تاريخها يرد الى سنة ١٨٢٨ ايام انشأ محمد علي الوقائع المصرية اصبحت الآن منتشرة ولاسيما في مصر على عهدها الاخير والبلاد العثمانية بعد الحرية وقدر الصحف الاسلامية في الارض بار بعمائة منها ١٥٠ باللغة العربية اكثرها في مصر والشام وتونس . وافاض في المشاريع الصناعية والتجارية التي اخذ المسلمون في آسيا خصوصاً يدخلون فيها و يبرزون كغيرهم من الشعوب الراقية واحسن ظنه بنهضة المرأة التركية وكيف يحاول المجددون في الاسلام اليوم ان يدخلوا العلوم والفنون حتى في الجوامع كما فعل التونسيين في جامع الزيتونة والمصريون في الازهر وذكر مثالاً من السكك الحديدية واعمال الكهرباء والبخار ولاسيما في البلاد العربية فقال ان المدينة المنورة مع انها في قفر بين البدو تنار بالكهربائية كما ان ينبع تشرب من ماء مقطر بالبخار والامام يحيى في اليمن يطلب تمديد سكة حديدية من الحديدة الى صنعاء

ثم قال ان المفكرين من السياسيين الغربيين لينظرون وحق لهم ان ينظروا الى هذه النهضة الحديثة في الاسلام لا من حيث الدعوة الى الجامعة الاسلامية ولا من حيث الجامعة الوطنية بل الواجب ان ينظروا الى مايتوقع امره في القريب العاجل من قيام مدنية اسلامية متماسكة تقصد الى توطيد اسباب التكافل الاقتصادي بين اجزائها وقال ان السياسة الحميدية اخفقت في دعوتها للجامعة الاسلامية فانفصت عرى تلك الدعوة يوم ظفر احرار سلانيك باعادة الحرية الى المملكة العثمانية وقال ان السياسة العثمانية الاسلامية الالمانية تهيئ السلطنة للتقسيم (كذا) والعقول لاتتصور كيف تتخلص من الانقسامات الجنسية لايجاد فكرة الوطنية

فالفكرة الاقتصادية هي التي تهم العالم الاسلامي اكثر وهي بها اليوم يطالب المتغلبون كما تطالب مصر انكلترا بقولها منافع مصر يجب ان تكون لمصر وكذلك فعل الجزائريون بعد سبعين سنة من استيلاء فرنسا عليهم فقاموا وهم لايخافون بأس القوة يطالبون باراضيهم التي استصفيت فعلى اوربا ان تتأكد قيام المسلمين بالجامعة الاقتصادية مما هو ماثل للعيان من حال ايران فان اهلها يريدون ان يقاطعوا كل من هو غير ايراني وان يطبقوا القواعد المدنية والاقتصادية على الاسلام لتكون بلادهم لهم في اقتصادياتها ومشاريعها النافعة وهنا

قال المؤلف بان عَلَى اوربا ان تنتظر المسلمين وجرائدهم التي تنفخ فيهم روح النهوض لترى كيف تحقق سياستها الاقتصادية فينادي لسان حالهم جميعاً بلاد الاسلام للمسلمين ونحن نقول اذا صحت هذه الاحلام والاوهام آمين

منطق المشرقيين

والقصيدة المزدوجة في المنطق للرئيس ابي علي بن سينا

« عنيت بتصحيحه المكتبة السلفية بالقاهرة ص ٨٣ »

احسنت هذه المكتبة بنشر هذا السفر النفيس عَلَى اسلوب راق شأنها في كل ما نشرته حتى الآن وقد صدرت الكتاب بترجمة الرئيس عن اصح المصادر فجاءت الترجمة في ٣٨ صفحة وهي من احفل تراجم الرئيس . اما الكتاب والقصيدة فهما في الغاية من السلاسة والوضوح بحيث يسهل على من لم يدرس هذا الفن علي اصوله ان يتلقفه بنفسه من هاتين الرسالتين ولا عجب فكلام الرئيس رئيس الكلام . وهاك ماقاله المؤلف « في ذكر العلوم » ننقله نموذجاً لمن لم يسعده الحظ بقراءة شيء كثير من قلم الرئيس وعنواناً عَلَى كيفية تقسيمهم العلوم في عهده قال : « ان العلوم كثيرة والشهوات لها مختلفة ولكنها تنقسم اول ما تنقسم قسمين : علوم لايصلح ان تجري احكامها الدهر كله بل في طائفة من الزمان ثم تسقط بعدها اوتكون مغفولاً عن الحاجة اليها باعيانها برهة من الدهر ثم يدل عليها من بعد . وعلوم متساوية النسب الى جميع اجزاء الدهر وهذه العلوم اولى العلوم بان تسمى « حكمة »

وهذه منها (اصول) ومنها (توابع وفروع) وغرضنا هاهنا هو في الاصول وهذه التي سميناها توابع وفروعاً فهي كالطب والفلاحة وعلوم جزئية تنسب الى التنجيم وصنائع اخرى لاحاجة بنا الى ذكرها

وتنقسم العلوم الاصلية الى قسمين ايضاً : فان العلم لايخلو اما ان ينتفع به في امور العالم الموجودة وما هو قبل العالم ولا يكون قصارى طالبه ان يتعلمه حتى يصير آلة لعقله يتوصل بها الى علوم هي (علوم امور العالم وماقبله) . واما ان ينتفع به من حيث يصير آلة لطالبه فيما يروم تحصيله من العلم بالامور الموجودة في العالم وقبله

والعلم الذي يطلب ليكون آلة — قد جرت العادة في هذا الزمان وفي هذه البلدان ان يسمى (علم المنطق) ولعل له عندقوم آخرين اسماً آخر لكننا نؤثر ان نسميه الآن بهذا الاسم المشهور

وانما يكون هذا العلم آلة في سائر العلوم — لانه يكون علماً منبهاً على الاصول التي يحتاج اليها كل من يقتنص المجهول من المعلوم باستعماله للمعلوم على نحو وجهة يكون ذلك النحو و تلك الجهة مؤدياً بالباحث الى الاحاطة بالمجهول فيكون هذا العلم مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تنقل الذهن من المعلوم الى المجهول · وكذلك يكون مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تضل الذهن وتوهمه استقامة مأخذ نحو المطلوب من المجهول ولا يكون كذلك · فهذا هو احد قسمي العلوم

واما القسم الآخر — فهو ينقسم ايضاً اول ماينقسم قسمين : لانه اما ان تكون الغاية في العلم تزكية النفس مما يحصل لها من صورة المعلوم فقط واما ان تكون الغاية ليس ذاك فقط بل وان يعمل الشيء الذي انتقشت صورته في النفس

فيكون الاول تتعاطى به الموجودات لا من حيث هي افعالنا واحوالنا لنعرف اصوب وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا والثاني يلتفت فيه لفت موجودات هي افعالنا واحوالنا لنعرف اصوب وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا

والمشهود من اهل الزمان انهم يسمون الاول (علماً نظرياً) لان غايته القصوى نظر و يسمون الثاني منهما (عملياً) لان غايته عمل ·

واقسام (العلم النظري) اربعة : وذلك لان الامور اما مخالطة للمادة المعينة حداً وقواماً فلا يصلح وجودها في الطبع في كل مادة ولا يعقل الا في مادة معينة مثل الانسانية والعظمية وان كانت بحيث لايمتنع الذهن في اول نظره عن ان يحلها كل مادة — فيكون على سبيل من غلط الذهن بل يحتاج الذهن ضرورة في الصواب ان ينصرف عن هذا التجويز و يعلم ان ذلك المعنى لايحل مادة الا اذا حصل معنى زائد يهيئها له وهذا كالسواد والبياض فهذا من قبيل الموجودات والامور ·

واما امور مخالطة ايضاً كذلك والذهن وان كان يحوج في صحة تصور كثير منها الى الصاقه بما هو مادة او جار مجرى المادة — فليس يمتنع عنده وعند الوجود ان لايتعين له مادة وكل مادة تصلح لان تخالطه مالم يمنع مانع وليس يحتاج في الصلوح له الى ممهد يخصصه به مثل الثلاثية والثنائية من حيث هي منكونة وتعرض الجمع والتفريق ومثل التدوير والتربيع وجميع ما لا يفتقر وجوده ولا تصوره الى تغير مادة له وهذا قبيل ثان من الامور والموجودات

واما امور مباينة للمادة والحركة اصلا فلا تصلح لان تخلط بالمادة ولا في التصور العقلي الحق مثل الخالق الاول تعالى ومثل ضروب من الملائكة وهذا قبيل ثالث من الموجودات

واما امور ومعان قد تخالط المادة وقد لاتخالطها فتكون في جملة مايخالط وفي جملة ما لايخالط مثل الوحدة والكثرة والكلي والجزئي والعلة والمعلول ٠

كذلك اقسام العلوم النظرية اربعة لكل قبيل علم ٠

وقد جرت العادة بان يسمي العلم بالقسم الاول (علماً طبيعياً) وبالقسم الثاني (رياضياً) وبالقسم الثالث (آلهياً) وبالقسم الرابع (كلياً) وان لم يكن هذا التفصيل متعارفاً فهذا هو العلم النظري

واما (العلم العملي) فمنه ما يعلم كيفية مايجب ان يكون عليه الانسان في نفسه واحواله التي تخصه حتى يكون سعيداً في دنياه هذه وفي آخرته وقوم يخصون هذا باسم علم الاخلاق

ومنه مايعلم كيف يجب ان يجري عليه امر المشاركات الانسانية لغيره حتى يكون عَلَى نظام فاضل — امافي المشاركة الجزئية واما في المشاركة الكلية والمشاركة الجزئية هي التي تكون في منزل واحد والمشاركه الكلية هي التي تكون في المدينة

وكل مشاركة فانما تتم بقانون مشروع وبمتول لذلك القانون المشروع يراعيه و يعمل عليه ويحفظه ولا يجوز ان يكون المتولي لحفظ المقنن في الامرين جميعاً انسان واحد فانه لايجوز ان يتولى تدبير المنزل من يتولى المدينة بل يكون للمدينة مدبر ولكل منزل مدبر آخر ٠ ولذلك يحسن ان يفرد (تدبير المنزل) بحسب المتولي باباً مفرداً و(تدبير المدينة) بحسب المتولي باباً مفرداً ولا يحسن ان يفرد التقنين للمنزل والتقنين للمدينة كل عَلَى حدة بل الاحسن ان يكون المقنن لما يجب ان يراعى في خاصة كل شخص وفي المشاركة الصغرى وفي المشاركة الكبرى شخص واحد بضاعته واحدة وهو (النبي)

واما المتولي للتدبير وكيف يجب ان يتولى فالاحسن ان لاندخل بعضه في بعض وان جعلت كل تقنين ايضاً باباً آخر فعلت ولا بأس بذلك لكنك تجد الاحسن ان يفرد العلم بالاخلاق والعلم بتدبير المنزل والعلم بتدبير المدينة كل على حدة وان تجعل الصناعة الشارعة ماينبغي ان تكون عليه امراً مفرداً

وليس قولنا « وما ينبغي ان تكون عليه » مشيراً الى انها صناعة ملفقة مخترعة ليست

من عند الله ولكل انسان ذي عقل ان يتولاها كلا بل هي من عند الله وليس لكل انسان ذي عقل ان يتولاها ولا حرج علينا اذا نظرنا في اشياء كثيرة مما يكون من عند الله انها كيف ينبغي ان تكون

فلتكن هذه العلوم الاربعة اقسام العلم العملي كما كانت تلك الاربعة اقسام العلم النظري اه »

الهيئة والاسلام

لمؤلفه السيد هبة الدين الشهرستاني طبع ببغداد في مطبعة الآداب سنة ١٣٢٨ ص ٣١٤

ذكر المؤلف ان الاسلام يوافق آراء الفلسفة الحديثة اكثر مما يوافق القديمة خصوصاً في الفلكيات وقد فسر كثيراً من الآيات المشكلة والروايات المعضلة قال : « ففي الناس اناس يزعمون سلوك الشارع في ابواب الفلكيات مسلك الحكماء وان الهيئة القديمة هي الموافقة للشريعة القديمة فلاجل ذلك تراهم عند اعتقادهم بطلان الفلسفة الغابرة تزل اقدامهم ويضعف التزامهم بنواميس الشريعة الطاهرة فقصدت من تصنيف هذا الكتاب بيان مخالفة الاسلام لمعظم مباني الهيئة البطليموسية وموافقته للآراء المكتشفة في الهيئة الجديدة فينبغي ان يكون تصديقهم للعلوم العصرية سبباً لرسوخ العقائد الدينية ومزيد اليقين بصدق باقي مقالات النبي الامي والائمة من اهل بيته » . والمؤلف مشهور بسعة الاطلاع فنشكره على تحفته

غرائب الغرب

لصاحب المقتبس طبع بمطبعته ص ٢٠٤

هي بعض ما شاهده وعرفه صاحب هذه المجلة عن ديار الغرب نشر اولاً في بعض اجزاء هذه السنة والسنة الماضية وجردناه على حدة وهذه مقدمته وهي تنم عن الغرض من نشره :

« هذه فصول ومقالات بل آهات وتأوهات كتبتها في وصف معالم الغرب ومالقيته فيه وثقفته عنه وانا على مثل اليقين بانها لاتحمل في مطاويها من تلك المدنية الساحرة الا بقدر ماتصل اليه يد عابر سبيل ويتفطن له فكر النزيل والدخيل راجياً من كرمه تعالى ان ينفع بها قراء العربية ومنه استمد العون والتيسير نعم المولى ونعم النصير »

رسائل البابية

نشر البارون روزن الروسي المتوفى ٦٣ رسالة بالفارسية والعربية كتبها بهاء الله

المصلح الثاني في المذهب البابي · والعربية منها كما قال احد الناظرين في هذه الرسائل وان كانت تبدو في صورة وحي قرآني لاتخرج عن كونها كتبت لتقوية البابيين عَلَى تحمل المصائب في سبيل ايمانهم والعمل بما توحي به الحقيقة الكلية والرسالة العشرون منها المسماة « سورة الملوك » عبارة عن شكوى صاحب المذهب واتباعه من بعض ماينالهم من الموظفين الذين اضطهدوا من انتحلوا مذهب الباب · ولئن كان البهاء ينحو فيها منحى القرآن في الانشاء فيغتر بها بعضهم لاول وهلة الا ان من يحسن كتابة لغته لايلبث ان يرى اغلاطاً عربية واكثرها في التركيب

معيار الفتاوي

نشر المسيو اميل امار من علماء المشرقيات في فرنسا ملخص فتاوي فقيه المغرب ابي العباس احمد بن يحيى الونشريسي المتوفى سنة ٩١٤ ه في مجلدين وترجمها الى الافرنسية مع تعليق الشروح اللازمة لها · وهذا الكتاب هو فتاوى صدرت عن مفاتي افريقية اي تونس وولايتا قسنطينة والجزائر وعلماء الاندلس والمغرب الاقصى وهو عبارة عن ولاية وهران وبلاد مراكش وكان طبع هذا الكتاب برمته عَلَى الحجر في فاس في ١١ مجلداً تدخل في ٤١٢٢ صفحة فنسق الناشر هذه الفتاوي حتى جاءت مثل كتاب دالوز في القانون مرجعاً يسهل الرجوع اليه

ثلاث مجلات جديدة

الحقائق — مجلة دينية علمية اخلاقية اجتماعية عمرانية لصاحبها الشيخ عبد القادر الاسكندراني يحررها نخبة من اهل الفضل بدل اشتراكها في دمشق ريال واحد وفي البلاد العثمانية ريال وربع وفي الاقطار الاجنبية ٧ فرنكات وتصدر مرة في الشهر

النديم — مجلة كاثوليكية سياسية اخبارية تاريخية ادبية علمية لمنشئها شاكر افندي عون ويعاونه بانشائها بعض اصحاب الاقلام قيمة اشتراكها في بيروت ريالان وفي البلاد الخارجية عشرة فرنكات وهي تصدر مرتين في الشهر

تنوير الافكار — مجلة دينية ادبية سياسية تصدر كل شهر مرة في بغداد لصاحبها عبد الهادي افندي الاعظمي ومديرها نعمان افندي الاعظمي قيمة اشتراكها في الممالك العثمانية مجيدي وربع وعشرة فرنكات في الخارج

كتب متفرقة

معنى الحياة — عربه عن الانكليزية وديع افندي البستاني وهو تأليف اللورد افبري

المشهور وفيه نصائح للناشئة في قوة الارادة وصدق العزيمة والثبات والشجاعة والاقتصاد يطلب من مكتبة المعارف في مصر

تقرير السرالدن غورست سنة ١٩٠٩ — هو التقرير الذي يصدره كل سنة معتمد انكلترا في مصر عن الحركة الادارية والسياسية والعلمية فيها صدر بالعربية والانكليزية والفرنسوية وفيه كلام طويل عَلَى المعارف المصرية ونمو الحركة للتعليم وازدياد عدد الشبان والكتاتيب والعناية بتعلم العلوم باللسان العربي المبين و يطلب من مطبعة المقطم بالقاهرة

القطار السريع في علم البديع — مختصر في علم البديع لحفني بك ناصف من شيوخ الادب في مصر وهو شرح بديعية تقي الدين

سير العلم والاجتماع

الشعرى اليمانية Sirius

قرأت في المقتبس رسالة من بغداد تبحث في الشعرى العبور فشكرت عناية الكاتب بهذا البحث النافع وارجو مواصلة القراء بشذور هذا العلم الساطع بيد اني وجدت فيها هفوة لعلها من النقل او النشر وهو قوله : « ان العلامة شارل نوردمان يقول بان الشعرى تبعد عنا نحواً من خمسمائة مرة بعد الشمس عنا » والصحيح انها تبعد عنا زهاء خمسمائة الف وثلاثة وعشرين الف مرة بعد الشمس عنا وتتأتى معرفة ذلك من رصد اختلافها السنوي وهو الزاوية الحاصلة عندها التي يقابلها قطر فلك الارض وهي اصغر من ان تقاس الا بأدق الآلات لان فلك الارض من ذلك المكان السحيق يرى كنقطة متحدة بنور الشمس المشع لكنها في غاية الضعف وقد عرف لها اختلاف سنوي جزئي وهو بحسب قائمة اورمان ٠٫٣٩ من الثانية فيقتضي لوصول نورها الينا ثماني سنين وثلث سنة تقريباً وبالتدقيق ٨٫٠٣ ثم بحسب مادتها وهي ثلاث مرات وربع مثل مادة الشمس فتكون قوة الجذب فيها اشد من قوة الجذب في الشمس وتوابعها معاً (السيارات واقمارها) فلو وجدت عَلَى بعد خمسمائة مرة مثل بعد الشمس عنا لدنت الشمس اليها ثم اسرعت نحوها مضطرة لشدة التجاذب (لان الجاذبية تتغير بالقلب كمربع البعد) اما للدوران

حولها اوللاندماج فيها والواقع ان الشعرى اليمانية من النجوم المتباعدة عنا وان شمسنا (ونظامها) سائرة نحو نقطة بالقرب من الجاثي واستنتج بعض الراصدين ان قرب «الكيوني» انور كواكب الثريا قطب دوران حقيقي للكواكب (الشموس) التي تتألف منها عقود البروج كافة وهذا الرأي الاخير لم يجزم بصحته حتى الآن والشعرى اليمانية محسوبة من النجوم المزدوجة وقيل بانها تدور حول جرم مظلم اعظم منها قليلاً ومدة دورانها حوله ٥٢ سنة تقريباً

ثم ذكر ان « الشعرى اليمانية هي الينا اقرب هذه الكواكب المنتشرة عَلَى بساط المجرة » والمعلوم عنها حتى الآن انها الرابعة في البعد عنا بين الثوابت لانه عرف لثلاثة كواكب اختلاف سنوي اكثر واقربهم الينا « α.centauri قنطوروس » اختلافه السنوي ٠،٧٥ اي ثلاثة ارباع الثانية فيكون بعده عنا قرابة ٢٥٢ الف مرة بعد الشمس عنا و يقتضي لوصول نوره الينا اربع سنين و يظن بعض علماء الهيئة ان بين النجوم الضئيلة التي تعد بالملايين عدد قليل منها اقرب الينا من قنطوروس

لنفرض للاستعانة عَلَى تصور قدر الشمس الهائل و بعدها عنا ولاجل مقابلة المسافات الشاسعة المذكورة ان كرة قطرها قدمان تمثل الشمس فتكون الارض كحبة حمص صغيرة على بعد ٢٢٠ قدماً عنها وتكون اقرب الثوابت الينا عَلَى بعد تقديره بالتقريب ٨٠٠٠ ميل عن مثال الشمس والمسافة الحقيقية التي بيننا و بين الشمس ٩٢ مليون ميل بالتقريب يصل نورها الى الارض في ٨ دقائق و١٩ ثانية

ويلي الشعرى اليمانية في البعد عدد لايحصى من النجوم بضعة وعشرون منها يعرف لها اختلاف سنوي والملايين الكثيرة الباقية لا يعرف لها اختلاف سنوي لتناهيها في البعد اولتوغلها في قلب المجرة اواقاصيها ونراها باشعاع نورها وليس بذات جرمها لان زاوية البصر تتلاشى قبل الوصول الى اقرب الثوابت بمسافات بعيدة واقوى النظارات في وقتنا الحاضر لاترينا قرصاً للثوابت واذاقيل بأن النور يجتاز عرض المجرة بمدة عشرين الف اوثلاثين الف سنة فبعض السدام عَلَى رأي بعض الفلكيين يقتضي لوصول نوره الينا سبعمائة الف سنة واقوى النظارات لم تحله الى نجوم مفردة او عناقيد ومن المحتمل ان يكون مجرة بعيدة كالمجرة التي نظامنا الشمسي وعامة الكواكب وانظمتها منها وفيها عَلَى ان الرأي القائل بان وراء هذه المجرة المحيطة بنا مجرات عديدة مؤلفة من عوالم وانظمة

الى مالانهاية لما يتأكد والآلات الحاضرة لاتمكنا من كشف شيء من هذا السر العظيم وقد وجدت خطوط في طيوف بعض السدام انور من خطوط الهيدروجين لاتدل على عنصر معروف في الارض اوفي الشمس حتى الآن فمن المحتمل ان يكون ذلك دليلاً على وجود عنصر ابسط اواوطأ رتبة من الهيدروجين

هذا ماجال في الخاطر حداني اليه كوكب نظرائه كاتب تلك الرسالة لاقتفاء اثره واقتباس منار علمه في هذا المسلك الذي قد لا انجو بسلوكه من العثور فالرجوع الى مايدونه علماء العصر احق والبحث في انواع العلوم الطبيعية انور للبصيرة فتكسب المرء قدرة التصرف بالاعمال العظيمة المفيدة فإن اكثر الناس تجهل حقيقة هذا العلم وتخيل في السماء اموراً سخيفة اشركتها في معتقدها وتسكعت في باطلها وظلت عليها القرون والاحقاب حتى رسخت تلك الاوهام الفاسدة في العقول وانطبعت مزاعم زعمائهم الباطلة في القلوب فتأصل فيهم الميل للشعوذات والايمان بالخرافات وحقت عليهم كلمة الشر والجهالة فصارت ذريعة الى المجادلات حتى الحروب والغارات وفاتهم ان الارض دار قراع وتنازع في البقاء وان عصرنا هذا عصر جد واجتهاد وانهم على سطح جرم حقير (الارض) اعتباره كذرة من جميع المادة نسبته اليها كنسبة حبة رمل الى طود عظيم خليط من التراب والرمل والحجارة تناثرت اجزاؤه في هذا الفضاء وعلم الهيئة الحقيقي وهو علم اثبته الفحص وقام عليه البرهان يعرفنا بحقيقة هذا الوجود و يزيل او يقلل من تفاخر الانسان الكاذب وغلوائه وعند التعمق باصوله وتعميم انتشاره في مستأنف الزمان يدركنا التغيير الكلي في جميع امورنا واحوالنا ونخرج من مأزق التعصب ومضيق الافكار فتبدو علامات اليمن وامارات الخير و يكون لهذا العلم المزية الكبرى على سائر العلوم فهو رائد الاصلاح الاكبر دمشق : احدالقراء

وقف للعلم

وقف احمد بك زكي من علماء مصر خزانة كتبه وفيها مئات من الامهات المهمة المخطوطة والمطبوعة واكثر مطبوعات اوربا العربية وكثير من نفائس الكتب الافرنجية على المطالعة لاهل القاهرة وذلك على شرط ان تجعل في مكان خاص بها من دار الكتب المصرية وهي غيرة على العلم لاتستكثر ممن خدمه طول حياته

مسألة قلة النفوس

وضعت مجلة الاقتصاد بين مقالة قالات فيها انه يكاد لايعرف كبير امر عن مسألة النفوس

لان الامم القديمة قد دثرت كلها تقريباً ونوشك ان لانعرف الا اموراً طفيفة عن حالة الاشوريين كما نحن كذلك في تصور اليونان والرومان فان الرجال الممتازين قواداً كانوا او فلاسفة ممن اشتهروا قديماً لم يتركوا عقباً فلا يمكن ان يقال انهم هلكوا في حروب اهلية اوخارجية وان قد خلفتهم شعوب اخرى مثل البورغونيين والفانداليين والغوتيين الذين نشأوا من جرمانيا والهونسيين والمجريين الذين جاؤا من آسيا فالماضي يمثل لاعيننا تعاقب الامم التي تناقلت حسنات المدنية خلفاً عن سلف ٠

ومسألة قلة النفوس اليوم ينظر فيها في كل مكان ولاسيما في فرنسا فالشعب الفرنسوي اليوم ٣٩ مليوناً ويجب ان يزيد كل سنة مليون نسمة ولذلك رأى احدهم ان يعطى كل اب اوام فرنسو يتين ماشاء آمن الوظائف لان لهم ميلاً خاصاً اليها على شرط ان يكون لها ثلاثة اولاد احياء او اكثر بدون نظر الى كفاءتهما وان تخصص الحكومة مكافأة مالية قدرها خمسمائة فرنك تدفع دفعتين اذا ولد للابوين الولد الثالث وهو حي و بذلك تنفق الحكومة في السنة من ١٥٠ الى ١٧٥ مليون فرنك

فردت المجلة على هذا الفكر وقالت ان الاولاد والعجزة الذين يولدون على تلك الصفة مدة عشر سنين يزيد عددهم ملايين وهم لايعملون عملا و يفتقر السكان من جباية هذه الضريبة منهم اي مبلغ ١٧٥ مليوناً كل سنة الذي يقضي عليه اداؤه وما قط كانت زيادة الضرائب مغنية لامة ومن ذلك ينشأ فقر متتابع لان مائتي مليون فرنك لاتكفي للقيام بتعليم العلم العالي الذي يستلزمه اعداد رجال للصناعات الحرة مثل الطب والمحاماة والهندسة وغيرها وسلك الوظائف ايضاً وربما كان في المستقبل معوض عن هذا العمل ولكن الحال في فرنسا ليست كامير كاوروسيا لان باطن ارضها قليل الخصب ولا يرجى رواج التجارة اكثر من الآن فالنفوس فيها محدودون وكل دواء يقترح للشفاء من قلتها لايزيد الحال الا اعضالاً

فهذه الضريبة لاتأثير لها في الاغنياء والحكومة الآن هي السبب في تقليل السكان فخير لما فيما نرى ان تسهل التعليم العالي ولا تحتم على طلاب الطب والمحاماة تعلم اللاتينية بل واليونانية ومجموعة العلوم في حين يكفيهما معرفة علومهما معرفة عملية و يحذف حبًا بالاقتصاد من خطة الدروس درس بقية العلوم لامثال هؤلاء و بذلك يتوفر مبالغ من المال تصرف على تعليمهم اياها ٠ قالت وانجع الاسباب في ذلك تقليل الضرائب على وجه عام فبتقليلها تزيد النفوس الى الحد المطلوب الذي تسمح به حالة البلاد ونشاط اهلها

دار الترجمة

صدر الامر الخديوي باعادة ديوان الترجمة في مصر كما كان في ايام الخديويين السالفين وسيعرب هذا الديوان كل ماتحتاج اليه اللغة العربية من انواع العلوم والفنون المستحدثة

التربية اليابانية

تقضي الحكومة اليابانية عَلَى الوالدين ان يرسلوا ابناءهم الى المدرسة ست سنوات يخصص منها ساعتان في اليوم لدرس الآداب · ولناظر المعارف ان ينتخب الكتب المدرسية · واهم الموضوعات في مدارسهم واجب الحب الوالدي واحترام السلف والاخلاص للامبراطور والامبراطورة والصفح والاحتشام وعرفان الجميل والاقتصاد والرقة نحو الشيوخ والخدم والمجاملة والواجبات نحو الجار والخير العام واحترام الآلهة والوطنية واستعمال الوقت والشجاعة · وقد اضافوا في السنين الاخيرة دروساً عديدة في واجبات الوطني الاجتماعية وواجبات الجندي وانتخاب النواب للبرلمان والبلدية واحترام الشرائع وافضلية الرجل وواجبات الرجل والمرأة وهلم جرا ·

اكتشاف نافع

اكتشف الدكتور اهرليخ الروسي تركيباً كيماوياً من الزرنيخ فدلت التجارب عَلَى نجاح هذا الدواء في معالجة الحمى الملارية والحمى المتقطعة ومرض النوام · ويعتقد بعض الاطباء انه بات في حيز الامكان الآن التغلب عَلَى مرض النوام المتفشي في بلاد الكونغو وغيرها من البلاد الاميركية · وفي رواية اخرى ان هذا التركيب يشفي من المرض الزهري

ميكروب الخصب

اعلن الدكتور رسل والدكتور هتشنصن في المجمع الطبي البريطاني اكتشاف ميكروب يقتل البكتريا اللازمة لخصب الارض وهو اعظم اكتشاف زراعي منذ ٥٠ سنة وكانا قد اكتشفا علاجاً بالحرارة اومضادات الفساد يقتل جراثيم كثيرة من التي تأكل البكتريا المفيدة للارض فتزيد بذلك خصب التربة وقد كان في اثناء ابحاثهما في هذا الموضوع ان اكتشف الميكروب المتقدم ذكره

المقتبس

صناعة النظم والانشاء

كان الوليد ابو عبادة البحتري[1] معاصراً لحبيب بن اوس المعروف بابي تمام[2] وهما من اعيان امرآء الكلام وكلاهما طائيٌ غير ان البحتريّ ولد بعد ذاك باربعة عشر عاماً فما ترعرع وبدت فيه علائم النبوغ حتى كان ابو تمام في اوج مجده وبحبوحة اشتهاره فلصق به وتخرج عليه حتى اذا نبل شعره وسار ذكره قال ابو تمام « ان شعر هذا الغلام قد نعى اليّ نفسي فما اجتمع في طي شاعران مشهوران الا مات اكبرهما » وقد صدقت نبوءته هذه فان ابا تمام لم يعش بعد قوله هذا اكثر من عام واحد ولقد مات عبطةً وهو دون الاربعين ولو عمر حتى اكتهل كالمتنبي اوحتى شاخ كالبحتري لاتى بالآيات المعجزات ولأطبق الناس عَلَى كونه امير الشعر قديماً وحديثاً

---

(1) ولد بمنبج سنة ٢٠٤ للهجرة وتوفي بها سنة ٢٨٤ وهو الذي سئل عنه ابو تمام فقال « جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه » وسئل ابو العلاء المعري من اشعر الثلاثة ابو تمام ام البحتري ام المتنبي فقال « المتنبي وابو تمام حكيمان وانما الشاعر البحتري »

(2) ولد في قرية جاسم من ناحية الجيدور في حوران سنة ١٩٠ للهجرة وتوفي في الموصل سنة ٢٢٨ عَلَى اصح الاقوال وهو احد الثلاثة المتفق عَلَى تقديمهم من الشعرآء المحدثين والاثنان الآخران المتنبي والبحتري وقيل سئل ابن الزيات وزير المعتصم من اشعر الناس ؟ قال ابو تمام حيث يقول

وما ابالي وخير القول اصدقهُ   حقنتَ لي مآء وجهي اوحقنتَ دمي

وكان البحتري قد سأل يوماً ابا تمام ان يبين له الوجهة التي ينتحيها في نظمه والوتيرة التي يجري عليها توصلاً الى الاجادة والابداع فقال له

« يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة جرت فى الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء اوحفظه وقت السحر اذ تكون النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم . وان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا اخذت في مديح سيد ذي اياد فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه ونضد المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الرديئة . وكن كأنك خياط يقطع الثياب عَلَى مقادير الاجساد . واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرك الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين وجملة الحال ان تقيس شعرك وتعتبره بما سلف من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما نبذوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله »

قال البحتري « فأعملت نفسي فيما قال فجاد شعري وطار ذكري ووفقت الى ما اروم »

اما الحاتمي [1] فقد اختار الليل للنظم وحوك الكلام ذاهباً مذهب (جورج ساند) الكاتبة الفرنساوية التي كانت تبدأ بكتابتها عند منتصف الليل وتنتهي منها الساعة السادسة ثم تنام الى الحادية عشرة عَلَى ماوصفه المترجمون لها . وحجة الحاتمي في ذلك ان في الليل تجم الاذهان وتنقطع الاشغال ويصح النظر وتؤلف الحكمة و يتسع مجال الفكر وتنبعث الخواطر . وعندنا انه مصيب واكثر رجال السياسة والتدبير واهل العلم والخيال وارباب الاختراع والابداع يفضلون الليل عَلَى النهار ويخصصونه لمهم من اعمالهم والصعب

---

[1] هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي كان معاصراً للمتنبي وقد اجتمع به في بغداد فساءه ماراه فيه من صلف وترفع واعجاب فبادهه بكلام افحمه به واخزاه حتى نهض المتنبي من مجلسه متغيظاً مجبوهاً ثم اسرع الرحلة من العراق خجلاً وقد آلى عَلَى نفسه ان لا يعود اليها فانشأ الحاتمي الرسالة الحاتمية المشهورة شارحاً فيها ماجرى بينه وبين المتنبي من اظهار سرقاته وابانة عيوب شعره فدلت عَلَى غزارة مادته وتوفر اطلاعه وله غيرها كتاب اسمه حلية الادب في مجلدين : توفي سنة ٣٨٨ للهجرة وقد اناف عَلَى السبعين

من شؤونهم والتفكير فيما يصلح من أمورهم وينبه من اقدارهم وفيه غالبًا انشأ المؤلفون الكتب وحبروا الرسائل وولدوا المعاني الحسان واودعوها اسلاك كلامهم تباهي النجوم ضياءً والدر نظامًا والروض زخرفًا وجمالا — وان كان ذلك مدعاةً لاضناء اجسامهم واخترام اعمارهم فان السهر ولا جرم مدعاة للسقم ومدرجة الالم وقد طالما عبث بالعقول قبل الاجساد فاوصل اليها الفساد — فالشاعر الماهر والكاتب المتأنق من اذا خلا الى حجرته وقد سدل الليل ستاره وسكنت ضوضاء الناس واستولت سنة النوم عَلَى اجفانهم نشط الى ماهو ميسر له من الامر وباشر عمله بعد امعان الفكرة واطالة الروية واستيحاء السليقة فيستمد من القريحة عفوها وفيضها غير مستند الى معنى لغيره يتلاعب به او قول لبعض السلف ينتحله موقنًا ان الناس كافةً قيمون له منتقدون لاقواله متفرغون لتزييف كلامه وتفنيد نظامه ووزن معانيه والفاظه بميزان المتعنت عليه المتبرم به الطالب حجة يتذرع بها الى تنقيصه وتسوئته والحط من فضله ثم يكتب وهذا التحوط نصب عينيه ماثل لديه فلا يجود الا من مائه ولا يسبك الا من معدنه بلا اغتصاب ولا استكراه حتى اذا فرغ مما حبر تربص الى ان تهدأ سوْرة اعجابه فيما راق له من مبتكرات معانيه ومسبوكات قوافيه — وقد يحمل ان يكون تربصه هذا يومًا او اياما — ثم يعود بعد ذلك — وقد سكنت القريحة وخلا الذهن وصح التأمل — فيراجع ما كتب مراجعة منتقد ذاته قيم عَلَى نفسه رقيب عَلَى عمله فان وجد محلاً للاصلاح اتاه او وجهًا للتهذيب والتنقيح مارسه وعاناه متخيراً اشرف الالفاظ واخفها واكثرها قرباً الى الفهم وتداولاً عَلَى الالسنة يدمجها في تضاعيف سطوره على منوال خاص واسلوب غريب يعرف به وتظهر ملكته في انفاس كلامه بحيث ينسبه القارئ العارف به اليه بمجرد تلاوته ولو لم يكن معنونًا باسمه ثم يعرضه على من يثق به من جهابذة الاقلام لعله يرى فيه عورةً فيسترها اوثلماً فيسده فمن سلك هذا المسلك الجدد من مجيدي الشعراء والكتاب امن في غالب منشآته العثار وحق له الاشتهار

تلك نصيحتنا نوصي بها ونحرض على الجري بمقتضاها وان كنا خالفناها في كل منظوماتنا حتى اليوم عَلَى مايعلمه المقتطف ونبه اليه فاننا كنا ننظم في ليلتنا القصائد المطولات ثم نبعث بها في الصبح الى عالم النشر دون معاودة نظر او تثبت وما ذلك الا اثر من آثار ضيق العطن المنبعث عن هزال الجسم وسوء الهضم اعاذ الله منهما كل ناظم وناثر فانهما آفة الاتقان ومجلبة التعس والمرارة والشقاء لبني الانسان ومامصدرهما فيمن قدر له ان

بعيش بعقله وعمله الا الامعان في السهر وعدم الاعتدال في الدراسة منذ الصغر فليتق الله الكاتبون في اجسامهم ان لهم فيما نعانيهم به عظة وعبرة ان كانوا ممن يتدبرون

وهنا — والشيء بالشيء يذكر — نأتي على كلام لابي عثمان الجاحظ (١) لا يخرج عما نحن في شأنه وتتوفر فيه الفائدة لمن رزقوا حظ الكتابة ولم يهتدوا الى قانون يقوي فيهم ملكة الانشاء و يبعثهم عَلَى الاجادة في الصناعة فان ذلك اهم مايحتاجه المنشؤون هذه الايام بعد ان قوضت فوضى الاقلام اركان البلاغة وشوهت ديباجة البيان واضاعت سر التأنق في الترسل حتى زالت عنه مسحة الجمال الا في عدد نزر ممن اوتوا نصيبهم من سلامة الذوق والعلم وألهموا الهداية في صناعتهم هذه الشريفة الى محجة الكمال فرسخت في اذهانهم قواعد التحرير والتحبير واستحكمت في صدورهم اساليب التفنن بصوغ المعنى الصحيح في قالب اللفظ الفصيح حتى استقامت لهجتهم ووضح منهاجهم وعذب بيانهم فنسجوا عَلَى منوال خاص بهم تشرب به القلوب وتستحسنه الاذواق وتعشقه النفوس عَلَى مافيه من السهولة والانسجام ومتانة التراكيب : قال الجاحظ

« يقول جهابذة اللفظ ونقاد المعاني واساطين البيان · المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في اذهانهم المختلجة في نفوسهم المتصلة بخواطرهم والحادثة عن افكارهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة اخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون عَلَى امره وعَلَى مالا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره وانما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها · وهذه الخصال هي التي تدنيها الى الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً والغائب شاهداً والبعيد قريباً · وهي التي تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مفيداً والمقيد مطلقاً والوحشي مألوفاً وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ورقة المدخل يكون ظهور المعنى · وكلما كانت الدلالة اوضح

(١) هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري الكاتب العالم المشهور صاحب التصانيف العديدة في الادب · لقب بالجاحظ لانه كان جاحظ العينين اي بارزهما · وهو مع ذلك مشوه الخلقة قبيح المنظر حتى قال فيه الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ما كان الا دون قبح الجاحظ

مات مفلوجاً ببغداد سنة ٢٥٥ للهجرة وقد تجاوز التسعين · ومن افضل مؤلفاته كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين وله شعر قليل مقبول

وافصح وكانت الاشارة ابين وانور كانت انفع وانجع في البيان والدلالة الظاهرة عَلَى المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله يمدحه بكتابه ويدعو اليه ويحث عليه : بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت اصناف العجم

فالبيان اسم كل شيء كشف لك عن قناع المعنى وهتك لك حجب الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم عَلَى محصوله كائناً ما كان ومن اي جنس كان . والالفاظ هي التي تكشف لك عن اعيان المعاني في الجملة وعن حقائقها في التفسير وعما يكون منها لغواً بهرجا وساقطاً مطرحاً فان صح التناسب وتم التآلف بين تلك المعاني وما تستخدمه لابرازها من الالفاظ سهل إشرابها للعقول وتجليها عَلَى المخيلات ودخولها الى صميم القلب والعكس بالعكس » . فمن شاء ان يكون حدّيثاً تقرع الآذان نبراته اومنشئاً تسحر الالباب نفثاته فليلبس المعنى الدقيق اللفظ الرشيق الذي لاينقص عن معناه ولايزيد وليمتن الاصول ويحذف الفصول ويجتنب الحشو ويطنب حيث يستحب الاطناب ويوجز حيث لايستكره الايجاز : كل ذلك يفتقر الى رأي حصيف وفكر نقاد وخاطر جريء وذهن ذكي وذوق يحسن الاختيار وبديهة لاتعرف التلكؤ وحافظة تكتنز من المواد مايستعان به عَلَى ركوب هذا المركب الوعر تقرن الى ضلاعة في العلوم وتبحر في الادب ومطالعة في آثار ائمة اهل البيان ممن نبغوا فدرجوا من قبل واشتمل عليهم الزمان ولقدقال ابوداود [1] «رأس الانشاء الطبع وعموده الدربة وجناحاه رواية الكلام وحليه الاعراب وبهاؤه تخير اللفظ » وقال ابن المعتز [2] «العاقل يكسو المعاني وشي الكلام في قلبه ثم يبديها بالفاظ كواس في احسن زينة والجاهل يستعجل باظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها»

ولما سئل جعفر البرمكي وزير الرشيد المشهور عن البيان قال « هو ان يحيط كلامك بمعناك ويكشف عن مغزاك ويخرجه عن الشركة ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سليماً من التكليف بعيداً من الضعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل مع نزاهته عن الركة وترفعه عن اللغو وابلغ الكلام ماطبخته مراجل العلم وصفاه راووق الفهم وضمنه دنان الحكمة فتمشت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رقته وفي العقول حدته وما احسن

(١) هو العالم المحدث المعروف بالسجستاني ولد سنة ٢٠٢ للهجرة ومات في البصرة سنة ٢٨٥ (٢) هو عبدالله ابن المعتز احد الخلفاء العباسيين المشهود له بجودة النظم والنثر وسعة العلم والادب ولد سنة ٢٤٩ وقتل سنة ٢٩٦ بعد ان تولى الخلافة يوماً واحداً

مافال حائك اديب « الكلام ما اتصلت لحمة الفاظه بسدى معانيه فخرج مفوفاً منيراً وموشى محبراً وان من البيان لسحراً »

ولقد قال غيره « البليغ من يحوك الكلام عَلَى حسب الاماني ويخيط الالفاظ عَلَى قدود المعاني » ومن اجلى ماوصفت به البلاغة قول احد العلويين « البلاغة ايصال المعنى الى القلب بحسن صورة من اللفظ » وهو يضارع قول بعض الاعراب « البلاغة ايجاز في غير عجز واطناب في غير سفسفة » .

هذه هي الصناعة التي يحسبها الناس اليوم لعقة من عصيد او لقمة من ثريد فلا يكاد الصبي منهم يقرأ الاجرومية او شيئاً من شرح ابن عقيل عَلَى الفية ابن مالك ويتلقف بعض ما اوجده الخليل بن احمد في دائرة البحور من الاعاريض وقيده اسماعيل الجوهري عَلَى بعض صفحات الصحاح من حوشي الالفاظ حتى يتربع في دست التصنيف والتأليف او يقف عَلَى منبر الامام الخطيب او يسمي نفسه بالشاعر الساحر فيملأ الدنيا صناناً وهو يظنه عطراً وملاباً اوورداً اوالحواناً ولله الامر من قبل ومن بعد وماهو بغافل عما يهذرون

« سليم عنحوري »

هل اللغة العربية حية (١)

وضع المسيو اسحاق قطان احد اعضاء المجمع العلمي القرطاجني في تونس محاضرة رد فيها على من قال ان اللغة العربية ليست من اللغات الحية وانها كانت كذلك وقد اصبحت اليوم من اللغات الميتة فاحدث كلام من اصدر هذا الحكم تأثيراً في نفوس المسلمين لان له علاقة باعز الاوضاع عندهم واقدسها في نظرهم ونعني بها اللغة وقد ردت بعض الصحف الاسلامية عَلَى من رموا العربية بالعقم رداً لم تورد فيه برهاناً بل جعلته خيالياً وتجاوزت فيه حد المناقشة العلمية ورمت القائل وهو اوربي بالطبع بانه لا يعرف مافي العربية من الميزات والخصائص وقالت انى يتأتى لغريب عنها ان يفهمها حق فهمها بيد ان صاحب هذه المحاضرة دافع عن العربية دفاعاً علمياً ورد مزاعم من يرمونها

(١) عربنا هذه الرسالة في الشهر الذي صدرت فيه من العام الماضي ففقدت اصولها من المطبعة في جملة المقالات التي ضاعت عندما أقفلت مطبعة المقتبس وعطلت هذه المجلة والجريدة وها نحن نعربها ثانية حرصاً على فائدتها فهذا عذرنا لصاحبها

بالموت بالبرهان السديد واثبت لها الحياة مع من يثبتها لها من ابنائها الذين يكتبون بها و يتكلمون فقال :

ان دعوى المسيو نويل بان اللغة العربية لغة مقدسة جامدة لاتتحرك وان ادنى تغيير يدخل عليها يعد خرقاً لحدودها وعبثاً بقانونها هو من الدعاوي التي يخالفها الواقع ولا ينهض عليها دليل . واني أرى علماء المشرقيات الذين يتعلمون العربية والكتاب المسيحيين في سورية ومصر ممن عنوا بها و برزوا في آدابها متذمنين بل والمستنيرين من المسلمين انفسهم يوافقونني عَلَى قولي ان اللغة العربية لغة سامية انتشرت اولاً في شبه جزيرة العرب ووصلت الى درجة التهذيب قبل الاسلام ببضعة قرون وكملت على يد النبي واصحابه وانه مضت عليها قرون طويلة وهي زاهرة بين شعوب انتشرت بينهم الحضارة الاسلامية فنشأ لم في العربية كتاب كثيرون من النصارى واليهود والمسلمين وانها اليوم شائعة بين الشرقيين من اهل الاسلام وغيرهم و يتفهم بها بضع مئات الالوف من البشر بينهم كثير ممن لم يدينوا بالاسلام ينزلون شمالي افريقية واواسطها وجزءاً من قارة آسيا .

نعم لا أؤاخذ اذا قلت اذا كانت العربية عند معظم المسلمين لغة مقدسة لانها لغة الدين والعبادة وهي لم تبرح لارباب العقول السامية الذين ازدان بهم الاسلام والمسيحيين والاسرائيليين الذين عنوا بها حق العناية منذ عهد الخلفاء الى هذا اليوم اداة بديعة للافصاح عن الفكر والعواطف العالية في مظاهرها المختلفة وهي من اجمل لغات البشر .

ارى انه متى أريد البحث في لغة بحثاً علمياً ان لاتوصف بما يصفها به ارباب التقاليد من النحاة ولا المتعصبة من المتفقهة بانها لغة مقدسة غير قابلة للزيادة والنقص بل الواجب النظر الى تاريخ هذه اللغة والبحث فيما اذا كانت بقيت جامدة عَلَى صورتها الاولى حقيقة اوانها نشأت ونمت كما ينمو كل تركيب نام حي .

لاجرم ان كل امرئ يدرك ان اللغات لاتحيا عَلَى يد اساتذة الكليات ولا بتقارير النحاة ولا باحكام الحاكم واوامر الحكومات فاللغة الافرنسية لم تنم منذ عهد كولبر الى زمن بريان بهذه الطريقة بل ان العربية عَلَى مافيها من الكتب في النحو والعروض التي شرحها معلمو الجوامع لاتعد لغة ادب فكما ان الافرنسية تحيا بكتابها المبدعين المجددين اكثر من حياتها برجالها اللغويين والباحثين في اصولها هكذا اللغة العربية عاشت طول عمرها

خارج الكليات الاسلامية بل بفضل اعمال المجددين والمترجمين والعلماء والفلاسفة والشعراء الذين كانوا في عصور مختلفة مع تمسكهم بقواعد النحو العربي الذي كانت الكليات مهيمنة عليها فهم يقفون ما امكن موقف التوفيق بين مايكتبون و بين اللغة التي يعجبون بها وحق لهم العجب من كمالها وغناها وجمالها · ومع هذا لم يقفوا ساعة عن تقويتها بما يحملونه اليها من الافكار الطارئة ولغات الشعوب الاخرى

واذا ابى المسيو نويل الخروج من هذا القياس وادعى بان اللغة المصرية اليوم هي لغة حديثة نشأت من قطع ملفقة من التقارير وليست من التقديس في شيء اي ليست اللغة العربية في معناها الحقيقي بل هي لغة صناعية وان اللغة المقدسة هي التي استعملها القرآن فقط وفيها الغريب — اذا قال بهذا فهو يحذف بقياسه من الآداب العربية كتب المؤرخين والعلماء والفلاسفة وغزل الشعراء لانها مملوءة بالمولد او انه يعتبرها من الكلام الوحشي الغير المأنوس و يقتصر بان لا يعد من الآداب العربية الا القرآن وتفاسيره ور بما كانت هذه التفاسير بحسب زعم المسيو نويل من غريب الكلام ايضاً

اما انا فلا افرط في التدقيق اكثر من عالم من علماء المسلمين بعد ان رأيت في دور المكتب اناساً من صلحائهم ينظرون في كتب القرآن والفقه و بجانبها تآليف كتبت بالعربية الحديثة بل مترجمات لفلاسفة يونان · ولذلك اسمي باللغة والآداب العربية تلك اللغة وتلك الآداب التي اتفق جمهور المسلمين وامثال سلفستر دي ساسي ودرامبورغ وغولدسير وغيرهم من العلماء على تسميته بهذا الاسم ·

قال المسيو نويل ان اللغة الحية هي التي تخضع لنواميس الحياة اي انها تدخل فيها الجديد وتنبذ مالاتراه نافعاً لها وهو تجديد يعد من شروط الحياة كالتغذية لكل تركيب نام نباتياً كان او حيوانياً

واذا كانت اللغة العربية مقدسة ولها قواعد ثابتة لايدخلها التعديل بدون خرق حرمتها فهي لاتقبل القلب والابدال ولذلك امست من اللغات الميتة

واني لا كتفي بدحض هذه الحجة بان اورد تاريخ العربية ولكم ان تحكموا بانفسكم بان هذه اللغة لم تبرح خاضعة قبل الاسلام و بعده لنواميس الحياة · اما تاريخ اللغة العربية فيقسم الى ادوار اربعة : دور التكون ودور المدنية الاسلامية الزاهر ودور الانحطاط والدور الحالي .

فدور التكون يبدأ بالزمن الذي انفصلت فيه هذه اللغة عن سائر اللغات السامية

واصبحت لغة خاصة بعد ان كانت عبارة عن لهجات كثيرة قلما تجد بينها اختلافاً كثيراً وهي وافرة بقدرما كان يعيش من القبائل في ارض شبه جزيرة العرب . وتعدد اللهجات كان من اسباب غني العربية بمفرداتها وانتهت الحال بعد ذلك بان اندمجت هذه اللهجات بعضها في بعض ونسيت كلها ماعدا ثلاث لهجات كبرى ذكرها التاريخ وهي لغة اليمن والحجاز والحبشة

جاء محمد (عليه السلام) وبدأ بتوحيد بلاد العرب في سياستها ووفق اخلافه الى تتميم هذا المقصد فتوحدت بذلك اللغة وكانت الغلبة للغة الحجاز موطن النبي فاصبحت لغة القرآن بعد واغتنت بما دخل اليها من المفردات المستعملة عند شعوب كثيرة ممن كانوا يقصدون مكة حاجين كالهند والفرس والنبط والحبشة والمصريين والاسرائيليين وغيرهم . فكانت مكة اشبه ببرج بابل ولا عجب ان سرى الى اللغة الادبية على ذاك العهد مزيج من لغات الامم الاخرى

فالالفاظ الدخيلة التي اغتنت بها اللغة العربية اذذاك هي اسماء العقاقير الطبية وماتنتج بطون الارض من المعادن وما يصنع في فارس والمملكة الرومانية والهند الشرقية من المصنوعات ويحمل الى جزيرة العرب . واقتبست العربية قبل الاسلام الفاظاً كثيرة من اللغة البهلوية كما اقتبست من العبرانية بعض الفاظ العبادة مثل « الحج » « الكاهن » « عاشوراء » وكانت الصلات التجارية بين الهند و بلاد العرب سبباً في تعريب كثير من الالفاظ السنسكريتية ولاسيما ما كان منها خاصاً بالعطور والاحجار الثمينة . و بعد ان فتحت فارس اخذ العرب يلبسون الثياب الفارسية وادخلوا الى لغتهم الالفاظ الدالة عليها في جملتها فدخلها من الالفاظ « السروال » « الجبة » « القفطان » « الطربوش » عَلَى نحو ما استعمل المسلمون الذين يكتسون الثياب الاوربية اليوم من الالفاظ « الجاكت » « البنطلون » « اللستيك » وأخذ عن الفرس معظم الالفاظ التي تدل عَلَى الاطعمة المختلفة والاسلحة والآنية وغيرها .

وابتدأ الدور الثاني للغة العربية وهو دور الفتوح والمدنية الاسلامية باقتباس الالفاظ الدينية والقانونية والادارية والعلمية وغير ذلك ثم بتعريب كتب اليونان والفرس والهنود فدخل اللغة من الالفاظ مثل « الكحالة » و « الصيدلة » ثم توسعت في استعمال بعض الالفاظ لاكثر من المعنى الذي وضعت للدلالة عليه مثل « مؤمن » « مسلم » « صلاة » « زكاة » « الحضانة »

حتى اذا تمت الفتوح وانشأ المسلمون ينظمون البلاد التي خضعت لسلطانهم اخذوا من الفرس والبيزنطيين اصول اوضاعهم السياسية والادارية والقانونية والعسكرية والمالية فاقتضى لهم تعابير جديدة لدلالة عَلَى هذه الوظائف الجديدة فاقتبسوا اكثرها عن الفرس والبيزنطيين مثل « الديوان » « الجامكية » « البريد » « نيشان » من الفارسية « الاسطول » « الكردوس » « البطاقة » من الرومية واخذوا مفردات عبرية وسريانية عندما ترجمت التوراة والاناجيل مثل « قربان » « جهنم » « توراة » « توبة » « تلميذ » « يغوث » « آمين » بل ان قواعد النحو نفسها قد دخلها التعديل فاخذت العرب تستعمل الضمائر المستترة للتفنن في التعبير تكثر من استعمال صيغة المجهول و تنسب الى الروح روحاني والى النفس نفساني وتستعمل بعض الصفات في صورة اسماء مثل « المائية » « العامة » « الخاصة » وعَلَى ذلك العهد سقطت من الاستعمال بعض الالفاظ التي اتى الاسلام على مدلولاتها مثل « المربع » « النشيطة » « الاتاوة » « الصرورة »

ولقد ظلت العربية تغتني بمفرداتها الجديدة وتراكيبها الحديثة وتنمو مفرداتها وقواعدها حتى جاء عصر انحطاط المملكة الاسلامية واخذت تنقسم الى ممالك مستقلة يحكمها اناس من اصول غير عربية كالمغول والاكراد والاتراك وغيرهم · ففي تلك العصور أصيبت اللغة بما ذهب برونقها الاصلي واصبحت من التكلف واستعمال الالفاظ الضخمة عَلَى جانب من الغلظة والجفاء حتى ان ما كتب من المصنفات عَلَى ذاك العهد تصعب قراءته لخلوه من كل فائدة · فهو عهد الالفاظ الرنانة المفخمة والسجع المرصع الذي أُعجب به بعضهم وحمل عليه كثيرون وذلك لان البيان كثيراً ما يضيع لضرورة السجع واذا ارتضت الاسماع الاسجاع فالفكر ينبو عنها كل النبو ·

وفي ذاك العهد دخلت اللغة تلك الاستعارات المفخمة والمبالغات الغريبة حتى ان معظم الالفاظ التي عربت تلك الايام كانت الفاظاً ادارية واسماء رتب في الجيش مثل « سنجقدار » « الجاشنكير » « اليوزباشي » « الباشا » « دفتردار » « خزندار » « المابين » « الاغا » « دفترخانه » · وفي ذاك العهد ايضاً اخذت بعض الالفاظ العربية توضع لمسميات جديدة مثل « المتصرف » « الصدر الاعظم » « القائم مقام » « المسئولية » « التابعية » ثم اتى دور تركت اللغة الا ما كان له منها علاقة بالنحو واللغة والتصوف والفقه وفي هذه الموضوعات صدرت كتب لاتحصى بكثرتها ·

والدور الرابع دور النهضة و يرد تاريخه الى نحو قرن وقد نزل الاوربيون في الشرق يلتمسون لهم في شواطيء البحر الابيض بلاداً يظهر فيها نشاطهم فاختلط المشارقة بالمغاربة اختلاطاً دائماً نشأ منه تبادل في الافكار بينهم و بفضل ذلك اغتنت لغاتهم بمفردات استعارها بعضهم من بعض . واذ كانت بضاعة الشرقيين في العلم قليلة أضطروا في دراسة العلوم الحديثة ان يأخذوا الفاظاً عن اللغات الغربية او ان يتوسعوا في معاني بعض مالديهم من الالفاظ العربية ليضعوها لافكار ومعارف جديدة . وذلك دليل عَلَى ان اللغة ظلت عَلَى حالها عَلَى النشوء

ومن العبث ان نورد هنا بعض الالفاظ الافرنسية التي اندمجت في سلك اللسان العربي مثل « بوليس » « بارلمان » « سيركولير » اوالالفاظ الايطالية مثل « بوسطة » « دبكريتو » « بروتستو » دع عنك التعابير العلمية التي سرت الى العربية من اللاتينية اواليونانية وهي شائعة في لغات اوربا . ومن الالفاظ الكثيرة التي حولت عن معناها الاصلي للدلالة عَلَى افكار جديدة لم تكن مألوفة للشرقيين « الميزانية » « المؤتمر » « المحرر » « المحافظون » « الاحرار » « الاشتراكيون » « اهل الفوضى »

وقد نشأ للغة في سورية ومصر لعهدنا كتاب بالعربية من الطبقة الاولى خلصوا اللغة من قيودها واعادوا اليها نضرتها الاولى وانقذوها من المترادفات المملة حتى صارت بانشائها الى الوضوح والسلامة معبرة احسن تعبير عن الافكار الحديثة و بفضلهم اخذت روح اللغات الاوربية تدخل في العربية وسهلوا نحوها وصرفها و بيانها .

يقولون ان لغة الكتابة تخالف لغة التكلم ومثل هذا موجود في اللغة الافرنسية نفسها فان اهل الطبقة الوسطى يتكلمون بلغة لاتناسب بينها و بين لغة اديب اوشاعر عَلَى ان الشعب في البلاد التي يتكلم فيها بالعربية اقرب الى فهم مايتعلمون من الالفاظ بالذوق من الشعوب الاوربية الى فهم الغريب من لغاتهم الرسمية . والدليل عَلَى ذلك انك تجد الطبقة النازلة من الامة تستمع للحكواتي (الادباتي) في محال القهوة وتنصت لقصص الف ليلة وليلة وقصة عنتر وتتفهمها كلها عَلَى بلاغتها بفطرة فيها وشعور طبيعي . ومهما يقال فان التمثيل باللغة العربية الادبية يفهمه العامة ولئن فاتهم فهم بعض ابياتها فعامة باريز ليسوا في مسارحهم اكثر فهماً لما يتلى عليهم من قصائد كورنيل وموليير

واللغة العربية ليست كما يقال لغة صناعية اجنبية وليست غريبة الا عن كثير من الطلبة

الهنود والمراكشيين وغيرهم ممن يقصدون من البادية جامع الزيتونة في تونس والازهر في مصر ليتعلموها بلى هي لغة حية لمن يدرسها و يتعلم بها بذوق مثل كتاب الشام ومصر الذين يتولون الصحافة و ينشرون المعارف البشرية بواسطة الصحف والكتب بل هي حية ايضاً بالنسبة لاولئك الذين تراهم في محال القهوة من العامة يهتزون لما يسمعون من اناشيد الغزل ووقائع الحروب عَلَى ان اللغة الافرنسية ايضاً هي احق بان تكون لغة صناعية اجنبية اذا رأينا كيف يتوارى شبان الطلبة من قرى اقاليم البروفانس و بروتانيا وغاسكونيا (فرنسا) عن الانظار ساعات اللعب في المدارس يتكلمون بلهجتهم الخاصة بهم

فان قيل ان اللغة العربية تحتاج الى عشر سنين لتعلم نحوها قلنا ان الشرقيين يتعلمونها في اقل من هذه المدة و يتقنون معها عدة لغات اجنبية فعلينا ان نعقد املنا باصلاح طرق التعليم في المدارس الاسلامية عَلَى الاسلوب الحديث و بذلك يحصل الطلبة لغتهم في قليل من الزمن فاللغة يجب ان تكون آلة لا غاية

وقد قال المسيو نو يل ان حاجة العربية ماسة الى ان تستمد من اللغة العامية لتحيا اما انا فاقول بان اعظم نقص في اللغة العربية ان تكون غنية وهي لا حاجة بها الى الاخذ من العامية في حين تجد لديها ٢١ لفظا مختلفاً للدلالة عَلَى الظلام و٥٢ للشمس و١٠٠ للخمر و٢٥٥ للناقة و٣٥٠ للاسد . وقد أُصيبت اللغة الافرنسية بكثرة مفرداتها عَلَى عهد رونسارد فما قدح ذلك فيها بل عد من الزيادات التي تحذف . فالعربية لا تشبه اللغات الاوربية بل هي بالنسبة الى الافرنسية كالمرأة الباريزية الممشوقة القوام الجميلة الهندام مع المرأة السمينة الشرقية التي تحرص عَلَى هندامها القديم وهي حية جميلة قوية . نعم ان غنى العربية في مفرداتها يضر بمرونتها وسرعة فهمها ولكن الدم الفتي الحار لا يكثر منها كثيراً في عروقه فانا نجد كتاب هذا العصر يسقطون عدداً كبيراً من المترادفات و ينشقون نها الروح الغربية فهم قوام على صحتها وحياتها . واللغة التي تأخذ عن العامية تصبح الى الابتذال الممقوت اقرب

و بالجملة فان العامة في الشرق ليسوا اقل من عامة الغرب فهماً للغتهم ولكنهم يزيدون فهماً يوم تصرف بينهم كل سنة الملايين لنشر التعليم العام عَلَى نحو ما يجري في الغرب .
وان قيل ان اللغة العربية لغة ادبية جميلة ولكنها ليست الا اداة مشوشة لتعليم العلوم فالجواب بان النتيجة التي وصل اليها اصدقائي المسلمين في المدرسة الخلدونية من تعليم

العلوم باللغة العربية هي تكذيب صريح لمن يقول هذا القول · ويمكن ان يقال ان شعوب الشرق هم من عناصر ادب وتفنن فهم اميل الى تلقف الشعر منهم الى تعلم العلوم المادية كما يفعل اليوم اهل القاصية من بلادا اوربا فيتخلون عن الجميل من العلوم لتعلم ماهو نافع منها حتى كادوا يفقدون بذلك حضارتهم · فانا اقول لهم في هذا المجال ماقاله نابوليون : اذا كانت العلوم من احسن مااهتدت عقول البشر الى تطبيقه فالآداب (الادبيات) هي روح الانسانية بذاتها

السجل المعلق

نقلنا في الجزء الماضي نموذجًا من كتاب السجل لحمزة بن علي مثبت الوهية الحاكم بامر الله وصاحب مذهب الدروز الاول وها نحن اولاء نتبعه بنتف منه تكشف الغطاء عن معتقدهم وللقاريء ان يعلق عليها ماشاء :

جاء في الرسالة الموسومة ويد (؟) التوحيد لدعوة الحق : توكلت عَلَى مولانا البار العلام العلي الاعلى حاكم الحكام من لايدخل في الخواطر والاوهام جل ذكره عن وصف الواصفين وادراك الانام حروف بسم الله الرحمن الرحيم حدود عبد مولانا الامام : كتابي اليكم معاشر الاخوان المستجيبين الى دعوة مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد جل ذكره عن الصاحبة والولد العابدين له لالغيره الناجين من شبكة ابليس اللعين والضد المهين وجواسيسه الملاعين وانصاره الغاوين وحزبه الشياطين ليس لابليس عليكم سلطان ولا لجنوده لديكم مكان ولا لزخرفه عندكم شان بل انتم الملائكة المقربون الذين ملكوا انفسهم عن افعال المشركين وانتم حملة عرش مولانا جل ذكره والعرش هاهنا علمه الحقيقي الذي هو صعب مستصعب لايحمله الا نبي مرسل اوملك مقرب اومؤمن امتحن المولى قلبه بالايمان له وجده سبحانه وتعالى عما يصفون

اما بعد فاني احمد اليكم مولانا الذي لامولى لنا سواه وآمركم واياي بالشكر لنعمه وآلائه حمد من استوجب الزيادة في اولاه وأخراه واوصيكم بما ايدني به مولانا جل ذكره وامرني به من اسقاط ما لايلزمكم اعتقاده وترك مالا يضركم افتقاده من الادوار الماضية الخامدة والشرائع الدارسة الجامدة ومامنهم ناطق الا وقد نسخ شريعة من كان

قبله من المتقدمين ومحمد بن عبدالله الناطق السادس لما ظهر بالنطق نسخ الشرائع كلها وسد الطرق وقال فمن لم يترك ما كان عليه قديماً من دين آبائه واجداده قتل وسبي كافراً ومن ترك الشريعة التي بيده ولم يلتفت اليها وقع عليه اسم الاسلام وكان في سلمه غير ملام وضمن لهم محمد الجنة على الدوام فبان للعاقل الشافي والمخلص الكافي ان الاشارة والمراد هاهنا في عبادة الوجود لا المعدم المفقود والانسان ابن يومه وساعته وفي الوجود راحته وله عبادته وبه حياته واليه اشارته ومولانا الحاكم البار العلام قد نسخ شريعة محمد بالكمال ظاهراً للمؤمنين ذوي الافضال وباطناً للموحدين اولي الالباب واما من نوره في قلبه زاهر وفي معاني اموره للخلق قاهر وغير منافق بالكفر شاهر لا يلتفت الى استعمال الناموس وعلوه وزخرف القول وسموه ويعلم انه استدراجاً للكافرين وتمييزاً للمؤمنين الموحدين كما قال وليميز الله الخبيث من الطيب وان كان لا يخفى عن مولانا جل ذكره الخبيث من الطيب يعني المشرك من الموحد لكنه اراد ان يبين للموحدين من يرجع منهم على عقبيه ومولانا جل ذكره عالم بما في الصدور وما هو كائن والدليل على ذلك زوال الشريعة على الاختصار في شيء واحد اذ لم تحتمل هذه الرسالة طول الشرح

وقد بينت لكم في الكتاب المعروف بالنقض الخفي نسخ السبع دعائم ظاهرها وباطنها وذلك بقوة مولانا جل ذكره وتأييده ولا حول ولا قوة الا به وكيف وفي رفع الزكاة واسقاطها مقنع السائلين عن غيرها وهي مقرونة بالصلاة وقد غزا عبد اللات بن عثمان المكنى بابي بكر الى بني حنيف ومعه جميع المهاجرين والانصار فقتل رجال بني حنيف ونهب اموالهم وسبى حريمهم . وقد اشترى علي ابن ابي طالب وهو اساس الناطق من جملة السبي امرأة تعرف بالحنفية واسمها تحفة وهي ام ولده محمد فقيل له ياعلي كيف تستحل نفسك ان تشتري امرأة مسلمة تشهد ان لااله الا الله وتشهد ان محمداً رسول الله وتصلي الخمس وتصوم شهر رمضان فقال علي ماينفعها ولا لقومها الشهادتين ولا سائر اعمال الشريعتين اذا لم يؤدوا الزكاة وان الزكاة هي الشريعة بكمالها فمن لم يؤدها وجب عليه القتل وأحل لنا ماله واهله لقوله فويل للمشركين الذين لا يؤدون الزكاة فقد اخرجهم الله من الاسلام وجعلهم مشركين . وانتم معاشر الموحدين قد علمتم وسمعتم السجل الذي امر مولانا جل ذكره بقراءته عليكم واسقط عنكم الزكاة والاعشار والاخماس وسائر الصدقات الى ابد الآبدين ولم يسقط عنكم محافظة بعضكم بعضاً ...»

وقال في رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد : « فنعوذ بمولانا من ذلك سبوح قدوس

مبدع الابداع وجامع الاشتات والاضياع الذي هو عَلَى السموات عال ٍوفي الارض متعال وعن قريب يظهر مولانا جل ذكره سيفه بيدي ويهلك المارقين ويشهر المرتدين ويجعلهم فضيحة وشهرة لعيون العالمين والذي يبقى من فضلة السيف تؤخذ منهم الجزية وهم صاغرون ويلبسون الغيار وهم كارهون ويكونون في الغيار والجالية على ثلثة اصناف فغيار النواصب علاقتان من الرصاص في اذني كل واحد منهم وزنهما عشرون درهماً وطرف كمه الايسر مصبوغ فاختياً وجاليته ديناران ونصف وهم يهود امة محمد ويكون غيار اهل التأويل الواقفين عند العدم علاقتين من الحديد في اذني كل واحد منهم وزنهما ثلثون درهماً وطرف كمه الايمن مصبوغ بالسواد وجاليته ثلاثة دنانير ونصف وهم المشركون نصارى امة محمد ويكون غيار المرتدين من توحيد مولانا جل ذكره علاقتين من الزجاج الاسود في اذني كل واحد منهم وزنهما اربعون درهماً ويكون عَلَى رأسه طرطور من جلد ثعلب وصدر ثوبه مصبوغ رصاصياً اغبر وجاليته خمسة دنانير في كل سنة وهم المنافقون مجوس امة محمد وتؤخذ هذه الجالية من الشيوخ والشباب والنساء والصبيان والاطفال في المهد وتغير عليهم العلائق في كل سنة فمن خالف منهم ضرب عنقه ....»

وقال في رسالة الغاية والنصيحة : فلو ميزتم معاني الكلام وتدبرتموها لبان لكم نطق الرسول من نطق ابليس وفعل الامام من فعل غطريس ولعرفتم السبت والخميس وتبرأتم من فرعون وهامان الرجيس ولتصور لكم ارتفاع مكان ادريس وعبدتم مولانا جل ذكره باري الحن والجن والبن والانيس . والرسول هنا هو الامام المفترض الطاعة وهو دون الامام الاعظم وابليس هو المشتبه بالمولى سبحانه ويزعم بانه جنس ويدعي عهد المسلمين والامام الاعظم ذومعة وسمي ذومعة لانه دعا توحيد الامام جل ذكره بلا واسطة وغطريس هو نشتكين الدرزي الذي تغطرس عَلَى الكشف بلا علم ولا يقين وهو الضد الذي سمعتم بانه يظهر من تحت ثوب الامام ويدعي منزلته ويكون له خوار وجولة بلا دولة ثم تنطفي ناره وكذلك الدرزي كان من جملة المستجيبين حتى تغطرس وتجبر وخرج من تحت الثوب والثوب هو الداعي والسترة التي امره بها امامه حمزة بن علي ابن احمد الهادي الى توحيد مولانا جل ذكره سبحانه وتعالى وادعى منزلته حسداً له واعجاباً بروحه وقال قول ابليس وكذلك الدرزي سمى روحه في الاول بسيف الايمان فلما انكرت عليه ذلك وبينت له ان هذا الاسم محال وكذب لان الايمان لايحتاج الى سيف بعينه بل المؤمنون

محتاجون الى قوة السيف واعزازه فلم يرجع عن ذلك الامم وزاد في عصيانه واظهر فعل الضدية في شانه وتسمى باسم الشرك وقال انا سيد الهاديين يعني انا خير من امامي الهادي وغره ما كان يضربه من زغل الدنانير والدراهم وحسب ان امر التوحيد مثله يحتمل التدليس وابى ان يسجد لمن نصبه المولى جل ذكره وقلده واختاره وجعله خليفته في دينه وامينه عَلَى سره وهاديًا الى توحيده وعبادته فنغطرس عَلَى الدين واظهر سيف الناطق والاساس اجمعين طلبًا للرياسة والاسم اللطيف باظهار الشريعة في عالم البسيط والكثيف . وفرعون البرذعي وهامان علي ابن الحبال لان فرعون كان داعي وقته فلما ابطأ الناطق قال انا ربكم الاعلي يعني امامكم الاعظم . وهامان الذي فتح له باب المعصية وادريس هو الذي رفع مكانًا عليًا وهو ارتفاع درجته في العلوم حتى صار امامًا دون الامام الاعظم الذي مص العلم من ذي معة وهو قائم الزمان هادي المستجيبين عبد مولانا جل ذكره وصفيه بلا واسطة جسماني فاذا عرفتم هذا عبدتم مولانا جل ذكره باري الحق وهم الدعاة والجن وهم المأذونون والبن وهم المكاسرة والانس وهم المستجيبون هاهنا في هذا المعنى والسبت دليل عَلَى السابق وهو علي بن عبدالله اللواتي الداعي والخميس دليل عَلَى التالي وهو مبارك بن علي الداعي واهل التأويل يزعمون بان الكلمة هو السابق والسابق هو الكلمة لافرق بينهما ولا يعرفون فوقهما شيئًا اذ كانت الثالثة حدود الذين هم ذومعة وذومعة والجناح غائبين عن عيون قلوبهم ينظرون اليهم وهم لا يبصرون

معاشر المستجيبين لمولانا جل ذكره قد بلغت لكم الهداية ودعوتكم الى توحيد مولانا جل ذكره في سبعين عصراً ما منها عصر الا و يظهرني مولانا جل ذكره فيكم بصورة اخرى واسم آخر ولغة اخرى اعرفكم ولا تعرفوني ولا تعرفون نفوسكم . والآن قد استدارت الادوار وكأنكم باظهار توحيد مولانا جل ذكره ونور الانوار واظهر لكم ما كان مدفونًا تحت الجدار فلمولانا الحمد والشكر وحده فلا تنكروا معجزات مولانا جل ذكره وآياته ولا تلتفتوا الى امس فامس مضى بما فيه وغداً فلا تعلم انك توافيه واليوم انت فيه بما يقتضيه وكلما غاب عن العالم اسقطوه فلو كان للعالمين عقول لميزوا معجزاتي التي ايدني بها مولانا جل ذكره يوم الجامع . . . . »

وقال في رسالة السيرة المستقيمة بشأن القرامطة ما يأتي : « وكان اهل الاحساء — الى المدينة صرفة — يسافرون اليها بالبيع والشراء فدخل اليها رجل من اهل الاحساء يقال له صرصر فكاسره بعض الدعاة واخذ عليه العهد من وقته وساعته واتى

به الى عند آدم وهو شطنيل فاطلقه داعياً باحساء واعمالها نخرج الرجل من وقته وساعته الى الاحساء واعمالها واخذ العهد بها عَلَى خلق كثير واوصاهم بتوحيد مولانا جل ذكره وعبادته والاقرار بشطنيل وامامته والتبريء من ابليس وصحبته وقال لهم اذا دخلتم هجر فعبسوا وجوهكم وقرمطوا آنافكم عَلَى اهلها فان فيها رجلاً يقال له حارث ابن طرماح الاصبهاني وله اصحاب كثيرة وكلهم قد خالفوا امر مولانا البار العلام وجحدوا فضيلة الامام فلا تخاطبوا اهلها بشيء من العلم الا لمن يحضر معكم مجلس شطنيل الحكيم فقبلوا من الداعي صرصر وفعلوا ما امرهم به من العبسة والقرامطة فلقبوهم بالقرامطة الى وقتنا هذا وصار ذلك اسماً في بلاد الفرس وارض خراسان اذا عرفوا رجلاً بالتوحيد قالوا هذا قرمطي ويسمون مذهب الاسماعيلية القرامطة بهذا السبب

وكان ابو طاهر وابو سعيد وغيرهم من القرامطة دعاة لمولانا البار سبحانه يعبدونه و يوحدونه و يسجدون لهيبته وعظمته و ينزهونه عن جميع بريته فلقبهم المولى جلت قدرته بالسادة وعملوا في الكشف مالم يعمله احد من الدعاة وقتلوا من المشركين مالم يقدر عليه احد من الدعاة ولم يسهل المولى سبحانه ظهور الكشف عَلَى ايديهم لما علم جلت قدرته وعزت عظمته ومشيئته مايكون من الخلف بعدهم من اضاعة التوحيد والضلالات واتباع بني العباس بالشهوات ووقوعهم في الغي والغمرات وقد آن وقت الكشف وازف اوان السيف والخسف وقتل المنافقين وهلاكهم بالعنف ولا بد من رجوع اهل الاحساء وهجر وديار الفرس الى ما كانوا عليه من توحيد مولانا جل ذكره وعبادته و يسجدون له ولهيبته وعظمته و ينزهونه عن جميع بريته و يكونوا انصار التوحيد كما كانت قديماً اسلافهم وابث فيهم دعاة التوحيد واجمع شمل الاولياء والعبيد واقهر بسيف مولانا جل ذكره كل جبار عنيد حتى لايبقى بالحرمين الشريفين مشرك بمولانا جل ذكره ولا كافر به ولا منافق عليه و يكون الدين واحد (؟) بلا ضد ولا معاند وذلك بقدرة مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد وشدة سلطانه ولاحول ولاقوة الا له و به عليه توكلت و به استعين واليه المصير وهو حسبي ونعم المعين النصير .... »

وقال في نفس هذه الرسالة ايضاً في توحيد الحاكم وآياته : فلمولانا الحمد والشكر على ظهور نور الانوار وخروج ما كان مدفوناً تحت الجدار فقد انعم علينا وعليكم بمباشرته في البشرية وظهوره لكم في الصورة المرئية كيما تدركون بعض ناسوته الانسية ولا اقول

ذاته اونفسه او صورته اومعناه اوصفاته اوحجابه اومقامه او وجهه الاضرورة عَلَى قدر استطاعة المستجيبين وما يفهموه المستمعين (كذا) وتعيه عقولهم ويدخل في خواطرهم ولو قلنا غير هذا لما فهموا الكلام ولا تم لهم النظام والا فمولانا جل ذكره لا يدخل في الاوهام والخواطر ولا يمتزج بباطن ولا ظاهر بل منه بدأ كل شيء واليه يعود كل شيء كل يوم هو في شان لا يشغله شأن عن شان سبحانه وتعالى عن احاطة الدهور به والازمان لا يقف احد من المخلوقين عَلَى افعال مولانا جل ذكره ولا يدرك غاية سلطانه ولا يستطيع الوقوف عَلَى كنه عشر عشر معشار سيرته و برهانه

ولو تدبروا العالمين (كذا) مايرون من آياته و بيان علاماته مشاهدة العيان لكان لهم كفاية عن طلب العدم بالخبر وعن كتبة التواريخ والسير وذلك مايشاهدون منه مالايجوز ان يكون من افعال احد من البشر ولاسمع به من التواريخ والسير. ولوجئت اذكر لكم عيان جميع ما اظهر مولانا جل ذكره من آياته و بيان علاماته لماحواه قرطاس ولا كتبه قلم كما قال في القرآن ولو ان مافي الارض من شجر اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله والله في هذا الموضع ناسوت مولانا سبحانه لكني اذكر لكم في هذه السيرة وجوهاً قليلة العدد كثيرة المنفعة لمن تفكر فيها ووحده وعبد مولانا سبحانه وعز عن حكومة الاوهام سلطانه.

فاول ما اختصر في القول ما فعله المولى سبحانه مع برجوان وابن عمار وهو يومئذ ظاهر ما يرونه العامة عَلَى قدر عقولهم و يقولون صبي السن وملك المشارقة كافة مع برجوان وابن عمار ملك المغاربة كافة ماامر مولانا سبحانه بقتلهم فقتلوا قتل الكلاب ولم يخش من تشويش العساكر والاضطراب واما امر ملوك الارض فما يجرأ احد منهم عَلَى مثل ذلك ثم امر بقتل ملوك كتامة وجبابرتها بلا خوف من نسلهم واصحابهم و يمشي انصاف الليالي في اوساط ذراريهم واولادهم بلا سيف ولا سكين

وقد شاهدتموه في وقت ابي ركوة الوليد بن هشام الملعون وقد اضرم ناره وكانت قلوب العساكر تجزع في مضاجعهم مما رأوه من كسر الجيوش وقتل الرجال وكان المولى جلت قدرته يخرج انصاف الليالي الى صحراء الجب و يلتقي به حسان بن عليان الكلبي في خمس مائة فارس و يقف معهم بلا سلاح ولا عدة حتى يسأل كل واحد منهم عن حاجته ثم انه يدخل في ظاهر الامر الى صحراء الجب وليس معه غير الركابية والمؤذنين وكذلك في وقت نفاق مفرج بن دغفل بن جراح واخوته واولاده وبدر بن

ربيعة وجميع العرب كافة وكانوا اهل الحجاز مع سلطانهم حسين بن جعفر الحسيني الذي نافق بمكة ومجيئه الى الرملة واجتماعه مع ابن جراح واولاده وما بالحضرة احد من العسكرية ولا من الرعية الا وهو يعتقد في كل يوم وليلة بان حسين بن جعفر الحسيني يجي مع مفرج بن دغفل واولاده ويكبسون القاهرة والمولى جل ذكره يركب كل يوم وليلة ويخرج العتمة من القاهرة ويدخل صحراء الجب ناحية الجبل موضع يزعمون العالم بان مفرج بن جراح يجيء من ذلك الموضع ولم يرجع الحسيني الى مكة حتى وقعت العداوة بينه وبين ابن جراح واراد ابن جراح ان يقتله ثم هلك بعد ذلك مفرج بن دغفل بن جراح وملوك الارض كافة قد عجزوا عن هذا .... » اه .

وهكذا تجد هذا المخطوط كيف قلبته حاويًا انواعًا مما تقدم وقد ختم بقصيدة اسمها شعر النفس للشيخ ابي ابراهيم اسمعيل بن محمد التميمي الداعي المكنى بصفوة المستجيبين الى دين مولانا الى علم الامام أرسلها الى جبل السماق لتقرأ على كل موحد وموحدة قال :

الى غاية الغايات قصدي وبغيتي	الى الحاكم العالي على كل حاكم
الى الحاكم المنصور عوجوا ويمموا	فليس فتى التوحيد فيه بنادم
هو الحاكم الفرد الذي جل اسمه	وليس له شبه يقاس بحاكم
حكيم عليم قادر مالك الورى	يؤانس بالاسم المشاع بحاكم
غدا السابق السامي اليه وتاله	مع الجد والفتح الخيال الملازم
عبيداً لمولانا خضوعاً لامره	وكل فتى في الدين عبد لآدم
هو الواحد العالي على كل علة	وما غيره الا كعبد وخادم
هو الحاكم المولى بناسوته يرى	ولاهوته يأتي بكل العظائم
الى الحاكم المولى فهبوا واقبلوا	فتوحيدكم صدق على كل حازم
اذا الحاكم العالي تعالى بموكب	فوحد بين العلم بين العوالم
تسمى اماما والامام فعبده	ثيقظ ولا تصغي الى كل نائم
وقد ظهر المولى فآسى عبيده	بافعالهم انساً بحكمة حاكم
ظهوراً بافعال العبيد وشكلهم	ويؤنسهم والخلق شبه البهائم
اذا بثنا التوحيد طاشت عقولهم	وراموا انتهاشاً مثل نهش الاراقم

سيقطعهم عظم احتجاج مقالنا ... الى عظمهم قطعاً كقطع الصوارم
هو الحق ماقلنا شواهده اتت ... تحز مقال القوم حز الغلاصم
تقوم رجال الحق عند قيامهم ... بقوة عزم في انتهاء العزائم
يفادون رغماً لايجاب مقالهم ... حفاة اسارى في اكف الضراغم
يناديهم الهادي هلموا الى الذي ... جهلتم من التوحيد من كل عالم
هلموا الى المعنى الخفي وحسبكم ... شواهد ماابدي لكم في الدعائم
وقلتم بتأويل المعاني ديانة ... على غير ماقد قيل من كل قائم
ظننتم بان الطفل يبقى لصغره ... وانسيتم حد البلاغ المكاتم
واشركتم والشرك كنه لنطقكم ... وامواج بحر الشرك بين التلاطم
سيطلق سيف الحق فيكم لجهلكم ... و يحصدكم كالزرع من غير راحم
وتحويكم اهل الاجابة والتقى ... وتوحيدهم يربو عَلَى كل غانم
و يظهر سيف للتميمي مشهراً ... عَلَى جمعكم والفعل من غير آثم
ومـا صفوة للمستجيبين تارك ... جهادكم من غير خوف ولا لم
ونشفي غليلاً في الصدور ممكناً ... ونأتي عَلَى انسابكم والتراجم
وتمشون جهراً بالغيار خلافكم ... وتلقون كل الذل من غير راحم
سيكظم هذا الشعر كل منافق ... و يزداد كظماً فوق كظم الا كاظم

حال الهند الانكليزية

(معربة عن مجلة الدنيا الاسبوعية)

ليست احوال الهند كما يرام والحكومة الهندية والبريطانية في خوف شديد ورعب زائد . لاجرم انه يستبعد حدوث ثورة عامة مثل ثورة سنة ١٨٥٧ . لان الحكومة تتذرع بوسائل من الحزم والاحتياط تجعل امثال هذه الثورات من قبيل المحال . خصوصاً وان اسلاك البرق وخطوط الحديد وسرعة وصول الاخبار وسهولة المواصلات تساعد الحكومة علي توطيد دعائم الامن والراحة وتضمن لها السكون والهدو . غير ان الهنديين يحاربون الفاتحين بأسلحة أُخرى وسيظلون محاربين لهم ابداً بها وهي :
١ الجرائد . الخطب . الدعوة الى الثورة .

فبهذه الاسلحة الثلاثة يحاول الهندبون نزع نير الحكم الانكليزي من اعناقهم . الا وان بين سكان آسيا عَلَى اختلاف مللهم ونحلهم وتباين عناصرهم واجناسهم و بين اهل اوروبا نفوراً ليس في امكان البشر محوه ورفعه .

واليك ماقاله كيبلينك في هذا الصدد : (Kipling من كتاب الانكليز ولد في بومباي سنة ١٨٦٥)

« الشرق شرق والغرب غرب . ولا شيء يجمع بينهما فهما ضدان لا يأتلفان . ومن المتعذر كل التعذر ان تنشأ بين ابن الشرق و بين ابن المغرب ألفة حقيقية او مودة ثابتة او ثقة تامة . فانهما يتكلمان بلغتين متباينتين كل التباين ولا يستطيعان ابداً ان يتفاهما . وعدم الالفة وقلة الوئام هو الاصل في علائق الشرقيين والغربيين على مدى الايام ... »

تخرج في غضون خمسين سنة من المدارس العليا في الهند وانكلترا ما يربو عَلَى خمسين الف تلميذ هندي فتسعة اعشار هؤلاء غدوا كتاباً وادباء ومحامين . اما الاطباء والمهندسون والكيماويون فهم بين ثلاثة الى اربعة آلاف

ويتخرج كل سنة من المدارس العالية اثنا عشر الف هندي وهؤلاء يأتون بلادهم حاملين شهاداتهم فيزداد بهم عدد الدارسين المعلمين زيادة مستمرة

وان يكن قد خصص لهؤلاء الشبان بعض المناصب الصغيرة في الادارة والمحاكم فليس في هذه المناصب ما يكفيهم جميعاً ومن لم يقدر عَلَى الدخول او يرغب في دخول سلك المعلمين بتلك الرواتب الطفيفة التي كادت تكون سخرية وهزؤاً يضم صوته لاصوات الجرائد ورجال السياسة المهيجين فعدد هؤلاء كبير للغاية وهو ينمو ويقوى عَلَى الدوام ...

فالتربية الاوربية جعلت الهنديين غير راضين وصيرتهم حانقين ناقمين ! ينشأ الهندي من المدارس العالية عَلَى ذكاء وقاد ونباهة تامة غير ميال للتجارة او الصناعات فيدخل في برهة وجيزة غمار السياسة وهو حانق عَلَى حكومة وادارة قد غرستا فيه آمالا كبيرة ومنته باحلام مذهبة لم يتمكن من تحقيقها ولا طاقة له بالحصول عليها . واذ كان يرى نفسه عَلَى مستوى من يحكمون عليه مساوياً لهم في المعرفة والادراك لافرق بينه وبينهم في شيء لايلبث ان يتمثل امام عينه ذلك الظلم المهين الذي سجل عليه حياة بائسة تحت ربقة اناس دخلاء اجانب غرباء مع ان في مكنته ان يقوم مقامهم

في تولي الامور والمصالح والعمل في شؤون الحكومة والادارة وقد يفضلهم و يمتازعنهم من حيث انه ابن البلاد عارف بأخلاقها وطبائعها ، خبير بأمزجتها وعاداتها ، واقف على معتقداتها وتصوراتها ...

يتعلم الهندي في بلاد الانكليز في ايام الدراسة قواعد السياسة واصول الادارة و يقف على آراء علماء الاجتماع على نحو ما يتلقاها شبان الانكليز فيخرج من المدرسة وعقله متشبع بمبادىء الحكم الذاتي وحكم الامة نفسها بنفسها وعدم المركزية Selfgovernment كما هو الحال في بريطانيا . والتلميذ الهندي يفهم هذه المبادئ كل الفهم و يعلمها حق العلم ولكنه متى جاء ليطبق احكامها على بلاده واوطانه يشعر بأن لسان حال الانكليز يقول له بأجلى اشارة :

« ما كان حقاً وصحيحاً على ضفاف التايمس ليس كذلك على ضفاف الغانج ! »

وهذا القول يصعب اذا نظر الانسان اليه بعين انكليزية اما الهندي فلا يقنعه ذلك ومن هنا ينبعث النفور والحنق .

يريدالهنود اما ان يتركوا وشأنهم يحكمون انفسهم بانفسهم واما ان يحكمهم الانكليز مراعين مصلحة الثلاثمائة مليون من البشر سكان الهند رعية امبراطور الممالك الهندية وملك بريطانيا . وبعبارة اخرى يطلبون من حكومة الهند ان توجه عنايتها لحفظ مصالح الهند

اما الانكليز وجرائد الانكليز فيقولون و يجهرون بالقول غير مبالين بأن بقاء الانكليز وحكمهم عليها هو لاجل مصالح الانكليز فقط فالهنود محكومون للانكليز من اجل هذه المصالح وحدها وما دام الانكليز في بلاد الهند فمصالحهم ومرافقهم فيها خطيرة فحرصاً على هذه المصالح ورعاية لهذه المرافق وحباً بالوصول اليها على اكمل وجوهها يحكمون هذه المملكة الشاسعة الاطراف الوسيعة الجوانب و يدبرون امورها .

ربما ساغ للانكليز ان يقولوا انهم عمروا البلاد وحسنوا حالها بانشاء الطرق ومد الخطوط الحديدية واسلاك البرق واصلاح الري وسقيا الارض وفتح ابواب الصناعات وبذل العناية في حفظ الصحة العامة ودرء اسباب المجاعات وتخفيف ويلاتها . ولكن هذه المواد النافعة لم تأت الا من طريق العرض وهي منبعثة من المنافع الكبيرة والفوائد

العظمى التي خص الانكليز بها انفسهم دون سواهم فهي ناشئة من حاجتهم اليها لاجل استثمار البلاد واخذ نتاجها وغلتها ...

وقصارى القول : ان الانكليز لم يحكموا بلاد الهند من اجل عيون الهنود الكحلاء ولمنفعة الهنديين بل رغبة في مصلحة الانكليز وحدها ...

وما من احد في الغرب يلوم الانكليز على صنعها هذا . ولكن اليس من البديهي ان يصبح اهل الهند غير راضين عن هذه الحالة .

يقول الهنود : لا يعمل الانكليز الا لانفسهم .

ويجيبهم الانكليز : بانهم يعملون لانفسهم وفي عملهم هذا ينفعون البلاد الهندية .

فهنا فرق دقيق لا يخفى على الناقد البصير .

وان الهنود الدارسين في اوروبا يعلمون هذا الفرق و يدركونه وهم لا ينفكون من الفات انظار ابناء وطنهم اليه مشوبًا بالاعظام والمبالغة . رأى الهنود المتعلمون وعرفوا ماذا حدث وجرى في جزيرة ايرلاندا ورأوا وعرفوا ماذا حدث وجرى في الممالك الاخرى فأقتدوا بهم ونسجوا على منوالهم وحذوا حذوهم وقلدوا الايرلانديين والاجتماعيين والعدميين (سوسياليست وآنارشيست) في اعمالهم ..

خذ مثالاً لذلك حادثة عليبور سنة ١٩٠٨ وحادثة لوندرا سنة ١٩٠٩ (وهي ان دنكرا الهندي قتل السير كرزون و يلي والدكتور لالقا سنة ١٩٠٩) وغيرهما ...

فالمتهيجون والكتاب والصحافيون من الهنود الذين يعرفون قوة الجرائد والمطبوعات وتأثيرها فتحوا باب حرب دائمة على صحائف الجرائد ضد الانكليز يدعون الناس فيها الى طلب الاستقلال في الادارة (اوتونومي وبالهندية سوراجا) و يشوقونهم لمقاطعة البضائع الانكليزية (بويكوتاج وبالهندية سوادشي) كما صنع الايرلانديون في جزيرتهم .

واضافوا على ذلك عمل الفوضو يين اي القتل والفتك الذريع والقاء القنابل والاجزاء المفرقعة والمواد النارية المنفجرة .

وهذا هو البلاء ! فكيف السبيل للوقوف امام تياره الهائل ؟

لم تعمد الحكومة الانكليزية حتى الآن الا الى طريقتين : الاولى العزم والرصانة . الثانية : ارضاء الطبقات العليا التي لها التأثير في الهنود بشيء من المنافع والمناصب وهم البراهمة الذين يلتصق بهم عامة الدارسين من الهنديين الذين نشأوا نشأة افرنجية .

وربما وجد بين هؤلاء من هو راض عن الانكليز وحكم الانكليز · بيد انهم قليلون جداً لايتعدون الطبقة التي تولت مناصب الحكومة ونالت رواتب كافية ·

اما جيش الكتاب الصحافيين العرمرم ، جيش الناقمين الحانقين ، جيش المتعلمين الذين لم يحصلوا على مراكز في الحكومة فأنهم يؤثرون في افكار الناس جميعاً من طريق الكتابة والخطابة ·

يصعب الحكم على مبلغ تأثير هؤلاء المتحمسين والى اين يصل وماذا حصل منه · ومعلوم ان التأثير عظيم جداً لاسيما في بنجاب و بنغاله وغيرهما من الاقطار · · ·

ومما يساعد على امتداد سلطة الانكليز في الهند انقسام الهنديين الى طبقات متخالفات (كاست · Caste) وهذه الطبقات لارابطة بينها ولا ترغب في ان يكون لها رابطة · ·

ولا يوجد في الهند ما يقال له امة هندية · وليس بين سكان الممالك الهندية رابطة مشتركة سوى بغض الانكليز وهذه الرابطة عبارة عن شعور سلبي لايفيد في شيء ان لم يكن مشفوعاً بشعور ايجابي كحب الوطن والاشتراك في اللغة وفي الافكار · فهذا لا اثر له في الهند · او لم يوجد بعد · ويختلف الهنود بعضهم عن بعض كما يخالف سكان البلاد المفترقة في اوربا ·

ثم ان العنصر الاسلامي في الهند راض عن حكومة الانكليز لانه هو ايضاً اجنبي · ومن المحقق ان المسلمين في الهند ليسوا سوى ستين مليوناً من ثلثمائة مليون والهنود يبغضون المسلمين بقدر بغضهم للافرنج تقريباً وزد على ذلك فان مسلمي الهند محرومون من الذكاء والميل للتعليم الذي عرف به الهنود ·

فينتج من ذلك ان الحالة في الهند او في بعض اياالاتها (كبنجاب و بنغاله وغيرهما · ·) ليست على خير وان كان لا ينبغي اعظامها والمبالغة فيها لان وجود الطبقات المتخالفات في درجات الاجتماع واختلاف الاجناس والاديان يحول دون ثورة عامة على الانكليز · وانكلترا لاتخشى الا من ان تثور الهند مدفوعة من احدى الدول العظمى او مستندة عليها · خطر الثورة في الهند قليل جداً بالنسبة للثورة التي حدثت قبل اثنتي عشرة سنة ولكن المركز حرج على كل حال ·

عن نهر الذهب : عبدالوهاب

آفة الاخبار

مسألة تصحيح السند في الاخبار من المسائل المعول عليها كثيراً في الاسلام حتى عد ذلك من خصائصه و به حفظت السنة بحالها وطرحت منها الزوائد ولم يبق مجال للوضاعين والقصاصين على شدة احتيالهم في بث مااخترعوه ووضعوه ولاجل هذا الغرض أُلفت المصنفات الكثيرة في الطبقات ليعرف كل امرىء بترجمته فلا يغتر انسان بقوله مهما بلغ من زخرفه : فمن طبقات للمفسرين واخرى للمحدثين واخرى للفقهاء وغيرها للمؤرخين وغيرها للنحويين والحكماء والادباء والفلاسفة والاطباء لتظهر على الدهر صفات من انتسب لعلم او ضرب في المعارف بسهم

ولذلك كان من السهل التمييز بين اقوال المؤلفين على عهد رواج بضاعة العلوم في هذه الديار ايام كانت ملكة النقد ترجع الى قواعد مقررة وضوابط محررة فلا يغتر الخاصة بنقل نقله مؤلف هو في الحقيقة من العامة بمجرد مايرونه مكتوباً عَلَى الورق منشوراً في سفر مجلد .

ولقد كان ولا يزال بعض من يعانون صناعة التأليف يسقطون الحين بعد الآخر في مسائل فيخلطون فيها على الاغلب ومنشأ ذلك عَلَى مايعرف المحققون عدم تصحيح السند والنقل واخذ القول على عواهنه بدون تمحيص حتى لم تكد تخلو كتابة المكثرين من المغامز يتبين منها عوارها و يتجلي ضعفها .

مثال ذلك اختلاف بعضهم في امر الخلفاء وما كانوا عليه من المنازع والاخلاق فكان بعضهم يقدح في سيرتهم حتى يسقطوهم كل الاسقاط و بعضهم يرفعونهم حتى يبلغوا بهم مراتب الملائكة وكلا الامرين افراط وتفريط . فقد رأينا بعض الوضاعين وارباب المجون اتهموا بعض بني العباس كالرشيد والمأمون مثلا بالتبذل والاسترسال في الخلاعة ولم نر مؤرخاً واحداً من ثقات المؤرخين صحح هذه الاخبار فكأن مدون تلك الهنات يحاول الصاقها بخصمه لغرض سياسي او ان ينقلها بعض ارباب المقالات والاهواء — واكثرها نشأت ايضاً من نزغات سياسية — و يقصد منها غرضاً من الاغراض او يغتر بها الابله وما اكثر البله في المؤلفين . ومن الحكايات المدخولة الاغراض المنوه بها مارواه بعض لم يصححوا النقل في السبب الذي حمل الرشيد عَلَى نكبة البرامكة من قصة العباسة اخته مع جعفر بن يحيي بن خالد مولاه وانه لكلفه

بمكانهما من معاقرته واياهما الخمر اذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة وان العباسة تحيلت عليه في التماس الخلوة لما شغفها من حبه فحملت ووشي بذلك للرشيد فغضب ونكب البرامكة

وقد رد ابن خلدون عَلَى هذه التهمة الشنعاء احسن رد معقول فدفع هذه الفرية عن ابنة خليفة واخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول قريبة من عهد البداوة وسذاجة الدين وماهذه التهمة الا مما وضعه الوضاعون يقصدون التوصل منه الى النيل من اولئك الخلفاء بهذه الطرق السافلة واغراء الناس عَلَى اتيان المنكرات ليقول العامة اذا كان مثل الرشيد يعاقر الخمر ويقدح فى مروءته في مسألة تزويج اخته فاولى بنا ان لانتشدد في قيود الدين والآداب ونحن يسعنا مايسعهم وقد قال الطبري وهو من ثقات المؤرخين والمحدثين ان الرشيد كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاماً ويحج عاماً . اما الشراب الذي يرمى بنو العباس بتناوله فكان عصير التمر وقد افتى بحله الفقهاء .

وانا اذا اعتمدنا في اخبارنا عَلَى مثل كتاب اعلام الناس ونزهة المجالس وشمس المعارف وغيرها من كتب الموضوعات واعتقدنا صحة اقوال بعض ارباب الاهواء من المؤرخين لايكاد يبقى لنا بقية يعتد بها من الخلفاء والائمة ما كانت الامة بهم ترقى الى اليوم محافظة بعض الشيء عَلَى آدابها واخلاقها . ومن ذلك ماوقع مؤخراً لصاحب مقالة تعليم النساء [1] فنقل ماقاله الادباء واكثرهم من المخالفين لبني العباس في مذهبهم الديني والسياسي — في علية حفيدة المنصور وبنت المهدي واخت موسى الهادي وابراهيم ابن المهدي والرشيد والعباسة واسماء وعمة الامين والمأمون والمعتصم وانها كانت تشبب بغلامين طل ورشا وان الرشيد لما آنس منها ميلا الى طل وهبها اياه وقبل رأسها وقال لها لست امنعك بعد اليوم من شيء تريدينه !

ولئن رجح الكاتب الرواية الثانية لما عرف من انفة الرشيد وغيرته ولكنه كان عليه طرح هذه الرواية المدخولة لادنى نظر قياساً عَلَى نظائرها مما روي عن ارباب الخلاعة من الماجنين من الشعراء والوضاعين من اهل الاهواء ممن يريدون الاعتذار عن سيئاتهم باتهام العظماء بهذه التهم الشنعاء ليكون الناس في الخزي والبذاء كاسنان

(١) المقتبس م ٥ ص ١٧٢ لسليم بك عنحوري

المشط في الاستواء ولطالما ود صاحب الكبائر لو كان الناس كلهم شركاءهم فيما يقترفون ·

وانا اذا وضعنا هذه الرواية عَلَى محك الروية لتجلى لنا لاول نظر بانها لاتصدر عن عامة الناس في عصر الرشيد والمأمون وناهيك به من عصر بلغ الغاية في الآداب والعلم والصيانة فكيف يعقل صدور ذلك من خليفة وابنة خليفة واخت خليفة ولو وجد عقلاء عصره ورجال دولته اقل نقد عليه لما سكتوا عنه ولو اغمضوا عيونهم لما خفي امره عَلَى الطالبيين القائمين بالدعوة الى اهل البيت وهل احسن لهم ذريعة في اسقاط الرشيد والمأمون من نسبتهما الى امور لوثبت اقلها لكانت تقصيهما عن منصب الخلافة ولو كان اهل الارض ظهراءهما

ان اخلاق السوقة تأبى لعمر الحق الرضى بما نقله اهل المجون عن الرشيد وسماحه لاخته بمعشوقها وقوله لها انه لايصدفها عن اتيان ما تريد اذا كان فيه هوى نفسها! وان نسبة تلك الاشعار في النسيب والتشبيب الى امرأة كعلية من فضليات النساء لا يرضى به السوقة دع عنك الخلفاء بعد الذي علمناه من ان العرب كانوا يقتلون من بناتهم من تشبب وتفحش في غزلها فكيف بعد هذا نثق برواية القيرواني في علية وهو أموي والاصفهاني وهو علوي- ومعاداة العلويين والامويين لبني العباس معلومة مشهورة وميل الادباء والموسيقيين للاغراب لادهاش الناس معروف موصوف ومتى كانت تؤخذ حقيقة علمية من اديب اوفضيلة اخلاقية عن شاعر ·

وعندنا ان كل ما اتهم به الوضاعون واهل الخلاعة بعض الخلفاء الاول من بني العباس انما اتى من تكتم العباسيين في امرار دولتهم ولانهم اعطوا الامة حرية أمنت فيها فلم ير بعض ارديا الفطرة اقرب الى العبث بعقول العامة من نشر تلك الموضوعات والمجونيات بين العامة والخاصة كما اشاعوا سوء القالة عن العباسة وعلية والناس اميل الى الشر منهم الى الخير والى كسر القيود اكثر من الاحتفاظ بها والى اقاصيص الهزل واساطير اللهو اكثر من روايات الجد وتلقف الحقائق · وكل شيء يحتاج الى تمحيص وحاجتنا اليه فى التآليف والمؤلفين اكثر حتى لانغترر بكل قول ولانصحح كل نقل

قانون حق التأليف

المادة الاولى — لكل نوع من النتائج الفكرية والقلمية حق لصاحبها يسمى « حق التأليف » .

المادة الثانية — النتائج الفكرية والقلمية هي جميع انواع الكتب والمؤلفات والرسوم والالواح والخطوط والمحكوكات والهياكل والخطط والخرائط والمسطحات والمجسمات المعارية والجغرافية والطوبوغرافية وكل المسطحات والمجسمات الفنية والترانيم والتواقيع (نوطه) الموسيقية .

المادة الثالثة — ان حق التأليف يتضمن طبع ونشر هذه الآثار والاتجار بها وترجمتها للسان آخر او افراغها لرواية تمثيلية ويشمل الدروس والمواعظ والخطب والمسامرات التي تلقى لاجل التعليم والتربية او الفكاهة . اما الخطب التي تلقى في مجلس المبعوثان والاعيان والمحاكم والاجتماعات العمومية فلكل انسان ان يضبطها وينشرها . وانما جمع خطب خطيب او دروس استاذ وتدوينها وطبعها هو حق من حقوق صاحبها .

المادة الرابعة — المقالات والرسوم التي تنشر في الجرائد اليومية والموقتة اذا كانت مقيدة بعبارة مثل « حقها محفوظ » « ونشرها وترجمتها ممنوع لغير صاحبها» فحقها محفوظ .

ولكن المقالات والرسوم والاخبار اليومية غير المقيدة بمثل هذا القيد لا يعتبر فيها حق التأليف على شرط ان يبين مأخذها .

المادة الخامسة — لا يجوز استعمال اسماء الجرائد والمجموعات والرسائل والكتب الموجودة من قبل احد وانما لكل انسان ان يضع لمؤلفاته اسماء وعنوانات عمومية .

المادة السادسة — يعود حق التأليف للمؤلف في حياته وبعد وفاته يعود اولا لاولاده وازواجه لمدة ثلاثين سنة من تاريخ وفاته . ثانيا لآبائه وامهاته . ثالثا لاحفاده بالتساوي . وعليه لا يجوز طبع ونشر هذه المؤلفات او ترجمتها للسان آخر في هذه المدة من قبل احد غير مؤلفها او ورثته .

المادة السابعة — ان حق التأليف في الالواح والخطوط والنقوش والرسوم والاشكال والخرائط وجميع المسطحات والمجسمات المعارية والجغرافية والطوبوغرافية بعد الوفاة

هو ثماني عشرة سنة اما حق التأليف في الترانيم والتواقيع الموسيقية فهو كالكتب والمؤلفات (ثلاثون سنة) ٠

المادة الثامنة — ليس في القوانين والنظامات والاوامر والتعليمات الرسمية والاعلانات التجارية والصناعية حق للتأليف ولكن للذين يعلقون عليها و يشرحونها حق محفوظ في هذه التعاليق والشروح ٠

المادة التاسعة — ان مدة حق التأليف للآثار التي لم تنشر في حياة المحرر تبتدئ اعتباراً من تاريخ نشرها ٠

المادة العاشرة — لايجوز تمثيل رواية منثورة اومنظومة اوتمثيل قسم منها من غير اذن المؤلف ولايتضمن حق طبع هذه الآثار ونشرها حق تمثيلها ٠

المادة الحادية عشرة — ان تمثيل الروايات المنثورة والمنظومة في المسامرات التي ترتبها المكاتب والجمعيات الخصوصية لالمقصد الانتفاع غير تابعة لحق التأليف

المادة الثانية عشرة -- يجوز اخذ بعض القطع من اي اثر كان لضرورة اولفائدة من الآثار الادبية والعلمية والكتب المخصوصة بالمدارس وفي الانتقادات على شرط ان يذكر اسم المؤلف ٠

المادة الثالثة عشرة — لاتنشر المكاتيب الا برخصة من صاحب تلك الآثار اذا كان حيًا اومن عائلته اذا كان متوفى ٠

المادة الرابعة عشرة — يمكن ترجمة اثر من الآثار من قبل واحد او اكثر ضمن احكام هذا القانون وحق كل مترجم من ترجمته كحق التأليف اعتباراً من وفاة المترجم ٠

المادة الخامسة عشرة — ان حق التأليف في الآثار التي تنشرها الدوائر الرسمية والجمعيات المعروفة لدى الحكومة بصورة رسمية عائد لتلك الدوائر والجمعيات ٠

المادة السادسة عشرة — اذا ألف او ترجم اثر من قبل اشخاص متعددين من غير مقاولة فحق التأليف اوالترجمة عائد اليهم كافة على التساوي واذا توفي احدالشركاء فحق استفادته من الاقسام التي نشرت لتاريخ وفاته والمسودات التي اعدت للنشر ينتقل لورثته وتعتبر مدة الثلاثين سنة في حق التأليف ومدة الخمس عشرة سنة في حق الترجمة اعتباراً من وفاة آخر شريك في التحرير واذا كان يوجد مقاولة مخصوصة بين الشركاء فيجري حكم المقاولة تماما واذا حدث خلاف ما يرجع الى المحكمة

المادة السابعة عشرة — اذا لم يبق لكتاب صاحب ما كأن توفي مؤلفه بلا وارث او انقطعت الوراثة اوحدثت اسباب اخرى فكل انسان له الحق بطبع ذلك التأليف وترجمته .

المادة الثامنة عشرة — يمكن لكل احد ان يطبع المؤلفات المطبوعة قبلا والتي لاصاحب لها وفقاً للمادة السابقة واما الذين يودون طبع مصنف لم يطبع حتى الآن فيعطى لهم بناء على استدعائهم امتياز من قبل نظارة المعارف لمدة عشر سنوات الى خمس عشرة سنة وحينئذ لايجوز لغير صاحب الامتياز او ورثته طبع هذا الكتاب في خلال هذه المدة وانما اذا لم يباشر طبع المؤلف في مدة سنة او عطل سنة بعد مباشرة طبعه فيعد الامتياز كأن لم يكن .

المادة التاسعة عشرة — اذا نفدت بعد وفاة المؤلف نسخ اثر من الآثار المعتبرة التي يرجى منها فائدة للناس ولم يتيسر طبعه لسبب من الاسباب كفقر ورثة المؤلف او اهمالهم او عدم اتفاقهم فنظارة المعارف تستكمل اسباب طبع هذا الاثر مع مراعاة حقوق الورثة .

المادة العشرون — على مؤلفي الآثار ان يعطوا ثلاث نسخ مطبوعة من اثرهم لنظارة المعارف في الآستانة ولمديرية المعارف في الخارج و يقيدوه و يسجلوه ليحفظوا بذلك حق تأليفهم اما الآثار التي ليس لها الا صورة واحدة كالالواح والتماثيل والتعاليق (الانواط اوالمداليات) فهي مستثناة من هذه المعاملة .

المادة الحادية والعشرون — يقيد في الدفتر المخصوص الذي ينظم في نظارة المعارف ومديرياتها لحق التأليف ماهية المؤلف واسم كتابه وموضوعه وتاريخه ومحل طبعه وعدد صحائفه و يوضع له رقم بالترتيب و بعدها يوقع عليه من صاحب الكتاب او وكيله الرسمي .

المادة الثانية والعشرون — يؤخذ في دوائر محاسبات المعارف ربع ليرة عثمانية فقط خرجاً للقيد والتسجيل و يعطى بمقابله من قبل نظارة المعارف اومديرياتها علم وخبر يعتبر بمقام سند للتصرف يكون معمولاً به الى ان يثبت عكسه بالمحاكمة .

المادة الثالثة والعشرون — تجري معاملة قيد المطبوعات الموقتة في كل آخر سنة عند اراءة النسخ التي نشرت وتسجيلها .

المادة الرابعة والعشرون — لاتسمع دعوى حق التأليف في المؤلفات غير المسجلة الى حين تسجيلها . تعلن في آخر السنة الكتب التي قيدت وسجلت في غضون السنة واسماء مؤلفيها رسمياً بواسطة الجرائد .

المادة الخامسة والعشرون — لصاحب الاثر او المترجم او صاحب الامتياز او ورثتهم ان يبيعوا او يتركوا في خلال المدة النظامية حق التأليف او الامتياز تماما او موقتا او بتعيين عدد النسخ لآخر بموجب مقاولة بمقابل بدل او بلا بدل ويكون المشتري او الآخذ حينئذ قائما مقام اصحابها ضمن شروطها حتى انه اذا توفي قبل اكمال المدة تعد ورثته متصرفة في المدة الباقية .

المادة السادسة والعشرون — يجب تسجيل مقاولة البيع او الترك في نظارة المعارف في الاستانة وفي مديرياتها في الخارج ويؤخذ نصف ليرة عثمانية خرج قيد ولدى ابراز المقاولات التي لم تقيد على هذه الصورة الى المحاكم يؤخذ ثلاثة اضعاف الخرج المذكور جزاء ويرسل الى صندوق المعارف .

المادة السابعة والعشرون — المحررون واصحاب الصناعة الذين يشتغلون لاسم غيرهم يعتبرون بائعين حق تأليفهم اذا لم يوجد مقاولة خصوصية .

المادة الثامنة والعشرون — ليس للطابع ان يحدث تغييرا ما في الكتاب بدون اذن المحرر واذا اجري ذلك منع نشر الكتاب بواسطة المحكمة وتعلن صورة الاعلام بالجرائد وليس للطابع ان يسترد الاجرة التي اعطاها للمحرر .

المادة التاسعة والعشرون — ان طبع كتاب وتمثيله في المدة الحقوقية من غير اذن صاحبه يعد تقليدا وكذلك تمثيل رواية منثورة او منظومة في المدة الحقوقية من غير رخصة اصحابها وطبع التواقيع (نوطه) الموسيقية او استنساخ الخرائط والالواح والرسوم وانواع الخطوط بالفوطوغراف او بوسائط اخرى واعمال قوالب للآثار القلمية والموسيقية بالوسائط الصناعية واعمال الواح لها (بلاكات) هو بحكم التقليد يجازى المقلدون توفيقا للمادة الثانية والثلاثين .

المادة الثلاثون — ان نسبة الآثار في التأليف والفنون النفيسة لغير اصحابها يعد انتحالا وكذلك من قدم واخر عبارات كتاب او اناشيد موسيقية او حرف طرز افادتها كله بصورة يفهم منها الاصل واسندها لنفسه يعد بحكم المنتحل .

المادة الحادية والثلاثون — الانتقادات والشروح والحواشي لا تعد انتحالا وكذلك اذا نقل المؤلف بعض جمل وفقرات من كتاب آخر لمصنفه ونوه بانه اخذه من محل آخر لا يكون منتحلا .

المادة الثانية والثلاثون — من طبع الكتب التي لها حق التأليف بدون رخصة من اصحابها اوتوسط بطبعها اومثل رواية منثورة اومنظومة يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا ويحبس من اسبوع الى شهرين وتضبط منه الاسفار التي طبعها وتعطى الى اصحابها وكذلك من طبع مثل هذه المصنفات في الخارج ومن ادخلها الى الممالك العثمانية يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا والذين يبيعون هذه المطبوعات وهم عارفون بها او يعرضونها للبيع يغرمون بخمس ليرات عثمانية الى خمسة وعشرين ليرة جزاء نقديا ٠

المادة الثالثة والثلاثون — اذا اقيمت دعوى الضرر والخسارة من قبل صاحب الكتاب المتضرر يعطى بحقها قرار من المحكمة نفسها مع اساس الدعوى ٠

المادة الرابعة والثلاثون — يعامل الطابعون الذين يطبعون كتباً زيادة عن المقاولة التي عقدوها مع المؤلف معاملة الذين خانوا الامانة وتضبط النسخ الزائدة التي طبعوها و يؤخذ منهم بدل ماباعوه منها و يعطى كل ذلك لصاحب الكتاب ٠

المادة الخامسة والثلاثون — تطبق احكام المادة الثانية والثلاثين التي بحق المقلدين على المنتحلين ايضا ٠

المادة السادسة والثلاثون — لاصحاب الكتاب المشتركان يراجعوا المحكمة على الانفراد و يطلبوا الضرر والخسارة التي لحقتهم بسبب التجاوز على حقوقهم التصرفية من قبل الغير ٠

المادة السابعة والثلاثون — لايجوز للدائنين حجز كتب المؤلف التي لم تطبع واذا صدر حكم في بيع الآثار والمؤلفات التي حجز عليها يعتنى كثيرا بعرضها للبيع ووقاية اصحابها من الغدر ٠

المادة الثامنة والثلاثون — النظام المتعلق بطبع الكتب والمؤرخ في ٨ رجب سنة ٢٨٩ و٣٠ آب سنة ٢٨٨ مفسوخ بهذا القانون مع الفقرات المذيلة عليه ٠

المادة التاسعة والثلاثون — على من طبعوا اثراً قبل هذا القانون بدون ان يحصلوا على رضى صاحبه او ورثته مراجعة صاحبه اوورثته واستحصال رضاهم واذا استمروا على بيع الآثار المقلدة من غير رضى اصحابها يجازون بمقتضى هذا القانون ٠

المادة الاربعون — ان تنفيذ الاحكام القانونية على الجرائم المعينة بهذا القانون متوقفة على شكاية شخصية ٠

المادة الحادية والاربعون —ان حق التأليف في الآثار التي نشرت بلا امضاء او بامضاء مستعار راجعة الى ناشرها الى ان يظهر محررها نفسه

المادة الثانية والاربعون — ناظر المعارف والعدلية مأموران باجراء هذا القانون ٠

في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ وفي ٦ آذار سنة ١٣٢٦

عبث المشيب

ظلم الرجال نساءهم وتعسفوا ... هل للنساء بمصر من انصار
يامعشر الكتاب اين بلاؤكم ... اين البيان وصائب الافكار
أيهمكم عبث وليس يهمكم ... بنيان اخلاق بغير جدار
عندي عَلَى ضيم الحرائر بينكم ... نبأ يثير ضمائر الاحرار
مما رأيت وما علمت مسافراً ... والعلم بعض فوائد الاسفار
فيه مجال للكلام ومذهب ... ليراع (باحثة) (وست الدار[1])

***

كثرت عَلَى دار السعادة زمرة ... من مصر اهل مزارع ويسار
يتزوجون عَلَى نساء تحتهم ... لا صاحبات بغى ولا بشرار
شاطرنهم نعم الصبا وسقينهم ... دهراً بكأس للسرور عقار
الوالدات بنيهم وبناتهم ... الحائطات العرض كالاسوار
الصابرات لضرة ومضرة ... المحييات الليل بالاذكار

***

من كل ذي سبعين يكتم شيبه ... والشيب في فوديه ضوء نهار
يأبى له في الشيب غير سفاهة ... قلب صغير الهم والاوطار
ماحله عطف ولا رفق ولا ... برٌّ لاهل او هوى لديار
كم ناهد في اللاعبات صغيرة ... ألهته عن حفد بمصر صغار
معها غدا او راح في جولانه ... دعته خاطبة الى سمسار

(١) هما كاتبتان مصريتان تكتبان في الصحف المصرية مقالات وحواراً في النساء

شغل المشايخ بالمتاب وشغله بتبدل الازواج والاصهار
في كل عام همه في طفلة كالشمس ان خطبت فللاقمار
يرشو عليها الوالدين ثلاثة لم ادر أيهم الغليظ الضاري
المال حلل كل غير محلل حتى زواج الشيب بالابكار
سحر القلوب فرب ام قلبها من سحره حجر من الاحجار
دفعت بنيتها لاشأم مضجع ورمت بها في غربة واسار
وتعللت بالشرع قلت كذبته ما كان شرع الله بالجزار
مازوجت تلك الفتاة وانما بيع الصبا والحسن بالدينار
بعض الزواج مذمم ما بالزنا والرق ان قيسا به من عار
فتشت لم أر في الزواج كفاءة ككفاءة الازواج في الاعمار

***

أسفي عَلَي تلك المحاسن كلما نقلت من(اليالي[1]) الى الدوار
ان الحجاب عَلَي (فروق) جنة وحجاب مصر وريفها من نار
وعلى وجوه كالأهلة روعت بعد السفور ببرقع وخمار
وعَلَي الذوائب وهي مسك خولطت عند العناق بمثل ذوب القار
وعَلَي الشفاه المحييات أماتها ريح الشيوخ يهب في الاسحار
وعلى المجالس فوق كل خميلة بين الجبال وشاطيء محبار
تدنو الزوارق منه تنزل جوذراً بقلادة او شادناً بسوار
يرفلن في أزر الحرير تنوعت ألوانه كالزهر في آذار
الطاهرات اللحظ امثال المهى الناطقات الخرس كالاوتار
الراتعات اللاعبات أوانسا بر بى(بيوكذرة)وشاطيء(صاري)[2]
الدهر فرق شملهن فمر به يارب تجمعه يد المقدار

مصر احمد شوقي

---

[1] اليالي لفظة تركية معناه المصيف على شاطيء البحر [2] « بيوك درة » اي الوادي الاعظم و« صاري ير » اي الارض الصفراء من متنزهات الاستانة على الخليج

الابر

كثيراً ماافتشنا في كتاب دائرة المعارف العربية للبستاني عن بعض أُمم الشرق واديانها فلم نعد بطائل · ومن جملة هذه الاجيال « الأَبر » فلا تجد لهم ذكراً في هذا الكتاب · مع ان جغرافيي العرب ذكروهم في مؤلفاتهم وان لم يذكروا لنا التفاصيل التي نتطال الى معرفتها · فقد جاء في كتاب ابن الفقيه المسمى بكتاب البلدان ص ٨٣ من طابعة دي كوي ما نصه : « و برجان و بلدان الصقالب والأَبر شمالي الاندلس » وقد نقل هذه العبارة بعينها وحروفها ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك · وقال ابن رسته في الاعلاق النفيسة ص ٩٨ عن بلاد هؤلاء الاقوام مانصه : « واماماوراء هذه الاقاليم (الاقاليم السبعة) الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبتدئ من المشرق من بلاد ياجوج ثم يمر عَلَى بلاد التغزغز وارض الترك ثم علي بلاد اللان ثم عَلَى الابر ثم عَلَى برجان والصقالبة و ينتهي الى بحر المغرب » اه بحرفه وقال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف ص ٣٢ « وحد الاقليم الخامس بحر الشام الى اقصى ارض الروم مما يلي البحر الى ثراقية و بلال برجان والصقالبة والابر الى حد ارض ياجوج وماجوج الى حد الاقليم الرابع مما يلي نصيبين اطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة · » اه · وفي موضع آخر ص ١٨٤ من كتاب المسعودي المذكور ذكر الابر من سكان بلاد تجاور جبل القبق (قوقاس اوقفقاسية) قال : « وقرب من هذا الجبل من الامم كاللان والسرير والخزر ··· والابر و برجان والروس والبرغر ··· » وذكرهم مرة ثالثة في ص ١٩١ قال : « ومن جاورهم (اي الروم) من الممالك من برجان والابر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم · »

ولم نجد لهم ذكراً في سائر كتب مؤرخي العرب وواصفي البلدان منهم فلا الطبري ذكرهم ولا ابن الاثير ولا ابن خلدون ولاغيرهم من كبار المؤلفين · ومن بعد ان بحثنا عنهم وجدناهم انهم هم الذين يسميهم الافرنج *Les Avares* وددنا ان نلخص عنهم ماكتبوه اتماماً للفائدة وسداً للثلمة الموجودة في كتبنا التاريخية والجغرافية ·

الابر جيل من الناس منشأوه في بلاد التتر وهم فروع من فروع قبيلة الهونة · وكانوا قد ضربوا خيامهم بعد ان هجروا بلادهم الاصلية في نواحي جبال الالطائي · ثم طرأت

عليهم طارئة من الصينيين سنة ٥٥٢ م فطردتهم من مقرهم وافنت جماعات منهم · ومن نجا منهم فزعوا الى جهات بلاد اوربا فقطعوا نهري الاثل والدون سنة ٥٥٧ ثم خيموا بعد برهة عَلَى شطوط الطونة · وماعتموا ان ناوأوا ملوك الروم وقياصرتهم ونشلوا منهم سنة ٥٨٢ داقية وفنونية ومن هناك انتشروا ولا انتشار الجراد في بلاد جرمانية في شمالي الطونة حتى بلغوا ايطاليا · واول ماخضدت شوكتهم كان سنة ٦٢٦ تحت أسوار القسطنطينية فان هرقل الملك كسر شيخهم « بيان » وكان حليفاً لكسرى · ثم دوخهم كل التدويخ شرلمان من سنة ٧٩١ الى سنة ٧٩٩ وحينئذ دانوا بالنصرانية ·وكان الابر طويلي النجاد محبين للحروب وقد اشتهروا بالمكر والنكر والخدعة في الفر والكر · واما مساكنهم فانهم لم يأووا الى غير الخيم والمضارب · ولم يعرفوا من المدن الا الاحوية جمع حواء وهي جماعة بيوت الوبر المتدانية وكانوا يقيمون عَلَى هيئة دوائر عظيمة وتسمي عندهم « رنك » اي حلق جمع حلقة لاستدارتها · وكان يسمى شيخهم باسم « الخان او الخاقان »

اما حدود بلاد الابر فقد اختلفت باختلاف العصور ففي عهد معظم انتشارها اي من سنة ٥٩٠ الى سنة ٦٣٠ كانت مملكتهم تشمل فلوات شمالي الطونة من لوزاقة الى ماوراء الدون · وعند افول شمس القرن السابع للمسيح تقلصت حواشيها حتى كان في شمالي بلادهم وغربيها ديار اللاه والوند والجيك (اي بلاد بولونية وسيلسية وبرندبرج وبوهمية عَلَى النسمية الحديثة في عهدنا هذا) وفي شرقيها كان الخزر وكان موطنهم يومئذ بين البوك ودنيبر ·

وبعد ان خرب شرلمان ديارهم سنة ٧٩٩ لم يبق منها الا الصقع الغربي بين نهري « الثيس والان » وهذا ايضاً جعله مقاطعة لدولة الافرنك باسم « أبرية » واما مابقي من تلك الربوع فقد احتلها المجر اي الهنكاريون · وفي بلاد الجركس في عهدنا هذا بقية من الابر تقيم على منحدر كوه قاف الشمالي بين الاكسائي وشرداغ ويبلغ عدد بيوتهم اليوم ١٢٠٠٠ وكلهم يدينون لخان كبير خاص بهم · ومعيشتهم من الصيد والغزو والنهب والسلب · وهم يرجعون في الحكم الي قيصر روسية · — هذا ماااردنا ايضاحه وفوق كل ذي علم عليم

بغداد : ساتسنا

نظرة في النظرات

أخرج هذا الكتاب للناس في هذا العهد والامة في براز دائم بين القديم والحديث يريدها الاول عَلَى البقاء عَلَى الرثيث من تالدها مما ورثته بحكم الطبع أو التطبع ويضطرها الثاني إلى التجرد عما يأخذ بخناقها من العادات والتقاليد العتيقة التي أخنى عليها الدهر والاخذ بالجديد المفيد المنطبق على حاجات العصر اليوم ·

وها نحن اولاء نرى بين علماء الدين في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن من يتساءلون عما إذا كان تعليم العلوم المادية الطبيعية والتوفر عَلَى دراستها حراماً أو حلالاً بينا نرى بعض المفكرين من الباحثين العالمين يشهرون عَلَى اوائك حرباً عوانا تدير رحاها الاقلام مصرحين انهم لايدينون بسوى القوة والمادة اللتين هما من مظاهر الطبيعة ويضربون بكل علم عرض الحائط اذا لم يكن من العلوم المادية الطبيعية أو منطبقاً عَلَى نواميسها الصحيحة أوموصلاً إليها متمماً لها ففريق يبالغ في اعظام الخيال ويغالي في البحث فيما وراء المادة وفريق لا يعرف غير الحقيقة المادية مذهبا ·

ألا وان هذا البراز الحيوي لم يكن مقصوراً على العلم فقط بل تناول عامة شؤون الحياة وفروع الفنون الاخرى فكان للأدب النصيب الاوفر منه فانا مازلنا ولا نزال نرى بعضهم لا يرى للشعر من المكانة العالية الا اذا كان قائله كالبها زهير وابن معتوق والشاب الظريف ويحسبون أن الكلام الظريف هو ماجاء في « ريحانة الادب » وأشباهها غير معتدين بما عداها من الكتب الممتعة مثل « نهج البلاغة » و « الدرة اليتيمة » و « كليلة ودمنة » وما جرى عَلَى أسلات السنة الشعراء المتقدمين كالشريف الرضي والمتنبي والمعري وغيرهم من المتأخرين ممن جمعوا إلى التراكيب العربية الفصيحة الافكار الغربية الصحيحة كما انهم لا يعدونها شيئاً مذكوراً ·

في كل حركة تقوم بين ظهراني هذه الامة المنبسطة ظلالها في هذه المملكة المتنائية الاطراف نشهد مثالا مجسماً من مبلغ تأثير تنازع البقاء ونقرأ فيه التجدد نقياً لا يشوبه شوب القديم فنستدل منه على تقدم الامة في أفكارها وآرائها وأن مايناله القائمون بالتجديد من خصومهم الاعداء الالداء المكابرين لابد من وقوعه مادامت الامة جاهلة خاملة وما دام من كتب لهم العلم والنباهة أفذاذ لايزال تأثيرهم من الضؤول والحؤول بحيث يتراجع لاقل ريح تعصف ·

و بعد فلا بدع إذا بودي الاستاذ المنفلوطي صاحب هذا الكتاب لاول وهلة بما ناله من معارضيه من بذاءة اللسان والتسفيه في القول مانجله عنه لانها سنة في المجددين منذ القديم . فهذا غستاف فلوبر الكاتب الفرنسوي المعروف كان يحتقره معاصروه و يهزؤون بكتاباته وآرائه حتى يحمله ذلك على البكاء كالاطفال الصغار و يشرع يخاطب زملاءه زولا وكونكور ودوده بقوله : « بربكم أنبئوني لم لم تنل هذه المؤلفات الاستحسان الذي أتطلبه » فتأخذهم رعدة الكآبة والحزن فيبكون جميعاً — هذا الرجل الذي كان في عصره بهذه المثابة ولم يكتب لآثاره أن يرتاح لها الرأي العام أصبح القوم اليوم يعبدونها و يمجدونها و يسبحون بحمدها .

امامي الآن هذا الكتاب انظر إلى الصفحة الاخيرة منه بعد ان كنت قرأت معظم فصوله في الصحف وكانت نظرتي اليه في المرة الثانية ومقالاته مجموعة في سفر خاص غيرها في الاولى . اذ كنت أطالعه وانا أعلق عليه في مفكرتي بعض ما آخذت به منشئه ورأيته مما يجدر ان ينبه عليه مثله على اني قرأت ما كتب عليه في الجرائد والمجلات فاذا به لا يبل غليلا ولا يغني فتيلا مما دل على ان باب « التقريظ والانتقاد » لم يفتح عندنا كل الفتح ونخشى ان طال علينا الامد ان يصيبه ما اصاب باب « الاجتهاد » .

وقد افردت لكل من « أسلوبه » و« موضوعه » و « آرائه » و « لغته » و « وصفه » بحثاً خاصاً سأتكلم على كل واحد منه على حدة واقفيه بالالماع الى شذرة من « روح المؤلف » ، وذلك بقدر ما مكنتني الفرصة من القيام به وهداني اليه البحث والنظر .

١
أسلوبه

مما كتبه « المنفلوطي » في مؤلفه هذا قصص جمة كانت هي الباعثة لي على الخوض في غمار هذا الموضوع ولذا فأنا انظر اليه في هذا المبحث نظري الى قصصي أريد ان أبين طريقته في الانشاء وأحاول ان اردها الى مذهب خاص مما انشأه ادباء المغاربة في تاريخ آدابهم . اذ لكل كتاب ادبي قصصي اسلوب خاص ينهج فيه مؤلفه المنهج الذي يراه انه امتع وانفع ووافق طبعه في الغالب او يتبع في ذلك سنة الارتقاء :

قامت في اوربا مذاهب شتى [1] في الادب القصصي منذ القرن السابع عشر حتى اليوم وكلها حلقات من سلسلة تاريخ الآداب عند الغربيين . فمن هذه المذاهب مذهب

[1] معرب عن فصول من كتاب « المصنفون والمصنفات »

يرى زعماؤه ان الغاية من الصناعة هو اصلاح الانسان وتعزيته لتخفيف آلامه عند حلول المصائب والنوائب . فتجدهم يضعون قلوبهم وافكارهم في كتبهم بدعوى انهم بتأثراتهم هذه تثور ثائرة القراء . وان ذوق كاتب القصة الشخصي ليتمثل في تضاعيف كتابه فتراه يخلق اشخاص الوقائع ليصف شعوره الذاتي وشوقه المبرح به نابذاً العناية ببث العواطف في ابطال الرواية ظهريا . من اجل هذا ندر ما استفاد التاريخ وعلم الاجتماع من امثال هذه المؤلفات .

وما يحملهم عَلَى ذلك الا مشيهم مع شعور القراء وتنزلهم من عقول العامة لان هؤلاء اعتادوا ان يعيشوا مجردين عن الحقائق العادية وانهم ليتذمرون من مطالعة صفحات حياة الانسان كما هي . ولذا كانت خطتهم في الروايات ان يجعلوا الوقائع والاشخاص عَلَى هيئة خيالية « Idéal » يوم كان يستفيض عَلَى الالسنة انه من اللازم اللازب الاختلاق في الروايات وكانت القصص السامية والاشعار الرقيقة الحافلة بالشعور ليس لها كلمة عالية . وقد سمي هذا المذهب

(Idéalisme مذهب الفكرين)

وهناك مذهب آخر في الانشاء يدعي « Romantisme — مذهب الخياليين » وهو كما عرفه ستاندال هوب : عبارة عن « صناعة تمثل نتائجها الادبية مايلائم معتقدات الاقوام واطوارهم وعاداتهم في الحال الحاضرة مما يبعث في نفوسهم سروراً ونشاطًا » بل هو كما يقول النقاد الشهير بروتير : هو « ان لا يعرف الصانع سوى ذوقه وتهوساته وخيالاته قاعدة واصلا » بل كما قال اميل فاكي : « ان روح الرومانتيزم الحقيقية هو الحذر من الحقيقة وان يكن لها الصانع في صدره موجدة ونفوراً » قالوا : وهذا الحذر يتم باستسلام المفكرة للمخيلة كل الاستسلام وليس في هذا المذهب مشاهدة ولا تحقيق ولا ترصد كما انه ليس ثمة معقول ولا محاكمة ولا منطق لان هؤلاء كلها امور تدين للحقيقة المادية — هذا هو اصل الرومانتيزم .

ومن المذاهب التي نشأت وشاعت المذهب التاريخي الذي كان زعماؤه يعنون بوضعه في الروايات التاريخية فيحرفون الحقائق التاريخية عن مواضعها وهم من التزوير والافتئات بحيث كانوا يطبقون قواهم المخيلة وعامة مايخترعونه من الافكار عَلَى الوقائع والحادثات . فالتاريخ عندهم كما قال اسكندر دومافيس « مسمار يستعينون به عَلَى تنضيد الواحهم » فليس لديهم من ثم فكرة سوى انهم يعملون علي ادخال البشر والارتياح في نفس القارئ . بيد ان لجمال

الاسلوب ورقة الوصف عندهم مكاناً من العناية . وامثل نموذج لهذه المؤلفات التاريخية واحفلها هما كتاب « خمسة آذار » لالفريد دوفيني و « نوتردام دوباريـ » لفيكتور هوغو .

وقد نشأ مذهب جديد دعي بمذهب الطبيعيين « Naturalisme » ومن اخص ميزاته هو ان زعماءه وسعوا دائرة القصص واخذوا يبحثون عن ملجاء تلوذ به اشخاص القصة خشية ان تخوض عباب الوقائع الغريبة التي يتعملها بعض الكتاب لتكون النتيجة اما الانتحار او الزواج واصحاب هذا المذهب ينظرون الى ذلك الضرب من القصص نظرهم الى العوبة يتلهى بها الفتيان والفتيات . والذي يعنون به اليوم هو صفحات التتبع فشأن القصة عندهم بنسبة ماتعيه من صحيح الوصف وحديث الوقائع .

ومن انصار هذا المذهب من القصصيين ممن جردوا الروايات من شوائب الكذب والاختلاق بعد فلوبر اميل زولا وموباسان الكاتبان الفرنسويان المعروفان ونشأ عن هذا مذهب آخر دعي «مذهب Impressionnisme امبرسيونيزم» . والفرق بين هذا ومذهب الطبيعيين هو ان زعماء المذهب الاول يعنون بابلاغ العواطف وآثار ماولدته فيهم الحقيقة وهم يرون ان « الحقيقة واسطة » . اما انصار الثاني فانهم مستقلون عن الذاتية وما همهم الا تتبع الحقيقة كما هي عَلَى حين يترجم زعماء الامبرسيونيزم الطبيعة اكثر من ان يعيدوها مرة اخرى . وعلى هذا كان ولاجرم مذهب الطبيعيين امتن وارصن وقصصهم اعظم مهابة ووقارا .

وهناك مذهب جديد وضعه الكاتب الفرنسوي الشهير « بالزاك » وانضوى تحت لوائه كبار المتأدبين ممن اثروا اثراً محموداً في نهضة الآداب الفرنسوية الا وهو « مذهب الحقيقيين Réalisme » وقد اتم وضعه فلوبر بمصنف له سماه « مدام بوفاري » وقد سبق هذا الرجل بالزاك وستاندال ومريمي فاذاقوا الفرنسويين بمصنفاتهم طعم الحقيقة ولكنهم لم يكسروا سورة شهوتهم بامسرها ولم يتعد تأثيرهم في نفوس القراء ايقاظ الحقيقة فيهم . ولكن مصنف « مدام بوفاري » علم الناس اجمع ماهو مذهب الحقيقيين بما ترى في تضاعيفه من وصف الحياة بما فيها من اضطراب وضوضاء باجلى تعبير واوضح بيان .

وطريقة « بالزاك » في قصصه هو انه يبدأ اولاً في تعريف الاشخاص و يأتي عَلَى

تصوير المكان الذي فيه يعيشون والبيئة (المحيط) التي في ارجائها يجولون وما يحوي المكان من اثاث ورياش ثم يذكر الخلق واجسامهم وما يلبسون ويكتسون من اردية حتى انه يرسم خطوطهم الجبهية واخيراً ينفخ فيهم من روح الحقيقة فينطقون ويتحركون ·

هذه هي « الطريقة العلمية » التي ينحو منحاها العلماء والعقلاء من كتاب اوروبا في التاريخ والادب ولا يهمهم مما يكتبون سوى انهم يمثلون الحقيقة للقراء عارية بابشع واشنع مظاهرها غير هيابين ولا وجلين · وثمة من المذاهب ما كنت اود ان آتي عَلَى ذكره هنا لولا اني توخيت في هذه « النظرة » الايجاز مثل المذهب الرمزي (سنبوليزم) والمذهب الفني (كلاسيسيزم) وغيره من المذاهب ·

وبعد فلم نقدم بين يدي القارئ هذه المقدمة التي نرجو ان نكون المحنا فيها بطرف من مذاهب الكتاب الا لنستطيع ان نحكم عَلَى بعض فصول « النظرات » القصصية ونضعها في المحل الذي يجب ان تحل فيه بين هذه المذاهب كلها ·

لاجرم ان الناظر في هذا السفر والمطلع عَلَى هذه المذاهب يعلم ان المنفلوطي جرى في كتاباته مجرى الخياليين وانه يجمع بين هؤلاء ومذهب الفكريين في الاحايين · فهذه مقالته الكأس الاولى [1] و« عبرة الدهر » [2] يتجلى فيها الخيال باحفل مظاهره · فقد سمع صوت المؤلف في الاولى عند قوله : « وما كان له وهو يهيم الخ · · · » وكذلك عند قوله فيها : « والمنظر المتكرر لا يلفت النظر ولا يشغل الذهن » · وقد اورد عَلَى لسان الشخص المريض الشاخص ببصره الى السماء — ذلك الرجل الذي لم يبق منه الا إهاب ممزق — حديثاً لا قدرة لاصحاء الاجسام عَلَى ايراده في مثل تلك الحال وقصد المنفلوطي ان يبين سبب الادمان عَلَى الخمر فجعل ذلك بلسان المريض ذاكراً ان كل كأس شربها جرتها عليه الكأس الاولى وان ليس الباعث على ذلك غير قصور عقله عن ادراك خداع الخلطاء وبين « ان الخونة الكاذبين خدعوه عن نفسه خداعاً ليستكملوا بانضمامه اليهم لذتهم التي لا تتم الا بقراع الكؤوس وضوضاء الاجتماع » ثم عاد المنفلوطي واظهر شخصيته فقال : « ولو علمت كيف خدعوه وزينوا له الخروج عن طبعه ومألوفه واي ذريعة تذرعوا بها الى ذلك لتحققت انه ابله الى النهاية من البلاهة وضعيف الى الغاية من الضعف » وقد حكم عليه بالبلاهة ولم يذكر عن تربيته

[1] ص — ٥ [2] ص ٢٥

مايفهم منه انه على غرارة وسذاجة بل الذي تبين انه كان صديق المؤلف وارتباطه بالصداقة يقضي بان يكون فيما احسب عَلَى غير ماذكر ٠

وفي مقالة عبرة الدهر دليل آخر عَلَى مذهب الخياليين وهو ذكره (صاحب القصر) بانه فاسد الاخلاق وإغفاله البحث في ان يذكر عن نشأته الاولى شيئًا نتبين منه ان بين جنبيه نفسًا ملؤُها الرذائل ٠ وكان عليه ان يصف (بلالا) الخادم الذي جعله في موقف الحكم الحكيم وانه من المباديء العالية ماهو كيت وكيت وان يذكر طرفًا من حنق زوجته وتلهفها عَلَى زوجها الذي كان يقضي الليالي الطوال وهو يداعب ازواج المحارم بمثل ما يداعب غيره زوجته ٠ وهذا نقص كبير وخطأ فادح في الاسلوب ٠ ولكن المنفلوطي كما اسلفنا لم يهتم في الحقيقة اهتمامه الزائد في ان تكون قصته جامعة لجمال الاسلوب الخيالي الذي ضمنه حكمًا بالغة وعواطف شريفة بدون ان يتبين المواقف التي يقف فيها الرجل الغر الغمر موقف المرشد الحكيم ٠

ومما يستدل فيه ايضًا عَلَى تنكبه جانب الحقيقة سؤال (صاحب القصر) (بلالاً) في اي ساعة نحن من ساعات الليل فاجابه في الساعة الاولى ثم ذكر المؤلف ان الخادم لم يصل من الحديث الى حد معين « حتى نصل خضاب الليل واشتعل المبيض في مسوده » عَلَى ان ذلك الحديث يذكر في بضع دقائق ليس الا ٠٠٠

هذا نموذج مما ذكره المنفلوطي من الفصول القصصية ومن تشريح اسلوبه يعلم انه احتذى مثال (الخياليين) في انشائه ٠ وكل من تتبع الحركة الادبية في المشرق يعلم انها مسوقة نحو الكمال بحكم ناموس « النشوء والارتقاء » وان كتاب المنفلوطي هذا هي احدى الحلقات من سلاسل الآداب التي لايتم البحث بدونها ٠

وانا نودع باستقباله وماضمنه من اسلوب جديد وتشبيه رائق واستعارات فخمة ذلك الاسلوب الخيالي المحض في كتاب « كليلة ودمنة » وهو من تاريخ آداب المشرق بمثابة « لافونتين » من آداب المغرب كما ان غيرنا ودع بما عربه عبدالله بن المقفع كتاب « الف ليلة وليلة » واقاصيص « عنترة » الممزوجة بالابطال الخياليين بما كان بها وبامثالها بدء نهضتنا الادبية القصصية كما كانت « الالياذة » باكورة نهضة الغرب في الآداب وفاتحة رقيهم وتقدمهم ٠

وجدير بكبار ادبائنا العاملين وهم يرون الغرب كل يوم يخطو خطوات واسعة نحو

الحقائق ان يقتفوا آثار مذهب الحقيقيين باطراحهم مذهب الخياليين جانباً وان يطيلوا الفكر والتنقيب فيستبدلوا الاحياء بالاموات و يستعيضوا بالارواح عن الاشباح وكفى ٠

٣

موضوعه

قسم المنفلوطي كتابه الى عشرة فصول : (١) الرسائل العلمية (٢) الرسائل الادبية (٣) الرسائل الاخلاقية (٤) الرسائل الاجتماعية (٥) الرسائل السياسية (٦) الرسائل الدينية (٧) الدهريات (٨) النسائيات (٩) الروايات (١٠) المراسلات ٠ و يجب ان نذكر هنا قبل كل شيء ان المنفلوطي لم يحسن تبويب الكتاب فقد ذكر مقالة « افسدك قومك » في الرسائل « الاخلاقية » وكان الاولى ان تكون في « الرسائل الاجتماعية » كما انه ذكر مقالة « مدرسة الغرام » [1] وفي « سبيل الاحسان » [2] في الثانية في حين يقتضي ان تكون من موضوعات الاولى ٠ وانت اذا اردت ان تنزل هذا الكتاب المنزلة الخليق بها من حيث علاقته بالعلم والاجتماع والسياسة والاخلاق رأيته يضرب في الاخير منها بسهم وافر ويجري منه على عرق ٠

تقرأ روح الاخلاق في مقالة الكأس الاولى و« اين الفضيلة » و « الغني والفقير » و « عبرة الدهر » و « مدينة السعادة » و « الرحمة » و « الصدق والكذب » و « الانصاف » وتراه ايضاً يتعرض للموضوعات الاجتماعية فلا يلم بالبحث فيها من عامة اطرافها عَلَى حين تستدعي درساً يسلب المرء فيه قراره ليسقط الناظر فيها عَلَى حقيقة ناصعة او علم جم او فكر جديد ٠

يدلك على هذا بحثه عن المجرم في مقالة « افسدك قومك » [3] فأنا لا ننكر عليه انه ذكر فيه ما يفهم منه انه يحمل الذنب عَلَى المجتمع البشري وعَلَى التربية الاولى وعَلَى القانون وإلى غير ذلك شأن كثيرين ممن قاموا اليوم في اوربا يحامون عن المجرمين ويعدونهم كالبائسين يستحقون الرحمة و يطلبون تعديل القانون الجائر لتخفيف ماينزل بهم من الويل والثبور ٠ ولو كان المنفلوطي من كتاب الحقائق لتوسع في هذا المبحث وقرأ ما كتبه الاطباء في هذه المسألة لتتم الفائدة

ثبت مؤخراً بعد الفحص الطبي [4] ان للجناة من نقص ملكاتهم المادية والادبية استعداداً لما يوقعونه من الجنايات منذ زمن مديد ٠ وقد فحص « بنديكيت » احد

(١) ص — ٢٦٥ (٢) ص — ١٩٢ (٣) ص — ٧٦ (٤) المصنفون والمصنفات ٠

مشهوري اطباء فينا ادمغة كثيرين ممن يقترفون الجنايات الكبرى فوجدها بأسرها مؤوفة غير تامة التركيب ، وهذا الرجل يعد الجنون والجناية صنوان · ويرى رأيه هذا الدكتور « بوردي » الفرنسوي وقد بحث في ادمغة ستة وثلاثين جانياً حكم عليهم بالاعدام فرأى الناحية الجبهية مصابة والناحية الجدارية واسعة جداً · وهذا يدل على نقص القوة العاقلة والشعور والميل الى الحنق والنزق · وقد نظر « غاروفالو » احد مشاهير علماء الجزاء في ايطاليا في الجناة فلم يجد واحداً منهم خلواً من امارات مادية وادبية تحكي الانسان الاول ·

وماظهر من الحقائق الجديدة من امثال هذا الاستقراء والاستقصاء هو موضوع الرأي العام في اوربا في شأن تنظيم الجزاء حتى نشأ عن هذه التجارب الطبية علم جديد يسمى « علم الجرائم البشرية — آنترو بولوجي كريمينل » وكان للايطاليين اليد الطولى في خدمة هذا الفن الجليل

نال المنفلوطي من المدنية الغربية في كلامه عليها مالا ارضاه ولا يرضاه له كل من درسها حق دراستها وبحث فيها بحث العالم المتجرد عن المؤثرات دينية كانت او قومية لابحث خطيب او اديب اوشاعر اوواعظ مرشد داع الى وطنية او اخلاق ·

وردد في قوله هذا كلام ثلة من حملة الاقلام ممن لهم من اخلاقهم عصبية قومية اونعرة شرقية وسواء عندي كان قولهم هذا بدافع الوطنية او الدعوة الى احياء آثار مجد لنا دثرت معالمه اوالاحتفاظ بما ابقى لنا آباؤنا من تراث عاداتنا خشية ان يخالطها الضعف اوتمازجها لوثة من لوثات الفساد فينشأ ناشئهم وقد انحل من وطنيته كما انحل من دينه وداخل الفساد اخلاقه كما اصاب عاده ومنازعه

واني اشاركه في كل ماجاء في تلك المقالة الا في قوله : « ان دعوناهم الى الحضارة فلنضرب لهم مثلاً بحضارة بغداد وقرطبة وثيبة وفينيقية لاباريس وروما وسويسرا ونيويورك ، وان دعوناهم الى مكرمة فلنسرد عليهم آيات الكتب المنزلة واقوال انبياء المشرق وكلماته لاآيات روسو وباكون ونيوتون وسبنسر ، وان دعوناهم الى حرب ففي تاريخ خالد بن الوليد وسعد ابن ابي وقاص وموسى بن نصير وصلاح الدين مايغنينا عن تاريخ نابوليون وولنجيتون وواشنطون ونلسون وبلوشر (بلوخر) ، وفي وقائع القادسية وافريقية والحروب الصليبية مايغنينا عن وقائع واترلو وترافلغار واوسترليتز والسبعين »

هذا ماكتبه المنفلوطي الى ابناء القرن العشرين من المشارقة وهو يريد ان يربوا

تربية مدنية عملية يصدون بها غارات الاجانب التي يشنونها عليهم من كل صوب وأوب وهذا هو السلاح الذي يحمل الشبيبة المصرية عَلَى ان يتسلحوا به ليقاتلوا اعداء الوطنية ويخرجوا من ديارهم من ابتزوا اموالهم وغابرهم عَلَى امرهم وكل يوم يرشقونهم بسهام التعصب والطيش من الحكمة ان يدعو القائم بالاصلاح الى قومية او وطنية لكن بدون ان يزدري مدنية الامم الاخرى الناهضة و يعمل عَلَى الحطمنها وهم الذين بها وطدوا دعائم استقلالهم ورفعوا منار مجدهم وسؤددهم

وما ادري كيف نقوم لنا نحن معشر المشارقة قائمة اذا اقتصرنا عَلَى ما ورثناه من المناحي والمنازع واقبلنا عَلَى الاخذ بما ابقاه لنا آباؤنا الاولون من الآثار فقط بدون ان نمعن النظر في آداب رجال الغرب واخلاقهم وعاداتهم وتاريخهم وبالجملة نقف عَلَى سر تقدمهم ولا اعلم لاي غرض نعنى بارسال البعثات العلمية الى البلاد الاوربية وننادي عَلَى رؤوس الاشهاد ان هذا هو الذي يحقق لنا الامل في المستقبل اذا لم يكن المقصد منه درس تاريخ نابوليون وولنجتون وواشنطون ونيلسون وبلوخر ووقائع واترلو وترافلغار واوسترليتز والسبعين او انهل حتى نروى من آداب روسو وباكون وزولا والفريد دوموسه او لنتبطن اسرار فلسفة ديكارت وباكون ونيوتن وسبنسر وغيرهم ٠

ويجب ان لا يغرب عن الاذهان ان ماتوفر لقواد المغاربة من الاسباب والوسائل في بيئتهم و بين بني جنسهم وما كان يجول في خواطرهم من الاماني التي كانت المصالح تدفعها للانبعاث الى حيز الوجود غير ما توفر لقواد المشارقة من العرب وغيرهم عَلَى اقتحام غمرات الردى في سبيل الدفاع عن الحمى وهذا مايدعو لاختلال التوازن في الدهاء السياسي في الفريقين بما يتذرع به من الحيل الحربية والدسائس في مثل هذه الاحوال للنظر في كتاب الغيب وقراءة مستقبل الامم فيه مما ينجم عنه ما نراه من الاختلاف في نتائج الحروب والمعارك نصراً كان او خذلانا

وسواء صحت نظرية من زعموا ان من دواعي سقوط الدولة العربية جهل الامة بتاريخ اليونان والرومان اولم تصح فأن فيها حقيقة لا اخالها تخفى عَلَى امثال الاستاذ المنفلوطي ٠ واذا اتخذنا هذه النظرية اصلا جاز لنا ان نبشر مساعينا بالاخفاق والحبوط ونحكم عَلَى حياتنا الاجتماعية والسياسية بالانحلال والاختلال في مستقبل الايام اذا قادنا الجهل الى ان نحرم عَلَى انفسنا الوقوف عَلَى سر استبحار عمرانهم وانبساط ظلال مدنيتهم في طول البلاد وعرضها فنحرم من الاستمتاع بعلومهم وآدابهم ٠

ولو كان قوله هذا درساً يلقيه على صغار العقول من الطلبة الاطفال ليطبعهم بطابع حب الوطن و ينشأوا وهم يفادون في سبيله بالنفس والنفيس لما أوخذ بقدر ما يؤآخذوهو في موقف ودع فيه — كما قال عن نفسه — « الخيال والشعر وداع من يعلم ان الامر اعظم شأناً واجل خطراً من ان يعبث به العابث بامثال هذه الطرائف التي هي بالهزل اشبهُ منها بالجد والتي انما يلهو بها الكاتب في مواطن فراغه ولعبه لا في مواطن جده وعمله »

الا فليعلم الكاتب ان في الغربيين من العادات ماهو خليق بنا نحن الشرقيين ان نغتبط به ونأخذ بالنافع الرافع منه والرجاء ان لايظن باننا بما نكتبه الآن نخدع الامة عن نفسها اونفسد عليها شرقيتها بتزييننا لها هذه المدنية تزييناً يجمع الى استقلالها النفسي استقلالها الشخصي فلشد وايم الحق ماتكون محتفظين بعاداتنا العربية الشرقية وآدابنا ولكن ما نراه من تيار المدنية الغربية يريدنا على مجاراتها شئنا ام ابينا فان لم نعد لها عدتها ولم نسر معها جنباً الى جنب دحرتنا وربما اوردتنا موارد الهلكة غيرحافلة بنا ولا آسفة علينا ٠

ومما انكره عليه ايضاً تعرضه في مقالة الحساب [1] لولي عقله واستاذه رجل الاسلام الشيخ محمد عبده ورجل المرأة قاسم بك امين ٠ ولو اقتصر على ذكر (المحسن) وذلك الرجل الذي كان في حياته يتخذ في اعماله مايسمونه (الحيل الشرعية) وذلك (القطب) الذي كان اكبر تاجر من تجار الدين — لواقتصر على هؤلاء لكان احسن صنعاً ٠ وجل ماآخذ به الاول هو انه « فاجأ جهلة المسلمين بما لايفهمون من المبادئ الدينية الصحيحة والاغراض الشريفة فأرادوا غير مااراد وفهموا غير مافهم ٠ وهذا مادعا الى الحادهم (!) ومروقهم من الدين (!) بعد ان كانوا محرفين وانه اول لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة حتى اولوا الملك والشيطان والجنة و بين لهم حكم العبادات واسرارها وسفه لهم رأيهم في الاخذ بقشورها دون لبابها فتركوها وانه قال لهم ان الولي اله باطل والله اله حق فأنكروا الالوهية حقها و باطلها » « يتبع »

دمشق : صلاح الدين القاسمي

(١) ص ١٠٦

اخبار العلماء باخبار الحكماء

من الكتب الجيدة في التراجم هذا الكتاب للوزير جمال الدين ابي الحسن علي القفطي من اهل القرن السابع طبع اولا في ليبسيك واعيد طبعه في القاهرة فتداولته الايدي وعم الانتفاع منه كما عم من قبل بكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء [1] لموفق الدين ابي العباس احمد المعروف بابن ابي أصيبعة من اهل ذاك القرن الا ان كتاب اخبار الحكماء مال فيه صاحبه الى الاختصار حتى جاء في نحو نصف طبقات الاطباء وان كان زاد عليه بضع تراجم لان المترجمين في كلا السفرين النفيسين تجاوزوا الاربعمائة

سرد ابن القفطي اسماء مترجميه على حروف المعجم بحسب تقادم عهدهم بخلاف ابن ابي أصيبعة الذي اتى بالتراجم بحسب الاقطار ثم بحسب سني ولاداتهم ولم يشبع الاول الكلام الا في بعض الاشخاص وربما اوجز في الاحايين ايجازاً لا يكاد يقع فيه ابن ابي أصيبعة الا نادراً والغالب ان هذا وقف في جملة ما وقف عليه من الكتب كتاب القفطي فاستعان به وزاد عليه لان هذا توفي سنة ٦٤٦ في حلب وابن ابي أصيبعة توفي سنة ٦٦٨ في صرخد من بلاد الشام ولا يعقل ان يكون رجلان متعاصرين ولا يطلع احدهما على ما يكتبه الآخر فقد نرى بعض التراجم بالحرف الواحد في الكتابين ولعل المصادر التي اخذ عنها المؤلفان كانت واحدة فجاءت بعض تراجم مترجميهم بعبارة واحدة

ومع ان ابن القفطي اشتهر بانه من كبار غلاة الكتب [2] وهو ذو ثروة واسعة وفي منصب الوزارة نرى ابن ابي أصيبعة وهو من طبقة الاطباء في عصره يهدي كتابه الى احد وزراء دمشق ومع هذا نقرأ فيه سعة المادة المدهشة ولكن المتأخر قد يفوق المتقدم ولا عبرة بتقادم الميلاد كما لا عبرة باختلاف البلاد اذا كان الترقي فيها علماً

وهنا لا بأس بايراد طرف من ترجمة صاحب اخبار الحكماء زيادة في البيان فهو علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد بن موسى وزير حلب القاضي الاكرم [3] الوزير جمال الدين ابو الحسن بن القفطي احد الكتاب المشهورين وكان ابوه القاضي الاشرف كاتباً ايضاً ولد بقفط من الصعيد الاعلى بالديار المصرية واقام بحلب وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والاصول والمنطق والنجوم والهندسة

(١) المقتبس م ٣ ص ٧٢٠ (٢) المقتبس م ٢ ص ٥٦٩ (٣) فوات الوفيات

والتاريخ والجرح والتعديل ولد سنة ستين وخمسمائة وتوفي سنة ست وار بعين وستمائة وكان صدراً محتشماً كامل السؤدد وجمع من الكتب مالا يوصف وقصد بها من الآفاق وكان لايحب من الدنيا سواها ولم يكن له دار ولا زوجة واوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين الف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب وهو اخو المؤيد ابن القفطي ومن شعره

ضدان عندي قصرا همتي — وجه لحبي ولسان وقاح
ان رمت امراً خانني ذو الحيا — ومقول يطمعني في النجاح
فانثني من حيرة منهما — لي مخلب ماض ومالي جناح
شبه جبان فرّ من معرك — خوفاً وفي يمناه عضب الكفاح

وله من التصانيف كتاب الضاد والظاء وهو مااشتبه في اللفظ واختلف في المعنى والخط . كتاب الدر الثمين في اخبار المتيمين . كتاب من الوت الايام عليه فرفعته ثم الوت عليه فوضعته . كتاب اخبار المصنفين وما صنفوه . كتاب اخبار النحويين كبير كتاب اخبار مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين ست مجلدات كتاب اخبار المغرب كتاب تاريخ اليمن كتاب المحلي في استيعاب وجوه كلا . كتاب اصلاح خلل صحاح الجوهري كتاب الكلام عَلَى الموطا لم يتم كتاب الكلام عَلَى صحيح البخاري لم يتم تاريخ محمود بن سبكتكين و بقية كتاب تاريخ السلجوقية كتاب الاستئناس في اخبار آل مرداس كتاب الرد عَلَى النصارى وذكر مجامعهم كتاب مشيخة تاج الدين الكندي كتاب نهزة الخاطر ونزهة الناظر في احاسن من ظهور الكتب اه .

وعَلَى ماتوخى ابن القفطي من الاختصار في التراجم تسقط فيه على امور كثيرة وفوائد غزيرة خصوصاً وان من الرجال من ترجمهم هو وحده ومنهم من تفرد بهم ابن ابي أُصيبعة ومنهم وهم الاكثر من اشتركا معاً في ترجمتهما مثل الذي نقله عن الخطيب امين الدولة ابوالحسن علي الاباني العثماني الاموي القفطي صاحب القاضي الاكرم قال : « وكان من اجمل من رأيت نباهة وفضلا و بلاغة ومشاركة قال ادركت جلة المشايخ من اجلاء بلادنا وهم مجمعون على ان الذي اردم اراضي اكثر قرى مصر واسس الجسورة المتوصل بها من قرية الى قرية في زمن النيل هو ارشميدس فعل ذلك لبعض ملوكها وسببه ان اكثر القرى بمصر كان اهلها اذا جاء النيل تركوها وصعدوا الى الجبال المقابلة لها فاقاموا بها

الى ان يذهب النيل خوفاً من الغرق واذا اخذ النيل في النقص نزل كل قوم الى اراضيهم وشرعوا في الزرع فكان ماتطامن من الارض يمنعهم ما انحبس فيه من الماء عن الوصول الى ماعلا فلا يوصل اليه الا بعد جفافه فلا يمكن زرعه فيذهب بذلك فعل كثير ولما علم ارشميدس بذلك في زمنه قاس اراضي اكثر القرى على اعلى مايكون من النيل واردم ردوماً وبنى عليها القرى وعمل الجسورة مما بين الترع وفي اوساط الجسورة قناطر ينفذ الماء منها من ارض قرية الى اخرى فزرع كل واحد منهم الزرع في وقته من غير فوات ووقف من كل ضيعة ارضاً معينة يصرف مغلها في كل سنة الى اصلاح هذه الجسورة فهي الى الآن معلومة ولها ديوان مفرد بمصر يعرف بديوان مدن الجسورة وعليها احتراز كثير وعناية كثيرة واعرف وانا طفل وقد اضيفت هذه الجهة بالاعمال الشرقية من جوف مصر الى والدي رحمه الله نظراً وله نواب وضمان ومشدون وكان العمل فيها اتعب من جميع الاعمال اه»

ومثل قوله في ترجمة جالينوس الحكيم بان انطونيوس قيصر ملك اثنتي عشرة سنة وبنى مدينة ايليوبوليس وهي مدينة بعلبك اي اصلحها وقد قال في ترجمة سنان بن ثابت بن قرة الحراني مانصه : «وكانت منزلة سنان كبيرة عند الامراء والوزراء فمن ذلك ان الوزير علي بن عيسى بن الجراح وقع اليه في سنة كثرت فيها الامراض والاوباء توقيعاً نسخته : فكرت مد الله في عمرك في امر من في الحبوس وانهم لايخلون مع كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ان تنالهم الامراض وهم معوقون من التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الاطباء في امراضهم فينبغي اكرمك الله ان تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم ويحملون معهم الادوية والاشربة وما يحتاجون اليه من المزورات وتتقدم اليهم بان يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويريحوا عللهم فيما يصفونه لهم ان شاء الله تعالى . ففعل سنان ذلك ثم وقع اليه توقيعاً آخر : فكرت فيمن بالسواد من اهله وانه لايخلو من ان يكون فيه مرضى لايشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الاطباء فتقدم مد الله في عمرك بانفاذ متطببين وخزانة من الادوية والاشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ماتدعو الحاجة الى مقامهم ويعالجون فيه ثم ينقلون الى غيره . ففعل سنان ذلك وانتهى اصحابه الى سورا والغالب على اهلها اليهود فكتب سنان الى الوزير علي بن عيسى يعرفه ورود كتب اصحابه عليه من السواد بان اكثر من بسورا ونهر ملك يهود وانهم استأذنوا في المقام عليهم وعلاجهم

اوالانصراف عنهم الى غيرهم وانه لا يعلم بما يجيبهم به اذ كان لا يعرف رأيه في اهل الذمة وعلمه ان الرسم في بيمارستان الحضرة قدجرى للملي والذمي . فوقع الوزير توقيعاً نسخته : فهمت ما كتبت به اكرمك الله وليس بيننا خلاف في ان معالجة اهل الذمة والبهائم صواب ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم والمسلمين قبل اهل الذمة فاذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون اليه صرف في الطبقة التي بعدهم فاعمل اكرمك الله على ذلك واكتب الى اصحابك به ووصي بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الاوباء الكثيرة والامراض الفاشية وان لم يجدوا بذرقة توقفوا عن المسير حتى يصح لهم الطريق ويصلح السبيل فانهم اذا فعلوا هذا وفقوا ان شاء الله تعالى اه »

وفي هذه الرسائل الثلاث نموذج مهم من الكتابة الرسمية في اوائل مدة العباسيين ودليل على مابلغته الحضارة في عهدهم ايام كان الطب من جملة مايعنى به حتى ان سنان ابن ثابت احصى الاطباء في بغداد ولم يرخص لاحدهم ان يطبب الا اذا اخذ شهادة بكفاءته وكذلك فعلوا مع الصيادلة حتى لا تؤتى الامة من جهة طب ابدانها كما حاذر الخلفاء ان لا تؤتى من قبل اديانها .

وكما تجد المحاسن ماثلة في اخبار الحكماء ترى المساوئ كذلك كالذي ذكره في ترجمة عبد السلام بن عبد القادر الجيلي المعروف بالركن قال : « كان عبد السلام هذا قد قرأ علوم الاوائل واجادها واقتنى كتباً كثيرة في هذا النوع واشتهر بهذا الشأن شهرة تامة وله تقدم في الدولة الامامية الناصرية وحصل له بتقدمه حسد من ارباب الشر فثلبه احدهم بانه معطل وانه يرجع الى اقوال اهل الفلسفة في قواعد هذا الشأن فاوقعت الحفظة عليه وعلى كتبه فوجد فيها الكثير من علوم القوم وبرزت الاوامر الناصرية باخراجها الى موضع ببغداد يعرف بالرحبة وان تحرق بحضور الجمع الجم منها ففعل ذلك واحضر لها عبيد الله التيمي البكري المعروف بابن المرستانية وجعل له منبر صعد عليه وخطب خطبة لعن فيها الفلاسفة ومن يقول بقولهم وذكر الركن عبد السلام هذا بشر وكان يخرج الكتب التي له كتاباً كتاباً فيتكلم عليه ويبالغ في ذمه وذم مصنفه ثم يلقيه من يده لمن يلقيه في النار اه »

ومثلها نقله من الفقرة في ترجمة موسى بن ميمون الاسرائيلي الاندلسي لما نادى عبد المؤمن بن علي الكومي البربري المستولي على المغرب في البلاد التي ملكها باخراج النصارى منها وقدر لهم مدة وشرط لمن اسلم منهم بموضعه على اسباب ارتزاقه ما للمسلمين وعليه ما

عليهم ومن بقي عَلَى رأي اهل ملته فاما ان يخرج قبل الاجل الذي اجله واما ان يكون بعد الاجل في حكم السلطان مستهلك النفس والمال

ومما ذكره وهو مايدل عَلَى اتساع ثروة العرب [1] في ترجمة بني موسى بن شاكر محمد واحمد والحسن من ان محمداً صار بالعلم من وجوه القواد الى ان غلب الاتراك عَلَى الدولة وذهبت دولة اهل خراسان وانتقلت الى العراق فعلت منزلته واتسع حاله الى ان كان مدخوله في كل سنة بالحضرة وفارس ودمشق ونحوها نحو اربعمائة الف دينار ومدخول احمد اخيه نحو سبعين الف دينار . فتأمل مبلغ هذه الثروة

ومما نقتبسه من هذا الكتاب انموذجاً عَلَى درجة الحضارة في القرن الخامس ما نقله من كتاب كتبه المختار بن الحسن بن عبدون الحكيم الطبيب البغدادي المعروف بابن بطلان من نصارى كرخ بغداد الى الرئيس هلال بن الحسن بن ابراهيم ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . انا لما اعتقده منخدمة سيدنا السيد الاجل اطال الله بقاءه وكبت اعداءه دانياً وقاصياً وافترضه من طاعته مقيماً وظاعناً اضمرت عند وداعي حضرته العالية وقد ودعت منها الفضل والسؤدد والمجد والفخروالمحتد ان اتقرب اليها واجدد ذكرى عندها بالمطالعة مما استطرفه من اخبار البلاد التي اطرقها واستغربه من غرائب الاصقاع التي اسلكها خدمة للكتاب الذي هو تاريخ المحاسن والمفاخر وديوان المعاني والمآثر ليودع ادام الله تمكينه منها مايراه ويلحق ما يستوقفه ويرضاه وعَلَى ذكره فما رأيت احداً بمصر وهذه الاعمال اكثر من الراغب فيه وكل رئيس في هذه الديار متشوق اليه متشوف ولوصوله مترقب متوقع ولو وصلت منه نسخة لبلغ الجالب لها أمنيته في ربحها ونفعها والى الله تعالى ارغب في نشر فضيلته الباهرة ومحاسنه الزاهرة بجوده . وكنت خرجت من بغداد وبدأت بلقاء مشايخ البلاد وخواصها واستملاء ماعندهم من آثارها وعجائبها فذكر لي اخبار مستطرفة وعجائب غريبة واقطاع من الشعر رائقة ولضيق الوقت وسرعة الرسول اضربت عن اكثره واقتصرت على اقله وكنت خرجت على اسم الله تعالى وبركته مستهل شهر رمضان سنة اربعين واربعمائة مصعداً في نهر عيسى عَلَى الانبار ووصلت الى الرحبة بعد تسع عشرة رحلة وهي مدينة طيبة وفيها من انواع الفواكه مالايحصى وبها تسعة عشر نوعاً من الاعناب وهي متوسطة بين الانبار وحلب وتكريت والموصل وسنجار والجزيرة وبينها وبين قصر الرصافة مسيرة اربعة ايام ورحلنا

---

(١) المقتبس م ٢ ص ٤٥٣

من الرصافة الى حلب في اربع رحلات وهي بلد مسور بالحجر الابيض فيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيستان وفي احداهما مكان المذبح الذي كان يقرب عليه ابراهيم عليه السلام وفي اسفل القلعة مغارة كان يخبأ فيها غنمه واذا حلبها اضاف بلبنها الناس فكانوا يقولون حلب ام لا ويسأل بعضهم بعضاً عن ذلك فسميت حلب وفي البلد جامع وست بيع وبيمارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية وشرب اهل البلد من صهاريج وعلى بابه نهر يعرف بقويق يمد في الشتاء وينضب في الصيف وفي وسط البلد علوة صاحبة البحتري وهو قليل الفاكهة والبقول والنبيذ الا ما يأتيه من الروم (الاناضول) وما بحلب موضع خراب ومنه خرجنا من حلب طالبين انطاكية وبين حلب وبينها يوم وليلة فبتنا في بلدة للروم تعرف بعم فيها عين جارية يصاد منها السمك ويدور عليها رحا وفيها من الخنازير والنساء العواهر والزنا والخمور امر عظيم وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه سراً والمسافة التي بين حلب وانطاكية ارض ما فيها خراب اصلا الا ارض زرع للحنطة والشعير بجنب شجر الزيتون وقراها متصلة ورياضها مزهرة ومياهها متفجرة وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفيصل ولسوره ثلثمائة وستون برجاً يطوف عليها بنوبة اربعة آلاف حارس ينفذون من القسطنطينية من حضرة الملك فيضمنون حراسة البلد سنة ويستبدل بهم في الثانية وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل والسور يصعد من الجبل الى قلته ويستتم دائرة وفي رأس الجبل داخل السور قلعة تبين لبعدها من البلد صغيرة وهذا الجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها الا في الساعة الثانية وللسور المحيط بها دون الجبل خمسة ابواب وفي وسطها قاعة القسياني وكانت دار قسيان الملك الذي احيا ولده بطرس رئيس الحواريين وهو هيكل طوله مائة خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين ودائر الهيكل اروقة يجلس فيها القضاة للحكومة ومعلمو النحو واللغة وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فنجان الساعات يعمل ليلاً ونهاراً دائماً اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا وفي اعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمامات وبساتين ومقاصير حسنة وتخر منها المياه وهنالك من الكنائس ما لا يحد كثرة كلها معمولة بالفص المذهب والزجاج الملون والبلاط المجزع وفي البلد بيمارستان يراعي البطريك المرضى فيه بنفسه وفي المدينة من الحمامات ما لا يوجد مثله في مدينة من اللذاذة والطيبة فان وقودها من الآس وماؤها سيح وفي ظاهر البلد

نهر يعرف بالمقلوب يأخذ من الجنوب الى الشمال وهو مثل نهر عيسى وخارج البلد دير سمعان وهو مثل نصف دار الخليفة يضاف فيها المجتازون يقال ان دخله في السنة اربعمائة الف دينار ومنه يصعد الى جبل اللكام وفي هذا الجبل من الديارات والصوامع والبساتين والمياه المتفجرة والانهار الجارية والزهاد والسياح وضرب النواقيس في الاسحار والحان الصلوات ما يتصور معه الانسان انه في الجنة . وفي انطاكية شيخ يعرف بابي نصر بن العطار قاضي القضاة فيها له يد في العلوم مليح الحديث والافهام وخرجت من انطاكية الى اللاذقية وهي مدينة يونانية ولها ميناء وملعب وميدان للخيل مدور وبها بيت كان للاصنام وهو اليوم كنيسة وكان في اول الاسلام مسجداً وهي راكبة البحر وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه واذان في اوقات الصلوات الخمس وعادة الروم اذا سمعوا الاذان ان يضربوا الناقوس وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم . ومن عجائب هذا البلد ان المحتسب يجمع القحاب والغرباء المؤثرين للفساد من الروم في حلقة وينادي عَلَى كل واحدة منهن ويتزايد الفسقة فيهن لليلتها تلك ويؤخذن الى الفنادق التي هي الخانات لسكنى الغرباء بعد ان تأخذ كل واحدة منهن خاتماً هو خاتم المطران حجة بيدها من تعقب الوالي لها فانه متى وجد خاطياً مع خاطية بغير ختم المطران الزمه جناية . وفي البلد من الحبساء والزهاد في الصوامع والجبال كل فاضل يضيق الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم واذهانهم اه . »

وبعد فان تاريخ القفطي من الكتب التي اجاد فيها مصنفها حريٌّ بان يستفيد منه كل متأدب ومتعلم ويرجع اليه كل عالم ومؤرخ سلس العبارة جميل المأتى ينقل الامور عَلَى علاتها في الاكثر بدون تمحيص لها او ابداء رأي فيها وابن ابي أُصيبعة يفوقه في رد كل قول الى قائله وضبط الاعلام والتدقيق في التواريخ واخبار الرجال وذكر شذور من شعرهم ونثرهم والكتابان كفرسي رهان او كالسلسلة المفرغة لا تدري اين طرفاها

الصحف والنجاح

للنجاح في الاعمال اسباب كثيرة منها ماهو مادي ومنها ماهو معنوي اذا اختل احدها تعذر النهوض بالشق الآخر . وانشاء الجرائد والمجلات لايخرج عن هذا الحد المقرر وهل في الارض عمل لايحتاج الى علم وتجارب ومال واستعداد . ولطالما رأينا مصر في الثلاثين سنة الاخيرة والشام في عهدها الدستوري الجديد وغيرهما من الاقطار والامصار التي يتكلم اهلها بالعربية تتجرأ على اصدار الصحف بدون حساب ولاروية وادركنا العامة اجرأ من الخاصة عَلَى اقتحام هذا المركب الصعب وليس لديهم في الاغلب من وسائط النجاح كبير امر فلا يلبث ماينشئون ان يظهر الى الوجود حتى يختفي اضطراراً لااختياراً . وهذا هو السبب في تعدد الجرائد وقصر اعمارها واشمئزاز الناس منها اذ توهموها بما تمثل لهم من حال بعض من اقدموا عليها آلة للتكسب والتدجيل لااداة للوعظ والارشاد والتعليم

مارأينا صناعة من الصناعات استسهل الناس امرها كالصحافة فلم يعهد معلم في النجارة اوالحدادة اوالبناء او الهندسة يحترف هذه الحرف بدون سابق ممارسة و يتصدر للاعتياش منها وهو لايعرف من اسرارها سراً ولكن فن الصحافة في هذه الديار الذي يتوقف النجاح فيه عَلَى اسباب كثيرة اهمها العلم والتجربة والمال قد رأينا اناساً من الاغمار يدعونه بدون خشية واكثرهم لايعرفون قراءة الجرائد والمجلات دع عنك تأليفها واصدارها

كان جمهور الناس الى عهد قريب يشارك الاطباء في طبهم فترى الكبير والصغير اذا عرض لها مريض من خاصتهما ومعارفهما لايتوقفان في وصف علاج يشفيه مدعيين ان ذلك من مجرباتهما او مجربات اصحابهما ولما كثر الاطباء واستنارت الامة بعض الشيء خفت هذه العادة في التعدي عَلَى الاطباء في طبهم الا عند الطبقة الجاهلة اما الصحافة فيدخل فيها بالفعل اناس ليسوا منها وليست منهم و يصفون للامة ادوية تقيها الاسواء والارزاء والادواء و يعترضون عَلَى العالمين والحاكمين والسلاطين بلا خشية ولاحياء كأن طب الارواح ليس اصعب من طب الاشباح اوكأن الصحافة من العلوم اللدنية لا الكسبية يتعلمها المرء بالذوق وتوحى اليه ايحاء .

من اجل هذا احتقرت الامة الصحافة لما رأت من ضعف كثير من ادعيائها في اخلاقهم ومعارفهم ممن شانوا اسمها وعبثوا بجمالها تذرعاً الى مطمع ينالونه وصيت بالباطل يحصلونه ومقام عال ينزلونه . نعم لم نشهد العطار بيطاراً ولا الاسكاف نجاراً

ولا الحطاب رساماً ولا الفحام نظاماً ولا الجوهري حجاماً ولكن شهدنا الفلاح صحافياً والمتشدق موءلفاً والثرثار محامياً والمكثار خطيباً كما نشهد الاغبياء قد يحاولون بلوغ درجات الاذكياء والفقراء يقلدون الاغنياء

بيد ان سنن الفطرة التي لاتغالب ونظام هذا الكون البديع الذي قلما اختل يعاقبان المعتدي عَلَى مالايعلم بما جنته يداه كما قيل في الامثال الافرنجية كل خطاء يحمل عقوبته فيه . وندر جداً في الناجحين من تيسر لهم الوصول الى ماوصلوا اليه الا باتخاذ الذرائع المنجحة ونسج حلل مجدهم بايديهم

رأينا كثيراً ولاسيما في مصر والشام التصقوا بالصحافة وانفقوا ثرواتهم في سبيلها فلم ينجحوا في مسعاهم ورجعوا بعد العناء الطويل وخسارة المال صفر الايدي خائبين لان مائدة العلم لايجلس اليها طفيلي ولان التمويه ان صعب في عمل فهو في الاعمال العلمية اصعب .

من ذلك رجلان اثنان صرف احدهما في تأسيس الجرائد بضعة الوف من الجنيهات والآخر بضع مئات من الليرات وبعد العمل سنين ومحاولة النجح ولو بالتلون في المبادئ وقلب الحقائق وتقبيح مايستحسن واستحسان مايستهجن والظهور في مظهر المصلحين الغيورين بعد كل هذا اضطرا الى الرجوع ادراجهما ولو كانا صرفا ربع مابذلاه في هذا السبيل على درس فن الصحافة عَلَى اصوله وتلقناه كما تتلقن الصناعات المهمة ويدرب عليها المشتغلون بها لكان النجاح مضموناً لامحالة .

ولقد شاهدنا عياناً ان معظم الصحف التي كتب لها البقاء في هذين القطرين الشقيقين خاصة هي التي قام باعبائها اناس متعلمون تخرجوا في الكتابة وتدربوا في السياسة وتذوقوا لماظة من العلوم التي لايسع صاحب جريدة ومجلة جهلها . ومعظم من لم يخادنهم مايسمونه بالتوفيق اخفقوا لاسباب ناشئة من ضعفهم وقلة معارفهم في صناعة يلزمها مايلزم لكل صانع من الادوات ان لم نقل انها تتوقف على ادوات اكثر .

وهنا مجال لان ننصح للشبان المتهوسين في الكتابة الراغبين في الشهرة ان لايقدموا عَلَى الدخول في معترك الصحافة والسياسة والآداب قبل ان يستتموا ادواتها او يستعدوا لها ويتخرجوا بها مدة فالاجادة في مقالة يكتبها كاتبها في ايام وربما عاونه غيره في تلقين موضوعها وتقويم اصولها وفروعها لايتأتى منه الاجادة في كل موضوع ودعوى كل علم . والنشر

والطبع مما ترغب فيه النفس والنفس غالباً تميل الى نيل المحمدة. والذهاب بفضل الشهرة والعاقل علي اي حال من اتهم نفسه وحاسبها ولو يسيرا حتى لا يكون كل من يخط سطرين مغروراً بهما كمن هو بابنه و بشعره مفتون . و بعد فان قانون المطبوعات العثمانية الجديد يقضي عَلَي من يصدر جريدة او مجلة ان يحسن الكتابة باللغة التي يصدر بها صحيفته ليعلم مايكتب فيها ولو كان قومنا يبالغون في انتقاء الرجال للاعمال لوضع في قانوننا بند يلزم كل من تصدر لمعاناة صناعة القلم ان يمتحن في الفن الذي يخوض عبابه كما يمتحن المتطببون والصيادلة فانشاء الصحف ان لم يكن احق بالعناية من معرفة الامراض والعلل والعقاقير فلا اقل من ان يكون علَى مستواها فكم من جاهل قتل نفساً زكية ومن صحاسف جرع قراءه السم الزعاف عَلَي حين ينتظر منه الترياق النافع

سير العلم والاجتماع

الجرائد في سلانيك

يكي عصر — جريدة تركية يومية تصدر بعد الظهر أُسست قبل خمس عشرة سنة وكانت تسمى « عصر » الى ان جاءت الحرية فزادت كلمة يكي بمعنى جديد فصارت يكي عصر . تبيع في يومها مقدار ثلاثة آلاف نسخة

روم ايلي — جريدة تركية يومية أُسست هذه السنة ولها من المشتركين مقدار ستمائة وتبيع خمسمائة تقريباً فيكون ماتصرفه مقدار الف ومائة ولسوف تروج سوقها لاسباب لانزيد ذكرها

زمان — جريدة تركية يومية أُسست بعد اعلان الدستور بقليل ثم عطلت ثم نشرت قبل ايام قلائل ولذلك لانعلم مقدار ماتصرفه عَلَي اني ولو عرفته فلا يتخذ مقياساً لانها بنت عشرة ايام .

سلاح — جريدة تركية تصدر الاثنين والاربعاء والسبت ثلاث مرات في الاسبوع ولا يبعد ان تصير يومية يباع منها في البلدة مقدار الف نسخة ويرسل الى مشتركيها الف وخمسمائة فيكون مجموع ماتطبعه (٢٥٠٠)

مأمورين — جريدة تركية تصدر في الاسبوع مرتين تخص المأمورين فقط كما يظهر من اسمها

باغجه (جنينة) — مجلة سياسية ادبية اجتماعية تنشر بالتركية في كل نصف شهر مرة وثمنها قرش واحد ٠ قليلة الفائدة قليلة الراغب تحتوي عَلَى ١٦ صفحة

حسن وشعر — مجلة تركية تصدر كل خمسة عشر يوماً مرة لاطلاوة لآدابها الا ماقل وثمنها قرش واحد

وطنداش — جريدة تركية تنشرها جمعية الاتحاد والترقي ترسلها الى اهل القرى مجاناً تصدر كلما اقتضى الحال ٠ وهذه الجريدة تبحث عن الاتحاد والترقي خاصة بلسان يفهمه القروي وفيها من المواد ماينفع القروي في حقله وزرعه ٠

فاروس تيس ثسالونيكيس (منار سلانيك) — جريدة رومية يومية أُسست سنة ١٨٧٤ ميلادية تبيع في سلانيك مقدار ستمائة نسخة ولها من المشتركين مقدار سبعمائة فيكون المجموع ١٣٠٠

آستير (النجم) — جريدة رومية يومية أُسست هذه السنة تبيع الفاً في سلانيك وترسل لمشتركيها الفاً فيكون المجموع (٢٠٠٠)

قونوبي (البرغش) — جريدة رومية اسبوعية نصفها منظوم وهو القسم الاول حتى العنوان وشرائط الاشتراك ونصفها منثور وكلها هزل أُسست قبل سنة و يباع منها الف نسخة

نهآ اليثيا (الحقيقة الجديدة) — جريدة رومية يومية أُسست سنة ١٩٠٣ ميلادية باسم اليثيا (حقيقة) ثم بعد الدستور ضم لها نهآ (جديد) ٠

يباع منها في سلانيك الف وخمسمائة مع مشتركيها في هذه البلدة و يرسل لمشتركيها في الاطراف الفان وخمسمائة فيكون ماتصرفه ٤٠٠٠

بهلوس (ب بدل ﻫ) (سهم) — جريدة رومية أُسبوعية هزلية أُسست هذه السنة تبيع مقدار الف نسخة

ابوكا (زمان) — جريدة يهودية (*) يومية أُسست سنة ١٨٧٣ ميلادية ولها من المشتركين في سلانيك ستمائة وتبيع فيها مقدار الف وخمسمائة ومشتركوها في الاطراف سبعمائة فيكون مجموع ماتصرفه ٢٨٠٠

(*) لسان اليهود في سلانيك لسان الاسبانيين وحروفهم قريبة من العبرانية وليست هي ٠

الامبرسيال l'impartial — جريدة اسرائيلية يومية · أسست سنة ١٩٠٨ ميلادية تبيع مقدار الف نسخة

قرباج (سوط) — جريدة يهودية اسبوعية هزلية أُسست هذه السنة فنالت رغبة الناس جميعهم ولذلك تبيع مقدار ستة آلاف نسخة

الآونير (المستقبل) — جريدة يهودية تصدر يوم الاثنين والاربعاء والجمعة تبيع مقدار الف نسخة · أُنشئت قبل ثلاث سنوات

ره وياتا بوبولار (مجلة العوام) — مجلة يهودية اسبوعية تنشر في ادارة ماقبلها وترسل معها يوم الجمعة ·

و يرقوز يكو (شيطان) -- جريدة يهودية أُسبوعية هزلية لم تنل الرغبة مثل اختها قرباج

لاناسيون (الامة) — الاسم افرنسي ولكنها جريدة يهودية اسبوعية يباع منها مقدار الف نسخة

لاتريبوناليبر (المحكمة الحرة) — جريدة يهودية اسبوعية يباع منها مقدار الف نسخة

جورنال دوسالونيك (جريدة سلانيك) — جريدة افرنسية محررها اسرائيلي أُسست قبل ١٥ سنة تصدر الاحد والثلاثاء والخميس تبيع في سلانيك الف نسخة ولها فيها سبعمائة مشترك ولها في الاطراف اربعمائة مشترك فيكون مجموع ما نصرف، ٢١٠٠ نسخة

بروغره دوسالونيك (رقي سلانيك) — جريدة افرنسية يومية محررها من اهل سلانيك أُسست قبل ١١ سنة يباع منها مقدار الف نسخة

كان للبلغار ثلاث جرائد قل مشتروها فخسرت فتعطلت جميعها

واما اهل سلانيك فلا يزيدون عن مائة وخمسين الفاً وقد كنت احب ان اقايس اهل الشام وجرائدهم بأهل سلانيك وجرائدهم وحبهم المطالعة لاسيما و يأتيهم كل يوم من جرائد استانبول مثل طنين واقدام وصباح ويكي غزته مالا يمكن حصره ولكن لاعلم لي بمقدار اهل الشام ولا بجرائدهم ولا بمقدار ما يصرف منها فهل لاحد الفضلاء ممن يعرف ذلك ان يتخذ هذه العجالة اساساً و يتحفنا بالمقايسة ؟ سلانيك ر · ب

التربية العقلية

وضع احد اساتذة المدارس الجامعة في فرنسا كتاباً في التربية العقلية قال فيه بشأن تعلم الانشاء ان افضل طريقة يتخذها المعلم في تعليم تلامذته ان لا يقترح عليهم كتابة موضوع بدون ان يدلهم على الطريق التي يجب عليهم سلوكها لان الافضل في نظره ان تتدارك اغلاطهم قبل وقوعها من ان تصلح بعد كتابتها فان نقد الاغاليط عقيم في الاكثر ولا يخلو دائماً من الضرب على سندان واحد فلاجل الفائدة من التصليح يجب ان يكون في « الوظيفة » او الفرض بعض الميزات الابتدائية والاجدر ان تقرأ للمتعلم قطع من اقوال الغير في الموضوع الذي يقضى عليه كتابته · قال ان من الصعب تعليم الاولاد ان يكتبوا او يحكموا كتابة صحيحة وحكماً صحيحاً ولكن من الممكن تلقينهم كلهم معنى النظام وحسن السياق وذلك يتأتى بدرس ما كتبه الكاتبون حق دراسة وتحليله وبيان مزاياه ومتانة تراكيبه ومتى تم للمرء ان يعرف ما حوت كتابة كبار الكتاب من الحسنات يوشك ان يقبض على سر الانشاء

المدرسة والاخلاق

وضع احد علماء الالمان كتاباً في التربية الاخلاقية قال فيه ان الواجب في تعليم الاطفال ان يدربوا انفسهم بانفسهم وان يعلمهم معلوهم كيفية التوفيق بين شخصيتهم الروحية وشخصيتهم الحسنة فيباحثوهم في موضوعات في الاخلاق الشخصية او الاجتماعية ذات ارتباط كلي بحياة التلامذة انفسهم وان يعودوا في المدارس الى القول بعدم المركزية اي الحكومة المستقلة بحيث يعدون الطفل للديمقراطية العملية ويكلون ذلك للمتقدمين من التلامذة

غاية التربية

قال استاذ التربية والتعليم في كلية برلين ان غاية التربية تقوية حواس الشخص ما امكن مع احترام الخلق الطبيعي وشخصية الافراد فالواجب ان نحكم فيه قوة الانتباه والتفكر والذاكرة ولا نعجل في استثمار عقله · وهو يشدد كثيراً في تربية الارادة لانها اهم من كل شرح وتفصيل في تربية اخلاق المرء

آثار عربية

ظفر البارون ماكس فون اوبنهايم اثناء سياحاته في الشرق على عدة كتابات استخرج بعضها ودفعها الى علماء الآثار ليحلوها ومن جملتها ١٩٦ اثراً عربياً حلها المسيو برشم

ونشرها في كتاب خاص ومعظمها لم يعرف وهي مما عثر عليه السائح الالماني من جنوبي بحيرة حمص الى دمشق ماراً بقلعة الحصن ومصيات وحماة وقنسرين وحلب والرّها (اورفه) وماردين وديار بكر والبيرة وعينتاب وآذنة وطرسوس وقرمان وقونية ويرد تاريخ معظمها الى عصر استيلاء المماليك عَلَى مصر ومنها ست كتابات من عهد الخليفة المنصور في ديار بكر تاريخها سنة ٢٩٧ من الهجرة وبعضها من عهد سيف الدولة ابن حمدان في حلب من سنة ٣٥٤ ومنها اثر وجد في دمشق من عهد السلطان طوطش السلجوقي (٤٨٠) وآخر في سلمية من عهد الامير خلف ٤٨١

علم نفس الطفل

الف احد علماء سويسرا كتاباً في تربية الاطفال وتعليمهم قال فيه : ان الطفولية يجب ان ينظر اليها بانها باب الاستعداد للحياة وتختلف مدة الطفولية بحسب درجة كمال النوع فكلما اعتبر تاماً اي حافلا غنياً بالمقاومات يطول طور الطفولية وعبثاً يريد المرء اختصار هذا الطول لان الفطرة حمت هذا الدور من نقص التركيب بالف واسطة وكلما كانت الطفولية قصيرة يكون ترقي الطفل قاصراً . وتكلم عَلَى لعب الطفل فقال انه بالنسبة للطفل من اهم المعدات لاستقبال الحياة فانا نرى اللعب حتى في الحيوانات سارياً بحسب قواهم الطبيعية فالهرة الصغيرة تلعب بكرة من الورق كما تلعب بفأرة والجدي يتظاهر بانه يناطح في حين ليس له قرون وكذلك الحال في الطفل فان الالعاب عَلَى اختلاف ضروبها هي استعداد للعمل القانوني الذي يعمله يوم يبلغ اشده فمن كتب له ان يكون صالحاً في طفوليته يكون رجلا تام الادوات في رجوليته والطفل الذي رزق السلامة في اعضائه والعمل لما يعد جسمه للمشاق افضل واقدر في جهاد الحياة ممن يحملون الشهادات العالية التي تنبئ بدرسهم واستظهارهم فاللعب باعث قوي في نمو الحواس يمد كل ما نشأ من النشاط وهو يشترك مع الفكر القوي في سن الفتوة فالواجب ان يترك هذا التصور يأخذ مأخذه كما يشاء . ويضاف الى ذلك رغبة الطفل في النظر والسؤال فينبغي ان لا يضن الابوان بالجواب عَلَى اسئلة يسألها الابن هذا في سن الطفولية اما في سن البلوغ فان التقليد من اكبر ادوات الارتقاء فالبالغ يقلد عند الاقتضاء ليسهل التوفيق بينه وبين المطالب العالية والطفل يقلد في لعبه وهذا اللعب مما يفيده . والمهم في ذلك ان يطبق اعماله عَلَى محيطه وان يقوي قواه ويتعلم معلومات جديدة وينمو على الدوام نمواً طبيعياً واخلاقياً وهو يرتقي هذا الترقي اذا قابل بنفسه المصاعب

التي يجب عليه التغلب عليها وتناول بنفسه المعارف اللازمة والاسرار التي يقضي عليه كشفها وسبر غورها · وقال ان علم التربية والتعليم (بيداكوجيا) هو علم معرفة درجات النشوء الطبيعي في الطفل واستخدام كفاءآته الفطرية لترقيتها ·

سن تعليم القراءة

يبدأ الاولاد بتعلم القراءة في انكلترا في السنة الثالثة وفي سويسرا بين الخامسة الى السابعة بحسب المقاطعات وقد بدأ « اميل » روسو في الخامسة عشرة · وبحث احدهم بحثاً دقيقاً فتبين له ان الطفل يتعلم القراءة في الاكثر بسرعة بين السابعة والثامنة وتقل السرعة بين السادسة والسابعة وان الاظهر في هذه الحال ان يبدأ في سن السادسة بتعلم القراءة · واكدت مديرة مدارس الامهات في فرنسا ان تعليم الولد قبل السادسة يضر جداً به ولكنها سمحت بان يقرأ الاولاد بين الخامسة والسادسة من اعمارهم نحو عشرين دقيقة فقط وقالت ينبغي ان يدل الطفل على الكلمات التي يقرأوها ولا يكتفي بتكرارها فقط اذ تشتغل في تلك الحال ذاكرته فقط وان يقرأ بصوته العادي بدون ان يرفعه وان تستعمل له الالفاظ المستعملة نفسها بدون الفاظ مجهولة

انتظام التجارة

ثبت ان التكافل النامي في المصالح المادية بين البشر واضطرار كل بلدة ان تطلب المواد الاولية والمواد التي تفرغ في قالب آخر اوتبحث عن مصرف لبضائعها وحاصلاتها في البلدان الاخرى كان منه ان عدل النظام التجاري العام تعديلاً كبيراً لاسيما وقد اصبح اليوم طول سكك حديد الارض مليون كيلومتر وكان سنة ١٨٧٠ مائتي الف كيلومتر فقط واصبحت السفن تحمل اليوم ٣٠ مليون طن وكانت سنة ١٨٧٥ لاتحمل غير ٣،٧٠٠،٠٠٠ طن وعدد الاسلاك البرقية البحرية ١٤٠٠ ولم يكن سنة ١٨٦٦ سوى سلك واحد فكيف تكون الحال يا ترى عندما تملأ البحور والبرور بالسفن والسكك والاجواء بالطيارات

التربية المشتركة

كتب احد العارفين في مجلة « الاسبوع الادبي » في جنيف مقالاً في معنى تربية البنين والبنات في مدرسة واحدة فاورد عدة امثلة تثبت افضلية هذا النوع من التعليم ولاسيما لما شوهد من نتائجه الحسنة في انكلترا وقال ان تربية الجنسين معاً ولاسيما في المدارس الداخلية (كذا) اقل خطراً من تربية كل جنس مع ابناء جنسه · ومن شروط

النجاح في ذلك ان يؤخذ الاولاد صغار السن جداً ويتركون يعيشون ابداً معاً و يطرحون العناصر التي لا يمكن التوفيق بينها فيربى الاولاد والشبان في مدارس الفلاة حيث تسلم الحياة من الشوائب واخلاق الجد تكون احسن اثراً وان يسلموا الى مربين تخرجوا على الاصول الحديثة في علم النفس فيربى كل جنس بحسب طبيعته وما ينتظره في حياته من الواجبات

الولادات والوفيات

كانت الولادات ازيد من الوفيات سنة ١٩٠٨ في اكثر ممالك اوربا فبلغت الولادات في المانيا ٨٧٩،٥٦٢ والوفيات ٧٩٥،١٠٧ وفي النمسا ٣١٣،٦١٦ و٣٠١،٩٣٦ وفي المجر ٢٣٩،٧٦٠ و ٢٢٨،٣٣٨ وفي البلجيك ٦٤،٨٣٧ و ٦٧٣٠٥ وفي انكلترا وغاليا ٤١٩،٩٢١ و ٣٤٦،٨٤٧ وفي بلاد القاع او هولاندة ٨٤،٩٢٦ و ٧٥،٩١١ وفي ايطاليا ٣٦٨٦٦٧ و ٣٨٥١٦٥ وفي نروج ٢٧،٦٠٠ و ٣٠٤٥٠ وفي السويد ٥٨،٤٠٧ و ٤٤،٢٠٤

الهند البريطانية

وضع احد علماء فرنسا كتاباً في الهند بعد درس عشرين سنة فقسمها قسمين قسم مساحته مليونان وستمائة الف كيلو متر مربع وسكانه ٢٣٢ مليون نسمة وهذا القسم تحكم عليه انكلترا مباشرة وقسم مساحته مليون وسبعمائة وخمسون الف كيلو متر مربع سكانه ٦٢ مليوناً ونصف مليون وهذا القسم يحكمه راجات الهند والزعماء الوطنيون المحالفون للعرش البريطاني ولهم مستشارون انكليز . ومناخ البلاد بالطبع مختلف باختلاف الاصقاع فاقليم راجبوتانا رمال تبعث الحرارة المدهشة في الصيف وتجلد المياه في الشتاء . ومسألة المياه اهم ما في الهند من المسائل وقد اقام الانكليز في اقليم بنجاب اعظم آلات الري في العالم و يقدرون عدد من يهلك كل سنة في الالف ٣١ منهم ١٩ بالحمى . والسكان طوائف فكل طائفة تخرج منها اناساً ولكن لا تدخل اليها احداً وكان عددهم منذ نحو خمسين سنة لا يتجاوز المئة فاصبح اليوم ٢٣٧٨ تقسم بين ٤٣ عنصراً وتابعية . ومنها اربع طوائف يتألف منها ١٦ في المئة من الشعب الهندي وهي طبقة البراهمة وعدد اعضائها ١٤،٨٠٠،٠٠٠ والشامار بين ١١ مليوناً وكل واحدة من الراجابوتيين والاهر بين ١٠ ملايين والطبقات الكبيرة تسحق الصغيرة

والظاهر ان المناخ مؤثر جداً في السكان حتى اصبحوا الى الكسل اقرب منهم الى

حياة العمل وكل واحد يريد ان يعمل له وهو مستريح فتجد في كل خمسة رجال يعملون بحسب الظاهر واحداً لايعمل شيئاً اصلا وواحداً يستريح وآخر يتأمل وآخر يعاون فالارض تؤجر من كبير الى اصغر وتتعاورها الايدي بالايجار · وكثرة الديانات تزيد الاعياد وايام الراحة والناس لا يربحون ولا ينظرون في المستقبل والفائض فاحش جداً عندهم ولذلك ترى المرابين في خطر ابداً من السلب والقتل عَلَى ان الفلاح اقرب الى الاتفاق مع المرابي من جباة الاموال لان الضرائب ثابتة لاتتغير بحسب جودة المواسم وعدمها ولها اوقات معينة لامناص من ادائها فيها ولذلك تراه عند الضائقة يعمد الى المرابي فيستدين منه بفائض كبير وقد كان ثلث الفلاحين منذ ثلاثين سنة مدينين عَلَى امل ان يخلصوا من ديونهم والثلثان الآخران لا امل لهما بالخلاص حتى اضطرت الحكومة الانكليزية في بنجاب ان تسن قانون سنة ١٩٠٠ تقضي فيه عَلَى الفلاح ان لا يبيع ارضه الا من فلاح ولكن المرابين كلهم اصحاب زراعات ولذلك لم يقل بيع الاراضي ولا رهنها · ولم تنفذ الحكومة هذا القانون في البلاد الاخرى · وقوة الحكومة البريطانية في الهند ناشئة من كون انكلترا تحكم عناصر مختلفة من السيخيين والمسلمين والماهراتيين والهنود والبرمانيين وكلهم يتحاسدون بينهم و ينفصل بعضهم عن بعض في الجنس والعادات والاديان ولذلك كان من الصعب اشراكهم كلهم في منافع الادارة عَلَى قدم المساواة وعدد المسلمين هناك ٦٢ مليوناً والهنود ٢٠٧ ملايين وكان المسلمون حكام البلاد مدة قرون لذلك يحتقرون المسابقات التي تجري للدخول في الوظائف اما البراهمة فيتسابقون اليها

تربية العقل

ألف الدكتور تولوز الفرنسوي كتاباً في هذا المعنى قال فيه ان النظر افيد للمرء من البحث والدرس في خزائن الكتب والتمرن عَلَى الحكم في الامور الواقعة خير من املاء الذهن بمعارف ميتة لامحصل لها والعمل خير من التصور والحركة افضل من التخيل وتكلم فيه عَلَى ضرورة العمل للانسان فقال يجب ان يعمل المرء ليعيش لا ان يعيش ليعمل وان الراحة الحقيقية هي في الانقطاع بضعة اسابيع عن العمل كل الانقطاع بعد قضاء زمن في الجهاد والجد لا في تعديل العمل وتخفيفه

جلسة الاولاد

تبين ان السبب في تشويه اجسام الاولاد استعدادهم الكلي للجلوس عَلَى مقاعد

كيفما اتفق وان البحث قد اثبت بان في كل خمسة ملايين طالب يخرج ٥٧٠ الفاً مشوهين في اجسامهم واحسن واسطة لاتقاء ذلك اجلاسهم عَلَى مناضد عالية بحيث لايكادون يقعدون الا منتصبة قاماتهم وارجلهم تمس الارض و بذلك يقوى هيكلهم العظمي عَلَى طبيعته و يتنفسون تنفساً حسناً

الخطوط الحديدية في الارض

ظهر من احصاء اخير ان طول السكك الحديدية في القارات الخمس زاد في السنة الماضية ٢٥ الف كيلو متر فتجاوز طولها المليون كيلو متر منها اربعمائة الف في الولايات المتحدة وكندا ومئة الف في اميركا الجنوبية وستون الفاً في المانيا ومثلها في روسيا وخمسون الفاً في فرنسا وثلاثة واربعون الفاً في النمسا وثمانية وثلاثون الفاً في انكلترا وجميع الخطوط الحديدية في آسيا لاتتجاوز الخمسة والتسعين الف كيلومتر وفي افريقية احد وثلاثين الفاً وفي اوسترالیا تسعة وعشرين الفاً

صحة المدارس

تكلم احد الخطباء في مؤتمر الفنون في المدرسة في نانسي احدى حواضر فرنسا في موضوع صحة المدارس فقال ان للنور دخلاً كبيراً في القراءة وان الواجب ان تكون حروف المطبعة ثخينة في الجملة وان يعتنى باختيار الالوان المفرحة في الجدران والحوائط ويستغنى عن الالوان الباهتة القذرة كلون الشوكولا والالواح الحجرية السوداء والالوان البيضاء الجافية التي تجعل صفوف المدارس كأنها غرف مستشفيات بل الواجب تنويع الالوان والادهان عَلَى الطريقة المقبولة للاولاد فاللون الاحمر والازرق والبرتقالي مما ينفع النفس والنظر في الايام الممطرة الغائمة وتكون للنفس بمثابة شعاع الشمس قال والواجب الاكثار في المدارس من الزهور والورد تزرع كيفما اتفق في الافنية والماشي ويعلم الصبي احترامها حتى لايقطفها بمجرد وقوع نظره عليها كما يعلم مراعاة الحيوان

الاولاد المدخنون

حقق اساتذة هولانديون تأثير التدخين في الاولاد فثبت لهم مضاره في عقولهم واخلاقهم والمدخنون هم كسالى وفاسدو الامزجة والتراكيب و يزيد معدل المدخنين من الاولاد بالنسبة لحالة اهليهم من الرفاهية وعدمها

المقتبس

ابو العلاء المعري

شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء

١ = موطنه وأسرته

الى جنوبي حلب عَلَى بعد ثماني عشرة ساعة عنها بلدة معتدلة الهواء قديمة عرفها الرومانيون باسم (خالس) ثم لقبت بعدهم بذات القصور وهي اليوم قضاء من اعمال حلب يعرف بقضاء معرة النعمان نسبة الى المعرة قصبة ولفظة المعرة سريانية بمعنى المغارة وليست في شيء من التفاسير التي عددها ياقوت الحموي في معجم البلدان ولقد زعم بعض المؤرخين انها سميت بمعرة النعمان نسبة الى النعمان بن بشير الانصاري عامل حمص الذي مرَّ بها فمات له ولد ودفنه فيها فنسبت اليه وقد توفي النعمان سنة ٦٥ هـ (٦٨٤ م) .

وعندي ان رأي ياقوت في معجمه اقرب الى الصحة وهو انها نسبت الى احد اجداد المعري وهو النعمان الملقب بالساطع ابن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله وهو تنوخ بن اسد بن دَبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة .

فتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب اجتمعت هذه القبائل مع غيرها في البحرين وتحالفوا عَلَى التناصر واقاموا هناك فسموا تنوخاً وتنوخ بمعنى الاقامة فتكون تنوخ حياً من بني قضاعة من عرب اليمن (وقيل من الازد) خرجوا من مدينة مأرب الى البحرين عند سيل العرم [1] ثم تفرقوا في نواحي العراق والشام ونزل منهم نعمان زعيم قبيلته واميرها بالمعرة فنسبت اليه وهو اوجه الاقوال وامثلها

(١) راجع كتابي دواني القطوف صفحة ٦٢

فمعرة النعمان كانت حصينة منيعة فتحها المسلمون في صدر الاسلام ثم استولى عليها الافرنج الصليبيون سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ م) واعادها المسلمون الى ايديهم سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) وزارها ابن بطوطة وابن جبير وغيرهما من السياح وقالا انها كانت لعهدهما من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقًا وبساتينها ممتدة الى مسافة يومين وفيها الزيتون والتين والفستق وانواع الفواكه ·

ولا شأن لفستقها اليوم ولكن فيها الزيتون والتين والزبيب والعسل وانواع الحبوب والقطن وفيها صناعة النسج والدباغة · وتوجد قرى كثيرة باسمها منها معرة مصرين قرب حلب ومعرة باش من قضاء النبك في جبل القلمون ومعرة صيدنايا من اعمال دومة وغيرها · والى المعرة ينسب كثير من العلماء اشهرهم ابو العلاء هذا وكذلك كانت موطن أُسر مشهورة مثل الامراء الارسلانيين التنوخيين في لبنان وآل الجندي في حمص وغيرهم

وقد نشأ من التنوخيين في معرة النعمان سليمان بن محمد بن سليمان من سلالة النعمان ابن عدي المنتهي نسبه الى الحاف بن قضاعة التنوخي الشهير وهو جد المعري لابيه كان قاضيًا في بلدته ومن العلماء الاعلام في وقته وترعرع ولده عبدالله والد المعري على الادب وكلف بالعلم وتزوج امرأة من آل سبيكة مواطنيه الذين عرفوا بآدابهم وخدم الادب والمعارف الى ان رزق ولده ابا العلاء هذا فكان صفوة هذا البيت وخلاصة ذكائه ومخيض زبدة آدابه

٢ = نشأته

ولد ابو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان التنوخي في معرة النعمان في بيت عرف بالادب والفضل ومن والدين من سلالة العلماء يوم الجمعة في ٣ ربيع الاول سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) وما انفتحت عيناه لنوز العالم ومشاهدة جمال الطبيعة حتى مني بالجدري في اول سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧م) فأطفأت نورهما وردته الى قلبه فتوقد ذكاءً وقد ارتجل شعرًا لما عيَّره بذلك عبدالله الخوارزمي وهو قوله :

قالوا العمى منظرٌ قبيحٌ قلت بفقدي لكم يهون
والله ما في الوجود شيءٌ تأسى على فقده العيون

وكثيرًا ما كان يقول احمدالله عَلَى العمى كما يحمده غيري على البصر · ولقد كانت له اسوة بكثير من كبار الشعراء والعلماء الذين أُصيبوا بالعمي مثل هوميروس اليوناني

و بشار بن برد العربي وغيرهما والذي يظهر ممن شاهدوه انه كان في اول امره قد غشي يمنى حدقتيه بياض وذهبت اليسرى جملة فكانت احدى عينيه بارزة والاخرى غائرة جداً وذلك يخالف ماذهب اليه بعضهم من انه كان أكمه . وكان يقول : لاأعرف من الالوان الا الاحمر لانني ألبست في الجدري ثوباً معصفراً . وكانت في وجهه ندوب الجدري وهو نحيف الجسم عصبي المزاج حاد الذهن قوي الحافظة

قرأ النحو واللغة عَلَى ابيه ثم رحل الى حلب وقرأ عَلَى محمد بن عبد الله بن السعد النحوي فتمكن من آداب اللغة وطالع كثيراً من المؤلفات لوفرة المكاتب في حلب وقلتها في بلدته ونظم الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ولم يتكسب به بل نظمه شارحاً فيه اغراض نفسه ومعبراً عن شواعره وواصفاً عجائب الكون ولاسيما الافلاك . ومفسراً غرائب الاجتماع وحاضاً عَلَى الزهد والاعتزال . وممعناً في فلسفة الوجود . ومتشكياً من من مناوأة الايام ومساورة المصائب . وعَلَى الجملة فانه ابلغ شاعر قام في الاسلام ذاهباً في شعره مذهب الفلسفة وحرية الفكر والنظر الى الكون بعين العقل وكان مولعاً بمطالعة المتنبي وتحدي افكاره فنظم على منواله غير متقيد بالصناعة اللفظية .

واتقن العلوم ابن عشرين سنة فصار مرجع الادباء ومحط رحال البلغاء فتخرج عليه كثير من علماء عصره من اشهرهم ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي . وابو زكرياء الخطيب التبريزي شارح الحماسة

وقد رحل في تفقد المكاتب والتوسع بالمعارف الى طرابلس الشام المشهورة بمكتبتها العظيمة اذ ذاك وسار الى اللاذقية فنزل ديراً فيها وسمع من احد الرهبان بعض العلوم والملح عَلَى مذهبي اليهود والمسيحيين وكذلك قصد دمشق وحلب وبغداد وغيرها وكان يرتزق من وقف يحصل منه ثلاثين درهماً [1] في العام ينفق نصفها على من يخدمه

(١) « المقتبس » سألنا صديقنا احمد بك تيمور من علماء القاهرة عن القدر الذي كان يرزقه المعري فكتب الينا مانصه

راجعت رسائل ابي العلاء الى داعي الدعاة وظفرت بالفقرة التي وعدتكم بها فكتبتها لكم عَلَى علاتها وهي (ومما حثني عَلَى ترك الحيوان ان الذي لي في السنة نيف وعشرون ديناراً فاذا اخذ خادمي بعض مايجب بقي لي ما لا يعجب فاقتصرت عَلَى فول وبلسن ومالا يعذب عَلَى الالسن فاما الآن فاذا صار الى من يخدمني كبير عندي وعنده هين فما حظي الا اليسير المتعين ولست اريد في رزقي زيادة ولا اوثر لسقمي عيادة والسلام)

فعورض في رزقه فذهب الى بغداد ،تظلماً ممن عارضه سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) ثم عاد اليها ثانية سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م)واقام فيها سنة وسبعة اشهر فتفقد مكاتبها وتعرف بعلمائها ودرس عليه كثير منهم قال ابو القاسم التنوخي: لما ورد المعري بغداد قرأت عليه شعره وذكر انه دخل عليه وهو في بغداد علي بن عيسى الربعي ليقرأ عليه شيئاً من النحو فقال له الربعي: ليصعد الاصطبل فخرج مغضباً ولم يعد اليه٠ و يروى انه دخل يوماً مجلس المرتضى فعثر بانسان فقال له : من هذا الكلب فقال المعري : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً وله اخبار كثيرة لا محل لاستيفائها

ومن اشعاره في غربته يحن الى وطنه قوله :

فيابرق ليس الكرخ داري وانما رماني اليها الدهر منذ ليال
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسال

وقوله :

ياماء دجلة ما اراك تلذ لي شوقاً كماء معرة النعمان

وعاد ابو العلاء من بغداد الى المعرة سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ولزم بيته وشرع في التصنيف والتدريس فتقاطر اليه الادباء من كل صوب مقتبسين من آثاره وكاتبه العلماء والوزراء واهل الاقدار فانقطع الى خدمة الآداب وسمى نفسه رهين المحبسين للزوم بيته ولذهاب عينيه كما صرح في ذلك بقوله :

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

وكان يلعب الشطرنج والنرد (الطاولة) ٠ ويملي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلم وولع بالعلوم الرياضية واتقنها وله كثير من الابيات الرياضية مثل قوله :

طرق العلى مجهولة فكأنها صم العوائد مالها أجذار
والعقل أنذرنا بما هو كائن في الدهر ثم تشعب الانذار

وعلى الجملة فان المعري كان غزير الفضل وافر الادب عالماً باللغة ضليعاً من آدابها حسن الشعر جزل الكلام قوي الذاكرة شديد الذكاء

٣ = حافظته ونوادره ووفاته

اشتهر ابو العلاء بقوة الحافظة اشتهاراً عظيماً فاق فيه بديع الزمان الهمذاني وغيره

وربما زاده حفظاً العمى فانه يجمع الذهن ويقوي المخيلة . ومما يروى عنه انه جرى حساب طويل بين رجلين في مكان تشرف عليه غرفته فسمع الحساب وحفظه . ثم ضاعت الاوراق بعد ايام فأملاها عليهما ووجدت الاوراق بعد ذلك فكانت طبق إملائه .

وأعجب من هذا انه كان يوماً عند يهودي فأتاه يهودي آخر واستودعه صرة . ثم جاء يطلبها بعد سنة فانكرها فرافعه الى القاضي ولم يكن بينهما شهود الا المعري فاستقدمه القاضي وسأله . فقال : انني رجل اعمى لم ابصر ما كان بينهما . ولكنني سمعت كلاماً بالعبرانية اذكر لفظه ولا اعرف معناه . فدعا القاضي يهودياً خالي الذهن من القصة واعاد عليه الشيخ ذلك الكلام فاذا هو يؤذن بصحة الدعوى

وأنشده مرة ابو نصر المنازي قوله :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاهُ مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنوَّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا عَلَى ظمإٍ زلالاً الذَّ من المدامة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

فقال له ابو العلاء : انت اشعر من بالشام . وطويت الايام عَلَى قوله هذا فلما رحل الى بغداد انشده المنازي فيها :

لقد عرض الحمام لنا بسجع اذا أصغى له ركب تلاحى
شجى قلب الخلي فقيل غنى وبرح بالشجي فقيل ناحا
وكم للشوق في احشاء صبٍ اذا اندملت اجد لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى وسكران الفؤاد وان تصاحى
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة كأحداق المهى مرضى صحاحا

فقال له ابو العلاء . ومن بالعراق عطفاً عَلَى قوله قبلاً (انت اشعر من بالشام) الى غير ذلك وكان يقصده كثير من العلماء للتعارف به وممن نزل بالمعرة القاضي عبد الوهاب البغدادي فمدحه المعري (راجع ابن خلكان ١: ٤٣١)

ومن نوادره ان الوزير ابا الفضل التميمي الدارمي البغدادي اجتمع بابي العلاء هذا في بلدته المعرة لما بعثه القائم بامرالله العباسي من بغداد رسولا الى صاحب افريقية

المعز بن باديس وانشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال لله أنت من ناظم

ولقي يوماً غلاماً فسأله عن الطريق فدله . فسأله الغلام عن اسمه فعرفه به فقال له أأنت القائل :

وانى وان كنت الاخير زمانه   لآت بما لم تسطعه الأوائل

قال: نعم . قال : ان الأوائل وضعوا ٢٩ حرفاً للهجاء فهل لك ان تزيد عليها حرفاً فسكت وقال لرفيقه : ان هذا الغلام لا يعيش لحدة ذهنه وهكذا كان

وبقي اليف الأدب منقطعاً الى التدريس حتى مرض ثلاثة ايام ومات في الرابع منها ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث من مرضه : اكتبوا عني . فتناولوا الدوي والاقلام فأملى عليهم غير الصواب فقال القاضي ابو محمد عبدالله التنوخي : احسن الله عزاءكم في الشيخ فانه ميت . فمات يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٨م) بالمعرة . وفي طبقات ابن الانباري انه توفي سنة ٤٩٩ وهو خطأ .

وقبره في ساحة من دور اهله وعلى الساحة باب صغير قديم وهو مهمل وقد اوصى ان يكتب على قبره .

هذا جناه ابي عليَّ (م) وما جنيت على احد

والمشهور انه مكتوب على قبره :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة   مكنونة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها   فردها غيرة منه الى الصدف

وقرئ على قبره سبعون مرثية ورثاه نحو ١٨٠ شاعراً

٤ = اخلاقه ومعتقده

كان المعري حاد الذهن عصبي المزاج فضاق خلقاً في آخر ايامه لان العمى يورث الضجر وكثرت مصائبه فاختار العزلة واكثر الشكوى وسوء ظنه بالناس بدليل قوله :

من عاش غير مداج من يعاشره   اساء عشرة اصحاب واخدان

كم صاحب يتمنى لو نعيت له   وان تشكيت راعاني وفداني

وقوله : توحد فان الله ربك واحد   ولا ترغبن في عشرة الرؤساء

يقل الاذى والعيب في ساحة الفتى   وان هو اكدى قلة الجلساء

وكان حر الضمير تدل سريرته على ظاهرته ولذلك قال :

وأردتموني ان اكون مدلساً هيهات غيري آنس التدليسا

وربما تظاهر بما ليس من خلقه تلبية لقوانين المعاشرة كقوله :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن اني جاهل

فواعجبا كم يدعي الفضل ناقص ووا اسفا كم يظهر النقص فاضل

وكان متواضعاً يمقت الكبرياء فلذلك قال :

دعيت ابا العلاء وذاك مين ولكن الصحيح ابو النزول

وبقي نحو ٤٥ سنة منقطعاً عن اكل اللحوم والبيض واللبن مقتصراً على المآكل النباتية لانه كان يذهب مذهب من تقدمه من الفلاسفة الذين لا يعذبون الحيوانات بالذبح وقال ابن الانباري : انه كان برهمياً ولذلك لما وصف له فروج وهو مريض لم يأكله بل خاطبه بقوله : استضعفوك فوصفوك . والى ذلك اشار تلميذه ابو الحسن علي بن همام في مرثيته له بقوله :

ان كنت لم ترق الدماء زهادةً فلقد أرقت اليوم من عيني دما

وكان يذهب مذهب الهنود ايضاً في احراق جثة الميت كما جرى لسبنسر وكوخ في عصرنا بدليل قوله :

حرّق الهند من يموت فحازوا (م) روحه في روحة ولا تبكير

واستراحوا من ضغطة القبر ميتاً وسؤال لمنكر ونكير

وقوله :

اذا حرق الهندي بالنار نفسه فلم يبق غض للتراب ولا عظم

فهل هو خاش من نكير ومنكر وضغطة قبر لا يقوم لها نظم

ومن قواعده السياسية التي يصدع بها عظماء ساستنا في هذه الايام قوله :

يقول لك العقل الذي بين الهدى اذا انت لم تدرأ عدواً فداره

فقبل يد الجاني الذي لست واصلاً الى قطعها وانظر سقوط جداره

ومن مذهبه الشورى بدليل قوله :

مُلَّ المقام فكم اعاشر أمة أمرت بغير صلاحها امراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ومنه كرهه للمدح ولذلك قال :

اذا اثني عليَّ المرء يوماً بخير ليس فيَّ فذاك هاجي
وحقي ان اساء بما افتراهُ فلوْمٌ من غريزتي ابتهاجي

ومن مبادئه التثبت عند حلول النوائب كما قال :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي اذا قيـ س بصوت البشير في كل نادِ
ابكت تلكم الحمامة ام غنت علي فرع غصنها مياد

وذهب مذهب القائلين ان وجود الولد جناية فلم يتزوج بدليل ما اوصى ان يكتب عَلَى قبره و بدليل اقوال له كثيرة منها :

عَلَى الولد يجني والد ولو انهم ولاة عَلَى امصارهم خطباء

وربما كان متردداً في البعث والمعاد والخلود ولكن اعتقاده بها اكثر من انكاره لها ومن قوله :

ايها الملحد لاتعصي النهى فلقد صح قياس واستمر
ان تعد في الجسم يوماً روحه فهو كالربع خلا ثم عمر

ولذلك الف بعضهم كتاباً في الدفاع عنه سماه (دفع المعرة عن شيخ المعرة) والف كمال الدين بن العديم كتاب (دفع التجري عن المعري) وكتبت مقالات كثيرة في تبرئته مما نسب اليه من الزندقة

٥ = شعره

يكفي في وصف شعر المعري ان يقال في ناظمه انه فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة وقد تصرف فيه تصرفاً غريباً ومرح خياله في العوالم العلوية والسفلية فمثلها احسن تمثيل وحرص الناس عَلَى شعره فجمع في ثلاثة دواوين (لزوم مالا يلزم) (وسقط الزند) (وضوء السقط) وقد قلت فيها مورياً

ومبذرق نظر اللفيفة جاءني والنار قربي بالثقاب يضرمُ
مذ قال هذا ضوء سقط الزند قلـ ت له اراه لزوم مالا يلزم

ومنها انتخب الآن مايدل عَلَى مسرح خيال المعري وحسن وصفه ودقة فكره وقوة بصيرته فمن اقواله يصف السهر والليل من قصيدة :

بانت عرى النوم من عيني محللة وبات كوري عَلَى الوجناء مشدودا

كأن جفني سقطا نافر فزع ... اذا اراد وقوعاً ربع او ذيدا
ظن الدجى قطة الاظفار كاسرةً ... والصبح نسراً فما ينفك مزؤودا
تناعس البرق اي لا استطيع سرى ... فنام صحبي وامسى يقطع البيدا
كأنه غار منا ان نصاحبه ... وخاف ان نتقاضاك المواعيدا
من يخبر الليل اذ جنت حنادسه ... والرمل عنيّ لما طل او جيدا
اني أراح لاصوات الحداة به ... وللركائب يخبطن الجلاميدا
كأنهن غروب ملؤها تعب ... فهن يمتحن بالارسان تقويدا

ومن حماسياته قوله من قصيدة :

يتهللون طلاقة وكلومهم ... ينهل منهن النجيع الاحمر
لا يعرفون سوى التقدم آسياً ... لجراحهم بالسمهرية تسبر
من كل من لولا تسعر بأسه ... لاخضر في يمنى يديه الاسمر
يذكي تلهب ذهنه اوقاته ... فكأنما هو بالغدو مهجر
وضجيج طفلهم الحسام وان ثوى ... منهم فتى فمع المهند يقبر
فكأنهم يرجون لقيا ربهم ... بالبيض تشفع عنده وتكفر
انا من اقام الحرف وهي كأنها ... نون بدارك والمعالم أسطر

وقال من قصيدة أخرى في الغنى والفقر :

وان الغنى والفقر في مذهب النهى ... لسيان بل اعفى من الثروة العدم
ومانلت مالا قط الا ومالـــ بي ... ولا درهماً الا ودرّ بي الهم
لك الخير قد انفذت ما هو ملبسي ... حياء وعند الله من قائل علم
ولو انه اضعاف اضعاف مثله ... من التبر لم يثبت له في نداك اسم
واهون به في راحة اريحية ... كآخر ماض ليس من شأنه الضم
فمني تقصير ومنك تفضل ... بعذر فلا حمد لدي ولا ذم
فلو كنت شعراً كنت احسن منشد ... سليم القوافي لازحاف ولاخرم

وقال ايضاً من قصيدة أخرى :

تقول ظباء الحزم والدمع ناظم ... عَلَى عقد الوعساء عقد ضلال
لقد حرمتنا اثقل الحلي أختنا ... فما وهبت الا سموط لآلي
فان صلحت للناظمين دموعنا ... فاتتن منها والكثيب حوالي

جهلتن ان اللؤلؤ الذوب عندنا رخيص وان الجامدات غوالي
ولو كان حقًا ماظننتن لاغتدت مسافة هذا البر سيف اوال[1]

وقال في نار القرى :

الموقدي نار القرى الآصال والا سحار بالاهضام والاشعاف
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

وقال في خلاء الفكر للنظم والنثر :

ولولا ما تكلفنا الليالي لطال القول واتصل الروي
ولكن القريض له مغان واولاها به الفكر الخلي

وقال في التوجيه البديعي :

فدونكم خفض الحياة فانما نصبنا المطايا في الفلاة على القطع

وقال ايضًا :

حروف سرى جاءت لمعني اردته برتني اسماء لهن وافعال
وقال : ولو جرت التباهة في طريق الا خمول الي لاخترت الخمولا
وقال : فصرفني فغيرني زماني سيعقبني بحذف وادغام

وقال من قصيدة :

وايلا تلحق الاهوال فيه بفود الشيخ ناصية الغلام
اذا سئموا الرحيل فكل غر يرى صرعاته خلس اغتنام
كأن جفونه عقدت برضوى فما يرفعن من سكر المنام
لو ان حصى المناخ مدى حداد ازرتها النحور من السآم
وجاز الي ابراد هجير يجوز من القراب الى الحسام
يرد معاطس الفتيان سفعًا وان ثني اللثام عن اللثام
اذا الحرباء اظهر دين كسرى فصلى والنهار اخو الصيام
واذنت الجنادب في ضحاها اذانًا غير منتظر الامام
وقال : وكم لك من اب وسم الليالي على جبهاتها سمة اللثام
مضى وتعرف الاعلام فيه غني الوسم عن الف ولام
وقال : لفظ كأن معاني السكر تسكنه فمن تحفظ بيتًا منه لم يفق

(١) مغاص لؤلؤ في البحر الاحمر

فرتب النظم ترتيب الحلي عَلَى … شخص الجلي بلا طيش ولا خرق
الحجل[1] للرجل والتاج المنيف لما … فوق الحجاج[2] وعقد الدر للعنق
فان توافق في معنى بنو زمن … فان جل المعاني غير متفق
قد يبعد الشيء من شيء يشابهه … ان السماء نظير الماء في الزرق

وقال: ارى المجد سيفاً والقريض نجاده … ولولا نجاد السيف لم يتقلد
وخير حمالات السيوف حمالة … تحلت بابكار الثناء المخلد

وقال: كأن كل جواب انت ذاكره … شنف بناط باذن السامع الواعي

وقال: وكلامك المرآة تصدق في الذي … تحكي وانت الصارم المصقول

وقال: فيا قبر واه من ترابك ليناً … عليه وآه من جنادلك الخشن
لاطبقت إطباق المحارة فاحتفظ … بلؤلؤة المجد الحقيقة بالخزن

وقال: وليلة سرت فيها وابن مزنتها … كميت عاد حياً بعدما قبضا
كأنما هي اذ لاحت كواكبها … خود من الزنج تجلى وشحت خضضا
كأنما النسر قد قصت قوادمه … فالضعف يكسر منه كل مانهضا
والبدر يحثث نحو الغرب أينقه … فكلما خاف من شمس الضحى ركضا
ومنهل ترد الجوزاء غمرته … اذا السماك كان شطر المغرب اعترضا
وردته ونجوم الليل وانية … تشكو الى الفجر ان لم تطعم الغمضا

وقال: وأرى ابا الخطاب نال من الحجى … حظاً زواه الدهر عن خطابه
لا يطلبن كلامه متشبه … فالدر ممتنع عَلَى طلابه
أثنى وخاف من ارتحال ثنائه … عني فقيد لفظه بكتابه
كلم كنظم العقد يحسن تحته … معناه حسن الماء تحت حبابه
فتشوفت شوقاً الى نغماته … أفهامنا ورنت الى آدابه
والنخل ماعكفت عليه طيوره … الا لما علمته من ارطابه
ردت لطافته وحدة ذهنه … وحش اللغات اوانساً بخطابه
والنحل يجني المرّ من نور الربى … فيصير شهداً في طريق رضابه

وقال ملغزاً في الابرة

سعت ذات سم في قميصي فغادرت … به اثراً والله يشفي من السم

(١) الخلخال (٢) منبت شعر الحاجب

كست قيصراً ثوب الجمال وتبعاً وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وقال وقد ابدع في تشبيه الليل والبرق :

كما أغضى الفتى ليذوق غمضاً فصادف جفنه جفناً قريحا
اذا ما احتاج احمر مستطيراً حسبت الليل زنجياً جريحا

وقال وقد ابدع :

ياسعد اخبية الذين تحملوا لما ركبت دعيت سعد المركب
غادرتني كبنات نعش ثابتاً وتركت قلبي مثل قلب العقرب

وقال : لاتطلبن بآلة لك حاجة قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما هذا له رمح وذلك اعزل

وقال : ولاتجلس الى اهل الدنايا فان خلائق السفهاء تعدي

وقال يصف انعكاس صورة السماء ونجومها في مرآة الماء

فأطمعن في اشباههن سواقطاً على الماء حتى كدن يلقطن باليد
فمدت الى مثل السماء رقابها وعبت قليلا بين نسر وفرقد

وقال: أطرق كأنك في الدنيا بلا نظر واصمت كأنك مخلوق بغير فم
وان هممت بمين فاتخذ لفماً (١) مضاعفات لتثني اللفظ باللفم

وقال في ذم الدنيا من ابيات :

وقد نطقت باصناف العظات لنا وأنت فيما يظن القوم خرساء
يموج بحرك والاهواء غالبة لراكبيه فهل للسفن إرساء
اذا تعطفت يوماً كنت قاسية وان نظرت بعين فهي شوساء

وقال: ان الاعلاء ان كانوا ذوي رشد بما يعانون من داء اطباء
وماشفاك من الاشياء تطلبها الا الألباء لو تلقى الألباء
نفر من شرب كاس وهي تتبعنا كأننا لمنايانا أحباء

وقال يصف الشباب: ان الشبيبة نار ان اردت بها أمراً فبادره ان الدهر مطفئها

وقال : اذا فعل الفتى ماعنه ينهى فمن جهتين لاجهة أساء

وقال في النساء :

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءه

---

(١) اللفم بالفاء اللفام وهوما على طرف الانف من النقاب

فصلاة الفتى بالحمد والاخلاص تجزي عن يونس وبراءه
تهتك الستر بالجلوس أمام الستر ان غنت القيان وراءه

وقال في ادب الاخلاق :

اذا صاحبت في ايام بؤس فلا تنس المودة في الرخاء
ومن يعدم اخوه على غناه فما ادى الحقيقة في الاخاء
ومن جعل السخاء لاقربيه فليس بعارف طرق السخاء

وقال :

القلب كالماء والاهواء طافية عليه مثل حباب الماء في الماء
منه تنمت (١) ويأتي مايغيرها فيخلف العهد من هند واسماء
والقول كالخلق من سيء ومن حسن والناس كالدهر من نور وظلماء

وقال :

ينافي ابن آدم حال الغصون فهاتيك أجنت (٢) وهذا جنى (٣)
تغير حناؤه شيبه فهل غير الظهر لما انحنى (٤)

وقال: ان تستقيم امور الناس في عصر ولااستقامت فذا أمناً وذا رعبا
ولا يقوم على حق بنو زمن من عهد آدم كانوا في الهوى شعبا

وقال: يغدو عَلَى خله الانسان يظلمه كالذيب يأكل عند الغرة الذيبا

وقال: تقادم عمر الدهر حتى كأنما نجوم الليالي شيب هذي الغياهب

وقال في النمام :

وانك ان اهديت لي عيب واحد جدير الى غيري بنقل عيوبي

وقال في الرياء :

والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقال في فساد الناس :

عرفتكم بني حواء قدماً فكلكم أخو ضغن مكور
ومافيكم عَلَى الاحسان جاز ولامنكم عَلَى النعمى شكور

---

(١) ظهرت (٢) ادركت ونضجت (٣) اي اثماً ونحوه (٤) وهو بمعنى قول الآخر

يامن يدلس بالخضاب مشيبه ان المدلس لايزال مريبا
هب ياسمين الشيب عاد بنفسجاً أيعود عرجون القوام قضيبا

وقال: صدف الطبيب عن الطعا م وقال ما أكله يضر

كل ياطبيب ولا خلا ص من الردى فلن تغر

وقال: مثل الفتى عند التغرب والنوى مثل الشرارة ان تفارق نارها

ان صادفت ارضاً أرتك خمودها أو وافقت اكلاً أرتك منارها

وقال: وان اقتناع النفس من احسن الغنى كما ان سوء الحرص من اقبح الفقر

وقال: وما الوقت الا طائر يأخذ المدى فبادره اذ كل النهى في بداره

رأتك البرايا ظالماً يا ابن آدم وبئس الفتى من جار عند اقتداره

وقال: اضرب وليدك تأديباً عَلَى رشد ولا تقل هو طفل غير محتلم

فرب شق برأس جر منفعة وقس عَلَى شق رأس السهم والقلم

وقال: النفس عند فراقها جثمانها محزونة لدروس ربع عامر

كحمامة صيدت فثنت جيدها اسفاً لتنظر حال وكر دامر

ولقد نسبه بعضهم الى الكفر لقوله:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا

تحطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لايعاد لنا سبك

ولكنه قال ايضاً في محل آخر:

خلق الناس للمعاد فضلت امة يحسبونهم للنفاد

انما ينقلون من دار اعما ل الى دار شقوة او رشاد

وقال ايضاً:

فاني وجدت النفس تبدي ندامة عَلَى ماجنته حين يحضرها النقل

وان صدئت ارواحنا في جسومنا فيوشك يوماً ان يعاودها الصقل

وقد لوّم في قوله ايضاً:

تاه النصارى والحنيفة ما اهتدت ويهود حيرى والمجوس مضلله

قسم الورى قسمين هذا عاقل لادين فيه ودين لاعقل له

والمرجح انه كان متردداً في مذهبه وربما كان اقراره بالدين في اخريات ايامه كيف لا وهو القائل:

عجبي للطبيب يلحد في الخا لق من بعد درسه التشريحا

ولقد علم المنجم ما يو جب للدين ان يكون صريحا

رب روح كطائر القفص المسجون ترجو بموتها التسريحا

ومن ذلك قوله :

اذكر الهك ان هببت من الكرى واذا هممت لهجعة ورقاد
واحذر مجيئك في الحساب بزائف فالله ربك انقد النقاد
تغشى جهنم دمعة من تائب فتبوخ (١) وهي شديدة الايقاد

وقوله : ازول وليس في الخلاق شك فلا تبكوا عليَّ ولا تبكوا

وقوله : لاييأسن من الثواب مراقب لله في الايراد والاصدار
فترى بدائع انبأت متحسساً ان الجزاء بغير هذي الدار

وشعره كله على هذا النمط من حرية الفكر والشكوى وله من القصائد الفخرية المشهورة وغيرها ما نجتزئ عن ذكره الآن ومن نوادر قصائده مانشرته مجلة المقتبس (٩٧:٢و٦٦:٤) . وعلى الجملة فان المعري دقيق التصور حتى يمثل لك احياناً اموراً لايستطيع تمثيلها البصير وهاك الآن من فلكياته مايدل على سمو مخيلته فمن قوله في الفجر :

كأن سنا الفجرين لما تواليا دم الاخوين زعفران وايدع
افاض على تاليهما الصبح ماءه فغير من اشراق أحمر مشبع

وقوله : كأن الليل حاربها ففيه هلال مثلما انعطف السنان
ومن ام النجوم عليه درع يحاذر ان يمزقها الطعان
وقد بسطت الى الغرب الثريا يداً غلقت بانملها الرهان
كأن يمينها سرقتك شيئاً ومقطوع على السرق البنان

وقوله يغرن عليَّ الليل اذ كل غارة يكون لها عند الصباح توالي
ولاح هلال مثل نون اجادها بجاري النضار الكاتب ابن هلال

ولقد اعتنى كثير من الغربيين بجمع اشعاره وترجمتها الى لغاتهم مثل كارليل (Carlyle) المستشرق الانكليزي استاذ العربية في جامعة كمبردج في اواخر القرن الثامن عشر فانه ترجم بعض ابيات باللاتينية والانكليزية . وهكذا فعل المستشرق النمساوي فون كريمر (Von Krmer) فانه نشر مقالات كثيرة في (المجلة الجرمانية الآسيوية) عن ابي العلاء وافكاره وشعره نظماً سنة ١٨٧٧م ثم الف كتاباً

(١) تخمد

بعنوان (اشعار ابي العلاء المعري الفلسفية) طبع في فينا سنة ١٨٨٨ نقل فيه نثراً أكثر من مائتي بيت من شعر المعري . ثم ترجم رباعياته بالانكليزية نظماً صديقي امين افندي الريحاني اللبناني بكتاب انتخبه من دواوينه الثلاثة وطبع في نيو يورك سنة ١٩٠٣ في ١٤٤ صفحة صدره بمقدمة بحث فيها عن ابي العلاء وسيرته ومن رأيه ان عمر الخيام الشاعر الفارسي قد تحداه وهما متعاصران . واختار موسى افندي بيكييف من افاضل قازان (روسيا) منتخبات من لزوميات المعري ونقلها الى التركية في نحو مائتي صفحة مطبوعة في اورنبورغ سنة ١٩٠٨م . واعتنى كثير من القدماء بدواوينه فان عبد الله بن السيد البطليوسي النحوي الاندلسي شرح سقط الزند شرحاً استوفى فيه المقاصد وهو اجود من شرح ابي العلاء صاحب الديوان المسمى بضوء السقط . وكذلك التبريزي خريج المعري شرح سقط الزند .

وكان حسين بن الجزري شاعر بني سيفا امراء طرابلس الشام مغرماً بالمعري فكتب عَلَى ديوانه لزوم ما لا يلزم

ان كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتاب رب العالمين المرهم
او كنت مصطحباً حبيباً سالكاً سبل الهدى فلزوم ما لا يلزم

ودواوينه الثلاثة مطبوعة في مصر وسورية . وقد قابلت مجلة المقتطف الغراء بينه وبين ملتون الشاعر الانكليزي الضرير صاحب (الفردوس الضائع) راجع السنة العاشرة صفحة ٤٤٩ ومجلة الهلال الغراء ترجمته في السنة الخامسة عشرة صفحة ١٩٥. وترجمه رضاء الدين افندي بن فخر الدين من علماء اورنبرغ في روسية بالتركية التترية في ٧٢ صفحة طبعت في المدينة المذكورة سنة ١٩٠٨ . وغيرهم

ولقد كان المعري والمتنبي وابن هانئ ممن اختطوا خطة جديدة في الشعر لم ترق في عيون المحافظين عَلَى الاسلوب القديم فلذلك لم يسمحوا للمترشحين للنظم ان يتحدوهم كما في مقدمة ابن خلدون وغيرها فالمعري اشبه بفكتور هيكو عند الافرنسيين وكذلك صنواه

٦ً = نثره وكتبه

اهم ما وصل الينا من نثر المعري رسائله التي نشرت في بيروت سنة ١٨٩٤ مشروحة بقلم الاستاذ شاهين عطية اللبناني في ٢٤٠ صفحة . وفيها تكلف غريب وإغراب في النثر لم تألفه العامة واليك الآن أمثلة منها تعرفه عند القراء :

فمن نثره قوله من رسالة «ان كان للآداب أطال الله بقاء سيدنا نسيم يتضوع · وللذكاء نار تشرق وتلمع · فقد فغمنا عَلَى بعد الدار أرج أدبه · ومحا الليل عنا ذكاؤه بتلهبه · وخول الاسماع شنوفاً غير ذاهبة · واطلع في سويداوات القلوب كواكب ليست بغاربة · » ومما كتبه الى صديق له سأله ان ينقصه في ترتيب المكاتبة «وقد أيقنت ان رسل نصيحته ليس بسمار · وان صواب رأيه عن غير ائتمار · ولم اكتب في امر ابي فلان الا متشكراً ثم ثنيت باسترفاد المعونة مذكرا · اذ كان ادام الله عزه لا يشير· لسائله الى الرفد البعيد · ولا يضرب لراجيه رؤوس المواعيد» وكتب الى ابي القاسم المغربي جواباً عن فصل كتبه اليه وهو برمته «كلما هم خبري بالهمود · واشرفت عَلَى الخمود · نعشني الله بسلام يرد من حضرته يجعل اثري كالروضة الحزنية · والبارقة المزنية · ولو كنت عن نفسي راضياً · لشرفتها بزيارة حضرته · ولكني عنها غير راض · وما اقربني الى انقراض · وانما انا قضيض التمراد · ومتخلف المراد · قد عددت في اناس قيل فيهم تهلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون · فان نعمت اوشقيت · فدعائي يتصل بحضرته مابقيت اه» وكتب من رسالة «لو اتصلت كتب مولاي كاتصال الامطار وتوالت توالي الانفاس لكنت بوليها · أمرمني بوسميها · والى مستأنفها · أشوق مني الى سالفها · ومايكتب الا في بر · ولا يحث عَلَى غير المصلحة في الجهر والسر · وماادري مااقول في السعادة التي قد رزقتها عنده حتى غطت معايبي · وسترت الاسدة التي أضرت بي · فما انكر بعدها ان تعد نطفات الدر لام الادراص · وان تصاغ مناطق الذهب للرباح · وان يدعى المدعون ان ريش ابن انقد سهام صائبة · اوقنوات يزنيه · · · · » وقد اطال في بعض رسائله حتى ان المطالع يمل مطالعتها ولا يتجلد ليتم قراءتها واخصر رسائله واختمها بقوله

«كانت كتبي اليه كبارح الأروى تكون في الدهر مرة · والآن صارت كسوانح الغربان وبوارح الظباء

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش مايصيد

ومن الحف فدواؤه ماقال بشار · وليس للحف مثل الرد · وعليه سلام لو كان يوماً لكان يوم عرفة · اوشهراً لكان نائقاً اي شهر رمضان والسلام وحسبي الله وحده» وقد عني بطبع رسائل المعري هذه الاستاذ مرغليوث وترجمها بالانكليزية معلقاً عليها شروحاً مفيدة من ادبية وتاريخية مصدرة بترجمة المؤلف للمؤرخ شمس الدين الذهبي معتمداً عَلَى

نسخة في مكتبة ليدن قابلها عَلَى نسخة بيروت المشار اليها وقال انها ينقصها تسع رسائل وبعض العاشرة ٠

ومن نثره الذي بين ايدينا الآن (رسالة الغفران) وهي التي وصفها شمس الدين الذهبي في ترجمة المعري بقوله « له رسالة الغفران في مجلدة قد احتوت على مزدكة واستخفاف وله رسالة الملائكة ورسالة الطير عَلَى ذلك الانموذج » ارسلها الى علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح (١) صدرها باشواق وتحيات ثم اشار الى وصول رسالته اليه واثنى عليها ثم استطرد الى وصف الجنة ونعيمها ومن دخلها من الشعراء والملائكة عَلَى اسلوب اشبه بالشعر القصصي الروائي عند الافرنج اليوم فجاء بعده باكثر من قرنين دانتي شاعر الايطاليين ونسج عَلَى منوالها (الرواية الالهية) وملتون شاعر الانكليز (الفردوس الضائع) وغيرهما ولكنهما لم يغربا باللغة مثله ٠ وقد طبعت رسالة الغفران مصححة بقلم الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني في مصر سنة ١٩٠٧ م في ٢١٣ صفحة ٠ ولها نسختان مخطوطتان احداهما في المكتبة الخديوية بمصر والثانية في مكتبة الكوبرلي في الاستانة ٠ ولا بأس ان ننتخب منها الآن قوله في الشعر صفحة ٥٥ : « فقال وما الاشعار فاني لم اسمع بهذه الكلمة قط الا الساعة ٠ فقلت الاشعار جمع شعر ٠ والشعر كلامٌ موزون تقبله الغريزة عَلَى شرائط ان زاد او نقص ابانه الحس ٠ وكان اهل العاجلة يتقربون به الى الملوك والسادات فجئت بشيء منه اليك لعلك تأذن لي بالدخول في هذا الباب » ومن قوله في اللغة صفحة ٩٣

« والباب فيما كان مضاعفاً متعدياً ان يجيء بالضم كقولك عددت اعد ورددت ارد وقد جاءت اشياء نوادر كقولهم شددت الحبل اشد واشد ونممت الحديث انم وانم وعللت القوم اعل واعل ٠ واذا كان غير متعد فالباب الكسر كقولهم حل عليه الدين يحل وجل الامر يجل ٠ والضم في غير المتعدي اكثر من الكسر فيما كان متعديا كقولهم شح يشح و يشح وشب الفرس يشب و يشب وصح الامر يصح و يصح ونحت الحية تفح وتفح وجم الماء يجم ويجم وجد في الامر يجد ويجد في حروف كثيرة اه »

وللمعري مؤلفات كثيرة غير ماذكر المع اليها الحاج خليفة في كشف الظنون اهمها ظهر العضري في النحو ٠ والفصول والغايات ٠ واقليد الغايات ٠ وكتاب الفصول ٠ وكتاب

(١) وقد اراني صاحب مجلة المقتبس نسخة من رسالة ابن القارح هذه سينشرها قريباً ٠

السادر . وقاضي الحق . والقائف عَلَى مثال كليلة ودمنة وتفسير منار القائف . ومبهج الاسرار . وملقي السبيل في المواعظ . والمواعظ السنية ونظم السور . والحقير النافع في النحو . وخطب الخيل عن السنتها . ورسائل المعونة . والصاهل والساجح . وزجر النائح يتعلق بلزوم ما لا يلزم . والسجعات العشر في الوعظ . وسجع الحمائم . والسجع السلطاني في مخاطبات الملوك والوزراء . وسجع الفقيه . وسجع المضطرين عمله لرجل تاجر يستعين به عَلَى دنياه . وشرف السلف عمله لامير الجيوش . واهم مؤلفاته الايك والغصون او الهمزة والردف لم يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من فنون الشعر والادب الا احصاها يقع في الف ومائتي كراس وربما بلغ اربعين مجلداً من كتبنا اليوم . الى غير ذلك مما يغني قليله عن كثيره

فهذا شيخ المعرة وفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة وهذه آثاره التي خلفها لنا رحمه الله تنشد قول ابي الفتح حصينة المعري فيه :

وعجبت ان تسع المعرة قبره ويضيق بطن الارض عنه الاوسع
لو فاضت المهجات يوم وفاته ما استكثرت فيه فكيف الادمع

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

نظرة في النظرات

تتمة ماورد في الجزء الماضي

اراد المنفلوطي في كلامه هذا ان يخطئ الامام بأن مادعا اليه من المبادئ الدينية لم يحن بعد وقتها وان سواد هذه الامة لم يتأهلوا لقبول هذه المبادئ جاعلاً ذلك علة العلل في الحادهم ومروقهم من الدين وهو قياس منطقي أعيذ المنفلوطي عن ان يحشو فكره بمثله من الاوهام والخيالات التي ابان فيها عن فكر ليس له حظ من التجربة والاختبار .

لا يستطيع صاحب النظرات فيما اعلم ان ينكر ان جل الداعين ان لم اقل كلهم انجبهم الدهر وولدتهم العصور في اوقات كانت فيها الافكار حيرى يقارع بعضها بعضا في ميدان الحياة . ومن هنا نعلم الحاجة الماسة الى المرشدين في مثل هذه الاحوال الحرجة والمآزق الضيقة وانهم متى قاموا بفكرة اصلاحية لابد ان يلاقوا في طريقهم من عثرات الفريق المخالف ما يستهدفون معه لضروب الايذاء فيقومون بين مثالب الطعن والنقد حتى تتسرب

الفكرة الى بعض من يعمل عَلَى نشرها في سرهم وجهرهم ليبقوا من سعيهم هذا خميرة حيوية في المجتمع الانساني لمن يأتي بعدهم ممن تجد لها من عقولهم مباءة فتتأصل في نفوسهم فيستفيدون اذ ذاك ويفيدون بما يدعون اليه ويسعون وراء اشرابه النفوس ماوجدوا الى ذلك سبيلا ٠

بمثل هذا قامت المذاهب والاديان وتأيدت الآراء العلمية والنظريات الفلسفية ٠ واذا لم يكن الامر كذلك فليدل لنا المنفلوطي برهانًا يبين مصلحًا قام بفكرة جديدة ولم يقم في وجهه في بيئته حتى من بني جلدته من يعمل عَلَى محاربته اومناهضته بكل مافيه من قوة وقدرة ٠

ويا لله كيف جاز له ان يحكم عَلَى ان المبادىء السامية التي دعا اليها الشيخ محمد عبده كانت مدعاة للالحاد والمروق من الدين بدعوى ان دعوته لم يحن بعد وقتها او انه يوجد ثمة من يمقتها وينبذها او انها نشرت بين فئة اتخذوا من هداها ضلالا ومن نورها دجى حالكاً ٠ وهؤلاء تلامذته مصريهم وشاميهم وعراقيهم وحجازيهم في عامة الاقطار يتناغون في مبادئه ويتدارسون كتبه لم ينظر اليهم الاستاذ المنفلوطي ونظر الي فئة ضالة مضلة لابد من وجودها في كل عصر ومصر

وكان الواجب على من لم يفهم مااراد الاستاذ الامام اواشتبه عليه بأن يسأل عنه اهل العلم فقد قال احد شيوخ العلم : « يستحيل في نظر العقل ان يدعو الحق الى الباطل والهدى الي الالحاد وأصول الدين الصحيح الى المروق منه ، بل ماابطل مبطل ولا الحد ملحد ولا مرق مارق الا بجهله بالاصول الصحيحة ونبذه التعلم السديد وسلوك جوادة القويمة »

ولو كان من شروط الدعوة فقد المناوئين خشية مناهضتهم ومحاربتهم لما قام نبي بدعوة ولاعالم بأرشاد وتعليم ولكانت الفكرة الاصلاحية التي قويت وشاعت بالمناهضة ثوت في ثرى الرمس قبل ان يلحد القائم بها ولما كنا رأينا كتابًا منزلا ولا ادبًا غضًا ولاعلماً صحيحًا وبالجملة ما كانت للامم مدنية زاهرة ولاعمران زاخر ٠

ولا وجه لانكاره عَلَى هذا الامام التأويل لان اتخاذ التأويل قاعدة مما لانكران فيه في كل تأويل جرى اللسان في مثله ووسعته اللغة وهي لثروتها وغزارة مادتها وسعت من المجاز مايربو عَلَى الحقيقة حتى صرح أئمة البيان بأن المجاز اكثر من الحقيقة ٠ ولو اعار نظره الى من سبق ذاك الامام في مسألة الجن والملك كحجة الاسلام الغزالي والراغب

الاصفهاني والقاشاني ونحوهم لما اكبر هذه المسألة وقد اوضح ذلك الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه « مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن » وافاض في هذه المسألة بما لايبقى معه ريبة لمرتاب فليرجع اليه من شاء [١]

واما ماقام به الامام من بيان اسرار الدين وحكمه فذاك فن قديم عني به ائمة الاسلام وفلاسفته كالأئمة الذين تقدم ذكرهم واضرابهم وهو عندهم من اجل الفنون التي يجب درسها والتوسع فيها . وقد اخذوا عَلَى انفسهم ان يفهموا الامة ان الدين موءاخ للعقل موءازر للحكمة ليس فيه مايعلو عن العقل او ينبو عن الفهم وحجتهم في ذلك ان القرآن الكريم هو الذي مهد السبيل للتعليل وصرح بذلك في آيات لاتحصى كما اوضحه الامام ابن القيم في كتاب « التعليل » وقد حذا حذوه من المتأخرين حتى برع في هذا العلم — علم الحكم والاسرار — الامام ولي الله الدهلوي فألف كتابه المشهور « حجة الله البالغة » وافرغ جهده في استنباط الاسرار في العبادات والمعاملات حتى جاء في مجلدين كاملين حافلين .

ولقد سفه المنفلوطي رأي قاسم بك امين ايضاً وانحى عليه لانه دعا المرأة وقد رآها في احط دركات الجهل الى ان تلم بمعرفة مايلزمها في جهاد الحياة وجلادها من تربية وتعليم لتكون امرأة صالحة لهذا المجتمع فتدير شوءون منزلها او تضرب في الارض لترتزق ان عضها ناب الفقر وفجعت بموت من يعولها ويكفلها وهو لم يدعها الى ذلك — كما يعلم المنفلوطي — الا خشية ان يمزق الحجاب وهي من الجهل المريع بمكان .

وما ذنب قاسم بك ان بين رأيه ولم يأبه لكيد الكائدين من تجار الادب والدين « والمرأة اخذت بالاسهل من رأييه والالصق بنفسها من نصيحته فتبرجت ورفعت برقعها قبل ان تنسج لها برقعاً من الادب والحياء »

ومما لامشاحة فيه ان رجل المرأة قاسم بك قام بدعوته احسن قيام فوصف الدواء بعد ان شخص الداء ولو كان في البلاد الاوربية لاقيمت له النصب والدمى — وان كان صاحب النظرات لايقول بالتماثيل — احتفاء به واعترافاً ببيض اياديه وسابقة فضله عليهم او لو كان المنفلوطي يقدر عمل العامل وفضل الفاضل لما جرأ عَلَى ان يقول فيه : « مارأيت باطلا اشبه بالحق من باطله » [٢]

---

(١) طبع في الاعداد الثلاثة من المجلد الخامس من هذه المجلة ثم أفرد منها كتاب خاص على حدة (٢) مقالة طبقات الكتاب ص — ٤٢٢

— ٣ —

آراؤه

ذهب الاستاذ المنفلوطي في طائفة من آرائه مذاهب فريق من فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر في اوربا حتى قابله بعضهم بروسو من حيث نظره الى المجتمع الانساني ومما قالوه : ان ما كتبه روسو في فن التربية والتعليم قائلا : « ايها الرجال ، لا ترهقوا النشء الصغار على ان يفكروا كما تفكرون و يعتقدوا ما تعتقدون ولا تحاولوا افساد ملكاتهم بهذه الفضيلة الموهومة والحرية المطلية التي هي في مذهب العقل غاية العبودية ومنتهى الاسترقاق الخ ... » — ان ما قاله روسو تعرض له المنفلوطي في فصل له عنوانه « مدينة السعادة » [1] « واغرب ما لفت نظري اني لم ار في تلك المدينة ذات التمايز الذي اعرفه في مدائننا بين الناس في منازلهم ومراكبهم وازيائهم كأن جميع سكانها سواء في حالة المعيشة ودرجة الثروة »

وفي المنفلوطي نزعة اشتراكية تتجلى على اشدها في هذا الفصل في قوله : « وحسب الرجل من البشر بيت يؤويه ومزرعة صغيرة يقتات منها ودابة تحمل اثقاله ثم لا شأن له فيما سوى ذلك »

وقالوا : يرى روسو ان الدور العالية التي شيدتها الحكومات للتعليم هي التي تغرس مبادئ الجهالة في النفوس وتبعد الانسان عن عقله وفطرته [2] والمنفلوطي يقول : « واي حاجة الى المدارس في مثل هذا المجتمع وليس بأبر بآبائنا منا فنحن الذين نتولى تعليمهم وتهذيب نفوسهم وتمرينهم على العمل النافع فلا مدارس عندنا غير المصانع والمزارع نعلمهم كيف يرمون البذور وكيف يستنبتونها وكيف يصنعون الآلات الزراعية وكيف يستعملونها الخ ...»

وبالجملة فمن رأي الشيخ المنفلوطي ان لا يكون في هذا المجتمع سيد ولا مسود ولا غني ولا فقير ولا حاكم ولا محكوم فالشطر الاكبر من الفلسفة التي يقتني اثرها هي فلسفة خيالية لا تأثير لها في ابناء القرن العشرين الا بقدر ما للاساطير من التأثير في العلوم الرياضية . وهي ان جاز ان يكون لها انصار قبل مائتي سنة او يزيد فلن تجد لها فيما احسب من هذا الجيل الجديد الناشئ على افكار داروين وهيكل وهكسلي وسبنسر ورانكي وموسن و بالزاك وزولا نصيراً وظهيراً لانها مخالفة لسنن الطبيعة والحياة العملية .

(١) ص — ٣٨ (٢) التربية الاستقلالية

وقد ذهب مذهب (اسكندر دوما فيس) ولفيف من مفكري المتأدبين الغربيين في مقالته « غرفة الاحزان [(١)] » في المرأة المجرمة من حيث انهم يمهدون لها الاعذار و يرون الرجل اجدر باللائمة منها لانها ضعيفة مفرطة الشعور ولانه هو الذي هم بها فراودها عن نفسها واراد ان ينزل بها السوء فخدعها اذ عاهدها ان تكون له زوجة و يكون لها بعلا فسلبها قلبها وشرفها وعفتها وغادرها حين علم ان في احشائها جنينا يضطرب و بين جنبيها ناراً تضطرم وكان سبب شقائها حتى اصبحت حزينة ذليلة تفضل الموت على عيش لا تستطيع معه ان تكون زوجة لرجل او أمّاً لولد واخذ المجتمع البشري يتهكم بها و يعبث بما زادها حزنا واكتئابا ٠

وقد مثل لنا هذه البغي وقد تركت وراءها ماتراه من النعمة الواسعة والعيش الرغد في ذلك القصر الذي كانت متمتعة فيه بعشرة امها وابيها الى منزل حقير في حي مهجور لا يعرفه احد ولا يطرقه طارق لتقضي فيه البقية الباقية من حياتها ٠

ولم يكتف ببيان هذه الجناية وحدها بل جعل ان امها واباها قضيا حزنا لفقدها و يأساً من لقائها وختم الحادثة بان اضاف عَلَى تلك الجنايات جناية اخرى وهي هلاك المرأة المجرمة بعد ان اودع نفسها من العواطف الشريفة ما شعرت معه بمصيبتها حتى ساورتها الهموم و بلغت منها مبلغًا اودى بحياتها وهكذا ضاعف الجرم عَلَى الرجل وجعله كاذباً وخادعاً ولصاً وقاتلا وختم المقالة وهو يمحض الرجال القاسية قلوبهم النصح للرفق بضعيفات النفوس من النساء ٠

والظاهر ان الاستاذ المنفلوطي كان لا ينظر الى الحقيقة من حيث هي بل كان قلمه حين يأتي عَلَى وصف حادثة يختلف باختلاف المظاهر والمؤثرات فبينا نرى صفحات مقالته هذه مكتظة بما يملأ النفوس شفقة ورحمة وعطفاً وحنانا عَلَى العاهرات اذا به يضن عليها بجندي يقف ليخفرها ممن يريد ان يسلبها من الحقوق مالم يبق لها منها الا الذماء و يستكثر عليها ذلك في موقف هي خليقة بالشفقة والعناية اكثر من كل المواقف ٠

ولقد رأيناه وهو يتكلم عَلَى « المرقص » في الازبكية يحمل على الحكومة المصرية حملة منكرة و يحتدم غيظًا وحنقًا لان هذه الحكومة المدنية المادية (عَلَى رأيه) التي هي مسؤولة امام القانون عن استقرار الامن واستتبابه تبعث بجندي يحمي ابواب العاهرات لئلا يعبث المشاغبون بالامن والسكينة او يعيثوا في الارض فسادا ٠

---

(١) ص — ١٤٢

ومما قال : [1] « ان العين لا تكاد تملك مدامعها سحاً وتذرافاً كلما ابصرت هذا الجندي الشريف واقفاً هذا الموقف الذليل يسمع قراع الدفوف ، لاقراع السيوف ويرى حمرة الصهباء لاحمرة الدماء ويحمي الفسق والفجور لاالقلاع والثغور . وما اعجب لشيء عجبي لهذه الحكومة التي تضن بجنديها ان يشتمه شاتم او يلمسه لامس فتغضب له غضبة مضرية تتراءى فيها الشهامة والحمية والعزة والنخوة ثم لاتضن ان تؤجره نائحة في الجنائز، او قوادة في المراقص »

هذا ماقاله المنفلوطي وما يحدوه الى هذا الا انه ود ان يكون في طليعة من يعمل بالدرس الذي القاه عَلَى الرجال القاسية قلوبهم ليعلمهم فيه الشفقة والرحمة والاحسان !!! وما اراه في مبدإه هذا الاكتولستوي الفيلسوف الروسي الشهير الذي يهيج هائجه عَلَى الحكومة الروسية ويصمها بالمعرة والدعارة لانها تبعث بالاطباء الى المواخير العامة وتعهد اليهم ان يعنوا بتطهيرها خيفة ان تنتقل جراثيم الادواء الدوية من هؤلاء البغيات الباغيات فتعم الشعب بأسره وتراه يرمي الاطباء بكل مكروه بدعوى انهم يسعون وراء اشاعة الموبقات و تسهيل اسباب الفسق والفجور [2] .

و يقضي علينا الاخذ برأي هذا المصلح الاخلاقي الروسي ان نهمل تعهد اماكن الفسق والمواخير وان ندع الجراثيم تفتك بمن ملكت عليهم امرهم لتسري العدوى في الآخرين وتنتشر الامراض الوبيئة الوبيلة في الامة حتي تهلك عن آخرها بدعوى صون اخلاق الشعب كيلا يتطرق اليها الفساد والخلل .

وقد رحم السيد المنفلوطي المرأة البغي في غير هذا الموضع ايضاً وحض عَلَى التزوج بها [3] ليرد اليها عرضها وزعم ان ذلك من اعظم القربات وعد الرجل الذي يرد العرض الضال الى صاحبه المفجوع فيه اشرف ممن يمنح الحياة فاقدها . عَلَى شرط ان يكون الباعث عَلَى الزواج الرحمة والرأفة والحنان والشفقة لينظر في اصلاح قلبها ويحاول ان ينزع من جنبيها ملكة الفساد الراسخة في نفسها و يداخلها مداخلة المؤدب المهذب الذي يصور في نظرها معيشة الفساد بصورة تنفر منها وتشمئز لها .

ومما قال : « ليت الرجال يأتمرون جميعاً عَلَى ان يستنقذوا بهذه الوسيلة الشريفة (الزواج) كل امرأة ساقها فقرها وعدمها او فقد عائلها الى البغاء »

---

(١) ص ١٥٢ (٢) رواية البعث لتولستوي (٣) مقالة الاحسان في الزواج ص — ٢١٤

وقد صرح في هذه المقالة ان « بغاء البغي شقاء ماجناه عليها الا الرجل فجدير به ان يغرم ما اتلف و يصلح ما افسد » وتعرض للمرأة ايضاً في مقالة التوبة [١] فكأن بين جنبيه جذوة نار من الحقد والموجدة تتقد عَلَى الرجل لانه قتلها وعلى المجتمع الانساني لانه لايعاقب القاتل عَلَى جرمه ولا يسلكه في سلسلة المجرمين .

والغالب ان ثقته بالجرائد المصرية ضعيفة جداً فهو يراها نادياً من اندية القمار والكتاب جماعة اللاعبين والرؤوس المصرية موضوعة عَلَى مائدة الالعاب كما توضع الاكر على طاولة « منضدة » (البلياردو)

والسيد وطني سلمي معتدل يفضل اتفاق الاحزاب السياسية عَلَى اختلافها وتعارفها عَلَى تناكرها مادامت الغاية من تأليفها « تحرير الوطن من رق العبودية »

ومن رأيه ان العلماء والجهلاء سواء [٢] وليس بين الفريقين من الفرق الا ان هؤلاء لايعرفون كيف يعبرون عن آرائهم وافكارهم واولئك اعرف منهم في كيفية افضاء الحكمة اليهم وسعيهم وراء وعظهم وارشادهم وان ما ينطق به الحكيم العالم من جوامع الكلم هو نفس ما يأتي به الجاهل من الامثال لولا ان كلام الاول في اسلوب محمود ومقال الثاني في تعبير مبتذل .

يقول قوله هذا ثم يكتب في مقالة « موت العظماء » مانصه : [٣] « ليست هذه العشرة ملايين (يعني المصريين) التي نراها الا اطفالا رضع ، وسوائم رتع لولا علماؤها واذكياؤها الذين يقودونها الى الخير و يأخذون بيدها في ظلمات الحياة »

فليت شعري اذا كان العلماء والجهلاء في مستوى واحد من العلم والتربية فلماذا ينحي على أمته وابناء دياره و ينزلهم منزلة الحيوانات العجم وفيهم العالم والجاهل . واذا كان المنفلوطي قد وجد في معاجم اللغة ان مادتي العلم والجهل من الالفاظ المترادفة فيكون كلامه حينئذ جامعاً لمتناقض الاحكام .

— ٤ —

لغته

لم ار فيما رأيت من الكتب الممتعة التي وعت نتاج قرائح اهل الادب في هذا العصر كالريحاني وامثاله افصح لغة ولا اصح تركيباً من كتاب « النظرات »

فانك ترى عَلَى فصوله مسحة العربية الاولى وقد خلت في الغالب من ركاكات الكتاب

(١) ص — ٤٠٥ (٢) ص — ٣٢٣ (٣) ص ٣٥٦

الجدد والمبـذوء من تراكيبهم وجملهم المتعاظلة التي اعتورتها العامة حقبة من الزمن انسلخت فيه عن العربية الخالصة حتى اصبحت الى الاعجمي اقرب منها الى اللسان العربي المبين ٠

بيد اننا نرى من الواجب ان لانمسك القلم في نقد مارأيناه من سقطاته في جمل نزلت منزلة اقوال العامة والفاظ لغوية كان الاجـدر بكتاب ادبي مثل هذا ان يكون مصوناً عنها ٠

فما نأخذه به استعماله فعل (ازدرى) متعدياً بالباء والعرب لايعرفونه الا متعديا بنفسه في قوله في مقالة « النبوغ » « من العجز ان يزدري المرء بنفسه » واستعماله (الوظيفة) بمعنى (المنصب) وقوله : « خرج في المنطق عن الحيوانية والناطقية » والصواب ان يقال : « من الحيوانية والناطقية » وقوله « جداً عجيب » والاولى ان يقال « عجيب جداً » لان « جداً » اذا قدمت اضيفت الى مابعدها ونسبته « بديهة » عَلَى « بديهي » وكان عليه ان يقال (بدهي) كما يقول في « بجيلة (بجلي) واستعماله (تلاءم) بمعنى التأم في قوله في مقالة الجمال « غير متناسبة ولامتلائمة » وقوله : « ويحبس عليها اتناسها » فان حبس هنا لاتتعدى الا بـ « عن » فاذا تعدت بـ « عَلَى » كانت بمعنى « الوقف » واستعماله « البسيط » بمعنى « الساذج » وقوله « ودققت النظر » والعرب تقول ٠ « دقق الشيء اذا انعم دقه » واستعماله « تربى » بدل « ربي » وجمعه لفظة « مثل » على « امثلة » والمسموع « امثال » وقوله « في السنة العامة » والصواب « عَلَى السنة العامة » واستعماله « الاعواج » بدل « الاعوجاج » و « تعرج » عوضاً عن « تعوج » و « احتجز » بمعنى « منع » وقوله « لاتسلم الا الحياة » وهي عامية والافصح « ولاتفادي الا بالحياة » وادخاله واو الحال عَلَى الماضي بعد الا كما انها لاتدخل عَلَى المضارع المثبت في قوله « فما رأيت سطوراً مقطوعة الاواسط متشابهة الاطراف الا وقرأتها » وقوله « نهشه في اصبعه » والصواب « نهش اصبعه » واستعماله « الاعراض » بمعنى « العلامات » وقوله « يودعه الله في فطرة الانسـان » والصواب « يودعه الله فطرة » الخ ٠٠٠٠

هذا مارأينا ان ننبه عَلَى ماورد في كتاب النظرات من الالفاظ والجمل مما لاعهد للعرب به كما ان ثمة الفاظاً اغفلنا ذكرها كاستعماله لفظة (المراسح) بدل (المسارح)

و (البالونات) عوضاً عن (المناطيد) و (الميكروبات) بدلا من (الجراثيم) و (الطاولة) بدل (المنضدة)

والعاقل يغتفر له هذه الهنات اليسيرة اذا عرف ان الكاتب بين ظهراني امة معظم صحافييها وادبائها وكتابها يرون ان في هذه اللغة التي يكتبون بها الغناء والكفاء عن ان يتحدوا العرب العرباء في مناحي اساليبهم واقوالهم ولله في خلقه شؤون .

— ٥ —

وصفه

وهب السيد المنفلوطي ملكة خارقة في الوصف تكاد تكون فيه طبعاً وسليقة . واني لاقرأ له القطعة الادبية فيخيل الي من سحرها ان نفحة من قلم « هيكو » تهب علي فلا اكاد اتم قراءتها حتى اهم باعادتها المرة بعد الاخرى واحمد الله تعالى ان وجد في هذا العصر من ينفح هذا الهيكل البالي من الادب روحاً جديدة ليحيا حياة رغد وهناء :

قال في مقالة الغد : [1] « الغد بحر خضم زاخر يعب عبابه وتصطخب امواجه فما يدريك ان كان يحمل في جوفه الدر والجوهر او الموت الاحمر »

« ولقد غمض الغد عن العقول ودق شخصه عن الابصار حتى لو ان انساناً رفع قدمه ليضعها لا يدري ايضعها على عتبة القصر او على حافة القبر »

« الغد صدر مملوء بالاسرار الغزار تحوم حوله البصائر ، وتتسقطه العقول ، وتستدرجه الانظار فلا يبوح بسر من اسراره الا اذا جادت الصخرة بالماء الزلال »

« كأني بالغد وهو كامن في مكمنه رابض في مجثمه متلفع بفضل ازاره ينظر الى آمالنا وامانينا نظرات الهزء والسخرية ، ويبتسم ابتسامات الاستخفاف والازدراء »

« يقول في نفسه : لو علم هذا الجامع انه يجمع للوارث وهذا الباني انه يبني للخراب ؛ وهذا الوالد انه يلد للموت ماجمع الجامع ولا بنى الباني ولا ولد الوالد »

الى ان قال : « ايها الشبح الملثم بلثام الغيب ، هل لك ان ترفع عن وجهك هذا اللثام قليلا لنرى لمحة واحدة من لمحات وجهك . اولا فاقترب منا علنا نستطيع ان نستشف خيالك من وراء هذا اللثام المسدول فقد طارت قلوبنا شوقاً اليك ، وذابت اكبادنا وجداً عليك »

« ايها الغد ، ان لنا آمالا كباراً وصغاراً ، واماني حساناً وغير حسان . فحدثنا عن

(١) ص — ١

آمالنا اين مكانها منك ، وخبرنا عن امانينا ماذا صنعت بها أأذللتها واهنتها • ام كنت لها من المكرمين• لا لا ، صن سرك في صدرك وابق لثامك على وجهك ولا تحدثنا حديثاً واحداً عن آمالنا واماينا حتى لا تفجعنا فيها فتفجعنا في ارواحنا ونفوسنا فانما نحن احياء بالآمال وان كانت باطلة، وسعداء بالاماني وان كانت كاذبة »

وحسبنا هذه القطعة الذهبية التي اوردناها هنا دلالة على مكانة الكاتب من ملكة الوصف ومبلغ ماوهب من القوة الطبيعية في النثر الشعري او الشعر المنثور •

وللمنفلوطي في بعض فصول كتابه تشابيه جميلة واستعارات جديدة ربما غمضت على عقول من اعتادوا تمجيد القديم من المتأدبين او تعامى عنها بعض من يرى « المعاصرة حرمان » فلم يرفعوا لها شأناً ولم يقيموا لها وزناً كقوله : [1] « فتشت عن الفضيلة في قصور الاغنياء فرأيت الغني اما شحيحاً او متلافاً • اما الاول فلو كان جاراً لبيت فاطمة (رضي الله عنها) وسمع في جوف الليل انينها وانين ولديها من الجوع ما مد اصبعيه الى اذنيه ثقة منه ان قلبه (المتحجر) لا تنفذ اليه عاطفة الرحمة ، ولا تمر بين طياته نسمات الاحسان » وربما انكروا عليه وصفه القلب بالتحجر وعد جعله للاحسان نسمات اغراقاً منه في المجاز ومبالغة في الاستعارة ولكن الحقيقة في غير ما يزعمون •

ومثل قوله : « فقد عقد رياء الناس امام عيني سحابة سوداء اظلم لها بصري حتى ما اجد في صفحة السماء نجماً لامعاً ولا كوكباً ساطعاً » وقوله « درع منسوجة من نجيع » وقوله : « بهذه الصواعق التي يمطرونها علينا من سماء الصحف » ومن جمله الجميلة قوله : « وما نشر الظلام اجنحته السوداء في الافق حتى رأيتني احير من دمعة وجد في مقلة عاشق يدفعها الحب ويمنعها الحياء • لا اعلم هل انا سر كامن في باطن الظلماء ، او حوت مضطرب في اعماق الماء » وقوله ايضاً : « وهناك احسست بسلسبيل بارد من الامل يتسرب الى قلبي فينقع غلته ويطفئ لوعته » وقوله في مقالة يخاطب بها المحزون : « انت حزين لان نجماً زاهراً من الامل كان يتراءى لك في سماء حياتك فيملأ عينك نوراً وقلبك سروراً ، وما هي الا كر الطرف ان افتقدته فما وجدته » وقوله : « ابتسامة هادئة » الخ •••

وقد اجاد الشيخ في مقالة « غرفة الاحزان [2] » ايما اجادة حتى ان قارئ القصة ليجد اثرها في نفسه بعد قراءته لها في دمعة تترقرق في جفنه فتنم عن عواطفه وشعوره • وما هي

(١) اين الفضيلة ص — ١٧ (٢) ص — ١٤٣

لو تمت الا جائزة القلب الى اليراع الذي خط تلك السطور باسلوب يتدفق شعراً وشعورا ٠ ولا يسعنا الا ان يكبر ذلك الوصف الذي الم بعامة اطراف الحادثة اكباراً فكان جامعاً لما تشعر به النفس من دبيب الآلام واعياً لما يصدر عن النفس السامية من شريف العواطف ٠

— ٦ —

روح المؤلف

اذا صحت النظرية القائلة بان « الكتابة صورة الكاتب » جاز لنا ان نحكم على المنفلوطي انه من جماعة المتشائمين *Pessimistes* ولكن لا في مذهب من المذاهب الفلسفية او التاريخية او السياسية بل هو ممن يرون ان لاسعادة في الحياة ولاهناء وان من العبث ان يلقي المرء بنفسه الى التهلكة في معترك الحياة ما دامت الرذائل آخذة من النفوس مآخذها وان مانسميه فضيلة ليس الا خداعا ورياء ونفاقاً دعيت بالفضيلة وهي ليس لها ظل في هذا الوجود ٠

هو ينظر الى المجتمع نظر الحانق الناقم لانه يعتقد انه « مصاب بالسقم في فهمه والاضطراب في تصوره فلاعبرة بحكمه ولا ثقة بوزنه وتقديره اذ هو يسمي الفقير سافلا وطيب القلب مغفلا وطاهر السريرة بليداً والحليم عاجزاً » [(١)]

وانك لترى في مقالته « اين الفضيلة » روح اليأس مجسمة وما يتخيله او يفكر به هو قد مر بخاطر كثيرين من أدباء المشارقة والمغاربة وكثيراً ما اجهد الكاتب من هؤلاء نفسه ليضع قصة يأتي بها على شرور العالم ومفاسده وكنت كلما مررت بسطر من سطوره تصب اللعنات على هذه الحياة التي تراها مثال الشقاء وتمثل آنئذ بقول الشاعر العربي الحكيم :

انما نحن بين ظفر وناب	من خطوب اسودهن ضراء
نتمنى وفي المنى قصر العمر	م فنغدو بما نسر نساء
صحة المرء للسقام طريق	وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيا	أقتل الداء للنفوس الدواء
مالقينا من غدر دنيا فلا كا	نت ولا كان اخذها والعطاء
من فساد يحويه للعالم الكو	ن فما للنفوس منه انتقاء
قاتل الله لذة لاذانا	نالها الامهات والآباء

(١) مقالة الشرف — ص — ١٥٧

نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فأيجادنا علينا بلاء — الخ . . .

يدلك على هذا ايضاً ما نقرأه له في مقالة « الشعرة البيضاء » [١] و يعني بها شعرة المشيب التي رآها تلوح في فوده فخاطبها مونباً ايها انها تدنيه من الموت وبالغ في تأنيبها وتعنيفها ، وأغرق في عتبها ولومها ثم رجع بعد ذلك لنفسه وكأنه ندم على ما فرط منه بجنبها واخذ يخاطبها قائلا : « ما الذي يحمله في صدره لك من الحقد والموجدة رجل لم ينعم بشبابه فيحزن على ذهابه ، ولم يذق حلاوة الحياة فيجزع لمرارة الممات ولم يتنشق نسمات السعادة غضا رطباً فيأسى عليها عوداً يابساً »

« ما الذي ينقمه عليك من الشؤون رجل يعلم انك وحي الامل الذي يبشره بقرب النجاة من حياة ليس فيها من السعادة والهناء الا لمحات قليلة يكدرها ما يحيط بها من الهموم والاكدار كما تكدر انفاس الحزن الحارة صفحة المرآة »

« اليس كل ما اعده عليك من الذنوب انك طليعة الموت الذي يخلصني من منظر هذا العالم المملوء بالشرور والآثام ، الحافل بالآلام والاسقام ، الذي لا أغمض عيني فيه الا لافتحها على صديق يغدر صديقه واخ يخون اخاه وعشير يحدد انيابه ليمضغ عشيره ، وغني يضن على الفقير بفتات مائدته وفقير يقترح على الدهر حتى بلغة الموت فلا يظفر بامنيته وملك لا يفرق بين رعيته وماشيته ، ومملوك لا يميز بين ملك الملك وربوبيته ونفوس تتهافت قتلا على لون حائل ، وظل زائل ، وغرض سافل ، وعيش باطل وعقول تتهالك وجداً على نار تحرقها ، وانياب تمزقها وعيون حائرة في رؤوس طائرة تنظر ولا ترى شيئاً مما حولها ، وتلمع ولا تكاد تبصر ما تحتها »

هكذا رأينا المنفلوطي يرمي هذا العالم بنظرات كلها تشاؤم كما هو شأن جماعة المتشائمين في عامة شؤونهم واطوارهم واحوالهم . ولولا انه « لا يقول الا ما يعتقد ولا يعتقد الا ما يسمع صداه من جوانب نفسه » [٢] لقلنا انها خطرات شاعر وجدت لها من سماء مخيلته مطلعاً ثم ما لبثت ان ادركها الغروب . اما وان هذا الكلام هو صورة من صور نفسه فلا جرم انها حالة نفسية كثيراً ما تعرو من يميلون الى التجرد عن المادة و يرون في سكون الموت وظلمته حياة مفعمة بالحركة والنور والرغد والسرور ! . . .

دمشق: صلاح الدين القاسمي

(١) ص — ١١٥ (٢) مقالة آداب المناظرة ص — ٢١٠

الى العرب (١)

يامعشر العرب الكرام تحية   شغف النسيم بها فبات عليلا
رقت فلولا الشعر يحبس ذوبها   وجدت لها بين السطور مسيلا
من شاعر لولا هواه بقومه   ما كان يرضى باليراع خليلا
باتوا يلومونى وبات القلب عن   لوم الوشاة بحبهم مشغولا
زادوا ولوعاً بالملام واسرفوا   فيه فزدت ثغورهم تقبيلا
حلت الثغور بذكر من احببتهم   فرشفت من برد اللمى معسولا
اني لاهفو ان ادرت حديثهم   حتى كأنك قد ادرت شمولا
ماذا عليَّ اذا عددت هواهم   دينا وغيري عده تضليلا
والناس مختلفون في اهوائهم   متباينون مشارباً وميولا
ولرب محسوس ترى آثاره   ليست عَلَى كل النفوس شكولا
سجع الحمائم يستفز اخا الهوى   طرباً ويحسبه الحزين عويلا

***

قومي وانتم خير من فوق الثرى   واجلهم يوم الفخار اصولا
ردوا عَلَى الشرق القديم شبابه   فالامر بات لعزمكم موكولا
شخصت لواحظه اليكم يبتغي   نيل الرجاء فحققوا المأمولا
وانضوا العزائم للرقي وحسبكم   يوم الطلاب تواكلاً وخمولا
لاتيأسوا فاليأس كم جرَّ الردى   وغدا عَلَى صغر النفوس دليلا
واخو العلى من لايزال طلابه   ابداً بأسباب الرجا موصولا
فالروض يزهو بالنضارة بعدما   نهكته عادية الهجير ذبولا
واذا المنى امتنعت وعز منالها   كان الثبات بنيلهن كفيلا

***

فامشوا الى كبد العلاء بهمة   تذر الجبال الشامخات سهولا
وتقحموا الغمرات واصطبروا لها   فالمرء ان يجبن يعش مرذولا

(١) القيت في احدى الحفلات

والمجد مطلبه شديد فاخلقوا عزماً يذلل صعبه تذليلا

***

واستشهدوا التاريخ اصدق منبيء بالغابرات من العصور الاولى
ايام تبتدر الجياد شوازباً يضربن عرضاً في البلاد وطولا
يحملن ابطال الجزيرة طلعا كالاسد ابرحها الحفاظ الغيلا
من كل اروع مثلما تهوى العلى كالسيف عضب الشفرتين صقيلا
تلقاه يؤثر ان يموت مكرماً عن ان يتمتع بالحياة ذليلا
فتحوا البلاد وغادرت اسيافهم في كل ارض رنة وصليلا
بيض اذا انتضيت ليوم كريهة وردت ظباهن الدم المطلولا
كتبوا بها في الدهر آية سؤدد لاتقبل التحريف والتأويلا

***

ذودوا عن اللغة التي وردت بها آي الكتاب وانزلت تنزيلا
هي روح نهضتكم ومعقد مجدكم فتعهدوها بكرة واصيلا
وحياتكم ياقوم فاحتفظوا بها او ترتضون عن الحياة بديلا

***

لاتحسبوا الدستور يسعدكم اذا لم تسلكوه للرقي سبيلا
واذا الصباح بدا ولم نجف الكرى لم يجدنا فالق الصباح فتيلا
فاسترشدوا بالعلم وانصرفوا له وتدارسوا المعقول والمنقولا
وابنوا المدارس في البلاد كأنها زهر تزيح من الظلام سدولا
وهي الكفيلة حين يعمر ربعها انا ننال من الزمان السولا
وتكاتفوا في السعي لاتتخاذلوا فيبيت كل خاذلا مخذولا
وتعهدوا الاخلاق فهي اذا التوت تركت ممردة الصروح طلولا
ماكان تحرير الرقاب بنافع ان لم نحرر انفساً وعقولا

دمشق : جرجي الحداد

الكتابة والكتب ودورها [1]

افرأيتم المصريين الاقدمين وقد تركوا لنا كتبهم منقوشة على صفحات الجبال وفي بطون المغارات وعلى احجار البرابي والاهرام والمسلات ؟

ام هل اتاكم حديث الاشوريين ؟ فقد اكتشف النقابون في هذه الايام مصاحفهم مرقومة عَلَى اللبن، وهو الطوب المشوي او المطبوخ . وذلك لان ارض ما بين النهرين مكونة من طمي دجلة والفرات فليس فيها جبل ولا حجر . ولكن ذلك لم يقف حجر عثرة في سبيل الغرام بالكتب . فصاروا يرقمون بالمسمار عَلَى الطين وهو نيء ثم يطبخونه في النار، استبقاء لكتابتهم عَلَى ممر الادهار والاعصار

ثم انتشر هذا الغرام في مصر وعم وطم ، فاحتاج القوم لزيادة الكتابة ، واحسوا بما في النقش عَلَى الاحجار من الصعوبة ، فعادوا الى الطبيعة ، وهي الهادي الاكبر للبشر ، أخذوا البردي وعالجوه بما جعله صالحاً للكتابة ، وها هي آثاره في دار العاديات المصرية بقصر النيل في القاهرة ، واكثرها في متاحف اوربا ، واما الصين والهند ، فقد كفتهم دودة القز هذه المؤونة ، في القيام بما يدعوهم اليه الولوع بالكتب والكتابة ، واذا نظرت الى بني الاصفر وأعني بهم اليونان والرومان تجدهم قد استعانوا بالحيوان ، فعالجوا الجلود وصنعوا منها ما نسمية بالرقوق

واول من استنبط ذلك الاغارقة من اهل فرغامة ، وهي مدينة بآسيا الصغرى تسمى عندهم برجامة **Pergame** فصار اسمها علماً عَلَى هذا المصنوع من الرقوق ، ولا يزال باقياً عند جميع الافرنج الى الآن ، فان اهل ايطاليا يسمون الرق (بفتح الراء) برجامينو *Pergamino* اي الفرغامي لان العرب تقلب الباء الفارسية الى الفاء لقرب المخرج كما قالوا في *Platon* افلاطون وهكذا . واما الاسم العربي فهو مأخوذ من ترقيق الجلد بعد دبغه .

اما العرب فبلادهم جرداء قحلاء فلم ينقشوا على الاحجار ، ولم يطبخوا الطين عَلَى النار ، ولم يهتدوا الى صناعة الترقيق . ولكن ذلك لم يكن حائلا دون غرامهم بالكتابة والكتب . فكانوا قبل الاسلام في عصر النبوة يكتبون على عسيب النخل اي قحوف

(١) من محاضرة لاحمد بك زكي احد الباحثين العاملين في مصر القاها في نادي موظفي الحكومة في الاسكندرية في شهر رمضان الماضي

الجريد لكثرة هذه الشجرة المباركة في بلادهم . و يكتبون عَلَى الواح العظام (وكثرتها ناشئة عن ذبح الاضاحي) و يكتبون على نوع من الاحجار المصقولة التي يلتقطونها من فيافيهم و بواديهم .

ونقف بالكلام عَلَى العرب دون سواهم من الامم الاخرى . فانهم مالبثوا في خلافة الصديق ومن جاء بعده من الخلفاء ، ان انتشروا في الارض فاخذوا عَلَى اهلها اساليب الحضارة . ثم احتاجوا الى التبسط في الكتابة ، لاتساع الملك واستبحار العمران فكتبوا في العراق عَلَى الحرير وسموه بالمهراق . وكتبوا في مصر عَلَى البردي ولا تزال آثاره باقية في اوربا و بعضها في القاهرة في دار الكتب الخديوية . وكانوا يكتبون عَلَى هذا البردي باللغة العربية وحدها تارة ، ومصحوبة بالترجمة الرومية او القبطية تارة اخرى . ولاتزال هذه سنة مطردة في ديارنا ، اعني بها سنة الاحتياج الى لغتين مثال ذلك : الاحجار واوراق البردي في عهد اليونان ، نراها مكتوبة بلغتهم و باللسان المصري القديم ، وفي عهد الرومان حل اللسان اللاطيني محل اليوناني . حتى جاء العرب فكان من شأنهم ماذكرنا . ثم انقضت مدة طويلة من ايام المأمون الى آخر الدولة الايوبية استقل فيها اللسان العربي . حتى جاءت دولتا المماليك البحرية والجركسية فاندمجت في اللغة العربية بعض الفاظ واصطلاحات دخيلة من التركية . ثم جاءت دولة العثمانيين فكانت السيادة في مصر للمماليك الاتراك حينئذ طما بحر اللغة التركية وصارت تزاحم لغة البلاد . واستمر الحال عَلَى ذلك بعد جلوس الفرد الفذ العظيم « محمد علي » نابغة العصر الجديد الى ايام سعيد و بعد ذلك بدأت الفرنساوية تحل قليلا قليلا محل التركية . وها هي الآن تتأخر في الميدان امام اللغة الانكليزية . والحق يقال ان لغة البلاد اخذت في الانتعاش كثيراً بفضل خديوينا المحبوب عباس الثاني وبفضل حكومته الرشيدة السعيدة . وبفضل المحاكم والجرائد وسترون عما قليل حسنة جليلة من اكبر محاسن الحكومة الحاضرة يرتفع بها منار هذا اللسان وتتجدد معها آداب العرب وعلومهم

نرجع الى الكتابة والكتب فنقول ان العرب ماعتموا ان استخدموا الجلود بعد ترقيقها وكان من مزاياها عندهم انهم كانوا يغسلونها و يجددون الكتابة عليها . فرأوا ان ذلك ان كان صالحاً في بعض المعاملات الوقتية ففيه ضرر كبير عَلَى العلم كما رأوا من جهة اخرى ان الحرير يدعو الى مؤونة كبيرة مع ان الحاجة ماسة الى الاكثار منه ومن الرق بل رأوا في ايام هارون الرشيد انهم كانوا مقلدين لغيرهم من الامم وان ما وصلوا

اليه من الحضارة والرجحان يوجب عليهم الاخذ باسباب الاختراع والاستنباط . فكانوا اول من اصطنع الورق عَلَى هذا الشكل الباقي الى ايامنا هذه وحسبهم ذلك فخاراً . وقد سموه بالكاغد (١) ثم بالقرطاس ثم شاع اسم الورق وانتشرت معامل الورق من الخرقة اي من الكهنة في سمرقند و بغدادوالقاهرة ودمياط ثم انتقل الى بلاد الغرب فكان لهذه الصناعة شأن كبير في بلاد الاندلس واشتهرت مدينة شاطبة بمعاملها ومصنوعاتها التي فاقت في الجودة والاحسان والاتقان واربت عَلَى مابلغه اهل المشرق من هذا الباب ومن شاطبة كان الكاغد يحمل الى سائر بلاد الاندلس . ومن هناك انتقل الى افرنجة (فرنسا) ثم الى بقية ديار اوربا وقد ابلغه القوم في هذه الايام الى نهايات مايخطر بالاحلام واتوا في ذلك بالعجب العجاب حتى صاروا يصنعونه من الاخشاب وانعدمت هذه الصناعة من ديار الشرق كلهافصار عالة عَلَى غيره فيها وفي غيرها

حينئذ توفرت عند العرب الاسباب المادية والعقليةفابدعوا في التصنيف واغربوا في التأليف وتهافتوا على جمع الكتب وتطلبها يستوي في ذلك السلطان والسوقة والخاصة والعامة والرجال والنساء وجميع الطبقات حتى كثرت دور الكتب في القاهرة وامهات

(١) اما الكاغد فهو لفظ فارسي وقد كان لهذه اللغة الفارسية تأثير يذكر في العربية ايام العباسيين لان الفرس هم الذين رفعوا قواعدها وشادوا دعائمها وكان رجالاتهم هم المدبرون لامرها في اول قيامها ثم في ايام الخليفة السابع وهو المأمون بن هرون . وفي ايامه اخذوا ايضاً عن الروم علومهم ومعارفهم فنقلوا لفظة *Carta* اليونانية وعربوها وهي بصيغة الجمع فقالوا قرطاس والغريب في هذا الموضوع ان ائمةاللغةنصوا علي ان القرطاس يقال بضم القاف او بكسرها واجمعوا عَلَى ان الفتح لم يقل به احد . وهو امر غريب فان الفتح اقرب عَلَى اللسان واقرب الى الاصل . وهذه اللفظة عربها المصريون في ايام محمد علي في ضمن الاصطلاحات الجغرافية فقالواخرطة محاكاة للتلفظ عَلَى الطريقة اليونانية للدلالة عَلَى المصورات الجغرافية التي يسميها ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار بلوح الرسم والتي يرد اسمها في بعض نسخ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الادريسي هكذا (لوح الترسيم) وانا اظن كثيراً ان هذه اللفظة من تحريف النساخ او المساخ وان صحتها لوح الرسم كما رأيته في موسوعات ابن فضل التي ذكرتها لكم . ثم ان المتقعرين في اللغة حرفوا لفظة خرطة فقالوا خريطة وخرائط وما دروا ان ذلك الاسم موضوع لجعبة الراعي ولكن قد كان ما كان

المدائن المصرية بدرجة لانتصورها الآن لان بلادنا اصبحت خلواً منها بالمرة لولا تلك الصبابة القليلة الباقية في دار الكتب الخديوية وفي الازهر الشريف تتلوها المكتبة الحديثة التي انشأتها البلدية في الاسكدرية · اما البيوتات فقد اصبح عددها اقل من اصابع اليد الواحدة واولها بيت السادات يتلوه بيت البكري فبيت المرحوم رفاعة وعبد الله فكري · واما الافراد فقد قلبت النظر فلم ار غير المرحوم لطيف باشا سليم وبعده الفاضل احمد بك تيمور

وقد اردت ان اجري عَلَى هذا المنوال وان كانت خطواتي صغيرة ويدي قصيرة ولكنني خشيت ان تذهب مجموعتي من بعدي للعطار والزيات والبقال او تتفرق شذر مذر كما حصل للمجموعة النفيسة التي كانت تزدان بها دار المرحوم علي مبارك باشا في حياته · لذلك جعلتها من الآن خاصة بالامة ولا ازال دائباً الى آخر ساعة من حياتي عَلَى توسيع نطاقها والزيادة فيها

اذا رجعنا ببصرنا الى التاريخ رأيناه يحدثنا عن دور الكتب في القاهرة فتأخذنا لوعة لمجرد هذا الوصف ونبكي عَلَى ذهاب العين والاثر

فدور الكتب التي اسسها الفواطم يحدثنا المقريزي عنها بما يثير الاشجان ويستمطر الدموع من الآماق · فقد كان في قصر الخلافة وحده اربعون خزانة كانت فيها النوادر والذخائر فاخذ معظمها بعض الموظفين وبعض الاجناد الاتراك بدل مرتباتهم في ايام الشدة التي وقعت للخليفة المستنصر

وقد نهبت عرب لواتة شيئاً كثيراً منها اغرب المقريزي في وصفه ثم قال : ان عبيدهم واماءهم اخذوا جلودها برسم عمل ما يلبسونه في ارجلهم واحرقوا ورقها تأولا منهم انها خرجت من قصر السلطان اعز الله انصاره وان فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية الى اليوم بناحية آثار تعرف بتلال الكتب

هذا عدا خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل اليها احد وعدا خزائن دار العلم بالقاهرة « وهي مماثلة لما نسميه الآن اكاديميا او كما يقول صاحب كشف الظنون وابن ابي اصيبعة قبله : (اقاذيميا) » وسوى خزانة المارستان العتيق وقد بقيت الى ان بيعت في ايام صلاح الدين فاشترى القاضي الفاضل وحده منها مائة الف كتاب مجلد واودعها في المدرسة التي انشأها بالقاهرة · وفضل القاضي الفاضل ومكانته في الدولة الايوبية

يدلان عَلَى انه اختار افضل الكتب واحسنها ولكنها ذهبت بها الايام ايضاً فان الغلاء لما وقع بارض مصر في سنة ٦٩٤ صار طلبة هذه المدرسة يبيعون كل مجلد برغيف من الخبز · وبقيت منها بقية تداولتها ايدي الفقهاء بالعارية فتفرقت وكان فيها مصحف اشتراه القاضي الفاضل بنيف وثلاثين الف دينار عَلَى انه مصحف الخليفة عثمان وكان في خزانة مفردة له غربي المحراب · وهذا القاضي الفاضل كان يقتني الكتب من كل فن ويجتلبها من كل جهة وله نساخ لا يفترون ومجلدون لا يبطلون · وقد بلغ مجموع كتبه قبل موته بعشرين سنة ١٢٤٠٠٠ مجلد طلب ابنه مرة ان يقرأ ديوان الحماسة وتوسل الى ذلك ببعض المقربين لديه فامر القاضي الفاضل فاحضر له خازنه ٣٥ نسخة فصار ينفضها واحدة واحدة ويقول هذا بخط فلان وهذه بخط فلان حتى اتى عَلَى الجميع ثم قال: ليس عندي ما يصلح للصبيان وامر بشراء نسخة بدينار لولده وقد احضرت مجموعة رسائله في جملة ما احضرته من الكتب

وقد بقي بعض الكتب من آثار الفاطميين في مصر وزاد عليها المماليك وجعلوا لها خزانة عمومية ولكنها احترقت في سنة ٦٩١ فتلف بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيء كثير جداً كان من ذخائر الملوك · والذي نجا من النار انتهبه الغلمان وباعوه بابخس الاثمان فظفر الناس منها بصحائف محرقة فيها نفائس غريبة

ولم تكن هذه المدرسة هي الوحيدة في القاهرة فقد كانت خزائن الكتب في المساجد والجوامع والمدارس فضلا عن القصور والمنازل · وحسبي الاشارة الى بعض المدارس التي امتازت بجمع الكتب النادرة فمنها المدرسة التي انشأها بمصر القديمة في سنة ٦٥٤ الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا (بكسر الحاء المهملة وتشديد النون المفتوحة كما ضبط الثقات من المؤرخين) فقد كانت فيها خزانة جليلة من الكتب النادرة ثم نقلها فبقيت عنده حتى مات فتفرقت في ايدي الناس وكذلك الملك الظاهر بيبرس البندقداري جعل في مدرسته الظاهرية خزانة كتب تشتمل عَلَى امهات الكتب في عامة العلوم

فلما تولى السلطان قلاوون جعل في قبته البديعة خزانة الكتب في جميع انواع العلوم ولكن معظمها تفرق في ايدي الناس واقتدى به ابنه محمد فانشأ خزانة كتب بمدرسته التي شادها بجوار هذه القبة في الجهة المعروفة الآن بالنحاسين

واما اسماء الامراء والافراد فهي كثيرة جداً مثل الامير منكوتمر سيف الدين الحسامي والحاج سيف الدين آل ملك والامير سيف الدين الجاي والطواشي سابق الدين مثقال والطواشي سعد الدين بشير الجمدار · واهم الكل الامير جمال الدين محمود الاستادار

ولا انتقل من هذا الموضوع قبل ان اذكر لكم ان نساء مصر كان لهن مشاركة في هذه المأثرة وحصة كبيرة في الغرام بالكتب واكتفي الآن باسم الست عاشوراء بنت ساروج الاسدي وكانت عائشة في ايام صلاح الدين والست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون بنت الملك العادل الايوبي وكانت من فضليات اهل العلم واشتهرت بالبراعة في الفصاحة وفنون الادب والسيدة الجليلة الكبرى خوندتتر الحجازية بنت السلطان الناصر محمد بن قلاوون والست بركة ام السلطان الملك الاشرف شعبان والست ايديكين زوجة الامير سيف الدين بكجا الناصري

وقد بدد الزمن آثار تلكم السيدات الكريمات فلم اقف علي كتاب من تلك الخزائن الكثيرة وغاية الامر ان في دار الكتب الاهلية بباريس تحت نمرة ٢٧٥١ كتاباً في علم تعبير الرؤيا وهو مرتب على حروف الهجاء بشكل معجم ومكتوب في سنة ٨٣٣ هجرية برسم خزانة اميرة من اميرات مصر (احدى البرنسسات) وهي بنت السلطان الملك الظاهر جقمق

كان هذا الغرام عاماً في مصر وفي جميع بلاد الشرق · وخصوصاً في الممالك الخاضعة لصولجان صاحب التاج في القاهرة · التي كانت عاصمة للامبراطورية المصرية · والشواهد كثيرة على هذا الولوع وحسبي ان اذكر لكم اسماً واحداً من باب التدليل · وهو ابو الفدا سلطان حماه وصاحب التاريخ المشهور بالمختصر في اخبار البشر وصاحب الجغرافيا المسماة بتقويم البلدان الذي طبع وترجم في باريس قد جمع في خزانته من الكتب مالا مزيد عليه وكان في خدمته ما يناهز مائتي معمم من الفقهاء والادباء والنحاة والمنجمين والفلاسفة والكتبة

ولو اردت ان استقصي ما اعرفه عن الكتب وغرام المولعين بها ايام كانت الحضارة الاسلامية زاهية زاهرة لطال المقام ولم تكفني الايام تتلوها الايام

وقبل الختام اذكر لكم قضية وقعت بمصر وهي من اغرب ما سطرته سجلات القضاء

وقفت عَلَى كتاب اسمه كنز الدرر وجامع العبر لابي بكر بن عبدالله بن ايبك الدوادار وهو في تسعة اجزاء ثلثاها بمكتبة ايا صوفيا والثلث الباقي بمكتبة طوب قبو بالقسطنطينية وهو في تاريخ مصر وفيه تفصيل غريب وبيان واف لانراه في التواريخ التي وقعت الينا ٠ وليس هذا محل الشرح عن هذا السفر الجامع النافع ٠ وقد كان هذا الكتاب موقوفاً عَلَى احدى المدارس بالقاهرة فاغتصبه بعض الاكابر واوقفه عَلَى مدرسته وقفاً صحيحاً شرعياً مرعياً فاقيمت عليه قضية بمجلس الحكم وحصلت المرافعة والمدافعة ثم اصدر القضاة حكمهم ببطلان الوقف الثاني واعادة الكتاب الى مقره الاول باسم واقفه الاول ٠ وقد قضت الايام ببطلان هذين الوقفين وبانقسام الكتاب الى شطرين في خزانتين ولكن في غير مصر

ان العرب في اجتماع اهل الفضل والعلم في دور الكتب كانوا مقلدين لليونانيين في اثينة والرومانيين في رومية وكل منهما قد نهج عَلَى سنة اجدادنا المصريين

اول من مدح الكتب عَلَى ما انبأنا به التاريخ الصحيح هو اول من اسس لها داراً خصوصية بديار مصر وجعل منفعتها عمومية

انا لا اجاري بعض الغلاة من العرب ومن اربى عليهم من المتهوسين الالمانيين الذين قالوا بوجود دور الكتب قبل حدوث الطوفان واخذوا يتصيدون الاقاويل من هنا ومن هناك ويقيمون الدلائل عَلَى غير طائل محتجين عَلَى ذلك بتعليم آدم الاسماء وبالاعمدة التي نقشها شيث وبالصحف التي نزلت عَلَى ادريس ويكفينا ان نقنع بما هو وراء ذلك وهو قديم بل قدموس حتى لانخوض بحور الخيال ونهيم في اودية الاوهام ٠ حسبنا ان نرجع الى ما هو قبل اليوم باكثر من ٣٢٠٠ سنة فهنالك نصل الى التاريخ الثابت المنقوش عَلَى الاحجار وهو مما لاجدال فيه ولا مراء ٠ فتلك الاطلال الماثلة الى الآن في صعيد مصر تنطق لنا بلسان هير وغليفي مبين وتقول ان اوسيماندياس فرعون مصر الذي سماه اليونان سيزوستريس ورمسيس الثاني هو اول من اسس دار الكتب في مدينة طيبة بالصعيد وهو اول من مدح الكتب بعبارة وصلت الينا ٠ وذلك انه نقش عَلَى باب تلك الدار كلمتين اثنتين جعلها رمزاً عليها وتلخيصاً لكل مافيها وهما

﴿ شفاء الارواح ﴾

ولعمري ان هاتين الكلمتين هما ابلغ من كل ماجادت به القرائح بعده في شرق البلاد وغربها وما هو مأثور عن عجم الامم وعربها

وعن المصريين اقتبس اليونان علومهم ومعارفهم ونظاماتهم ولكنهم لما جاء الدور لهم لم يتيسر لهم انشاء مكتبة عمومية الا بعد الفرعون المصري بربوات من السنين لاتقل عن الخمسة القرون وذلك ان طاغية بيسسترات هو اول من احدث بمدينة أثينس (أي اثينا) داراً من هذا القبيل لاستفادة الخاص والعام وكان ذلك قبل القرن السادس للميلاد وجمع فيها اشعار اوميروس بعد ان تلقفها من افواه الرواة كما كان شأن العرب من بعده باثني عشر قرناً في ايام بني امية وبني العباس . وما لبثت هذه الدور ان انتشرت بارض اليونان كما يشهد بذلك بيت قاله شاعرهم ارسطوفان

وفي يد كل انسان كتاب يلقنه افانين العلوم

وتولع اليونان بجمع الكتب والحث عليها لدرجة لاتكاد تكون محمودة : دخل حاكم الى مدرسة النحو باثينا فطلب من الاستاذ نسخة من ديوان اوميروس . فاعلمه المعلم بعدم وجودها فما كان من الحاكم في هذا الاهمال الا ان صفعه وخرج

ثم تهوس القوم بجمع الكتب من غير استفادة او افادة حتى رأى اديبهم لوسيان الشميشاطي ان يكتب رسالة بليغة في هجو رجل جمع من الكتب طائفة وفيرة لمجرد الاشتهار بانه جماع للكتب . قال ذلك الاديب يخاطب ذلك المذموم بما ترجمته

« في وسعك ان تعير الكتب لغيرك فتكسب اجراً وفيراً ولكن ليس في طاقتك ان تستفيد منها فتيلا ولا قطميراً . عَلَى انك ما اعرت منها احداً شيئاً مذكوراً فكان مثلك كالكلاب التي تنام في اسطبل الدواب فهي لاتقدر عَلَى اكل مافيه من الشعير ولكنها تمنع منها الخيل وهي قديرة عَلَى الانتفاع باكله »

ولو تأخر هذا الاديب المجيد لخر ساجداً اذا سمع قول الكتاب المجيد « مثلهم كالحمار يحمل اسفاراً » فانظروا يارعاكم الله الى حسن الديباجة والى هاتيك الاجادة : واما قول لوسيان فما اشبهه بقول الجاحظ ولكن في ذم الخصيان ولا ازيد على هذا البيان بغير الاشارة عليكم بمراجعة كتاب الحيوان واليكم مثلا مما قاله العرب في ذم من يجمع الكتب وهو لا يدري بما فيها

زوامل للاخبار لاعلم عندهم بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك مايدري البعير اذا غدا باحماله او راح مافي الغرائر

فلما جاء دور الرومان انشأ الامبراطور يوليان المنبوز بالمرتد وفي كتب العرب بالمارق

دار كتب في القسطنطينية واراد ان يتشبه بفرعون مصر ولكنه لم يبلغ شأوه فكتب علي بابها هذه العبارة ٠

« لبعض الناس صبابة بالخيل ولبعضهم ولع بالطير ولآخرين غرام بالوحش واما انا فقد تدلهت منذ نعومة اظفاري بشراء الكتب واقتنائها »

ومما امتازت به مدينة القسطنطينية انها في ايام النصرانية حفظت في كنائسها علوم الاقدمين حتى جاء العرب فاستفادوا منها ونشروها من قبورها وكان لهم بهذه الوسيلة القدح المعلى في ترقية الحضارة وبني الانسان وكذلك امتازت في ايام الاسلام بحفظ ماجادت به قرائح العرب الكرام في مساجدها وما علينا سوى اقتفاء اثرهم واتباع سنتهم ٠ وقد فتحت لكم الباب وحسبي ذلك فخراً

جاء العرب في ايام العباسيين فانتهت اليهم كلمة عن سقراط فكانت محركة لعزائمهم وجعلتهم ائمة الامم وقادة الافكار

قيل لهذا الفيلسوف : اما تخشى علي عينيك من ادامة النظر في الكتب فقال : اذا سلمت البصيرة لم احفل بسقام البصر

وفي هذا المقام لايصح اغفال ذكر المأمون فهو اول من اسس دار كتب عامة في الاسلام وسماها بيت الحكمة كما انه اول من اسس مجمعاً للعلوم (اقاذيميا) وسماه دار العلم ٠ هذا فضلا عن خزانة كتبه الخصوصية التي يروي لنا عنها ابن النديم كل معجب ومطرب

كان بمدينة الاسكندرية حاكم يسمى خليل ابن شاهين الظاهري اشتهر بتأليفين احدهما في عالم اليقظة والآخر في عالم المنام فاما الاول فهو كتاب زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك ثم اختصره وسماه زبدة كشف الممالك وهو كتاب مفيد في وصف بلادنا واعمالها ودواوينها ووظائفها ونظاماتها وغير ذلك من محاسن هذه المملكة مع سرد ابيات مما نظمه بعض ملوكها وسلاطينها الى غير ذلك من النوادر والفوائد ولا حاجة لي بان اقول لكم انه لا يوجد من هذا الاثر النفيس ولا نسخة واحدة مخطوطة بديار مصر كلها وهي وطنه ووطن مؤلفه بل هي موضوعه ومدار مباحثه ٠

اما الكتاب الثاني فقد سماه « الاشارات في علم العبارات » والعبارة هي تعبير الرؤيا وتفسير الاحلام واسم العلم بالفرنسوية مأخوذ عن اليونانية

قال صاحب كشف الظنون : « كانت العرب في صدر الاسلام لا تعتني بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها وبصناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم لحاجة الناس طراً اليها . وذلك منهم صوناً لقواعد الاسلام وعقائد اهله عن تطرق الخلل من علوم الاوائل قبل الرسوخ والاحكام » واقول ان الشارع هو الذي دعاهم الى تقييد العلم عَلَى اطلاقه فقد جاء في الحديث الشريف :

العلم صيد والكتابة قيد . قيدوا رحمكم الله علومكم بالكتابة

اخذ الشاعر قول الشارع فصاغه في بيت سائر ونظم بارع

العلم صيد والكتابة قيده ... قيد صيودك بالحبال الواثقه

ثم مدحوا الكتب كما مدحها فرعون مصر وقياصرة الروم من قبلهم فقال العتابي وهو من اجلاء عصر الامين والمأمون

لنا ندماء لا نمل حديثهم ... امينون مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... ورأياً وتأديباً وامراً مسددا
بلا علة تخشى ولا خوف ريبة ... ولا نتقي منهم بناناً ولا يدا
فان قلت هم احياء لست بكاذب ... وان قلت هم موتى فلست مفندا

ومدحها ابن طباطبا العلوي

لله اخوان افادوا مفخرا ... فبوصلهم ووفائهم اتكثر
هم ناطقون بغير السنة ترى ... هم فاحصون عن السرائر تضمر
ان ابغ من عرب ومن عجم معاً ... علماً مضى فيه الدفاتر تخبر
حتى كأني شاهد لزمانها ... ولقد مضت من دون ذلك اعصر
خطباء ان ابغ الخطابة يرتقوا ... كني كفي للدفاتر منبر
كم قد بلوت بها الرجال وانما ... عقل الفتى بكتاب علم يسبر
كم قد هزمت بها جليساً مبرماً ... لا يستطيع له الهزيمة عسكر

وهو ينظر بقوله الاخير الى جواب جالينوس فقد قيل له : لم كان الرجل الثقيل اثقل من الحمل الثقيل فقال لان ثقله عَلَى القلب دون الجوارح ، والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه

وفي ذلك المعنى الذي اشار اليه ابن طباطبا وهو في مصر قول لمونتسكيو (ابن

خلدون فرنسا) وهو في باريس قال ما ترجمته : ما حل بي جيش الهموم الا بددته بساعة واحدة من القراءة

ومدح العرب للكتب كثير جداً اكتفي منه بكلمة واحدة منثورة : اهدى بعض الكتاب الى صديق له دفتراً وكتب اليه : هديتي هذه اعزك الله تزكو على الانفاق وتربو عَلَى الكد . لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب . وهي انس في الليل والنهار والسفر والحضر وتصلح للدنيا والآخرة . وتؤنس في الخلوة وتمتع في الوحدة . مسامر مطواع ونديم صديق .

وقال آخر : الكتب بساتين العلماء

ولكن كل هذه الاقوال وما شابهها مما نرويه عن المتقدمين والمتأخرين لا تعادل الكلمتين اللتين قالها فرعون مصر عن الكتب

شفاء الارواح

ولقد قام رجل من مشاهير الانكليز في اوائل القرن التاسع عشر وهو بلور ليتون فاشار بمطالعة الكتب لازالة انواع الامراض قال ماخلاصته : لقد اختلج في ضميري ان انظم دور الكتب عَلَى نسق جديد مفيد فبدلاً من ان يكون مكتوباً عَلَى الخزائن والدواليب والرفوف هذه الكلمات . لغة . علوم طبيعية . فن القريض ونحو ذلك اشير باستبدال هذه الكلمات باسماء الامراض التي تنتاب الجسم والروح مما يمكن مداواته بالمؤلفات الموجودة فيها من داء النقطة الى اخف النزلات فهذا النوع الاخير من الاسقام يصلح له قراءة الكتب الهزلية مع منقوع الشعير في قليل من اللبن الحليب فاذا غشي النفس همٌّ من الهموم التي يمكن ازالتها مثل عدم تحقق الاماني او معاكسة الاخوان او معاندة الزمان ففي هذه الحال يحسن بالمصاب ان يتلو تراجم الاعيان والافراد فيتسلى بما اصابهم من البلايا ويزول مرضه باذن الله . فاذا ما طم الهم وعم الغم فالروايات انجع دواء لهذا السقم . ولكن اذا حلت بالانسان مصيبة فادحة وجب عليه ان يستغرق كل عقله ولبه وقلبه في عمل من الاعمال العقلية التي تجعله ينسى نفسه وما حل به من الارزاء

واستشهد المستنبط لهذا الطب الجديد الغريب بما حلّ بشاعر الالمان (جيته) فانه حينما مات ولده تفرغ لدراسة علم جديد وقيل انه اكمل فصول بعض رواياته البديعة فجاءت في نهاية البلاغة والاعجاز

فانظروا الآن الى ماصنعه الاسكندر الاكبر حينما هزم دارا ملك الفرس فانه ظفر في جملة الغنائم الملوكية بصندوق بديع الصنعة فقال للمقربين اليه : لاي شيء يصلح هذا الصندوق ؟ فاجاب كل منهم بما رآه · ولكن سيد الفاتحين لم يعجبه قولهم وقال انما يليق هذا الصندوق لحفظ الياذة اوميروس

وفي ايام الاسلام ظفر الحجاج بن يوسف عامل بني مروان بصندوق عجيب من ذخائر الفرس فامر بفتحه فوجدوا صندوقاً آخر ففتحوا فوجدوا صندوقاً آخر ثم رابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً فقال الامير : لعل فيه حماقة من حماقات الفرس · ففتحوا واذا فيه بطاقة مكتوب عليها هذه العبارة : من مشط لحيته في كل يوم طالت : ونحن لم نخرج عن الموضوع لان هذه الوصية كانت مكتوبة عَلَى قطعة من الحرير وانني اقلب الطرف يميناً وشمالا فلا اجد من اوصيه بها ليخبرنا بصحتها بعد العمل بها

ولايخفى عليكم ان عرب الشرق هم الذين احيوا علوم العرب ونشروها وهاهم عجم الغرب يعملون على هذه السنة الآن في المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وهولاندة واسبانيا والروسيا وسائر بلاد اوربا واميركا ولا امل لي الا ان ارى اهل مصر يشاركونهم فهم احق بتراث اجدادهم ولا يكون ذلك ولن يكون الا بالعناية بالكتب

هل اتاكم حديث فرنسا وناهيكم بها في العلم والحضارة والعرفان؟

انها مدينة لمصر الاسلامية بدينين عظيمين في انشاء دور الكتب العمومية

اولهما يرجع الى ايام الحروب الصليبية · فان الملك القديس لويس وهو التاسع بهذا الاسم شن الغارة عَلَى مصر في اول دولة المماليك البحرية ثم عاد ادراجه مهزوماً ولكنه رجع ظافراً بفكرة حميدة ومأثرة جميلة · وهي انه اقتبس عن اجدادنا فكرة جمع الكتب بعضها مع بعض في دار واحدة وفتحها في وجه الجمهور لينتفع بها الخاصة والعامة

اترك الكلام لكاتب سيرته وامامه في صلواته فقد قال ماخلاصته :

« ان الملك التقي الورع القديس لويس وصل الى سمعه وهو فيما وراء البحار ان سلطاناً من سلاطين الشرقيين يبذل عنايته في البحث عن الكتب المختلفة الانواع وفي استنساخها على نفقته ثم يضعها في دار عمومية ليستفيد من مراجعتها علماء بلاده فانه كان يجعل هذه المجاميع تحت تصرف جميع الطالبين · فاراد القديس لويس ان يتشبه بهذا السلطان وعزم عَلَى بذل المال بمجرد عودته الى فرنسة لنسخ الاسفار النافعة

وصحاح الكتب المقدسة التي يتأتى له العثور عليها في الاديار ليتمكن هو ورعاياه العاكفون عَلَى علوم الادب من درسها وحرثها للانتفاع بها وافادة الجار والقريب بمعارفهم وقد انجز هذا القصد فامر باعداد مكان لائق امين في باريس جمع فيه كثيراً من تصانيف القديس اغسطينوس وامبرواز وجيروم وغريغوار وبقية ائمة المذهب الارثوذكسي . وكان يذهب في اوقات الفراغ للقراءة في هذا المكان ويسمح لغيره عن طيبة خاطر بمشاركته في مناجاة المؤلفين . وكان يؤثر استنساخ الكتب عَلَى شراء اصولها لان ذلك في رأيه من شأنه ان يزيد في عدد الكتب المقدسة ويجعلها اكثر فائدة . وكان حينما يقرأ في تلك الكتب بمحضر من خدمه وحشمه الذين لا يفهمون اللاطينية يترجم لهم بالافرنسية مالا يدركونه من العبارات »

غير انه في آخر عمره اصابه دخل في عقله فبدد شمل تلك المجموعة وامر في وصيته بتوزيع الباقي عَلَى الاديار

واما الدين الثاني الذي لنا على فرنسا فيرجع الى عهد قريب منا وبيان ذلك ان القائد بونابرت عند هجمته عَلَى مصر في فجر القرن الماضي عَلَى التاريخ الميلادي نهب كثيراً من بقايا الكتب النفيسة التي كان اجدادنا اخفوها او وجدوها بعد الفتح العثماني . وكل من ذهب الى باريس واطلع عَلَى فهرس دار الكتب الاهلية فيها يأخذه العجب العجاب ان لم تساوره الاشجان والاحزان . فلقد اصبحنا اذا احتجنا الى شيء من مؤلفات المصريين الخاصة بمصر لانرى منها شيئاً في بلادنا ولا بد لنا من الرحلة والتغرب لتطلبها في بلاد الغرب

ولقد ادرك محمد علي ذلك عند ما اراد ان يجدد العلم في ربوع مصر فارسل نفراً من نابغي الازهر الشريف فعادوا وافادوا جدد الله عهدهم . ورافع رايتهم هو المرحوم رفاعة بك فطالما انشأ وانشد وصنف والف وترجم وعرب وكلنا عيال عليه وعَلَى اولاده

اعلموا ان للعرب وللاسلام سراً عجيباً في تاريخ الحضارة والعمران . فالعرب اينما حلوا انتشرت لغتهم قليلاً قليلاً ثم سادت رويداً رويداً ثم انتهى امرها بالانفراد والاستقلال . كذلك الاسلام اينما انتشرت رايته استهوى العقول والالباب . ولكن الغريب ان العجم هم الذين ينشرون علوم العرب ودين العرب حتى لقد قال الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك : « عجبت لهذه الاعاجم ملكت الدهر فلم تحتج الى العرب وملكت العرب فلم تستغن عنهم » وماذا كان يقول هذا الخليفة ودولته أموية عربية

محضة : وماذا كان يقول لو عاش حتى رأى عصر العباسيين او لو بعث من قبره هذه الايام ورأى حاجة العرب الى الاعاجم في كل شيء من مرافق الحياة وحاجتهم اليهم حتى في احياء آثارهم اوالتهافت عَلَى اقتناء مآثرهم

ماذا كان يقول لو علم بالقصة الآتية ؟

تعلمون ان التتار هم الذين خربوا دولة العرب ودكوا معالم الاسلام ومع ذلك فمن اغرب الغرائب واعجب العجائب انهم مالبثوا ان دانوا بدين العرب المغلوبين وتشبهوا بملوكهم البائدين في احياء العلوم وتوسيع نطاق العمران . سر من اسرار الطبيعة لانراه الا في شؤون العرب ومعارفهم . فبعد ان هلك هلاكو وبعد ان مارت الارض بتيمور فادخلته في تامورها جاء احفادهما فدخلوا في دين الله افواجا هم واقوامهم وارتفع بهم مناره في بلاد آسيا الوسطى وفي بلاد الهند الى اوائل الجيل الماضي ومن اشهرهم في العلم والعلماء الغ بك واسمه محمد بن شاهرخ اعتنى هذا الرجل بعلم الفلك والف فيه زيجا باللغة الفارسية ترجمه الى العربية بعض افاضل المصريين والترجمة في خزينتي بمصر وجمع هذا الرجل خزانة من الكتب النفيسة رأيت من بعض بقاياها كتاب الصور السمائية لعبد الرحمن بن عمر بن محمد ابن سهل الصوفي ويسمى بابي الحسين ويعرف بكتاب صور الكواكب وبكتاب الكواكب الثابتة وهو الذي اريد ان احدثكم عنه في هذه الساعة

هذا الكتاب لا ابالغ في فضله ولا اذكر شيئًا من محاسنه وانما اقول لكم ان الروس عرفوا قدره فطبعوه في بلادهم ثم اوعزوا الى احد علماء الفرنسيين فترجمهُ الى اللغة الفرنسية وطبعوا هذه الترجمة ايضاً في بطرسبرج . وهذا الصنيع المزدوج يدلكم عَلَى فضل الكتاب وفائدته . واذا بحثتم في ارض مصر من الشلالات الى الاشاتيم ومن بادية العرب الى صحراء لوبيا لاتجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية اما الاصل العربي فقد لبس طاقية الاختفاء وتطاير في الفضاء وهجر ديارنا وواصل غيرنا فيما وراء البحار ورحل عن ارض اهين بها الى بلاد ظهرت قيمته بين اهلها بحيث ان العرب الذين صدر الكتاب بلغتهم اذا احتاجوا الآن لمراجعته وجب عليهم ان يتلقنوا احدى هاتين اللغتين الفرنسية اوالفارسية او ان يذهبوا الى بطرسبرج وان استبعدوها فالى باريس وهنالك يجدون منه خمس نسخ استغفر الله بل ستاً لان السادسة هي التي سأتكلم عليها . ففي سنة ١٨٩١ عثر يوسف بك خلاط على نسخة ملوكية

من هذا الكتاب مكتوبة عَلَى ورق الحرير بالوان مختلفة بالنسخ والثلث وقد بلغ الكتاب فيهما نهاية الاجادة والاتقان وازدانت بصور ملونة باهية زاهية يتدفق فيها الذهب واللازورد عَلَى احسن شكل واجمل مثال ٠

وفوق هذه المزايا التي تجعل للنسخة قيمة يتنافس فيها المتنافسون و يتعشقها العارفون فانها حوت اثراً آخر يزيدها قيمة لدى اهل الدراية ٠ ولكن اين هم في ديارنا ... وذلك انها مكتوبة برسم خزانة الملك العالم المؤلف (الغ بك) وعليها اسمه بخطه فصارت بذلك نادرة النوادر وذخيرة الذخائر ٠

عرضها يوسف بك عَلَى دار الكتب الخديوية فقومتها اني لاستحي من ذكر القيمة .... ولكن اقولها لكم لتعلموا مقدار تفريطنا ٠ قومتها بخمسة عشر جنيهاً مصرياً ٠ وظنت ان ذلك شيء كبير ٠ وكيف لا وهذا المبلغ يساوي الالف ونصف الالف من القروش اوخمسة عشر الف مليم : توجه صاحب الجوهرة الى الغازي مختار باشا قراده الربع ٠ توجه الى الارسالية العلمية الفرنسية بالقاهرة الكائنة الآن بجوار دار ناظر المعارف الحالي فضاعفت له الثمن اربع مرات ووعدته فوق هذه المساومة بوسام المجمع العلمي الفرنسي ٠ فقبض الثمانين جنيهاً ولا ادري اذا كان احرز النشان ولكنه اشترط ان يكتب اسمه ببنانه عَلَى تلك النسخة فقبل القوم شرطه وارسل الكتاب الي باريس تكميلاً لنصف الدستة واصبحت نسخهم ستاً ٠

روى صاحب كتاب الفهرست ان ابا زكريا يحيي بن عدي النصراني المتوفي ببغداد سنة ٣٦٤ قال انه رأى في تركة ابراهيم بن عبد الله الناقل النصراني كتاب السماع الطبيعي كله وكتاب البرهان لارسطو مشروحين بقلم الاسكندر الافروديسي وعندي قطعة وافرة من (كتاب البرهان) وانهما عرضا عليه بمائة دينار وعشرين ديناراً فمضى يحتال في الدنانير ثم عاد فاصاب القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خراساني (العجمي من الفرس) بثلاثة آلاف دينار وكانت هذه الكتب مما يحمل في الكم

قال القاضي الاكرم الوزير القفطي المصري بهذه المناسبة في كتابه المترجم بتراجم الحكماء المطبوع في لبسيك من اعمال المانيا مانصه :

« فانظر الى همة الناس في تحصيل العلوم والاجتهاد في حفظها والله لو حضرت هذه الكتب المشار اليها في زمننا هذا وعرضت عَلَى مدعي علمها ما ادوا فيها عشر معشار

ماذكر» وما ذا كان يقول لو سمع الحكاية التي رويتها لكم عن كتاب الصوفي . نعم ان الخراساني اشترى الكتب بثلاثين ضعفًا واما الفرنسيون فاشتروا كتاب الصوفي باربعة اضعاف لانهم لم يجدوا في مصر من يزاحمهم كما جرى في بغداد

واقول لكم ان يحيى بن عدي النصراني المذكور كان من اكابر المؤلفين والمترجمين ومحققي الفلاسفة وكان من المغرمين بجمع الكتب ونسخها بيده وكان اوحد دهره ومذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية . رآه ابن النديم في سوق الوراقين فعاتبه على كثرة نسخه فقال : «من اي شيء تعجب في هذا الوقت . من صبري ? قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتهما الى ملوك الاطراف وقد كتبت من كتب المتكلمين مالا يحصى ولعهدي بنفسي وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة . »

ونحن نعلم ان النويري المصري صاحب كتاب نهاية الارب في فنون الادب كان يكتب في اليوم والليلة ثلاثة كراريس اي ستين ورقة . فلم يبلغ شأو هذا المتقدم مع ان جميع المؤرخين يعجبون بابن وطننا الذي سترون اثره الجامع لكل العلوم والمعارف في السنة المقبلة ان شاء الله

كل هذه الاعمال وهي قطرة من بحر تدلكم على مقدار الغرام بالكتب وانه اذا استولى عَلَى العقل فلا يجد المدنف العاشق لذة في شيء آخر . وهذا الغرام ليس قاصرا عَلَى الشرق او على الغرب بل هو داء مستحكم في نفوس الناس عَلَى اختلاف الاوطان والاديان والاجناس

نرجع الى ذكر السرقات في الكتب واروي لكم حادثتين وقعت احداها لرجل من افاضل الاسكندرية وكان للثانية شأن كبير بالجامع الازهر في القاهرة

فمن الرجال الذين يحق للاسكندرية ان تفتخر بانها انجبتهم ابو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري النحوي الجغرافي الف كتابًا فيما اختلف وائتلف من اسماء البقاع وقد ضبطه وافنى في تحصيله وتحقيقه عمره فاحسن فيه كل الاحسان فجاء ابو بكر زين الدين محمد بن موسى الهمداني المشهور بالحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ فسطا عليه برمته وادعاه واستجهل الرواة فرواه نبه عَلَى ذلك ياقوت الحموي في صدر معجم البلدان بقوله . «ولقد كنت عند وقوفي عَلَى كتابه ارفع قدره من علمه وارى ان مرماه يقصر عن سهمه الى ان كشف الله من خبيئته وتمحض المحض عن زبدته » اقول انه رغمًا عن هذا التنبيه مازال الكتاب مشهوراً باسم السارق فان صاحب كشف الظنون لم يذكر

غيره وسماه كتاب ما اتفق لفظه واختلف مسماه في الاماكن والبلدان المشتبهة في الخط . وعلى كل حال فالكتاب لم يصل الينا

واما الحادثة الثانية فقد وقعت بالقاهرة في ختام القرن التاسع للهجرة . وذلك ان الامام شهاب الدين ابا العباس احمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣ الف في السيرة النبوية كتابه المشهور المتداول بيننا الآن وهو « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » فما راعه بعد ان فرغ من تبييضه في سنة ٨٩٩ الا وقد رفع جلال الدين السيوطي دعوى عليه امام شيخ الاسلام زكريا الانصاري . وهاك بعض ماورد في صحيفة الدعوى « انه يسرق من كتبه ويستمد منها وينسب النقل الى نفسه » طالبه شيخ الاسلام ببيان ما ادعاه . فقال انه نقل عن البيهقي وله عدة مؤلفات فليذكر انه نقله عنه . ولكنه رأى ذلك في مؤلفاتي فنقله وكان الواجب عليه ان يقول نقل السيوطي عنه

ماذا كانت النتيجة ؟ انظروا واعجبوا

صدر الحكم على القسطلاني بالترضية اللازمة للسيوطي وازالة مافي خاطره

كيف كان التنفيذ ؟

مشى القسطلاني من القاهرة الى الروضة (جزيرة المنيل) وكان السيوطي معتزلا عن الناس بها فوصل الى بابه ودقه فقيل له من انت ؟ فقال انا القسطلاني جئت اليك حافياً ليطيب خاطرك . فقال له : قد طاب . ولم يفتح له الباب

فأين اين ذلك الزمان مما نحن فيه الآن ؟ افرأيتم لو رفع المجني عليهم قضاياهم من هذا القبيل على السارقين الذين فاقوا القسطلاني قولوا لي بربكم هل كانت تكفينا المحاكم الشرعية والبطريركية والاهلية والمختلطة والقنصلية ولجنات النفي الاداري ؟

لعمري ان تجار الاحذية كانوا يفلسون كلهم في يوم واحد لو اقتدى السراق بما فعله القسطلاني !! ولكن التبجح وانتهاك الحرمات وصلا في زماننا الى درجة لامزيد عليها خصوصاً وان انتشار الطباعة ساعد على نمو هذا الطبع

وتلك الصناعة قد كان لها اصل عند العرب في مصر والاندلس وان كان الاثر الناطق بذلك قد ذهب من بلادنا ولكن الافرنج حفظوه لنا اثابهم الله عنا خير الثواب ووفقنا الى اقتفاء خطواتهم في النافع بدلا من تهالكنا على تقليدهم في كل ضار

اخبرني الاستاذ الفاضل حفني بك ناصف انه رأى خشبة محفوظة بمكتبة ويانا

عاصمة الشمال في جملة ما ازدانت به من آثار العرب وثمرات عقولهم وهذه الخشبة منقوشة عليها بالتجويف كتابة عربية مقلوبة على الطريقة المألوفة في اصطناع الاختام وانها كانت مستعملة لطبع الاوامر العسكرية وتوزيعها عَلَى الجنود كما هو الشأن في ايامنا هذه في « الغازته العسكرية » وذلك يستفاد من العبارات المنقوشة عليها وهذه الخشبة يرجع عهدها للفواطم وربما نشر صورتها عن قريب بعض علماء المستشرقين فتكون برهانًا عَلَى تولد هذا الفن بديار مصر

واما الاندلس فقد ترقت الى ما وراء هذه الخطوة الاولى فقد كان للاندلس في هذا الباب ثلاث خطوات

الاولى انهم قلدوا مصر في عهد الفواطم ولكن اثرهم لايزال باقيًا في ديارهم وها انا اطرفكم بصورة فتوغرافية منه كهدية للعيد السعيد وهي صورة الطابع الذي كان يستعمله اهل الاندلس في مدينة المرية عثروا عليه في اطلالها وخرائبها وهو مصنوع من الخشب والكتابة التي عليه تدل عَلَى انه كان مستعملا في قيسارية المرية ولفظة قيسارية تدل عَلَى السوق ولا تزال مستعملة بهذاالمعنى في القاهرة وفي كثير من مدائن الشرق واصلها مشتق من اسم قيصر كما انه اسم موضوع للدلالة عَلَى مدائن كثيرة بآسيا الصغرى منسوبة الى قيصر ولا شك ان هذا الطابع كان مستعملا بصفة الدمغة (التمغة) التي كانت مستعملة في مصر الى عهد قريب لوضعها عَلَى الاقمشة والزعابيط في نظير تأدية الرسوم المطلوبة لخزينة الحكومة

كذلك كان ذلك الطابع يوضع عَلَى الاقمشة والطرود التي يجب دفع الرسوم عليها قبل دخولها الى السوق اي القيسارية في تلك المدينة مدينة المرية كما يستفاد من الكلمات المكتوبة فيه وهي : طابع قيسارية المرية عام خمسين وسبعمائة

واما الخطوة الثانية فهي ان الاشراف على دار الطباعة كان من خطط الدولة . يدلكم عَلَى ذلك النص العربي الذي نبه اليه العلامة جاياتجوس الاسباني وهذا النص وارد في كتاب (الحلل السيرا) لابن الابار الاندلسي المشهور وقد طبع العلامة دوزي الهولاندي قطعة وافرة من هذا الكتاب الثمين في مدينة ليدن من سنة ١٨٤٧ الى ١٨٥١ . وانتم تعلمون ان ابن الابار هو الذي ارسله صاحب الاندلس ليستنجد بصاحب تونس . وهو ذلك الرسول الذي وقف بحضرة ملك تونس وانشده تلك القصيدة الطنانة الرنانة التي تستفز الجبان و يلين لها قلب الجماد . قال في مطلعها :

ادرك بخيلك خيل الله أندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

ومحل الشاهد ان ابن الابار يقول في كتابه المذكور ان عبد الرحمن الناصر الخليفة الاكبر (ولى بدر بن احمد الوزارة والحجابة والقيادة والخيل والبردوكان ينفرد (اي بدر) بالولايات فتكتب السجلات في داره ثم يبعثها للطابع فتطابع وتخرج اليه فتبعث العمال و ينفذون عَلَى يديه . نعم ان هذا النص سقيم و يحتاج الى تقويم ولا بد من مراجعة الاصل وتقويته بنصوص اخرى . وربما كان المراد وضع الطابع عليها . ولكن هذا الغرض بعيد لان الطابع عَلَى مانفهم لايصح وجوده بيد غير الوزير كما هو معهود في الدول الاسلامية حتى الى الآن في الباب العالي . والاظهر ان ذلك يشير الى اخراج نسخ متعددة من مطبعة حجرية لتبليغها الى اهل الولايات ورؤوس الواحات

اما الخطوة الثالثة النهائية فلنا عليها دليل مما اورده لسان الدين ابن الخطيب في كتابه المترجم بالاحاطة في اخبار غرناطة قال في ترجمة الشيخ ابي بكر القدسي مانصه :

والف كتاب الدرة المكنونة في محاسن اسطبونة، والف تأليفاً حسناً في ترحيل الشمس ومتوسطات البحر ومعرفة الاوقات بالاقدام ونظم ارجوزة في شرح ملاحن ابن دو يدار وارجوزة في شرح كتاب الفصح ورفع الوزير الحكيم كتاباً في الخواص وصنعة الامدة وآلة طبع الكتاب غريب في معناه)

هذه العبارة اكتشفها اثنان من علماء الافرنج تمكنا منها بشرح طويل في جرنال آسيا سنة ١٨٥٢ فأنتم ترون فضل عجم اوربا في البحث والتنقيب عن مآثر العرب . نعم انهما ارادا تصحيح العبارة العربية من حيث استقامة الكلام وتصورا ان فيها بعض الالتباس والابهام . فأخذ احدهما يصحح الجملة الاخيرة بما ليس له محل من الاعراب فقال (كتاب باقي خواص وصنعة وآلة طبع الكتب كتاباً غريباً في معناه) ولا يصح انما بان نهزأ بهم بسبب هذا التصحيح العليل السقيم ومافاته من الاعراض اما الجوهر فهو انهما اكتشفا هذا البرهان الدال عَلَى ان هذه الصناعة وجدت في ايام العرب ولو من باب النظريات العلمية اذ لم تجد لها للآن اثراً عملياً محسوساً ومن المعلوم ان الامدة (جمع مداد) تحتاج لتركيب مخصوص لكي تخرج منها نسخاً متعددة فلذلك كان المؤلف الاندلسي بين صنعتها و بين طبع الكتاب . ولما كان هذا الاستنباط البديع الغريب لم يسبق له مثال بالاندلس رأى صاحب الاحاطة وجوب التنبيه عَلَى فضل الكتاب فقال: غريب في معناه

فاين اين ذلك الكتاب الذي الفه القدسي ووصفه لسان الدين ابن الخطيب بانه غريب في معناه

لاشك انه ذهب طعمة للنار حينما علت كلمة الاسبانيين وطردوا المسلمين من تلك الديار فانهم كانوا كلما وقع لهم كتاب مكتوب بحروف عربية قالوا هذا قرآن وبادروا لطلب الغفران باحراقه بالنيران وبهذه الكتابة احرقوا تسعة اعشار ونصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمن وتسع الكتب العربية فلم يكد يخلص الينا منها واحد في الالف وكانوا يتهافتون بارتياح ونقوى الى ارتكاب هذه الجريمة الكبرى وهم يظنون انهم يحسنون صنعاً حتى ان احد كرادلتهم احرق في يوم واحد بمدينة غرناطة نحو الف الف كتاب . وكان هذا الصنيع بعمل الايمان

جمهورية البرتقال

من الانقلابات السياسية الاخيرة مناداة الاحرار في مملكة البرتقال بالجمهورية والقضاء على الملكية فاصبحت هذه الجمهورية ثاني جمهورية في اوربا ومنذ سنين لم يبايع بجمهورية مهمة في ممالك الارض الا في برازيل فكأن هذه المملكة وكانت في القديم تحت حكم البرتقاليين بدأت بنزع الملكية فاحبت أمها الاصلية ان لاتقصر عنها في المطالبة بالحرية .

نعم تغلب الاحرار او الحزب الجمهوري على المحافظين بعد اضطرابات دامت سنين ادت الى مقتل الملك كارلوس منذ نحو سنتين وعين ابنه عمانويل خلفاً له وها قد هاجر بلاده في الفتنة الى جبل طارق مخافة ان تتناوله الايدي باذى كما تناولت من قبل اباه .

ولما كانت للبرتقال صلة قديمة بممالك الشرق الاسلامي وحكومات العرب وكان هذا الانقلاب من الانقلابات التي لها علاقة كبرى بالتاريخ والاجتماع رأينا ان نأتي بنبذة قليلة من احوالها السياسية والطبيعية عسى تكون منها بعض فائدة فنقول :

البرتقال مملكة في الجنوب الغربي من اوربا يحدها من الجنوب والغرب البحر المحيط الاتلانتيكي او بحر الظلمات ومن الشرق والشمال مملكة اسبانيا ومنها ومن هذه المملكة تتألف شبه جزيرة ايبريا وتبلغ مساحتها السطحية ما عدا جزائر آ. ور ومادير ٨٨٩٥٤ كيلومتراً مربعاً وسكانها نحو ستة ملايين وعاصمتها لشبونة

ولاتفصلها عن اسبانيا تخوم طبيعية كاكثر الممالك وفيها انهار جارية وجبال عالية واعلى قممها الجبل المسمى رياسكا يبلغ ارتفاعه١٥٧٨ متراً وحرارة البلاد معتدلة تتجاوز في الصيف في مدينة قلربة «قويمبرا» ٢١ درجة وامطارها غزيرة في الشتاء قليلة في الصيف وانهارها حسنة جارية في الجملة واعظمها ماينبع من ارض اسبانيا ومنها مايجري في ارض البرتقال

واصول سكان هذه البلاد مزيج من عناصر وشعوب كثيرة فمنهم سليتون وابيريون ولاتينيون وشويفيون وفزيغوتيون وكثير من المغاربة والاسرائيليين وبعض الزنوج ففي لشبونة والكراف تقرأ الى الآن في سحنات البرتقاليين السواد مما يستدل به على كثرة من كانوا يحملون من الزنوج الى لشبونة خلال القرن السادس عشر (١٠ الى ١٢ الف زنجي كل سنة) وكثير من اهل برازيل . والدين الرسمي في البلاد الكثلكة اما سائر الاديان فالظاهر انها حرة يتسامح مع اهلها

وتعد مملكة برتقال من الممالك الدستورية وهي وراثية يتناوب الملك فيها ذكورها واناثها وقد نشر دستورها الاول في سنة ١٨٢٦ ثم عدل سنة ١٨٥٢ والقوة التشريعية هي لمجلس الكورتس او مجلس النواب والشيوخ والملك يصدق على مايقرره ويتألف مجلس الامة من مجلس اعيان ومجلس نواب وعدد الاعيان ٥٢ عضواً وراثياً و١٣ قسيساً و٩٠ عضواً يعينون مدة حياتهم وفي مجلس النواب ١٣٨ منهم سبعة عن المستعمرات ينتخبون من الشعب مباشرة من الاشخاص الذين حصلوا على بعض الرتب او الالقاب العلمية او ممن لهم دخل سنوي يربو على الفي فرنك . وللملك ان يدعو هذا المجلس او يحله وهو يعين رئيس الاعيان ويصدق على تعيين رئيس النواب . والامة تنتخب نوابها مباشرة ولايسوغ للملك ان يتغيب عن المملكة اكثر من ثلاثة اشهر بدون ان يأذن له المجلس والوزارة مؤلفة من وزير الداخلية ووزير المعارف والفنون الجميلة ووزير المالية والعدلية والمذاهب والحربية والبحرية والمستعمرات والخارجية والاشغال العمومية والتجارة والصناعة . وتقسم البلاد الى احد وعشرين مقاطعة ولكل واحدة عامل يعينه الملك ولكل ولاية مجلس عام انتخابي ولجنة اجرائية

وهذه البلاد زراعية وارضها موزعة كثيراً في الشمال وليست كذلك في الجنوب على ان عدم النظام في تقسيم الاراضي وهجرة السكان اضرت بالبلاد ضرراً بالغاً . واهم

غلات البلاد الكرم تكاد تكون زراعته عامة ومنه يخرج الخمر الجيد والحبوب تكثر في الشمال كما تكثر الغابات والاشجار المثمرة في الجنوب · وتكثر فيها تربية الماشية ودود الحرير والنحل · ولها موارد عظيمة من الصيد

ومعادن البلاد كثيرة في الجملة ومنها الثمين الا ان الفحم الحجري لا اثر له فيها ويكثر الملح في شطوطها البحرية وفيها عدة ينابيع معدنية يستفاد منها اكثر مما تستثمر مناجمها · والسواحل هي المراكز الصناعية في البلاد ومنها اعمال الحديد والآلات الحديدية وصنع السكاكين والمدى والنسج والغزل والدباغة والنجارة ومعامل القفافيز (الكفوف) والاحذية والدانتلة والمربيات والتبغ وغيره والخدمة العسكرية فيها اجبارية تكون ٢٥ سنة منها ثلاث سنين في الجيش العامل وخمس في الرديف الاول يخدم فيها الجندي شهراً واحداً كل سنة ليتعلم · وقدرت واردات الحكومة في السنة الماضية بنحو ١٥،٨٥٥،٠٠٠ جنيه ونفقاتها بنحو ١٦،١٥٧،٠٠٠ و يبلغ دينها ١٢١،٦٠٠،٠٠٠ جنيه ووارداتها زهاء خمسة عشر مليون جنيه وصادراتها نحو نصف ذلك والتعليم الابتدائي اجباري فيها لكنه كما هو في المملكة العثمانية اسم بلا جسم حتى بلغ عدد الأميين فيها منذ عشر سنين ٨٧ في المئة وهو ما لا نظير له في مملكة اوربية صغرى وفيها مدارس عالية كثيرة منوعة وعدد جيشها العامل ٣٠ الفاً وتستطيع ان تجند ٢٥٠ الفاً ايام الحرب ولها بحرية فيها ٦٠٠٠ ضابط وعسكري

وللبرتقال مستعمرات عظيمة لكنها جزء من مستعمراتها القديمة وكانت البراز يل من جملتها ايام كان للبرتقال القدح المعلى في استعمار افريقية وجنوبي آسيا · و يبلغ مجموع مساحة مستعمرات البرتقاليين الآن ٣،٨٥٠،٠٠٠ كيلومتر مربع فيها نحو عشرين مليون ساكن · فلها جزائر آسور وماديرا في المحيط الاتلانتيكي وجزائر الرأس الاخضر وسنغامبيا البرتقالية وغينة والقديس توما وجزيرة الامير في افريقية الغربية ولانكانا وكابندا ثم انكولا وبنكولا وموساميدس · ولها في افريقية الشرقية مملكة موزانبيق وسوفالا وغيرهما ولها في آسيا من المستعمرات كواوسالسيت ودامو وديو واعمالها وماكو ونصف تيمور وكامبنج مما يدل على ان جزائر السوند كان يملكها الملاحون الاول من البرتقاليين وكانت هذه المملكة في القديم جزءاً من لوزيتانيا استعمر الفينيقيون شطوطها ثم استولى عليها الرومان خمسة قرون ونصفاً وتقلبت بها الحال حتى اوائل القرن الثامن

للميلاد فاستولى عليها المسلمون وضموها الى مملكة الخلافة ولم يلبث ملوك النصارى في استوريا ان توسعوا في فتوحهم الى جنوبي الجبال وطردوا المغاربة الى غاليسيا واحتلوا لشبونة سنة ٩٥٣٠ ومن ذاك العهد نشأ اسم برتقال نسبة لمقاطعة بورتو واشترك البرتقاليون في محاربة المسلمين واجلائهم عن الاندلس وهزموا المسلمين كما يقول لاروس في معجمه في معركة سانتارم (١١٨٤) وساعدوا اهل قشتالة في حرب لاس نافا دي تولوزا (١٢١٢) وسالادو (١٣٤٠)

ونشأ للبرتقاليين بفضل عقول امرائها بحرية عظيمة وقام منها سياح عظام منهم الذين اكتشفوا جزائر ماديرو كناريا والرأس الاخضر والكونغو ورأس الرجاء الصالح كما وصلوا الى جزائر مالابار والصين والهند واليابان • وتجارة العطور والابازير والافاوية اغنت البرتقال قديماً في الزمن الذي اخذت تعتني فيه ايضاً بالآداب والصناعات • وقد كان لديوان التفتيش الديني فيها كما كان في اسبانيا شأن يذكر وأسس فيها سنة ١٥٢٦ • وكان من وفاة ملكها الدون سباستيان في وقعة القصر الكبير ان دخلت المملكة في يد فيليب الثاني ملك اسبانيا الا انها حاولت ان تتخلص منه اما هو فجعل بلادهم خديوية قشتالية ومنعهم من الاتجار مع شذاذ الآفاق من اهل بلاد القاع (هولاندة) فاخذ هؤلاء يجلبون الابازير والافاوية تواً من بلاد الشرق وانكسر الاسطول البرتقالي سنة ١٦٠١ في بانتام من اعمال جاوة واستولى الهولانديون عَلَى جزائر السوند وبنوا باتاويا وحلوا في سيام وسيلان واليابان وعَلَى شواطئ غينة وغويان

وفي سنة ١٦٤٠ انتقض اقليم كاتالونيا عَلَى صاحب اسبانيا فنزعت البرتقال يدها من الحكم الاسباني و بايعت دوك باراكانس ملكاً عليها فلما لمت المملكة البرتقالية شعثها حاربت اسبانيا خمساً وعشرين سنة واستعادت بعض مستعمراتها الا انها تركت بومباي للانكليز سنة ١٦٦١ وفي الربع الاول من القرن التاسع عشر انفصلت برازيل عنها • واذ مالت برتقال الى انكلترا اكثر من فرنسا لم تساعدها هذه في ازماتها السياسية وقد قامت في القرن الماضي باصلاحات اقتصادية مهمة منها وضع اصول « الكاداستر » عَلَى الاراضي والغاء الرقيق من المستعمرات وابتياع املاك الرهبان وتمديد الخطوط الحديدية واصلاح اصول المالية

والدليل عَلَى ان المسلمين حكموا تلك البلاد مدة سريان الفاظ كثيرة الى لغتهم من العربية وهي اقل مما في لغة اهل قشتالة وقد ألف دوزي المستشرق الهولاندي كتاباً في

الالفاظ التي اخذتها البرتقالية والاسبانية من اللغة العربية و يبلغ عـدد المتكلمين بالبرتقالية في برتقال وبرازيل وجزائر الرأس الاخضر وغيرها من المستعمرات البرتقالية في المحيطين والهند الصينية نحو عشرين مليون

وكانت هذه البلاد جزءاً من الاندلس و يطلق عليها اسم البرتقال[1] Portugal وهذا هو اسمها في كتب العرب لا بورتغال او بغير واو وعاصمتها لسبون Lisbonne التي يذكرها العرب باسم لشبونة واشبونة والاشبونة[2] ولا تزال في مدينة شنترة Cintra حصون العرب عَلَى قمم الجبال و بجانب بعضها مسجد باقية آثاره الى الآن وعَلَى مقربة منه قبر دفن فيه القوم عظاماً وجدوها ولم يعلموا انها للمسلمين او للنصارى فوضعوا عَلَى رجام القبر صورة الصليب وصورة الهلال والقسم الذي كانت تسكنه العرب في لشبونة يعرف عندهم باسم الحمة لابتشديد الميم ويسميه البرتقاليون الآن من باب التحريف الفاما ومنظر هذه المدينة يشبه المدائن الشرقية

ومن امهات مدن البرتقال مدينة كويمبرا Coimbra المعروفة في كتب العرب باسم قلمرية وهي الآن دار العلم ومحط المعارف في بلاد البرتقال . ومنها مدينة بورتو Porto واسمها في كتب العرب برتقال وبها يسمى هذا القطر برتقال كما نقول نحن الآن طرابلس وحاضرتها طرابلس وتونس وحاضرتها تونس وكما نقول بني سويف وبندرها بني سويف والفيوم وبندرها الفيوم والمنيا وبندرها المنيا وهكذا في اسيوط وقنا

وفي مدينة البرتقال هذه آثار كثيرة ولكن العرب لم يخلفوا فيها شيئاً يذكر لانهم كانوا يجيئونها فاتحين ثم يجوزونها الى غيرها من البلاد ولم ترسخ فيها قدمهم وقد تألف التجار عَلَى انشاء دار البورصة على الطراز العربي ونقشوا اكبر بهو فيها بحسب الاسلوب العربي وزينوه بالزخارف وكتبوا في ضمن رسومها البديعة اشعاراً عربية وفي جميع الطرازات هذه العبارة (عز لالانا السلطانة مريم ٢) يريدون عز لمولاتنا السلطانة مريم الثانية اهـ .

---

(١) السفر الى المؤتمر لاحمد بك زكي (٢) قال المقري في نفح الطيب واما غرب الاندلس ففيه اشبيلية وماردة واشبونة وشلب فمن اعمال اشبيلية شريش والخضراء ولبلة وغيرها ومن اعمال ماردة بطليوس وبايرة وغيرها ومن اعمال اشبونة شنترين وغيرها ومن اعمال شلب شنت رية وغيرها

اما القول بان العرب كانوا يجيئون البلاد فاتحين ثم يجوزونها الى غيرها فمسألة فيها نظر بعد ان قال ياقوت ان شنترة ملكها الافرنج (اي من المسلمين) سنة ٥٤٣ ونسب اليها قوم من اهل العلم . ولا يخرج من دولة علماء الا اذا رسخت اقدام حكومتها في البلاد .

وقال في شنترين انها مدينة متصلة الاعمال باعمال باجة في غربي الاندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصبابه في البحر المحيط وهي حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة اربعة ايام وهي الآن للافرنج ملكت سنة ٥٤٣

وقال في قلمرية « بضم اوله وثانيه وسكون الميم وكسر الراء وتخفيف الياء » مدينة بالاندلس وهي اليوم بيد الافرنج . وفي لشبونة ويقال لها اشبونة بالالف وهي مدينة بالاندلس يتصل عملها باعمال شنترين وهي مدينة قديمة قريبة من البحر غربي قرطبة وفي جبالها البزاة الخلص ولعسلها فضل على كل عسل الذي بالاندلس يسمى اللاذرني يشبه السكر بحيث انه يلف في خرقة فلا يلوثها وهي مبنية على نهر تاجه والبحر قريب منها وبها معدن التبر الخالص ويوجد بساحلها العنبر الفائق وقد ملكها الافرنج في سنة ٥٧٣ وهي فيما احسب في ايديهم الى الآن .

واصرح من هذا ما قاله المراكشي [1] قال وفي الحد المتوسط ما بين الجنوب والمغرب من المدن مدينة طليطلة وكونكة واقليج وطلبيرة ومكادة ومشربط ووبذ وابلة وشقوبية هذه كلها يملكها الادفنش وتسمي هذه الجهة قشتالة وتجاور هذه المملكة فيما يميل الى الشمال قليلا مدن كثيرة ايضاً وهي سمورة وشلمنكة والسبطاط وقلمرية هذه كلها يملكها رجل يعرف بالببوج وتسمى هذه الجهة ليون وفي الحد المغربي الذي هو ساحل البحر الاعظم اقيانس مدن ايضاً منها مدينة الاشبونة وشنترين وباجة وشنترة وشنياقو ومدينة يابرة ومدن كثيرة ذهبت عني اسماؤها يملكها رجل يعرف بابن الريق

وذكر في سيرة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن انه خرج سنة ٥٧٩ قاصداً غزو الاندلس قال : فقصد مدينة شنترين اعادها الله للمسلمين وهذه المدينة اعني شنترين بمغرب الاندلس وهي من امنع المدائن يملكها وجهاتها مع بلاد كثيرة هنالك ملك من ملوك النصارى يعرف بابن الريق وقد فصل ماوقع بينهما من الهزائم وكيف خرج ابو يعقوب وحمل في محفة وكيف هرب ابو الحسن المالقي الذي كان سبب هزيمة

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب

المسلمين الى مملكة ابن الريق فآواه صاحبها واكرمه الى ان بدا له من سوء رأيه ان يكتب كتاباً الى الموحدين يستعطفهم وادرج في ضمن ذلك فصلا يذكر فيه ضعف المدينة فاطلع الرجل الموكل به وكان يعرف العربية سراً فقبض عليه فشاور ابن الريق قسيسيه في امره فاشاروا عليه باحراقه فحرقه

وذكر المراكشي انه كان يملك الثغر الذي من الجهة الشمالية من الاندلس (بعد انقطاع الدعوة الأموية عنها) وبعض المدن المجاورة للبحر الاعظم ابن الافطس الملقب بالمظفر ثم كان له ابن اسمه عمر يكنى ابا محمد تلقب بالمتوكل على الله كان يملك بطليوس واعمالها ويابرة وشنترين والاشبونة قال : اتصلت مملكته الى ان قتل المرابطون اصحاب يوسف بن تاشفين ابنه المتوكل في غرة سنة ٤٨٥ وكانت ايام بني المظفر بغرب الاندلس أعياداً ومواسم وكانوا ملجأ لاهل الآداب وفيهم يقول ذو الوزارتين ابو محمد عبد المجيد بن عبدون من اهل مدينة يابرة قصيدته المشهورة التي مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر فما البكاء على الاشباح والصور

وبهذا علمت ان العرب استولوا على برتقال مدة لاتقل عن مائة وخمسين سنة فنبغ فيها رجال منهم وخلفوا آثاراً لاتزال شاهدة بفضل تقدمهم في العمران وان هذه المملكة التي انقطعت الآن بيننا وبينها انواع الصلات كانت من جملة ممالك الشرق وان كانت غربية وان لسانها اقتبس من لساننا وان التعصب الذميم الذي تم على يد القساوسة منذ القديم كان من المعجلات في نزع الملكية وقيام الجمهورية الآن

وقد كان اول عمل للجمهور بين طرد جماعة اليسوعيين من بلادهم واستصفاء الاديار والقضاء على الرهبان والراهبات لانهم لم ينسوا بعد مسعى رجال الدين في مقتل فرر رجل الاسبان الحر في العام المنصرم قتلوه بواسطة الحكومة على ابشع صورة عرفت في عصر النور والمدنية فلما ظفر الاحرار بالمحافظين قضوا القضاء المبرم عليهم وعلى تقاليدهم ليعرفوهم ويعرفوا الحكومات التي تعمد الى الشدة في معاملة امتها ان الناس لايحكمون الا باستمالة القلوب وان القوة اذا خيف منها زمناً فقد يأتي آخر يستهين بها اهله فيستميتون ويستبسلون

والضغط لايزيد النفوس الابية الا مضاء • وهكذا أُهين رجال الدين ولا سيما اليسوعيون وطردوا اوكادو من البرتقال كما طردوا من فرنسا من قبل وحرم عليهم دخول سويسرا وتوشك سلطتهم ان تتزعزع ايضاً في اسبانيا لمتاخمتها ارض برتقال واذا صحت

عزيمة البلادين المتجاورين عَلَى انشاء مملكة واحدة كما هو فكر بعض الخاصة هناك تصبح جمهورية اسبانيا والبرتقال واحر بها ان تسمى جمهورية ايبريا من الحكومات القوية ذات الشأن العظيم ، وربك يفعل مايشاء ويختار

رحلة الى قلمون الاسفل (١)

عَلَى اربع ساعات من شمالي دمشق واد منبسط بين جبلين متسامتين طوله من سفح ثنية العقاب الى مزرعة الناصرية لا يقل عن ست ساعات وعرضه ساعتان تربته بيضاء ورباعه مخصبة ومياهه موفورة بحيث لو حفرت عشرة اذرع او اكثر ينبط الماء غزيراً مع ان الجبلين المتناوحين من شمال الوادي وجنوبيه لاشجر فيهما ولاغابة تزينهما . ولو كانا مغروسين بالسنديان والزان والبلوط والشوح لكان هذا الوادي بامطاره الغزيرة وريه المتواصل اشبه باخصب السهول السندسية ولذا كان جبل قلمون ضعيفاً بريه وان لم يكن كذلك بزكاء تربته ، والعالي والاسفل او التحتاني منه متشابهان وان كانت سهوله اخصب من آكامه وتلعاته ومياه الاعالي اعذب من مياه الاسفل . وفي قلمون الاسفل من القرى الامهات ما يطلق عَلَى امثاله في ديار الغرب اسم بلدة و ذلك مثل الرحيبة وجيرود والمعظمية والقطيفة وضمير وكلها ذات تاريخ قديم وعمران طبيعي وهي بكثرة نفوسها يزيد عمرانها اليوم كلما انبسط ظل السلام فيها وامن اهلها عَلَى مواشيهم من غارات اشقياء الصفا وجبل الدروز المجاورين لهم من جهة الجنوب والجنوب الشرقي عَلَى مسيرة يوم من هذه البلاد

ولقد كان عرب الصفا واللجاة وجبل حوران يغزون منذ سنين اهل قرى قلمون الاسفل في عقر دارهم و يرعون زروعهم و ينهبون ناطقهم وصامتهم ولذلك ضعف عمران تلك الديار حتى عَلَى قيد غلوة من القصبات والدساكر فاصبحت الا قليلا مزارع حقيرة ومداشر . وقلت الاشجار فيها حتى في ضواحي القرى وعَلَى شواطئ الجداول والانهار لان الفلاح اصبح لا يفكر الا في رزق سنته فاذا نجا عامه من شرور النهب فهو سعيد آمن والا فيقضي عليه ان يعيش في فقر ليس بعده فقر وذلة هي الموت بعينها او يهيم على وجهه الى اقليم آخر يكون اقرب الى الامن والامان يطلب معاشه بالعمل مأجوراً وكان

(١) المقتبس م ٤ ص ٣٥٩

يستطيع ان يعيش اميراً من ارض اورثه اياها آباؤه واجداده لو كان له حكومة تفكر فيه وتدفع عنه بوائق الدهر وعواديه وتعرف ان ما تتقاضاه اياه من الضرائب والاتاوات ليس الا لتحميه

ومن الغريب ان الامن ما كاد يرفع رواقه في هذه الديار وتنتظم اصول الادارة بالنسبة لما كانت عليه في القرن الماضي مثلا حتى مرت الى الاهلين هنا نغمة الهجرة الى اميركا ففدا هذا الجبل بمن هجره شقياً وكان يسعد بهم لو توفروا عَلَى خدمة ارضه واستثمار شجره واستنبات غلاته وتعدين مناجمه والعمل لاستبحار عمرانه ولا يقل عدد المهاجرين من هذا الوادي عن خمسمائة من اصل نحو عشرين الف نسمة وكل يوم يزيد نازحهم وقلما يعود احد منهم . يذهب الشبان الاقوياء ويبقى في الاكثر الاطفال والكهول والشيوخ حتى كادت تسوء الظنون في مستقبل هذه البلاد وهي اذا لم توفق الى النهوض بنشاط شبانها هيهات ان تعمر بتكاسل شيوخها وكهولها وخمولهم .

قلنا تعدين مناجمها لان جبالاً من مثل هذه لا تخلو من مناجم فاذا كانت بقعة واحدة وهي جبرود[1] وما اليها تحتوي في جملة ماتحتوي من الغلات والثمرات عَلَى اربعة اصناف من العناصر التي تقل او لا توجد في غيرها فما بالك لو بحث في قرى هذا الجبل وحده عما يكنه صدره من الخيرات الطبيعية .

نعم في جوار جبرود عَلَى مسافة ساعة منها المملحة التي يصدر منها الملح الجيد للطعام وتكفي الوف القناطير التي يمكن استخراجها من سورية باجمعها ولذلك يكتفى باستخراج كمية قليلة منه لان في جوار تدمر وحماة وصفد مملحات اخرى ينتفع بملحها دع عنك ما في سائر الاقطار العثمانية من هذا الجزء المفيد

وبالقرب من المملحة معدن الجبس او الجبصين ينبشونه من الارض قطعاً مستطيلة بطول شبر او شبرين وعرض ثلاثة اصابع وثخن اصبعين يستخرج العامل القنطار الشامي منه بسبعة قروش وقد لا يستخرج قنطاراً منه في اليوم الواحد فيأخذه ضامنه من ادارة الغابات والمعادن ويجعله في تنور كبير يحرقه وعندها يستحيل الى جبس يدخل في الابنية والتبليط والنوافذ وغير ذلك

هذان هما المعدنان اما النباتان فهما نبات القلي او الاشنان يقطعونه ويجعلونه في

(١) في معجم البلدان جرود بدون ياء وقال انها من اقليم معلولا من اعمال غوطة دمشق ولعلها كانت تابعة للغوطة

حفر يوقدون فيها النار فيستحيل الى قلي · ومن شواطئ المماحة التي لايقل طولها عن ساعتين وعرضها عن ساعة ينبت السل او قش الحصر وهذا القش يخرج في بقاع اخرى ولكن احسن القش ماخرج من جبرود ولذلك ترى كل حصري في دمشق يحرص عَلَى ان ينسج حصره من قش جبرود لمتانته ورونقه ·

فبلاد هذا بعض مغلها الطبيعي خصت بزكاء المنبت وجمال الطبيعة تخرج منها الحبوب عَلَى انواعها والثمار عَلَى اختلاف اشكالها ثم يظل اهلها في جهالة عَلَى قربهم من دمشق ام المدن السورية بل عاصمة هذه البلاد العربية وذلك لقلة المواصلات بينهم وبينها ولان الحكومة لايهمها الا ان تأخذ من اهلها حقوقها ولا تقوم بما يجب عليها لهم من الحقوق

ولو كان الاهالي في قلمون والمرج والغوطة يفكرون في مستقبل بلادهم حق التفكير ويحبون ان يبقى اولادهم لهم لا ان يربوهم لينزحوا الى اميركا ويتشتتوا في البلاد لطلبوا من الحكومة امتياز سكة حديدية ضيقة كالمعروفة في مصر بالسكك الحديدية الزراعية وبذلك تصدر الصادرات على ايسر وجه وتتساوى في الابعاد القرى القاصية والدانية ·

بالسكك الزراعية أُحيي موات مصر وقربت مسافاتها والتحمت اجزاؤها واذا كان يتعذر الآن ربط دمشق ببغداد بسكة حديدية تجتاز الغوطة والمرج وقلمون والقريتين وتدمر الى العراق لاختلاف المصالح السياسية فلا اقل من ان يقوم اغنياء دمشق وهذه الاقاليم ينشئون سكة ضيقة تصل بين هذه القصبات بوصلة العمران ففي الغوطة من امهات القرى مثل دومة وعربيل وجوبر وسقبا وفي المرج مثل ضمير وعتيبة وعذراء وفي قلمون مثل يبرود وديرعطية وقارة والنبك وجيرود والرحيبة والقطيفة وغيرها مايجدر بارباب الاموال ان يتدبروه ويضموا اشتات هذه الاجزاء المتفرقة التي لاتجد بينها طريقاً معبداً ولا بريداً ولا سلكاً برقياً ولا طبيباً ولا صيدلياً ولا كاتباً ولا حاسباً بل تجد فيها الناس يعيشون بعيدين عن محيطهم لايعرفون عنه اكثر ما يعرف ابن السودان عن سكان مراكش في حين ترى المسافات قريبة وابعد قرية عن الفيحاء لا تبعد مائة كيلومتر او يوماً وبعض يوم عَلَى ظهور المطايا

مثال ذلك اننا قصدنا الى هذا الجبل يوم وقفة عيد الصغير فكان الفلاحون يسألوننا كلما وقفنا لنريح مركباتنا فيما اذا كان ذاك اليوم من رمضان او انه روئي هلال العيد

وثبت في دمشق اما من كنا نسألهم عن فتنة جبل الدروز فكانوا لايعرفون من امرها الا ان الحكومة جيشت جيشاً عليهم ولا يعرفون ماتبع ذلك من تأديب الدروز على حين هم احق الناس بالفرح بهزيمة الاشقياء لانتشار ظل الامن في تلك الربوع ولانهم طالما تأذوا بهم ونهبت مواشيهم وقتل رعاتهم وزراعهم ٠

ولاسبيل الى عمران هذه البلاد الا بالامن والعلم فمن جملة اسباب الامن مد الخطوط الحديدية الزراعية التي تقل نفقاتها وتكثر فوائدها المادية والمعنوية فتتضاعف اثمان الاراضي هنا كما يتضاعف دخلها وتكثر اشجارها ومواشيها والعلم لاينتشر الا اذا هب اعيان البلاد وعقلاؤها الى انشاء مدارس لابنائهم خاصة تجري على غير الخطة التي يسيرها عليها ديوان المعارف ٠ تسير في التعليم عَلَى طريقة يتعلم بها الفلاحون لغتهم فقط بحيث يقرؤن ويكتبون فيها في الجملة ويعرفون المبادئ الاولى من الحساب والطبيعة والنبات والحيوان وشيئاً من تربية المواشي وحفظ الصحة والرياضة البدنية واصول الدين٠ يمارسون كل ذلك بالعمل اكثر من النظر ٠

فلو قامت في كل قرية من قرى قلمون مدرسة ابتدائية كالتي انشأها في جيرود كبيرها محمد باشا الجيرودي ووقف عليها بستاناً فيه صنوف الثمار لايقل ريعه السنوي عن عشرة آلاف قرش لاصبح قلمون بعد عشرين سنة ارقى جبال سورية لما فطر عليه اهله من الذكاء والنشاط ٠

ثم استحق الزعيم المنوه به كل شكر لانه جرى عَلَى غير سنة كبرائنا في السخاء فكان فيما نظن ثاني رجل في هذا القرن الرابع عشر وقف عَلَى العلم في سورية مثل هذا الملك الذي لايقل ثمنه الآن عن ثلاثة آلاف ليرة ٠ والرجل الاول هو فيما نذكر محمد باشا المحمد من امراء عكار وقف على مدرسة دينية هناك ما يكفيها ٠ اما سائر اعياننا واغنيائنا فلم يوفقوا الا قليلا الى وقف مايوليهم في دنياهم واخراهم فخراً وذخراً ولعل اعيان هذه البلاد من الأسر العريقة في المجد تقدم بعد الآن بين يدي نجواها من البذل للعلم ما تقر به العين فيحذون في ذلك حذو اغنياء الاقاليم في مصر الذين نهضوا بها وما انشؤه لفلاحيهم من الكتاتيب في بضع سنين مالا تنهض به امة تنتظر من حكومتها ان تعلمها في قرن اوقرنين ٠ وليت شعري متى تنبعث من دمشق نفحة من تلك الروح التي انبعثت في القاهرة ففاضت عَلَى اقاليم مصر فاحيتها حتى يكون حظ المصريين واحداً في النهوض اليوم كما كان كذلك في القرون الوسطى ٠

مخطوطات ومطبوعات

كتاب المثنى

قال ابن ساعد [1] : ان علم اللغة هو نقل الالفاظ الدالة عَلَى المعاني المفردة وضبطها وتمييز الخاص بذلك اللسان من الدخيل فيه وتفصيل مايدل فيه على الذوات مما يدل عَلَى الاحداث وما يدل على الادوات وبيان مايدل على اجناس الاشياء وانواعها واصنافها مما يدل عَلَى الاشخاص وبيان الالفاظ المتباينة والمترادفة والمشتركة والمتشابهة . ومنفعة الاحاطة بهذه المعلومات خبراً طلاقة العبارة والتمكن من التفنن في الكلام وايضاح المعاني بالالفاظ الفصيحة والاقوال البليغة .

ولقد طبعت كتب كثيرة في اللغة ولا يزال يظفر باشياء لم يكتب لها الظهور وقد اوقع الينا من مكتبة احد علماء هذه الحاضرة نسخة من كتاب المثنى تأليف حجة العرب ابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي الذي ذكره السيوطي في بغية الوعاة فقال انه عبد الواحد علي ابو الطيب اللغوي الحلبي الامام الاوحد .

قال في البلغة له التصانيف الجليلة منها مراتب النحويين ، الطيف الاتباع ، الابدال ، شجر الدر ، وقد ضاع اكثر مؤلفاته وكان بينه وبين ابن خالويه مناقشة مات بعد الخمسين وثلثمائة . وقال الصفدي : احد العلماء المبرزين المتقنين لعلمي اللغة والعربية اخذ عن ابي عمر الزاهد ومحمد بن يحيي الصولي واصله من عسكر مكرم قدم حلب واقام بها الى ان قتل في دخول الدمستق حلب سنة احدى وخمسين وثلثمائة .

وكتابه هذا في ١٣٠ ورقة اكبر من الربع عليه حواش وتعليقات مفيدة كتب على الحاشية ان اكثرها بقلم ابن الشحنة وابن مكتوم القيسي تلميذ ابي حيان وفيه نقص من وسطه ونقص قليل من آخره الا انه لايحول دون الانتفاع منه لان النسخة قديمة على مايظهر وهي حسنة الخط بالشكل الكامل والصحة غالبة عليها بحيث يسهل تمثيلها بالطبع دون الرجوع الي الامهات لتصحيح الفاظها واثبات الروايات المعتمدة في ضبطها وليس في الكتاب تاريخ نسخه ويرجح انها مما كتب في القرن السابع او الثامن .

جاء في مقدمته مانصه : « بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل عَلَى محمد النبي وعَلَى آل

(١) هو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المتوفى سنة ٧٤٩ صاحب كتاب ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

محمد . قال ابوالطيب عبد الواحد بن علي اللغوي : انه ليس شيء من كتبنا وان قصرت ابوابه وقلت اوراقه وضمر حجمه وصغر جسمه باقل فائدة في معناه للمتعلم ولا انزر عائدة في مغزاه عَلَى المتفهم من غيره وان اسهبنا فيه واغرقنا في معانيه حتى طارت اصوله وانشرحت فصوله بل كل واحد بحمد الله عَلَى غاية ما يمكننا من الكمال فيما اقتصرنا به عليه ونهاية التمام فيما انتهينا به اليه ومامن شيء توخيناه من ذلك ولا تعمدناه الا لغرض في الافهام تحريناه وحرص عَلَى الاعلام الذي اردناه وكل من الله سبحانه وبه . فاذا كانت بغيتنا فيما نعانيه وارادتنا فيما نعيده ونبديه معونة اللقن المستفيد والتقريب عَلَى ذي الفهم البعيد والحاق الكهام البليد بالذكي الحديد وكان ذلك لوجه الله خالصاً موفوراً لانريد به جزاء ولاشكوراً فانا غير قانطين من تفضله جلّ اسمه علينا بالارشاد وتوفيقه ايانا للسداد والله عند ظن عبده وكافل لمن استرشده برشده ولاقوة الا بالله . ونحن قاصدون في كتابنا هذا قصد ماورد من كلام العرب مثنى في الاستعمال تثنية لازمة ومبتدؤون بشرح وجوهه وتقصيها وذكر ضروب توسعهم فيها فنقول ان جميع ماورد على ذلك من الاسماء عشرة اصناف الاثنان غلب احدهما عَلَى اسم صاحبه الاثنان جمعهما في التثنية اتفاق اسميهما الاثنان غلب نعت احدهما عَلَى نعت صاحبه الاثنان جمعا في التثنية لاتفاق نعتيهما الاثنان غلب عليهما لقب واحد منهما الاثنان يجمعهما لقب واحد الاثنان ثنيا باسم اب او جد او احدهما ابن الآخر فغلب اسم الاب الاثنان اللذان لايفردان من لفظهما الاثنان في اللفظ يراد بهما واحد الاثنان يثنيان وان اكتفي باحدهما لم ينقص المعنى واما ماورد من ذلك من الافعال فصنفان من الفعل المبني على صيغة التثنية والمراد به تكرير الفعل . الفعل يجيء لفظه لاثنين ومعناه لواحد ونحن نبوب هذه الابواب ونأتي عَلَى مافيها او جمهوره ان شاء الله . »

« هذا باب الاثنين غلب اسم احدهما عَلَى اسم صاحبه قال الاصمعي وابو عبيدة قولهم سار في الناس سيرة العمرين انما يريدون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال الفراء نحو ذلك وسمع معاذاً الهراء يقول لقد قيل سنة العمرين قبل عمر بن عبدالعزيز وجاء في حديث انهم قالوا لعثمان رضي الله عنه نطلب منك سيرة العمرين فهذا يدلك عَلَى صحة ماقلنا »

وهنا اخذ المؤلف يورد الامثلة في هذا الباب مثل الخنثفان والزهدمان والبجيران والعتبان والعبدان والحيدان والعقامان والنافعان والشريفان والعشاءآن والامقسان

والقربان والقمران والمربدان والطلحيتان واباناں والنيران والمشرقان والضمران والدحرضان والكيران والموصلان والصباحان والبصرتان والغدوان والمطران · وشرحها شرحاً موجزاً واستشهد لها بكلام العرب واورد في باب التثنية لاتفاق اسميهما السعدان لسعد بن زيد مناة بن تميم وسعد بن ملك بن زيد مناة بن تميم والمروان لمرو الشاهجان ومرو الروذ · والفرقدان والقطبان والناظران والوريدان والاجدلان والذراعان والمسجدان قال بعد الامثلة الكثيرة وهذا باب يفوت الاحصاء ويدخل فيه الاذنان والعينان والجبينان والحاجبان والخدان والوجنتان واللحيان والعارضان وما اشبه ذلك

وقال في باب الاثنين غلب نعت احدهما على نعت صاحبه مثل الاسمران الخبز والماء والاسودان التمر والماء والاخضران البحر والليل والابيضان الخبز والماء والباكران الصبح والمساء ويقال لها الرائحان والابيضان الشحم · الشباب · وقال في باب الاثنين جمعا في التثنية واورد لفظ الاقهبان الفيل والجاموس الاحمران الخمر واللحم والاصفران والاسودان والازهران والايهمان والاعميان والاطيبان والاخبثان الخ ·

واتى على هذا النحو من تفصيل الابواب تفصيلا حسناً وشرحها شرحاً احسن

وقال في الاتباع الذي اوله الالف : قال ابوملك تقول العرب في صفة الشيء بالشدة انه لشديد اديد وهو من الاد والأد القوة الا ان الاديد لا يفرد قال الراجز

نضوت عني شرة واداً من بعد ما كنت حملا نهداً

ويقال جيء به من عيصك وأيصك اين من حيث كان ولم يكن فالعيص الاصل والايص اتباع الخ

وقال في الاتباع الذي اوله الباء يقال انه لحسن بسن وانه لكثير بثير وانه لقليل بليل الخ وقال في التوكيد الذي اوله الباء : يقال فر وله بصيص واصيص وبصيص من الفزع وكله بمعنى الصوت الضعيف ويقال انه لغض بض وغاض باض وهي الغضاضة والبضاضة قال ابو زيد والبضاضة رقة البشرة وقال الاصمعي هي رقة البشرة والبياض وقال ابو زيد قد يكون الاسم بضاً ويقال انه لسرٌ برٌّ وسار بار وانهم لسارون بارون وسرون برون قال الشاعر

اخوة ما تلمت سرون برون فان غبت فالذئاب الجياع

وهكذا اتى بباب الاتباع على حروف المعجم فاستوفاه ولم نعثر في شيء من كتب اللغة المطبوعة على اكثر استيفاء لهذا المبحث من هنا · وفي آخر هذا الفصل البديع انتهى

بحسب الظاهر الكتاب . وجاءت بعده قطعة اخرى في اللغة على تلك الشاكلة ولكنها تكاد تتجاوز ثلاثة ارباع الكتاب فمن امثلته : الباء والشين يقال ارب على القوم وارش عليهم اذا حمل عليهم ووشى بهم وهو يؤرب على القوم تأريبًا ويؤرش تأريشًا ويقال غلام بلبل وشلشل اذا كان خفيفًا ظريفًا . وقال في الباء والفاء : ابو زيد يقال خذه بابانه وخذه بافانه اي بزمانه وحينه وانشد

فهلا بافان وفي الدهر غرة ... تزور وفي الايام عنك عقول

وعلى هذه الصورة كانت سياقة هذه الابواب المفيدة ولها نظائر من كتب اللغة المطبوعة

وهاك نموذجًا آخر : الجيم والقاف قال الاصمعي : يقال لكل ذي حانوت كربج وكربق والكربج والكربق ايضًا اسم الحانوت وهو فارسي معرب وسئل عن كثير فقال كان كربجًا قال ابو حاتم يعني صاحب حانوت ويقال هو الفالوذج والفالوذق واعطاني من الشعير او الحنطة كيلجة وكيلقة . ابو عمرو يقال انه لحسن الجسم وحسن القسم بمعنى واحد والقسم هو الجسم بعينه وانشد

طبيخ نحاز او طبيخ اميهة ... دقيق العظام سيء القسم املط

ويقال انباجت عليهم بايجة من الدهر وانباقت عليهم بايقة وهي البوايج والبوايق اي الشدائد والدواهي قال الشاعر وهو الشماخ يرثي عمر رضي الله عنه

قضيت اموراً ثم غادرت بعدها ... بوايج في اكمامها لم تفتق

وفي الحديث لن يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوايقه اي دواهيه قال ابن احمر

اخاف بوايقا تسري الينا ... من الاشياع سراً اوجهارا

ومن الامثلة الكثيرة ماورد في « العين والنون » الاصمعي يقال اعطيته اعطاء وانطيته أنطيه انطاء بمعنى واحد ومنه قول الاعشى

جيادك في القيظ في نعمة ... تصان الجلال وتنطا الشعيرا

والدعفص والدنفص من الرجال الزري المنظر القميء ويقال عسل الذئب يعسل عسلانا ونسل ينسل نسلانًا وهو ضرب من المشي تضطرب فيه متناه وفي التنزيل : فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وشكا عمرو بن معدي كرب الى عمر بن الخطاب رحمة الله عليه المعص فقال : كذب عليك العسل اي عليك بالعدو قال الشاعر:

عسلان الذئب امسى قاربًا ... برد الليل عليه فنسل

وهكذا تجد الكتاب من اوله الى آخره سلسلة فوائد لغوية حرية بالتدبر والاستظهار ولو اتسع المجال لاكثرنا من الامثلة وفيما اوردناه مقنع فعسى ان تصح عزيمة بعض الطابعين والمؤلفين على نشره ليضاف الى المجموعة اللطيفة التي طبعت مؤخراً من كتب اللغة مثل كتاب فقه اللغة للثعالبي والالفاظ الكتابية للهمداني وتهذيب الالفاظ لابن السكيت والنوادر لابي زيد والاضداد لابن بشار الانباري والفصيح لثعلب وذيله للبغدادي وفصيح اللغة للهروي وفعلت وأفعلت للزجاج ومبادئ اللغة للاسكافي واساس البلاغة للزمخشري والمقصور والممدود لابن ولاد وغير ذلك من المختصرات والمطولات كرسائل الدارات للاصمعي ورأس تلك الكتب الممتعة المخصص لابن سيدة المطبوع والمحكم له الذي يرجى طبعه عما قريب

اعمال الاعلام

فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام تأليف لسان الدين ابن الخطيب طبع في بلرم صقلية سنة ١٩١٠ ص ٦٨

احتفل علماء الطليان في المشرقيات بمرور مئة سنة على مولد ميشل آماري المستشرق الايطالي الذي صرف حياته كلها في درس التاريخ الاسلامي ولاسيما ما كان متعلقاً منه بجزيرة صقلية التي دانت للمسلمين زمناً طويلاً فوضعوا لذلك كتاباً اتى كل واحد بنبذة تاريخية اواجتماعية نشرها • ومن جملة مانشرهذا الجزء من تاريخ ابن الخطيب • نشره حسن حسني افندي عبد الوهاب استاذ التاريخ في المدرسة الخلدونية بتونس بدعوة من صديقه الاستاذ نالينو الايطالي ومكافأة لذكرى من خدم الاسلام والمسلمين في اوربا طول حياته وقد علق الناشر بالافرنسية شروحاً وحواشي على هـذا الجزء تدل على بعد غوره وتدقيقه على اسلوب الاوربيين • وللكتاب مناسبة كبرى بتاريخ شمالي افريقية وصقلية والاندلس وفيه ذكر من ولي الملك بصقلية قال لسان الدين في وصفها : قال ابو محمد الرشاطي : صقلية جزيرة كبيرة وصقلية اسم لاحدى مدنها الكثيرة وقلاعها الاثيرة وطولها مسيرة خمسة ايام وهي في البحر الشامي موازية لبعض بلاد افريقية واقرب المواضع اليها من بلاد افريقية رأس أدار بينهما مجرى يوم وتوازي من الجهة الاخرى ارض الروم الكبيرة وافتتحت في اثنتي عشرة ومائتين وكانوا قبل ذلك معاهدين ولافتتاحها خبر شهير • وقال ابو الحسن ابن جبير في رحلته يصف مدينة مسينة واخبار ملوكها : هذه المدينة موسم تجار الكفار ومقصد جواري

البحر من جميع الاقطار كثيرة الارفاق برخاء الاسعار مظلمة بالكفر لا يقر فيها للمسلمين قرار اسواقها دافقة حفيلة وارزاقها واسعة بارغاد العيش كفيلة لا تزال بها ليلك ونهارك في امان وان كنت غريب الوجه واليد واللسان وذكر بعد مدينة مسينة المدينة المعروفة ببلارمة فقال فيها سكنى الحضر من المسلمين ولهم فيها المساجد والاسواق المختصة بهم والارباض وسائر المسلمين بضياعها وجميع قراها ومدنها كسرقوسة وغيرها وبهذه المدينة سكنى ملكها غليام وشأنه عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين وهو كثير الثقة بهم وساكن اليهم في احواله والمهم من اشغاله ومنهم وزراؤه وحجابه وهم اهل دولته المرتسمون بخاصته وعليهم يلوح رونق مملكته لانهم في الملابس الفاخرة والمراكب الفارهة ولهذا الملك القصور المشيدة والبساتين الانيقة وهو كثير الاتخاذ للقيان والجواري وليس في جميع ملوك الرومية اشرف منه في الملك ولا انعم ولا ارفع وهو يتشبه في تنعمه بالملك وترتيب قوانينه وتقسيم مراتب رجاله وتفخيم ابهته واظهار زينته بملوك المسلمين. وملكه عظيم جداً وله الاطباء والمنجمون وهو كثير الاعتناء بهم شديد الحرص عليهم . ومن عجيب شأنه انه يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته الحمد لله حق حمده وكانت علامة ابيه الحمد لله شكراً لانعمه . وجواريه وحظاياه في قصره مسلمات كلهن . وذكر لنا ان الافرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة يعيدها الجواري المسلمات . وذكر مدينة شيفلود فقال هي مدينة ساحلية كثيرة الخصب واسعة المرافق منتظمة الاشجار والاعناب مرتبة الاسواق يسكنها طائفة من المسلمين وذكر مدينة ثرمة فقال هي احسن وضعاً من التي تقدم ذكرها وهي حصينة تركب البحر وتشرف عليه وللمسلمين فيها ربض كبير لهم فيه مساجد وهذه المدينة من الخصب وسعة الرزق على غاية وذكر المدينة التي هي حاضرة صقلية فقال هي ام الحضارة والجامعة بين الحسنيين غضارة ونضارة فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر وموارد عيش اخضر عتيقة انيقة مشرقة مونقة تتطلع بمرأى فتان وتتخايل بين ساحات وبسائط كلها بستان فسيحة السكك والشوارع تروق الابصار بحسن موضعها البارع عجيبة الشأن قرطبية البنيان قد زخرفت فيها لملكها دنياه تنتظم بلبتها قصوره انتظام العقود في نحور الكواعب وتتقلب في بساتينها وميادينها بين نزهة وملاعب فكم له فيها لا عمرت من مقاصر ومصانع ومناظر ومطالع وكنائس قد صيغ من الذهب والفضة صلبانها وديارات قد زخرف بنيانها وللمسلمين بهذه المدينة رسم باق من الاسلام يعمرون اكثر مساجدهم ويقيمون الصلاة باذان

مسموع ولهم ارباض قد انفردوا بها باسمائهم وبسكناهم ولهم فيها قاض وجامع يجتمعون للصلاة فيه ويحتفلون في وقوده واما المساجد فكثيرة لاتحصر واكثرها محاضر لمعلمي القرآن واطنب في شبهها بمدينة قرطبة · وذكر مدينة طرابنش واطنب في ذكر الجميع بما لامرغب في اطالته اذ يجر التفجع و بثير التوجع اعادها الله دار ايمان بقدرته اهـ »

وذكر من ولي على هذه الجزيرة من الملوك الى ان تغلب عليها الروم واستولى عليها رجار ملك النصارى في زمن المرابطين عَلَى عهد الاموي المستعلي من ملوك الشيعة بمصر عندما استولت الروم عَلَى بيت المقدس والجزائر اوقبل ذلك بيسير وتداول هذه الجزيرة امراء الى ان انقطع عنهم امداد المسلمين لاشتغال كل جهة بما يخصها من الفتن فكان استخلاص العدو لها في سنة خمس وثمانين واربعمائة وذكر المؤلف من خرج من هذه الجزيرة من المحدثين والعلماء والفقهاء والشعراء والكتاب مثل ابن حمديس الصقلي قدم عَلَى المعتمد بن عباد عند الجلاء لحادثتها فكان اثيراً لديه وهو القائل مما الم فيه بذكر صقلية :

قضت للصبا النفس اوطارها ... وابلغها الشيب إنذارها
نعم واجالت قداح الهوى ... عليها فقسمن اعشارها
وما غرس الدهر في تربة ... غراساً ولم يجن اثمارها
فافنيت في الحرب آلاتها ... واعددت للسلم اوزارها
كميتاً لها مرح بالفتى ... اذا حث باللهو ادوارها
تناولها الكوب من دنها ... فتحسبه كان مضمارها
وساقية زررت كفها ... عَلَى عنق الظبي ازرارها
تدير بياقوتة درة ... فتغمس في مائها نارها
وفتيان صدق كزهر النجوم ... كرام النجائر احرارها
يديرون راحاً تفيض الكؤوس ... عَلَى ظلم الليل انوارها
كأن لها من نسيج الحباب ... شباكاً تعقل طيارها
وراهبة اغلقت ديرها ... فكنا مع الليل زوارها
حدانا اليها شذا قهوة ... تذيع لانفك اسرارها
فما فاز بالمسك الا فتى ... نيم دارين او دارها
كأن نوافجه عندها ... دنان مضمنة قارها

طرحت بميزانها درهمي فسيل في الكاس دينارها
خطبنا بنات لها اربعاً ليفترع اللهو ابكارها
من اللاء اعصار زهر النجوم تكاد تطاول اعمارها
تريك عرائسها ابديا طوالا تصافح اخصارها
تفرس في شمسها طيبها مجيد الفراسة واختارها
فتى دارس الخمر حتى درى عصير الخمور واعصارها
يعد لما شئت من قهوة سنيها ويعرف خمارها
وعدنا الى هالة اطلعت على قضب البان اقمارها
يرى ملك اللهو فيها الهموم تثور فيقتل ثوارها
وقد سكنت حركات الاسى قيان تحرك اوتارها
فهذي تعانق عوداً لها وتلك تقبل مزمارها
وراقصة لقطت رجلها حساب يد نقرت طارها
وقضب من الشمع مصفرة تريك من النار نوارها
كأن لها عمداً صففت وقد وزن العدل اقطارها
تقل الدياجي على هامها فتهتك بالنور استارها
كأنا نساط آجالها عليها فتمحق اعمارها
ذكرت صقلية والاسى يهيج للنفس تذكارها
فان كنت أُخرجت من جنة فاني احدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعي انهارها
ضحكت ابن عشرين من صبوة بكيت ابن ستين اوزارها
فلا تعظمن عليك الذنوب اذا كان ربك غفارها

وقد اجاد الناشر في التعليق على الرسالة بعض مافات المؤلف من رجال صقلية او هاجروا منها الى افريقية وذكر اناساً منهم فنشكره على تحفته

درس التاريخ الاسلامي

تأليف الشيخ محي الدين الخياط . القسم الثاني طبع على نفقة المكتبة الاهلية في المطبعة العصرية ببيروت ص ٨٧

اجاد مؤلف هذا التاريخ بتسهيل مطالبه وتنسيق عباراته بحيث يتناوله التلميذ على

ايسر وجه بعبارة لطيفة وهذا الجزء يشتمل عَلَى تاريخ دولة الخلفاء الراشدين وماحدث من الاحداث الاولى في الاسلام . وكنا نود لو صحت عزيمة المؤلف عَلَى شكل مواضع الاشكال من عباراته حتى تقوى ملكة الفصيح اوالتلاوة المعربة في التلميذ وان يعلق شرحاً خفيفاً في الهامش عَلَى بعض الاعلام ولاسيا الجغرافية فيكون التلميذ عَلَى بصيرة من مواقع البلاد التي تعرض له ويجتمع له منها مجموعة معجم صغير للبلدان التي فتحت للصدر الاول . وذلك مثل الجابية والبلقاء و بصرى والعربة واليرموك وقيسارية وعمواس وسبطية والرها وبرقة والقادسية وجلولاء والاهواز وقرقيسيا والجزيرة وكذلك بعض اعلام فارسية مثل مكران وطخارستان وماسبذان وابيورد وطوس فان التلميذ لا يقنعه ان تقول له مكران من بلاد فارس خصوصاً وان كثيراً من اسماء هذه البلاد قد تغير الآن عن اصله اودثرت برمتها . ثم انا لاحظنا ايجازاً في العبارات كاد يكون مخلاً في بعض المحال مثل اقتضاب الجملة التي قالها هرقل لما سار من الشام الى القسطنطينية بائساً والتفت الى الشام وقال : « السلام عليك ياسوريا سلاماً لااجتماع بعده » وقد كتب التاريخ انه قال هكذا : « السلام عليك ياسورية سلام لااجتماع بعده ولايعود اليك رومي ابداً الا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم وياليته لايولد فما احلى فعله وامر فتنته عَلَى الروم »

المهاجر السوري

تأليف جميل افندي بطرس حلوة طبع في مطبعة جريدة الهدى اليومية في نيويورك ص ١٥٤

من انفع الكتب الاجتماعية والاقتصادية التي نشرت بالعربية هذه الآونة هذا الكتاب الذي وضعه مؤلفه من مهاجرة السوريين في اميركا الشمالية لفائدة المهاجر السوري الى ارض خريستوف كولمبس فقد بحث بحثاً مستوفى فيما ينبغي للمهاجر عمله حتى ينجح بدأه بلمحة من تاريخ مهاجرة السوريين ونشوئها ومؤسسيها وعدد السوريين في الولايات المتحدة واعمالهم وقد قال في ذلك ان الاحوال قد تحولت والشؤون تبدلت واميركا اليوم غيرما كانت عليه منذ خمس عشرة سنة وذلك ليكون المتخلفون في الوطن عَلَى بصيرة وانتباه ولاسيما ان السياسة قد بشرت بالترقي والتحسن والحرية بالتقوى والتمكن وسورية غنية بمناجمها وآكامها ورياضها ومائها وهوائها ولا ينقصها الا بذل الاموال عليها وتوجيه العزائم اليها حتى يفيض منها اللبن والعسل .

وذكر ان الهجرة لاترجع الى ابعد من خمسين عاماً كان الباعث عليها اختلال الجاري

الاقتصادية في السلطنة العثمانية . وقد انكرنا عليه قوله ان الصواعق في عهد الحكومة الحميدية كانت تقع عَلَى رؤوس نصارى الشرق دون سواهم وعَلَى فلوسهم يعيش الجاسوس والمنافق لما ثبت لدى العارفين ان المسيحيين ان لم يكونوا سواء واخوانهم المسلمين في المعاملة فقد كانت حقوقهم مرعية اكثر وقولنا هذا في مسيحيي سورية لا في غيرها خصوصاً وان اكثر المهاجرين من لبنان ولبنان باستقلال ادارته كان اكثر دعة من غيره من الولايات

وقال انه هاجر الى الولايات المتحدة فقط من سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٨ خمسة آلاف نسمة وكلما نجح افراد زادت الهجرة وفي الولايات المتحدة من السور بين الآن عدد يبلغ الثلثمائة الف اذا حسبنا تكاثرهم عَلَى سبيل التوالد

وقد تكلم المؤلف بحرية فقال ان البعض من المتجولين عَلَى تقديرانهم في بلاد غربة وعَلَى زعم ان لارقابة عليهم ولا معاينة خلعوا عنهم تبعة الاستقامة والصدق والامانة جارين بذلك عَلَى انفسهم نقمة الوطنيين ولعنة المواطنين

واجاد في كلامه عَلَى المرأة السورية المهاجرة واشار الى ما تتعرض له من الهوان وثلم الشرف باتجارها واشار بان تعفى من هذه المذلة فالمال لا يكون شريفاً تحصيله من هذه السبل

وعقد فصولا كثيرة في المهاجرة والدولة والمهاجرة ومقتضياتها واستئصال النخاسة وحماية العمال والخطر الاصفر وتفريق المهاجرين في الولايات عوضاً عن تجمعهم وضريبة الدخول عَلَى النفوس والفحص ومراقبة الحكومة وما ينبغي للمهاجر ان يكون له من المال ويكون عليه من الصحة والهندام . وتكلم على عمران الولايات المتحدة واجاد فقال يكفي ان يقال عن مساحة الولايات المتحدة ان ولاية تكسس فقط منها تسع انكلترا وجرمانيا وفرنسا وايطاليا مجموعات ! واورد دستور الولايات المتحدة وحقوق الرعوية فيها ورئاسة جمهوريتها وتذاكر التجنس بالجنسية الاميركية وغير ذلك من القوانين النافعة لتصور حالة تلك البلاد وهو مما ينفع المهاجرين وغيرهم فنشكر للمؤلف تحفته التي نفع بها ابناء وطنه

كتب متفرقة

نقد النصائح الكافية — تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي وفيه تعديل معاوية وقبول مرويه ومروي الصحابة الذي كانوا معه وبيان الاعتدال والانصاف كما هو مذهب الائمة وفلاسفة الاسلام وهو في ٤٤ صفحة طبع في مطبعة الفيحاء بدمشق ومن احسن

ماراقنا فيه الفصل المعنون ببيان ان كتب الحديث مشتركة بين الامة يرويها الشيعي عن السني وبالعكس وان عادة السلف الرواية عن المخالفين في المذهب وان كتب الحديث هي ايمانية محمدية لاشافعية ولا غيرها والكتاب جيد كسائر ماخطته يراعة الاستاذ

الاخلاق — هو كتاب عربه عن الانكليزية محمد افندي الصادق حسين صدر الجزآن الاولان منه ومؤلفه صموئيل سميلز من مشاهير الانكليز و يطلب من مكاتب القاهرة

الصحة من السعادة — تأليف الطبيب مصطفى السعادة صدر الجزء الاول منه في ١٦٦ صفحة وفيه كثير من القوانين الصحية والتدابير الاهلية يطلب من مؤلفه في بيروت

ديوان الانشاء — هو مختصر في المراسلات العصرية تأليف محمد عمر افندي نجا في بيروت في ٢٢٤ صفحة وفيه كثير من الفوائد والرسائل التجارية يطلب من مؤلفه ومن مكاتب بيروت

الاسلام حافظ الذمم فيما بين الامم — تأليف عبد الوهاب افندي سليم التنير من افاضل بيروت وفيه رد على بعض قسس البروتستانت الذين تناولوا الاسلام بما حط من شأنه آخذاً من كتب الافرنج ومنشوراتهم وتواريخهم غير مغفل ماورد في الاسلام نفسه وهو في ٤١ صفحة

الدرر — اعادت المطبعة الادبية في بيروت طبع « الدرر » لاديب بك اسحق من كتاب الطبقة الاولى من الصحافيين في القرن الماضي وفيه مقالاته وقصصه وخطبه وآثاره ومراثيه وكل مايتعلق بذلك وهو من جمع شقيقه عوني افندي اسحق وقد وقع في ٦١٦ صفحة

مجلتان جديدتان

مجلة الاقتصاد — هي زراعية صناعية تجارية مصورة لمنشئها انبال افندي ابيلا تصدر في بيروت مرتين في الشهر في ٣٢ صفحة وقيمة اشتراكها في العام خمسة بشالك ماعدا اجرة البريد وفيها عدة مقالات نافعة منها مقالة في بلجيكا واقتصادياتها جاء فيها ان مساحة انكلترا ٣١٥ الف كيلومتر مربع وسكانها ٤٠ مليونًا ومعدل السكان في كل كيلومتر ١٢٦ والديون العمومية ١٧ ملياراً والتجارة ١٧ ملياراً وطول سككها الحديدية ٣٥ الف كيلومتر ومساحة البلجيك ٢٩،٤٥٠ وسكانها ٧ ملايين ومعدل سكانها ٢٢٤ وديونها ٢،٧ مليار وتجارتها ٣ مليار وطول سككها ٤٥٠٠ ومساحة النمسا والمجر ٦٢٥

الف كيلومتر وسكانها ٤٤ مليونًا ومعدل الساكن في كل كيلو متر ٦٩ وديونها ١٦ ملياراً وتجارتها ٤٧ مليون وسككها ٢٥ الف كيلومتر ومساحة المانيا ٥٤٠ الف كيلومتر مربع وسكانها ٥٣ مليونًا ومعدل الساكن في كل كيلومتر ٩٧ وديونها ١٦ ملياراً وتجارتها ١٠٧ وسككها الحديدية ٤٩ الف كيلومتر ومساحة روسيا ٥٤٣٠٠٠٠٠ وسكانها ١٠٦ ملايين ومعدل السكان ١٩ وديونها ١٦ ملياراً وتجارتها ٤ مليارات وطول سككها ٤٠ الف كيلومتر ومساحة ايطاليا ٢٩٠ الف كيلومتر وسكانها ٣٢ مليوناً ومعدل سكانها في كل كيلومتر ١٠٩ وتجارتها ٣ مليارات وسككها ١٦ الف كيلومتر ومساحة فرنسا ٥٣٦ الف كيلومتر وسكانها ٣٨ ومعدل السكان ٧٢ ساكنًا في كل كيلو متر وديونها ٣٥ ملياراً وتجارتها ٧٠ وسككها الحديدية ٤٢ الف كيلو متر اما البلاد العثمانية فمساحتها ٤ ملايين كيلومتر مربع وسكانها ٣٨ مليونًا ومعدل السكان في كل كيلو متر ١٠ اشخاص وديونها ٥ مليارات وتجارتها ١٠ مليار وسككها الحديدية ٥٠٠٠ كيلو متر بما فيه طريق الحجاز

العالم الجديد — مجلة شهرية تصدر بالعربية في نيو يورك وتبحث في شؤون اجتماعية واقتصادية ولغوية وفكاهية وتاريخية اطلعنا عَلَى العددين السابع والثامن منها فرأيناهما حافلين بالموضوعات والمباحث النافعة لمنشئها سلوم افندي مكرزل وقيمة اشتراكها دولاران ونصف وهي في عشرين صفحة كبيرة

سير العلم والاجتماع

مدارس الصحافة

حاول الغربيون ان يعلموا فن الصحافة في المدارس فأُنشئت في باريز سنة ١٨٩٩ مدرسة للصحافة فلم تلبث ان اصبحت منتدى تقرأ فيه محاضرات ومسامرات وخطب في موضوعات لها علاقة بالصحافة . وفي ليل قام اوجين تافرنيه سنة ١٨٩٦ فالقى عدة محاضرات في وظائف الصحافي وفي لندن انشأ وليام روث مدرسة للصحافة يدرس فيها علاوة عَلَى كيفية كتابة المقالات اصول طبع الجريدة وفي اميركا ولا سيما في الولايات المتحدة انشؤا عدة صفوف في المدارس الكلية لتعليم الصحافة ولا سيما في فيلادلفيا

وشيكاغو واضافوا في ولاية كنساس الى دروس التحرير والانشاء درساً في كيفية جلب الاخبار وامتازت سويسرا والمانيا في هذا الشأن فاشتركت برن وزوريخ وجنيف وهايدلبرغ وبرلين في تعليم فن الصحافة · قالت احدى المجلات الافرنجية بعد ايراد ما تقدم : وياليت شعري هل اثمرت هذه الاعمال ما كان يتوقع منها وهل دخل الاصلاح في الصحافة من هذا التعليم ؟ فالجواب بالايجاب صعب · فينبغي للصحافي مع ما يجب لصناعته من المعارف الفنية كفاءآت متنوعة ومزايا طبيعية وصفات في الثبات والارادة ويصعب تعليمه هذه المهنة بدونها مهما اجلسناه عَلَى دكات المدارس على انه لا ينكر ان التعليم العالي يجب ان يعنى بعد الآن بالمسائل المهمة التي تخوض الصحافة عبابها وان مدارس الصحافة التي هي متممة للدروس العالية تخدم خدمة نافعة في هذا الشأن

الساحات للصحة

قال الفيلسوف جان جاك روسو : ان نفس الانسان مضر بالناس · ولكن هذه القاعدة لم تطبق في المدن ولذلك كثرت فيها الامراض فقد تبين بالاستقراء ان المدن التي تكون ساحاتها العامة اكثر والهواء والشمس يتخللها تقل فيها الوفيات بالسل وان في لندن يقل عدد الموتى بالسل الى ثلث عدد من يهلكون به في باريز لان ساحات لندن اكبر من ساحات باريز بثلاث مرات تصرف عليها الملايين لاعتقادها النفع منها للناس · قلنا فاين ساحاتنا في المدن الكبرى وحدائق النزهة ·

مكاتب الشعب

قدم قيم مكتبة مدينة بلفنا الروسية الى مؤتمر الكتب والمستندات في بروكسل تقريراً في خزائن كتب الشعب في بلغاريا فقال انه يعضدها جمعيات مؤلفة اعضاؤها من ارباب الحرف المختلفة فلكل مكتبة محل فيه خزانة الكتب وغرفة المطالعة التي تعرض فيها المجلات والجرائد السياسية والمصورة · وقال ان مدينة بلفنا كان فيها سنة ١٨٨٨ — ٨٠ مجلداً فاصبح فيها الآن ١١ الفاً وانه عول ان يجري عَلَى طريقة مجمع الكتب الدولي الذي عقد في بروكسل وهو ان تصنف الكتب بحسب موادها وتجعل لها فهارس بذلك

يابان الاقتصادية

نشرت يابان احصاء بالحالة الاقتصادية في بلادها خلال سنة ١٩١٠ فبلغت مساحتها السطحية ٤٤٨٢٤٣ كيلومتراً مربعاً يدخل في ذلك جزائر فرموز وبسكادور وصقالين

وكان سكانها سنة ١٩٠٩ — ٥٣،٢٧٤،٩٨٠ منهم ٥١،١٦٩،٥٨١ في البلاد الاصلية وقد زاد السكان منذ سنة ١٨٩١ عشرة ملايين فيكون بذلك ١٣٣ ساكناً في كل كيلومتر مربع · وقد نظمت يابان ماليتها بعد الحرب الروسية اليابانية وسنت قواعد في الميزانية مملوءة بالحكمة وحددت الخرج والدخل السنوي بحيث تتحامى عقد قروض جديدة وان تسارع الى وفاء ما عليها من الديون فلا تميل الى ان تطلب اموالاً جديدة بل قللت ما امكن ما كانت وضعته من الاعتمادات لبعض المشاريع وارجأت دفع النفقات اللازمة لبعض الاعمال العامة وضربت لها مدداً متطاولة لتخف السنة بعد السنة

وعزمت هذه الحكومة ان تدفع كل سنة خمسين مليون يان او ١٢٩،١٥٠،٠٠٠ فرنك كل سنة لوفاء الديون العمومية وازمعت ان تزيد هذا القدر حتى تستهلك جميع الديون التي عليها ومع كل هذا فهي تزيد في ميزانيتها العادية وميزانيتها فوق العادة فكانت هذه السنة ٤٠٢،٨٦٠،٠٠٠ يان للاولى و١١٤٦١٩٩٧٨ يانًا للثانية واهم النفقات التي زادوا فيها مخصصات الامبراطور وزيادة رواتب الموظفين والضباط والتوسعة عَلَى الجند واكثر النفقات فوق العادة بذلت في استهلاك دين الامبراطورية · وبداعي النظام الجديد في الجباية نزلت الضرائب عَلَى العقارات والسكر احد عشر مليون ونصف مليون يان وزادت من جهة اخرى واردات الحكومة العادية بتحسن بعض الضرائب الاخرى وحاصلات الطوابع والبريد واحتكار الملح والكافور والتبغ · وقلت النفقات الغير العادية مليونين ونصف مليون يان · هذا وقد كانت الميزانية منذ خمس سنين ٢٧٧ مليون يان فارتقت عَلَى حين فجأة ابان الحرب الروسية اليابانية الى ٤٢٠ مليونًا

وبلغت تجارة يابان الخارجية سنة ١٩٠٩ — ٨٠٧،٣١١،٣٥٤ يانًا منها ٤١٣١١٣،٠٠٠ من الصادرات و٣٩٤،١٩٩،٠٠٠ في الواردات واكثر صلات يابان التجارية مع الصين والولايات المتحدة ثم تجيء فرنسا فالمانيا فانكلترا · وطول خطوطها الحديدية ٥٠٢٠ ميلا منها ٤٥٤٢ ملك الحكومة و ٤٧٧ تستثمرها شركات كلفت ٥٣٥ مليون يان ومع ان معدل دخل سكك الحكومة اكثر من دخل سكك الشركات فالحكومة تريد ان تجعل محاسبة خطوطها عَلَى صورة تجارية

فوائد التلفون

نشر احد الالمانيين كتابًا في الفوائد التي نجمت في التجارة من التلفون جاء فيه

ان ما انفقته المانيا الى آخر سنة ١٩٠٤ ١٥٢٠٠ مليون مارك لانشاء السكك الحديدية و ٢٦٤ مليون مارك لانشاء الاسلاك التلفونية · وكانت الولايات المتحدة انفقت الى سنة ١٩٠٢ — ١٨٢٣ مليون مارك وان النظام الاقتصادي الحديث قائم اليوم عَلَى اساس نقل الاخبار بسرعة ففي الاسلاك التلفونية مبادلة للمفاوضات الشفاهية في بقعة واسعة من الارض ولا تزال المسافات بين الاسلاك تبعد كلما كمل الفن وتم العلم والتلفون افضل من التلغراف ولكنه لا يقوم مقامه واستعمال التلفون يستلزم اقتصاداً عظيماً في الوقت وبه سهل تكاثر الصلات التجارية وكان يتعذر بدونها دوامها وساعد عَلَى اعتدال الاسعار وتحكم التجار فيها والتلفون اداة نافعة في تقسيم العمل وتوزيعه، فالواجب تنزيل اسعاره حتى يشترك في منافعه الفقير والغني عَلَى السواء

النجاح الالماني

كان من نتيجة آخر احصاء قامت به المانيا منذ ثلاث سنين ان كان عدد سكان المانيا ٦٢٠٠٣٦٠٠٠ اخذت افادات كافية عن ٦١٠٧٢١٠٠٠ ساكن وقد صرفت المانيا عَلَى هذا الاحصاء الاخير وحده زهاء ستة ملايين مارك فكان عدد الاشخاص العاملين في الصناعات الرئيسة ومنهم الخدمة ومن لاموطن لهم والاشخاص المستقلون بلا عمل ٣٠٠٦ مليون وفي المانيا ٢٠٣ مليون ارباب الاملاك وموظفين فاذا حذف عدد الاشخاص المستقلين وهم بلا صناعة تجد عدد العاملين ٢٦٠٨ مليون اي زهاء ٤٣ في المئة من مجموع السكان وكان سنة ١٨٨٢ ١٧ في المئة فقط · وتقسم هذه الصناعات والحرف الى ثلاثة اقسام رئيسة وهي الزراعة ويدخل فيها البستنة وتربية المواشي والغابات والصيد · والصناعات الصغرى والكبرى والتجارة والنقل وقد زاد عدد العاملين في كل فرع من فروعها وقل عدد المشتغلين بالزراعة عَلَى نسبة معتدلة فكان عدد العاملين في الزراعة سنة ١٩٠٧ ٣٢ مليونًا على حين بلغ عدد هذا العدد ٤٣ مليونًا سنة ١٨٨٢ وبلغ عدد من يتعاطون الزراعة مباشرة في سنة ١٩٠٧ — ١٧ مليونًا وعدد المشتغلين بالصناعات ١١ مليونًا وزاد عدد السكان سنة ١٨٩٥ الى ١٩٠٧ نحو عشرة ملايين التهمت الصناعة منهم ثلاثة اخماسهم وربعهم انصرف الى التجارة والنقل وهكذا كان بحسب الاحصاء الاخير ٢٠٥٠١٠٠٠ شخص من مديري الزراعات و ٧٠٢٨٣٠٠٠ من العملة و ٩٩٠٠٠ من المستخدمين و ١٠٩٧٧٠٠٠ مدير في الصناعة و ٦٨٦٠٠٠ مستخدم و ٨٠٥٩٣٠٠٠ عامل و ١٠٠١٢٠٠٠ مدير في التجارة و ٥٠٠٠٠٠ مستخدم

و ١،٩٦٠،٠٠٠ عامل . وزاد عدد الاشخاص العاملين باكثر سرعة من عـدد المعامل وكثر انضمام المعـامل بعضها الى بعض واحتفظت الزراعة بالقسم اللازم لهـا من السكان ونبذت الآخر للعمل في التجارة والصناعة

مطالعات

قال ابوالعلاء المعري واجاد ماشاء :

مثل الفتى عند التغرب والنوى ... مثل الشرارة ان تفارق نارها
ان صادفت ارضاً ارتك خمودها ... او وافقت اكلاً ارتك منارها

وقال الآخر وقد ابدع :

وكم قائل مالي رأيتك راجلاً ... فقلت له من اجل انك فارس

وقال البحتري ولم يبق مجالا لقائل :

الجاهلان اثنان من دون الورى ... فافطن أُخيَّ وان هما لم يفطنا
من قال ما بالناس عني من غنىً ... من جهله اوقـال بي عنهم غنى

فضائل الهند ثلاثة وضع كتاب كليلة ودمنة المشهور والشطرنج والارقام التسعة الهندية

قال يونس النحوي : الايدي ثلاث يدٌ بيضاء و يد خضراء و يد سوداء فاليـد البيضاء هي الابتداء بالمعروف واليد الخضراء هي المكافأة عَلَى المعروف واليد السوداء هي المن بالمعروف

كتب رجل من العلماء الى يزيد بن حاتم يستوصـله فبعث اليه ثلاثين الف درهم وكتب اليه (اما بعد فقد بعثت اليك بثلاثين الفاً لا أُكثرها امتناناً ولا أُقللها تجبراً ولا استثيبك عليها ثناء ولا اقطع لك بها رجاء والسلام)

عيسى اسكندر المعلوف

احصاء الحيوانات

قدم الاستاذ سيبلي الى مجمع ترقية العلوم البريطانية احصاء في انواع الحيوانات قال فيه لقد كثرت منذ نحو نصف قرن الحيوانات ذوات الثديين كثرة زائدة فبعد ان كانت ١٢٠٠ نوع اصبحت ٢٣٠٠ و بعد ان كانت اجناس الطيور ٣٦٠٠ ارتفعت الى ١١٠٠٠ وكان عدد الدبابات ٣٤٣ فصارت ٣٤٠٠ وعدد الاسماك ٣٥٠٠ فاصبحت ١١٠٠٠ والحيوانات التي لا فقار لها كذات الصدف ١١٠٠٠ فعد منها ٣٣٠٠٠ والحيوانات ذوات القشر من ٢٩٠ الى ٧٥٠٠ والعناكب من ١٠٤٨ الى ٣٠٧٠ والهوام من ٤٩١٠٠

الى ٢٢٠١٥٠ واجراء البحر ونجومها من ٢٣٠ الى ١٨٠٤٣ والديدان من ٣٧٢ الى ٦٠٧٠ وكان مجموع الانواع المعروفة سنة ١٨٤٠—٧٣٥٨٨ فاصبحت سنة ١٨٨١ ٣١١٦٥٣ ومازالت في ازدياد سنة عن سنة

انكلترا والاقتصاديات

نشرت الحكومة الانكليزية احصاء مهماً في الوفيات والولادات قالت فيه ان عدد الوفيات سنة ١٩٠٨ كان ١٥ في الالف في انكلترا و ١٦ في الالف في البلجيك و١٨ في بروسيا و٢٠ في فرنسا وان من يموتون من الاطفال في روسيا فاحش جداً فقد بلغ ٢٦٨ في الالف وقد تبين من هذا الاحصاء نجاح انكلترا كثيراً في الامور الاجتماعية منذ خمسين سنة وقلة المواليد فيها فقد كان معدل الولادات فيها سنة ١٨٥٠ — ٣٣ في الالف فنزل سنة ١٩٠٥ — الى ٢٧ في الالف وان الفقراء يكثرون عن ذي قبل وكذلك يكثر ايداع الناس اموالهم في صناديق التوفير وتتسع دور العملة بفضل المجالس البلدية وتقل الامراض المعدية وتزيد مسافة الانفراج بين غلاء المعيشة والمياومات وان مايشغل بال انكلترا هو في الحقيقة مسألة العطلة الاسبوعية

حماية الاطفال

في اميركا انشئت اول جمعية لحماية الاولاد سنة ١٨٧٦ وفيها اليوم ٣٥٠ جمعية تتوخى هذا الغرض واهم هذه الجمعيات هي في مدينة نيويورك في بناية عظيمة ذات ثماني طبقات خدمت الانسانية خدمة تذكر فبمساعيها ابطل اكراه الاولاد على الشحاذة او بيع الزهر في الليل ومنع الموسيقيون السيارون والباعة وغيرهم ان يستخدموا صغار الاطفال فاذا وصل اليها طفل تفحصه فحصاً طبياً فان رأت فيه تشويهاً في بعض اجزاء جسمه تختار له عملاً يوافق مزاجه وبذلك انقذت منذ تاريخ تأسيسها ١٦٠٩٧٧ طفلا

الهواء الطلق

وضع احد علماء كوبنهاغن عاصمة الدانيمرك طريقة جديدة في الاستشفاء فارتأى ان يسير المرء مكشوف الرأس حافي القدمين و يتجرد ابداً من الثياب فلا يكثر منها اذا امكن و ينام بدون قميص و يفضل السير راجلاً على ركوب المركبات والترامواىات والدراجات وقد اخترع نوع من القبقاب ليلبس في الارجل بدل الاحذية المتعارفة حتى يتخلل الهواء الرجل على نحو الطريقة التي اخترعها الخوري كنيب في الاستحمام

للاستشفاء بالماء البارد · اما الجوارب فقد حظر لبسها في الارجل قال ولا بأس بوضع قماش مسرد عَلَى الساقين وقال ان النزلة الصدرية كادت تسطو عليه منذ بضع سنين فرأى ان يداويها في الحال بالمشي السريع فتصبب جسمه عرقًا ونجا من الاصابة بها · وقد احدثت هذه الطريقة الجديدة في الصحة اخذاً ورداً بين الباحثين والعالمين في الغرب فكأن واضعها يريد ان يعود بالانسان الى العيش الطبيعي

الخط المائل والمستقيم

اتفق جمهور من الاطباء في جلسة لهم في باريز عَلَى ان الخط المستقيم لا يتأتى معه للولد ان يجلس جلسة طبيعية بسبب التنقل الدائم في يده اليمنى فان حركة ذراعه تحدث تعباً في الاعصاب فيكون هذا الخط متعباً جداً و بطيئًا جداً وتنشأ عنه اخطار للاولاد المستعدين لتشويه الجسم والكزاز (الشنج) الذي يصيب الكتاب اما الخط المائل فانه يكتب عَلَى صورة اسهل من المستقيم ولذلك يقل اتعابه للولد وتكون به جلسته اكثر انضباطًا وهذه الطريقة هي التي يفضل تعليمها في المدارس وان الخط المستقيم لا يحول دون حسر البصر كالخط المائل او المنحني

نصائح للعلمين والمتعلمين

كتب احد المشتغلين بتربية العقول يقول ان التربية المدرسية يجب ان لا تختلف عن التربية البيتية فيفرض عَلَى التلامذة ان يعنوا باسباب الحشمة والحرية والارادة والنظر والتعقل وهكذا يتعلمون ما يجب بانفسهم ولانفسهم قال واياك ايها التلميذ ان تحاول الرجم بالغيب فالتكهن هو صورة من صور الكذب · والتفت الكاتب الى الاساتذة فنصح لهم ان يحترموا شخصية تلامذتهم كل الاحترام وان يدركوا معنى التبعة التي تنوء عليهم و يقولوا في انفسهم ان المدرسة اذا لم تسر سيراً حسناً فذلك ناشيء من المعلمين لا المتعلمين فعلى الاستاذ ان يحذر الغفلة والتوسع في الرحمة كالتوسع في الشدة وان تكون مطالبهم من المتعلمين بحسب سنهم فيجب ان لا يخافهم التلميذ ولكن لا يبغضهم وان تكون تربيتهم استقلالية لا اتكالية اي لا كالة الموظف مع سيده · وهنا وجه كلامه الى المديرين فقال عليكم ان لا تنسوا ان الواجب ان يعامل الناس باكثر مما يستحقون

المقتبس

الجن

عند غير العرب من امم الشرق والغرب

طالعنا في مجلة « المقتبس » الغراء ماحاكت برودة وطرزت بنوده يراعة صديقنا الابر الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي بقية اعلام دمشق عن اعتقاد العرب في الجن وما ورد في اسفار الدين واشعار التابعين واقاصيص السلف من الاحكام والنوادر والآثار الحاكية عنهم الآتية على وصفهم واحوالهم فراقنا منها حسن التبويب ودقة النقل وبراعة اللهجة ووضوح المنهاج وسعة الاستيعاب الى غير ذلك مما لا يستكثر في جانب ماهو مشهود من فضل الشيخ اعزه الله وحدانا الاعجاب بما هنالك الى تحبير مقالة موجزة تكون لها كالتكملة تأتي عَلَى ماعند غير العرب من امم الشرق والغرب من امثال هذا الاعتقاد . وهو موضوع بكر لم يتسور جداره فيما نظن مفترع قبل ولم يحم حوله قلم شرقي على ما اتصلت اليه مطالعاتنا حتى اليوم

ولقد بذلنا جهد المستطيع تنقيباً عن مواده المستترة في ثنايا الصحف والمبعثرة في زوايا المطولات وتخيراً للاصح من المصادر والاصدق من الروايات فجاءت مقالتنا — عَلَى مانعهده بذاتنا من الضعف — طرفة يرغب فيها وامنية يسعى اليها وما احراها ان تكون مع رسالة الشيخ سفراً مستقلاً يرجع اليه عشاق الدراسة والاستبصار من ناشئة الوطن وادبائه فان اتيتم على هذه البغية كنتم من المحسنين

تمهيد

كثر عداد من يزعمون ان العرب هم المنفردون دون سائر الناس في الاعتقاد بالجن اعتقاداً دينياً سنداً الى ماورد في كتابهم الموحى من صريح النصوص القائلة بوجودهم — كما

في سورة الرحمن والاحقاف والجن — وتوارثاً لما جاء في اقاصيص الجاهلية مما دوّنه الثقات واثبته المؤرخون واتى على بيانه الشيخ بحيث لم يبق مجالاً لتفصيل وتعليل . وفي ذلك الزعم من الخطإ والوهم ما لا يحتاج الى دليل فانك لو رجعت الى كتب الامم القديمة من كل بيئة وجنس ومذهب لرأيت في تضاعيفها ما يؤيد كون الاعتقاد بالجن كان منتشراً بين البشر مستفيضاً في كل قبيلة وفصيلة وشعب ممن اهل بهم المعمور من الارض شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً بادية وحضراً لا يستثنى منه قوم ولا تبرأ منه أمة ولكن على تباين في الآراء واختلاف ببعض الفروع .

فالظاهر ان الاعتراف بوجود ارواح يتوقع شرها كالاقرار بوجود آلهة يرجى خيرها انما هو من مقتضيات هذا الكيان الانساني لا محيد عنه لكل ذي لسان ناطق يرشده العقل الى انه من اهل الخلود وانه ضيف مجتاز في حكم هذا الوجود والا فما بال الامم عَلَى تباعد انحائها واختلاف آرائها وتغاير مذاهبها وتناقض مشاربها تجمع عَلَى هذا الامر اجماعاً باتّاً كأن افرادها متواطؤن عليه — منذ كانوا في عالم الغيب — فكلهم يقول باله يثيب وشيطان يكيد وجن تخيف ونفس بين ذلك تتنازعها عوامل اليأس والرجاء ويبدو لها انها بنت البقاء دون سائر ذوات الارواح التي تقلها الغبراء وتظللها السماء وينعشها الهواء وان كانت محاطة مثلهن باسباب الزوال محكوماً عَلَى هيولاها المركب بالانحلال وشخوصها المتحركة بالجمود ثم الفناء

عَلَى هذا نشأت الناس وعَلَى هذا اجتاز عالمهم برزخي الحيوة والموت الوفاً مؤلفة من السنين قال بعضهم انها عشرات الوف وقال آخرون انها ملايين حتى جاءنا الطبيعيون من متفلسفي هذا العصر — عصر الاكتشاف والاختراع — يجلسون عَلَى منصات القهارمة والاساطين وينشدون مع ابي نواس شاعر العباسيين

ماجاءنا احد يخبر انه   في جنة من مات او في نار

ويقولون مع ابي العلاء

ومهما عشت في دنياك هذي   فما تخليك من قمر وشمس

***

تحطمنا الايام حتى كأننا   زجاج ولكن لا يعاد له سبكُ

وانه لا شيء في هذا الكون غير هذه المادة التي يتعاورها التركيب والتحليل ويتداولها الدثور والتمثيل — مع بقاء في الكم وتغيير في الكيف — وان القول بما وراء المادة

من قوة تدير الحركات هي علة الموجودات منها استمد الناس ارواحاً سرمدية انما هو من اوهام الواهمين وتخليط الجاهلين فما نحن وسائر من يتحرك بالارادة الامن مآء وطين ولا يحيينا ويميتنا الا الدهر !!

فاين هذا من ذاك ؟ وما هذا الانقلاب العجيب والانعكاس الغريب ؟ واية منفعة من قول جعل العامة من الناس — وهم تسعة اعشارهم بل يزيدون — في اودية من الحيرة يهيمون وفي ظلمات من التردد والشك يخبطون لا يرون لانفسهم مما القوهم في مهاويه مخرجاً ولا هم يهتدون ·

رويدك ايهذا العصر عصر الحضارة والنور · وعلى رسلكم يامعاشر العلماء · ارباب الحصافة والذكاء · وحنانيكم يامن اكثروا من التعمق والتبحر · واسترسلوا في الاستقراء والاستنتاج · وبحثوا في الجراثيم والذرات · وتكلموا عن الحويصلات والنقاعيات · وبرهنوا على كون السديم اصل الكائنات · والانسان سليل نوع من القردة او مايشاكلها من ذوات الفقرات · ورحماً كم يااصحاب « دارون » واولياء « سبنسر » واشياع « بخنر » وتلامذة « هكل » وان كان فيكم فيلسوف « كفرشيا » وحكيم « وادي الفريكة » ومتهوسو « وادي النيل [1] » انا ايم الله لسنا من يقف في سبيلكم فيما تستوحون اسراره من الاحكام والنواميس وتحاولون اجلاءه من الغوامض والمشكلات اخذاً عما تلقيه عليكم الطبيعة أمكم وأمنا من الدروس والامثولات طبق ماتبعثكم اليه ميولكم واهواؤكم · ولكن لنا كلمة نقولها الآن لكم جهراً بعد اذ كنا نتداولها بيننا همساً ونهجس بها سراً فان اصختم اليها سمعاً واستوعيتم لها قلوباً وجريتم بمقتضاها بعد اليوم عدونا كم كراماً وقلنا سلاماً والا فما على من استحكمت الاهيبوخاندريا في معدته واستولت السوداء على دماغه من سبيل

ليس من ينكر ان المصلح العاقل من هدى بعلمه لامن اضل · ومن اراح لامن اتعب فياحبذا — يااصحابنا — الجهالة انها خير من هذه المعرفة الناقصة التي تعجلتم بها الى نقض الاديان ونقويض اركان العقائد وتمتين دعائم التعطيل والجحود قبل ان تنضج آراؤكم وتجمعوا على ما اليه ترمون وعليه تتهافتون من بث بذور الكفر في القلوب وتعبدكم للطبيعة التي اصبحتم لكثرة دراستكم لها ومزاولتكم علومها اعلق بها من جنود بونابرت بمدافعهم

(١) راجع رسالة « تعليم الامة » المثبتة في الجزء الرابع من مقتطف هذا العام وذيلها (صفحة ١٠١٢ و١٠١٣)

اولئك الذين كانوا لكثرة اصطحابهم لها وتهوسهم باستعمالها والاحتفاظ بهـا يسمونها باحب الاسماء اليهم و يعانقونها و يقبلونها كأنها من الغانيات الفاتنات وكذلك انتم الآن فان توفركم عَلَى تلك الدراسة وانصرافكم الى استيحاء دقائق الهيولي مستحكين الصامت من قواها وعناصرها غير منفكين عن مناغاتها ومباغمتها آناء الليل واطراف النهار قد استهوياكم واستدرجا بكم الى تأليه هذه المادة الجامدة حتى صرتم تحسبونها كل شيء وليس وراءها شيء اوقبلها شيء بحيث لو امكنكم ان تحذفوا مذ الآن من كل معاجم الارض ماحوته من الالفاظ الدالة عَلَى الخلق والابداع والصمدانية والقدرة والبعث والخلود لفعلتم

فيا اسفاً عَلَى الهمجية اذا كان مأتاكم هذا من نتاج المـدنية وياحسرة عَلَى الجهالة ان كان ذلك من مستلزمات العلم · افتتركون الفاً وستمائة مليون من الناس حائرين بائرين لايدرون بمَ يعتقدون وباية وجهة ينتحون فلا رأيكم تثبتون ولا عن قولكم ترجعون !!؟؟

تالله انكم لفي صفقة مغبون وما انتم الا غادرون والا فما هذا التغرير الذي يجعل كلاً من افراد هذا المجتمع القومي يحيا بلا ضمير يسرق متستراً و يثلب متخفياً و يقتل متواراً و ينتحر قانطاً وما عليه من وجدانه قيم ولا من دينه زاجر ولا في الآخرة عَلَى زعمه من نكير !!!

لعمرك ان العامي الذي لايتوقع في الآخرة عن عمله حساباً ولايرجو عن حسناته ثواباً ولا يخشى مهما تعددت سيئاته وتعاظمت كبائره عقاباً الا اذا كانت مشهودة من الانام مثبتة لدى الحكام ثم يحسب ذاته في هذه الحيوة الدنيا كالنبات الفطري حتى اذا مات لم يعد شيئاً مذكوراً · لايلبث ان يكون لعنة عَلى الارض وسخطاً من السماء لايحفل بالمحظور والمبـاح ولا يبالي بالحلال والحرام بل يقضم الاخضر واليابس و يجتاح العامر والغامر وهو يقول « عَلَى الدنيا السلام »

فالعالم الحريص علي منفعة بني نوعه الدائب عَلىٰ خير قومه و بلاده من اشتغل بما يريد من انواع العلوم مايشاء عَلَى مايشاء وان يعتقد لنفسه بنفسه ماا حب كيفما يحب لكن علي شريطة ان ينشط لتمتين اوتاد العقائد وتأليف شوارد المذاهب مع تنزيهها عما لحقهـا من الزوائد ولصق ببعضها من الخرافات تاركاً للجاهل وازعاً من دينه يجنبه الموبقات ورادعاً من ضميره ينكبه المنكرات وما ضر العاقل ان يكون ذا دين مثله مادام الدين لايكلفه الشطط ولايعنته بكثرة التكاليف وقـد اباحه من طريق الحلال كل مامنعه

عن طريق الحرام فلا يقفل في وجوه ملاذه وامانيه الابواب ولا يطالبه باكثر مما يتقاضاه العقل ويرضى به الصواب

ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالوبال عليكما

اوعَلَى الاقل يترك الاديان وشأنها والعقائد وحالها يتحارسها زعماؤها ويصونها ائمتها وعلماؤها — فلا يتعرض لها ولهم في اقواله ومنشوراته بما يعبث باليقين ويولد الشكوك ويبعث عَلَى الحيرة اوالمروق من نزغات ومعاريض وترهات وادلة وبراهين واقاصيص لاقوام لها حتى اليوم الا النزق والسفسطة ولا ركن الا الخيال والهوس يراد بها التفرد بالشهرة فيما يخالف ما اجمع عليه الناس وان كان حقًا وتواطأت عَلَى وجوبه العقول وان كان صحيحاً غير مفكر بما ينجم عن اضاليله وسفاسفه من تشويش النظام وضياع الاحكام وانتشار الفوضى والعود بالعالم الانساني الى الزمن الذي كان فيه آباؤنا يضارعون برابرة الاوقيانوس الهندي واواسط افريقية حالاً وقالاً وخلقًا واوضاعًا . متصيداً باحابيله الابليسية وبهتانه المزخرف مافي حقائب بعض من أُوتوا مالاً ولم يرزقوا عقلاً من دينار مكنوز ثم ينفقه عَلَى تمثيل اسفار ورسائل يطبع منها الآلاف من النسخ ثم توزع عَلَى الناس — ولاسيما الناشئة الادبية منهم — مجانًا قصد اشراب قلوبهم تلك المبادئ الفاسدة وايداع نفوسهم تلك الحماقات السخيفة التماسًا للشهرة عَلَى ما ألمعنا من طرق التعميم في الاذاعة والتوسع في الابلاغ كما فعل بعض هؤلاء المفتونين — بحب الطبيعة — هذه الايام ففعلت نفثاته السامة في ادمغة البعض مالا يتوقع العاقل بعده الا قيام دولة الشهوات وانثلال عروش الآداب وتقويض اركان الديانات وانتشار الاباحية والعدمية الى غير ذلك من بواعث الهلكة والانقراض والبوار لولا ان يأبى الله الا ان يعيد كيده الى نحره بان قيض له من اهل التبصرة والاعتبار والعلم الصحيح من يكشف عن بصائر اهل الغرور بما يريهم عيانًا زيف درهمه وزغل ديناره فان الحق ابلج وضاح . والباطل لجلج فضاح وان كره الماكرون

يقول المتعنتون من هؤلاء الملاحدة المتحذلقين — سنداً عَلَى ما سجله التاريخ من انباء حروب وفتن واضطهادات [1] كان منشأها الظاهري التباين في المذاهب والاختلاف في الدين

---

(١) يريدون بذلك مناوآت القياصرة الرومانيين للدين المسيحي في بدء ظهوره وحروب الاصلاح في اوروبا والحروب الصليبية في آسيا وافريقية وفتن الخلافة في

ان الديانات ألفت بيننا إحناً وعلمتنا افانين العداوات
فالدين اذن عدو النظام لانصيره بغيض السلام لاظهيره !!!

نحن لاننكر ان كثيراً من المشاغبات والفتن والثورات والحروب والغارات [١] ثيرت باسم الدين ونشبت عَلَى حساب الدين ولكن من سبر غور الحقيقة بمسبار النزاهة والاخلاص وتوفرت له سلامة الذوق وصحة الاستنتاج واصالة الرأي وعدالة الحكم علم — بعد الاستقراء — علم اليقين ان الدين لم يكن المصدر الحقيقي لتلك الموبقات بل الباعث عليها في الاصل والمؤدي اليها بالفعل — ماخلا الشاذ — انما هو شهوات الملوك ولبانات اولي الحكومات ونزوات ارباب السلطات والزعامات الذين من دأبهم — ولاسيما في تلك العصور المظلمات — التذرع بأية وسيلة كانت — حتى التغاير الديني او المذهبي — لاثارة الفتن واصلاء الحروب ارادة ان يتهيأ لهم من جرائها تمتين السلطة والتوسع في البسطة والاستفحال في الملك تلبية لدواعي اطماعهم اللانهائية واشباعاً لنهمات اميالهم النفسانية

فالمرء لاتنقضي آرابه ابداً اذا انقضي ارب يصبو الى ارب

ومن ذا الذي يتجرأ ان يقول ان ماينشأ عن سوء استعمال الدين انما هو الدين ؟؟؟

لاجرم ان للحروب والفتن اسباباً جمة قد يكون سوء استعمال الدين او التذرع بالدين احداها وقد لايكون وما ارباب السيادة من خدمة الدين وغيرهم الا بشر مثلنا قد يسيئون في امورهم المعاشية وسياساتهم الادارية وقد يحسنون : فما بالنا نلصق بالدين — الذي هو من الله — ماينجم باسمه وعلى حسابه من مساوئ الناس ؟ أفلا تفقهون !!

أجل : ان مطامع اصحاب العروش وتخالف العناصر وتباين الاجناس وطموح الامم التي توفرت لها القوى الى التغلب على المستضعفين ونزوعها الى التكاثر والاستزادة سواء كان عن طريق الفتوح او الاستعمار او الدين هي هي لعمر الحق — في كل آن وزمان — مصدر الفتن ومبعث الاحن وعلة العدوان ومنشأ الحروب التي مابرحت مرافقة حيوة بني الانسان منذ اصبحوا دولاً وامماً وجماعات حتى الآن وهي لاتبرح ولن تبرح ملازمة لهم — ولكن عَلَى تباين بالكم والكيف — عملاً بناموس تنازع البقاء الى

صدر الاسلام ومذبحة القديس برتلماوس في فرنسا والتفتيش الديني في اسبانيا ومناهضة منكري تكريم الايقونات في الشرق والغرب الى غير ذلك من الفتن والحروب التي نشبت اولاً واخيراً باسم العقائد والبدع والمذاهب والدين

منتهى الدوران . ومن ماراني في ذلك ائتيه من اقوال قهارمة التاريخ واقطاب العمران وفلاسفة طبائع البشر بما شاء من دليل وحجة وبرهان .

لنسلم جدلاً — ولو بالباطل — ان في عصور التعصب والغباوة والجهل كانت الديانات جرثومة العداوات وارومة الحروب والثورات ولولاها كان الناس في نعيم مقيم وأمن مكين !! لا بأس عليهم ولا هم يحزنون !!!

ثم تعالوا بنا الى هذا العصر الحديث عصر التساهل والكياسة والعلم عصر الحضارة والتمدن والنور عصر الحرية والمساواة والاخاء ولنقف متسائلين هل خلت أممه الاعرق حضارة والاعلى في المدنية كعباً من فتن تثار وحروب تصلى واطماع تسود وشرور تتفاقم ؟؟

ام هل من علاقة للاديان بحرب بروسيا مع النمسا (سنة ١٨٦٦) او حرب المانيا مع فرنسا (سنة ١٨٧٠) اوحرب الانكليز مع الترنسفال واليابان مع الصين وروسيا مع اليابان والبلغار مع الصرب في خواتم القرن التاسع عشر وفواتح القرن العشرين ؟؟ كلا ثم كلا

فليصمت اذن اولئك الذين يتملظون بتلك السفاسف والترهات تغريراً بالسذج وتمويهاً على الاغبياء وليعلموا ان الاعتقاد بمبدع حكيم يجزي ويثيب مع الاحتفاظ بقاعدة « صن دينك واحترم دين سواك » هو عماد السلام وركن التهذيب ومصدر الآداب ومظهر الوئام والتحاب : فكيف لا يتقي الله اولو الالباب !!!

أجل ان في تسود العقائد المبنية على التنزيل والوحي وسلامتها من الشوائب والحشو وتنزهها عن الخرافيات واللغو وترفع اوليائها عن التشيع الشائن والتعصب الضار والتحامل الذميم يستتب النظام ويسود السلام وتسعد الانام لا بقول المعري

أأترك هاهنا الصهباء عمداً لما وعدوه من عسل وخمرِ
فموتٌ ثم بعث ثم حشر حديث خرافة ياام عمرو

او قوله : اثنان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دينٌ لاعقل له

فان هذا الفيلسوف الشاعر الضرير رهين الحبسين — حبس العمى وحبس البيت — بعد ان اوحى اليه خياله الواسع ما اوحى فباح بما هذر وجاهر بانه كفر مطاوعة لما يستولي على امثاله من اعراض السوداء عاد اليه بعض رشده فاستحوذ عليه الشك وخامره التردد والريب فقال متوجساً لعقباه حاسباً حساب أخراه

في القدس قامت ضجة ما بين احمد والمسيح
هذا بناقوس يدق — وذا بماذنة يصيح
كل يؤيد دينه ياليت شعري ما الصحيح

ثم لم يمت الا على دين آبائه كما حقق الثقات من معاصريه خلافاً لمن يتخذون اقواله حجة يؤيدون بها مذاهب التعطيل ويذيعونها بين الناطقين بالضاد هداهم الله ذلك ما رأينا اثباته استطراداً في هذا التمهيد كبحاً لجماح من ملأوا الدنيا زياطاً تشيعاً لاصحاب تلك الاضاليل ممن يتوهمون السراب شراباً والحبة قبة وما اهون ما تخدعهم الزخارف والاباطيل ان ربك لبالمرصاد وهيهات ان يفلح حزب الفساد مادام للصلاح فئة من اعلام يعملون هم في الظلمات مشكاة وفي المجاهل والمعاثر هداة وما على منفق جهده من جناح ولا الى تأنيبه من سبيل

« عود على بدء »

قلنا ان الاعتقاد بالجان قلما خلت منه امة في غابر الازمان ومصداقاً لذلك نقول الآن

ورد في ميثولوجيا الهنودان ارواحاً شريرة اسمها « رقشاشة » ومعنى هذا الاسم الجبابرة خلقت قبل الجو والحيوانات وهي ترصد الآجام والمقابر وتلهى باثارة الموتى من اجداثهم والتحرش بهم . تأكل لحوم الاحياء من البشر وتشرب دماءهم وتتخذ لها صوراً مختلفة واشكالاً متباينة ثم هي لا تزال حاضرة عند تقدمة القرابين وذبح الضحايا للآلهة لكي تفسد على الناس شعائرهم وتغري المعبودات برد تلك القرابين ورذل مقدميها : من اجل ذلك يعدها الهنود اشد ضرراً على البشر من سائر الجن

وقد ذكر في الكتب السانسكريتية القديمة المحفوظة في هياكل الصين وكوريا وسيلان وسائر امهات المدن المنتشرة في الشرق الاقصى الغاصة باتباع « برهما » و « بوذة » من ذوي الجنس الاصفر ان النساك وخدمة الدين طالما استنجدوا القوى العلوية للنجاة من شرور هذا الصنف الغادر من الجن الكثير العدد وهو مع ذلك لايزال يزيد نمواً وانتشاراً بزيادة عداد من يموتون من الاثمة اصحاب الكبائر لان ارواح هؤلاء تكون الى زمن من نوع « الرقشاشة » واشهر هذه الفئة الباغية المنقسمة الى فرق ومراتب انما هي « رافانا »

وليتك تدري ما « رافانا » انما هي روح شرير زائد القحة والجرأة كثير المطامع والشهوات

حتى انه زين له في بعض الازمنة ان يخضع الارض ومن عليها والهاوية ومن فيها والسموات ومن فوقها الى حكمه وسلطانه ويجعل الكيان المطلق عبداً خادماً لرغائبه ومآربه ونزعاته فتمادى جوراً وعسفاً وزاد بغياً وطغياناً حتى أنَّت من حيفه الارض وشكت ظلمه الافلاك واستولى الرعب عَلَى قلوب المعبودات في اخدارها والملوك في عروشهم وكان موطن هذا الجني الخبيث في ذلك الزمان « لافكا » عاصمة جزيرة سيلان

فساءَ « وشنو » [1] العظيم هذا الامر الجلل ورأى ان يتجسد ثانية لينقذ الاكوان ومعبوداتها من شر هذا الطاغية ويرد الى المخلوقات طمأنينتها وسلامها فتجسد في الجهة المقابلة من الهند في صورة « راماتشندر ابن داسرتا ملك ابوذيا من امرأته كساليا »

(١) ان وشنو هذا تجسد عَلَى زعمهم ثلاث مرات : الاولى اراد بها تخليص البراهمة من جور الكشترية اي اهل السيادة والحرب من الهنود الذين صاروا يعطلون الشعائر الدينية ويمتهنون خدمة الدين « البراهمة » فتجسد في مظهر ابن ناسك متعبد اسمه « جامادغني » ثم سمي « باراسوراما » ومعناه راما ذو الفأس فجد في آثار الكشترية حتى اباد ذكورهم ولكنه استحيا اناثهم ليتزوجن البراهمة فيحيا بهن نسل الحربيين : الثانية هي التي تكلمنا عنها في المتن والمقصود منها انقاذ المعبودات من جور « رافانا » كما علمت وكان اسمه اذ ذاك « تشندرا » ومعناه القمر : الثالثة وغايتها منها ادخال الفنون الزراعية الى البلاد وقد سمي بها « راما » واتخذ رايته المحراث وبعد ان علم الاهلين اصول الفلاحة عرج مع امرأته « ستيا » الى السماء . ويقال ان راما هذا هو نفس « باخوس » عند اليونان و « رعما » المذكور في سفر التكوين بين مواليد « كوش » ويزعم بعض علماء الانكليز ان « راما » في تجسداته الثلاثة ان هو الا شخص واحد ظهر في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد وعبر عنه في التوراة باسم « رعما » وان اتحاده مع ملك القرود الوارد في المتن ايماء الى اتفاقه مع سكان الهند الجنوبية المتوحشين عَلَى فتح جزيرة سيلان لان اولئك السكان كانوا يسمون زمانئذ القرود وان « رافانا » يراد به طاغية من البشر كان مالكاً جزيرة سيلان وحدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد الهند كافة فعاث وسطا حتى سلط عليه « رعما الهندي » فتواثق مع ملك متوحشي الهند عَلَى قتله واستخلاص سيلان منه . واخبار « راما » مدونة في قصيدة تشتمل عَلَى خمسة وعشرين الف بيت او دو بيت تسمى « رامايانا » نظمت باللغة السانسكريتية المقدسة وترجمت مراراً الى اللغة الهندية الحديثة والى بعض لغات اوروبا

وبعد ان اتحد مع « سوغريفا » (١) ملك طائفة القرود عَلَى الايقاع برافانا مضيا الى الارخبيل الفاصل بين جزيرة سيلان والبر والقيا هنالك جسراً من الصخر اجتازاه الى الجزيرة ثم باشرا القتال مع « رافانا » فلم يثبت الخبيث امام المعبود المتجسد وحليفه !!! فسقط بين ايديهما هالكاً غير مأسوف عليه

والرومانيون يقولون انه يوجد عذراء من الجن كانت تقيم في غابة اسمها « اريسيا » عَلَى مقربة من رومية عاصمة الرومان وتدعى تلك العذراء « ايجيريا » وان احد ملوكهم « تومابومبيليوس » اتخذها له زوجة فكانت تساعده عَلَى قهر الامم المتوحشة وادخالها في ربقة الطاعة له والانضواء الى عرشه وتشاركه في حل ما اعضل عليه من المشكلات . فلما مات زوجها جزعت عليه اشد الجزع ولجأت الى تلك الغابة معتزلة حيث كانت تجلس في حضيض جبل ذارفة دموعاً سخية بلا انقطاع فاحزن حالها « ديانا » الهة الصيد فرأت ان تحولها الى عين ماء نضاخة لاينضب ينبوعها فسميت عندئذ « عذراء العيون » وشيد بجوارها هياكل للعبادة كانت النساء الرومانيات يقصدنها بنذورهن الثمينة في مواسم معلومة متخذات لها اعياداً يحتفلن بها احتفالا كبيراً لانها كانت تحفظهن عند الولادات وتصون مواليدهن من سائر الجن . ولمدينة رومية جني خاص اقام له قدماء الرومانيين تمثالاً من ذهب

والجرمانيون ومنهم البروسيون وسائر الالمان وكثيرون من التابعين للعرش النمساوي يزعمون ان للمياه جناً يطلق عليها اسم « اليفنة » ويدعوها الانكليز « مرميده » واهل شمالي اوروبا « نكسن »

قال سكان سواحل البلطيك انها تظهر عَلَى شكل الخيل عَلَى مقربة من ثغور البحار وتداعب من يخرجون في القمراء للنزهة والسمر في تلك الشواطئ وكثيراً ما اخافتهم . اما الالمانيون فيقولون انها تقيم في نهر « البي » وانها اظرف من جن بحر البلطيك وقد تخرج احياناً من الماء في ليالي الشتاء وتقصد النار التي يتركها رعاة المواشي لتستدفئ بها . وقد طالما نظرت هنالك بهيئة نساء جميلات مستترات بشبه براقع لهن وجوه زهر وشعور شقر تسترسل عَلَى اكتافهن . وقد يعشق بعضهن الرجال فيخلصن الحب لمن كان وفياً منهم ويساعدنه في ميادين الحرب ويقين شخصه بنفوسهن من سهام العدو ولا تنفك احداهن مولعة بمن تهوى مرافقة له ساهرة عَلَى مصلحته وراحته متحملة معه

(١) يذهب المتأخرون من العلماء ان هذا هو نفس « بعلوس » المذكور في التوراة

ما يكابده من برحائه وضرائه حتى الموت · ولكن اذا خانها ولو مرة ذهبت به الى شاطئ البحر او ضفة النهر وجذبته بمنتهى قوتها الى اللجة فتميته غرقاً !!! وهي على مايقولون ذات صوت غرّيد مطرب هو — في زعمهم — مصدر حفيف الغابات وخرير الانهار الذي يؤنس الحزين ويسلي الغريب وكان القدماء من اهالي اوروبا الشمالية اذا ارادوا استمالة تلك الجن طرحوا في البحار والانهار ثماراً وازهاراً وذهباً ولؤلؤاً وعطراً وطيباً استعطافاً لها وقد وجدوا في بحيرة « تولوز » اشياء كثيرة مما كان يستعطف بها سكان فرنسا القديمة تلك الجنيات الحسان اللواتي يشبهن في بعض امورهن بنات الماء اللواتي ذكرهن الدميري في كتابه « حيوة الحيوان »

ومن اغرب مارواه المؤرخون ان « سيبيون » الروماني لما فتح مدينة « تولوز » وجد في بحيرتها من الذهب ماوزنه مئة الف « ليبرة » ومن الفضة مثله فاستأثر بها

وقد تحقق ان الغاليين القدماء اجداد سكان جنوبي فرنسا الآن كانوا يرفعون تلك الجنيات الحسان الى مصاف الآلهة ولذلك اشتد حنق التولوزيين على من خرق حرمة بحيرتهم سالباً حليهن وكوزهن كما ألمعنا وربما كان لهن في بلادهم غير الاسماء الثلاثة التي ذكرناها قبل

اما السكندينافيون وهم اهل « اسوج » اوالسويد و « نروج » و « هولاندة » اوالفلمنك و « الدانيمارك » فيعتقدون بوجود جن اسمها « الفة » او « الفر » وهي حاذقة لبيبة ذكية عاملة وتقسم عندهم الى فئتين

احداها تعرف بالجن الصالحة ويقال لها جن النار اوجن النور تقيم في بلاد الغيم التي يتولاها صاحب الشمس لها وجوه تلمع كالصباح وعيون اجمل من الكواكب وشعر ذهبي يروق مرآه للناظرين والثانية تعرف بالجن الهائلة وتسمى عندهم « سفورت الفار » وهي عدوة للنور واشد سواداً من الزفت ذات منظر كريه وتقاطيع شنيعة واعضاء مشوهة ولا تسكن الا في باطن الارض

واهل القرون المتوسطة من سكان هذه الممالك السكندينافية كانوا يزعمون ان هذه الجن الارضية تختطف اطفالاً من اسرتها واذا احبت احداهما رجلاً ذهبت به الى موطنها تتلذذ بمداعبته ولاتدع له سبيلا الى تركها والعود الى بلاده : وهم يوقنون كل اليقين ان ملكتهم خطفت السيد « توماس السيدون » الملقب بالشاعر الى حماها وجرت عليه

في صرح لها سبع سنين كان فيه تمثال غرامها وكعبة هيامها وهي عَلَى مايرتأون لطيفة المعاني حسنة الطلعة تنسج لها اقمصة وحللا من نور القمر وتعتم بعمامة في اعلاها جرس وتحتذي برجليها الكافور بتبين زجاجًا رقيقًا نقيًا شفافًا فاذا عثر انسان عند انفلاق الصبح عَلَى حذاء او جرس مما تلبسه تلك الجنيات الرائعات المحاسن ملقى عَلَى العشب نال من التي فقدته كل ما يتمناه

وهي تشتو غالبًا في كهوف الجبال تعيش فيها كسائر الناس وتصرف الوقت بمطالعة الاشعار واناشيد الآلهة وكتب التاريخ وبتطريق الذهب والفضة والاخبار عن مستقبلات الشؤون متخذة لها حليًا من الياقوت والزمرد وكبار اللآلي · ومتى بدت تباشير الربيع تزايل تلك الكهوف والمناور منجولة في جوانب الجبال استنشاقًا للهواء العطر والنسيم البليل · وقد تتسلق الاشجار لتقتطف منها الازهار والثمار اولتراقب من يمر عَلَى مقربة منها حتى اذا اقبل الليل تجتمع في الحقول متماسكات بالايدي كالحلقة التي توألفها نسآؤنا ليجلون العروس ثم تأخذ في الرقص والغناء في ضوء القمر · وقد ترعى ماشيتها على ضفاف الانهر ولا تزال تلك حالها حتى يعاودها الشتاء

ومع ان « الالفة » غير منظورة فالمولودون ايام الآحاد يمكنهم ان يروها · وهي على نحافتها وجمالها ولطف بنيتها لها من القوة ما يمكنها من حمل اثقل الصخور واكبرها حجمًا ماشية به مسافات طويلة واذا لمست بيتًا هزته وزعزعته من اسسه ولوشاءت حملت بيدها رجلاً وسارت به ركضًا ولا تبالي · وهي تحب غالبًا شجر البلسان والزيزفون والحور الرومي فمن احب ان يراها من مواليد يوم الاحد يقصد من تلك الاشجار ما كان منها في سفوح الجبال يجدها تغني عَلَى قيثارها العازف تحت رواق ظلها الوارف

وكان لها في بلاد الانكليز وسكوتلاندة ملك وملكة وكانت جزيرتا « سترن » و« روجن » في بحر البلطيك تحت سلطانهما وقد شوهد هذا الملك يومًا في مركبة يجرها اربعة افراس ويستدلون على تجوله في مملكته المترامية الاطراف بصهيل الخيل وسواد الماء والضوضاء التي يحدثها اعوانه في طبقات الهواء

واليونانيون القدماء يقولون ان « اغينور » ملك فينيقية تزوج بالجنية « ميلي » فولدت له « اوروبا [1] » فنشأت ذات جمال فتان وبياض ناصع فشغف بها المشتري وتمثل لها بصورة ثور وتزلف اليها كثيراً حتى ركبته طمعًا بلين قياده فاسرع وهي عَلَى متنه نحو

(١) معناه النعجة وبها سميت احدى القارات الخمس عَلَى مذهب اكثر الجغرافيين

البحر وسبح بها الى جزيرة « كريت » وهناك اتخذها زوجة فاولدها خمسة صبيان وثلاث بنات وكلهم ابتنوا مدنًا وانشأوا قبائل وعَلَى هذا يكون الكريتيون من سلالة الثيران والجن فلا عجب اذا كانت نيران فتنهم لا تطفأ وحركات ثوراتهم لا تسكن

والروسيون الاقدمون يزعمون ان « الفامبيره » فريق من الجن يسكنون القبور وهم يثورون ليلاً من المدافن · متفرقين عَلَى منازل الاحياء حال نيامهم فيمتصون دماءهم · وان « الديموفوي » جني البيوت يتراءى للنساء حال انفرادهن وان في الانهار عفاريت تدعى « فوريانوي » وفي الغابات أبالسة اسمها « الياسنك » والسلافيون يدعون ان للجن الهًا خاصًا يسمونه « وتشرنوبوغ » اي الاله الاسود وللبشر الهًا آخر اسمه « بياليوغ » اي الاله الابيض

واهل جبال « البربني » او « البرانس » يعتقدون ان الجن مقيمة في الغيوم التي تغشى ذروات جبالهم وعلى ضفاف الانهار الحافلة بالاشجار ولهم فيها اقاصيص طويلة وروايات غريبة لا يحتمل المقام سردها واستيفاءها

واهالي جزائر « ملديف » يقولون انه كان يجيئهم في وقت معلوم من ناحية البحر جني كأنه مركب مملوء بالقناديل فلا ينجون من شره الا باعطائه فتاة بكراً يتركونها له في بيت الاصنام ثم يصبحون فيجدونها مهتوكة ميتة فاتفق ان زار مدينتهم رجل صالح يدعى ابو البركات البربري فلما حان زمان مجيء الجني اخذت النساء يبكين و يندبن فسألهن عن السبب فقالت له عجوز منهن ان لها بنتًا وحيدة بارعة في الجمال اصابتها القرعة بحسب القاعدة الجارية في المدينة وستكون في الغد ضحية للجني فقال انا انوب عنها ثم ذهب الى بيت الاصنام متخفيًا واخذ يتلو القرآن العزيز فلما سمع الجني تلاوته غاص في البحر ولم يعد بعد

قال ابن بطوطة في رحلته ان هذه الحادثة كانت سببًا لدخول اهالي تلك الجزائر في الاسلام وهي يد كبرى تعد لابي البركات المشهور بصلاحه عَلَى اولئك الوثنيين

واليونانيون يثبتون ان عذارى من الجن اعتنين بتربية « جو بتير » وهو طفل فاهدى اليهن قرن الخصب وهو احد قرني العنزة التي رضع لبنها عندهن

وهم يقسمون الجن الى ثلث رتب يرفعون الاولى منها الى مقام المعبودات وجدها الاعلى عندهم « اجنيوس » باللسان الروماني القديم وهو شخص « زفس » او « جو بتير »

وهي تنقسم الى فئات اوقبائل منها « البانة » و « الفونة » « والسانيرة » و « النيمفة »

والرتبة الثانية توابع كل شعب وكل مدينة وكل محلة وهم يعتقدون ان مؤلفي هذه الرتبة يولدون ويموتون كسائر الاحياء غير ان حياتهم تستغرق الوفاً من السنين

والرتبة الثالثة توابع كل شخص بمفرده وهم الذين يتولون امور الافراد ويؤثرون في جميع احوالهم من معايشهم وعواطفهم وحوادثهم وامراضهم · وللنساء توابع خاصة يسمونهن « جونون »

قال « سرفيوس » متى ولد الانسان يسخر له تابعان من الجن احدهما يرشده الى مابه الخير والآخر يميل به الى طرق الشر

وقال « ابوليوس » ان النفس البشرية ذاتها تتحول بعد نجاتها بالموت من هيولاها الى الجن فان كانت حيوة صاحبها صالحة دخلت في عداد الجن الانيس وبقيت في البيت لحماية ساكنيه وان كانت شريرة سميت « لارفه » اي عفريتاً او جنياً خبيثاً فلا تستقر في مكان واحد ويكون دأبها الاخافة والتهويل والقاء الرعب بين البشر والوسوسة والنزغ في الصدور امالة باربابها الى الاضرار والافساد وارتكاب المنكر

وقال « خريسيوس » عن امثال هذه الارواح الشريرة انها تائهة في جوانب المعمور تستخدمها الآلهة للاقتصاص من الائمة الظالمين ولتزيين الشر في اعين الصلحاء المتقين وهي اصناف منها « لارفة » و « مانة » و « ليمورة » ويراد بها كلها ارواح الموتى الاشرار وقد وجد على ابنية القبور عدة تماثيل ورسوم محفورة تشخص بها تلك الارواح بهيئة الجن

وكانوا يزعمون ان في وسعها اسعاد من تحميهم ولذلك قال احد العرافين لانطونيوس — عاشق كليوباترا المشهور واحد قواد اسكندر الكبير ومقتسمي ملكه — ان تابعه يخشى بأس تابع اوغسطوس قيصر فهو لا يجرأ عَلَى الاضرار باوغوسطوس مادام تابعه يحميه ويذود عن حوضه

وكان اليونان والرومان عن بكرة ابيهم يقدمون في اعياد مواليدهم نذوراً للصالحين من تابعيهم زهراً وبخوراً وخمراً يضعونها عَلَى ضفاف الجداول وتحت ظلال الاشجار في الغابات تكرمة وزلفى ولو استوفينا كل ماورد عن هاتين الامتين في اعصرهما الخرافية مما يتعلق بموضوعنا لطال بنا المطال وضاقت عن استيعابه الرسائل بيد ان فيما ذكرناه عنهما غنى وكفاية

اما الفرس فيعتقدون انه يحكم العالم روحان متضادان متخاصمان احدهما صالح وهو

« اورمزد » والآخر شرير اسمه « اهرمن » وهذان الروحان في خصام دائم ومن غلبة الواحد عَلَى الآخر ينتج تداول الخير والشر والنور والظلام والليل والنهار في كل يوم. وما الجن الاخدمة « اهرمن » وحاشيته وسيأتي يوم يظهر فيه ثلاثة انبياء يفلون جيوش « اهرمن » و يتلفون اعماله فلا يبقى جني عَلَى الارض فيعيش الناس في سعادة كاملة وسلام دائم يتكلمون بلسان واحد و يعيشون متحدين عَلَى نمط واحد ووتيرة واحدة وهؤلاء الثلاثة انبياء سيولدون من « نطفة محفوظة في ينبوع ماء صغير لم يهتد الى مكانه بعد »

وهذا الاعتقاد الثنائي مستفيض في الشرق منذ القديم حتى انه يظهر بالتتبع والاستقراء التقليدي انه كان على عهد عيلام بن سام بن نوح الذي منه تشعب الفرس وقد سرى الى عدة شيع ونحل و بدع في القرون الاولى واصبح ركناً بني عليه مذهب « ماني » الموسوس الفارسي كما لا يغرب عن كل مطلع على تاريخ هذه الامة

وقد زعم الفرس ايضاً ان للجن مملكة خاصة اسمها عندهم « جنستان » اي بلاد الجن ويقولون انها واقعة في الطرف الغربي من افريقية وقد طالما سماها بعض شعرائهم بارض المردة والعفاريت : اما العبرانيون والفينيقيون والكلدانيون القدماء فيقولون ان الجن تدخل في البشر فتبليهم بالجنون وهي تسكن الارض وتتراءى للناس بهيئات مختلفة حتى انها تتلبس باشكال الحيوانات و يستخدمها السحرة والعرافون للانباء بالمغيبات وكشف المستورات وكل هؤلاء الامم يعتقدون كالعرب بالقرينة والتابعة والكهانة والسحر ومن يرجع الى تواريخهم يجدها طافحة باخبار واقاصيص تدل عَلَى رسوخ هذا الاعتقاد فيهم منذ قرونهم الاولى شأنهم في ذلك شأن سائر الامم الشرقية سواء

اما المصريون فقد كانوا يهبون جني نهر النيل في كل عام عروساً حسناء من فتياتهم استرضاء له واستمداداً لفيضه و يجعلون الحيات والهررة وغيرها آلهة وانصاف آلهة متخذين العجل « آبيس » اعظم معبود لهم بناء عَلَى كون الزراعة ركن معايشهم وقوام رزقهم في بلادهم فهم يكرمونه ويخصونه بافضل انواع العبادات ليمد الثيران من سائر بني جنسه بقوة من عنده تكفيهم مؤونة الحرث والفلاحة التي لم يجدوا اليها سبيلا في تلك الازمنة الا بتسخير البقر

ومع ان الاقدمين منهم كانوا في طليعة غيرهم من الامم علماً ومدنية وتهذيباً كانت عقائدهم الخرافية في غاية السخف وقد زادهم فيها استرسالا اجتياح اليونان ثم الرومان

لبلادهم واستيلائهم عليها ردحاً من الدهر اذ قد اضيف ماعند هؤلاء من مضحكات العقائد ومبكياتها الى ماعندهم منها حتى اصبحت مزيجاً جامعاً مالم تجمعه امة قبل ولا بعد

هذا مجمل ماورد متفرقاً في اسفار السلف واساطيرهم — من كل امة ونحلة — برهاناً عَلَى كون الاعتقاد بالارواح الخفية كالجن والعفاريت والمردة انما هو مرافق حيرة البشر في قرونهم الاولى من كل جيل وجنس ومذهب ولكن على انحاء متضاربة ووجوه متباينة واختلاف كثير في وصفها وتكييفها وتعيين قواها وطبائعها وتحديد ماهيتها ومراتب تأثيرها في اعمال الخالق وشؤونهم الى غير ذلك مما لم يقع عليه الاجماع التام بين شعب وشعب وامة وامة

ومما يجب التنبيه اليه انه قام في كل صقع و بين كل قوم رجال افذاذ من ابناء العصور الغابرة قائلين بما يقوله اليوم اكثر علماء الغربيين و بعض الشرقيين من ان هذه الارواح — الضارة — لاوجود لها الا في مخيلات الناس واوهامهم يبعثهم عَلَى تصورها والجزم بوجودها مايتعاورهم من الاماني والمخاوف والانفعالات المتناقضة فيما يعرض لهم من احوال هذه الحيوة الدنيا الكثيرة الكوارث والشجون مضافاً الى ذلك مايتوارثونه من عقائد الآباء و يتناقلونه خلفاً عن سلف من ترهات وعجائزيات قد اعان على تبجيلها في اذهانهم مااسدله الجهل عَلَى بصائرهم من كثيف الحجب في اعصر الظلمات ولاسيما اثناء القرون الوسطى التي استحكمت فيها المنازعات الدينية والاحن المذهبية — مسببة عن اطماع الملوك — حتى البست الارض ارجواناً من الدم

فما بدأ يتفجر في افق العالم الغربي نور العلم الصحيح المبني عَلَى التثبت والاستقراء الحسي حتى اخذ يتقلص في تلك الاصقاع ظل الاعتقاد بوجود ارواح تتأثر بني الانسان متداخلة في امورهم ومصايرهم فاعلة في شواعرهم وهواجسهم ضاغطة عَلَى حركاتهم وسكناتهم في معايشهم ومرتزقاتهم وكان ذلك في اواسط القرن الثامن عشر حتى اذا اشرف محيا القرن العشرين من نافذة الدهر تلاشى اوكاد مذهب من يرى ان في العالم المحجوب قوة تناوئ ارادة الله وتناهض عباده كما يزعم الثنائيون من الامم. ومعظم المتدينين من الفلاسفة والمفكرين في ايامنا هذه يذهبون الى انه قبل انقضاء هذا القرن قد لايبقى عَلَى وجه البسيطة من يصدق بوجود فاعل فوق الطبيعة غير الحق عز وجل وهو سبحانه اعلم بما يتخرصون

دمشق «سليم عنحوري»

حمة (١) ابي رباح

لم يكتب احد من المتقدمين من علماء العرب وغيرهم في تاريخ هذه الحمة او موقعها او وصفها وصفاً علمياً مع مالها من المكانة في التاريخ والطبيعة كما انه ليس للباحثين المتأخرين من الغربيين والسوريين مقال في هذا الباب يرجع اليه او شرح يستند عليه

ولقد كان بودي ان اقف عَلَى كلمة من هذا القبيل لتكون لي دليلا في سبيل ما اريد تسطيره وحجة تؤيد ما اعلمه في هذا الموضوع واروم تحبيره الا انني لم اجد كتاباً يذكر ما اردت وينبئ بما رمت فما وسعني الا ان اعود الى ما اعلمه عن هذه الحمة بالاختبار مجدداً في تطبيقه على الفن الحديث ومستدلا عَلَى تاريخه بما عثرت عليه فيها من الابنية والآثار القديمة بقدر الامكان ٠

مركزها الجغرافي — ابو رباح جبل من كورة حمص من عمل ناحية القريتين يبعد عن الأولى اربعين ميلا الى جهة الشرق وعن الثانية تسعة اميال الى الشمال الغربي يشرف على ضيعة يقال لها الغنثر من املاك عبدالمجيد آغا سويدان مدير ناحية حسيه (ابكى قبولي) الحالي ورئيس اسرة سويدان المعروفة ويحده من الشمال اراضي (الشومرية) وهي جبال قلّ فيها المنبسط ذات تربة جيدة وارض خصبة منبتة وفيها بعض القرى المستحدثة وكانت من املاك السلطان السابق ويسمونها الآن (الاملاك المدورة) ومن شماله ايضاً البلعاس وهي كورة من كور حمص (٢) فيها حرج من شجر البطم يبلغ طوله تسعين ميلا من الغرب الى الشرق ويحده من الشرق طريق القوافل بين الشام وتدمر ثم الجباة وهي مزرعة لنا ذات مياه وقد اوقع سيف الدولة فيها بقبائل البادية وذكرها المتنبي بقصيدة يمدح بها المشار اليه حيث قال :

ومروا بالجباة يضم فيها كلا الجيشين من نقع ازار(٣)

ومن الجنوب الغنثر والجباة المار ذكرها ومن الغرب الشومرية والفرقلس وهي قرية من الاملاك المدورة ذكرها ياقوت الحموي فقال انها اسم ماء قرب سلمية بالشام والاصح انها اقرب الى حمص من سلمية ٠

---

(١) الحمة في اللغة العين الحارة التي يستشفى بها الاعلاء والمرضى فاهل القرى المجاورة لهذا المكان يسمونه الحمة واهل المدن كدمشق وحمص وحماة وغيرها يسمونه حمام ابي رباح وابو رباح اسم مستحدث عَلَى ما اظن (٢) معجم البلدان (٣) معجم البلدان

مركزها الطبيعي — انهذا الجبل بركان لاثائر ولا منطفئ لانه لو كان ثائراً لاهلك القرى والبلدان المجاورة له وقضى على الارواح والاجساد مما يقذفه من الحجارة والحمم ولو كان منطفئاً لما صعد منه البخار الذي يراه الناظر من مسافة بعيدة متفرقاً في الجو · ومعلوم ان الارض كانت جسماً يكاد يكون سيالا يتلظى قبل وجود الانسان والحيوان والنبات على ظهرها ثم برد سطحها وبقي جوفها شديد الحرارة والسبب في ثوران البراكين هو هذه الحرارة والماء والمواد المعدنية الحارة في جوف الارض فاذا ما اختلط الماء بالمواد المعدنية الحارة تمدد ورفع ما فوقه ثم يزداد الضيق عليه من الحرارة وثقل الارض وعندما يشتد دفعه ينفجر ويقذف الحمم والصخور والبخار ويجعل الصعيد المستوي جبلا راسياً مما يرمي به تلك الاجسام ولكن اذا فقدت المواد المعدنية وظل الماء جارياً تسخنه حرارة باطن الارض الطبيعية البالغة التي درجة او اكثر وكانت الارض بركانية من قبل لا يصعد من افواهها غير البخار كما يشاهد في ابي رباح هذا اذ يسمع الانسان الواقف عند فوهته صوتاً كهدير البحر ويرى البخار يتصاعد منها كبخار الماء المغلي في المرجل

فمن هذا يتبين لنا ان ابا رباح كان بركاناً ثائراً في العصور الخالية ودام ثورانه ردحاً من الزمن الى ان انتهى ما في جوفه من المواد المعدنية وبقي الماء والحرارة الطبيعية المسببان لصعود بخاره الحار

نظرة تاريخية — اتضح مما قدمنا ان هذه الحمة بركان نفدت مواده المعدنية الحارة منذ الوف من السنين وصارت الى ما هي عليه اليوم عبارة عن فوهة وسط جبل يتصاعد منها بخار مائي ليس الا · ثم جاء الاقدمون وبنوا فوق هذه الفوهة حماماً يستشفون به من الاسقام والامراض ولكن من هؤلاء الاقدمين الذين شادوا هذا المعهد الكبير النافع ؟ ··

سؤال نقف عنده اذ ليس لدينا من الادلة التاريخية الا الآثار الموجودة التي سنستنبط منها ما يكون موافقاً للاحكام التاريخية فنقول : سكن هذه البلاد كما روى التاريخ من الامم ذات الحضارة والمدنية والسلطة الكنعانيون والآراميون واليونانيون السلوقيون والتدمريون والرومانيون والمسلمون فالامم الاربع الاولى هم سكان البلاد الاصليون والاثنتان الباقيتان هم الفاتحون الذين قطنوها بعد الفتح فاي امة من هذه

الامم قامت بتشييد هذا المحل ياترى ؟ المسلمون ؟ . . لا لأن الآثار الموجودة ليست من ايامهم بل هي اقدم منهم بقرون عديدة كما انها ليست من اعمالهم ولو كان ذلك لدونوها في كتبهم وكذلك الرومانيون لم يكونوا الا امة فتوح واستعمار لا امة علم وفن ولم يبرزوا الا في بناء المعاقل والحصون في الصحارى لصد صدمات المهاجمين وقلما تنفع دولة مستعمراتها كما تفيد ممالكها الاصلية ومع كل ذلك نرى اثراً من تلك الآثار المتباينة في طراز هندستها وقدمها على نسق الابنية الرومانية ذات العقود والقناطر قائماً على يمين الحمة بمسافة عشرات من الخطوات وهو احدث الآثار الباقية المتداعية الاركان.

واذا امعنا النظر في هذه الآثار ندرك ان ليس للكنعانيين والاراميين من صنعة فيها وربما اقاموا في ذلك المكان حيناً من الدهر حتى داهمتهم الحمم الصادرة عن جوف الارض ابان ثورانها فازهقت نفوسهم ودفنت مساكنهم اذ يبصر المرء هنالك آثاراً طامسة تغشاها الحمم والانقاض الدالة على الثوران في غابر الازمان .

وهنا لم يبق لدينا سوى تينك الامتين السلوقية والتدمرية ولا مناص من نسبة هذا الحمام وما يجاوره من الانقاض الى احداهما او الى كلتيهما لان الامة السلوقية كانت ربة علم وفلسفة لا يفوتها استخدام مثل هذا البخار للمنافع الصحية وكذلك الامة التدمرية على مانعرفه و يعرفه الخاص والعام فان لنا في مدينتها العظمى شاهداً عدلاً على مابلغته من الاتقان في الصناعات والترقي في الفنون وناهيك باعمدتها الباسقة التي كانت تجري من فوقها الانهار فامة مثل هذه لا يعوقها جعل بركان قريب لعاصمتها [1] حماماً يزيل مافي الابدان من الاوجاع والاوصاب .

فكلتا الامتين كان لها في حلبة المعارف افكار سامية وفي مضمار الرقي عقول نيرة ثم دالت دولتهما وهما ينشدان :

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

اي لعمر الحق انها لآثار تدل على ما كان لهم من اليد الطولى في الفنون الجميلة والصناعات البديعة كما ان قيام هذا الحمام ليس عن عبث او سائقة طبيعية بل عن علم صحيح وعقل رجيح فانك اذا حققت النظر في مبانيه الخربة وجدت انها كانت في عهدها الزائل مستوفاة الشروط الطبية داخلاً وخارجاً مما نعجز نحن ابناء القرن العشرين عن الافتكار بمثله ولو بعد حين .

(١) المسافة بين تدمر وابي رباح ستون ميلا

وفوق كل هذا انني ارجح نسبة هذه الآثار الى التدمريين لمشابهة انقاضها لانقاض مدينة تدمر وقربها منها ولما يتواتر عَلَى السنة الاهلين في تلك الانحاء من ان هنالك ساقية قديمة تنتهي الى المدينة المذكورة ٠

نبذة صحية — لو كنت طبيباً لفحصت هذا الحمام من وجهته الطبية والكيماوية فحصاً دقيقاً وعلمت ماهية بخاره ومقدار درجة حرارته ونتيجة تحليله ولكنني لا اطيق التطفل عَلَى موائد الطب فاقتصر عَلَى ما اعلمه من شفائه للمصابين بالامراض العصبية عامة و تيبس الاعضاء والتشنج خاصة ٠

وفاتنا ذكر ماهنالك من المناظر غير الفوهة التي بني عليها الحمام ومنها منفذان احدهما يتداوى به الصم بوضع آذانهم عَلَى فيه والثاني يؤمه العقيمات من النساء لمدفع الاسباب المانعة من حبلهن بقعودهن القرفصاء عليه ولا اخال الاطباء يقولون بخرافة هذه الطريقة لان البخار اذا ما دخل الاذن وبيت الولادة يطهر مافيهما من الاوساخ ان كان ثمت ذلك والله اعلم ٠

لمحة ادارية اقتصادية — ليس من ينكر ان مثل هذه المعاهد اذا عني باصلاحها تأتي بدخل عظيم ولكننا امة قدر لها ان تكون في الاعصر الماضية خاملة كسلى لاتهتدي الى طرق غناها ولا تدرك مقر ثروتها التي هي تحت تصرفها وفي حوزتها فترى المال الذي في جبالها متروكا والممزوج بتربة سهلها منسياً ومن جملة المهملات هذا المكان الذي نحن بصدده وهو لم يزل خراباً يبــاباً يلجأ اليه لصوص الاعراب وجناتهم فلو لحظ بطرف الاهتمام قليلاً وارسل اليه طبيب كيماوي يحلل بخاره ويشــرح فوائده الصحية بتقرير شرحاً وافياً ومهندس يخطط لاعتماره مصوراً كافياً ثم تنشأ فيه اماكن منظمة تسر القاصدين من المرضى وغيرهم بعد بناء مخفرة للجند تمنع المعتدين من اهل البادية وتلزمه الحكومة الى شركة او متمول لقاء مبلغ من المال لكانت تستفيد منه وتفيد فتنشر الامن في تلك الربوع وعساها فاعلة عن قريب وعسى اهل العلم لايضنون علينا بما يكشف الغامض من هذه الحمامات البخارية

فارس فياض

مناظرة القنائي والسيرافي

من المناظرات الجميلة باسلوبها وجمال انشائها ماجرى بين متى بن يونس القنائي وبين ابي سعيد السيرافي نقتبسها من الجزء الثالث من معجم الادباء لياقوت الذي صدر موءخراً ليطلع القراء علَى افكار فيلسوف وافكار نحوي وها نحن نقدم قبل ايراد المناظرة مختصر ترجمة المتناظرين وناقل كلامهما ليكون القارئ علَى بينة ممن يتلو كلامه

اما متى [1] بن يونس او يونان ابو بشر وهو من اهل دير قنى فهو ممن نشأ في اسكول مرماري قرأ علَى قويري وعلَى روفيل وبنيامين ويحيى المروزي وعلَى ابي احمد بن كرنيب وله تفسير من السرياني الى العربي واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره وكان نصرانياً وتوفي ببغداد يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وله من الكتب مقالة في مقدمات صدر بها كتاب انالوطيقا كتاب المقاييس الشرطية شرح كتاب ايساغوجي لفرفوريوس

واما ابو سعيد الحسن السيرافي فيتلخص مما قاله ياقوت في معجم الادباء ان سيراف بليد علَى ساحل البحر من فارس كان ابوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه ابو سعيد عبدالله وقال ابو حيان في كتابه الذي الفه في تقريظ عمرو بن بحر وقد ذكر جماعة من الائمة كانوا يقدمون الجاحظ ويفضلونه فقال : ومنهم ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وامام الائمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة افتى في جامع الرصافة خمسين سنة علَى مذهب ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه علَى زلة وقضى ببغداد وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني فما جاراه فيه احد ولا سبقه الى تمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والامانة والرواية صام اربعين سنة واكثر الدهر كله ومات سنة ٣٦٨

هذا اما ابو حيان التوحيدي فهو المتكلم الصوفي صاحب المصنفات ومنها كتاب البصائر والاشارات وغيرهما وكتاب المقابسات [2] وكان اماماً [3] في النحو واللغة والتصريف فقيهاً موءرخاً وصفه ابن النجار بانه كان فقيراً صابراً متديناً وانه كان صحيح العقيدة الا ان بعض الموءرخين رموه بالكذب وقلة الدين والمجاهرة بالبهتان وانه تعرض لامور جسام

(١) تاريخ الاطباء (٢) المقتبس م ١٠ ص ٣٠٢ (٣) طبقات الشافعية الكبرى

والقدح في الشريعة والقول بالتعطيل قال ابن فارس : ولقد وقف سيدنا الصاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدخله ويخفيه من سوء الاعتقاد فطلبه ليقتله فهرب والتجأ الى اعدائه ونفق عليهم بزخرفه وافكه ثم عثروا منه عَلَى قبيح دخلته وسوء عقيدته وما يبطنه من الالحاد ويرومه في الاسلام من الفساد وما يلصقه باعلام الصحابة من القبائح ويضيفه الى السلف الصالح من الفضائح فطلبه الوزير المهلبي فاستتر منه ومات في الاستتار . وعده ابو الفرج ابن الجوزي في تاريخه احد زنادقة الاسلام الثلاثة وهم ابن الراوندي وابو حيان التوحيدي وابو العلاء قال واشدهم على الاسلام ابو حيان لانه جمجم ولم يصرح . قال السبكي انه وقع عَلَى كثير من كلامه فلم يجد فيه الا مايدل عَلَى انه كان قوي النفس مزدريًا باهل عصره ولا يوجب هذا القدر . قلنا وما كان طلب الصاحب ابن عباد لابي حيان الا لان هذا وضع كتابًا [1] سماه مثالب الوزيرين ضمنه معايب ابي الفضل بن العميد والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما ومن كتبه ايضًا الامتاع والمؤانسة في مجلدين وكتاب الصديق والصداقة وكان موجودًا في السنة الاربعمائة .

واليك الآن هذه المناظرة الغريبة :

قال ابو حيان : ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بين ابي سعيد السيرافي وابي بشر متى واختصرتها فقال لي اكتب هذه المناظرة عَلَى التمام فان شيئًا يجري في ذلك المجلس النبيه وبين هذين الشيخين بحضرة اولئك الاعلام ينبغي ان يغتنم سماعه وتوعى فوائده ولا يتهاون بشيء منه فكتبت : حدثني ابو سعيد بلمع من هذه القصة فاما علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح فانه رواها مشروحة قال : لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلثمائة قال الوزير ابن الفرات للجماعة : (وفيهم الخالدي وابن الاخشيد والكندي وابن ابي بشر وابن رباح وابن كعب وابو عمرو قدامة بن جعفر والزهري وعلي بن عيسى بن الجراح وابو فارس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طغج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان) اريد ان ينتدب منكم انسان لمناظرة متى في حديث المنطق فانه يقول لاسبيل الى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من

(١) ابن خلكان في وفيات الاعيان

الشبهة والشك من اليقين الا بما حويناه من المنطق وملكناه من القيام (١) واستفدناه من واضعه عَلَى مراتبه وحدوده واطلعنا عليه من جهة اسمه علي حقائقه · فاحجم القوم واطرقوا فقال ابن الفرات : والله ان فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته وكسر مايذهب اليه واني لاعدكم في العلم بحاراً وللدين واهله انصاراً وللحق وطلابه مناراً فما هذا التغامز والتلامز اللذان تجلون عنهما · فرفع ابو سعيد السيرافي رأسه وقال : اعذر ايها الوزير فان العلم المصون في الصدور غير العلم المعروض في هذا المجلس عَلَى الاسماع المصيخة والعيون المحدقة والعقول الجامدة (٢) والالباب الناقدة لان هذا يستصحب الهيبة والهيبة (٣) مكسرة ويجتلب الحيا والحيا مغلبة وليس البراز في معركة غاصة كالصراع في بقعة خاصة · فقال ابن الفرات : انت لها يا ابا سعيد فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك والانتصار لنفسك راجع عَلَى الجماعة بفضلك · فقال ابو سعيد : مخالفة الوزير فيما يأمره هجنة والاحتجان عن رأيه اخلاد الى التقصير ونعوذ بالله من زلة القدم واياه نسأل حسن التوفيق في الحرب والسلم ثم واجه متى فقال : حدثني عن المنطق ما تعني به فانا اذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطأه عَلَى سنن مرضي وعَلَى طريقة معروفة · قال متى : اعني به انه آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من سقيمه وفاسد المعنى من صالحه كالميزان فاني اعرف به الرجحان من النقصان والشائل من الجانح · فقال له ابو سعيد : اخطأت لان صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل ان كنا نبحث بالعقل هبك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن من لك (٤) بمعرفة الموزون اهو حديد او ذهب او شبه او رصاص واراك بعد معرفة الوزن فقيراً الى معرفة جوهر الموزون والى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدها فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك وفي تحقيقه كان اجتهادك الا نفعاً يسيراً من وجه واحد وبقيت عليك وجوه فانت كما قال الاول

حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء

وبعد فقد ذهب عليك شيء ههنا ليس كل ما في الدنيا يوزن بل فيها ما يوزن وفيها مايكال وفيها مايذرع وفيها ما يمسح وفيها ما يحزر وهذا وان كان هكذا في الاجسام المرئية فانه ايضاً عَلَى ذلك في المعقولات المقروءة والاحساس (٥) ظلال العقول وهي

(١) لعله القياس (٢) كذا بالاصل (٣) ق -- (٤) ق ذلك
(٥) لعله والاجسام

تحكيها بالتبعيد والتقريب مع الشبه المحفوظ والمماثلة الظاهرة ودع هذا اذا كان المنطق وضعه رجل من يونان عَلَى لغة اهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها من اين يلزم الترك والهند والفرس والعرب ان ينظروا فيه و يتخذوه حكمًا لهم وعليهم وقاضيا بينهم ماشهد له (١) قبلوه وما انكره (٢) رفضوه . قال متى : انما لزم ذلك لان المنطق بحث عن الاغراض المعقولة والمعاني المدركة وتصفح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة والناس في المعقولات سواء الا ترى ان اربعة واربعة ثمانية عند جميع الامم وكذلك ما اشبهه . قال ابو سعيد : لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة وطرائقها المتباينة الى هذه المرتبة البينة في اربعة واربعة انهما ثمانية زال الاختلاف وحضر الاتفاق ولكن ليس الامر هكذا ولقد موهت بهذا المثال ولكم عادة في مثل هذا التمويه ولكن ندع هذا ايضا اذا كانت الاغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل اليها الا (٣) باللغة الجامعة للاسماء والافعال والحروف افليس قد لزمت الحاجة الى معرفة اللغة . قال : نعم . قال اخطأت : قل في هذا الموضع بلى . قال متى : بلى انا اقلدك مثل هذا . قال ابو سعيد : فانت اذاً لست تدعونا الى علم المنطق بل الى تعلم اللغة اليونانية وانت لا تعرف لغة يونان فكيف صرت تدعونا الى لغة لا تفي بها وقد عفت منذ زمان طويل وباد اهلها وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها و يتفاهمون اغراضهم بتصرفها عَلَى انك تنقل من السريانية فما تقول في معان متهولة (٤) بالنقل من لغة يونان الى لغة اخرى سريانية ثم من هذه الى لغة اخرى عربية . قال متى : يونان وان بادت مع لغتها فان الترجمة قد حفظت الاغراض وادت المعاني واخلصت الحقائق . قال ابو سعيد : اذا سلمنا لك ان الترجمة صدقت وما كذبت وقومت وما حرفت ووزنت وما جزفت ولا نقصت ولا زادت ولا قدمت ولا اخرت (٥) ولا اخلت بمعنى الخاص والعام ولا باخص الخاص ولا باعم العام وان كان هذا لا يكون وليس في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني فكأنك تقول بعد هذا لا حجة الا عقول يونان ولا برهان الا ما وضعوه (٦) ولا حقيقة الا ما ابرزوه . قال متى : لا ولكنهم من بين الامم اصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم و باطنه وعن كل ما يتصل به و ينفصل عنه و بفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وانتشر ما انتشر وفشا ما فشا ونشأ ما نشأ من انواع العلم

(١) ق لهم (٢) ق نكروه (٣) ق ــ (٤) لعله متجولة (٥) ق اخرقت (٦) لعله وضعوه

واصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم · قال ابو سعيد : اخطأت وتعصبت وملت مع الهوى فان العلم [١] مبثوث في العالم ولهذا قال القائل

العلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الارض ولهذا غلب علم في مكان دون مكان وكثرت صناعة في بقعة دون صناعه [٢] وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة ومع هذا فانما كان يصح قولك ويسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع الامم بالعصمة الغالبة والفطرة الظاهرة والبنية المخالفة وانهم لو ارادوا ان يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا ان يكذبوا ما استطاعوا وان السكينة نزلت عليهم والحق تكفل بهم والخطأ تبرأ منهم والفضائل لصقت باصولهم وفروعهم والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهل ممن يظنه بهم وعناد ممن يدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم من الامم يصيبون في اشياء ويخطئون في اشياء ويصدقون في امور ويكذبون في امور ويحسنون في احوال ويسيئون في احوال وليس واضع المنطق يونان باسرها انما هو [٣] رجل منهم وقد اخذ عمن قبله كما اخذ عنه من بعده وليس هو حجة عَلَى هذا الخلق الكثير والجم الغفير وله مخالفون منهم ومن غيرهم ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة فكيف يجوز ان يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف او يحله او يؤثر فيه هيهات هذا محال · ولقد بقي العالم بعد منطقه عَلَى ما كان قبل منطقه، وامسح وجهك بالسلوة عن شيء لايستطاع لانه مفتقد بالفطرة والطباع وانت فلو فرغت بالك وصرفت عنايتك الى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها وتجارينا فيها وتدرس اصحابك بمفهوم اهلها وتشرح كتب يونان بعادة اصحابها لعلمت انك غني عن معاني يونان كما انك غني عن لغة يونان وهاهنا مسألة : اتقول ان الناس عقولهم مختلفة وانصباؤهم منها متفاوتة · قال متى: نعم · قال : وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة او الاكتساب · قال : بالطبيعة · قال : فكيف يجوز ان يكون هاهنا شيء يرتفع به الاختلاف الطبيعي والتفاوت الاصلي · قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفا · قال ابو سعيد : فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع ودع هذا اسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب ومعانيه متميزة عند اهل العقل فاستخرج انت معانيه من ناحية منطق

(١) ق العالم (٢) لعله بقعة (٣) ق —

ارسطاطاليس الذي تدل به [١] وتباهي بتفخيمه وهو الواو وما احكامه وكيف مواقعه وهل هو عَلَى وجه واحد او وجوه · فبهت متى وقال : هذا نحو والنحو لم انظر فيه لان لاحاجة بالمنطقي الى النحو وبالنحوي حاجة الى المنطق لان المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ فان مر المنطقي باللفظ فبالعرض وان عبر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى اشرف من اللفظ واللفظ اوضع من المعنى · قال ابو سعيد : اخطأت لان المنطق والنحو واللفظ والافصاح والاعراب والانباء والحديث والاخبار والاستخبار والعرض والتمني والحض والدعاء والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة الا ترى ان رجلا لو قال نطق زيد بالحق ولكن ماتكلم بالحق وتكلم بالفحش ولكن ماقال الفحش واعرب عن نفسه ولكن ما افصح وابان المراد ولكن ما اوضح او فاه بحاجته ولكن مالفظ او اخبر ولكن ما انبأ لكان في جميع هذا مخرفًا ومناقضًا وواضعًا للكلام في غير حقه ومستعملا للفظ عَلَى غير شهادة من عقله وعقل غيره والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة وانما الخلاف بين اللفظ والمعنى ان اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ولهذا كان اللفظ بائدًا عَلَى الزمان يقفو اثر الطبيعة باثر آخر من الطبيعة ولهذا كان المعنى ثابتا عَلَى الزمان لان مستملي المعنى عقل والعقل الهي ومادة اللفظ طينية وكل طيني متهافت وقد بقيت انت بلا اسم لصناعتك التي [٢] تنتحلها وآلتك التي تزهى بها الا ان تستعير من العربية لها اسمًا فتعار ويسلم لك بمقدار وان لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من اجل الترجمة فلا بد لك ايضا من كثيرها من اجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة اللاحقة بك · قال متى : يكفيني من لغتكم هذا الاسم والفعل والحرف فاني اتبلغ بهذا القدر الى اغراض قد هذبتها لي يونان · قال ابو سعيد : اخطأت لانك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير الى وصفها [٣] وبنائها عَلَى الترتيب الواقع في غرائز اهلها وكذلك انت محتاج بعد هذا الى حركات هذه الاسماء والافعال والحروف فان الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات وهذا باب انت واصحابك ورهطك عنه في غفلة عَلَى ان هاهنا سرًا ما علق بك ولا اسفر لعقلك وهو ان تعلم ان لغة من اللغات لاتطابق لغة اخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها في اسمائها وافعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره وما اظن

(١) ق بها (٢) ق — (٣) لعله وضعها

احداً يدفع هذا الحكم او يسأل في صوابه ممن يرجع الى مسكة من عقل او نصيب من انصاف فمن اين يجب ان نثق بشيء ترجم لك عَلَى هذا الوصف بل انت الى ان تعرف اللغة العربية احوج منك الى ان تعرف المعاني اليونانيه عَلَى ان المعاني لاتكون يونانية ولاهندية (١) كما ان اللغات (٢) لاتكون فارسية ولا عربية ولاتركية ومع هذا فانك تزعم ان المعاني حاصلة (٣) بالعقل والفحص والفكر فلم يبق الا احكام اللغة فلم تزري عَلَى العربية وانت تشرح كتب ارسطاطاليس بهامع جهلك بحقيقتها وحدثني عن قائل قال لك حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث عنها حال قوم كانوا قبل واضع المنطق انظر كما نظروا (٤) واتدبر كما تدبروا لان اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة والمعاني نقرت عنها بالنظر والرأي والاعتقاب والاجتهاد ماتقول له لا يصح له هذا الحكم ولا يستتب هذا الامر لانه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفتها انت ولعلك تفرح بتقليدك وان كان على باطل اكثر مما يفرح باستبداده وان كان عَلَى حق وهـذا هو الجهل المبين والحكم الغير مستبين . ومع هذا فحدثني عن الواو ماحكمه فاني اريد ان ابين ان تفخيمك للمنطق لايغني عنك شيئاً وان تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها الى الحكمة اليونانية ومن جهل حرفاً واحداً امكن ان يجهل اللغة بكمالها وان كان لايجهلها كلها ولكن يجهل بعضها فلعله يجهل مايحتاج اليه ولا ينفعه فيه علم بما لايحتاج وهذه رتبة العامة اوهي رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير فلم يتأبى عَلَى هذا وينكر ويتوهم انه من الخاصة وخاصة الخاصة وانه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة وخفي القياس وصحيح البرهان وانما سألتك عن معاني حرف واحد فكيف لو نثرت عليك الحروف كلها وطالبتك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق والتي لها بالتجوز وسمعتكم تقولون « في » لايعلم النحويون مواقعها وانما يقولون هي للوعاء كما يقولون ان الباء للالصاق وان في تقال عَلَى وجوه يقال الشيء في الوعاء والاناء في المكان والسائس في السياسة والسياسة في السائس الا ترى هذا الشقيق (٥) هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها ولا يجوز ان يعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب فهذا جهل من كل من يدعيه وخطل من القول الذي افاض النحوي اذ قال « في للوعاء » فقد افصح في الجملة عن المعنى الصحيح وكنى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ومثل هذا كثير وهو كاف في موضع السكيت . فقال

(١) ق هدسية (٢) لعله « الاغراض » (٣) ق حاصلها (٤) نظرت (٥) كذا بالاصل

ابن الفرات ايها الشيخ الموفق اجبه بالبيان عن مواقع الواو حتى تكون اشد في افحامه وحقق عند الجماعة ماهو عاجز عنه ومع ذلك فهو متشيع به . فقال ابوسعيد : للواو وجوه ومواقع منها معنى العطف في قولك اكرمت زيداً وعمراً ومنها القسم في قولك والله لقد كان كذا وكذا ومنها الائتناف كقولك خرجت وزيد قائم لان الكلام بعده ابتداء وخبر ومنها معنى رب التي هي للتقليل نحو قوله

وقاتم الاعماق خاوي المخترقن [١]

ومنها ان تكون اصلية في الاسم كقولك واقد واصل وافد وفي الفعل كقولك وجل يوجل ومنها ان تكون متحمة نحو قول الله تعالى فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي ناديناه ومثله قول الشاعر

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل [٢]

المعنى انتحى بنا ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلم الناس حال صغره بكلام الكهل في حال كهولته ومنها ان تكون بمعني حرف الجر كقولك استوى الماء والخشبة اي مع الخشبة . فقال ابن الفرات لمتى : ياابا بشر اكان هذا في نحوك [٣] . ثم قال ابوسعيد : دع هذا هاهنا مسألة علاقتها بالمعني العقلي اكثر من علاقتها بالشكل اللفظي ماتقول في قول القائل زيد افضل الاخوة . قال : صحيح . قال : فماتقول ان قال زيد افضل اخوته . قال : صحيح . قال : فما الفرق بينهما مع الصحة فبلح وجنح وعصب ريقه . [٤] فقال ابو سعيد : افتيت عَلَى غير بصيرة ولا استبانة المسألة الاولى جوابك عنها صحيح وان كنت غافلا عن وجه صحتها والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وان كنت ايضاً ذاهباً عن وجه بطلانها . قال متى : بين ماهذا التهجين . قال ابو سعيد : اذا حضرت المختلفة [٥] استفدت ليس هذا مكان التدريس هو مجلس ازالة التلبيس مع من عادته التمويه والتشبيه والجماعة تعلم انك اخطأت فلم تدعي ان النحوي انما ينظر في اللفظ لافي المعنى والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ هذا كان يصح لو ان المنطقي يسكت ويجيل فكره في المعاني ويرتب مايريد في الوهم السياح والخاطر العارض والحدس الطاري واما وهو يريغ ان يبرز ماصح له بالاعتبار والتصفح الى المتعلم والمناظر فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل عَلَى مراده ويكون طباقاً لغرضه وموافقاً لقصده .

(١) البيت لروبة : فليراجع مغني ابن هشام (مصر ١٣٠٢) ٢:٣٥ (٢) البيت لامرئ القيس (٣) لعله بمنطقك (٤) لعله وغص بريقه (٥) يعني التلاميذ

قال ابن الفرات يا ابا سعيد تمم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لاهل المجلس والتبكيت عاملا في نفس ابي بشر · فقال ما اكره من ايضاح الجواب عن هذه المسألة الا ملل الوزير فان الكلام اذا طال مل · فقال ابن الفرات ما رغبت في سماع كلامك وبيني وبين الملل علاقة فاما الجماعة فحرصها عَلَى ذلك ظاهر · فقال ابو سعيد : اذا قلت زيد افضل اخوته لم يجز واذا قلت زيد افضل الاخوة جاز والفصل بينهما ان اخوة زيد هم غير زيد وزيد خارج من جملتهم وذلك دليل (١) انه لو سأل سائل فقال من اخوة زيد لم يجز ان تقول زيد وعمرو وبكر وخالد وانما تقول بكر وعمرو وخالد ولا يدخل زيد في جملتهم فاذا كان زيد خارجاً عن اخوته صار غيرهم فلم يجز ان يكون افضل اخوته كما لم يجز ان يكون حمارك افضل البغال لان الحمار غير البغال كما ان زيداً غير اخوته فاذا قلت زيد افضل الاخوة جاز لانه احد الاخوة والاسم يقع عليه وعَلَى غيره فهو بعض الاخوة الا ترى انه لو قيل من الاخوة عددته فيهم فقلت زيد وعمرو وبكر وخالد فيكون بمنزلة قولك حمارك افره الحمير فلما كان عَلَى ما وصفنا جاز ان يضاف الى واحد منكور يدل عَلَى الجنس فتقول زيد افضل رجل وحمارك افره حمار فيدل رجل علي الجنس كما دل الرجال وكما في عشرين درهما ومائة درهم ·

فقال ابن الفرات : ما بعد هذا البيان مزيد ولقد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الانقياد · فقال ابو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك وان زاغ شيء عن النعت فانه لايخلو من ان يكون سائغاً (٢) بالاستعمال النادر والتأويل البعيد او مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية عَلَى فطرتهم فاما مايتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عليهم وكل ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع والقياس المطرد عَلَى الاصل المعروف من غير تحريف وانما دخل العجب علي المنطقيين لظنهم ان المعاني لاتعرف ولاتستوضح الا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون بترجمة اخرى هم فيها ضعفاء ناقصون وجعلوا تلك الترجمة صناعة وادعوا عَلَى النحويين انهم مع اللفظ لامع المعنى · ثم اقبل ابو سعيد عَلَى متى فقال: الا تعلم ياابا بشر ان الكلام اسم واقع على اشياء قد ائتلفت بمراتب

(١) لعله ودليل ذلك (٢) ق سابقا

مثال ذلك انك تقول هذا ثوب والثوب يقع عَلَى اشياء بها صار ثوبًا ثم به نسج بعد ان غزل فسداته لاتكفي دون لحمته ولحمته لاتكفي دون سداته ثم تأليفه كنسجه وبلاغته كقصارته ودقة سلكه كرقة لفظه وغلظ غزله ككثافة حروفه ومجموع هذا كله ثوب ولكن بعد تقدمة كل مايحتاج اليه فيه • قال ابن الفرات : سله ياابا سعيد عن مسألة اخرى فان هذا كلما توالى عليه بان انقطاعه وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره والحق الذي لاينصره • قال ابوسعيد : ماتقول في رجل قال لهذا عليَّ درهم غير قيراط • قال متى : مالي علم بهذا النمط • قال : لست نازعًا عنك حتى يصح عند الحاضرين انك صاحب مخرقة وزرق هاهنا ماهو اخف من هذا قال رجل لصاحبه : بكم الثوبان المصبوغان وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغان وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغين بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ • قال متى : لو نثرت انا ايضا عليك من مسائل المنطق شيئًا لكان حالك كحالي • قال ابوسعيد : اخطأت لانك اذا سألتني عن شيء انظر فيه فان كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه عَلَى العادة الجارية اجبت ثم لا ابالي ان يكون موافقًا او مخالفًا وان كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك وان كان متصلا باللفظ ولكن عَلَى موضع لكم في الفساد عَلَى ما حشوتم به كتبكم رددته ايضا لانه لاسبيل الى احداث لغة مقررة بين اهلها ما وجدنا لكم الا ما استعرتم من لغة العرب كالسبب والا [1] والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمل والمخصوص وامثلة لاتنفع ولا تجدي وهي الى العي اقرب وفي الفهاهة اذهب ثم انتم هؤلاء في منطقكم على نقض ظاهر لانكم لاتفون بالكتب ولا هي مشروحة وتدعون الشعر ولا تعرفونه وتدعون الخطابة وانتم عنها في منقطع التراب وقد سمعت قائلكم يقول الحاجة ماسة الى كتاب البرهان فان كان كما قال فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب وان كانت الحاجة قد مست الى ما قبل البرهان فهي ايضا ماسة الى ما بعد البرهان والا فلم صنف مالا [2] يحتاج اليه ويستغنى عنه هذا كله تخليط وزرق وتهويل ورعد وبرق وانما بودكم ان تشغلوا جاهلا وتستذلوا عزيزا وغايتكم ان تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص وتقولوا الهلية والاينية والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية والانسية والكسبية والنفسية ثم تمطون وتقولون جئنا بالسحر في قولنا * لا في شيء من باء وواو وجيم في بعض باء وفاء في بعض

(١) لعله والآلة (٢) ق —

جيم والا في كل ب و ج في كل ب فا اذن لا في كل ج [١] وهذا [٢] بطريق الحلف [٣] وهذا بطريق الاختصاص وهذه كلها جزافات وترهات ومغالق وشبكات ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقب رأيه وانارت نفسه استغنى عن هذا كله بعون الله وفضله وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأي وانارة النفس من منائح الله الهيبة [٤] ومواهبه السنية يختص بها من يشاء من عباده وما اعرف لاستطالتكم بالمنطق وجهاً وهذا الناشيء ابو العباس قد نقض عليكم وتتبع طريقكم و بين خطأكم وابرز ضعفكم ولم تقدروا الى اليوم ان تردوا عليه كلمة واحدة مما قال وما زدتم على قولكم « لم يعرف اغراضنا ولا وقف عَلَى مرادنا وانما تكلم على وهم » وهذا منكم لجاجة ونكول ورضى بالعجز والكلول وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض هذا قولكم في فعل و ينفعل ولم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما ولم تقفوا عَلَى مقاسمهما لانكم قنعتم فيهما بوقوع الفعل من يفعل وقبول الفعل من ينفعل ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ومعارف ذهبت عنكم وهذا حالكم في الاضافة فاما البدل ووجوهه والمعرفة واقسامها والنكرة ومراتبها وغير ذلك مما يطول ذكره فليس لكم فيه مقال ولا مجال وانت اذا قلت لانسان كن منطقيا فانما تريد كن عقلياً او عاقلا او اعقل ما تقول لان اصحابك يزعمون ان المنطق هو العقل و هذا قول مدخول لان المنطق عَلَى وجوه انتم منها في سهو واذا قال لك آخر كن نحويا لغويا فصيحا فانما يريد افهم عن نفسك ما تقول ثم رم ان يفهم عنك غيرك وقدّر اللفظ على المعنى فلا ينقص منه هذا اذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به فاما اذا حاولت فرش المعنى و بسط المراد فاحل اللفظ بالروادف الموضحة والاشباه المقربة والاستعارات الممتعة وسد المعاني بالبلاغة اعني لوح منها شيئاً حتى لا تصاب الا بالبحث عنها والشوق اليها لان المطلوب اذا ظفر به على هذا الوجه عز وجل وكرم وعلا واشرح منها شيئاً حتى لا يمكن ان يمترى فيه او يتعب في فهمه او يسترح [٥] عنه لاغتماضه فبهذا المعنى يكون جامعا لحقائق الاشياء ولاشباه الحقائق وهذا باب ان استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس على اني لا ادري ايؤثر ما اقول ام لا ثم قال حدثنا هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين او رفعتم بالخلاف بين اثنين اتراك بقوة المنطق و برهانه اعتقدت ان الله ثالث ثلاثة وان الواحد اكثر من واحد

---

(١) الصواب هو « لا في شيء من ب وان ج في بعض ب فا اذن لا في كل ج والا في كل ب و ج في كل ب فا اذن في بعض ج » (٢) الصواب « وذلك » (٣) لعله الخلاف (٤) لعله البهية (٥) لعله ينتزح .

وان الذي هو اكثر من واحد هو واحد وان الشرع ماتذهب اليه والحق ماتقوله هيهات هاهنا امور ترفع عن دعوى اصحابك وهذيانهم وتدق عن عقولهم واذهانهم ودع هذا هاهنا مسألة قد اوقعت خلافاً فارفع ذلك الخلاف بمنطقك قال قائل « لفلان من الحائط الى الحائط » ما الحكم فيه وما قدر المشهود به لفلان فقد قال ناس له الحائطان معاً وما بينهما وقال آخرون : له النصف من كل منهما وقال آخرون : له احدهما هات الآن آيتك الباهرة ومعجزتك القاهرة وانى لك بهما وهذا قد بان بغير نظرك ونظر اصحابك ودع ايضا قال قائل « من الكلام ماهو مستقيم حسن ومنه ماهو مستقيم كذب ومنه ماهو خطأ » فسر هذه الجملة واعترض عليه عالم آخر فاحكم انت بين هذا القائل والمعترض وارنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب وبين الحق والباطل فان قلت كيف احكم بين اثنين احدهما قد سمعت مقالته والآخر لم احصل عَلَيَّ (١) اعتراضه قيل لك استخرج بنظرك الاعتراض ان كان ما قاله محتملا له ثم اوضح الحق منهما لان الاصل مسموع لك حاصل عندك وما يصح به او يطرد عليه يجب ان يظهر منك فلا تتعاسر علينا فان هذا لايخفى عَلَى احد من الجماعة فقد بان الآن ان مركب اللفظ لايحوز مبسوط العقل والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة وليس في قوة اللفظ من اي لغة كان ان يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سوراً ولا يدع شيئاً من داخله ان يخرج ولا شيئاً من خارجه ان يدخل خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد اعني ان ذلك يخلط الحق بالباطل ويشبه الباطل بالحق وهذا الذي وقع الصحيح منه في الاول قبل وضع المنطق وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق وانت لو عرفت العلماء والفقهاء ومسائلهم ووقفت عَلَى غورهم في قطرهم وغوصهم في استنباطهم وحسن تأويلهم لما يرد عليهم وسعة تنسيقهم للوجوه المحتملة والكنايات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة لحقرت نفسك وازدريت اصحابك ولكان ما ذهبوا اليه وتابعوا عليه اقل في عينك من السها عند القمر ومن الحصا عند الجبل . اليس الكندي وهو علم في اصحابك يقول في جواب مسألة « هذا من باب عدة » فعد الوجوه بحسب الاستطاعة عَلَى طريق الامكان من ناحية الوهم بلا ترتيب حتى وضعوا له مسائل من هذا وغالطوه بها واروه من الفلسفة الداخلة فذهب عليه ذلك الوضع فاعتقد انه (٢) مريض العقل

(١) ق — (٢) لعله سقط « صحيح وهو »

فاسد المزاج حائل الغريزة مشوش اللب قالوا له : اخبرنا عن الاسطقسات الاجولم واصطكاك [١] تضاغط الاركان هل يدخل في باب وجوب الامكان او يخرج من باب الفقدان الى مايخفى عن الاذهان وقالوا له ايضا : ما تشبيه [٢] الحركات الطبيعية الى الصور الهيولانية وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان او مزايلة له على غاية الاحكام ماتأثير فقدان الوجدان في عدم الامكان عند امتناع الواجب من وجوبه في ظاهر مالا وجوب له في امكان اصله وعلى هذا فقد حفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الركاكة والضعف والفساد والفسالة والسخف ولولا التوقي من التطويل لسردت ذلك كله ولقد مر بي في خطه التفاوت في تلاشي الاشياء غير محاط به لانه بلاقي الاختلاف في الاصول والاتفاق في الفروع وكل مايكون على هذا النهج فالنكرة [٣] تزاحم عليه المعرفة والمعرفة تناقض النكرة على ان النكرة والمعرفة من باب الالسنة [٤] العارية من ملابس الاسرار الالهية لا من باب الالهية العارضة في احوال السرية « ولقد حدثني اصحابنا الصابئون عنه بما يضحك الثكلى ويشمت العدو ويغم الصديق وما ورث هذا كله الا من بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق ونسأل الله عصمة وتوفيقاً نهتدي بهما الى القول الراجع الى التحصيل والفعل الجاري على التعديل انه سميع مجيب . قال ابو حيان : هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ الصالح باملائه وكان ابو سعيد روى لمعاً من هذه القصة وكان يقول لم احفظ على نفسي كل ماقلت ولكن كتب ذلك القوم الذين حضروا في الواح كانت معهم ومحابر ايضاً وقد اختل كثير منه . قال علي بن عيسى : وتقوض المجلس واهله يتعجبون من جأش ابي سعيد ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة وقال له الوزير ابن الفرات : عين الله عليك ايها الشيخ فقد نديت اكباداً واقررت عيوناً وبيضت وجوهاً وحكت طرازاً لا يبليه الايام ولا يتطرقه الحدثان . قال قلت لعلي بن عيسى : وكم كان سن ابي سعيد يومئذ قال مولده سنة ثمانين ومائتين وكان له يوم المناظرة اربعون سنة وقد عبث الشيب بلهازمه هذا مع السمت والوقار والدين والجد وهذا شعار اهل الفضل والتقدم وقل من تظاهر وتحلى بحليته الا جل في العيون وعظم في الصدور والنفوس واحبته القلوب وجرت بمدحه الالسنة . وقلت لعلي بن عيسى : اكان ابو علي الفسوي

(١) لعله اصطكاك الاسطقسات والاجرام تضاغط (٢) لعله نسبة (٣) ق والنكرة (٤) ق البسة

حاضراً في المجلس قال : لا كان غائباً وحدث بما كان وكان الحسد لابي سعيد عَلَى مافاز به من هذا الخبر المشهور والثناء المذكور • قال ابو حيان : وقال لي الوزير عند منقطع هذا الحديث ذكرتني شيئاً كان في نفسي واحببت ان اسألك عنه واقف عليه اين ابو سعيد من ابي علي واين علي بن عيسى منهما واين المراغي ايضاً من الجماعة وكذلك المرزباني وابن شاذان وابن الوراق وابن حيو به فكان من الجواب ماتقدم ذكره

التلغراف

سعي ركضاً رسول الكهرباء · عَلَى اسلاكه فوق الهواء
جرى متدفقاً من دون صوت · كما تجري الاشعة من ذكاء
وطار بأرضنا براً وبحراً · كما طارت بروق في السماء
وقد اوحى برمز جاء خطاً · بأقصى المدن يقرأ في جلاء
اصمُّ سامعٌ اقوال دان · واخرس ناطق بمراد ناء
جماد كاتب من غير كف · حروفاً لسن من هذا الهجاء
به التلميح تصريح جلي · به الايجاز تطويل لراء
وليس يريبه حر وبرد · فيجري في المصيف وفي الشتاء
يقابل ضغط اعصار ببر · وتياراً يهيج موج ماء
تجارى في الضياء وفي الدياجي · ليوصل مايشاء بلا وناء
فيشبه في سكينته فؤاداً · يمد الجسم في خير الغذاء
كذا اسلاكه تحكي عروقاً · قد امتدت بجثمان الفضاء
واعصاباً بها الاحساس يجري · لادمغة بجري الكهرباء
تسير بظيها الانباء تحيي · عوالم ارضنا سير الهماء
فسبحان الذي اهدى عقولاً · الى كشف القناع عن الخفاء

عيسى اسكندر المعلوف

العرب

العرب مات شعورهم — فاندبه دهرك باكيا
ولى فولي بعده — انسي وساء مآليا
وظللت للهم المبـ — رح والشقاء مؤاخيا
لااجتلي للعلم الا — شانئاً او قاليا
واذا دعوت الى الهدى — قومي ورحت مناديا
وطفقت اندب حالم — ندب الربوع خواليا
واقول ان عمادنا — يا قوم اصبح واهيا
عافوا النصيحة وانثنوا — لايسمعون دعائيا
قد كنت اطمع ان ارى — وطني بهيجاً زاهيا
فوجدته من كل علم — او علاء خالياً
فرثيته وبكيته — وسكبت دمعاً غاليا
وتقطعت اعشار قلـ — ـبي حسرة وفؤاديا
ياعرب ان خمولكم — ترك القلوب دواميا
اشجى المحب بما شجا — ففدا حزينا آسيا
فمتى الصمود الى العلى — فانال صاح مراديا
وابيت مغتبطاً احـ — ـرز من الحبور ردائيا
فسعادتي ياابن الكرا — م وبغيتي ومراميا
ان تصبح العرب الاذلـ — ـة سادة ومواليا
وتعيد مجداً كان بالـ — ـعلم المرجب حاليا
وتكون نوراً للبريـ — ـة بالمعارف هاديا
وتشيد في ربع العلا — ء معاهداً ومبانيا
فتسوء حساداً نكا — هم فضلها واعاديا
هذي سعادتي التي — انا ناشد وهنائيا
وهي الشفاء لعلتي — وهي الدواء لدائيا

القدس : اسعاف النشاشيبي

مخطوطات ومطبوعات

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

للامام ابي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ صححه محمد امين افندي الخانجي بعد قراءة الاصل على الشيخ طاهر الجزائري طبع بمطبعة « كردستان العلمية » بمصر سنة ١٣٢٨ ص ٢٦٧

علم الاخلاق كما قال ابن ساعد علم يعلم منه انواع الفضائل وكيفية اكتسابها وانواع الرذائل وكيفية اجتنابها وموضوعه الملكات النفسية من الامور العادية ومنفعته ان يكون الانسان كاملا في افعاله بحسب امكانه لتكون أولاه سعيدة وأُخراه حميدة ·
وجميع ما طبع حتى الآن من كتب هذا الفن الجليل مفيد في بابه نافع لطلابه مثل كتاب الذريعة في مكارم الشريعة للراغب الاصفهاني وتفصيل النشأتين له وادب الدنيا والدين للماوردي والفوز الاصغر لابن مسكويه وتهذيب الاخلاق له ايضاً ومداواة النفوس لابن حزم ورسائل اخوان الصفا وحكم ابن عطاء الله السكندري وقواعد التصوف لابن زروق والطب الروحاني للشيرازي ومعظم احياء علوم الدين للغزالي و بعض فصول الفتوحات المكية لابن عربي وغير ذلك من كتب التصوف الصحيح

وهذا السفر من اجل الكتب التي احييت هذه الآونة بمعرفة استاذنا الشيخ طاهر الجزائري نجاد الفرع والاصل متساويين في المحاسن وقد قال عنه في التذكرة الطاهرية الذي وضعه استاذنا في فوائد متفرقة في وصف الكتب النافعة الكثيرة التي يطلع عليها قوله . « وقفت في ذي الحجة سنة ١٣٢٧ على كتاب روضة العقلاء للامام الحافظ الاجل ابي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي احد افراد الدهر فوجدته كتاباً من اجل الكتب وانفعها قصد فيه مؤلفه بيان ما يحتاج اليه العقلاء في ايامهم على اختلاف احوالها وهو من المطالب العالية التي يحرص عليها كل عاقل غير غافل · وليس الرجال باحق بالاستفادة منه من ربات الحجال وقد ابتدأ كل مطلب بحديث ثابت يتعلق به واتبعه بما قصد بيانه ووشاه بشواهد كثيرة مما قاله فيه شعراء الحكماء وحكماء الشعراء وجرى في عبارته على نهج من اوتوا الحظ الادنى من البيان فيجدر بالعقلاء ان يروضوا انفسهم في روضتهم مجتنين من اثمارها ومجتلين لازهارها »

والمؤلف من جلة العلماء المكثرين من التأليف [1] المجودين فيما كتبوا وكتابه هذا عَلَى مانعلم طبع لاول مرة وقد ترجم له ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال مامحصله : « ابو حاتم محمد بن حبان التميمي العلامة الفاضل المتقن كان مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون والاسانيد أخرج من علوم الحديث ماعجز عنه غيره ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم ان الرجل كان بحراً في العلوم سافر مابين الشاش والاسكندرية وادرك الائمة والعلماء والاسانيد العالية وكان من اوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال صنف فخرج له من التصنيف في الحديث مالم يسبق اليه وولي القضاء بسمرقند وغيرها من المدن وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته • قال ابو بكر احمد بن ثابت : ومن الكتب التي تكثر منافعها ان كانت عَلَى قدر ماترجمها به واصفها مصنفات ابي حاتم محمد ابن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السجزي ووقفني عَلَى تذكرة باسمائها ولم يقدر لي الوصول الى النظر فيها لانها غير موجودة بيننا ولا معروفة وانا اذكر منها مااستحسنته سوى ماعدلت عنه واطرحته • فمن ذلك كتاب الصحابة خمسة اجزاء وكتاب التابعين خمسة عشر جزأ وكتاب اتباع التابعين خمسة عشر جزأ وكتاب تبع الاتباع سبعة عشر جزأ وكتاب تباع التبع عشرون جزأ وكتاب الفصل بين النقلة عشرة اجزاء وكتاب علل اوهام اصحاب التواريخ عشرة اجزاء وكتاب علل حديث الزهري عشرون جزأ وكتاب علل حديث مالك عشرة اجزاء وكتاب علل مناقب ابي حنيفة ومثالبه عشره اجزاء وكتاب علل مااستند اليه ابو حنيفة عشرة اجزاء وكتاب ماخالف الثوري شعبة ثلاثة اجزاء وكتاب ماانفرد فيه اهل المدينة من السنن عشرة اجزاء وكتاب ماانفرد به اهل مكة من السنن عشرة اجزاء وكتاب ماعند شعبة عن قتادة وليس عند سعيد عن قتادة جزآن وكتاب غرائب الاخبار عشرون جزأ وكتاب مااغرب الكوفيون عن البصريين عشرة اجزاء وكتاب مااغرب البصريون عن الكوفيين ثمانية اجزاء وكتاب أسامي من يعرف بالكنى ثلاثة اجزاء وكتاب كنى من يعرف بالاسامي ثلاثة اجزاء وكتاب الفصل والوصل عشرة اجزاء وكتاب التمييز بين حديث النضر الحداني والنضر الخزاز جزآن وكتاب الفصل بين حديث اشعث بن مالك واشعث بن سوار جزآن وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن راذان ثلاثة اجزاء وكتاب الفصل بين مكحول الشامي ومكحول الازدي

---

(١) المقتبس م ٥ ص ٣

جزء وكتاب موقوف مارفع عشرة اجزاء وكتاب آداب الرجالة جزآن وكتاب مااسند جنادة عن عبادة جزء وكتاب الفصل بين حديث نور بن يزيد ونور بن زيد جزء وكتاب ماجعل عبدالله بن عمر عبيدالله بن عمر جزآن وكتاب ماجعل شيبان سفيان اوسفيان شيبان ثلاثة اجزاء وكتاب مناقب مالك بن أنس جزآن وكتاب مناقب الشافعي جزآن وكتاب المعجم عَلَى المدن عشرة اجزاء وكتاب المقلين من الحجاز يين عشرة اجزاء وكتاب المقلين من العراقيين عشرون جزأ وكتاب الابواب المتفرقة ثلاثون جزأ وكتاب الجمع بين الاخبار المتضادة جزآن وكتاب وصف المعدل والمعدل جزآن وكتاب مفصل بين حدثنا واخبرنا جزء وكتاب وصف العلوم وانواعها ثلاثون جزأ وكتاب الهداية الى علم السنن قصد فيه اظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه يذكر حديثاً ويترجم له ثم يذكر من يتفرد بذلك الحديث ومن مفاريد اي بلد هو ثم يذكر كل اسم في اسناده من الصحابة الى شيخه بما يعرف من نسبته ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ثم يذكر ما في ذلك الحديث من الفقه والحكمة فان عارضه خبر ذكره وجمع بينهما وان تضاد لفظه في خبر آخر تلطف للجمع بينهما حتى يعلم ما في كل خبر من صناعة الفقه والحديث معاً وهذا من انبل كتبه واعزها ٠

قال ابو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر يعني السجزي فقلت له : ا كل هذه الكتب موجود عندكم ومقدور عليها ببلادكم فقال انما يوجد منها الشيء اليسير والنزر الحقير ٠

قال وقد كان ابو حاتم بن حبان سبل كتبه ووقفها وجمعها في دار رسمها بها فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان وضعف السلطان واستيلاء ذوي العيث والفساد عَلَى اهل تلك البلاد ٠ قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب ان يكثر بها النسخ فيتنافس فيها اهل العلم ويكتبونها ويجلدونها احرازاً لها ولا احسب المانع من ذلك كان الا قلة معرفة اهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله وزهدهم فيه ورغبتهم عنه وعدم بصيرتهم به والله اعلم ٠

قال الامام تاج الاسلام : وحصل عندي من كتبه بالاسناد المتصل سماعاً كتاب التقاسيم والانواع خمس مجلدات وكتاب روضة العقلاء وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب مثل كتب الهداية الى علم السنن من اوله قدر مجلدين وله وهو اشهر من هذه كلها كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شعب الايمان وكتاب

صفة الصلاة · وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار والمشهورين في الامصار والاقطار عالمًا بالطب والنجوم وفنون العلم جعل داره مدرسة لاصحابه ومسكنًا للغرباء الذين يقيمون بها واهل الحديث والمتفقهة ولهم جرايات يستنفقونها داره وفيها خزانة كتبه في يدي وصي سلمها اليه ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة من غير ان يخرجه منها · قال الحاكم : ابو حاتم كبير في العلوم وكان يحسد لفضله ونقدمه · وصنف لابي الطيب المصعبي كتابًا في القرامطة وتوفي سنة ٣٥٤ ودفن في الصفة التي ابتناها بمدينة بست بقرب داره اه

هذا هو الرجل العظيم الذي اغفل ذكره كتاب التراجم والباحثون في آثار السلف كصاحب وفيات الاعيان وفوات الوفيات وصاحب الفهرست وصاحب كشف الظنون ومع هذا لم يغفل عنه ياقوت وترجمه بما هو اهله · وكم في هذه الامة من ضاعت تراجمهم وغابت عنا اعمالهم لضعف في مدارك اهل بلدهم وعقم النفوس في ديارهم وحسد نالهم وهي العلامة المميزة للمصلحين والصالحين التي كثيراً ما أُصيبوا بتأثيراتها الضارة ·

اما الكتاب الذي نشر اليوم فهو روضة علم وادب واخلاق قسمه الى مطالب في ادب النفس ناهزت الخمسين مطلبًا مثل لزوم التقوى والعلم والصمت والصدق والحياء وترك القحة ولزوم التواضع ومجانبة الكبر والتحبب الى الناس ومداراتهم وافشاء السلام والمزاح المباح والاعتزال عن الناس ومؤاخاة الخاصة وكراهية المعاداة والتلون ومجانبة الحرص للعاقل والتحاسد والتباغض ومجانبة الغضب والطمع ولزوم القناعة والتوكل والرضا والعفو وصفة الكريم واللئيم والزجر عن قبول الوشاة وكتمان السر والنصيحة للمسلمين كافة والزجر عن التهاجر ولزوم الحلم عند الاذى واباحة جمع المال للقائم بحقوقه والحث عَلَى اقامة المروآت والزجر عن قبول الهدايا وقضاء الحوائج والحث عَلَى طلب المعالي واطعام الطعام والمجازاة عَلَى الصنائع والحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية وغير ذلك مما يستفيد منه الكبير والصغير و يتأدب به الامير والاجير و يغني غناءه للرجال والنساء على السواء

يفتتح المؤلف كل فصل بحديث صحيح ثم يشفعه بكلام منظوم او منثور ينقله بالرواية ومنظومه كله مما يجدر بالناشئة حفظه لسلاسته وكثرة حكمه ثم يتكلم ابو حاتم من عنده كلامًا يدل على العقل الواسع والعلم النافع وحسن المأتى ولطف الاداء وقد يورد في اكثر الفصول قصصًا تروق العامة والخاصة معًا · نسق تأليفه تنسيقًا عجيبا لم يخل به من

اوله الى آخره حتى جاءت المطالب كلها متساوية بالحجم والفائدة آخذة من الحسن والاحسان بنصيب وافر . فجودة الاسلوب La méthode التي عرفت بها مصنفات الافرنج لعهدنا تجدها على اتمها في الجودين للتأليف في عصور الارتقاء الاسلامي وهذا الكتاب نموذج صالح منها

واليك الآن مثالا من عبارة المؤلف تستدل منها عَلَى مبلغه من الحذق والعلم والبيان . قال ابو حاتم : لايكون المرء بالمصيب في الاشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب والعاقل يكون حسن المأخذ في صغره صحيح الاعتبار في صباه حسن العفة عند ادراكه رضي الشمائل في شبابه ذا الرأي والحزم في كهولته يضع نفسه دون غايته برتوه (خطوة) ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها لان من جاوز الغاية في كل شيء صار الى النقص ولا ينفع العقل الا بالاستعمال كما لاتنفع الاعوان الا عند الفرصة ولا ينفع الرأي الا بالانتحال كما لاتتم الفرصة الا بحضور الاعوان . ومن لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه اخاف ان يكون حتفه في اقرب الاشياء اليه . ورأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل ان يكون والواجب عَلَى العاقل ان يجتنب اشياء ثلاثة فانها اسرع في افساد العقل من النار في يبس العوسج : الاستغراق في الضحك وكثرة التمني وسوء التثبت . لان العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ولا يسعى الا لما يدرك ولا يعد الا بما يقدر عليه ولا ينفق الا بقدر ما يستفيد ولا يطلب من الجزاء الا بقدر ماعنده من الغناء ولا يفرح بما نال الا بما اجدى عليه نفعه منه والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ولمعرفته رفده ومحضره ولعدوه عدله وبره وللعامة بشره وتحيته ولا يستعين الا بمن يحب ان يظفر بحاجته ولا يحدث الا من يرى حديثه مغنما الا ان يغلبه الاضطرار عليه ولا يدعي ما يحسن من العلم لان فضائل الرجال ليست ما ادعوها ولكن مانسبها الناس اليهم ولا يبالي مافاته من حطام الدنيا مع مارزق من الحظ في العقل . انشدني عبد الرحمن ابن محمد المقاتلي

فمن كان ذا عقل ولم يك ذاغنى يكون كذي رجل وليست له نعل
ومن كان ذا مال ولم يك ذاحجى يكون كذي نعل وليست له رجل

قال ابو حاتم : كفى بالعاقل فضلا وان عدم المال بان تصرف مساوي اعماله الى المحاسن فتجعل البلادة منه حلما والمكر عقلا والهذر بلاغة والحدة ذكاء والعيّ صمتاً والعقوبة تأديباً والجرأة عزماً والجبن تأنياً والاسراف جوداً والامساك تقديراً فلا

تكاد ترى عاقلا الا موقراً للرؤساء ناصحاً للاقران مواتيا للاخوان متحرزاً من الاعداء غير حاسد للاصحاب ولا مخادع للاحباب لا يتحرش بالاشرار ولا يبخل في الغنى ولا يشره في الفاقة ولا ينقاد للهوى ولا يجمح في الغضب ولا يمرح في الولاية ولا يتمنى مالا يجد ولا يكتنز اذا وجد ولا يدخل في دعوى ولا يشارك في مراء ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً ولا يشكو الوجع الا عند من يرجو عنده البرء ولا يمدح احداً الا بما فيه لان من مدح رجلا بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه، ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية . والعاقل يكرم على غير حال كالاسد يهاب وان كان رابضاً وكلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض وكلام العاقل وان كان نزراً خطوة عظيمة كما ان مقارفة المأثم وان كان نزراً مصيبة جليلة ومن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه وآفة العقل العجب بل عَلَى العاقل ان يوطن نفسه عَلَى الصبر عَلَى جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك مما لا يخطيه عَلَى مر الايام ولا يجب للعاقل ان يحب ان يسمي به لان من عرف بالدهاء حذر ومن عقل العاقل دفن عقله ما استطاع لان البذر وان خفي في الارض اياماً فانه لابد ظاهر في اوانه وكذلك العاقل لا يخفى عقله وان اخفى ذلك جهده واول تمكن المرء من مكارم الاخلاق هو لزوم العقل اه .

ومن الحكايات التي ساقها قوله : سمعت اسحق بن احمد القطان البغدادي بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم فقال لي : دخلت يوماً على احمد بن حنبل فاذا هو مغموم مكروب فقلت : مالك ياابا عبدالله . قال : خير . قلت : ومع الخير . قال : امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرأت الا انه بقي في صلبي موضع يوجعني هو اشد عليَّ من ذلك الضرب . قال : قلت اكشف لي عن صلبك قال : فكشف لي فلم ار فيه الا اثر الضرب فقط فقلت : ليس لي بذي معرفة ولكن سأستخبر عن هذا قال : فخرجت من عنده حتى اتيت صاحب الحبس وكان بيني وبينه فضل معرفة فقلت له : ادخل الحبس في حاجة قال : ادخل فدخلت وجمعت فتيانهم وكان معي دريهمات فرقتها عليهم وجعلت احدثهم حتى انسوا بي ثم قلت : من منكم ضرب اكثر قال : فاخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا عَلَى واحد منهم انه اكثرهم ضرباً واشدهم صبراً قال : فقلت له اسألك عن شيء فقال : هات فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سياطاً يسيرة الا انه لم

يمت وعالجوه وبرأ الا ان موضعاً في صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر قال : فضحك فقلت : مالك قال : الذي عالجه كان حائكاً . قلت : ايش الخبر . قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها قلت : فما الحيلة قال : يبط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها وان تركت بلغت الى فؤاده فقتلته . قال : فخرجت من الحبس فدخلت عَلَى احمد بن حنبل فوجدته عَلَي حالته فقصصت عليه القصة . قال : ومن يبطه . قلت : انا قال : او تفعل قلت : نعم قال : فقام فدخل البيت ثم خرج وبيده مخدتان وعَلَى كتفه فوطة فوضع احداهما لي والاخرى له ثم قعد عليها وقال استخر الله فكشفت الفوطة عن صلبه وقلت ارني موضع الوجع فقال : ضع اصبعك عليه فاني اخبرك به فوضعت اصبعي وقلت : هاهنا موضع الوجع . قال : ههنا احمد الله علي العافية فقلت : ههنا قال : هاهنا احمد الله على العافية فقلت : هاهنا قال : هاهنا اسأل الله العافية قال : فعلمت انه موضع الوجع قال : فوضعت المبضع عليه فلما احس بحرارة المبضع وضع يده عَلَى رأسه وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم حتى بططته فاخذت القطعة الميتة ورميت بها وشددت العصابة عليه وهو لا يزيد عَلَى قوله اللهم اغفر للمعتصم . قال : ثم هدأ وسكن ثم قال : كأني كنت معلقاً فاصدرت قلت : ياابا عبدالله ان الناس اذا امتحنوا محنة دعوا عَلَي من ظلمهم ورأيتك تدعو للمعتصم قال : اني فكرت فيما تقول وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان آتي يوم القيامة وبيني وبين احد من قرابته خصومة هو مني في حل . اه

ومن اجمل الفصول التي استشهد بها المؤلف وصية الخطاب بن المعلى المخزومي ابنه قال : اخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا ابو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي حدثني عبد الرحمن بن ابي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي انه وعظ ابنه فقال : يابني عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فانها لا تخفى علي الله خافية ، واني قد سمت لك وسماً ، ووضعت لك رسما ، ان انت حفظته ووعيته وعملت به ملأت اعين الملوك ، وانقاد لك به الصعلوك ، ولم تزل مرتجى مشرفاً يحتاج اليك ، ويرغب الى مافي يديك ، فأطع اباك ، واقتصر عَلَي وصية ابيك ، وفرغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولبك ، واياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الاخوان فان ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحناء ، وعليك بالرزانة ، والتوقر من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكي عنك ، والق

صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الاذى ، من غير ذلة لهم ، ولا هيبة منهم ، وكن في جميع امورك في اوسطها ، فان خير الامور اوساطها ، وقلل الكلام ، وافش السلام ، وامش متمكناً قصدا ولا تخطّ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلو عنقك ولا رداءك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات . ولا تقف عَلَى الجماعات . ولا تتخذ السوق مجلسا ولا الحوانيت متحدثا . ولا تكثر المراء . ولا تنازع السفهاء . فان تكلمت فاختصر . وان مزحت فاقتصر . واذا جلست فتربع . وتحفظ من تشبيك اصابعك وتفقيعها . والعبث بلحيتك وخاتمك . وذؤابة سيفك . وتخليل اسنانك . وادخال يدك في انفك . وكثرة طرد الذباب عنك . وكثرة التثاؤب والتمطي . واشباه ذلك مما يستخفه الناس منك . ويغتمزون به فيك . وليكن مجلسك هاديا . وحديثك مقسوماً . واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير اظهار عجب منك . ولا مسألة اعادة . واغض عن الفكاهات . من المضاحك والحكايات . ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك . ولا عن فرسك ولا عن سيفك .

واياك واحاديث الرؤيا فانك ان اظهرت عجبا بشيء منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك الاحلام واغتمزوا في عقلك ولا تصنع تصنع المرأة ، ولا تبذل تبذل العبد ، ولا تهلب[1] لحيتك ولا تبطنها ، وتوق كثرة الحلف ، ونتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والاسراف في الدهن ، وليكن كحلك غبا ، ولا تلح في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم عدد مالك ، فانهم ان رأوه قليلا هنت عليهم ، وان كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، ولن لهم في غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، واذا خاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب من عجلتك ، وتفكر في حجتك ، واري الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تحفز عَلَى ركبتيك ، وتوق حمرة الوجه وعرق الجبين ، وان سفه عليك فاحلم ، واذا هدأ غضبك فتكلم ، واكرم عرضك ، والق الفضول عنك ، وان قربك سلطان ، فكن منه عَلَى حد السنان ، وان استرسل اليك ، فلا تأمن انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكلمه بما يشتهي ، ولا يحملنك ما ترى من الطافه اياك ، وخاصته بك ، ان تدخل بينه وبين احد من ولده واهله وحشمه ، وان كان لذلك منك مستمعا ، وللقول منك مطيعا ، فان سقطة

(١) هلب الشعر نتف ما غلظ منه . وتبطين اللحية ان لا يؤخذ مما تحت الذقن والحنك

الداخل بين الملك واهله صرعة لا تنهض ، وزلة لا تقال ، واذا وعدت فحقق ، واذا حدثت فاصدق . ولا تجهر بمنطقك كمنازع الاصم ، ولا تخافت به كتخافت الاخرس ، وتخير محاسن القول ، بالحديث المقبول ، واذا حدثت بسماع فانسبه الى اهله ، واياك والاحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب وتقف لها الجلود ، واياك ومضعف الكلام مثل نعم نعم ولالا وعجل وعجل وما اشبه ذلك . واذا توضأت من الطعام ، فأجد عرك كفيك ، وليكن وضعك الحرض من الاشنان في فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنخع في الطست ، وليكن طرحك الماء من فيك مسترسلا ، ولا تمج فتنضح على اقرب جلسائك ، ولا تعض نصف اللقمة ثم تعيد مابقي منها منصبغاً فان ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك . ولا تعبث بالمشاش . ولا تعب شيئاً مما يقرب اليه على مائدته بقلة خل اوتابل اوعسل . فان السحابة . قد صيرت لنفسها مهابة . ولا تمسك امساك المثبور . ولا تبذر تبذير السفيه المغرور . واعرف في مالك واجب الحقوق وحرمة الصديق واستغن عن الناس يحتاجوا اليك . واعلم ان الجشع . يدعو الى الطبع . والرغبة . كما قيل تدق الرقبة . ورب اكلة تمنع اكلات . والتعفف مال جسيم . وخلق كريم . ومعرفة الرجل قدره . يشرف ذكره . ومن تعد القدر . هوى في بعيد العقر . والصدق زين . والكذب شين . ولصدق يسرع عطب صاحبه احسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله . ومعاداة الحليم . خير من مصادقة الاحمق . ولزوم الكريم على الهوان . خير من صحبة اللئيم على الاحسان . ولقرب ملك جواد . خير من مجاورة بحر طراد . وزوجة السوء الداء العضال ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه . وطاعة النساء تزري بالعقلاء

تشبه باهل العقل تكن منهم . وتصنع للشرف تدركه . واعلم ان كل امرىء حيث وضع نفسه . وانما ينسب الصانع الى صناعته . والمرء يعرف بقرينه . واياك واخوان السوء . فانهم يخونون من رافقهم . ويحزنون من صادقهم . وقربهم اعدى من الجرب . ورفضهم من استكمال الادب . واستغفار المستجير لؤم . والعجلة شؤم . وسوء التدبير وهن . والاخوان اثنان فمحافظ عليك عند البلاء . وصديق لك في الرخاء . فاحفظ صديق البلاء . وتجنب صديق العافية . فانهم اعدى الاعداء ومن اتبع الهوى . مال به الردى . ولا يعجبنك الجهم من الرجال . ولا تحقر ضئيلا كالخلال . فانما المرء باصغريه قلبه ولسانه . ولا ينتفع به باكثر من اصغريه . وتوق الفساد . وان كنت في

بلاد الاعادي · ولا تفرش عرضك لمن دونك ولا تجعل مالك اكرم عليك من عرضك ·

ولا تكثر الكلام · فتثقل على الاقوام · وامنح البشر جليسك والقبول ممن لاقاك · واياك وكثرة التبريق والتزليق · فان ظاهر ذلك ينسب الى التأنيث · واياك والتصنع لمغازلة النساء وكن متقرباً متعززاً متنبهزاً في فرصتك رفيقاً في حاجتك · متثبتاً في حملتك · والبس لكل دهر ثيابه · ومع كل قوم شكلهم · ولا ترد حتى ترى وجه المصدر · وعليك بالنورة · في كل شهر مرة · واياك وحلاق الابط بالنورة · وليكن السوءال من طبيعتك · واذا استكت(؟)فعرضا · وعليك بالعمارة · فانها انفع التجارة · وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع · ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك · ومن اكرم عرضه اكرمه الناس · وذم الجاهل اياك افضل من ثنائه عليك · ومعرفة الحق من اخلاق الصدق · والرفيق الصالح ابن عم · ومن ايسر اكبر · ومن افتقر احتقر · قصر في المقالة مخافة الاجابة · والساعي اليك · غالب عليك · وطول السفر ملالة · وكثرة المنى ضلالة · وليس للغائب صديق · ولا على الميت شفيق · وادب الشيخ عناء · وتأديب الغلام شقاء · والفاحش امير · والوقاح وزير · والحليم مطية الاحمق · والحمق داء لا شفاء له والحلم خير وزير · والدين ازين الامور · والسماجة · سفاهة · والسكران · شيطان · وكلامه هذيان · والشعر · من السحر · والتهدد هجر · والشح شقاء · والشجاعة بقاء والهدية من الاخلاق السرية · وهي تورث المحبة · ومن ابتدأ المعروف صار له ديناً · ومن المعروف ابتداء من غير مسألة · وصاحب الرياء · يرجع الى السخاء · ولرياء بخير · خير من معالنة بشر · والعرق نزاع · والعادة طبيعة لازمة · ان خيراً فخير وان شراً فشر · ومن حل عقدا احتمل حقدا · ومراجعة السلطان · خرق بالانسان · والفرار عار · والتقدم مخاطرة · واعجل منفعة · ايسار في دعة · وكثرة العلل · من البخل · وشر الرجال · الكثير الاعتلال · وحسن اللقاء · يذهب بالشحناء · ولين الكلام من اخلاق الكرام

يابني ان زوجة الرجل سكنه · ولا عيش له مع خلافها · فاذا هممت بنكاح امرأة فسل عن اهلها فان العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة · واعلم ان النساء اشد اختلافاً من اصابع الكف · فتوق منهن كل ذات بذا · مجبولة على الاذى · فمنهن المعجبة بنفسها · المزرية ببعلها · ان اكرمها رأته لفضلها عليه · لا تشكر على جميل · ولا ترضى منه بقليل · لسانها عليه سيف صقيل · قد كشف القحة ستر الحياء عن وجهها · فلا تستحي من إعوارها ·

ولا تستحيي من جارها · كلبة هرارة · مهارشة عقارة · فوجه زوجها مظلوم · وعرضه مشتوم · ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا · ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين · حجابه مهتوك · وستره منشور · وخيره مدفون · يصبح كئيباً · و يمسي عاتبا · شرابه مر · وطعامه غيظ وولده ضياع · و بيته مستهلك · وثوبه وسخ · ورأسه شعث · ان ضحك فواهن · وان تكلم فمتكاره · نهاره ليل · وليله و يل · تلدغه مثل الحية العقارة · وتلسبه مثل العقرب الجرارة · ومنهن شفشليق شعشع سلفع [1] ذات سم منقع · وابراق واختلاق · تهب مع الرياح · وتطير مع كل ذي جناح · ان قال: لاقالت : نعم وان قال : نعم قالت : لا · مولدة لمخازيه · محتقرة لما في يديه · تضرب له الامثال · وتقصر به دون الرجال · وتنقله من حال الى حال · حتى قلى بيته · ومل ولده · وغث عيشه · وهانت عليه نفسه · وحتى انكره اخوانه · ورحمه جيرانه · ومنهن الورهاء الحمقاء · ذات الدل في غير موضعها · الماضغة للسانها · الآخذة في غير شانها · قد قنعت بحبة · ورضيت بكسبة · تأكل كالحمار الراتع · تنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت · ولم يكنس لها بيت · طعامها بائت · واناؤها هاضير · وعجينها حامض · وماؤها فاتر · ومتاعها مزروع · وماعونها ممنوع · وخادمها مضروب · وجارها محروب · ومنهن العطوف الودود · المباركة الولود · المأمونة على غيبها · المحبوبة في جيرانها · المحمودة في سرها واعلانها · الكريمة التبعل الكثيرة التفضل · الخافضة صوتا · النظيفة بيتاً · خادمها مسمن · وابنها مزين · وخيرها دائم · وزوجها ناعم · موموقة مألوفة · وبالعفاف والخيرات موصوفة · جعلك الله يابني ممن يقتدي بالهدى · ويأتم بالتقى · ويجتنب السخط ويحب الرضى · والله خليفتي عليك والمتولي لامرك ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً اه ·

هذه انموذجات من الكتاب والغالب ان للمؤلف مصنفات غير ماذكر في ترجمته يؤيد ذلك ماقاله آنفا مسعود بن ناصر من ان ما اورده من اسماء مؤلفاته هو عدا ما اطرحه منها بيد ان المؤلف نفسه يحيل في خلال كتابه هذا على بعض مصنفاته مثل كتاب « محجة المبتدئين » « العالم والتعلم » « الوداع والفراق » « التوكل » « مراعاة الاخوان » « مراعاة العشر » · فكم يكون قدر جميع ما خطته انامله ياترى · وقد علق عليه استاذنا

---

(١) الشفشليق العجوز المسترخية : والشعشع الطويلة : والسلفع الصخابة البذيئة السيئة الخلق

المنوه بقدره حواشي نافعة وشكل محل الاشكال منه وحلاه بالفواصل فجاء هذا السفر الجليل وافياً بالغرض من كل جهة حرياً بالمتأدبين ان يتدارسوه و يتنافسوا في اقتنائه لنفاسة طبعه ووضعه

السياسة الاسلامية

تأليف المسيو لشاتليه طبع في باريز سنة ١٩١٠ ص ١٦٥

La politique musulmane, par M. A Le Chatelier. E. Leroux, éditeur, 28 rue Bonaparte Paris

نشر صديقنا صاحب هذا الكتاب وهو من رجال الاجتماع والاستعمار في فرنسا مؤلفاً جديداً بهذا الاسم جعله ملحقاً لمجلة العالم الاسلامي الباريزية وقدمه الى احد اعضاء شورى الدولة الفرنسوية فقال فيه اذا كانت لفرنسا سياسة المانية وسياسة انكليزية بل وسياسة لاتينية فلماذا لاتتخذ لها سياسة اسلامية امام مجموع العالم الاسلامي فان مائتي مليون مسلم احرياء ان يساسوا وتخرج فرنسا في سياستهم عن الاوهام الاستعمارية والسياسية ·

وتكلم على تاريخ امتداد الاسلام في قارتي آسيا وافريقية فقال ان شواطئ البحر الابيض كانت عمالات للمسلمين من الاندلس حتى صقلية وشواطئ افريقية ولما فتحوا بلاد الروم (بيزانس) واخذوا بخناق البلقان زاد المسلمون من جهة اخرى ثم تراجعوا فلم يبق في اوربا غير ستة ملايين منهم وان مسلمي روسيا يتكلمون اللغة الروسية و يتحضرون بالحضارة السلافية ماعدا البوادي منهم وان كان بعضهم يتسامحون بتعلم اللغة التركية العثمانية وقد احتفظوا بعقائدهم واخلاقهم · قال : ولقد اتهم الالبان الذين كانوا اعظم قوة تحرس عبد الحميد في المدة الاخيرة بانتحال العقيدة البكداشية على حين كان من البانيا ان سعت كل السعي في الانقلاب العثماني الاخير

وقال ان احرار العثمانيين ليدعون الى وطنية عنصرية يطبقونها على مصلحتهم حتى خاب ظن من كانوا يوافقونهم بادئ بدء وقاموا يريدون ان يبقوا عثمانيين لااتراكا وان الاحرار ارادوا حياة الاسلام في اوربا الشرقية بعد ان كاد يضمحل امره منها ولكنه عاد وعليه المسحة الاوربية وذلك لاختلاط اهله باهل اوربا فكان من تأثيرات المحيط في هذا الدين ان رزق حياة جديدة ونهضة رافعة فقد احدث الانقلاب العثماني من حيث الاجتماع والعلم فشلا للدين المحمدي على نحو ما كان معروفاً على عهد الخلافة

الحميدية ولكنه ظفر ظفراً ثميناً من حيث السياسة والوطنية فبدا في صورة جديدة اكثر انطباقاً عَلَى الروح الغربية وغدا نفوذه وقوته اكثر مما كانت عَلَى العهد الحميدي . ولم يقصر مسلمو روسيا في نشوئهم الاجتماعي فابدوا العواطف التي فطروا عليها في مطبوعاتهم ودار الندوة الروسية ومؤتمراتهم حتى ضاهى الاسلام في روسيا بقوته الاسلام في الارض العثمانية فتقوى هناك بخلاصه من العوائق التي كانت تضعفه وباشتراك اهله في حركة الشعوب الاوربية وضعف في تقاليده الا انه نشط من عقاله

وان الدارسين في مدارس اوربا من السوريين والمصريين والهنود والفرس والاتراك وان كانوا قلائل في عددهم الا انهم ارباب مكانة بعقولهم سيعيدون الى الامة الاسلامية شبابها . وعقد فصولا كبرى افاض فيها في شيء من ماضي بلاد الاسلام وحالتها الاجتماعية والمادية والمعنوية اليوم فتكلم عَلَى السياسة الاستعمارية في الجزائر وتونس ومراكش وافريقية الغربية وافريقية الشرقية وآسيا كلاماً لم يخرج عن استحسان تلك الطريقة التي اتبعتها فرنسا في الاستعمار وتلقين الامم المحكومة مدنيتها بالقوة والعنف ونزع عاداتها وتقاليدها لتجريعها جرعة من الآداب الفرنسوية وان لم تطقها و «فرنسة» كل من يخفق عَلَى رأسه علم الجمهورية . وبحث في المملكة العثمانية ومصر وبلاد العرب وفارس والصين والهند ومسلمي المالايو والروس بلسان اجتماعي ينظر الى مصلحة قومه من الوجهة الاستعمارية .

وقال في النتيجة ان الواجب عَلَى حكومته ان تفتح اعتماداً بعشرين الف فرنك تقطعها لكلية الجزائر لتستعين بها عَلَى نشر المطبوعات التي تجعل الجزائر مورد العالم العربي ومصدره وما ندري كيف يتسنى ذلك بين قوم يقضى عليهم ان ينسوا انهم عرب العربية ولا يدرسوها نصف او ربع لغة الحضارة الحديثة

ولفت انظار من قدم له كتابه الى اصلاح حال مدرسة اللغات الشرقية في باريز وزيادة العناية بدراسة اللغات الاسلامية أي العربية والفارسية والتركية عَلَى نحو ما سعت انكلترا واصلحت في هذا الشأن كليتي لندرا واكسفورد وسمت المانيا فاصلحت كلية برلين وقال ان الواجب انشاء ناد يأوي اليه من يدرسون في فرنسا من المسلمين كما انشأت برلين ولندرا مثله لهذه الغاية وقال ان اللغة العربية هي لغة التعارف والتعامل بين المسلمين كاللغة الانكليزية بين السكسونيين فينبغي صرف العناية لها . واحسن ظنه كما هي عادته بارتقاء المسلمين ولا سيما في الشؤون الاقتصادية

فقال ان مجموع تجارتهم لم يكن في منتصف القرن التاسع عشر في العالم اكثر من ثروة افقر امة اوربية وعدد المسلمين نحو مائتي مليون ولا يبعد ان لا ينتصف هذا القرن العشرون الا و يصبح مجموعها خمسين مليار فرنك الى غير ذلك من الايضاحات التي تنتفع بها فرنسا و تستفيد في مستقبلها الاقتصادي والاستعماري · والكتاب محلى بمصورات بلاد الاسلام وببعض رسوم الجوامع والاشخاص والكتابات الاسلامية وهو يدل دلالة واضحة عَلَى مبلغ غيرة المؤلف عَلَى مصلحة امته ودرجة علمه باحوال المسلمين اليوم وامس كما هو شهادة ناطقة بان الاخصاء في فرع من فروع العلوم الكثيرة انفع للعالم وللعالَم من الخطف من هنا ومن هناك

النسائيات

مجموعة مقالات نشرت في « الجريدة » في موضوع المرأة المصرية بقلم « باحثة البادية » اوالعقيلة ملك حفني ناصف سنة ١٣٢٨ ص ١٧٦

من نعم الله عَلَى مصر ان فيها عاملين في كل فرع من فروع الحضارة وانها تقلد الغرب في خطواتها نحو الارتقاء حتى كادت تكون قطعة من ديار الغرب لو كان نساؤها متعلمات كرجالها ولكن مصر الغنية بتربتها الذكية لم تقصر في ذكاء عقول ابنائها وبناتها فقد نشأ لها بفضل عقول رجالها ناشئة من النساء يأخذن بايدي بنات جنسهن الى مهيع التقدم وفي رأسهن مؤلفة هذا الكتاب العقيلة ملك حفني ناصف نسبة لوالدها احد شيوخ العلم في القاهرة او « ملكة باسل » نسبة لزوجها · عني بتأديبها والدها فجاءت اديبة بنت الادباء وكاتبة يقل في الكتاب مثلها وقد نشرت الآن ما املاه قلبها عَلَى لسانها وقلمها في معنى تعليم المرأة عَلَى الاسلوب الجامع الى الدين الصحيح آداب الدنيا والمدنية الحديثة

وقد طالعنا ماخطته يراعتها في هذا الشأن ولاسيما محاضرتيها في المقارنة بين المرأة المصرية والمرأة الغربية تكلمت فيها كلام العاقلة الحصيفة عن المولودة ودور الطفولة والمراهقة والخطبة والزواج والاقتصاد المالي والمنزلي والعمل البيتي والاخلاق والعادات ودور الامومة · ومحاضرتها التي القتها في نقد عادات النساء وختمتها بقولها لوكان لي حق التشريع لاصدرت اللائحة الآتية

(المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح اي تعليم القرآن والسنة الصحيحة

(المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الاولي اجبار يًا في كل الطبقات

(المادة الثالثة) تعليمهن التدبير المنزلي علما وعملا وقانون الصحة وتربية الاطفال والاسعافات الوقتية في الطب

(المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب باكمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر

(المادة الخامسة) اطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد

(المادة السادسة) تعويد البنات من صغرهن الصدق والجد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل

(المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج البنات قبل ان يجتمعا بحضور محرم

(المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الاتراك في الاستانة في الحجاب والخروج

(المادة التاسعة) المحافظة عَلَى مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الاشياء والناس بقدر الامكان

(المادة العاشرة) عَلَى اخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا

طالعنا كل هذا ورأينا السيدة المؤلفة اجادت فيه من وراء الغاية لان اقوالها نتيجة خبرة وتجارب بل هي القانون النافع في انهاض المرأة من كبوتها وفي الكتاب مطالب كثيرة في اصلاح المرأة والاعتدال يقرأ من تضاعيفه والادب يقطر من خلاله .

وقد قدم له احمد لطفي بك السيد مدير « الجريدة » والكاتب الخطيب العامل مقدمة لطيفة ابان فيها الغرض من هذه الابحاث فقال لقد اجادت باحثة البادية في جعل بحثها مرتبًا عَلَى هذا النمط المعين فان الاعتدال في تعليم المرأة وتربيتها وتقرير الحد اللازم ان نقف عنده في المساواة بينها وبين الرجال الاعتدال في ذلك كله امان من الزلل والوقوع في نتائج سيئة قد لا تكون اقل في سوء الاثر من نتائج خمول المرأة وقعودها عن السعي الى كمالها الخاص . قال اما الدين فانه ملاك اخلاق المرأة ومناط آدابها وطرق كمالها وموجب الثقة بها . ان تقوى المرأة اكبر الادلة عَلَى صونها ومعرفتها بالواجب وحسن قيامها به . ان شهود المرأة صلاة الجماعة في المسجد الجامع مرة واحدة اصلح لقلبها من

سماع واعظ اخلاقي في الدار او في المدرسة سنة كاملة • وان تقليد المرأة الشرقية لاختها الغربية نافع ولكن هذا التقليد الى اليوم ليس بحسنة جديدة مادام انه خلا من النوع الخاص بالدين • فان الغربية تذهب الى معبدها مرة في الاسبوع عَلَى الاقل والمسلمة الشرقية لا تذهب اليه في مصر ابداً • كأن دخول بيت الله اثقل كلفة عليها وابعد عن رضى وليها من دخولها في بيوتات التجارة وشهودها مسارح اللهو • الا وان حضور النساء صلاة الجماعة عَلَى صورة لائقة ومن غير اسراف هو اول عمل حسي تأتيه المرأة لتقرب به مسافة الفرق بينها وبين الرجل ولتقرر به المساواة المنشودة • وعَلَى الجملة فالكتاب من انفع ما كتب في عصرنا حريٌّ بكل آنسة وعقيلة بل بكل رب بيت ان يتدارسه ويعمل به فبالامس قام في مصر المرحوم قاسم بك امين يحرر المرأة من قيود رقها واليوم قامت ملك ابنة حفني بك ناصف تبين الخطة العملية فمتى يا ترى يكتب لهذه الديار ايضاً ان يقوم فيها من بنات حواء من يسعين لاصلاح شأن بنات جنسهن على الطريقة «الملكية» فالكلام يفضل بفضل مصادره واحسنه ما صدر عن ربات الحسن والاحسان •

سير العلم والاجتماع

العلم والمال بمصر

ظهر كتاب الاحصاء الذي جرت عادة ديوان الاحصاء في مصر ان ينشره كل سنة فاذا فيه ان مجموع دخل مصر كان سنة ١٩٠٩ ١٥٨٨٧٣١٣ جنيهاً ومجموع نفقاتها ١٦٩٠٠٠١٥ جنيهاً وكان دخلها سنة ١٨٨٠ ٩٥٨٤٤٣٠ جنيهاً وخرجها ٧٦٩١٤٢٤ جنيهاً •

وبلغ عدد مدارس الحكومة في هذه السنة المكتبية ٦٤ مدرسة فيها ٩٩٨ استاذاً و١٤٧١٤ تلميذاً منهم ١٤٠٨٧ ذكراً و٦٢٧ انثى وبلغ عدد المدارس الحرة ٢٦٥ مدرسة سنة ١٩٠٨ فيها ٢٣٢٩ استاذاً و ٥٢٤٤١ تلميذاً منهم ٤٦٢٩٣ ذكراً وبلغ عدد كتاتيب الحكومة ١٤٤ كتاباً سنة ١٩١٠ فيها ٤٤٩ استاذاً و١٣٣٦٥ تلميذاً منهم ٩١٨٣ ذكراً وبلغ عدد الكتاتيب الحرة ٣٣٥٦ فيها ٦٧٩٩ استاذاً و١٩٠٨٥٧ تلميذاً منهم ١٧٤٠٢٣ صبياً • وبلغ عدد المدارس الاجنبية ٤٠٩ مدارس فيها ٢٣٢٨ استاذاً و٤٧٣٨١ تلميذاً منهم ٢٨٩١٤ ذكراً و١٨٤٦٧ انثى

المحسنون للشام ولمصر

من اول امارات النهوض في مصر والشام ان ابا السعود افندي الحسيبي من اعيان دمشق يقف خزانة كتبه عَلَى المطلعين والعالمين سبلها في مكان خاص في القنوات وفيها مخطوطات ومطبوعات نادرة وهي نفيسة مهمة لاتقل فيما نحسب عن الفي مجلدو يقف لها عقاراً يقوم بالانفاق عليها وعَلَى القيم · وان عبد الرحمن بك اليوسف من اعيان الفيحاء ايضاً تعهد بتعليم شابين في مدارس فرنسا عَلَى نفقته يعلم الاول الهندسة الميكانيكية والثاني علم الزراعة وان بطرس افندي داغر من اعيان بيروت تبرع لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في الثغر بمئة ليرة كل سنة لتستعين بها على ترقية مدارسها الخاصة بالاناث · ووقف الامير يوسف بك كمال من اعيان القاهرة ١٨٠ فداناً من اجود اراضيه في المنيا وعمارة بالاسكندرية يبلغ صافي دخلها السنوي ستة آلاف جنيه عَلَى مدرسة الفنون الجميلة التي اسسها في احد قصوره في درب الجماميز ووهب هذه المدرسة ايضاً عشرة آلاف جنيه لهدم القصر المذكور و بنائه من جديد عَلَى طرز مدارس الفنون الجميلة في الغرب وهذا فوق ما كان دفعه من المال للجامعة المصرية والمدرسة الصناعية والابتدائية اللتين بناهما في املاكه في صعيد مصر وعلاوة عَلَى قطعة الارض التي تساوي عشرة آلاف جنيه وهبها لنادي المدارس العليا لينشئ فيها منتداه · فاكرم بهؤلاء الرجال الذين يحسنون لانارة العقول فيذكرون في الدنيا بالمحمدة وفي الاخرى بالرحمة

اعمال الطيور

نشرت المجلة الفرنسية مقالة قالت فيها ان النشاط من خصائص الطيور وقلَّ فيها من يتخلف عن هذه القاعدة فالطير البحري المعروف بقصير الجناح Pingouin الذي نرى جناحيه كنصل السيف يتحولان الى قطع يظهر انها تعجزه عن الحركة ومع هذا يطير و يقفز وكثيراً ما نطول مدة طيرانه و تحمله من جزائر الشمال الى البحر الابيض حيث يشتو وهذا مثل طير القوق Cormoran فانه يصيد و يتناول السمك بحذق و يعرف بنزوة منه كيف يمسك ذات القشر وعادمة الفقار من الحيوانات و يتسلى بها فيجعلها نقله وحلواه · وطائر البجع الذي يظهر بانه اعسر يتوكأ عَلَى رجل واحدة في الحدائق وانه لاحراك فيه وهو على العكس طائر رحالة بفضل مارزق من الاجنحة الواسعة التي تكون له بمثابة شراع لانظير له يستخدمه في تنقله على البحيرات والانهار حيث ينزل و يقيم من جنوبي اوربا والهند والصين واميركا واوستراليا · وتمتاز بعض الطيور بنشاطها عَلَى

العمل بان تتخذ لها صناعات مرتبة فالعصفور الدوري الذي كثرت اسماؤه بحسب البلاد هو في الواقع ونفس الامر عامل لا يتعب ذو امانة للغاية فيسميه الاسبانيون وهو في مالقة عند مايكون جاز اليها من جبل طارق نحات الحجر مشبهين له في الصناعة بالبناء لانه يبني عشه ورائده العلم التام في الهندسة ومن انواعه كثير في فرنسا وانكلترا وجنوبي اوربا تختار لوكناتها ثقوب اشجار الصنوبر وتبدع في هندستها واحسان بنائها بالاحجار والملاط فالعصفور في جبل طارق صغير الجرم كالشحرور يستعمل قوادمه ومنقاره لجمع الحجارة والحصا وينقلها الى المحل الذي وقع عليه اختياره ويركمها بعضها فوق بعض محكماً لها طبقة فوق اخرى ويجعل للعش حاجزاً طوله عشرين سنتمترًا وعمقه كذلك وطوله من ٦ الى ٧ سنتمترات وهو يستعمل له نحو ٢٨٠ حجراً ماعدا ٧٠ الى ٧٥ حجراً للتأسيس ويبلغ عدد الاحجار ٣٥٠ ومنها ماوزنه ٦٠ غراماً وعجيب منه كيف ينشط لحمل مثل هذا الثقل والمسافة التي ينقل منها الحجار لعشه ليست بقصيرة ٠

ومن انواع العصافير مايألف البلاد الجبلية وهو ايضاً يختط لعشه في الجدر والاحجار والاشجار خططاً عجيبة ويبالغ في هندسته وتقسيمه وكذلك الحال في الخطاف الذي يشبه السنونو فيكمل عمله وبدلاً من ثقب بسيط يختاره في اعلى العش للدخول يقيم نوعاً من الطريق مغطى في اسفل الجدار ٠ ومن الطيور ما لا يحذق ابتناء الوكنات ومع هذا لا تلقي صغارها عَلَى حصا تختاره لذلك ٠ واعجب مافي هذه الطيور البناءة كلها فطرة الذكاء التي تقودها الى اختيار ادوات البناء ٠ فالسنونو مثلا تعرف كل المعرفة تمييز نوع الملاط الذي تجمع فيه بين اجزاء ماتقيم من البناء من الداخل والخارج وذلك بمفرزاتها اللزجة التي هي من خصائصها الطبيعية وهذه المفرزات يستخدمها بعض الطيور ملاطاً لوكناتها ايضاً ٠ وان الطير المعروف ببناء البيوت ليصنع عشه من الطين والقش حتى ان اهل المكسيك منه تعلموا طريقتهم في البناء

ومن الطيور النجار كما فيها البناء وذلك كالطائر المعروف بالنقار الذي يعيش في الاشجار يتسلق عليها بمخالبه فينقر بمنقار لحاء الشجرة ليفرغ منها الهوام التي يعيش بها فهو عامل غريب يجمع عشه بصبر مدهش ويحفره في بعض الجذوع عَلَى ثلاثة امتار من وجه الارض ويحتال في اجادة محله ماشاء وشاءت الاجادة الغريزية عَلَى نحو ما نشاهد جحوراً نجرتها هذه الطيور كنقار الخشب والصرد في غابات انكلترا ثم تتركها الى محل آخر لا تصل اليه اليد

ومن الطيور ما ينقي الزرع كالقصير الرجلين *Vanneau* يخدم الحدائق كما يخدمها صاحبها والمتعهد لها فهو وان كان يعيش على شواطئ مجاري الانهار ولا سيما البطائح الا انه ينقي الزهور والبذور التي يترك وشأنه ليسرح بينها وليس اجمل من هيئته وهو يقفز ويمر مسرعاً جائياً ذاهباً وجسمه مائل الى الامام وقنبرته منتصبة وريشه مشرق ظاهره سماوي وباطنه ابيض وعينه منتبهة لا يغفل دودة ولا حلزوناً الا ويعزلها عن الزرع بوجدان سليم

واعجب من هذا وذاك حال الطير المسمى الشرطي *Policier* وهو يكثر في اواسط اوربا يقف على الاسلاك البرقية على مساوف بعيدة يرصد الابعاد وهو اسود وله عصابة برتقالية في رأسه يقتات بالديدان ويخافه النسر والباشق والبازي وقد سمي الظالم لانه اذا اختلط بطيور اخرى يتسلط عليها واذا لم يجد اسلاكاً ينزل على بعض العمد او على غصن شجرة واذا كان في السهل ينزل على ظهر بقرة ويعيش من الصيد ولا يهاب ما كان اكبر منه من الحيوانات بل يستخدم منقاره ومخالبه فيدميها ويقتنص وهو بذلك يتحاماه الكواسر وغيرها ولا يقرب من وكناته احد منها واشتهر بالشجاعة بين الطيور حتى انها لتهابه في وكناتها وتحسب له الف حساب ولذلك كتبت له السعادة وهو من بين شذاذ الآفاق من الهوام والطيور والكواسر حامي القانون والمسيطر الاعظم ٠

التحصيل في اوربا

بلغ عدد من يخصون في العلوم في مدارس اوربا خمسة عشر طالبا من اهل دمشق فقط عدا من ارسلتهم الحكومة على نفقتها منهم اربعة في الطب والجراحة واثنان في طب الاسنان واثنان في الحقوق واثنان في الزراعة وواحد في الهندسة وآخر في هندسة الكهرباء وواحد في علم التربية والتعليم واثنان يستعدان في العلم الآن

الرئيس البرتقالي

ان الرئيس البرتقالي الجديد تيوفيل براغا هو كاكثر رؤساء الجمهوريات عالم كبير فان فاخرت فرنسا برئيس جمهوريتها الاول تيرس وفاخرت الولايات المتحدة باحد رؤساء جمهوريتها روزفلت فيحق للبرتقال ان تفاخر برئيسها براغا فهو من اكبر كتابها المعاصرين وهو في السابعة والستين من عمره اشتهر امره منذ خمسين سنة وهو شاعر فيلسوف نقاد فقيه اولى بلاده فخراً لا يبلى بما نشره لها من تاريخ آداب البرتقال الذي

كتبه في عشر سنين متوالية ومن كتبه روح الحق المدني الحديث وهو زعيم القائلين بالفلسفة الحسية في برتقال كما ان بنيامين كونستان زعيمها في براز يل وهذه الفلسفة هي التي وضع اساسها اوغست كونت الفيلسوف الفرنسوي وما برح براغا يحف حوالى منبره في لشبونة اناس من الناشئه الجديدة يوحي اليهم آماله الديمقراطية وروحه الوطنية فلا عجب اذا وقع اختيار امته عليه ليرأسها ٠

اللعب والتربية

كتب احد علماء التربية من الالمان مقالة طلب فيها الى دور التعليم ان تخص وقت بعد الظهر من كل يوم بالالعاب المختلفة تكره عليها الاولاد والمتعلمين اكثر مما تكرههم على تعلم دروسهم واستشهد بقول الامبراطور منذ مدة « انني ابحث عن جنود لحاجتنا ماسة الى جيل قوي من الناس » فالجمناستيك البسيط لايقوم بهذا الغرض بل الواجب المشي الكثير الطويل لا الاكتفاء بالعاب عادية يقوم بها الاولاد والشبان عرضا بل العاب حقيقية علمية مثل التزحلق (باتيناج) والعوم وغير ذلك ٠ العاب يناظرها مدير خبير يستثمر النشاط ويحسن الانتفاع بمرونة الجسد ويقوي بالعمل والعادة اليومية احسن قوى النفس والعقل مثل الصبر والحرية والارادة وعمل مثل هذا المدير لايقلّ في الفضل عن عمل زملائه اساتذة العلوم واللغات والتاريخ فهو يعمل عَلَى تربية الشبيبة عَلَى شرط ان يعطى الوقت اللازم لذلك وهو ينوع الالعاب بحسب الفصول حتى لاينهك القوى في الحر كما يعاملها به في البرد

فقر يابان وغناها

ذهب بعض الاميركيين الى ان يابان افقر بلاد في العالم فاثبت ذلك الاستاذ كامب من كلية كيوتو بالاحصاء الدقيق قابل فيه بين غنى اليابان وغنى غيرها من الامم فقال اذا كانت يابان تملك مثلا ١٠٠ يان (معاملة يابانية نحو فرنك) فان المانيا تملك ٦٨٣ يانًا وفرنسا ٧٤٣ يانًا وانكلترا ١٠٠٨ يانات فالدخل الشخصي اذا سرنا عَلَى هذا النحو هو ١٠ يانات في اليابان و ٤١ في المانيا و٥٢ في فرنسا و٦٠ في انكلترا و٧٣ في الولايات المتحدة ٠ والدين الذي عَلَى بلاد يابان ثقيل تنوء تحته فهو نحو ٢٢ يانًا في المئة ومع هذا فان يابان لايخشى عليها الفقر المدقع والخراب العاجل بالديون لان الفرد منهم يعرف كيف يصرف في سبيل سداد عوز حكومته فيقطع من اكله ويقتصد من

رفاهيته بسائق وطنيته ليعطي حكومته ماتنهض به من المال · والاقتصاد في المعاش من خصائص هذه الامة

اوهام السن

من الشائع عَلَى الالسن ان من تجاوز الخمسين يؤذن نشاطه العقلي والطبيعي بالضعف عَلَى ان الحوادث تثبت نقيض ذلك فان الحياة العلمية والسياسية والادبية مخصبة كثيراً في السن التي يرميها الناس بالعقم ولطالما اورد بعضهم ادلة عَلَى رقيهم العقلي ونشاطهم فان شهرة لورد استراتكونا في عالم السياسة ابتدأت لما كان عمره خمساً وسبعين سنة وهو اليوم في سن التسعين يعمل منذ الساعة العاشرة قبل الظهر ويحضر الولائم الرسمية ثلاث مرات في الاسبوع · وكان عمر وليام مورغان ٦٥ سنة لما كتب قصصه الاولى وكان عمر بيرمون مورغان المثري الاميركي نحو ذلك عند ماوضع خطته في الاثراء · ومنذ خمسين سنة كانوا ينظرون الى ابن الخامسة والاربعين في بلاد الغرب بانه شيخ اما اليوم فلويد جورج السياسي الانكليزي قد بلغ السابعة والاربعين ولا يزال يعد في الشبان وقد بدأ السير هيرام ماكسيم في سن السبعين يعمل عملا جديداً كل يوم · ولما وصل فرنكلين الى باريز سفيراً من قبل حكومة الولايات المتحدة كان عمره احدى وسبعين سنة وبدأ فيكتور هوغو بكتابه تاريخ جناية في الثانية والسبعين من سنه اما الفيلسوف هربرت سبنسر فقد اتم اعماله في الرابعة والثمانين من عمره وعلى كل فالنشاط ميسور لكل من جادت صحته وصحت عزيمته عَلَى العمل شاباً كان او كهلا او شيخاً ولا يزال المرء في هذه الدار يتعلم حتى يموت · والترتيب في الحياة هو سر اقتدار هؤلاء المعمرين عَلَى العمل الى النهاية

اصلاح خطأ

سها عن بالنا ان نقول في الجزء الماضي عند انشاء مقالة جمهورية البرتقال انها ثالث جمهورية في قارة اوربا فان الاولى فرنسا والثانية سويسرا والثالثة تلك الجمهورية الجديدة

وجاء في الكلام عَلَى « روضة العقلاء » في هذا الجزء ان صاحب كشف الظنون لم يذكره بلى انه ذكره بقوله « روضة العقلاء » لابن ابي حيان في الاحاديث وفي هذا خطأ في اسم المؤلف وهو حبان بالباء لابالياء · وفي قوله ان الكتاب في الحديث وهو في الاخلاق

المقتبس

ظلامات عصر الظلمات

كل من القى نظرة اجمالية عَلَى تاريخ القرون الوسطى والقرون الحديثة في هذه البلاد يوقن بان القرون الاخيرة اي القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر كانت اشقى العصور عَلَى هذه البلاد لاحكم فيها الا للقوة لاعدل يحييها ولا علم ينهضها وخصوصاً في الايام التي سادت فيها حكومة الاقطاعات وساد معها جيش الانكشارية (يكي جري) اوالعسكر الجديد فكل ماتراه عينك في دمشق مثلا من بيوت ضيقة متلاصقة وارتجة واطئة واحياء لامنفذ لها وقصور ومدارس في الضواحي خربة انما نشأ من اعتداء هذا الجيش عَلَى افراد الرعية المسكينة وما نجا من ايديهم يتناوله الظلمة من الحكام و يصادرونه و يستصفونه هنيئاً مريئاً لاوازع يزع ولا ادارة منظمة : احكام في الدمار مسمطة وقواعد في السياسة مسلطة وآراء في جلب المصالح ودرء المفاسد مخلطة مغلطة .

ولقد وقع الينا مخطوط نافع (١) اورد فيه موءلفه بالعرض في جملة قصائده بعض ماشاهده في عصره من الكوائن فاحببنا نقلها الى هنا دلالة عَلَى القضية التي قررناها آنفا ولتكون متممة لتاريخ هذه الحاضرة . وهاك ماورد في هذا المعنى بمناسبة مدحه لاحد حواشي سليمان باشا ابن العظم (والي الشام اذ ذاك) قال : « واتفق لهذا الممدوح قصة من غرائب القصص وهي انه سعى في خلاص جماعة من اهل حيه وغيرهم من القتل وفداهم بنفسه ودافع عنهم عند والي الشام بما يستطاع وسلموا من الهلاك بسبب مدافعته

(١) هو ديوان النصائح والانوار اللوائح لموءلفه محمد الحافظ النجار من اهل القرن الثاني عشر وهو من خزانة كتب غالب بك الزالق احد اعيان هذه الحاضرة وفضلائها

عنهم وفر قوم من دمشق خوفاً من واليها واوقع الوالي القتل والنهب بقوم آخرين ظفر بهم في دمشق ثم ان الوالي خرج من دمشق اميراً بقافلة الحج وخرج معه هذا المذكور حاجًا ومؤديًا ماعليه من خدمة السلطان في طريق الحاج فلما وصل الامير والحاج الى المزيريب رجع اولئك النفر الذين فروا من الوالي بعد ان ارسلوا مكاتبة الى جيران هذا الذي سعى في خلاص اكثرهم من القتل تشتمل تلك المكاتبة عَلَى انهم في ليلة كذا يرجعون ويدخلون دمشق بقصد انتهاب دارهذا المذكور وقتل من يظفرون به من اهاليه وقراباته فاجابهم كل من كاتبوه بذلك بالسمع والطاعة وانهم سيكونون لهم عضداً وعوناً عَلَى ما بيتوا عليه وارادوه من السوء بهذا الامر الذي عزموا عَلَى فعله فلما كانت الليلة الموعودة دخل اولئك النفر الفارون دمشق ومعهم نفر من النصارى والدروز والاشقياء اعداء الدين والمسلمين ولما وصلوا الى القرب من الدار المقصودة بالسوء تلقاهم الناس بالترحيب وتحزب معهم غالب الناس من اهالي ذلك المحل حتى بلغوا العدد الكثير فلما قربوا من الحي ترفع اهله في منازلهم وفر من كان في الدار المقصودة من كبير وصغير طالبين للنجاة بانفسهم فلما وصل اولئك النفر المغضوب (عليهم) ومن معهم من المنافقين الذين انضموا اليهم كسروا الابواب وهجموا عَلَى الدار وانتهبوا وضربوا وافسدوا افساداً ماسمع بمثله واصبحوا ماكثين في دمشق لا يهابون احداً فخرج اليهم نائب الوالي والاعيان والموالي فتلقوهم بالحرب والضرب وقتل جماعة وجرح آخرون ورجع النائب ومن معه منهزمين ومكث اولئك النفر الاشقياء بدمشق ريثما بلغوا اربهم من سلب واغتصاب وتهكم وتحكم لا يردهم عن ذلك احد ولا يهابون احداً ٠٠٠٠»

قال : « ولقد حقق الله تعالى جميع مانطقت به هذه القصيدة من الظفر باولئك النفر المفسدين والطافة المعتدين المارقين من الدين على يد وال آخر غير ذلك الوالي المذكور في ترجمة هذه القصة قد عينه السلطان وولاه دمشق لاجلهم بسبب فتنة اضرموا في الشام نارها واثاروا غبارها وافسدوا افساداً فظيعاً فقتلوا وخربوا واستلبوا وانتهبوا واحرقوا الدور والاماكن وحركوا من الشرور كل ساكن وتجاهروا بالفواحش وارتكبوا كل امر مخالف للدين فاحش واعلنوا الفطر في شهر رمضان على رؤوس الاشهاد وتعطلت الاسواق والمعاملات بسببهم في دمشق قريباً من سنة لا نقام جمعة ولا يسمع اذان ولا يفتح جامع ولا يمكن احد ان يخرج من منزله لحاجة ولا لغيرها لفسادهم وافسادهم وتعديهم عَلَى الخاص والعام وانما كان سبب تمكنهم من ذلك عدم وال في الشام فان

واليها كان قد خرج منها الى الحج اميراً ففي رجوعه من الحج عارضه العربان في اثناء الطريق نفر منهزماً بعد ان اعجزوه وانتهبوا قافلة الحاج باسرها بعد ان كانوا انتهبوا جردة الحاج وقتلوا من الجردة والحاج الجم الغفير ... فهذا كان سبب تمكنهم من اقامة الشرور والفتن فجاءهم بعد ذلك هذا الوالي المذكور ثانياً وقتل منهم من قدر عليه وفر منهم من فر منهزماً وسلب دورهم ومتاعهم واثاثهم ووجه اخبارهم وتركهم اذل من اليهود واحقر من الذباب واوهن من الكلاب ولحق دمشق واهلها من ذلك الوالي وحاشيته وجنده اسوأ السوء بسبب قيامهم على اولئك الاشقياء وانتهبت غالب المنازل في دمشق وقتل خلق كثير من البرآء وتوطن هذا الجند الكثير من دور الناس واخرجوا اهلها منها عنفاً وجبراً وقسراً وظهر من اتباع هذا الوالي ماانسي اهل دمشق ما كانوا فيه من الضنك والشدة قبل قدوم هذا الجند اليهم ... واعقب مجيء هذا الوالي الى دمشق في دمشق ضيق وشدائد وشرور وظلم وجور وعسف وتعد واحتقار لاهل دمشق من شدة فظاظتهم وغلظتهم وكان فيهم من النصارى والرافضة مالايحصي عدده وختم ذلك بزلزال في دمشق ونواحيها ورجفات زعزعت الجبال وردمت الدور في غلب الاماكن وهدمت كثيراً من المساجد والمعابد والمنارات وعند كتابتي لهذا المحل كانت مكثت في دمشق خمسة واربعين يوماً وقتل اذ ذاك تحت الردم خلق كثير وخرج غالب الناس من منازلهم وتركوها خالية وتوطنوا البساتين والجبانات . » وقال في مكان آخر : « قد تقدم في هذا الديوان ذكر بعض ماوقع في دمشق من الفتن والمحن والشرور والغلاء والظلم وغير ذلك مما مر وتقدم وكل ذلك قبل تاريخ سنة الف ومائة وسبعين وها انا اذكر ماوقع واتفق لدمشق واهلها في سنة سبعين ومابعدها من العظائم والحوب والازمات والزلازل والرجفات وماتأتى من ذلك من خراب الدور والمنارات والجوامع وما كان في تلك الايام من ظلم وجور وعسف الى ان تداخلت الدواهي والبلايا بعضها في اثر بعض حتى كان آخر ذلك الطاعون الذي انسي ما كان قبله مما يفسد الاديان ويهلك الابدان ويشيب الولدان

وهنا اورد المؤلف ارجوزة مطولة في وصف تلك المحن قال فيها :

لما تقضت عشرة   من صومنا محررة
قامت طغاة فجرة   في شامنا المطهرة
واضرموا نار الفتن   واظهروا خافي الاحن

واوقعونا في محن وكدروا منا الفطن
ومذ رأيت المحنا ثارت وقامت علنا
وكل مكروه انا وكل سوء وعنا
ناديت رباً ذا منن بعدالفروض والسنن
وجنح ليل قد سكن وفيه قد نفر الوسن
وقلت قول المنجي وطالب للفرج
وهارب من حرج يا من اليه الملتجي
يادافع البلاء ياعالم النداء
ياسامع الدعاء يا كاشف اللأواء
خلص اناساً ظلموا من بطش قوم ظلموا
عن الرشاد قد عموا ومن سداد حرموا
وعجل انتصارا واهلك الاشرارا
وايد الابرارا وسدد الاخيارا
وهت ربوع الشام من زمرة طغام
وعصبة لئام خذوا من الحرام
وفرقة فجار طاغية اشرار
قد ازعجوا الذراري باقبح الضرار
لم يرحموا صغيرا لم يستحوا كبيرا
لم يتركوا نقيرا نهبا ولا قطميرا
واعلنوا الفسادا واذهبوا العبادا
واخربوا البلادا واحرموا الرقادا
وحللوا الحراما واهملوا الصياما
وقهروا اليتامى وفضحوا الايامى
واظهروا الاسرافا وقتلوا الاشرافا
وضيعوا الانصافا واكثروا الخلافا
وشتموا الايمانا وكذبوا الايمانا
وهدموا الاوطانا واورثوا الهوانا

وضيعوا الامانة وشهروا الخيانة
وحرموا الديانة وفارقوا الصيانة
وغلبوا الحكاما وابطلوا الاحكاما
واكثروا الضراما وافحشوا الكلاما
مدوا يد الفجائع سنوا مدى المواجع
وقتلوا في الجامع لساجد وراكع
وتابعوا الاذية واعظموا الرزية
واوقعوا البلية واقلقوا البرية
واغلقوا المساجدا واقفلوا المعابدا
واكثروا المفاسدا فحرموا المحامدا
وعطلوا المنابرا وحقروا الاكابرا
ودمروا الاصاغرا واشهروا المناكرا
وقصدوا اذانا واسكتوا الآذانا
وتابعوا الشيطانا وخالفوا السلطانا
وبات كل حالم من جاهل وعالم
وقاعد وقائم بالغم كالرمائم
وكل سوق سكرا وقل بيع وشرا
وقام سوق الافترا ودام هذا اشهرا
يسوء فينا مدة حكت ليالي الردة
فلم نزل في شدة ومحن ممتدة

والارجوزة طويلة وهي عَلَى هذا النمط وقعت في نحو خمس ورقات بالخط الدقيق المندمج قال في آخرها : « وجميع هذه الشكاية انما هي مما وقع من الشرور والفتن في سنة الف ومائة وسبعين في دمشق وما جرى واتفق خارجها من نهاب الجردة في سنة احدى وسبعين ثم ما وقع فيها من انتهاب الحج وماحصل اذ ذاك من الفساد والافساد من طائفة الاعراب والاوغاد ولما انتهبت الجردة ثم مات اميرها ثم انتهب الحج وانهزم اميره ورجع الى دمشق من سلم من القتل منهوبا مسلوبا وكانت نار الفتنة لم تزل ثائرة

في دمشق بين طائفة القول (١) وطائفة الينكشارية من مضي عشر ليال من شهر رمضان والقول اذ ذاك محاصرون في القلعة فلما اقبل المنتهبون من الحجاج الى دمشق خرجت طائفة الينكشارية يتلقون المنهزمين والمنتهبين من الحجاج فكل من ظفروا به وكان من القول قتلوه واخذوا مايجدونه معه من متاع اودابة او غير ذلك حتى انه قد بلغني انهم ظفروا باحد القول خارج دمشق فقتلوه شر قتلة واخذوا ما كان معه ثم احرقوه بالنار واستمرت الشرور والفتن قائمة في دمشق وهي اذ ذاك خالية من وال حيث ان امير الحاج لما انهزم في اثناء الطريق استمر منهزماً ولم يدخل دمشق فبقيت بلا وال ولا حاكم .

ولما بلغ السلطان مصطفى اخبار ماتقدم ذكره من انتهاب الجردة والحج وما في دمشق من الفتن والهرج وان طائفة القول محاصرون في القلعة ساءه ذلك وعين عبدالله باشا الشتجي وامره عَلَى دمشق وعَلَى الحج وانه يستقصي الخارجين عن امره والمتعصبين عَلَى القول ويقتلهم ويرسل برؤوسهم الى الباب العالي والزمه ان يباشر اصلاح طريق الحاج بما امكنه فجاء عبدالله المذكور والياً عَلَى الشام واعمالها واميراً عَلَى الحاج ودخل دمشق في اوائل سنة احدى وسبعين وجاء معه بجند الغالب منهم نصارى واعاجم . فلما قرب من دمشق تحزبت الينكشارية وتجمعوا في جهة الميدان والقبيبات والحقلة ووقع منهم اساءة ادب في حق الوزير وجنده وانتهبوا من نزل منهم بالقرب من محلهم الذي تحصنوا فيه ثم بعد يومين من ذلك نزل من الينكشارية نفر الى جهة باب الجابية وتلك النواحي فظفروا باثنين من الجند فبطشوا بهما فقتل احدهما وجرح الآخر فبلغ الخبر الى الوزير فامر من عنده من الجند ان يذهبوا الى المحل الذي فيه الينكشارية ويقتلوا من يقدرون عليه ويأسروا من قدروا عَلَى اسره فخرج الجند متوجهاً الى جهة حارة الميدان وتلك الجهات فلما وصلوا الى وجوه المطلوبين وتوجهوا فرت طائفة الينكشارية طالبين البراري والقفار فتبعهم نفر من الجند ساعة من نهار وقتلوا منهم عدداً قليلا ورجعوا عنهم واستمر اولئك هاربين ثم ان الجند اخذوا في قتل من رأوه كائناً من كان وشرعوا في النهب والسلب فانتهبوا اغالب المنازل والحوانيت من حدود الحقلة الى باب الجابية واستمر ذلك من الضحوة الكبرى الى وقت العصر والجند يأتون بالرؤوس الى حضرة الوزير فقتل في ذلك اليوم من الرعايا العدد الكثير وانتهب المتاع والمال الغزير الى ان دارك

(١) هم عسكر « القبو قولى »

الله تعالى باللطف بعد ان اخذوا العدد الكثير من الرعايا البرآء وسجنوهم ووضعوا القيود والاغلال في ايديهم وارجلهم واعناقهم ولما بلغ الوزير ان هؤلاء النصارى والاعاجم حصل منهم التعدي في القتل والنهب خرج اليهم ولامهم عَلَى ذلك وامرهم بالكف عن ذلك وجمع ما قدر عَلَى جمعه مما انتهبوه ووضعه في المساجد وارصد له من يحرسه وندب المنتهبين ان يأتوا و ينظروا في الامتعة فمن وجد شيئاً من متاعه اخذه ففعلوا ذلك فما حصلوا على عشر معشار ما انتهب من متاعهم واموالهم واطفأ الله تعالى نار الفتنة ثم اخذ النصارى والاعاجم الذين هم من جند هذا الوزير يتحكمون في اهل دمشق بالسلب والاستحلال والشتم والقذف والضرب والقتل حتى اشاعوا الفواحش وتجاهروا بالزنا وشرب الخمر وحتى تعدوا الى ان يخرجوا اهل المنزل من منزلهم و يسكنون فيه وكان الانسان في تلك الازمان لا يأمن عَلَى نفسه اذا خرج من منزله بعد المغرب ومتى خرج أُصيب بنفسه او ماله . وهذا الذي ذكرته هنا هو الذي اشرت اليه في الارجوزة المتقدمة من الشكاية مما وقع في دمشق من الرزايا سنة احدى وسبعين بسبب ماوقع من طائفة القول والينكشارية من الفساد والافساد ثم بسبب ذلك ماوقع بعده من طائفتي النصارى والاعاجم الذين هم من جند الوزير المذكور سلط الله تعالى الزلازل والرجفات فوقع الردم في المنازل والجوامع والمنارات ومات تحت الردم خلق كثير وقبل ان تسكن تلك الرجفات والزلازل ارسل الله عز وجل الطاعون فاخلى البيوت وفرق الجموع وشتت الشمل وكدر العيش »

وقال بعد ان مدح عام اثنين وسبعين ومئة والف : « وقد كان اهل دمشق في غاية الوجل ونهاية الفرق والقلق من جهة الحاج من شر الاعراب الاشقياء قياساً عَلَى ماوقع منهم من الشر في العام الذي قبل هذا العام وكان الوجل الواقع من اهل دمشق في محله حيث ان العرب بالغوا في التعدي وفجروا واعتادوا سلب الاموال وتكدير الاحوال ولكن الله يؤيد بنصره من يشاء فان امير الحاج الذي هو عبد الله باشا المذكور وقع بينه و بين عرب حرب شر من اجل مال الصر المرصود للعرب من جهة السلطان فتوعده بالشر فاحتال عليهم وقتل امراءهم وفر الاذناب منهم ومضى الامير والحاج سالمين غانمين ولما رجع الامير بالحاج رجع عَلَى طريق آخر بعد ان تجمعت العربان بين الحرمين بقصد المعارضة للحاج فخيب الله آمالهم ولطف سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين وسلمهم من غوائل الاشقياء المجرمين و بلغنا ذلك كله بعد هلة عام اثنين وسبعين بايام فلاجل ذلك خصصت هذا العام بالمدح

ايضاً فقد كان الناس قبل هاته يشكون من قلة الغيث فلما استهل اغاث الله عز وجل العباد واحيا البلاد والا فان الدواهي الواقعة فيه وفي ايامه بدمشق وقراها لم يسمع بمثلها من فساد الجند وافساد العساكر وظلم رئيسهم وجور حواشيه وعسفهم ٠ »

وعاد المؤلف فكرر اهوال ما وقع سنة سبعين ومابعدها وقد دام ما وقع من اذى الجند السابق والجند اللاحق الذي جاء مع الوالي الجديد من عشر ليال من شهر رمضان الى جمادى الاولى و « القول منحشرون في قلعة دمشق والينكشارية ومن تبعهم من الحشرات حول القلعة والحرب قائمة على ساق وقدم وقد اخرج الجند الجديد او بعض الناس من دورهم وتوطنوها ومع اختطافهم لبعض النساء والغلمان جهاراً من غير مدافع لذلك ولا ممانع حاكمين عَلَى جميع اهل الشام بالكفر و بانهم قوم يزيد مصرحين بذلك »

هذه نموذجات من عصر الظلامات والظلمات والكتاب نسخة كتبت بقلم مؤلفه وشعره متوسط حسن بالنسبة لعصره عصر الانحطاط في كل شيء كتبها في ذي القعدة سنة الف ومائة وثلاث وسبعين

الالفاظ السريانية في العربية العامية

اللغة السريانية من امهات اللغات السامية وهي من اصول اللغة العربية ولو بحثت في اصول الالفاظ العربية لرأيت بعضها سريانياً في الاصل كما دخل اليها الفاظ كثيرة من العبرانية والحبشية والفارسية عَلَى نحو ماحققه المحققون من الباحثين في اصل اللغات ٠

كان للسريانية شأن عظيم حتى قال بعضهم ان السريانية كانت لسان آدم ابو البشر وتعدى بعضهم فادعى ان لسان اهل الجنة السريانية وذهبت [1] عصابة من العلماء الى ان السريانية اصل لغات الآدميين بدليل ماورد في اسفار موسى من تسميات تقرب كل القرب من الالفاظ السريانية معنى ومبنى وعَلَى كل فهي بكر لغات النوع الانساني وهي من اعرقهن في القدم واول من انطلق بها لسانه عَلَى مانعهد ارام بن سام فتناقلها الآراميون اخلافه ممن اطلق اسمهم حيناً من الدهر على السوريين اوالسريان الذين عمروا

(١) الدواثر او بقايا اللغة السريانية في اللغة العامية العربية لمؤلفها القس يوسف حبيقة البسكنتاوي بمطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٢ والمطبعة اللبنانية سنه ١٩٠٤ وهي جزآن صغيران

بلاد الكلدان واشور وسورية والمراد بالسوريين غير الاثوريين النازلين من صلب آثور او اسور بن سام من كانوا يسكنون عبر الفرات ولما دوخ ملوك اشور سورية عدّ الاشوريون والسوريون شعباً واحداً ولما اقتسموا الملك عرف من اقام في عبر الفرات بالاشوريين وقد تكلم بهذه اللغة السريانية سكان اورشليم بعد السبي البابلي واكثر نصارى البطريركية الانطاكية والموارنة واما اشهر فروعها فاولها البابلي وهو افصحها واوضحها وابقاها كتبت به بعض اسفار العهد القديم من الكتاب المقدس وثانيها الاورشليمي الذي تكلم به اليهود بعد جلائهم من بابل فتناسوا العبرانية وتلقفوا الكلدانية فشابوها ببعض الفاظ من لغتهم وسميت لغتهم العبرانية لان اليهود كتبوها بالعبرانية وهي كلدانية سريانية والثالثة السريانية الانطاكية وبها كتبت كتب الدين عند الموارنة وكانت شائعة في البلاد العربية والحبشة وقسم من بلاد الارمن ومابين النهرين وسورية ولبنان وفينيقية وانطاكية ·

والى اليوم لايزال اثر ضئيل للسريانية اثناء المفردات العربية في كلام اهل شمالي لبنان كما ان اهل بشراي وحصرون وبعض القرى المجاورة لها كانت تتكلم بالسريانية في اواخر القرن السابع عشر ولايزال الى اليوم اهل معلولا من جبل قلمون يتكلمون باللغة السريانية مع اللغة العربية وقريتان بجوارها

وهاك الآن اسماء بعض قرى الشام التي هي سريانية الاصل :

(داريا) الدور · (بيتيما) بيت اليتيم · (بيت لهيا) بيت الالهة · (زملكا) سلاح الملك · (كفرمشكا) قرية الجلود · (كفرسوسة) قرية الفرس · (كفر قوق) قرية الاكواز · (معربا) المغرب · (المعرة) المغارة · (راشيا) الرؤوس · (البقاع) السهول ·

واليك اسماء بعض قرى لبنان واكثر اسمائها سريانية :

(بكفيا) الموجودة بين الحجارة · (بسرين) الحومات · (حبروون) رفيق من انت · (مزمورا) الترنيمة اوالانشودة · (عيناب) عين ابي · (رمحالا) الرمل العالي · (رشميا) رأس المياه اي اعذبها · (شرتون) صدقتموني · (شوريت) العرق · (بيت مرى) دار سادتي · (البثير) المسكن · (بسكنتا) محل العدل · (بعلشميه) قرينة السماء · (برمانا) ابن من انت · (بتغرين) سوق التجار · (بتعلين) مأوى الثعالب · (عينطورا) عين الجبل · (الشوير) سور · (عين عار) عين الغار ·

(قرنايل) قرن الايل · (العاقورة) العين الباردة · (بجة) الجنة والبستان · (جعيته) الصادحة · (درعون) الذراع · (حدشيت) احد الستة · (عين جوبا) عين الحب · (عاليتا) العالية · (عمشيت) مع الستة · (ميروبا) المياه الغزيرة · (راسكيفا) رأس الحجر · (رشعين) رأس العين · (شمسطار) شمس الجبل · (ايطو) القيظ · (بتحلين) بيت الحلوين · (اسيا) الطبيب · (بشودار) مكان الشر · (اهدن) الجنة · (حردين) انظر اذاً · (حدتون) الجديدة · (مجدليا) البرج · (مارشينا) سيد الامان · (ياريتا) الوارث · (نيحا) الهادئ · (عين تورين) عين الجبال · (صورات) الصور والتماثيل · (كفرحتنا) حقل الختن · (راشانا) الرئيس · (رام) العالي · (شاتين) السثون · (شبطين) القضبان · (تنورين) التنانير · (زغرتا) الصغيرة · (الدوق) المنظر · (فزحيا) كنز الحياء (كفرحى) مكان الحي · (كفرزينا) حقل السلاح · (بكاسين) انا خفية لانها لاترى من كل النواحي · (برقي) ابني · (بتدين) محل القضاء · (كفرتعلا) حقل الثعلب · (مليتا) الملآنة · (ريحات) الاكام · (بطرام) بيت العالي · (بطرومين) بيت السادة · (كفرحاتا) الحقل الجديد · (كفرعقا) حقل العقد · (عايا) الحصن ·

هذه نموذجات من اسماء القرى وهناك كثير من الالفاظ الشائعة في اللغة الدارجة في سورية وهي من اصل سرياني وتجد اكثر هذه الالفاظ في لغة اهل جبل لبنان فمن ذلك قول الام لولدها ردعًا له وتخويفًا من ان يمس شيئًا يؤذيه (أُوواوا) وهي كلمة وعيد · و (واوا) ويل ويل والمعنى ان مسست ذلك الشيء المؤذي فويل ثم الويل لك · وقولهم (الشكارة) للدلالة عَلَى النزر اليسير وهي في الاصل السرياني تدل عَلَى البقعة من الارض فيقولون مثلا : فلان عنده شكارة كرم وفلان مربي شكارة دود حرير وزرع له شكارة قمح · ويقولون عمن يتروى في اموره (فلان يتبحر في اموره) اي يتفحص · ويقولون (يجش الارض) حفرها ويقولون ايضاً يحوش بمعنى نبش وحفر · ومنه قولهم (الولد يبعط) وهي لبط · ومنه (جهجه الضوء) اي انبلج الصبح · ومنه (كعيت) اي عجزت · ومنه (عمل له كعرة ايما كعرة) اي صاح به وانتهره زاجراً · ومنه (جرجره) اي جره · ومن ذلك (زرع دليل) اي متفرق هنا سنبلة وهناك اخرى · (دلف بيتنا) اي وكف وقطر · (دندل) دلى · (دقر الباب) اوصده (دحيناهم) محقناهم وافنيناهم · (طلعت هيلة

الماء) اي بخاره · (يزعق الولد) يصرخ ويصيح · (زفر ثيابه) وسخها ودنسها (زرب الماء اوزرزب او ذرف) نضح وانهرق · (انقطع حيله) قوته وحوله · (حيص الدابة) شدها وربطها · وينعتون الرجل الداهية الشديد المكر بكلمة (حرح) اي المكار المحتال الذي لا يؤخذ من وجه ·

وربما قال بعضهم ان بعض هذه الالفاظ من مفردات العربية الفصحى ولكن لها في بعض التعابير من المعاني ما يحمل على ان يقطع المرء بانها سريانية المبنى والمعنى والوضع والمولد ·

ومن ذلك « طرطوع » من يخلط في كلامه لخفة عقله · (طرش ثيابه) اي لوثها وقذرها · (اطرشوه ماء) رشحوه وانضحوه · ومنه « يطرشون بيوتهم بالكلس او بالحوارى » وهي سريانية · (يما ويما يوجد) ويما البحر او اليم ما يشيرون اليه بضارع امواج البحر غزارة · « كبس العجل » روّضه · « كوّش اوكوش الزبالة » جمعها وكومها · وتقول العجوز لجارتها تغزل صوفاً وغيره اذا ماتكدرت منها « خرب الله كوشتك » تريد احلّ الله ماتكوم من خيوط ساق مغزلك · « تلوش العجين » تعجنه وتعركه · ومن صلواتهم « الميامر واحدها ميمر *Homélie*) قطعة حسنة ينشدون بعضها خلال القداس باللحن · ومن دعاء لموتاهم « الله ينيحهم والله بنيح نفوسهم » اي يريحهم ويمتعهم بالراحة · ومن دوائر لغتهم قولهم « قلبي سايف » اي فان وتالف · « الساعور » المفتقد والزائر والعائد · « عقوس الزنبور » الحمة وابرة الزنبور التي يلسع بها فيقولون عقصه الزنبور اي لسعه · « العتيد » الآتي والمقبل · « داء الفالج » من شق وشطر والفالج يصيب عادة شطراً من الجسم فيقطعه عن الحركة او يأخذ منه الاسترخاء · « الدم يفلفلك » يلوثك ويمرغك كأن يقال قتلك الله وضرجك بدمائك · « فرط الثمر » نثره · « فرم اللحم والتبغ » هبره وقطعه إرباً إرباً · « فرافيط الخبز » فتاته · « فرشخ » وسع ما بين رجليه · ومثله « فشخ »

ومن دوائر لغتهم قولهم « ان هذا الشيء يقاوي كثيراً » يصبر على عوادي الدهر · « هو قافط او قامط » معبس · « قرقش الحمص » صرّ اسنانه عليها فظهرت بها متانتها · « القسيس » الشيخ والمسن · « يرصون الزيتون » يرضونه · « يرشمون البيدر » يضعون علامة عليه ومنه « الرشم » الطابع المنقوش الذي يسمون به البيدر · « شبشول

الذرة » ماتدلى منها دعوها كذلك لاسترسالها كاسترسال اغصان الجفنة · « يشفون اشجارهم » يقلمونها · « اشحط الاولاد » اطردهم · « شحرك الله » سودك · « تشطح عَلَى الحصيرة » تمدد وتسطح · « ريح الشلوق وتسمى الشلهوبة » اي اللهبة والضرم · « شلح متاعه » ارسله ورمى به بعيداً و « شلح » تعرى · « الشلفة » الفأس الصغيرة يقطعون بها الحطب · « شمط له اذنيه » اقتلعهما « شمط » خطف · « شعف او شقف الرغيف والحجارة » من كسر جزأ · « الشربوكة » الشرك والأحبولة · « انشرط » انخزق وانخرق · « شرم الاذن » قطعها · « شرشت الشجرة اوشلشت » تأصلت وضربت عروقها في الارض ومنها الشروش · « شرّش ارضك » اقطع عروقها · « الشماس والاشبين » للمعروفين عند النصارى · « شتل بستانه » نصبه · « الطغمة » الزمرة · « ضربه وتوكه » عطبه · « تكتك » هذر وثرثر · « تف الطعام » قاءه ومجه والتف البصاق غير السائل · و يصفون الرجل الداهية بكلمة « بهموت » وهو الغول عند السريان كالسعلاة عند العرب · « بح ياولدي » جف ونفد · « نوص القنديل » من برض العشب اذا بان اولا فاولا · و يقولون « فو عليك » اي اف عليه كلمة تكره · « شخط جلده » اي خزق · « كش الدجاج » وغيره من الطائر زجره · « تحمط له او عليه » اغتاظ وغضب · « تروحن » انفرج ونفس كربه « البكير واللقيس » للمطر الوسمي والولي · و يقول من يتورط في امر صعب يتشكى قائلا ماهذه « البلشة » اي الضر · « بعقه » رفسه برجله وركله في بطنه · « برعط الولد » من تبرعص في الماء اي اختلج فيه · « الغوغا » الصخب والجلبة « جم الكرم » اذا اقتضبها من اسفل جذعها لتنبت من جديد · « الجملون » وهو سقف من خشب محدب كسنام الجمل مستطيل وهو تصغير الجمل في اللغة السريانية · « جعر الفدان والجمل » من عج الثور والجمل · « غف الطائر فريسته » اذا حام حولها او وثب بشدة · « الدجال » وهو الى السريانية اقرب منه الى العربية · ويقولون عمن يموت برداً « دنق » اي تعذب وتألم لما يأخذه من نوافح البرد · « حركش » من حرش بين القوم واغرى · « يطيب ارضه » يجعلها صالحة لالقاء البذار فيها · « الطربون » الغصن الصغير او المورق · « كدن الفدان » من قرن الثورين اي شدهما الى نير واحدة · و يقولون للشيخ المسن « اختيار او ختيار » اي شيخ · « ماسورة الحائك » وهي لفافة من الخيوط يلفها عَلَى عقدة قصب مجوفة ·

ولو اردنا استقصاء هذه الكلمات الدخيلة في اللغة العربية العامية بل واللغة الفصحى

الدخيلة من الالفاظ السريانية لطال بنا المطال · وهنا نكتفي بما تقدم مضيفين اليه « سكر الباب » « سرد الغربال » « عكشه الثور » نطحه « عرم التراب » كومه وكدسه « عرم الاناء والكيل بالجوامد » اطفحه « فرطش مناخيره » « فركش الولد » « فقع » تمزع غيظاً « فاش عَلَى وجه الماء » « فشار » المهذار « صمد دراهم » « صمد العروس » « صنة الابط » نتنه · « قبع الحجر » اصله في الركز فاستعمل في القلع « قرمة الشجرة » جذعها « قن الدجاج » « جلد فلان مقشب » اي شارث متشقق « الشوب » الحر « الشموط » الكبة من الصوف « الشقيف » الصخر العظيم « شقل الحجر » رفعه « الشرنقة » البيت الذي تنسجه دودة الحرير لنفسها « طبش الاناء » كسره · وكذلك « الناسوت » و « الجبروت » و « الكهنوت » و « الملكوت » و « برا وجوا » « وباخ الثوب »

غرف التجارة

ايقنت الامم التي كانت تحرص في اوائل القرن التاسع عشر عَلَى الانتصار في ميدان الهيجاء ان المصالح الاقتصادية اهم المصالح واكثرها نفعاً فاخذت تعمل لتوسيع نطاق تجارتها واعرضت عن توسيع مساحة بلادها · ولا مشاحة في ان تقدم الامم ونجاحها في حالتي السلم والحرب ومضاء حكمها ونفوذها في البلاد الابتدائية لا يكون الا بالمال وما يقوم به من الاعمال التجارية والصناعية ·

تقحمت الدول في القرن العشرين حرباً ضروساً لفتح مصادر جديدة لمحاصيلها المتزايدة يوماً فيوماً في جميع انحاء المعمور بفضل الصناعات الكبرى اعني الصنائع التي تكوّن بالالوف المؤلفة من رؤوس الاموال وتضم الالوف من العمال تحت سقوف المعامل الفخمة وهكذا اخذ ارباب الصناعات والمستثمرون يبحثون البحث المدقق عن اسواق البلاد في كل قطر ومصر · وكان النصر في حلبة هذه الحرب حليف الفئة التي اعدت السلاح الاقوى والاسباب المؤثرة فنشأت من ذلك لامتهم مكانة اقتصادية بين الامم لم تكن لتحلم بها قبل عشرين عاماً او ثلاثين ·

ان اميركا التي كانت تستحصل دون ان تعنى بتصريف محاصيلها وبيعها الى عهد غير بعيد احست بلزوم الحيد عن سياستها القاضية بسد ابواب التجارة حتى ان احد

المفرطين في التشديد باصول حماية الصناعة والتجارة صرح لامته في خطبة القاها قبل وفاته ببضعة ايام انه لابد من توسيع نطاق التجارة وعقد العهود مع بعض الدول توصلاً لهذه الغاية وفتح خلات في ابواب الجمارك المسدودة

وليست امة الاميركان وحدها في حاجة الى المبادلة التجارية بل جميع ام الارض المنتجة مضطرة لمبادلة محاصيلها زراعية كانت اوصناعية . وليس الاستحصال غاية وانما هو واسطة والمستحصلون لا يستحصلون لانفسهم بل للانتفاع بما هم احوج اليه من ثمرات اعمال غيرهم عن طريق المبادلة ومكانتها وزواجها متناسبان مع مكانة المصادر ووفرتها وتحقيق ذلك من واجبات التجار مباشرة واما الحكومة فلا ينتظر منها الا ابلاغ التجار ما يتصل بها من الاخبار بواسطة قناصلها والذب عن حقوق رعاياها في البلاد الاجنبية وان لاتسن قوانين وانظمة تمس حرية التجارة وان تقيم قوتها مقام قوى الافراد حيث تكون الامة متأخرة في العلم والتجارة وان تكون لهم خير دليل فيما يمكن ان تكون

ولكن التجار في البلاد الراقية لا يعتمدون في ترقية التجارة الوطنية الا على انفسهم ولا يستغني تجار الام النازلة عن هذا العضد على ان موظفي الحكومة لا يعلمون حق العلم ولا يستطيعون ان يعلموا كنه التجارة وسير اعمالها . فكيف يصح ان يقودوا التجار وهم احوج الى قيادتهم وآرائهم المؤيدة بالاختبار الصحيح والتجارب المتواصلة .

وقصارى القول فلا يجدر بالحكومة ان تعين وجهة سير التجارة بين بلادها والبلاد الاجنبية وان فعلت لا تصلح خطأ اوجبه تداخلها حتى تقع في مثله ومن الحتم عَلَى الحكومة ان تشاور من هم احق بالمشورة في سن الشرائع والانظمة الداخلية وتعيين خطتها في المشاريع العمرانية ووضع الضرائب التي لها علاقة بالتجارة والقيام بكل ماله مساس بالمصالح الاقتصادية والا تقع في حيص بيص فلا تنطبق شرائعها عَلَى حاجيات الامة ولا تلائم الاحوال الاقتصادية وتحول دون ارتقاء البلاد من حيث العمران وتخنق الروح التجارية بالتعديل الذي تحدثه في اصول الضرائب . وبعد فان المعهد الذي يهدي الحكومة الى المحجة المثلى في مجرى اعمالها و يقوم بكثير من الواجبات التي ترتفع بها مكانة التجارة الوطنية هي الغرفة التجارية

اخذت الطبقات الاقتصادية «*» في الام التي نالت حريتها السياسية واحتفظت هي ونوابها بحق التشريع تسعى لترقية الاوضاع التي يؤلفها المنتخبون « بالفتح » من بينهم

«*» التجار والزراع والصناع او ارباب مذاهب المعاش المشروع

ليدافعوا عن منافع الطبقات الاقتصادية وكان لهذه الحركة الاقتصادية ثمرات عظيمة تعود عَلَى الافراد والامة بالنفع العميم ولما كان اعضاء هذه الاوضاع « غرف التجارة والزراعة والصناعة » يمثلون الطبقات الاقتصادية عامة اصبحت كلمتهم نافذة عن موكليهم والحكومة تحترم آراءهم واقوالهم وتصيخ الى مطاليبهم لانهم امناء الزراع والصناع والتجار وعمدتهم ولهم اطلاع عَلَى حاجات البلاد مهما تنوعت وتضاربت فيوءلفون بينها ويجمعونها حول مركز واحد

ومن المسلم انه لايعتمد في الشوءون الحيوية الا عَلَى ذوي العلاقات بالمناهج الحيوية ولذلك يستناد من آراء ارباب الصناعات في الصناعة ومن التجار في آرائهم عن التجارة . ولما كان الرجوع في كل مسألة الى عامة التجار والصناع متعذراً اقتضت الحال ان تعتبر هذه الغرف والاندية التي حاز اعضاوءها الثقة العامة مرجعاً وآراء هذه الاندية تعتبر كآراء عامة افراد الطبقات الاقتصادية . والحكومة تعلم حق العلم ان موكلي رجال هذه الاوضاع قوة عظيمة اجتماعية في البلاد وان الايدي لاتجسر ان تتلاعب بهذه القوة .

اقيمت الغرف التجارية لمصلحة يجب الدفاع عنها ولا يرجى اقتطاف الثمرات من هذه المصلحة بمجرد اعمال الحكومة وتدابيرها ولذلك لاينكر احد الداعي الى تأسيس الغرف التجارية ولكن هل هذه الغرف اسست عَلَى طراز واحد في كل قطر ومصر ؟

الغرف تنقسم من حيث تأليفها قسمان

١ — الغرف الموءسسة عَلَى القاعدة الفرنسوية توءسسها الحكومة ويحضر جلساتها من تنيبهم الحكومة عنها وحق انتخاب اعضائها محصور بالتجار المقيدين في سجل الغرف التجارية اومن يدفع منهم مبلغاً معيناً من ضريبة الباتنت والحقيقة ان هذا الشكل من الغرف عبارة عن نقابات الزامية ومداخيلها من الضرائب الموضوعة لها .

والغرف التجارية في المانيا وهولاندا والنمسا وايطاليا والبرازيل ورومانيا من هذا القسم .

والغرف الصناعية والتجارية في النمسا توفد نواباً الى مجلس الامة ولذلك فان لها هنالك فروضاً سياسية تقوم بها . وغرف التجارة الالمانية رسمية ايضاً ولكل من غرف الحكومات الالمانية التجارية قوانين خاصة بها . ولها واجبات خاصة عدا عن واجباتها العامة تتعلق بالامور العدلية اذ انها تنتخب مرشحين من التجار يناط بهم امر القضاء في محاكم الدعاوي التجارية وتعرض اسماءهم عَلَى الامير .

والغرف التجارية في ايطاليا تابعة لقانون ١٨٦٢ وغرف التجارة الرومانية تابعة لقانون ٧ ايار ١٨٨٦ اما الغرف التجارية العثمانية فهي عَلَى الجملة من الغرف المؤسسة عَلَى القاعدة الفرنسوية ·

٢— الغرف المؤسسة عَلَى القاعدة الانكليزية عبارة عن نقابات تجارية حرة ليست لها صفة رسمية قط · ومداخيلها من رواتب الاعضاء وهذه الغرف التي يمكن ان ينتظم في سلكها جمهور صنوف التجار اشبه بنقابات الصناعات المتحدة المؤلفة من رؤساء الصناعة بتلك النقابات المنتشرة في الاقطار الاوربية كافة ·

تلتئم الغرف التجارية كل عام في انكلترا وتؤلف مؤتمراً عاماً وكذلك في اميركا وللقرارات التي تبرم في مؤتمري اميركا وانكلترا شأن عظيم · والغرف التجارية في البلجيك واميركا والبرتقال واليابان من هذا النوع · تنشئ الغرف التجارية الانكليزية الثغور وتتعهد بمحافظتها وتستوفي في مقابلة ذلك ضرائب معينة من السفن ·

ولهذه النقابات « الغرف التجارية الانكليزية » التي تؤلف قوة عظيمة في مملكة بريطانيا العظمى تأثير كلي في كثير من الاصلاحات القانونية ·

وقد كانت غرف التجارة في البلجيك الى تاريخ ١٨٧٥ من نوع الغرف الفرنسوية ثم نزعت « بضم النون » عنها الصفة الرسميه وسمح القانون من ذلك العهد بتأسيس غرف حرة · اما روسيا فلها اشكال من الغرف خاصة بها :

اولاً في كل بورص لجان تنتخبها التجار والصناع عَلَى اختلاف ضروبهم ولهذه اللجان اجتماعات متوالية · ثانيا ان لكل من صنوف التجار والصناع مجامع ينتخب اعضاءها « جمهور الصنف الذي ينتسب المجمع اليه » واهم هذه المجامع « مجمع معدني روسيا الجنوبية » وتلتئم هذه المجامع مرتين في الخريف والربيع من كل عام وتمتد اجتماعاتها خمسة عشر يوماً اوعشرين وقد تتجاوز الاجتماعات هذه المدة · ثالثاً ان في نظارة التجارة الروسية مجلساً صناعياً تجارياً تعين الحكومة النصف من اعضائه وتنتخب الصناع والتجار سائر الاعضاء و يتجدد انتخاب هؤلاء « الاعضاء المنتخبون » مرة كل ثلاثة اعوام ·

فتمر اللوائح القانونية التي لها علاقة بالتجارة اوالصناعات كافة من لجان دور البورص والمجامع والمجلس الصناعي التجاري في نظارة التجارة الروسية وكل من هذه الاوضاع يؤخذ رأيه في اللوائح المذكورة ·

هل الغرف التجارية المؤسسة على الاصول الانكليزية انفع ام المؤسسة منها على الاصول الفرنسوية ؟

ليس من جواب قطعي لهذا السؤال لان شكل الغرف إي كونها رسمية اوحرة تابع لاخلاق الامة وآدابها وعاداتها ونوع تربيتها ·

فحيث تكون فكرة الاشتراك بالاعمال والاقدام والجرأة على القيام بالمشاريع غريزة في النفوس يقوم التجار بتأسيس غرف حرة الى يرغبون وبالشروط التي يستحسنونها فتصان بذلك المصالح التجارية وحيثما فقد هذا الشعور الحي والمبادئ لايسهل انشاء هذه الاوضاع ولابد للقيام بهذه المشاريع من اشراف القانون عليها

ولم يقتصر الاوربيون على تأسيس غرف تجارية في بلادهم بل اسسوامثلها في البلدان التي يتجرون معها فان لفرنسا خمساً وعشرين غرفة تجارية في لندن ونابولي وروميه ونيويورك وامستردام وغيرها وللانكليز والنمسا والمجر والبلجيك واميركا وايطاليا واسبانيا غرف تجارية في باريز وقد نجم عن هذه الغرف فوائد كثيرة لتجار البلاد التي تنتسب اليها وذلك لانهم يأخذون عنها الاخبار المفيدة و يدركون حاجيات البلاد التي أسست فيها وميول سكانها واذواقهم وبذلك تساعدهم على ايجاد المصادر وتوسيعها · وتكون رئاسة الشرف لهذه الغرف التي تؤسس في البلاد الاجنبية في عهدة القناصل على الاغلب ·

والحكومات تخصص مبالغ من وارداتها تدفعها الى غرف التجارة المؤسسة في البلاد الاجنبية لسد العجز في ميزانياتها لما لها من الفوائد والاعتماد وليس لهذه الغرف صفة رسمية عند الحكومة تنتسب اليها ولاعند الحكومة التي أسست في بلادها ونظارة التجارة الفرنسوية المؤسسة خارج فرنسا وهذه تخابر الحكومة الفرنسوية رأساً ·

***

وقبل ان نبين تأليف الغرف التجارية وقوانينها في فرنسا والبلاد العثمانية نأتي هنا على التعريف بوظائف الغرف التجارية في حياة التجارة العامة لكل مملكة ·

١ — الغرف التجارية تعنى حق العناية بالتربية الاقتصادية للبنين وتتلقى مسألة التعليم التجاري بما يجدر بها من الشأن فتشيد المدارس التجارية وتستميل الشبيبة الى التجارة والسياحة وتحيي في نفوسهم فكرة الاقدام والجرأة وتنظم للمدارس الخطط المفيدة التي تقوي إرادة التلاميذ. وتؤسس المكاتب ليألف الشبان والطلاب مطالعة

التآليف والمصنفات المحررة باقلام السياح وتدعو اهل العلم لالقاء المحاضرات وتمنح الجوائز للقيمين في الممالك الاجنبية وتعلم في مدارسها لغات البلاد التي تكون ميداناً فسيحاً لحركتها التجارية وعَلَى الجملة تنشيء شبيبة يقظى جريئة عَلَى الدخول في الحياة التجارية تدخل هذه الحياة واعمالها مكللة بالنجاح ٠

ومن متمات التربية الاقتصادية الدروس الليلية والمتاحف التجارية ودور الانباء والاستعلامات وكل هذه متممة لفوائد التدريس والتعليم ٠

٢ — الغرف التجارية توجه الرأي العام نحو عقد المعاهدات التجارية عَلَى المبادي الحرة وتسعى في تنظيم تعرفات الجمارك بحيث تسهل نشوء التجارة وتقدمها

٣ — تتوسط الغرف التجارية في عقد المقاولات بين الامم صيانة لحق التملك الصناعي خارج البلاد كما في داخلها وتطالب بسن القوانين الضامنة لانتقال الحقوق الاجتماعية والبيوت التجارية من البائع الى المشتري دون اضطرار الى تغيير اسمائها وبذلك يصان كل اسم تجاري ذي شهرة من الاختلاس والضياع ٠

٤ — الغرف تعاضد الحكومة نقداً ومادة لانشاء المشاريع العمرانية النافعة ٠

٥ — تصدر الغرف التجارية مناشير ومجلات وتطبع محاضر جلساتها وكثيراً ما تنشر نتائج تحقيقاتها الخاصة عن المسائل التجارية ٠

٦ — اذا كانت دائرة الغرفة ضيقة النطاق لا تقتصر في ابحاثها وتتبعاتها عَلَى هذه الدائرة وتطالب بالاصلاحات التي تنفع عامة انحاء المملكة وتنتخب كل ما يمكنها من الوسائل التي تؤدي الى التقدم والرقي ٠

وفي المراكز التجارية الاوربية كافة اندية تقوم بهذه الوظائف احسن قيام واعضاؤها من الرجال الذين قضوا اربعين اوخمسين حجة من حياتهم في التجارة واشتهروا في خلالها بالعلم والعمل ومكارم الاخلاق ٠ واذا شئت ان تعلم كم لاعمال اولئك الرجال ، رجال العلم والعمل ومباحثاتهم من الفوائد فهذه آراؤهم في المسائل التي لها مساس بحياة بلادهم الاقتصادية والمالية ومطاليبهم التي يعرضونها عَلَى حكوماتهم واعمالهم وآثارهم المفيدة كلها شواهد وحجج دامغة ٠

اقتبست قوانين غرفنا التجارية من الغرف الفرنسوية ولذلك سنبحث هنا عن ماضي هذه وحاضرها لنعلم منشأ تلك ٠ اول غرفة تجارية فرنسوية أُسست غرفة مرسيليا التجارية التي كان تأسيسها في اواخر القرن السادس عشر وانشيء ايضا في اوائل القرن

السابع عشر من الغرف التجارية في تسع مدائن فرنسوية محافظة على المصالح التجارية. ولكل واحدة من هذه الغرف شكل خاص ومع ذلك فان لها اوصافاً عامة مشتركة بينهن فاعضاء الغرف الطبيعيون هم اعضاء محاكم التجارة والاعضاء المنتخبون « بفتح الخاء » يؤخذون من صنوف التجار والقدماء منهم اومن اعضاء محكمة التجارة سابقاً . وكانت الغرف مكلفة بابداء آرائها ومطاليبها في مايتعلق بالمصالح التجارية وعرض المذكرات التي يدفعها التجار اليها الى المراجع العليا .

يقول مؤرخو الفرنسيس لم تؤثر هذه الغرف في سياسة البلاد الاقتصادية تأثيراً مهماً ولم يكن لها سلطة تذكر الا ان غرفة التجارة المارسيلية لم تكن كذلك بالنسبة لامتيازها الطبيعي ولان قنصليات الشرق كانت ملحقة بها والها على التجار من الحقوق والواجبات المؤبدة بالقانون وكانت تسمح لاقامة الفرنسويين في مرسيليا وكان لها اسطول لمناهضة اللصوصية في البحر « القرصان » . ومن جملة اعمالها انها كانت تشتري الاسرى وتقدم الهدايا الى الملك وتغيث السفائن المنكوبة وقد بلغت نفقاتها الاعتيادية مليوناً واحداً عام ١٧٨٩

ولما أُلغي اكثر اوضاع الدور السابق عقب الثورة الفرنسوية الكبرى أُلغيت الغرف التجارية في الجملة وبعد ثمانية اوعشرة اعوام أُسست في اثنتين وعشرين بلدة غرف تجارية مقيدة بقيود نظامية ضيقة النطاق غير ان هذا الشكل لم يثمر قط ولم يمنح وقتئذ حق انتخاب الاعضاء الا لاربعين اوخمسين تاجراً كان ينتخبهم الوالي وقضي الامر المؤرخ سنة ١٨٣٢ باحداث لجان منتخبة مؤلفة من اعضاء محكمة التجارة واعضاء مجلس الصلح وجماعة من التجار يبلغ عددهم عدد اعضاء ذينك المجلسين ومنحت ثورة عام ١٨٤٨ حق انتخاب الاعضاء لغرفة التجارة التجار الذين يؤدون ضريبة الباتنت عامة . ولما عادت الادارة السابقة امر الامبراطور بأن يكون تأليف لجنة الانتخاب من قبل الوالي والقاعدة المرعية اليوم في انتخاب الاعضاء وضعت عام ١٨٧٢ . وآخر نظام يتعلق بالغرف التجارية وضع عام ١٨٩٨

والغرف التجارية في نظر القانون الفرنسوي هي واسطة الدفاع امام الحكومة عن المصالح التجارية في اصقاعها المعينة . ولا توجد الغرف التجارية في الجهات عامة وانما يطلب ناظر التجارة والصناعة تأسيسها حيث يرجى النفع ثم يؤخذ رأي مجلس الناحية التي طلب الناظر تأسيس الغرفة فيها ورأي مجلس الولاية العام والغرف التجارية فيها وبعد كل ذلك

تفتتح بارادة خاصة • وفي القانون صراحة بانه لابد من وجود غرفة تجارية واحدة في كل ولاية عَلَى الاقل واذا دعت المصالح التجارية الى تأسيس اكثر من غرفة يجوز وعندئذ يذكر في الارادة الصادرة بتأسيس كل غرفة حدود القطعة التي يتعلق بالغرفة الدفاع عن مصالحها التجارية • وفي بعض الولايات تسع غرف تجارية • وللغرف التجارية اعضاء اصليون اوعاملون واعضاء مخابرون • وسأعود الى بيان كيفية انتخاب الاعضاء الاصليين اما الاعضاء المراسلون فتنتخبهم الغرف رأساً ولهم الحق في حضور الجلسات و يستضاء بآرائهم ولايجوز ان يكونوا اكثر عدداً من الاعضاء الاصليين • والاعضاء المراسلون احسن صلة بين الغرفة والتجار و بوجودهم في هذه العضوية يتهيئون للانتظام في المستقبل في العضوية الاصلية التي لاشك انها اكثر مكانة من الاولى ولايغرب عن القارئ الكريم ماينجم عن هذه الاصول من الفوائد • وعدد الاعضاء العاملين يختلف بين ٩ و ٢١ و يجوز ابلاغ عددهم الى (٣٦) في غرفة التجارة البار يزية فقط و يجب التصريح بعدد اعضاء كل غرفة في الارادة القاضية بتأسيسها واذا قضت الاحوال يجوز تعديل هذا العدد بالارادات التي تصدر بعد التأسيس •

واليك الآن اصول انتخاب الاعضاء الاصليين • ينتخب كل من محكمة التجارة وغرفة التجارة ومجلس الصلح ومجلس البلدية والمجلس العام بعض اعضاء مجلسه فتتألف من هؤلاء المنتخبين «بفتح الخاء» ورؤساء المجالس المذكورة «محكمة التجارة والغرفة التجارية ومجلس الصلح والمجلس العام» لجنة تعنى بتنظيم دفتر باسماء المنتخبين «بكسر الخاء» ولا يجوز ان يكون عددهم اقل من خمسين ولا اكثر من الف «الا في باريز فيجوز ان يكون عدد المنتخبين ثلاثة آلاف وان يكون معادلا لعدد عشر التجار المكلفين بتأدية ضريبة الباتانت وبعد اتمام هذا الدفتر يدفعون به الى الوالي ليعلنه

ثم تلتئم لجنة الانتخاب تحت رئاسة مدير الناحية وتشرع بالانتخاب وشروط الانتخاب للعضوية ان يكون المرشح مكلفاً بتأدية ضريبة الباتانت منذ خمس سنين ومقيماً خلال هذه المدة داخل حدود الاقليم الذي تنتسب الغرفة اليه و بالغاً الثلاثين من عمره وان يكون ايضاً اما تاجراً اودلالا في البورصة اومن مديري شركات الاونونيم اوربانا لاحدى السفن ذات الاسفار البعيدة ولم يصرح القانون بشروط اللجنة غير انه معتبر ضمناً لما لاعمال الفرق ومقاصدها من الشأن الوطني

وتجري الانتخابات بالرأي الخفي والاكثرية المطلقة عن المرشحين المسطرة اسماؤهم عَلَى

قائمة خاصة واذا تساوت الآراء ينظر الى الاكثرية الاضافية واذا تكرر التساوي يرجح الاكبر سناً ثم يكتبون محضراً بصورة الانتخاب ويدفعونه الى الوالي وهذا يرسله الى ناظر التجارة · وللناظر حق مطلق في رفض عضوية اي شخص كان من المنتخبين (بفتح الخاء) ولو لم يكن ثمت اسباب قانونية · وبعد اجازة انتخاب الاعضاء وتصديقه من قبل الناظر يؤسس الوالي الغرفة بالفعل · ومدة العضوية ست سنوات ويتجدد انتخاب ثلث الاعضاء مرة في كل عامين بطريقة الاقتراع ويجوز اعادة انتخاب اي عضو كان بعد انقضاء مدته مهما تكرر انتخابه للعضوية والعضو الذي يتغيب عن الغرفة ستة اشهر بلا معذرة يطلب الناظر رأي الغرفة في شأنه ثم بعد اخذ رأي الغرفة يعلن انه اعتبر مستقيلاً من عضوية الغرفة وينتخب (بفتح الخاء) سواء في اوان انتخاب (من الانتخابات الجزئية) التي تتخلل الست سنوات ·

ظهر للقاريء الكريم ان الانتخاب لايشمل التجار كافة ولقد تكرر الطلب من مجلسي الامة والاعيان لتوسيع هذا الحق ولم يسعف المجلسان هذا الطلب · وبعد ان تتألف الغرفة من الاعضاء يجتمع اعضاؤها وينتخبون لهم رئيساً اول ورئيساً ثانياً اورئيسين ثانويين وكاتباً واميناً للصندوق ولغرفة التجارة البارزية وحدها الحق في انتخاب عدة رؤساء ثانويين وكاتبين ويتجدد انتخاب الرؤساء والكاتب وامين الصندوق مرة في كل عامين ولابأس بتجديد انتخابهم لهذه الوظائف نفسها وللولاة والمتصرفين الحق في حضور الجلسات وآراؤهم استشارية وكانوا قبلا من الاعضاء الطبيعية يرأسون الجلسات التي يحضرونها · واذا فقدت الغرفة ربع اعضائها باي سبب من الاسباب يجب انتخاب غيرهم في مدة شهرين وتدعى هذه الانتخابات الانتخابات المتممة · الا اذا كانت السنة التي حدث فيها هذا النقص في مجموع الاعضاء سنة الانتخابات الجزئية فيجب حينئذ التربص ريثما تجري هذه الانتخابات · ولا يجوز هذا التأخر الى حلول وقت الانتخابات الجزئية اذا فقدت الغرفة نصف اعضائها فاكثر · ومن حاز الاصوات الكافية في الانتخابات المتممة تنتهي مدته بانقضاء مدة العضو الذي انتخب عنه ·

ولاتجري المفاوضة عن امر ما في الغرفة الا اذا حضر اكثر من نصف الاعضاء ولا يبرم امر الا باكثرية الاصوات المطلقة واذا تساوت الاصوات فالارجحية في جانب الرئيس ·

ولا يتقاضى الرئيس والاعضاء رواتب عن وظائفهم هذه ولرئيس محكمة التجارة

حق التقدم عَلَى رئيس غرفة التجارة في التشريفات كما ان لاعضاء هذه المحكمة نفس الحق عَلَى اعضاء الغرفة التجارية ٠

وللغرف التجارية استقلال تام في الامور الداخلية وهي تسن نظامها الداخلي وتعدله كما شاءت ولها حق المخابرة رأساً مع ناظر التجارة وغيره من النظار ٠ والقانون صريح في ان للغرف ان تنشر محاضر جلساتها واكثر الغرف تستفيد من هذا الحق ٠ وليس لاعضاء غرف التجارة صفة الموظفين ولا تعتبر اعمالهم من اعمال القوة الاجرائية بتاتاً ٠

واليك الواجبات الرئيسة التي يجب ان تقوم بها غرف التجارة باعتبارها شخصاً ادبياً ذا استقلال له كما عليه حقوق وواجبات،

١ — الاجابة عن الاسئلة التي ترد الى الغرف فيما يتعلق بالامور الصناعية والتجارية ٠

٢ — ان تبدي الغرف آراءها في اسباب ترقية الصناعات والتجارة

٣ — القيام بالاعمال التي يتحتم عَلَى الغرفة صيانتها

فالبند الاول والبند الثاني من واجبات الغرف الاستشارية والثالث من حقوقها الادارية ٠ والغرف التجارية تؤسس مخازن عامة ومستودعات تجارية ودوراً للبورصة ومدارس تجارية وكذلك تشتري امتيازات بعض المشاريع النافعة ٠ ولا بأس بمنح الغرف هذه الامتيازات اذا رغبت هي فيها بشرط ان لا تثبط مساعي الافراد او تضعف فيهم قوة الاقدام للقيام بهذه الاعمال والمشاريع ٠ والامور التي يرجع فيها لرأي الغرف هي كل ما له مساس بالنظامات والعادات التجارية وانشاء غرف تجارية جديدة ودور للبورصة ومحاكم تجارية ومراكز لسماسرة البورصة والدلالين وبيان اسعار الاموال وتصديقها عند الحاجة وماله علاقة بتعريفة الدلالة وانظمتها وتعاريف الجمارك واصول الرسوم الجمركية وتعارف النقليات وقوانينها والضرائب التي تؤخذ لتنفق في محلها للمشاريع النافعة والعمرانية وتأسيس مصارف « بنوك » جديدة اوفروع للمصرف الفرنسوي ومخازن عامة واحداث اماكن للبيع بالمزايدة ٠

والغرف التجارية مكلفة بدفع ضريبة الباتنت عن الاشغال التجارية التي تتعاطاها برخصة خاصة اوامتياز بشرط ان يكون لها منها ربح صاف واما اذا توازنت النفقات والمداخيل فلا تدفع شيئاً ٠ ومن حقوق الغرف المهمة حق المخابرة بعضها مع بعض والاتحاد لصيانة

المصالح العامة المشتركة وتنكبد بعض النفقات المشتركة ايضاً · فالمخابرة سهلت المفاوضة بين الغرف و بالاشتراك سهل القيام بالمشاريع التي لها علاقة باكثر من ولاية ·

تنقسم مداخيل الغرف الى ثلاثة اقسام : (١) ضريبة الباتنت التي تستوفى من التجار بحسب طبقاتهم ومكلفيتهم والهبات والوصايا (٢) المداخيل الغير الاعتيادية وهي الضميمة التي تضاف الى ضريبة الباتنت والتخصيصات التي تأخذها من الحكومة ومايرد على الغرف من مبيع العقارات والقروض (٣) المداخيل الصافية التي تأخذها الغرف المذكورة من الاعمال والمشاريع النافعة والتجارية التي تقوم بها ·

وتنقسم نفقات الغرف ايضاً الى ثلاثة اقسام « ١ » النفقات العادية « ٢ » النفقات الغير العادية « ٣ » النفقات الخاصة ·

النفقات الاولى ماتنفقه الغرف لادارتها السنوية ، الثانية ماتنفقه الغرف لشراء اراضي وعقارات او بنائها اوالمخصصات الغير العادية · والثالثة وهي النفقات الخاصة ماتنفقه الغرف على الاوضاع التي لها اوتعهدت هي بادارتها · والقانون الفرنسوي الاخير سمح للغرف التجارية بتأليف ذخر احتياطي وهي مكلفة بتنظيم موازنة منتظمة تجيزها نظارة التجارة ولها ان تعقد قروضاً باسمها ولكن لابد من اقترانها بارادة رئيس الحكومة ·

هذه خلاصة كيفية تأسيس غرف التجارة الفرنسوية و يظهر مما سبق انها ليست حرة تماماً و بينها و بين الحكومة صلات وارتباط · الباقي للآتي

بين النهرين : تعريب ز · خ

نهضة سورية

لم يبق مجال للشك بان بلاد الشام ناهضة نحو الترقي بقدم ثابتة وعزم اكيد فقد بدأت تباشير النهضة من بيروت بُعيد حوادث سنة الستين التي انتهت بمنح الاستقلال الاداري لجبل لبنان وضعف امرها في اواخر مدة السلطان المخلوع عدو المعارف اللدود ثم سرت نفحة من تلك الروح الطيبة بعد اعلان الحرية اذ ايقن بعض الاهالي ان العهد عهد كفاءآت لاعهد شفاعات والدور دور نشاط واقدام لادور جمود واحجام وان من لايعد للدهر عدته يهلكه الدهر ولا من يرحمه ·

ولقد نال من نعمة الدستور في السلطنة كل بلد بقدر استعداد اهله وكان من توفرت لهم ذرائع التعلم اكثر ركوضاً الى ورود مناهل العلم وليس في سورية مدينة

استقام لها امر التعليم كثغر بيروت الذي حمل اليه الافرنج ولا يزالون يحملون علمهم واموالهم ليربوا بها ناشئة الشرق ويخرجوهم عَلَى المنازع الغربية مازجين الى تلقين المدنية تلقين النصرانية وقد وفقوا الى ماقصدوا اليه منذ نحو نصف قرن

ولكن اهل البلاد انتبهوا الى مايلحقهم من الغضاضة اذا ظلوا عيالاً عَلَى ما اسسه لهم الافرنج من المدارس فبدأوا بتأسيس مدارس طائفية اهلية سبق اليها المسيحيون اولاً في بيروت وبعض مدن سورية ثم حذا حذوهم المسلمون في بيروت فدمشق فغيرهما ولكن البيروتيين عَلَى قلة عددهم وغناهم بالنسبة للدمشقيين فاقوا جيرانهم هؤلاء لان اعتمادهم كان عَلَى انفسهم واعتبروا حق الاعتبار بما حمله اليهم المرسلون من الاميركان والالمان والروس والفرنسيس وقدروا المبادئ والخواتيم فرأوا انه لا ينقذهم من سوء المصير الا العمل لتثقيف عقول ابنائهم عَلَى الطرق الوطنية الحديثة

اما الدمشقيون فقد استمرؤا وظائف الحكومة فكانوا ولم يزالوا اذا تعلموا شيئًا لا يقدرون له من الفوائد الا بقدر ما يقربهم زلفى من الحكام ويوليهم التصدر في دست الرئاسة ولذا يرجح ان يكون مستقبل البيروتيين اكثر ثماراً جنية من مستقبل جيرانهم اللهم الا اذا اعتمد الدمشقيون عَلَى انفسهم وحسبوا التوظف ثانويًا وقللوا من توقيره في نفوسهم ·

هذا مثال ضربناه اما سائر مدن سورية كالقدس وحيفا ويافا وصيدا وعكاء وطرابلس واللاذقية وحمص وحماة وحلب واسكندرونة وزحلة وغيرها فقد هبت للتعلم بقدرما تساعدها اسبابها ومن كان اقرب الى الاختلاط بالغربيين كانت نهضته اقوى وارقى كما هو المشاهد من حال حمص اذا قيست بغيرها بالنظر لموقعها وحالها وكثرة المهاجرين منها الى مصر واميركا فانا نراها آخذة نحو الرقي وهي لا تتجاوز الخمسين الف نسمة اكثر من حلب التي تربو عَلَى مائتين وشتان بين مركز قضاء من اعماله عشرات من القرى والمزارع وبين قاعدة ولاية عظمى من بعض عمالاتها انطاكية والرها ومرعش بل الوف من القرى والمزارع العامرة الغنية وتجارة واسعة تمتد الى بغداد والى ولايات الاناضول كافة بل كانت فيما مضى دار ملك بني حمدان ·

ولكن الحلبيين ابتلوا بما ابتليت به من قبل بعض الحواضر والعواصم كالاستانة التي يعول اهلها عَلَى الحكومة في ترقيتهم وكاد بعضهم يتناسون لسانهم ليتعلموا اللسان الرسمي فيتسنى لهم به ان توسد اليهم الوظائف التي تتلمظ بحلاوتها شفاه كل وكلة تكلة يحب ان يعيش كالحلمات الطفيلية بامتصاص دم غيره ·

امام الامة اليوم طرق ثلاث تسلكها او احدها للخلاص من ربقة الجهل ومصافحة انامل

الحضارة عَلَى مايجب وبقدر مايجب وهي اما ان تضع جميع امانيها بالحكومة وتنتظر الفرج يأْتيها عَلَى يد نظارة معارفها وهو بعيد الحصول قليل الثمرة مهما برقشه المبرقشون وزينه السائسون والحاكمون ·

فنظارة المعارف العثمانية قد سنت نظام التعليم الابتدائي والثانوي والعالي بحيث يلائم الاستانة و بعض ولايات الاناضول التي يتكلم اهلها بالتركية ولم تسنه بحيث ينطبق مع حاجة ابن قوصوه و يانيا ومناستر واشقودرة انطباقه مع حاجة ابن وان وارضروم و بتليس ومعمورة العزيز او سورية و بيروت وطرابلس الغرب واليمن · فالذين سنوا قانون المعارف كانوا متأثرين بعوامل من حب قوميتهم ولسانهم فلم ينظروا الى الاثر النافع الواجب اعطاؤه لاهل كل اقليم بحسب محيطهم ومزاجهم بل سنوه واكثرهم لايعرف من حال الولايات الا النزر اليسير الذي لايخول صاحبه حق التشريع لامة مختلفة اللهجات والحاجات ·

و بعد فانا لانعرف كيف نعلل اجبار ابن جبل عجلون عَلَى دراسة التركية قبل ان ينال حظاً من لغته · فاذا حملناه عَلَى تلقف لغة اجنبية قبل ان يحكم اصول لغته هل يكون فائدة منه لامته ووطنه ياترى ؟ وهل بدراسة مختلة الاسلوب يتيسر لنا ان « نترك » هذا العجلوني مادام لاغنية له عن بلاده وقد لايخرج منها الا لقضاء الخدمة في الجندية ثم يعود لحراثه وسكته وثوره وجمله وحماره

اليس الاولى له ان يتعلم من لغته القدر اللازم له من كتابة وقراءة و بعض العلوم العملية الضرورية ؟ وكيف يتيسر لغريب عن لغة لايعانيها ولا يسمع لهجتها ولايقرأ آدابها ان يستطيع بها التعبير عن مقاصده في مثل هذه المدة القصيرة من دراستها · اما هو انفع للدولة والامة اذا تعلم هذا الفلاح باللغة التي هي اقرب اليه وانصرف الى ارضه وزرعه اكثر من تعليمه لغة صعبة عليه لاتنفعه الا اذا طمح للاستخدام في الوظائف الادارية والعسكرية ومن يبقى عندذلك ياترى للتوفر عَلَى اخراج ثروة البلاد والانفاق علي هذا الجيش الكثير العدد والعدد وسائر مايشترك العثمانيون في تسديده في ميزانيتهم من النفقات

ان معنى الوقوف بالعجلونيين عند حد تلقين مبادئ التركية هو ان الحكومة تريد ان تجعل من جمهور الامة حكاماً وامراء وضباطاً حتى تكون مادة حياة البلاد آخذة

بالدثور ويصبح الناس كلهم كمسلمي الاستانة لايحلمون بغير الوظائف ولا يرون السعادة الامن طريقها

هذا ما كان من اصلاح نظارة المعارف في البلاد العربية اما مدارس الاجانب فلا تخلو ايضاً من مضار لان معظمها يأتينا باسم النصرانية ليلقنها الموافق والمخالف و ينشر آداب لغته وحب بلاده فترى التلميذ يتخرج في تلك المدارس وهي ارقى من المدارس العالية في الاستانة ايضاً ملماً بلغته ولكنه محكماً اللغة التي تلقى بها مبادئ العلوم وجاهلا كل الجهل بما ينفع بلاده وقد لا يعرف من تاريخها وعمرانها واجتماعها اكثر مما يعرف عامة الطليان والاسبان عنا فلا يلبث وقد زينوا له حال الغرب ان ينقلب اليها مهاجراً فكأن هذه المدارس برزخ تنقل الدارسين فيها من وطنهم لتعدهم لخدمة اوطان اخرى وبفضل تلك المدارس هاجر من سورية زهاء ثلثمائة الف نسمة وبعضهم من المتعلمين يطلبون الرزق في جمهوريات الشمال والجنوب من اميركا ومستعمرات افريقية فخربت بذهابهم بلادهم وهم لم يستفيدوا بقدر ما فادوا به

ومن ثم لم يبق لنا سوى الامر الثالث الذي يجب علينا الاعتماد عليه الآن لنهوضنا ونعني به المدارس الاهلية والسعي في تحسين حالتها المادية والادبية فهذا النوع من المدارس هو هو معتقد آمالنا ومنه تنبعث شعلة نور الحق وتتأيد كلمة الوطنية وتحيا اللغة العربية فلو أنشئت مثلا في كل بلدة وقرية مدرسة اهلية كالمدرسة العثمانية والمدرسة العلمية في دمشق والمدرسة العثمانية ودار العلوم في بيروت مثلا ووسد التدريس فيها الى خيرة رجال العلم والادب يثقفون العقول عَلَى منازع الفضيلة وحب الوطن والسعي الى الكمال العقلي لنشأ لنا منها بعد زمن وان كانت بدرجتها ادنى من المدارس الثانوية وارقى من الابتدائية ناشئة تستطيع ان تعمل كل عمل وتستعد الى التبريز فيه لانها تكون عارفة بتاريخ بلادها وعظمة امتها ومنزلة لغتها من لغات الشرق والغرب تنفع بما تعلمته العامة قبل الخاصة

شاهدنا غير واحد من اهل هذه البلاد ممن درسوا في مدارس الاجانب العالية فاحكموا لغة اوربية او درسوا في مدارس الحكومة العالية فاحكموا اللغة التركية فما رأيناهم الا قاصرين غير نافعين لانهم ضعفاء في التعبير عن مقاصدهم بلغتهم وشاهدنا من عانوا لغتهم وشدوا شيئاً من آدابها فاقتدروا عَلَى الكتابة والخطابة فيها مع ما احكموه من اللغات الاجنبية والعلوم الحديثة واصبح العلم الذي درسوه ملكا لهم لامالكاً لهم

يصورونه متى شاؤا في المظهر اللائق به فينقلون من اسباب المدنية مايطبقونه عَلَى مصلحة بلادهم لانهم يعرفون داءها ودواءها و يشعرون بالواجب عليهم لها

رأينا اكثر من احكموا اللغات الاعجمية الاجنبية احكام ابنائها لها اذا قضي عليهم ان يبقوا في ارضهم بعد سن الدراسة صماً بكماً في المجالس عمياً عن مصالح الامة والبلاد لايحسنون المدخل والمخرج دأبهم التأفف من اهل بلادهم لانهم لايفهمونهم وماذلك الا لان تلك اللغة التي احكموها وزهدوا في لغة آبائهم قد نقلتهم الى عداد اهل تلك اللغة فكثروا سواد العارفين بها ولو تعلموا العلوم بلغتهم لنقلوها اليها فزادوها قوة بدلاً من ان تزيد بضعفهم ضعفاً .

واحسن واسطة لارضاء العناصر العثمانية التي لاتقل عن اثني عشر عنصراً تتكلم باثنتي عشرة لغة مختلفة ان تترك حرية التعلم لكل عنصر يتعلم لغته وبعض مايبدو له غناؤه من اللغات الاخرى والعلوم وبذلك يسهل اشراب القلوب محبة الوطنية وتحضير العامة عَلَى اسرع صورة مقبولة وربطهم برباط الوحدة العثمانية ومن احب الاستخدام يدخل المدارس الثانوية فيحكم التركية ومن احب الاتجار والتمحض للعلم يحكم لغة راقية من لغات اوربا مشفوعة بالعلم الذي يلزمه الاخصاء فيه والا فان الفلاخي والبلغاري والرومي والارناؤدي والارمني واللازي والجركسي والتركي والكردي والبشناقي والاسرائيلي والعربي يصعب جداً تحضيرهم في قرون كما صعب عَلَى النمسا ان تربط الجرماني بالمجري بالتشكي بالبوهيمي بالبوشناقي بالكرواسي بالبولوني الا بعد ان اطلقت لاهلها الحرية ان يتعلموا بلغتهم وبدون ذلك لاتنهض البلاد .

سير العلم والاجتماع

المدارس الصناعية في المانيا

كتب احد رجال الفرنسيس كتاباً سماه « المانيا العاملة » جاء في بعض فصوله ماتعريبه :

ان السائح الذي يجتاز المانيا يدهش في العادة من انه لايرى بيتاً قائماً وحده في الاراضي الزراعية بل ان جميع المساكن في الحقول منضمة بعضها الى بعض بحيث يتألف منها احياناً مدن وهذا ممايدل عَلَى فكر الاشتراك المتأصل في العنصر الجرماني الذي يستغرب حال شخص يريد الابتعاد عن اخيه وهناك شيء آخر وهو ان معظم حكومات المانيا

تحظر انشاء المساكن بعيدة عن مراكز القرى حتى لايحرم الاولاد من الاختلاف الى المدرسة في الايام الممطرة العاصفة وهناك يسأل الوالدان عن ولد تأخر عن المدرسة فاذا تخلف احدهم يجب عَلَى اقربائه ان يبينوا معذرته والا فيجزون اشد الجزاء ٠ وعَلَى رؤساء المعامل الذين يستخدمون في الخلاء عملة اوموظفين ان يضمنوا لاولادهم حملهم كل يوم الى مدرسة القرية القريبة واذا كثر العملة في بقعة بعيدة وزاد سوادهم تؤسس في الحال مدرسة عامة وتكون في العادة باعانة من صاحب العمل ٠ وكان من اثر هذه العناية ان قل عدد الاميين في المانيا بحيث لاتجد واحداً في الالف عَلَى انهم لم يكتفوا بتعليم مبادئ فقط بل انك لاتدخل قرية ولامعملا ولا بيتاً الا وتجد الجرائد والكتب في الايدي تتلى و يستفاد منها وذلك بين جميع طبقات الالمان

للتعليم الابتدائي والاوسط في المانيا ميزتان لانظير لها في سائر الممالك وهي انه لايبعد المتعلم عن العيشة البيتية بين ذويه وهو سلم للتعليم الصناعي الذي تختلف درجاته وتراه نظرياً وعملياً في آن واحد

وماذا اقول في دروس الاشياء والمجاميع النفيسة التي تراها في المدارس الالمانية والتعليم بالنظر و بالذهن والعمل والنزهات المفيدة وغير ذلك من انواع التربية ٠وما من الماني الا و يتعلم شيئاً من التعليم الصناعي ففي هذه البلاد التي يكاد الناس كلهم يعملون قد وقع في النفوس انه لايجوز لاحد ان يتعاطى صناعة من الصنائع المقررة قبل ان يتعلمها بالنظر والعمل وهذا ما ادى الى انشاء كثير من المعاهد الملوكية والامبراطورية والبلدية والخصوصية تقصدها الامة فتستقي من مواردها قوتها المنتجة والعقلية

واعظم هذه المعاهد واقدمها واشهرها هي كلياتها وعددها اثنتان وعشرون كلية وكانت كل امارة من الامارات الالمانية فيما مضى تحاول ان تكون لها كلية فاقدمها كلية هايدلبرغ انشئت سنة ١٣٨٦ واحدثها كلية بون أسست سنة ١٨١٨ ٠ وقدم الكلية عنوان شرف لها وقد بقيت كلية هايدلبرغ اكثر الكليات محافظة عَلَى منزلتها السامية اما كلية برلين التي أنشئت سنة ١٨٠٩ فطلابها اكثر٠ ومن اشهر كليات المانيا كلية ليبسك أنشئت سنة ١٤٠٩ وهي تفاخر بانه كان من جملة اساتذتها الفيلسوف لايبنتز ومن جملة طلابها كيتي وريشارد فانير

ولئن كانت الكليات الالمانية مستقلة حرة عَلَى صورة لم تحصل عليها كليات فرنسا فهي منظمة بنظام واحد فالكليات مهما كانت وجهتها في تعليمها نظارية او عملية

لاتنافس في اعداد مهندسين وصناع والمباحث التي يستفيد منها امثالهم لا يظفرون بها الا في المجامع الكيماوية والطبيعية . والعلوم الطبيعية في المدارس الصناعية هي التي يتخرج فيها ارباب الهندسة والصناعات وهذه المدارس تابعة لكل امارة هي في بلادها تدير شؤونها وتعطي الدارسين فيها شهاداتهم بعد دراسة اربع سنين وعددها اثنتا عشرة مدرسة وهي في مدن اكس لاشبل برلين برنسويك كارلسروح درامستاد درسد هانوفر مونيخ ستوتكار دانزيك برسلو فيربورغ وفي هذه المدارس زهاء اثني عشر الف طالب فيخرج منهم كل سنة ثلاثة آلاف مهندس عدا من يتخرجون من المدارس الثانوية الصناعية

وقد كانت الكليات هي التي تمنح لقب دكتور اشرف الالقاب واعلاها في المانيا وبعد جدال طويل في مجلس النواب تقرر ان من حق تلك المدارس الصناعية ان تمنح هذا اللقب وبذلك خرجت المانيا عن تقاليدها القديمة بعض الشيء ولا تسل كيف ينظر اولئك الفلاسفة واللاهوتيون واللغويون اخلاف الفلاسفة هيكل وكانت وليسنغ لمن نالوا شهاداتهم على طريقة اميركا الشمالية لانهم اتقنوا صناعة من الصناعات . والالمان احرص الامم على لقب دكتور حتى انك اذا لم تطلق هذا اللقب الشريف على من ناله عد ذلك منك سخرية وفي ذلك دليل كبير ليل هذا الشعب للعلم والتلقب بالقابه وقد كان للامبراطور غليوم الثاني يد طولى في اعطاء المدارس الصناعية حق اعطاء هذا اللقب الشريف حتى قال في خطاب له القاه على تلامذة المدرسة الصناعية قرب برلين : انني اغتبط لاني استطعت ان امنح للمدارس الصناعية العالية لقب دكتور انتم تعلمون انني تحملت مقاومات شديدة في هذا السبيل اما اليوم فقد اضمحلت وقد اردت ان اجعل للمدارس الصناعية المقام الاول لما لها من المنزلة السامية لا من حيث العلم العملي بل من حيث الوجهة الاجتماعية . ونظام هذه المدارس واحد وتعليمها واحد اللهم الا ان بعضها تبذل العناية في فروع تمس حاجة اقطارها لها مثل مدرسة اكس لاشبل التي تعنى بتعدين المناجم كل العناية ومدرسة دانزيك التي تعني ببناء السفن . وكان من ظفر هذه المدارس باعطاء لقب دكتور اكبر دليل على غلبة الحديث على القديم

ومدة الدراسة في المدارس الصناعية اربع سنين يدخلها من بيده من الوطنيين او الاجانب شهادة من مدرسة ثانوية وفيها يتجلى ميل الالمان للاخصاء فيعلمون ما يعلمه غيرهم من الامم فرداً واحداً لخمسة افراد قائلين ان الذهن لا يتسع لا كثار المواد عليه ففي مدرسة هانوفر

مثلاً اناس يتعلمون فن البناء وآخرون الهندسة وغيرهم علم الحيل (الميكانيك) وغيرهم الكيمياء الصرفة وآخرون الكيمياء الكهربائية وغيرهم اجماليات وفيهم ٩٠٨ تلامذة و١٩٤ تلميذة و١٥٥ مستمعاً وبين الجميع ٥٩ اجنبياً من امم مختلفة والدروس عملية اكثر منها نظرية وهذه المدرسة خارجية يتناول التلامذة طعامهم قبل الدخول اليها وينقطعون عن العمل من بعد ظهر السبت الى صباح الاثنين كل اسبوع والالمان لايحرصون على تعليم الهندسة لاذكى اذكيائهم بل يريدون ان يجعلوها قريبة المنال من كل احد وهم يستعملون كل الطرق التي يرونها نافعة لئلا يتعبوا الفكر على غير طائل باغراقه مدة ساعات في قراءة صورة ولذلك ترى الاساتذة يأخذون تلامذتهم الى معامل خاصة كثيراً ماتكون بعيدة عن المدرسة ليطلعوهم بالعمل على ماينبغي لهم الاطلاع عليه من الآلات والادوات وكل معامل المدرسة وغرفها وحجر كتبها وصفوفها منارة بالكهربائية اوالغاز على صورة لاتضر بصحة عيون الطلبة حتى انه ليقل جداً عدد الحسر بين الالمان لشدة العناية بصحة العيون . ومثل ذلك يقال عن مدرسة دانزيك وهي خاصة باعمال الهندسة للعمارات البحرية واعمال الري والمرافيء ومجاري الماء وهي كسائر مدارس الصنائع الكبرى اشبه بقصور الملوك منها بالمدارس لما حوت من المرافق والردهات والماشي والساحات والادوات وهذه المدرسة قد كلف بناؤها فقط سبعة ملايين فرنك ويكفي ان يتصور القارئ عظمتها اذا قلنا له ان فيها ٩٤ الف متر من الاسلاك الكهربائية و ٢٠٤٥٠ متراً من اللوالب و٢٩٠٥ مصابيح بيضاء متأججة و٣٧٢ مصباحاً ذا قوس قوتها ٢٨٥٨٥٠ شمعة . وقصارى القول انك لاتمر بقرية ولاقصبة ولامدينة ولاعاصمة في المانيا الا وتجد فيها مدارس صناعية كبرى وصغرى على نفقة الحكومة او البلديات تعلم الصناعات المختلفة بحيث فاض عددهم عن حاجة البلاد وذلك لان الشعب الالماني موقن بان الواجب ان يسلح كل ولد في الوطن الالماني بالاسلحة الضرورية في الجهاد الاقتصادي

مخطوطات نادرة

في المدرسة الاحمدية في حلب خزانة كتب عربية مخطوطة نجت من عوادي الدهر فكانت احفل مكاتب الشهباء . والى القارئ المخطوطات التي لها علاقة بموضوع هذه المجلة ننقلها من فهرست نسخه سليم افندي البخاري من علماء دمشق منذ بضع وعشرين سنة « كتب الادب والدواوين » : شرح نهج البلاغة نسختان . شرح ديوان المتنبي

لابن جني · ايضاً للواحدي · تمثيل المحاضرة للثعالبي انتخاب حياة الحيوان · مسليات الحزين · شرح درة الغواص · الجزء الاول من المسعودي على المقامات · الجزء الاول من مناهج الفكر [1] · جواهر العقدين في فضل الشرفين · مجموع ابن شمس الخلافة · طبقات الملوك للثعالبي ·

« كتب التاريخ » : الاول من مرآة الزمان · تاريخ ابن الخطيب المسمى بدر المنتخب مجلدان والثاني مخروم الآخر · من الوافي بالوفيات للصفدي جلد ٤ · مختصر تاريخ الذهبي المسمى بالعباب · من مختصر تاريخ الذهبي جلد ٦ · من تاريخ الذهبي جلد ٥ · الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ · مجموعة في طبقات العلماء · منتخبات تواريخ آل عثمان · تحفة الكبار في اسفار التجار لكاتب جلبي · من عيون التواريخ جلد ٧

« كتب منوعة » : تذكرة السويدي تقويم الابدان · مفردات صوري · رسالة في الطاعون للبلبيسي واخرى للبيلوني · تشريح الافلاك لبهاء الدين العاملي · صور الكواكب لعبد الرحيم الصوفي · المباحث الشرقية للرازي · المصارع في المطارحات للسهروردي · لمعة ابن الشاطر · رسالة وضع خطوط نصف الدائرة لابن مجدي المسمى بزاد المسافر · رسالة خطيب العدلية في وضع المزاول ومعها رسالة في الاصطرلاب · زيج الوغ بك · ملخص الوغ بك · مجموع رسالة في الاصطرلاب ورسالة في الربع المقنطر واخرى في الربع المجيب · رسالة في ربع المقنطرات · مجموع فيه اثنتا عشرة رسالة اولها في الربع المقنطر وآخرها رسالة تركية · رسالة في الاصطرلاب للطوسي · فراسة ابن شيخ دبوس · فراسة فيلمون · كتاب الفروسية ورماية النشاب · كتاب في فروسية المجاهدين وتحفة المجاهدين ·

ذهب المصارف

اغنى مصارف العالم بنقوده مصرف فرنسا ولذلك تهرع اليه كل دولة تريد ان تعقد قرضاً نقد بلغ مافي خزائنه من الذهب سنة ١٩١٠ — ١٣٤،٨١٨،٠٠٠ جنيه وما في مصرف روسيا ١٢٢،٣٢٠،٠٠٠ جنيه وما في مصرف النمسا والمجر ٥٥،٤٥٦،٠٠٠ ومافي مصرف ايطاليا ٤٨،٣٢٠،٠٠٠ ومافي مصرف انكلترا ٣٧،٣٤٨،٧٤٠ ومافي مصرف المانيا ٣٢،٢٥٠،٣٥٠ ومافي مصرف اسبانيا ١٦،٧٦٠،٠٠٠ وما في مصرف هولندا ١٠،٠٦٧،٣٣٠ هذا في ارقى ممالك اوربا وقد بقيت البلجيك والبرتقال وسويسرا

(١) لعله الكتاب الذي تكلم عليه عيسى افندي اسكندر المعلوف في هذا الجزء

والدانيمرك واسوج ونروج والصرب وبلغاريا ورومانيا والجبل الاسود فكم تبلغ النقود الموجودة في المصارف العثمانية ياترى ؟

امالي تاريخية

« المعتصم سمي المثمن »

ذكر ابو الفرج : ان المعتصم الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢٢٧ ه‍ ٨٤١ م كان يسمى المثمن لانه الثامن في احد عشر امراً اولها انه ثامن ولد ولد العباس والثاني انه ثامن خلفائهم والثالث انه ولي الخلافة سنة ٢١٨ ه‍ (٨٣٣ م) وكانت مدة خلافته ثماني سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام . وولد له ثمانية بنين وثماني بنات وكان عمره عند وفاته ٤٨ سنة وكان مولده في شهر شعبان ثامن الشهر في السنة

« ابن مقلة المثلث »

من غريب ماروى المؤرخون ان ابن مقلة الخطاط الشهير تولى الوزارة ثلاث مرات لثلاثة خلفاء المقتدر والقاهر والراضي وسافر ثلاث مرات ودفن ثلاث مرات لانه دفن اولا بموضع فجاء اهله ونبشوه ودفنوه في موضع آخر ثم نبش ثالثة ودفن في موضع ثالث

« الخليفة الراضي بالله »

من غريب مانقله المؤرخون ان الخليفة الراضي بالله العباسي المتوفى سنة ٣٢٩ ه‍ ٩٤٠ م ختم الخلفاء في امور منها انه كان آخر خليفة له شعر يدون . وآخر خليفة خطب كثيراً (واما من بعده فخطبوا نادراً) . وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل اليه الندماء . وآخر خليفة كانت له نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه واموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين عيسى اسكندر المعلوف

المرأة اليابانية

كتب عالم الماني في تربية النساء في يابان فقال : لم تكن المرأة اليابانية الى اواسط القرن التاسع عشر غير سجينة بيتها وأسرتها فكان اليابانيون يعتقدونها من عنصر احط من عنصر الرجال ولما ارادت يابان ان تدخل مضمار الترقي حقيقة تغيرت وجهة الافكار بسرعة في التربية كما تغيرت في السياسة وفي سنة ١٩٠٢ كان في يابان ٧٠ مدرسة عالية للفتيات وكان عدد الطالبات في مدرسة المعلمات ٣٢١ الف طالبة سنة

١٩٠٣ . وبعد ان ساح الاستاذ ناروس سياحة عملية في اميركا عاد الى يابان فعضده اناس من كبرائها مثل الكونت اوكوما والبرنس ايتو فأنشأ سنة ١٩٠١ اول مدرسة كلية للنساء التي اصبح المتعلمات فيها والمستمعات بعد ثلاث سنين الف امرأة . والذي يزيد في العجب من هذا الاصلاح السريع هو ان يابان لم تغفل في تربية النساء عن الوجهة العملية فالفتيات يدرسن دروساً عالية ولا يفوتهن استعدادهن لوظيفة الزوجة والام وهن يعشن عيشة أسرة واحدة وليس في المدرسة تعليم ديني بل يعلم فيها التسامح وخفض الجانب !

مدارس الغابات

كان الاولاد في كل زمان ومكان يهربون من المدرسة والكتاب لان منهم من لا يقدرون ان يخالفوا ماركز في غرائزهم من تطلب الهواء الطلق والحركة وذلك لرداءة بناء مدارسهم ولان وضعها غير طبيعي ونظامها مختل معتل وقد اخذ علماء التربية والتعليم في اوربا يدركون كل الادراك ان من مدارسهم ما يجلب السقم ويميت الهمم وكان السابق الى ذلك اناس في المانيا وانكلترا وسويسرا فقاموا يطبقون بين الضروريات الطبيعية ومطالب المدنية الحديثة حتى يحولوا دون الاولاد والهرب من الكتاتيب والمدارس فيتمتعوا في مدارسهم بما تتطلبه اجسامهم من الهواء والنور ويسرحون ويمرحون تحت غابات الصنوبر والزان

قالت مجلة التربية ونشأت هذه الفكرة في برلين لان هذه المدينة القديمة ضيقة النطاق فاسدة الهواء لما فيها من تراكم الانفاس حتى ان خمسة عشر الف نسمة من اهلها يعيشون في اقبية تكون دافئة في الشتاء ورطبة بعض الشيء في الصيف فمدينة شارلوتنبرغ الملاصقة لبرلين هي التي منها نشأت هذه الفكرة لان ابناءها كانوا بضعفهم الناشيء من رداءة هوائهم لا يستطيعون ان يسيروا مع اقرانهم عَلَى حين ان مدينتهم هي ام التعليم وفيها اعظم كلية صناعية فلم يستطيعوا ان يجاروا اقرانهم فرأى احباب الانسانية هناك ان ينقلوا اولئك الاولاد الى مدارس في الغابات تكون لهم بمثابة مصاح او مصايف عَلَى سواحل البحار فاذا قويت اجسامهم يقوى ذكاؤهم والعقل السليم بالجسم السليم .

رأوا ان ابناء هذه المدينة اضعف من غيرهم بذكائهم وما سبب ذلك الاضيق حاراتهم وفساد اهويتهم وان الاولى نقلهم من المدن الى الفلاة وها قد اصبحوا الآن يبعثون بالاولاد ممن ليسوا مرضى حقيقة وهم مصابون بالهزال اوضعف الرئتين والقلب اوظهرت

عليهم اعراض داء الخنازير اوغيره من مفسدات الدم — يبعثون بهم الى مدرسة الغابات بدلاً من ان يذهبوا الى المدارس الخاصة بالتلامذة المتأخرين فالمدارس الجديدة ليست للمرضى الذين يعدي بعضهم بعضاً ومعاملتهم من اقسى مايكون من الشدة بل هي مدارس المرشحين للسل وغيرها من الامراض كما يقول الاطباء فتداوى فيها صحتهم و ينقذون مما يتهددهم بدون ان يحولوا بينهم وبين دروسهم او يضيعوا عليهم سنة كاملة ·

قام الشارعون بهذا العمل وهم يتخوفون الفشل والناس في المانيا لا ينظرون في الاعمال الجديدة الا الى ثمراتها الاولية وساعدهم البنك الالماني في مشروعهم بان ابتاع لهم الارض واعطاهم اياها بلا ربا والارض واقعة في غابة عَلَى بضعة كيلومترات من شارلوتنبرغ يسير بينها وبين الغابة ترامواي كهربائي يصل بين المدينة واول الغابة في عشرين دقيقة ثم يسير الانسان من المحطة الى المدرسة عشرين دقيقة على قدمه الى وسط الغابة وهواؤها عليل اكثر من المدينة وصاف للغاية

ومن اهم مافيها انبعاث رائحة القطران والصمغ من الصنوبر والرتينج وليس في هذه المدرسة اكثر من مئة طفل وطفلة جعلوهم في اكواخ من خشب سدوها من الداخل بقماش ولم ينفق عليها كثيراً بل بذلت العناية للتوقي فيها من الضباب والمطر وهناك بنايتان من الخشب وهما عبارة عن صفين يفصل بينهما غرفة للمعلم او المعلمة وفي الجدران بعض المصورات الجغرافية والالواح وموقدة من القاشاني لامن الحديد المصبوب لان الحديد مضر باتفاق علماء الصحة وهناك تجري الدروس ففي المطر تقام الصفوف في هاتين البنايتين عَلَى ان تترك النوافذ مفتحة ماامكن وفي اوقات الصحو تقام الدروس في وسط الغابات تحت اغصان شجر الصنوبر القديمة والاولاد جلوس عَلَى العشب وعلى المروج اللينة وعلى مقربة من غرف المدارس أنشئوا سقيفات مفتحة من اطرافها الاربعة لانها اذا كانت مفتحة من جهة واحدة تكون معرضة لمجرى الهواء وتكون سطوح هذه السقيفات متينة تقاوم الاعاصير والامطار و يكون من تحتها بمأمن من الرطوبات والرطوبات هي عدوة مدارس الخلاء · وهناك ايضاً بعض سقيفات اخف من الاولى واصغر و بجانبها سقيفة واسعة طولها ٢٧ متراً وعرضها ٦ مفتحة نحو الجنوب و يمكن ان تؤوي ٢٠٠ الى ٢٥٠ طفلا · فتحت هذه السقيفات البرية المبثوثة في الغابة يتسلى الاولاد عند ما يتعذر عليهم ان يخرجوا من المطر الى تحت السماء وهناك يستريحون فيجلسون عَلَى الكراسي المستطيلة كلما حالت الرطوبة دون تنزههم تحت الاشجار ولكن تصل الى عيونهم ورؤوسهم رائحة

الصنوبر وبعض اشعة الشمس · وفي احدى السقيفات مناضد مستطيلة ودكات جعلت بيتاً للغداء وفيها صحاف وكؤوس منمرة عَلَى نظام تام يجلس اليها الاولاد اوقات الطعام كل واحد في مكانه الخاص به وفي وسط هذه البنايات الخفيفة أُنشئت بناية اكثر متانة وهي من خشب ايضاً قسموها اقساماً فمنها قسم للمديرة وآخر للمطبخ وثالث لحفظ الطعام ورابع قبو وحمام اوحمامان للذكور والآخر للاناث اما الحمام فعلى غاية من النظافة · وعَلَى هذا كان الماء الحار والماء البارد والحركة والراحة والهواء والشمس مساعدة عَلَى تقوية تركيب الاولاد · وفي هذه المدرسة مستشفى صغير موقت لما قد يطرأ من الامراض والعوارض عَلَى الاولاد ·

وليس لهذه المدارس وفيها ٢٥٠ ولداً سوى المديرة واليها يعود امر التربية والصحة وملاحظة الخادمات والمطبخ وستة معلمين وثلاث معلمات

تبدأ هذه المدرسة بالدروس عند ماتعود الحياة الى الغابات والخضرة في الربيع اي بعد عيد الفصح وتدوم بحسب مساعدة الجو وربما دامت الى النصف الاخير من كانون الاول ولكن من العادة ان تطول مدة الدرس الى آخر شهر تشرين الاول في شمالي المانيا والى منتصف تشرين الثاني في جنوبيها فيأتي الاولاد نحو الساعة السادسة ونصف صباحاً فتطوف بهم ادارة المدرسة في الغابات الى الساعة الثامنة راكبين في ترامواي معد لهذا الغرض وفي تلك الساعة تبدأ الدروس وفي العادة ان لا تطول مدة كل صف اكثر من ٢٥ دقيقة فبعد الصف الاول يعطى التلميذ خمس دقائق للراحة والنزهة وبعد الصف الثاني عشر دقائق · والاطفال الصغار ومن بعدهم لايدرسون في اليوم اكثر من ساعتين والاكبر منهم سناً يدرسون ساعة زائدة · والصف لا يتألف من اكثر من عشرين تلميذاً ليتيسر للعلم ان يعنى بكل واحد من المتعلمين عناية خاصة ويدير شؤونهم واعمالهم · وقد رأت ادارة المدرسة ان اربعة دروس يدوم كل واحد خمساً وعشرين دقيقة افضل من دروس يدوم كل واحد منها ٥٥ دقيقة وفيها من ٤٠ الى ٥٠ تلميذاً وان الاحرى ترك التلميذ يسرح ويمرح في الغاب لا ان يقعد عَلَى الدكة يستمع ٣٥ من اترابه يسمعون دروسهم مما لا يزيده الا ثلم حاسة الانتباه فيه ويدخل عَلَى نفسه الاشمئزاز من الدرس مهما كان جذاباً اما الدروس التي يدرسونها في هذه المدرسة فهي دروس المدارس الابتدائية في المانيا ومختصر اللغة المحلية الالمانية وتاريخ المانيا ومختصر التاريخ العام والجغرافيا والحساب والتاريخ الطبيعي والغناء والرسم ودروس الاشياء

وقليل من اللغة الافرنسية لبعض الطلبة و يعنون عناية خاصة بتدريس اللغة الالمانية والتاريخ والجغرافيا والغناء · وان كان الغناء من دروس التسلية ا كثر من الدروس الجدية · والتاريخ الطبيعي والنبات والغناء والرسم يعلمون في الغابة غالبًا وفي جوار المدرسة بالعمل ا كثر من النظر وقد تبين ان عقول من يتربون من الاولاد عَلَى هذه الطريقة اثقب ومعلوماتهم ا كثر بخلاف عقول من يتربون في المدن وما يحصلونه ·

وقد جعلت الالعاب بحيث تقوي نشاط الاولاد وتلقي في نفوسهم فكرة الابداع والاختراع فترى المدرسة قد خصت صغار الاولاد بقطعة من الارض مرملة يلعبون فيها ويحفرون و يطمون و يبنون باغصان الخلاف جسوراً وحصوناً وانفاقاً ومجاري وكثيراً ماتستحيل هذه المسليات الى صورة درس في الجغرافيا اوالطوبوغرافيا فيرسمون بعض انهار بلادهم وما عَلَى حفافيها من الاراضي والمصايف والحصون · وكبار الاولاد يدربون صغارهم عَلَى هذه الالعاب كما ان المعلمين يلاعبون كبار الطلبة بدون ان يظهروا بانهم في صدد درس بل انهم في لعب ونزهة

ولطالما لاحظ علماء التربية ان جهاد المرء اذا صرف الى غاية نافعة يكون عليها في نفس الطفل لذة زائدة فتؤثر في تربيته اكثر مما تؤثر الاعمال التي لانتيجة لها فقد قال ارسطو ان كل حي يحب نشاطه · فاذا كان العمل فرحًا فهو كذلك عَلَى شرط ان يتم لا بالاكراه بل بحرية اي ان يتم بارادة المرء مدفوعًا اليه بغايته الطبيعية وهي الايجاد والايلاد والاحداث

ولذا اختصت المدرسة كل تلميذ بقطعة صغيرة من الارض حديقة يزرعها و يستنبتها ما يريد فهو ملك هذه الروضة الذي لاراد لحكمه وله ريعها زهوراً كان او ثماراً فترى احدهم يزرع قرنفلا او ورداً ليقدم منها باقة لكبار اسرته وآخر يميل الى العمليات فيزرع فجلا او بقولا و بقوة الماء والعناية يستخرج من تلك الارض الرملية المحرقة غلات نافعة حتى اذا تقدم في السن يدرك كم بذل الفلاح من العناية حتى اتاه بخبز عمل من الجاودار وصفحة من البقول · وهناك طفل آخر مولع بالنبات فيربي في روضته نباتات نادرة من الغابة و يدرس كيفية نشوئها · وهكذا أشرب اخلاق كل واحد من هؤلاء المتعلمين وكلهم يفكرون فيما يستنبتون ان يقدموا من اول غلة لاقربائهم وابويهم دليلا عَلَى مهارتهم وحذقهم · ولا تسل عما يبذله اولئك الاطفال من الهم ليدخلوا السرور عَلَى قلوب غيرهم وكم لها من الشأن والقيمة الادبية التي لاتضاهى ·

اما الطعام الذي يتناوله فقد اختارته المدرسة من اقلها نفقة واكثرها تغذية لان المقرر الذي يدفعه التلامذة واكثرهم من الفقراء لا يكفي لتقديم المأكولات الثمينة . وطعام الغداء الذي يقدم الساعة الثانية عشرة ونصف وقت الظهر هو اكبر طعام وما عداه فالاولاد يأكلون كل يوم اربع وجبات الاولى الساعة السابعة يقدمون له كأساً من اللبن الحليب وقطعة خبز ومربيات لانهم يعتبرون السكر مادة من مواد الغذاء ومقوياً . وفي الساعة العاشرة يقدمون اكلة خفيفة ايضاً وعند الظهر طعام مغذ مؤلف من ثريد ولحم لا يقل عن مئة غرام لكل ولد وبقول معدلها من ١٥٠ الى ٢٠٠ غرام وفاكهة او حلويات او مربيات . وفي الساعة الرابعة يطعمونهم لبناً حليباً وخبزاً بالزبدة وفي الساعة الخامسة وربع يطعمونهم قطعة من الخبز وشيئاً من اللوز الهندي (كاكاو) . وانت ترى ان اللبن والخبز هما اكثر الاطعمة تغذية واقلها كلفة

ولقد كان من نتائج هذه التربية والحياة المدرسية ان كان الاولاد يأتونها ضعاف الاجسام نقرأ في وجوههم عبوسة وفي نفوسهم انقباضاً وفي ارواحهم ذلة وصغاراً لا تميل انفسهم الى شيء ولا تنبسط شهواتهم لشيء وبعضهم لا يعرفون كيف يلعبون ايضاً فهم خليط من ابناء الاحياء القذرة لا يعرفون الزهور ولا المروج ولا تغريد الاطيار في الاشجار ولا الحبوب ولا كيف تغيب الشمس فتسحر بمنظرها ولا كيف تشرق فيبهج النفس مرآها ولا كيف تسرح الحيوانات في الغابات ولا كيف تطن الهوام والحشرات في الشمس او تعبث بالاوراق وها قد اصبحوا منذ اول دخولهم المدرسة وافكارهم منتبهة ونشاطهم موفوراً وكل شيء جديد لديهم كأنهم في عالم جديد يهتز منهم من لم يهتز لامر من قبل وينتبه اكثرهم رخاوة ويعود اليهم الذوق في الحياة فلا يجدون في العمل سخرة مملة عقيمة وكلما زادت قواهم الطبيعية يعود ذكاؤهم العادي الى حالته الطبيعية

وقد اخذ وزن اجسام الاولاد يزيد من اسبوع الى اسبوع فكان الواحد يزيد نصف لبرة وكثير منهم زاد ثقلهم من ٩ الى ١٠ لبرات في خلال ثلاثة عشر اسبوعاً وكما اخذت المدرسة تراقب وزن التلامذة انشأت تراقب كمية الدم فيهم فظهرت لها نتائج حسنة واخذوا يشفون من الامراض وتحسن صحتهم تحسناً ظاهراً على اختلاف اسقامهم فثبت ان المقام في تلك الغابة نفع في اكثر المصابين بداء الخنازير وفقر الدم والمستعدين للسل . هذه هي النتائج الخارجية ويصعب تعيين ما حدث للاولاد من النمو في ارادتهم ومقدرتهم على العمل وحسن خلقهم وفرحهم بالحياة وهذا من القوى

اوالنتائج الادبية لم يتيسر لاداة ان تضبط على التحقيق نموها وضعفها ومع هذا فان لهـا تأثيراً كبيراً لا في صحة الاخلاق بل في الصحة الطبيعية

فالمحيط الجديد الذي انتقل اليه الاولاد وتأثير الطبيعة في نفوسهم والسكون والعمل المعقول والجهاد الحر النافع كل هذا يفعل احسن فعل في الاعصـاب التي كثيراً ما تهيج من هواء المدينة وضوضائها او تضعف لقلة الهواء النقي • فمدارس الغابات هي اشبه بأسرة كبرى كل امرىء سعيد ان يكون منها وكل واحد من ابنائها يحرص على ان لا يسوءُ سمعتها وفي هذه الدار يتجلى للانظار ما للعناية النسائية بالاطفال لانهم يبوحون للمديرة التي تحنو عليهم حنو المرضعات عَلَى الفطيم بذات انفسهم ونياتهم واعمالهم فترشدهم وتنشطهم وتحاول ان تجعل منهم اهل حشمة من الرجال وجد من الفتيات • وادارة المدرسة تفكر في ان تجعل مدرستها داخلية لان الهواء النقي ينفع في حالة النوم ضعفي نفعه في حالة الاغفاء بالنسبة لهواء المدن القذرة فقد ثبت ان الطفل عند عودته في المساء الى دار ابويه يفقد احياناً ما ادخره من القوى لرداءة الغذاء او الهواء ولانحطاط المحيط في الاخلاق والتربية او لاسباب اخر من اسباب انفعال النفس • هذا وان يكن الالمان اميل الى ان يجعلوا اولادهم في مدارس خارجية اكثر من الداخلية وقد اشتهر امر هذه المدرسة في بلاد الالمان واخذت كثير من المدن الصناعية تحذو حذوها كما فعلت مدينة البرفلد وكيل ولوبك ومونيخ وموطوس وغيرها وعمدت كلها الى اقتصار الدرس والدروس واشباع المواد فيها ودوام الراحة وتكثير وجبات الاكل المغذي واجمل مدرسة تحت الغابات في المانيا — وكلها غابات جميلة — مدرسة غلادباش

وكذلك ارسل الانكليز اناساً من رجال التربية عندهم ودرسوا طريقة هذه المدارس واخذوا يقلدونها لان طريقتها اشبه بطرائقهم في التربية والاعتماد عَلَى رياضة النفس فيها اكثر من الاكثار من الدرس فلم يحبوا ان يكون الاطفال في الارتياض اقل عناية بامرهم من الفتيات في كليتي اكسفورد وكمبردج حتى ان بلدية لندن نفسها انشأت ثلاث مدارس من هذا النوع وكذلك فعلت مدينتا برادفورد وهاليفاكس واختيرت اماكن نزهة فيها الاشجار الهائلة وصرف بعض الانكليز في هذا السبيل عن سخاء • ومتى قصر الانكليز في بذل الجنيهات كالمطر اذا كانت نتيجتها تربية القوى الطبيعية في الاطفال ؟

ولقد اخذت هذه المدارس تعلم الرسم في الطبيعة والطوبوغرافيا على شاطىء السواقي والحساب بقياس الاشجار الضخمة وتقدير حجم جذوعها بالمتر المربع والجغرافيا بخط خطوط في الرمل ناتئة . وللاستحمام بالمضخات وغيرها المقام الاول في هذه المدارس . وللاشغال العملية مكانة كبرى فالبنات يتعلمن غسل الثياب وترقيعها والعناية بالاولاد . ومن مبدإ هذه المدارس ان الواجب ان يعرف كل ولد كيف يعمل عملا باصابعه العشرة ولهذا من الشأن العظيم من حيث الاخلاق وتقوية العقل اكثر مما يتوهم المتوهمون. وكانت نتيجة هذه المدارس باعثة على الرضى اذ قد ثبت ان تسعة اعشار تلامذتها زادوا زيادة محسوسة في وزنهم ونشاطهم . ولئن كان نمو القوى الطبيعية سهلاً تحقيقه بواسطة الديناموميتر ودل البحث عَلَى ان الاولاد لم يزيدوا وزناً مثل مدرسة شارلوتنبورغ الالمانية فذلك لان الجنس الانكليزي في الغالب غير مستعد للسمن كالعنصر الالماني وكان من التلامذة الضعاف في عقولهم ان اخذت تنشط من عقالها كلما زاد نشاط اجسامهم

وقد اغتبط الانكليز بما تم من النجاح عَلَى ايدي مدارس الغابات ولا تلبث كل مدينة في انكلترا ان يكون لها مدرسة من نوعها كما ان اناساً من رجال المال في اميركا قد احدثوا في سان فرنسيسكو وغيرها اندية للاولاد تضمن لضعاف الحال والصحة السفر لاستنشاق الهواء الطلق وربما كان ذلك مقدمة لاحتذاء اميركا حذو المانيا وانكلترا في انشاء مدارس في الهواء الطلق وبين اشجار الغابات . وقد اخذت سويسرا وفرنسا تفكر في انشاء مدارس من هذا النوع لان العناية بالصحة هي فوق كل عناية حتى قال ديكارت الفيلسوف انه مقتنع كل الاقتناع بانه اذا كان ثمت واسطة لجعل البشر اذكى وانبه مما هو فليس غير الطب يجب ان يعض عليه بالنواجذ ويلتمس منه الشفاء

عقول الاطفال

في مجلة الاقرباء الانكليزية ثلاث مقالات في اعداد عقل الطفل . الاولى في الدور الذي يجيء عَلَى الطفل من سن ١٨ شهراً حتى يبلغ ثلاث سنين وهي سن تعلمه الكلام ومقدرته على التقليد وغريزته في البحث عما لا يعلم وتكون قواه في التصور والتعقل في مبدإها وارادته جرثومة تبدو في صورة عناد وبعد سن الثالثة تتأصل فيه قوة التعقل بمظهر اكبر وهذه هي السن التي يكون للتفكر فيها شأن رئيسي وتظهر الارادة في مظهر اجلى ويأخذ الولد في تقرير امور بدون ان تحمله اليها ضرورة لاحقة ولا يتيسر لهذا النشوء في عقل الطفل ان يتم عَلَى اصوله الا باجادة تغذيته ونومه فلطول رقاده شأن مهم في هذه السن .

اما من حيث الاخلاق فالذى يجب للوالدين هو ان يطيعهما بدون خشية لان للخشية نتائج سيئة في مستقبله وعَلَى الوالدين ان يوقنا بان عقل الطفل صغير كجسمه، وان الواجب عليهما له اشياء كثيرة وهو لا يسأل معهما عن شيء

والمقالة الثانية في تهذيب الطفل جاء فيها ان المهذب الحقيقي هو الذي يعلم قليلا من كل موضوع وكثيراً في موضوع واحد . وتكون تربية الطفل تربية حرة بان لا يغفل عما يعلمهم الاهتمام بكل الموضوعات الكبرى والصغرى مثل القصص والرحلات والتواريخ في الحيوانات والنباتات ويجب ان تؤثر الكتب التي لها قيمة ادبية فان الذوق يتكون منذ الطفولية كالمفردات التي بها يستعين المرء ان يعبر بعد عن افكاره . ويجب ان لا يعتقد بان الفضيلة تحبب الى النفس بالتنفير من الرذيلة بل بتحبيب الفضيلة نفسها ومافيها من الخيرات فان الابطال الذين احببناهم واعجبنا بهم وحاولنا تقليدهم في شبيبتنا يظلون اصدقاءنا يوم نبلغ اشدنا . وبالجملة فالواجب ان يذكر ان القراءة تعلم الاولاد وتسليهم وان لا يكثر عليهم من الكتب المعلمة ويترك لهم اختيار مايروقهم منها عَلَى شرط ان تكون لها قيمة ادبية او اخلاقية اوعلمية .

والمقالة الثالثة في تعليم الطفل بالحديث والحوار لانهما يؤثران في تربيته ولكن لامباشرة فان الدائرة التي يلعبون فيها ويدرسون وبدائع الصنائع التي تلقنهم الجمال والنظام لا اثر لها في امداد نفوسهم واذواقهم بقدر حديثهم فاذا تركوا وشأنهم في حديثهم يصبحون وحديثهم نسقاً واحداً غير لائق فعلى المعلم ان يعنى بحديثهم بحيث يكون عاماً واحسن الاحاديث ما كان بحضور النساء لان بعض مدارس انكلترا جربت هذه الطريقة فنشأت منها خيرات كثيرة في تربية عقل الطفل .

الاخلاق والعادات

يرى بعضهم اختلافاً في تعيين معنى الطبيعة والعادة وان الطبيعة والمزاج اوالاخلاق لا تؤثر فيها التربية او ان التربية اذا استطاعت تغيير طبع الانسان فلا تعمل الا عَلَى ابطاله وتلاشيه وعلماء الاخلاق عَلَى اختلاف بينهم في هذا الشأن فقد قال روسو ان التربية التي ليست سوى العادة لاطائل تحتها وهي عاجزة عن التأثير في المرء لانها تجد امامها سدوداً من مقاومات الطبيعة فلا تستطيع تغيير الميل والاستعداد ولا تقف عثرة في سبيل النشوء فليس في مقدرتها الا ان تنير المرء وتهيء له السبيل للانبعاث والعمل

او انها تنشيء للمرء طبيعة ثانية وتبيد الاولى وتشحذ العقول وتهجن الارواح وتحث الارادات وتقويها

فقد اعتاد من يقول بان الانسان غير قابل للتربية ان يحتج بان الشر مغروس في فطرته وهذه هي الحاكمة المتحكمة في تكوين اخلاقه ولكن هذا الزعم فاسد لان الدلالة عَلَى تأثير التربية وفعلها في تغيير الطباع امر لا ينكره مفكر · قالوا ان العادة طبيعة ثانية ومن المحقق انه اذا كانت للمرء طبيعة وهذه الطبيعة متحولة بالعادة فهو من بين سائر الحيوانات خاضع للتأثيرات الخارجية الكثيرة المتنوعة التي لها الفعل الاكثر في هذه الاسباب والتخلق بها واحتذاء مثالها فان الحس الحي اللطيف وتركيب المرء اللدن المرن المستعد بدون عناء لجميع انواع التكون وقوة الحافظة التي هي طبيعية في المرء وبها يعتاد العادات عَلَى ايسر وجه كل هذا يجتمع ليكون اخلاقاً ومظاهر في المرء متشابهة لما يحيط به من الاخلاق والاشكال وما يحفه من الاجسام · وهذا هو جملة القوة العظمى في التربية الطبيعية ومنها تنشا في الحال التربية الاخلاقية وبذلك يكون المرء قابلا للكمال الى ما لا نهاية له ويستطيع القيام بكل امر

ويعتدل النظام الحيواني بالعادة خاصة فهي بطول الزمن تؤثر التأثيرات النافعة والتأثيرات الضارة · فتركيب الانسان خاصة مستعد ان يظهر في كل المظاهر · والمرء يستطيع ان يألف تناول السم وربما صعب عليه الاقلاع بعد من عادة كان ألفها بالتمرس بها والرجوع عن القبيح الى الحسن فسكان البلاد الرديئة الهواء قد لا تجود صحتهم ابداً في بلاد اجود بهوائها فالمصابون بالربو (ضيق التنفس) الذين تناسبهم الاماكن الشاهقة في العادة قد يرون حاجتهم ماسة الى هواء كثيف ثقيل كانوا اعتادوه ايام صحتهم والهواء الشديد قد يزيد في اوجاعهم ويحدث لهم اختناقاً مدهشاً ولقد رأينا سجناء خرجوا من محابسهم ومطابقهم العفنة اقوياء اشداء بعد ان قضوا مدة طويلة مسجونين بجرائمهم ثم ضعفوا وهزلت اجسامهم من الهواء الطلق ولم تعد اليهم صحتهم الا بعد ان ارتكبوا جنايات اخرى اعادتهم الى مطابقهم الاولى التي اصبحت لهم كأنها مساقط رؤوسهم ·

وهكذا ففي الوسع ان تدخل عَلَى الطبيعة تعديلات اصلية كثيرة ويمكن تجديدها وقلبها والاخذ بها في طريق غير طريقها وذلك بالعادة · ثم ان الطبيعة خاضعة لجميع المؤثرات وقابلة لاعتياد انواع العادات فهي — خلافاً لما يقال — مرنة وقابلة للتحول لا تظل عَلَى حال واحدة بل تفعل فيها الاخلاق والتقاليد ومؤثرات المحيط والعادات

الشخصية . وقد قال احد علماء التربية ان للمرء مزاجين طبيعي او اصلي وكسبي فالاول ينشأ من مزاج الانسان فلا يؤثر فيه الا اذا تكرر عليه غيره وعندئذ يظهر المزاج الآخر اي ان المزاج الاصلي يؤخذ بالمزاج الكسبي وهذا الذي يعتبر كأنه مزج الاهواء الطبيعية والعادات المكتسبة التي يقضي علينا ان نلاحظها فقط فالمزاج الطبيعي يعرف ويظن ويغلط وهو مفترض مثل شروط التربية ولكن المزاج الكسبي هو نتيجة التربية نعرفه ونثبته فهو عمل من اعمال التجارب الثابتة

فالمزاج الكسبي هو عبارة عن التبدلات التي تفعل في المزاج بحكم الوراثة — وان كان يمكن اعتبار الوراثة جزأ من المزاج الطبيعي — ومن التبدلات الطبيعية الخاصة المشتركة بين جميع الناس وهي تنشأ من السن ومن الانقلاب الذي يحدث في الانسان عند البلوغ مثلا ثم من مجموع التبدلات العارضة التي تترك اثاراً باقية كنحو المرض او الاسباب المنظمة الثابتة كالمناخ واصول المعيشة والاعمال العادية من جسدية وعقلية

وقد ادمجنا في جملة اسباب المزاج الكسبي المرض والمناخ وذلك لانهما يعدلان طبيعتنا وان كان في اليد تعديلهما لانه في استطاعة المرء ان يقاوم المرض ويتوقاه بمراعاة قواعد الصحة ويضعفه او يشفيه بالعلاج الخاص به كما انه يصلح او يخفف تأثيرات المناخ او يجعله بحيث يناسبه وان كان في الاكثر عرضة لتأثيراته . والمرض يغير تركيبه ويقطع الموازنة بين الاعصاب الحاسة والمحركة وتغلب الاول على الثاني فهكذا تجد في الاولاد والمعرضين للامراض حساً رقيقاً وشعوراً قبل اوانه وذكاء حسناً ويتحول المزاج ايضاً بحسب المناخ فترى في البلاد الباردة القوى العصبية عاملة قوية والقوى الحسية مخدرة ضعيفة وبالعكس ترى اهل البلاد الحارة اما البلاد الرطبة العفنة فالمزاج فيها بلغمي

ومهما كان من تأثير الاسباب الطبيعية في طبيعتنا فالتربية لها مدخل كبير في اعداد الرجال بل انها هي المادة والعامل فانا نجد فيها يستعبدنا سبباً لتحرير رقنا فمن ثم كانت التربية العامل الاكبر في طبيعتنا واذا كان للمرض والاقليم تأثير فذلك يشعر بان طبيعتنا قابلة للتحول . فالحرية ليست سوى اسم اطلق على مرونة تركيبنا الطبيعي والاخلاقي . وفي مكنتنا ان نعارض بين مختلف التأثيرات التي نخضع لنظامها ونكون لها سادة ونطبعها وننجو من تأثيراتها المضرة ونحرر نفوسنا من قيودها .

يكاد يكون تأثير طراز المعيشة كتأثير الاقليم واحدها يتغلب عَلَى الآخر فانك تجد في عرض واحد من الكرة اناساً مختلفين في طبائعهم من مثل اليابانيين والصينيين واليونان والاتراك · لاجرم انه ينسب ذلك الى اختلاف العناصر وربما كان لاسلوب المعيشة دخل كبير ايضاً · ولقد قيل ان المدنية لاتقوم الا في بعض الاقاليم كالاقاليم المعتدلة فالواجب ان يقال ايضاً لاتقوم الا ببعض التدابير والذرائع وما قط ازهرت الا بين الشعوب المعتدلة ·

فالعادة الشائعة باستعمال الافيون في البلاد العثمانية والصين والهند قد اثرت كالمناخ او اكثر بل ساعدت كالحكومة او اشد في تلك البلاد على توحيش سكانها وجعلهم غير صالحين للمدنية · واستعمال الالكحول هو ايضاً عند امم اوربا مسألة حياة وموت · وبلسان اعم ان ضرره يلحق بالصحة عن اختيار وكل خطيئة طبيعية لها نتائج اخلاقية واجتماعية · قال سبنسر : « قلائل في الناس من يظهر انهم يفهمون ان في العالم شيئاً يمكن ان يسمى الخلاق الطبيعي · والظاهر ان الناس يعتقدون على الجملة بانه يباح لهم ان يعالجوا اجسامهم عَلَى نحو ماتدرك عقولهم · » وانت ترى الفلاح طاعماً شديداً يقتل نفسه في العمل ويستعمل القسوة مع امرأته واولاده فيستنفد قواهم ويخرب صحتهم كما نرى العامل يضيع كسبه في الحانة ويخل باصول قواعد الصحة في مأكله ومسكنه بل ان عامة الطبقات في البشر تسرف على نفسها وتبذر في قواها وتعجل الخلل والهرم والعقر اليها وهكذا ضربت المدنية ضربة شديدة بايدي السواد الاعظم الذين لا يقدرون نعمها حق قدرها واختل نظامها المادي بل ان التقدم المادي وهو شرط ظاهر في التقدم المعنوي يبحث في الحقيقة من التربية والاخلاق حتى ان الامم كانكلترا التي تحترم الرفاهية الحديثة وتتعبد بها وتقصد من ذلك عنايتها بامور الصحة كعنايتها بالرفاهية نراها تكاد تكون وحدها سائرة في طريق المدنية بقدم راسخة احسن من الامم التي لها افكار خيالية في الحضارة · فخير ما ينظر اليه في التربية ان يلاحظ ما انطوت عليه جوانحنا ومزاجنا وان نبني نظامنا على اساس الحياة الطبيعية

للمزاج تربية او لابد له من تربية وقد شوهد بان المزاج غير ثابت من فطرته لانه نتيجة المرض والاقليم والنظام الصحي · يثبت ذلك اي ان المزاج قابل للتحول غير راسخ مانراه من تحويله لا بوسائط طبيعية بل اجتماعية كالصناعات مثلا · فالصنعة تروض الانسان باجمعه وتتحكم في اذواقه وافكاره وتقوده في سلوكه بل تعمل في تركيبه

الطبيعي • ومن البديهي ان ليس الحداد والطرز متحدين في القوة العضلية كما ليس لهما مزاج واحد وامراضهما ليست متشاكلة والاختلاف بين ابن الادب والفلاح والاول ينهك عقله والآخر يتعب عضلاته يختلفان بتركيبهما الطبيعي كالاختلاف المشاهد بين فرنسوي والماني وانكليزي وهولاندي وربما كان اكثر •

اذاً فما هو المزاج ؟ الظاهر انه يصعب ضبطه وتحديده ولا يتأتى تعيينه الا بالفكر فيحدد لا بما هو فيه بل بما يمكن ان يستحيل اليه • ولقد نظر المشرعون والحكماء في القديم الى التربية بانها تدريب منظم تام لاتختل قواعده ولايضل قاصده وعلى ايدي القدماء تحققت الاعاجيب التي تنشأ من التربية كالجندي والوطني والانسان الذي يقصد الى غاية كالدفاع والعظمة ومجد البلاد ولايعيش الطامح اليها الا لاجلها ولا يستنشق الهواء الا لتحقيق أُمنيته منها وبلوغ اربه • ولقد كان المثال البديع الذي ظهر من تربية الجندي الاسبارطي خير مثال تحدثه الامم فأعجب بتدربه القدماء والمحدثون وحق لهم ان يعجبوا لا لما تم عَلَى يديه بل لما بدا فيه من تأثير التربية او تدريب الانسان بالانسان وهكذا دربت رومية رجال شحنتها • وفي اسبارطة ورومية يجب عَلَى الاخلاقي ان يفكر في تأثير التربية لان هذه التربية لم تظهر قط باعظم من مظاهرها في تينك العاصمتين ولم يمتد سلطانها حتى ولا في عهد اليسوعيين الذين كانوا يعجبون بما يتم عَلَى ايديهم من جعل اعضاء رهبنتهم عبيداً خاضعين وادوات تامة

نعم فعلت التربية فعلها حتى اخرجت المرء عن طبيعته الاصلية وعدلت في مزاجه حتى اشتهى الفيلسوف ميستر ذات يوم ان يرى الانسان في نفسه او عَلَى فطرته فقال انه رأى فرنسيساً وانكليزاً وايطاليين وروسيين ولكنه لم يوفق الى روءية الانسان المجرد العام بل رأى الانسان بحسب المحيط والتعليم والتربية المكتسبة والمزاج ولكن اذا كان الانسان الحقيقي هو محصول التربية ومجموعة العادات واذا كان ابداً ابن الاحوال الطارئة عليه والعادات والمناخ والقوانين الا يجب ان يقال بان ليس له خلق خاص وان شخصيته تضمحل بما يعدو عليها • فالظاهر اننا لاننظر للشخصية الا عند مقاومتها للتربية ونراها مباينة بتعريفها للموءثرات التي توءثر فيها

ترجع التربية الى العادة وهنا انقسم علماء التربية الى قسمين فمن قائل بتأثيرات العادة ومن قائل بعدمها • فزعم روسو بان للتربية دخلا قليلا في اعداد الانسان قائلا ان التربية استعباد له وان خير عادة يعودها الطفل ان لا يعود امراً ما حتى ولا الاكل والشرب

ولا النوم في ساعات معينة بل ان يعد للاستمتاع بحريته وانت تلاحظه من بعيد كما تلاحظه في استعمال قواه تاركاً لجسمه العادة الطبيعية وان يكون ابداً مالك قياد نفسه وان تربى ارادته عند ما يكون مالكاً لها قال والعادة الوحيدة النافعة للاولاد هو ان يستعبدوا لضرورة الاشياء بدون عناء والعادة الوحيدة النافعة للرجال هو الاستعباد للعقل بدون كبير امر · ومثل لذلك بالنبات الذي تثنيه وتكرهه على ميل خاص فلا يلبث ان يعود الى اصله اذا اطرحته من يدك ·

وقواعده هذه تنطبق على التربية بل هي قواعد التربية بذاتها اذ لا فرق بين التربية والعادة وما التربية الا العادة فمن ثم كانت التربية تربيتين تربية ظاهرة موقتة وتربية حقيقية دائمة فالاولى هي التي تقاوم الطبيعة والثانية هي التي توحي اليها الطبيعة ولا تعمل الا على ترقيتها وموافقة قانونها ولذا قال روسو ان من الناس من ينسون تربيتهم او يضيعونها ومنهم من يحتفظون بها · على ان الابتعاد عن الفطرة مما ينافي العقل فالحكمة تقضي بان نعمل مع الطبيعة ولاجلها وكل تربية لا تجري على هذا النظام لا تكون عبثاً ثقيلا فقط بل تكون عبثاً لا نتيجة لها · ومن الباطل ان نعتقد ان مخالفة الطبيعة في التربية تغني غناءها وما هي الا ظواهر فان معظم العادات كما قال روسو التي تعتقد انك تلقنها الاولاد ليست عادات حقيقية لانهم أخذوا بها بالعنف وجروا عليها على غير ارادتهم فهم يتوقعون الفرص لينزعوا ربقتها · وقوله هذا صحيح لا غبار عليه فان بدريتو Pedrito الذي أخذ وهو طفل من محيطه المتوحش وربي التربية الاوربية الدقيقة تخلى يوم خلا له الجو ونجا من ايدي مدبريه عن عيش الرفاهية الظريف وراح يعود بين اهله الى عيشة الكسل والبطالة والشقاء التي قادته اليها ميوله الارثية ولم يعد قط الى حالته الثانية · وكذلك كان من حال الصيني الذي تزوج من امرأة فرنسوية واخذها معه الى بلاده فلما بلغها اخذ ينظر الى زوجه بانها غير مساوية له وانقطع عن معاملتها معاملة متمدنة · وبهذا تبين ان التربية ليست غالباً الا طلاء يزول لاقل عارض · وقد قال الفيلسوف ريبو ايضاً ان الطبيعة لا تعاند وان للارث والميول الطبيعية دخلا كبيراً في التربية · ومن رأي روسو ان العادة لا يمكن الا ان تكون منطبقة على الطبيعة ·

وقالت العقيلة نكرسوسور التي ناقضت روسو في نظرياته وجعلت للعادات في التربية الشأن الذي اراد روسو ان يسلخه عنها ان الولد ليس الا كائناً لدناً رخصاً قابلا للتحول مستعداً الى التطبع بالعادات يتناول ذلك على ايسر وجه بدون نكير وليس في العادات

عائق عادي يخدر قواه بل ان الاتفاق يتم ابداً بين الخلق والعادات وكلما كان الولد فتيًا في السن انبعثت عاداته من اخلاقه ومن نفسه . وبالجملة فانه يحصل للولد ذوق في العادات التي يعتادها فيقع استحسانه على مايراه . قالت انها رأت طفلاً في الشهر التاسع من عمره يبكي بكاء شديداً ويأبى ان يتناول غذاءه لان الفنجان والصحفة والملعقة لم تكن موضوعة في محلها التي جرت العادة ان توضع فيه . فاستدلت بذلك على ان ذوق النظام كان بذرة في الطفل فالواجب على المربي ان يربيه ويقويه وهكذا تجد ذوق النظافة والحياء فطرية في الانسان قالت انها شاهدت طفلة في الشهر الثامن عشر من سنها تبكي اذا مس احد معطف مربيتها في النزهة وقد رأت هذه الطفلة امرأة مجهولة دخلت ذات يوم وسرقت من البيت قفطان والدتها فاخذت تصيح صياحاً هائلا . ومن هذا يستنتج ان العادة ليست في الاصل عارضية دخيلة فينا بل انها تدخل وتنساب في حياتنا بقدر مانصادف من الائتلاف وتنبهه فينا من الشعور ويتفق مع ارادتنا وهكذا هي مادة من شخصيتنا ولكن تلك العادات لا يجب ان تخرج عن الطبيعية فلا تتمازج وايانا كما يتمازج قلبان كأنهما تراضعا لبنًا واحداً ويتعلق المرء بالعادة مختاراً لا مضطراً فتظل عاداتنا كما كانت في الاصل بهجة وظرفاً لا سلسلة وقيداً ليكون لسان حال كل امرئ ان عبوديتي حلوة وعبئي غير ثقيل . نعم يعتاد الامور وهي محببة اليه ولا يعتادها متكارهًا .

ولقد كان القدماء ينظرون الى التربية بانها تدريب مدقق شديد او تدريب على اسلوب تام ولكنهم يشفعون تربية الجسم بتربية الروح فلم يكونوا يكتفون بتربية العضلات بل كانوا يلقنون المربى العبادة او احترام القوة ويرون ان التدريب اوالعادة ليس بشيء اذا لم تظهر بانها ترجمان الروح .

قال الكاتب الفرنسوي الذي احتذينا عن مبحث له هذه النبذة : وطريقتنا في التربية هو ان لا ننظر الى ان العادة والخلق موجودة بذاتها ومستقلة بنفسها بل ان نعتبرها بان احدهما يقوم بصاحبه وهو متمم له

اصلاح حوران

تمت لسورية أمنيتها التي طالما نشدتها من ادخال حوران ولا سيما جبل الدروز في الطاعة واصلاحه اصلاحًا اداريًا ليسعه بعد الآن مايسع عامة الاقاليم العثمانية . فوفق القائد العام في الحملة على جبل الدروز سامي باشا الفاروقي الذي انتدبته الدولة لتأديب العصاة بالنظر لمعرفته اللغة العربية ولانه استعان على تحقيق رغائبه بقواد من ابناء هذه

الديار اوممن سكنوها زمناً وعرفوا احوالها وساعد عَلَى ذلك انتظام الجندية في العهد الاخير انتظاماً يغبطنا عليه المحب فقابل الدروز العسكر باطلاق الرصاص بالقرب من السويداء قاعدة الجبل كما قابلوهم في قنوات والكفر وما والاهما فاستولت الحملة عَلَى تلك البلاد واحرقت بعضها لما بدا من اهلها من المقاومة ومن سلم للحملة عومل بالرفق والعدل ولما ايقن الدروز بانهم كانوا عَلَى ضلال في مقاومة الدولة استسلموا كلهم ودخلت بلادهم في الطاعة وعادوا الى اعمالهم الزراعية فجمعت الحملة اسلحتهم واحصت نفوسهم وساقت الى الجندية نحو الف من شبانهم كما اعتقلت من ثبت كل الثبوت اشتراكه في الفتنة الاخيرة وعصيانه وربما حكمت عَلَى عشرات منهم باحكام مختلفة بما اقامته في السويداء من الديوان العرفي ولا يعرف بالتحقيق عدد من هلك من الدروز في هذه الوقائع لان من عادتهم ان ينقلوا جرحاهم وقتلاهم في ساحة النزال مهما كانت النيران متهاطلة عَلَى الرؤوس على ان الاخبار الرسمية ترجح انه قتل منهم نحو الف كما استشهد من الجنود ٥٧ بينهم ضابط وجرح نحو مائة بينهم اربعة ضباط وبلغ عدد الجيش الزاحف نحو عشرين الف جندي ·

وقد عم الاصلاح لواء حوران بهذه الواسطة وخيم الامن عَلَى تلك الربوع فأُحصيت نفوس سكان السهول منه وسكان جبال عجلون كما أُحصيت نفوس جبل الدروز ويقال ان من يدخلون الجندية من شبان حوران هذه المرة وكانوا لا يخدمونها من قبل نحو اربعة آلاف جندي وستربح الدولة من هذه الحملة اموراً كثيرة اولها انتشار الامن في سورية كافة وثانيها زيادة الاعشار والاموال والضرائب من هذا اللواء الخصيب فيزيد دخل هذه الولاية للحكومة فقط زهاء مائتي الف ليرة مسانهة

سكان الولايات العثمانية(١)

الولايات والمتصرفيات	المساحة بالكيلو متر المربع	عدد السكان	السكان في الكيلومتر المربع
— في الروم ايلي —	١٦٩،٣٠٠	٦،١٣٠،٢٠٠	٣٦
ولاية الاستانة	٣،٩٠٠	١،٢٠٣،٠٠٠	٣٠٨
متصرفية جتالجة	١،٩٠٠	٦٠،٠٠٠	٣٢
ولاية ادرنه	٣٨،٤٠٠	١،٠٢٨،٢٠٠	٢٧

(١) نقله تقويم البشير عن تقويم غوتا

الولايات والمتصرفيات	المساحة بالكيلو متر المربع	عدد السكان	السكان في الكيلو متر المربع
· سلانيك	٣٥،٠٠٠	١،١٣٠،٨٠٠	٣٣
· مناستر	٢٨،٥٠٠	٨٤٩،٠٠٠	٢٩
· قوصوة	٣٢،٩٠٠	١،٠٣٨،١٠٠	٣١
· اشقودرة	١٠،٨٠٠	١٩٤،١٠٠	٢٨
· يانيه	١٧،٩٠٠	٥٢٧،١٠٠	٣٠
— في آسيا الصغرى —	٥٠١،٤٠٠	٩،٠٨٩،٢٠٠	١٨
ولاية الارخبيل (بحر سفيد)	٦،٩٠٠	٣٢٢،٣٠٠	٤٧
متصرفية ازميت	٨،١٠٠	٢٢٢،٧٠٠	٢٧
· بيغا	٦،٦٠٠	١٢٩،٥٠٠	٢٠
ولاية خداوندكار	٦٥،٨٠٠	١،٦٢٦،٨٠٠	٢٥
· آيدين	٥٥،٩٠٠	١،٣٩٦،٥٠٠	٢٥
· قونيه	١٠٢،١٠٠	١،٠٦٩،٠٠٠	١٠
· اطنة	٣٩،٩٠٠	٤٢٢،٤٠٠	١١
ولاية انقرة	٧٠،٩٠٠	٩٣٢،٨٠٠	١٣
· قسطموني	٥٠،٧٠٠	٩٦١،٢٠٠	١٨
· سيواس	٦٢،١٠٠	١،٠٠٥٧،٥٠٠	١٧
· طرابزون	٣٢،٤٠٠	٩٤٨،٥٠٠	٢٩
— في ارمينية وكردستان —	١٨٦،٥٠٠	٢،٤٧٠،٩٠٠	١٣
ولاية ارضروم	٤٩،٧٠٠	٦٤٥،٧٠٠	١٣
· معمورة العزيز	٣٢،٩٠٠	٥٧٥،٢٠٠	١٧
· بتليس	٢٧،١٠٠	٣٩٨،٧٠٠	١٥
· ديار بكر	٣٧،٥٠٠	٤٧١،٥٠٠	١٣
· وان	٣٩،٣٠٠	٣٧٩،٨٠٠	٩
— في سورية وما بين النهرين —	٦٣٧،٨٠٠	٤،٢٨٨،٦٠٠	٧
ولاية حلب	٨٦،٦٠٠	٩٩٥،٨٠٠	١١

الولايات والمتصرفيات	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد السكان	السكان في الكيلومتر المربع
« بيروت	١٦٠٠٠	٥٣٣٥٠٠	٣٣
متصرفية لبنان	٣١٠٠	٢٠٠٠٠٠	٦٥
« القدس	١٧١٠٠	٣٤١٦٠٠	٢٠
ولاية سورية	٩٥٩٠٠	٧١٩٥٠٠	٨
متصرفية الزور	٧٨٠٠٠	١٠٠٠٠٠	١
ولاية بغداد	١١١٣٠٠	٦١٤٠٠٠	٥
« الموصل	٩١٠٠٠	٣٥١٢٠٠	٤
« البصرة	١٣٨٨٠٠	٤٣٣٠٠٠	٣
— في بلاد العرب —	٤٤١١٠٠	١٠٥٠٠٠٠	٢
ولاية الحجاز	٢٥٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	١
« اليمن	١٩١١٠٠	٧٥٠٠٠٠	٤
— ايالة طرابلس الغرب	١٠٥١٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١
— سيسام	٤٦٨	٥٥٠٠٠	١١٧
— قبرص	٩٦٠٠	٢١٠٠٠٠	٢٢
— كريت	٨٦١٨	٣١٠٠٥٦	٣٦
— مصر	٣١١٤٠	١١٢٨٧٣٥٩	٣٦٢
— تونس	١٦٧٤٠٠	١٨٣٠٠٠٠	١٠

التربية الجديدة

لا ينبغي للمدرسة ان تكتفي بالتعليم بل ان تعد رجالا عاملين للحياة ولذا قامت انكلترا وفرنسا والمانيا وسويسرا وروسيا وايطاليا والولايات المتحدة بانشاء مدارس جديدة تريد ان تتناول من التلميذ حياته باجمعها لان تربي عقله فقط تريد ان لا تكون المدرسة دار تعلم بل دار احتذاء تهمها الحياة قبل التعليم . وقد وضع فروبل Frœbel اعظم باحث بالتربية في العصر الماضي قاعدة من شأنها ان الواجب التعلم مع العمل فالمدارس الجديدة وجدت لتطبق هذا الفكر وتدفعه الى نتيجته الطبيعية وهي ان الواجب التعلم مع الحياة فيقتضي من ثم للانسان الكامل الذي يجب ان يعمل

عملاً مثمراً ويجد السعادة في علاقاته الشخصية ويصبح وطنياً صالحاً — يقتضي له جسد سليم وذكاء شديد وصفات لازمة له في ضروريات الحياة . وهذه القوة والمقدرة الطبيعية والصفات الاخلاقية لايتأتى الحصول عليها الا بالعمل فيجب ان يعيش الولد حياة الصحة الجسدية والجهاد العقلي والاخلاقي حتى اذا دخل في سن الرجولية تكون له قدرة واعتياد عَلَى استخدامها في الغايات الحسنة .

وقد كان حتى الآن ينظر الى المدرسة بانها جعلت لترقية العقل وان سائر شؤون الحياة هي في الطفل من عمل الاسرة ولكن اسباب الحياة قد تبدلت في العصر الاخير حتى لم يعد في طاقة الاسرة ان تجهز الطفل بجهاز من الصفات اللازمة له في جهاد الحياة فاقتضى من ثم للمدرسة ان تقوم بهذا الواجب فتنشئ عادات صالحة وتعلم الاسباب اليها ولاغنية في تلقين هذه التربية الآن عن المدارس الداخلية لان محيطها مستعد لتصوير الطفل في الصورة اللازمة لنفعه فلا يجد فيها مايخالف الغرض الذي يرمي اليه بخلاف من يقضي شطراً من حياته الاولى في البيت وقد يكون هذا في الاكثر جارياً عَلَى غير سنة المدرسة في الآداب وهناك فوائد اخرى في التربية المدرسية وهي انها تساعد الاولاد عَلَى ان يكبروا في الفلاة ويتعاطوا الاعمال المطلوبة منهم ويفهموا فائدتها ويعيشوا في ظل الطبيعة خلال السنين التي تتأثر الروح بالانطباع بطابعها

ومنذ امد طويل عرفت التربية الطبيعية في احسن المدارس الانكليزية مكانة . فانكلترا هي بلد الرياضات والحياة في الفلاة والبراري ومن هذه المدارس نشأ في الانكليز حب اللعب في الهواء الطلق فينظم الاولاد لانفسهم العابهم دون ان تتدخل في شؤونهم ادارة المدرسة حتى اصبحت الالعاب والرياضات اهم جزء من التربية في المدارس الثانوية في البلاد التي يتكلم بها باللغة الانكليزية وفي غيرها ايضاً .

وبعد فان النزهات (الفسح) في الفلاة والحمامات في الهواء الطلق ولعب الرماية والهدف والشغل اليدوي عَلَى اختلاف انواعه واختيار الغرف المعرضة للتهوية على الدوام واستعمال اللباس الساذج المعقول والطعام اللطيف الصحي ومراعاة قواعد الصحة في استعمال الوظائف الجسدية كل هذا مما يجب ان يعم امره في المدارس كما تعم الالعاب وهي لازمة لبقاء الصحة ولاسيما لايجاد عادات راسخة متى زالت سلطة المدرسة عن رأس التلميذ وتلقي في نفس الاولاد حب الحياة السليمة النشيطة فينبغي لنا محيط

يسمح بكل ماتقدم عَلَى ان يترك شيء منه للصادفات فالمدرسة التي لا تضع في قانونها ماعددنا ، تخل ولا جرم بواجبها الاول

قال العالم الانكليزي الذي ننقل كلامه هنا عن مجلة التربية الفرنسوية وليست احسن ذخيرة عقلية يحملها الفتى من المدرسة هي مجموعة معلومات علمية وانشاء جميل بل القدرة على التفكر بنفسه فيكون له ارادة عَلَى الابتكار ويستعد لان يقوى عَلَى حل المشكلات كلما عرضت • وهذه القوة لا يحصل عليها بالبحث في الكتب بل بان يعمل الولد الشيء بذاته على اختلاف ضروبه والواجب ان يتسع في خطط المدارس فتكون دروسها منوعة وتولي كفاءة كل امرىء حرية اوسع • فدماغ الولد لا يقوى بالقراءة بقدر مايقوى بالعمل والدماغ في الاصل لم يحدث عن عادات اليد بل ان اليد علمت العادات للدماغ وهكذا يجب العمل في تنشئة الطفل ليكون رجلا فيجب ان يكون لنا في خطط الدروس اعمال يدوية منوعة كثيرة لا لانها اساس العلوم والفنون التي توصلنا اليها بل لانها في حد ذاتها ادوات ثمينة في التربية • ففي الاعمال العملية وفي الاعمال الكتابية ينبغي لنا ميدان نشاط ودرس لنكون عَلَى بصيرة من بلوغ القوى والمصالح الحقيقية في الطفل ونكشف استعداده الشخصي • يجب ان لاننسى ان القيمة الرئيسة في عمل ما ليست بنتائجها المادية بل بطريقة انتاجها في طريقتها وان اهم نتيجة وادومها هي العادة العقلية التي ساعدت عَلَى الانتاج • يجب للمدرسة والمعمل عمل شخصي وان يعطى التلميذ مسائل ليحلها بالاختبار اكثر مما يحلها بالتعقل فتحصيل العلم يجب ان يعتبر بانه سياحة اكتشاف اكثر مما ينظر اليه بانه تعلم ما اكتشفه الغير فلا يجب ان يطلب من التلميذ ان يتعلم لينتفع بعد بمعارفه اذا سنحت له الفرص بل ان يعلم ضرورة العلم بالعمل السريع الذي يرى نفسه مضطرة ان تقوم به

فالتربية الجديدة لاترمي الى تنشئة رجال ونساء ذوي كفاءة وقدرة بل تريد اعداد وطنيين صالحين ينتفعون بخصائصهم لا لينالوا منها فوائد خاصة لهم بل ليعاونوا الناس ويساعدوهم • يعود الاولاد ان يقدروا انفسهم بانفسهم وان تهيأ لهم اسباب العمل فلا يكفي ان يتعلم ماهو صالح اذا لم تقو الارادة وتتأصل عادة عمل الخير في المرء بالفعل فقد كان سقراط يقول ان المرء لا يختار عمل الشر من نفسه وبذلك نتج ان معرفة الخير هي ضرورية فقط ونحن نتعلم دروس الحياة كلما عشنا •

نلقن الولد ان يعمل ونساعده ان يرى بنفسه ضرورة الوقوف عند حد والاعتراف بقيمة سلوكه • وهذا خير من استعمال الضعف في التلقين ويفرض علينا ان نمتع الولد

بحريته لانه اذا لم ينشأ وهو يختار الخير لاينمو في الاخلاق نمواً حقيقياً واذا خالفنا ذلك نصوغ من الطفل اداة مدهشة لا رجلا عاملا ولا يتأتى ذلك الا بتبادل الثقة بين المتعلمين فيخلص الاولاد بعضهم لبعض ويخلص المعلمون في مراعاة حرية من يعلمونهم · يجب على الاساتذة ان يقتنعوا كل الاقتناع بان الاولاد يرون من ثم نفوسهم ان يكونوا احرياء بالثقة عند ما يشاهدون انه يوثق بهم وان يدربوا من دون عنف وقسوة ولا ينظر لهم كمن ينظر الى من يشك في حاله ·

قال وارى اننا في حاجة لنفوذ المرأة حيثما وجد اولاد وذلك لا في السنين الاولى للطفولية بل في خلال مدة التربية واذا صح كما نعتقد باننا لانستطيع ان نتعلم الا اذا عشنا فنحن في حاجة في المدرسة الى جميع العوامل والمؤثرات الرئيسة في الحياة فليس تحديد الحياة المدرسية وقصرها على جنس واحد الا عبارة عن خنقها وفلجها منذ بدايتها فتربية البنين مع البنات ضرورية والمدارس التي سرت على الاسلوب الجديد في التربية تقوم بهذا المطلب من عدة وجوه بحسب حالتها واعتقادها وعاداتها القومية و يترك للتلميذ ان يعتقد ماشاء من دين آبائه ولا يبحث في الاديان بل يبحث في اعداد رجال على انه يعلم نفع التدين كما يعلم الاجنبي عنا احترام وطنية الغير لاتقديس وطنيتنا فقط

مخطوطات ومطبوعات

مباهج الفكر ومناهج العبر

وقفت في الصيف الماضي (سنة ١٩٠٩ م) على هذا المخطوط النفيس في المكتبة المارونية بمدينة حلب و يسمى ايضاً (نزهة العيون في اربعة فنون) لمؤلفه جمال الدين ابى عبدالله محمد الكتبي الملقب بالوطواط المتوفى سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) وهو على شكل دائرة معارف في الطبيعيات والعلوم والجغرافية · متقن الخط مذهب الصفحات في ٥٨١ صفحة مخروم من آخره قليلا وضعه مؤلفه على اربعة فنون الاول في العوالم العلوية والثاني في الارض والثالث في الحيوان والرابع في النبات وكسر كل من الفنون الاربعة على تسعة موضوعات · والذي يفهم من بعض تعاليق على الكتاب ان مؤلفه اندلسي الاصل مصري المنشأ · وان هذه النسخة حصلها من اسبانية المطران جرمانوس

فرحات الحلبي الماروني · وقد رصع مؤلف هذا الكتاب كلامه بنثر بليغ وشعر رشيق ومن منتخبات اشعاره الفلكية قول ابن رشيق القيرواني في ترتيب السيارات :

بالذي شرف كيـ وان بحظ من دهائك
واعار المشتري حا مك مع حسن اهتدائك
وانتضى المريخ سيـ فاً لك يمضي بمضائك
والذي التى على الشـ مس[1] رداء من بهائك
وكسا[2] الزهرة اخـ لاقك مع حسن ثنائك
ثم اعطى كاتب الشـ مس نصيباً من ذكائك
واقام القمر الـ فرد برداً لارتبائك[3]
انجز الوعد لعبد ماله غير رجائك

وقول هبة الله بن صاعد بن التلميذ المسيحي يذكر عقوق ولد له :

اشكو الى الله صاحباً شكساً تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معاً تكسبه نورها ويكسفها

وقول آخر في المجرة :

وعلى المجرة انجم نظمت مثل الفقار يلوح في الظهر
هذا حباب فوق صفحتها طاف وهذا جدول يجري

وقول ابن ابي ظافر المصري من ارجوزة في وصف الشمس :

والشمس قد مالت لنحو المغرب فموهت لجينه بالذهب
وفتحت في ساعة الاصيل وردتها في خده الاسيل

وقول هاشم بن الياس في وصف الجوزاء :

وكأنما جوزاؤه في غربها بيضاء سابحة ببركة زئبق
وكأنما اومت ثلاث انامل منها تقول الى ثلاث نلتقي

وقول الآخر في اقتران الشمس بالقمر :

يقابل الشمس فيه بدر دجى يأخذ من نورها ويمتار
كصيرفي يروج منتقداً في كفه درهم ودينار

---

(١) في الاصل سقطت على فانكسر الوزن (٢) في الاصل (كسى) (٣) الاصل ارتيائك

وهناك اوصاف الانسان كقول ابن الرومي في الترك :

اذا ثبتوا فسد من حديد   تظل عيوننا فيهم تحار
اسود الحرب انفسهم كبار   اذا لوقوا واعينهم صغار

واوصاف الحيوان كقول بعضهم في الفهد :

رقدت مقلتي وقلبي يقظان يحس الامور حسا شديدا
يحمد النوم في الجواد كما لا يمنع الفهد نومه ان يصيدا

وقول ابي محمد اليزيدي في رثاء القنفذ من ابيات :

عجبت له من شيهم متحصن   بنبل من السرد المضاعف يمرق
واني [1] اهتدى سهم المنية نحوه   وفي كل عضو منه سهم مفوق
ولو كان كف الدهر يستحسن الردى   لكان بكف الدهر لا يتعلق

وقول آخر في وصف الخطاف :

اهلا بخطاف اتانا زائراً   يذكر عهداً [2] بالزمان الباسم
لبست سرابيل الصباح بطونه   وظهوره ثوب الظلام القاتم

وقول بعض الحكماء (ابن التلميذ اوابن صفية) في النمل :

واذا انبت المهيمن للنمل جناحاً اعدها للتردي
ولكل امريءٍ من الناس حد   وهلاك الفتى جواز الحد

واوصاف النبات كقول آخر في البطيخ : .

ثلاث هن في البطيخ زين   وفي الانسان منقصة وذله
خشونة لمسه والثقل فيه   وصفرة لونه من غير عله

وقول بعضهم في الثوم :

الثوم مثل اللوز ان قشرته   لولا روائحه وطعم مذاقه
كالنذل غرك منظراً فاذا دعي   لفضيلة ينمى الى اعراقه

واوصاف الجمادات كالاهرام والمباني والبلدان والحوادث كقول ابي سعيد نصر ابن يعقوب يصف زلزلة :

اسقني كأساً كلون الذهب   وامزج الريق بماء العنب
فقدار تجت بنا الارض ضحى   كارتجاج الزئبق المنسرب

(١) الاصل ان (٢) كذا وهو جواز مكروه

فكأَن الارض في ارجوحة وكأَنا [١] فوقها في لولب

وعلي هوامشه حواش فيها فوائد كثيرة منها ماينسب الى السلطان سليمان القانوني لما مر عَلَى وادي حماه وهو في حلب سنة ٩٦١ هـ ١٥٥٢ م يصف نواعيرها :

نواعير [٢] في وادي حماة اذا بكت تهيج مني بالبكا مدمعًا قاسي
فاني على نفسي لاجدر بالبكا اذا كانت الاخشاب تبكي عَلَى العاصي

وفيه مباحث تاريخية في وصف العواصم والاجناد والمواقع مثل موقعة دمياط بين المسلمين والصليبيين وكثيراً مايستشهد بابن الاثير وبالمسيحي وغيرهما من المؤرخين . وفي صفحة ١٨ منه وصف كسرى للفلك ذكره حمزة بن الحسين الاصفهاني في كتاب التشبيهات . وهو عَلَى الجملة من الكتب النادرة الجديرة بالنشر ولمؤلفه كثير من المصنفات التي تدل عَلَى واسع اطلاعه مثل الدرر الغرر في شعراء الاندلس وغرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة وغيرها عيسى اسكندر المعلوف

ارشاد الفحول
الى تحقيق الحق من علم الاصول

للامام المجتهد الذي طار صيته في الاقطار القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ طبع بمطبعة السعادة في مصر سنة ١٣٢٧ على نفقة مصطفى افندي المكاوي

لاحاجة بنا الى الاسهاب في ترجمة المؤلف — الشوكاني — لسهولة الوقوف عليها في مواضع عدة منها في مقدمة كتاب نيل الاوطار المطبوع وفي كتاب التاج المكلل لناشر علمه وآثاره الامام صديق حسن خان وفي غيرهما

اما آثاره عليه الرحمة فكلها مما يتنافس فيها و يتسابق اليها ومعظمها في القطر اليماني وما نشر منها بالنسبة الى مالم ينشر كالقطرة في جانب البحر ولقد كان من حسنات هذه الايام الاهتمام بطبع كتابه هذا بمصر لما هبط اليها من اليمن فلطالما تشوقت اليه نفوس الفضلاء وتاقت لمراجعته قلوب المحققين لشهرة مؤلفه بتجويد المباحث واستقلال الفكر وقد جمعه احسن جمع وهذبه ابلغ تهذيب وتوسع في كثير من المباحث بما يزيد المجتهد قوة في البحث و بصراً في الاستنباط و بصيرة في حصول المأمول ، ومما انفرد به

(١) الاصل (وكأَننا من فوقها) (٢) سقط نصف الكلمة من قطع الورق عند التجليد

عن الكتب المؤلفة في ذلك — عدا عن كثير من نوادره — تحقيقات اتى عَلَى نهاية ما يمكن ان يقال عنها في مباحث الاجماع والاجتهاد والتقليد فقد اورد عشرين بحثا وخاتمة في الاجماع و تسع مسائل في الاجتهاد وستًا في التقليد ، في مطاويها من بدائع التحقيقات مالم يسبق اليه كما يعرفه من وازن بينه و بين مافي الايدي من اسفار هذا الفن

اما مكانة علم الاصول فاسمى من ان تعرف و يكفي انه — كما قال المؤلف — عماد فسطاط الاجتهاد واساسه الذي تقوم عليه اركان بنائه وانه العلم الذي يأوي اليه الاعلام والملجأ الذي يلجأ اليه عند تقرير المسائل وتحرير الدلائل في غالب الاحكام

جمال الدين القاسمي

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

جردنا من هذه المجلة مانشره في هذا المبحث الشيخ جمال الدين القاسمي احد العلماء العاملين في دمشق لتتداوله الايدي فجاء في ٥٠ صفحة وتطلب منه ومن ادارة المقتبس . ولاحاجة للكلام عليهـا فالقراء عرفوا دقة ابحاثها ووفرة فوائدها وادركوا كيف حلت هذه المعضلة القديمة .

تصحيح اعلام برتقالية

تفضل صديقنا احمد بك زكي في القاهرة فارجع لنا الاعلام البرتقالية التي وردت في مقالة جمهورية البرتقال في الجزء السادس من هذه السنة الى اصلها فقال

١— ذكرت الكراف تعريبا بقولهم Algarve واسمه الغرب عند العرب وهو لايزال من بقاياهم علما عَلَى مقاطعة كبيرة في جنوب البرتقال وغربها .

٢— ذكرت سانتارم وصحة اسمها عند العرب « شنترين » Santarem

٣— ذكرت لاس نافادي تولوزا وصحة اسمها عند العرب : وقعة العقاب . وكانت بقرب مدينة طلوسه Tolosa

٤— ذكرت بارا كانس وصوابها عند العرب : « ابراقصة »

٥— استعملت لفظة الكاداستر بلفظها الافرنكي ومقابلها عند العرب في مصر والمغرب الاقصى والاندلس هو كلمة : « الروك » ونحن كنا نقول في مصر الى عهد قريب « التاريع » . والآن نقول المساحة

المقتبس

رسالة ابن القارح

الى ابي العلاء المعري

(الى القاريء مخطوطاً من اندر المخطوطات ظفرنا به في خزانة كتب استاذنا الشيخ طاهر الجزائري كتبه ابو حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بالقارح الى ابي العلاء المعري فاجاب عنها هذا في رسالة خاصة سماها رسالة الغفران طبعت بمصر سنة ١٣٢١ — ١٩٠٣ في مطبعة هندية . اما ابن القارح وكان يلقب بدوخلة فكان شيخاً من اهل الادب راوية للاخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قوُوماً بالنحو وكان ممن خدم ابا علي الفارسي في داره وهو صبي ثم لازمه وقرأ عليه وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر . قال ابن عبدالرحيم وشعره يجري مجرى شعر المعلمين قليل الحلاوة خال من الطلاوة وكان آخر عهدي به بتكريت في سنة احدى وعشرين واربعمائة فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا واقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل فبلغني وفاته من بعد وكان يذكر ان مولده بحلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة . قال يافوت وعلي بن منصور هذا يعرف بابن القارح وهو الذي كتب الى ابي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح فاجابه ابو العلاء برسالة الغفران وذكر اسمه فيها)

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاحاً باسمه واستنجاحاً ببركته، والحمد لله المبتدي بالنعم المنفرد بالقدم الذي جل عن شبه المخلوقين وصفات المحدثين ولي الحسنات المبرأ من السيئات العادل في افعاله الصادق في اقواله خالق الخلق ومبديه ومبقيه ماشاء ومفنيه وصلواته على محمد وابرار

عترته واهلي، صلوة ترضيه وتقربه وتدنيه وتزلفه وتحظيه كتابي اطال الله بقاء مولاي الشيخ الجليل ومد مدة، وادام كفايته وسعادة، وجعلني فداءه وقدمني قبله على الصحة والحقيقة وبعد القصد والعقيدة وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة ولا على تنقص وخلابة وتحبب ومسامحة ولا كما قال بعضهم وقد عاد صديقاً له كيف تجدك جعلني الله فداك وهو يقصد تحبباً ويريد تملقاً ويظن انه قد أسدى جميلا يشكره صاحبه ان نهض واستقل ويكافئه عليه ان افاق وابل عن سلامة تمامها بحضور حضرته وعافية نظامها بالتشرف بشريف عزته وميمون نقيبته وطلعة، ويعلم الله الكريم تقدست اسماؤه اني لو حننت اليه ادام الله تأييده حنين الواله الى بكرها وذات الفرخ الى وكرها او الحمامة الى إلفها او الغزالة الى خشفها لكان ذلك مما تغيره الليالي والايام والعصور والاعوام لكنه حنين الظمآن الى الماء والخائف الى الامن والسليم الى السلامة والغريق الى النجاة والقلق الى السكون بل حنين نفسه النفيسة الى الحمد والمجد فاني رأيت نزاعها اليهما نزاع الاستقسات الى عناصرها والاركان الى جواهرها فان وهب الله لي ملاً من العمر يؤنسني برؤيته ويعلقني بحبل مودته مرت كساري الليل التي عصاه واحمد مسراه وقر عيناً ونعم بالا وكان كمن لم يمسسه سوء ولم يتخوفه عدو ولا نهكه رواح ولا غدو وعسى الله ان يمن بذلك بيومه او بثانيه، وبه الثقة وانا اسأل الله علي التداني والنوى والبعاد امتاعه بالفضل الذي استعلى على عاتقه وغاربه واستولى على مشارقه ومغاربه فمن مر علي بحره الهياج ونظر في لألاء بدره الوهاج خليق بان يكبو قلمه بانامله ويتبو طبعه عن رسائله الا ان يلقى اليه بالمقاليد او يستهويه اقليداً من الاقاليد فيكون منسوباً اليه ومحسوباً عليه ونازلا في شعبه واحد اصحابه وحزبه وشرارة تياره وقراضة ديناره وسمك بحره وثمد غمره وهيهات ضاق قتر عن مسير ليس التكحل في العينين كالكحل خلقوا اسخياء لا متساخين وليس السخي من يتساخى لاسيما واخلاق النفس تلزمها لزوم الالوان للابدان لا يقدر الابيض علي السواد ولا الاسود على البياض ولا الشجاع على الجبن ولا الجبان على الشجاعة قال ابو بكر العزرمي :

يفر جبان القوم عن أم رأسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه
ويرزق معروف الجواد عدوه ويحرم معروف البخيل اقاربه
ومن لا يكف الجهل عمن يوده فسوف يكف الجهل عمن يواثبه

ومن اين للضباب صوب السحاب وللغراب هدى العقاب وكيف وقد اصبح ذكره

في مواسم الذكر آخانا وعلى معالم الشكر اسانا فمن دافع العيان وكابر الأنس والجان واستبد بالافك والبهتان كان كمن صالب بوقاحة الحجر وحاسن بقباحته القمر وهذى وهذر وتعاطى فعقر وكان كمحموم بلسم فعفر ونادى عَلَيّ نفسه بالنقص في البدو والحضر وكان كما قال من يعنيه ولا يشك فيه

كناطح صخرة يوماً ليفلقها   فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

وروي ان رسول الله صلى الله عليه وزاده شرفاً لديه قال لعن الله ذا الوجهين لعن الله ذا اللسانين لعن الله كل شقار لعن الله كل قتات . وردت حلب ظاهرها حماها الله تعالى وحرسها بعد ان منيت بربضها بالمدرخنين وام حبوكري والفتكرين بل رميت بآبدة الآباد والداهية النآد فلما دخلتها وبعد لم تستقر بي الدار وقد تنكرتها لفقدان معرفة وجار وانشدتها باكيا :

لئن زرت ارضاً بعد طول اجتنابها   فقدت حبيباً والبلاد كما هيا

كان ابو القطران المرار بن سعيد الفقعسي يهوى لبنة عمه بنجد واسمها وحشية فاشتراها رجل شامي الى بلده فنمه بعدها وساءه فراقها فقال من قصيدة :

اذا تركت وحشية النجد لم يكن   لعينيك مما تبكيان طبيب
رأى نظرة منها فلم يملك البكا   معاون يربو تحتهن كثيب
وكانت رياح الشام تكره مرة   فقد جعلت تلك الرياح تطيب

فحصلت من الرياح عَلَى الرياح كما حصل لابي القطران من وحشية ثم وثم وثم وثم أجوي ذكره ادام الله تأييده من غير سبب جره وغير مقتض اقتضاه فقال الشيخ بالنحو اعلم من سيبويه وباللغة والعروض من الخليل فقلت والمجالس بأزز بلغني انه ادام الله تأييده يصغر كبيره ويترر صغيره فيصير تصغيره تكبيرا وتحقيره تكثيرا وهكذا شاهدت من شاهدت من العلماء رحمهم الله اجمعين وجمله وارث اطول اعمارهم وامدها وانضرها وارغدها وما ثم له حاجة دعت الى هذا قد تفتح النور وتوضح النور والضاء الصبح لذي عينين كان ابو الفرج الزهرجي كاتب حضرة نصر الدولة ادام الله حراسته كتب رسالة الي اعطانيها ورسالة اليه ادام الله تأييده استودعنيها وسألني ايصالها الى جليل حضرته واكون نائبها لاباعثها ومعجلها لامؤجلها فسرق عدبلي رحلاً لي الرسالة فيه فكتبت هذه الرسالة اشكو اموري وابث شقوري واطلعه طلع عجري وبجري وما لقيت في سفري من اقوام يدعون العلم والادب والادب ادب النفس لا أدب الدرس وهم

اصغار منهما جميعًا ولهم تصحيفات كنت اذا رددتها عليهم نسبوا التصحيف الي وصاروا إلبا علي لقيت ابا الفرج الزهرجي بآمد ومعه خزانة كتب، فعرضها علي فقلت كتبك هذه يهودية قد برئت من الشريعة الحنيفية فاظهر من ذلك اعظامًا وانكارا فقلت له انت عَلَى المجرب ومثلي لايهرف بما لايعرف وابلغ تيقن فقرأ هو وولده وقال صغر الخبر الخبر وكتب الي رسالة يقرظني فيها بطبع له كريم وخلق غير ذميم قال المتنبي : اذم الى هـذا الزمان اهيله صغرهم تصغير تحقير غير تكبير وتقليل غير تكثير فنفث مصـدوراً واظهر ضميراً مستورا وهو سائغ في مجـاز الشعر وقائله غير ممنوع من النظم والنثر ولكنه وضعه غير موضعه وخاطب به غير مستحقه ومايستحق زمان ساعده بلقاء سيف الدولة ان يطلق عَلَى اهله الذم وكيف وهو القائل يخاطبه

اسير الى اقطاعه في ثيابه عَلَى طرفه من داره بحسامه

وقد كان من حقه ان يجعلهم في خفارته اذ كانوا منسوبين اليه ومحسوبين عليه ولايجب ان يشـكو عاقلاً ناطقًا الى غير عاقل ولا ناطق اذ لزمان حركات الفلك الا ان يكون ممن يعتقد ان الافلاك تعقل وتعلم وتفهم وتدري بمواقع افعالها بقصود وارادات ويحمله هذا الاعتقاد عَلَى ان يقرب لها القرابين و يدخن الدخن فيكون مناقضاً لقوله

فتبًا لدين عبيد النجو م ومن يدعي انها تعقل

او يكون كما قال الله تعالى في كتابه الكريم « مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء و يوشك ان تكون هذه صفته »

حكى القطربلي وابن ابي الازهر في تاريخ اجتمعا على تصنيفه واهل بغداد واهل مصر يزعمون انه لم يصنف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمه يحكيان فيه ان المتنبي اخرج ببغداد من الحبس الى مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير رحمه الله فقال له : انت احمد المتنبي فقال انا احمد المتنبي وكشف عن بطنه فاراه سلعة فيه وقالـــ هذا طابع نبوتي وعلامة رسالتي فامر بقلع جمشكه وصفعه به خمسين واعاده الى محبسه و يقول لسيف الدولة

وتغضبون عَلَى من نال رفدكم حتى يعاقبه التنغيص والمنن

كذب والله لقد كان يتحرش بالمكارم و يتحكك بها و يحسد عليها ان تكون الا منه و به وهذا غير قادح في طلاوة شعره ورونق ديباجته ولكني اغتاظ عَلَى الزنادقة والملحدين الذين يتلاعبون بالدين و يرومون ادخال الشبه والشكوك عَلَى المسلمين و يستعذبون

القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم اجمعين و يتطرفون و يتحذئون إعجابًا بذلك المذهب تيه مغن وظرف زنديق ٠ وقتل المهدي بشاراً عَلَى الزندقة ولما شهر بها وخاف دافع عن نفسه بقوله

يا ابن نهيا رأسي علي ثقيل ... واحتمال الرأسين عب ثقيل
فادع غيري الى عبادة ربيـ ... ـن فاني بواحد مشغول

واحضر صالح بن القدوس واحضر النطع والسياف فقال علام تقتلني قال عَلَى قولك

رب سر كتمته فكأني ... اخرس او ثنى لسان عقل
ولو اني اظهرت للناس ديني ... لم يكن لي في غير حبسي أكل

ياعدي الله وعدي نفسه

الستر دون الفاحشات ولا ... يلقاك دون الخير من ستر

فقال قد كنت زنديقاً وقد تبت عن الزندقة قال كيف وانت القائل

والشيخ لا يترك عاداته ... حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى غيه ... كذي الضنى عاد الى نكسه

واخذ غفلته السياف فاذا رأسه يتدهدأ عَلَى النطع٠ وظهر في ايامه في بلد خلف بخارا وراء النهر رجل قصار اعور عمل له وجهاً من ذهب وخوطب برب العزة وعمل لهم قمراً فوق جبل ارتفاعه فراسخ فانفذ المهدي اليه فأحيط به و بقلعته فحرق كل شيء فيها وجمع كل من في البلد وسقاهم شرابًا مسمومًا فماتوا باجمعهم وشرب فلحق بهم وعجل الله بروحه الى النار ٠ والصناديقي في اليمن فكانت جيوشه بالمديخرة وسفهنه وخوطب بالربوبية وكوتب بها فكانت له دار أفاضة يجمع اليها نساء البلدة كلها و يدخل الرجال عليهن ليلا قال من يوثق بخبره دخلت اليها لانظر فسمعت امرأة تقول يابني فقال : ياأمه نريد ان نمضي امر ولي الله فينا وكان يقول : اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ولا ولد من ولد فتكونون كنفس واحدة فغزاه الحسني من صنعاء فهزمه وتحصن منه في حصن هناك فانفذ اليه الحسني طبيباً بمبضع مسموم ففصده به فقتله ٠ والوليد بن يزيد اقام في الملك سنة وشهرين واياما وهو القائل

اذا مت يا ام الحنيكل فانكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فان الذي حدثته من لقائنا ... احاديث طسم تترك العقل واهيا

ورمى المصحف بالنشاب وخرقه وقال

إذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب خرقني الوليد

وانفذ الى مكة بناء مجوسياً ليبني له عَلَى الكعبة مشربة فمات قبل تمام ذلك فكان الحجاج يقولون : لبيك اللهم لبيك لبيك ياقاتل الوليد بن يزيد لبيك واحضر بناجية من ذهب وفيها جوهرة جليلة القدر صورة رجل فسجد له وقبله وقال اسجد له ياعلج قلت ومن هذا قال هذا ماني شأنه كان عظيماً اضمحل امره لطول المدة فقلت لايجوز السجود الا لله فقال قم عنا وكان يشرب عَلَى سطح وبين يديه باطية كبيرة بلور وفيها اقداح فقال لندمائه اين القمر الليلة فقال بعضهم : في الباطية فقال : صدقت اتيت علي مافي نفسي والله لاشربن المفعجة يعني شرب سبعة اسابيع متتابعة وكان بموضع حول دمشق يقال له البجرا فقال

تلعب بالنبوة هاشمي بلا وحي اتاه ولا كتاب

فقتل بها ورأيت رأسه في الباطية التي اراد ان يصطبح بها وابو عيسى بن الرشيد القائل

دهاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهراً بعده آخر الدهر

ولو كان يعديني الامام بقدرة عَلَى الشهر لاستعديت دهري عَلَى الشهر

عرض له في وقته صرع فمات ولم يدرك شهراً غيره والحمد لله . والجنابي قتل بمكة الوفا واخذ ستة وعشرين الف جمل خفا وضرب آلاتهم واثقالهم بالنار واستملك من النساء والغلمان والصبيان من ضاق بهم الفضاء كثرة ووفوراً واخذ حجر الملتزم وظن انها مغناطيس القلوب واخذ الميزاب قال : وسمعت قائلاً يقول لغلام وحسيان طوال يزفل في برديه وهو فوق الكعبة يارحمة اقلعه واسرع يعني ميزاب الكعبة فعلمت ان اصحاب الحديث صحفوه فقالوا يقلعه غلام اسمه رحمة كما صحفوا عَلَى علي رضي الله قوله تهلك البصرة بالريح فهلكت بالزنج لانه قتل علوي البصرة في موضع بها يقال له العقيق اربعة وعشرين الفا عدوهم بالقصب وحرق جامعها وقال في خطبته يخاطب الزنج انكم قد اعنتم بقبح منظر فاشفعوه بقبح مخبر اجعلوا كل عامر قفرا وكل بيت قبرا . قال لي بدمشق ابو الحسين اليزيدي الوزير بن على نسب جدي دخل واياه ادعى قال . ابو عبد الله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي : كنت بمكة وسيف الجنابي قد اخذ الحاج ورأيت رجلا منهم قد قتل جماعة وهو يقول يا كلاب اليس قال لكم محمد المكي ومن دخله كان آمنا اي أمن هنا فقلت له يافتى العرب تؤمنني سيفك افسر لك هذا قال : نعم قلت : فيها خمسة

اجوبة الاول ومن دخله كان آمنًا من عذابي يوم القيمة والثاني من فرض الذي فرضت عليه والثالث خرج مخرج الخبر وهو يريد الامر كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن والرابع لايقام عليه الحدفية اذا جنى في الحل والخامس منّ الله عليهم بقوله انا جعلنا حرما آمنًا و يتخطف الناس من حولهم فقال صدقت هذه اللحية الي توبة؟ فقلت : نعم فخلاني وذهب

والحسين بن منصور الحلاج من نيسابور وقيل من مرو يدعي كل علم وكان متهوراً جسوراً يروم اقلاب الدول و يدعي فيه اصحابه الالهية و يقول بالحلول و يظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة وفي تضاعيف ذلك يدعي ان الالهية قد حلت فيه وناظره علي بن عيسى الوزير فوجده صفراً من العلوم وقال تعلمك لطهورك وفرضك اجدى عليك من رسائل انت لاتدري ماتقول فيها كم تكتب الى الناس تبارك ذوالنور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعشعته ما احوجك الى ادب حدثني ابو علي الفارسي قال رأيت الحلاج واقفاً عَلَى حلقة ابي بكر الشبلي انت بالله ستفسد خشبة فنفض كمه في وجهه وانشد

يا سر سر يدق حتى ... يجل عن وصف كل حي
وظاهراً باطنا تبدى ... من كل شيء لكل شي
ياجملة الكل لست غيري ... فما اعتذاري اذاً الي

وهو يعتقد ان العارف بن الله بمنزلة شعاع الشمس منها بدا واليها يعود ومنها يستمد ضوءه انشدني الظاهر لنفسه

ارى جيل التصوف شر جيل ... فقل لهم واهون بالحلول
اقال الله حين عشقتموه ... كلوا اكل البهائم وارقصوا لي

وحرك يوماً يده فانتثر عَلَى قول مسك وحرك مرة اخرى فانتثر دراهم فقال له بعض من حضر ممن يفهم أرني دراهم معروفة أؤمن بك وخلق معي ان اعطيتني درهماً عليه اسمك واسم ابيك فقال وكيف هذا وهذا لا يصنع قال من احضر ماليس بحاضر صنع ماليس بمصنوع وكان في كتبه اني مغرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود فلما شاع امره وعرف السلطان خبره عَلَى صحة وقع بضربه الف سوط وقطع يديه ثم احرق بالنار في آخر سنة تسع وثلثمائة وقال لحامد بن العباس : انا اهلكك فقال حامد : الآن صح انك تدعي ما قرفت به . وابن ابي العذافر ابو جعفر محمد بن علي الشلمغاني اهله من قرية من قرى

واسط تعرف بشلمغان وصورته صورة الحلاج ويدعي عنه قوم انه آله وان الله حل في آدم ثم في شيث ثم في واحد واحد من الانبياء والاوصياء والأئمة حتى حل في الحسن بن علي العسكري وانه حل فيه، وكان قد استغوى جماعة منهم ابن ابي عون صاحب كتاب التشبيه ومعه ضربت عنقه وكانوا يبيحونه حرمهم واولادهم يتحكم فيهم وكان يتعاطى الكيمياء وله كتب معروفة

وكان احمد بن يحيي الراوندي من اهل مرو الروز حسن الستر جميل المذهب ثم انسلخ من ذلك كله باسباب عرضت له ولان علمه كان اكثر من عقله وكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مرداً عندصبوته ومن يقوم لمستور اذا خلعا

صنف كتاب التاج يحتج فيه لقدم العالم فنقضه ابو الحسين الخياط

الزمرذ يحتج فيه لابطال الرسالة نقضه الخياط .

نعت الحكمة سفه الله تعالى في تكليف خلقه امره . نقضه الخياط .

الدامغ يطعن فيه على نظم القرآن

القضيب يثبت ان علم الله محدث وانه كان غير عالم حتى خلق لنفسه علماً نقضه الخياط

الفريد في الطعن عَلَى النبي عليه الصلوة والسلام

المرجان في اختلاف اهل الاسلام

علي بن العباس بن جريج الرومي قال ابو عثمان الناجم دخلت عليه في علته التي مات فيها وعند رأسه جام فيه ماء مثلوج وخنجر مجرد لو ضرب به صدر خرج من ظهره فقلت : ماهذا قال : الماء أبل به حلقي فقلما يموت انسان الا وهو عطشان والخنجر ان زاد عليَّ الالم نحرت نفسي ثم قال : اقص عليك قصتي تستدل بها عَلَى حقيقة تلني اردت الانتقال من الكرخ الى باب البصرة فشاورت صديقنا ابا الفضل وهو مشتق من الافضال فقال اذا جئت القنطرة فخذ عَلَي يمينك وهو مشتق من اليمن واذهب الى سكة النعيمة وهو مشتق من النعيم فاسكن دار ابن المعافي وهو مشتق من العافية فخالفته لتعسي ونحسي فشاورت صديقنا جعفراً وهو مشتق من الجوع والفرار فقال : اذا جئت القنطرة فخذ عَلَى شمالك وهو مشتق من الشوم واسكن دار ابن قلابة وهي هذه لاجرم قد انقلبت بي الدنيا واضر ما علي العصافير في هذه السدرة تصيح سيق سيق فها انا في السياق ثم انشدني

ابا عثمان انت قريع قومك وجودك للعشيرة دون لومك

تمتع من اخيك فما اراه   يراك ولا تراه بعد يومك

والح به البول فقلت له البول ملح بك فقال

غداً ينقطع البول   ويأتي الوبل والعول

الا ان لقاء الله   هول دونه الهول

ومات من الغد فارجو ان يكون هذا القول توبة له مما كان اعتقده من ذبحه نفسه والرسول عليه الصلوة والسلام يقول من وجأ نفسه بحديدة حشر يوم القيامة وحديدته بيده يجأبها نفسه خالداً مخلداً في النار من تردى من شاهق حشر يوم القيامة يتردى عَلَى منخريه في النار خالداً مخلداً من تحسي سماً حشر يوم القيامة وسمه بيده يتحساه خالداً مخلداً [1] في النار

قال الحسن بن رجاء الكاتب جاءني ابو تمام الى خراسان فبلغني انه لا يصلي فوكلت به من لازمه اياماً فلم يره صلى يوماً واحداً فعاتبته فقال : يامولاي قطعت الى حضرتك من بغداد فاحتملت المشقة وبعد الشقة ولم اره يثقل علي فلو كنت اعلم ان الصلاة تنفعني وتركها يضرني ماتركتها فاردت قتله فخشيت ان يحمل عَلَى غير هذا

وفي تآريخ كثيرة انه احضر المازيار الى المعتصم وقبل قدمه بيوم سخط على الافشين لان القاضي بن ابي دواد قال للمعتصم : اعزل ويطأ امرأة عربية وهو كاتب المازيار وزين له العصيان فاحضر كاتبه وتهدده المعتصم فأقر انه كتب الى المازيار لم يكن في الارض ولا في العصر بلية الا انا وانت وبابك وقد كنت حريصاً عَلَى حقن دمه حتى كان من امره ما كان ولم يبق غيري وغيرك وقد توجه اليك عسكر من عساكر القوم فان هزمته وثبت انا بملكهم في قرار داره فظهر الدين الابيض فاجابه المازيار بجواب هو عنده فسفط احمر فجمع بين الافشين والمازيار فاعترف المازيار بما حكي عنه وقيل للمعتصم ان وراء المازيار مالا جليلا فانشد

ان الاسود اسود الغاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ذكروا ان اثنين قتلوا ثلاثة آلاف الف وخمسمائة ذباح بالثياب الحمر والخناجر الطوال وانهم وجدوا اسماءهم في وقعة وقعة وفي بلد بلد وكانوا يأخذون من كل واحد علامة خاتمه او ثوبه او منديله او تكته اتى الوادي فطم على القري

قد لقيت من يجادلني ان عليا رضي الله عنه وكذلك الحاكم [2] وقد ظهر بالبصرة من

(١) وقوع لفظ الخلود في هذه الاحاديث للتهديد (٢) كذا في الاصل

يدعي ان جعفر بن محمد عليهما السلام وانه متصل به وروحه فيه ومتصلة به ولو استقصيت القول في هذا الفن لطال جداً ولكن

لابد للمصدور ان ينفثا ... وللذي في الصدر ان يعثا

بل لو قلت كل ما اعلمه اكلت زادي في محبسي بل كنت انشد

احمل راساً قد مللت حمله ... الا فتى يحمل عني ثقله

واستريح الى ان انشد

ليس يشفي كلوم غيري كلومي ... ما به ما به وما بي ما بي

ان شكوت العصر واحكامه وذممت صروفه واياه شكوت من لا يشكي ابداً وذممت من لا يرضي احداً شيمته اصطفاء اللئام والتحامل على الكرام وهمته رفع الخامل الوضيع ووضع الفاضل الرفيع اذا سمح بالحياء فأبشر بوشك الاقتضاء واذا اعار فأحسبه قد اغار فما بين ان يقبل عليك مستبشراً و يولي عنك متجهماً مستبشراً الا كلمح البصر واستطارة الشرر لم يخترق ذكر الوفاء مسامعه ولم يمس ماء الحياء مدامعه ظاهره يسر و يونس وباطنه يسوء و يوئس يخيب ظن راجيه و يكذب امل عافيه لا يسمع الشكوى ويشمت بالبلوى قد ذممت سيئاً ووقعت فيه انا كالغريق يطلب معلقاً والاسير يندب مطلقاً واستحسن قول علي بن العباس ابن جريج الرومي

الا ليس شيبك بالمنتزع ... فهل انت عن غية مرتدع

وهل انت تارك شكوى الزما ... ن اذا شئت تشكو الى مستمع

فشيب اخي الشيب أمنية ... اذا ماتناهى اليها هلع

كنت في حال الحداثة اقرب الناس اليّ واعزهم عليّ واقربهم عندي واجلهم في نفسي مرتبة من قال لي نسأ الله في اجلك جعل الله لك امد الاعمار واطولها فلما بلغت عشر الثمانين جاء الجزع والهلع فمم ارتاع والتاع واخلد الي الاطماع وهو الذي كنت اتمنى و يتمنى لي اهلي امن صدوف الغواني عني فانا والله عنهن اصدف وبهن وادوائهن اعرف اذ لست ممن ينشد تحسراً عليهن

للسود في السود آثار تركن بها ... لمعاً من البيض تثني اعين البيض

وقو الآخر

ولما رأيت النسر عز ابن داية ... وعشش في وكريه جاشت له نفسي

ولا انشد لابي عبادة البحري

ان ايامه من البيض بيض ما رأين المفارق السود سودا
واذا المحل ثار ثاروا غيوثاً واذا النقع ثار ثاروا اسودا
بحسن الذكر عنهم والاحاديث اذا حدث الحديد الحديدا
بلدة تنبت المعالي فما يثغر الطفل فيهم او يسودا

وهذه صفة معرة النعمان به ادام الله تأييده لاخلت منه ومن النعمة عليه وعنده فقد وجدت اهلها معترفين بعوارفه خلا ابي العباس احمد بن خلف الممتع ادام الله عزه فأني وجدت آثار تفضله عليه ظاهرة ولسانه رطباً بشكره وذكره وقد ملأ السماء دعاء والارض ثناء . قالت قريش للنبي عليه الصلاة والسلام اتباعك من هؤلاء الموالي كبلال وعمار وصهيب خير من قصي بن كلاب وعبد مناف وهاشم وعبد شمس فقال نعم والله لئن كانوا قليلا ليكثرن ولئن كانوا وضعاء ليشرفن حتى يصيروا نجوماً يهتدى بهم و يقتدى فيقال هذا قول فلان وذكر فلان فلا تفاخروني بآبائكم الذين موتوا في الجاهلية فلما يدهده الجعل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها فاتبعوني اجعلكم انساباً والذي نفسي بيده لتقتسمن كنوز كسرى وقيصر فقال له عمه ابو طالب أبق علي وعلى نفسك فظن عليه الصلاة والسلام انه خاذله ومسلمه فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي عَلَى ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ماتركته ثم استعبر باكياً ثم قام فلما ولى ناداه اقبل ياابن اخي فاقبل فقال اذهب وقل ماشئت فوالله لااسلمك لسوء ابداً فكان عليه الصلاة والسلام يذكر يوماً مالقي من قومه من الجهد والشدة قال لقد مكثت اياماً وصاحبي هذا يشير الى ابي بكر بضع عشرة ليلة مالنا طعام الا البرير في شعب الجبال وكان عتبة بن غزوان يقول اذا ذكر البلاء والشدة التي كانوا عليها بمكة لقد مكثنا زماناً مالنا طعام الا ورق البشام اكلناه حتى تقرحت اشداقنا ولقد وجدت يوماً تمرة فجعلتها بيني و بين سعد وما منا اليوم احد الا وهو امير عَلَى كورة وكانوا يقولون فيمن وجد تمرة فقسمها بينه و بين صاحبه ان اسعد الرجلين من حصلت النواة في قسمه بلوكها يومه وليلته من عدم القوت وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رعيت غنيمات اهل مكة لهم بالقرار يطوا بتدا امره انه وقف عَلَى الصفا ونادى ياصباحاه فجاءوا يهرعون فقالوا : مادهمك ماطرقك قال : بما تعرفونني قالوا محمد الامين قال : أرأيتم ان قلت لكم ان خيلاً قد طرقتكم في الوادي وان عسكراً قد غشيكم

من الفج ا كنتم تصدقوني قالوا : اللهم نعم ماجربنا عليك كذباً قط . قال : فان الذي انتم عليه ليس لله ولا من الله ولا يرضاه الله قولوا لااله الا الله واشهدوا اني رسوله واتبعوني تطعكم العرب وتملكون العجم وان الله قال لي استخرجهم كما استخرجوك وابعث جيشاً ابعث خمسة امثاله وضمن لي انه ينصرني بقوم منكم وقال لي : قاتل بمن اطاعك من عصاك وضمن لي انه يغلب سلطاني سلطان كسرى وقيصر ثم انه عليه الصلاة والسلام غزا تبوك في ثلاثين الفاً وهذا من قبل الله الذي يجعل من لاشيء كل شيء ويجعل كل شيء لاشيء يجمد المائعات ويميع الجامدات يجمد البحر ثم يفجر الصخر وما مثله في ذلك الا كمثل من قال هذه الزجاجة الرقيقة السخيفة احك بها هذه الجبال الصلدة الصلبة المنيفة فترضها وتفضها وهذه النملة الضعيفة اللطيفة تهزم العساكر الكثيرة المعدة وكذا حقيقة امره عليه الصلاة والسلام حتى لقد قال عروة بن مسعود الثقفي لقريش وكان رسولهم اليه صلى الله عليه وسلم بالحديبية لقد وردت عَلَى النجاشي وكسرى وقيصر ورأيت جندهم واتباعهم فما رأيت اطوع ولا اوقر ولا اهيب من اصحاب محمد لمحمد هم حوله وكأن الطير عَلَى رؤوسهم فان اشار بأمر بادروا اليه وان توضأ اقتسموا وضوءه وان تنخم دلكوا بالنخامة وجوههم ولحاهم وجلودهم وكانوا له بعد موته اطوع منهم في حياته حتى لقد قال بعض اصحابه لاتسبوا اصحاب محمد فانهم اسلموا من خوف الله واسلم الناس من خوف اسيافهم فتأمل كيف استنتج دعوته وهو ضعيف وحده بان هذا سيكون فرآه العدو والولي وما كان مثله في ذلك الا مثل من قال هذه الهباءة تعظم وتصير جبلاً يغطي الارض كلها ثم انذر الناس بها في حال ضعفها وجاء صلى الله عليه وسلم يوماً ليدخل الكعبة فدفعه عثمان بن طلحة العبدري فقال : لاتفعل ياعثمان فكأنك بمفتاحها بيدي اضعه حيث شئت فقال : لقد ذلت يومئذ قريش وقلت قال : بل كثرت وعزت وانا استعين بعصمة الله وتوفيقه واجعلهما معينني عَلَى دفع شهواتي واشكو اليه عكوفي عَلَى الاماني واسأله فهماً لمواعظ عبر الدنيا فقد عميت عن كلوم غيرها بما جشم عَلى خواطري من الشعف ولست اجد مني منصفاً لي منها ولاحاجزاً لرغبتي فيها عنها واين ودائع العقول وخزائن الافهام ياأولي الابصار صفحنا عن مساويء الدنيا اغماضاً لعاجل موفق التنغيص وترمي اليه يد الزوال وتكمن له الآفات قال كثير

كأني انادي صخرة حين اعرضت من الصم لوتمشي بها العصم زلت

واقول عَلَى مذهب كثير يادنيا في كل لحظة لطرفي منك عبرة وفي كل فكرة لي منك

حسرة يا مرنقة الصفا و يا ناقضة عهد الوفا ماوفق لحظة من عرج نحوك ولا سعد من اثر المقام عَلَى حسن الظن بك هيهات يامعشر ابناء الدنيا لكم في الظاهر اسم الغني وفي الباطن اهل التقلل لم نفس هذا المعنى كم من يوم لي اغر كثير الاهلة قد اصحت سماؤه وامتد عليَّ ظله تمدفي ساعاته بالمنى و يضحك لي عن كل ماهوى حتى اذا اتصل بكل اسبابي وامتزج سروره بفرحي وروحي واترابي نفست علي به الدنيا فسعت بالتشتيت الى أُلفته والنقص الى مدته فكسفت بهجته كسوفاً وارهقت نضرة وحشته الفراق وقطعتنا فرقاً في الآفاق بعد ان كنا كالاعضاء المؤتلفة والاغصان اللدنة المتعطفة واحسرتي في يوم يجمع شرتي كفن ولحد

ضيعت ما لابد منه بالذي لي منه بد

وانشد قول ابن الرومي

الا ليس شيبك بالمنتزع فهل انت عن غيه مرتدع

فاقلق وابكي بكاء غير نافع ولاناجع و يجب ان ابكي عَلَى بكائي وانشد

لساني يقول ولا افعل وقلبي يريد ولا اعمل
واعرف رشدي ولااهتدي واعلم لكنني اجهل

عرض عليَّ بعض الناس كأس خمر فامتنعت منها وقلت خلوني والمطبوخ عَلَى مذهب الشيخ الاوزاعي وقلت لم عرض ابراهيم بن المهدي عَلَى محمد بن خازم الخمرة فامتنع وانشد

ابعد شيبي اصبو والشيب للجهل حرب
سن وشيب وجهل امر لعمرك صعب
يا ابن امام فألا أيام عودي رطب
واذ مشيبي قليل ومنهل الحب عذب
واذا شفاء الغواني مني حديث وقرب
فالآن لما رأى بي العذال ماقد احبوا
وآنس الرشد مني قوم اعاب واصبو
آليت اشرب خمراً ماحج لله ركب

واقبلت عَلَى نفسي مخاطباً ولها معاتباً والخطاب لغيرها والمعنى لها لقد امهلكم حتى كأنه اهملكم اما تستحيون من طول مالا تستحيون فكن كالوليد تقلبه يد اللطف به عَلَى فراش العطف عليه تصرف اليه المنافع بغير طلب منه لصغره وتصرف عنه المضار بغير حذر منه لعجزه اما سمعت

الرسول عليه الصلاة والسلام اذ يقول في دعائه اللهم اكلأني كلأة الوليد الذي لا يدري مايراد به ولا مايريد الا متعلق والاذلال اذيال دليله الا منعد مطية ورحلا ليوم رحيله ياهلاه الدلجة الدلجة انه من يسبق الى الماء يظمأ انما منعتك ماتشتهي ضناً بك وغيرة عليك قال الرسول عليه الصلاة والسلام : اذا احب الله عبداً حماه الدنيا وانت تشكوني اذا حميتك وتكره صيانتي اذا صنتك الا لائذ بفنائنا ليعز الا فار الينا لافار منا يامن له بد من كل شيء ارحم من لابد له منك عَلَى كل حال الله يغني بشيء عن شيء وليس يغني عنه بشيء فلهذا قال جبريل للخليل الك حاجة قال : اما اليك فلا الله يستحق ان يسأل وان اغنى لانه لايغنى بشيء عنه اطعه لتطيعه ولا تطعه ليعطيك فتفتر وتمل . من ترك تدبيره لتدبيرنا ارحناه جل من لوالب القلوب والهمم بيده وعزائم الاحكام والاقسام عنده

انسيت ذكر احبة ينسون ذنبك عند ذكرك
وجفوتهم ولطالما كانوا خلافك طوع امرك
وصبرت عند فراقهم ماكان عذرك عند صبرك

تترك من اذا جفوته ونسيت ذكره وتعديت حده وتركت نهيه وضيعت امره وتبت اليه وعولت في تفضله عليك عليه وقلت : يارب قال : لك لبيك « واذا سألك عبادي عني فاني قريب» ان كان الذباب بوجهك فاتهمك وان قطعت انا اعضاءك فلا تتهمني انت الذي اذا اعطيتك ما املت تركتني وانصرفت « واذ انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه » ياواقفاً بالتيهم كم كم اليس يقول لك ماغرك بي نقول حلمك والا لو ارسلت عليَّ بقة لجمعتني عليك اذ اردت ان تجمعني

امن بعد شربك كأس النهى وشمك ريحان اهل التقى
عشقت فاصبحت في العاشقين اشهر من فرس ابلقا
ادنياي من غمر بحر الهوى خذي بيدي قبل ان اغرقا
انا لك عبد فكوني كمن اذا سره عبده اعتقا

كان ببغداد رجل كبير الرأس فيلي الاذنين اسمه فاذوه رأسه في الازمنة الاربعة مكشوف لايتورع عن ركوب مخزية يقال له يافاذوه ويلك تب الى الله فيقول ياقوم لم تدخلون بيني وبين مولاي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فكان في بعض الشوارع يوماً ذاهباً والشارع قد اتسع اسفله وضاق اعلاه والتقت جناحان فيه فناولت جارة

جارتها مهراساً انسل من يدها عَلَى رأس فاذوه فهرس رأسه وخلط كخلط الهريسة واعجله عن التوبة وكان لنا واعظ صالح يقول لنا احذروا ميتة فاذوه .

قال جبريل في حديثه خشيت ان يتم فرعون الشهادة والتوبة فاخذت قطعة من حال البحر فضربت بها وجهه يعني طينه والحال ينقسم ثمانية اقسام منها الطين فكيف يصنع من عنده ان التوبة لاتصح من ذنب مع الاقامة عَلَى آخر فلا حول ولا قوة بلغني عن مولاي الشيخ ادام الله تأييده انه قال وقد ذكرت له اعرفه جزأ هو الذي هجا ابا القاسم علي ابن الحسين المغربي فذلك منه ادام الله عزه رائع لي خوفاً ان يستشر طبعي وان يتصورني بصورة من يضع الكفر موضع الشكر وهو بتعريف التنكير انفع لي عنده لجلالة قدره ودينه ونسكه وانا اطلعه طلعه ليعرف خفضه ورفعه وفراداه وجمعه

كنت ادرس علي ابي عبدالله بن خالويه رحمه الله واختلف الى دار ابي الحسين المغربي ولما مات ابن خالويه سافرت الى بغداد ونزلت عَلَى ابي علي الفارسي وكنت اختلف الى علماء بغداد الى ابي سعيد السيرافي وعلي بن عيسي الرماني وابي عبيدالله المرزباني وابي حفص الكتاني صاحب ابي بكر بن مجاهد وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و بلغت نفسي اغراضها جهدي والجهد عاذر ثم سافرت منها الي مصر ولقيت ابا الحسن المغربي فالزمني ان لزمته لزوم الظل وكنت منه مكان المثل في كثرة الانصاف والحنو والتجاف فقال لي سراً انا اخاف همة ابي القاسم ان تنزو به الى ان يوردنا ورداً لاصدر عنه وان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعني بها فقال لي يوماً مانرضي بالخمول الذي نحن فيه قلت واي خمول هنا تأخذون من مولانا خلد الله ملكه في كل سنة ستة آلاف دينار وابوك من شيوخ الدولة وهو معظم مكرم فقال : اريد ان تصار الى ابوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ولا ارضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان فأعدت ذلك علي ابيه فقال : ماخوفني ان يخضب ابوالقاسم هذه من هذه وقبض عَلَى لحيته وهامته وعلم ابو القاسم بذلك فصارت بيني وبينه وقفة

وانفذ الي القائد ابوعبدالله الحسين بن جوهر فشرفني بشريف خدمته فرأيت الحاكم كلما قتل رئيساً انفذ رأسه اليه وقال : هذا عدوي وعدوك ياحسين فقلت من ير يوماً ير به والدهر لا يغتر به وعلمت انه كذا يفعل به فاستأذنته في الحج فاذن فخرجت في سنة سبع وتسعين وحججت خمسة اعوام وعدت الى مصر وقد قتله فجاءني اولاده

سراً يرومون الرجوع اليهم فقلت لهم خير مالي ولكم الهرب ولايكم ببغداد ودائع خمسمائة الف دينار فاهربوا واهرب ففعلوا وفعلت و بلغني قتلهم بدمشق وانا بطرابلس فدخلت الى انطاكية وخرجت منها الى ملطية وبها الماسطرية خولة بنت سعد الدولة فاقمت عندها الى ان ورد علي كتاب ابي القسم فسرت الى ميافارقين فكان يسر حسواً في ارتغاء قال لي يوماً من الايام : مارأيتك قلت : أعرضت حاجة ؟ قال : لا اردت ان العنك قلت فالعني غائباً قال : لا في وجهك اشفى قلت : ولم قال : لمخالفتك اياي فيما تعلم . وقلت له ونحن على انس بيني و بينه لي حرمات ثلاث البلدية وتربية ابيه لي وتربيتي لاخوته قال هذه حرم مهتكة البلدية نسب بين الجدران وتربية ابي لك منة لنا عليك وتربيتي لاخوتي بالخلع والدنانير اردت ان اقول له : استرحت من حيث تعب الكرام فخشيت جنون جنونه لانه كان جنونه مجنونا واصح منه مجنون واجن منه لا يكون وقد انشد :

جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوي من جنون جنون

بل جن جنانه ورقص شيطانه

به جنت مجنونة غير انها اذا حصلت منه الب واعقل

وقال لي ليلة اريد ان اجمع اوصاف الشمعة السبعة في بيت واحد وليس يسنح لي ما ارضاه فقلت انا افعل من هذه الساعة قال انت جذيلها المحكك وعذيقها المرجب فاخذت القلم من دواته وكتبت بحضرته

لقد اشبهتني شمعة في صبابتي وفي هول ما القى وما اتوقع

نحول وحرق في فناء ووحدة وتسهيد عين واصفرار وادمع

فقال كنت عملت هذا قبل هذا الوقت فقلت تمنعني سرعة الخاطر وتعطيني علم الغيب وقلت : انت ذاكر قول ابيك لي ولك وللبقي الشاعر ولحسن الدمشقي ونحن في الطارمه اعملوا قطعة قطعة فمن جود جعلت جائزته كتبها فيها فقلت

بلغ السماء سمو بيـ ـت شيد في اعلى مكان

بيت عـلا حتى تو ر في ذراه الفرقدان

فانعم به لازلت من ريب الحوادث في امان

فاستجاد سرعتها وكتبها في الطارقة وخلع علي وكان ابو القسم ملولا والملول ربما مل الملال وكان لايمل ان يمل ويحقد حقد من لاتلين كبده ولا تنحل عقده وقال لي بعض

الرؤساء معاتباً : انت حقود ولم يكن حقوداً فقلت له انت لاتعرفه والله مـا كان يحنى عوده ولا يرجى عوده وله رأي يزين له العقوق و يمقت اليه رعاية الحقوق بعيـد من الطبع الذي هو للصد صدود وللتآلف الوف ودود . كأنه من كبره قد ركب الفلك واستوى عَلَى ذات الحبك ولست ممن يرغب في راغب عن وصلته او ينزع الى نازع عن خلته فلما رأيته ساوراً جاريًا في قلة انصـافي عَلَى غلوائه محوت ذكره عن صفحة فؤادي واعتددت وده فيما سال به الوادي

فني الناس ان رثت حبالك واصل وفي الارض عن دار القلى متحول

وانشدت الرجل ابياتًا اعتذر بها في قطعي له

فلو كان منه الخير اذ كان شره عتيداً لقلنا ان خيراً مع الشر
ولو كان اذ لاخير لاشر عنده صبرنا وقلنا لا يريش ولا يبري
ولكنه شر ولا خير عنده وليس عَلَى شر اذا دام من صبر

و بغضي له شهد الله حيًا وميتًا اوجبه اخذه محاريب الكعبة الذهب والفضة وضربها دنانير ودراهم وسماها الكعبية وانهب العرب الرملة وخرب بغداد وكم دم سفك وحريم انتهك وحرة ارمل وصبي ايتم وانا معتذر الى الشيخ الجليل من تقريظه مع تقريظي فيه لانه قد شاع فضله في جميع البشر وصار غرة على جبهة الشمس والقمر خلد ذلك في بدائع الاخبار وكتب بسواد الليل عَلَى بياض النهار وانا في مكاتبة حضرته بمنظوم ومنثور كمن امد النار بالشرر واهدى الضوء الى القمر وحب في البحر جرعة واعار سير الفلك سرعة اذ كان لايحل النقص بواديه ولا يطور السهو بناديه

ولقد سمعت من رسائله عقائل لفظ ان نعتها فقد عبتها وان وصفتها فما انصفتها واطربتني يشهد الله اطراب السماع وبالله لو صدرت عن صدر من خزانته وكتبه حوله يقلب طرفه في هذا و يرجع الى هذا فان القلم لسان اليد وهو احد البلاغتين لكان ذلك عجيبًا صعبًا شديداً وو الله لقد رأيت علماء منهم ابن خالويه اذا قرئت عليهم الكتب ولا سيما الكبار رجعوا الى اصولهم كالمقابلين يتحفظون من سهو وتصحيف وغلط والعجب العجيب والنادر الغريب حفظه ادام الله تأييده لاسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من الاذكياء المبرزين المنظوم وهذا سهل بالقول صعب بالفعل من سمعه طمع فيه ومن رامه امتنعت عليه معانيه ومبانيه .

حدثني ابو علي الصقلي بدمشق قال : كنت في مجلس ابن خالويه اذ وردت عليه

من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزانته واخرج كتب اللغة وفرقها عَلَى اصحابه يفتشونها ليجيب عنها وتركته، وذهبت الى ابي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها و بيده قلم الحمرة فاجاب بهولم يغيره قدرة عَلَى الجواب وقال ابو الطيب : قرأت عَلَى ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً وقال لي ابو عمر كنت اعلق اللغة عن ثعلب عَلَى خزف واجلس عَلَى دجلة احفظها وارمي بها وانا تعبت وحفظت نصف عمري ونسيت نصفه وذاك اني درست ببغداد وخرجت عنها وانا طري الحفظ ومضيت الي مصر فامرجت نفسي في الاغراض البهيمية والاعراض المؤثمية واردت بزعمي وخديعة الطبع المليم ان اذيقها حلاوة العيش كما صبرت في طلب العلم والادب ونسيت ان العلم غذاء النفس الشريفة وصيقل الافهام اللطيفة وكنت اكتب خمسين ورقة في اليوم وأدرس مائتين فصرت الآن اكتب ورقة واحدة وتحكني عيناي حكاً مؤلماً وادرس خمس اوراق وتكل ثم دفعت الى اوقات ليس فيها من يرغب في علم ولا ادب بل في فضة وذهب فلو كنت اياسا صرت باقلا واضع كتاباً عن يميني واطلبه عن شمالي واربد مع ضعفي ارتاد لنفسي معاشاً بظهر غير ظهير بل كسير عقير وصلب غير صليب ان جلست فهو كالدمل وان مشيت فجملتي دماميل ومعي بقية نزرة يسيرة من جملة كثيرة لو وجدت ثقة اعطيته اياها ليعود علي بما ارفه به جسمي من الحركة وقلبي من الشغل وانا اجد من أدفعها اليه و بقي ان يردها الي

دفع رجل الى صديق له جارية اردعها عنده وذهب في سفره فقال بعد ايام لمن يأنس به وتسكن نفسه اليه : يا اخي ذهبت امانات الناس اودعني صديق لي جارية في حسابه انها بكر جربتها فاذا هي ثيب . ومن ظريف الاخبار ان بنت اختي سرقت لي ثلاثة وثمانين ديناراً فلما هددها السلطان اطال الله بقاءه ومد مدته وادام سموه ورفعته، واخرجت اليه بعضها قالت : والله لو علمت ان الامر يجري كذا كنت قتلته فاعجبوا من هريستي وزبوني والله لولا ضعفي وعجزي عن السفر لخرجت اليه متشرفا بمجالسته ومحاضرته فاما مذاكرته فقد يئست منها لما قد استولى علي النسيان واحتوى عَلَى قلبي من الهموم والاحزان والى الله الشكوى لا منه وليس يحسن ان اشكو من يرحمني الى من لا يرحمني وليس بحكيم من شكا رحيماً الى غير رحيم وكان ابو بكر الشبلي يقول : ليس غير الله غير ولاعند غير الله خير . وقال يوماً : ياجواد ثم امسك مفكرا ورفع رأسه ثم قال : ما اوقحني اقول لك ياجواد وقد قيل في بعض عبيدك

ولو لم يكن في كفه غير نفسه   لجاد بها فليتق الله سائله

وقد قيل في آخر

تراه اذا جئته متهللا   كأنك معطيه الذي انت سائله

ثم قال : بلى اقول ياجواد فاق كل جواد وبجوده جاد من جاد . ودخل ابن السماك عَلَى الرشيد فقال له عظني وفي يد الرشيد كوز ماء فقال: مهلاً ياامير المؤمنين ارأيت ان اقدر الله عليك مقدراً فقال لن امكنك من شربة الا بنصف ملكك اكنت فاعلاً ذلك قال : نعم قال : اشرب هنأك الله فلما شرب قال: ارأيت ياامير المؤمنين ان لو اسفت نفس هذا المقدر عليك فقال : لن امكنك من اخراج هذا الكوز الا بأن استبد بملكك دونك اكنت فاعلاً ذلك قال : نعم قال : فاتق الله في ملكك لا يساوي الابولة وكيف اشكو من فاتني وعالني نيفاً وسبعين سنة كان قميصي ذراعين فوكل بي والدين حدبين مشفقين يتناهيان في دقته ورقته وطيبه فلما صار اثني عشر ذراعا تولاه هو وطعامي فما اجاعني قط ولا اعراني والذي هو يطعمني و يسقين خاطب ربه بالادب فقال. واذا مرضت فهو يشفين فنسب المرض الى نفسه لانها تنفر من الاعراض والامراض وكل شيء يطرأ على الانسان لايقدر عَلَى دفعه مثل النوم واليقظة والضحك والبكاء والغم والسرور والخصب والجدب والغنى والفقر فهو منه تقدست اسماؤه الا ترى انه لايتوعد عَلَى فعله ولا يعاقب عليه ومايقدر عَلَى دفعه فهو منه مثل ان يريد الكتابة فلا يقع منه البناء و يريد البناء فلا تقع منه الكتابة ومن به الرعشة لا يقدر عَلَى امساك يد ومن ليست به يقدر عَلَى امساكها

كنت بتنيس و بين يدي انسان يقرأ و يحزن : «يوفون بالنذر و يخافون» و يبكي فخطر لي خاطر فقلت انا بضد هؤلاء القوم صلوات الله عليهم انا لا انذر ولا اسفي ولا اخاف شقاء ولا عناء ولو كنت اخاف مااصبحت محموماً وكنته وحدثني من اثق به ولا اتهمه عن ابيه وكان زاهداً قال : كنت مع ابي بكر الشبلي ببغداد في الجانب الشرقي بباب الطاق فرأينا شاوياً قد اخرج حملاً من التنور كأنه بسرة نضجاً والى جانبه قد عمل حلاوى فالوذجاً فوقف ينظر اليهما وهو ساه مفكر فقلت يامولاي : دعني آخذ من هذا وهذا ورقاقاً وخبزاً ومنزلي قريب تشرفني بأن تجعل راحتك اليوم عندي فقال : ياهذا اظننت اني قد اشتهيتهما وانما فكري في ان الحيوان كله لايدخل النار الا بعد الموت ونحن ندخلها احياء

يارب عفوك عن ذي شيبة وجل كأنه من حذار النار مجنون
قد كان ذم افعالا مـذمة ايام ليس له عقل ولا دين

تمت الرسالة والحمد لله ذي الافضال وصلواته عَلَى محمد وخيرة الآل مافرغت من هذه السوداء حتى ثارت بي السوداء وانا اعتذر من خطل فيها اوزلل فان الخطأ مع الاعتذار والاجتهاد والتحري موضوع عن المخطئ ومن ذا الذي يؤتى الكمال فيكمل . قال عمر بن الخطاب : رحم الله امرأً اهدى الى عيوبي واسأله ادام الله عزه تشريفي بالجواب عنها فان هذه الرسالة عَلَى ما بها قد استحسنت وكتبت عني وسمعت مني وشرفتها بأسمه وطرزتها بذكره والرسالة التي كتبها الزهرجي اليَّ كانت اكبر الاسباب في دخولي الى حلب واذا جاء جواب هذه سيرتها بحلب وغيرها ان شاء الله و به الثقة وصلى الله عَلَى سيدنا محمد وعَلَى آله وسلم .

الدين والدنيا

واين يختلفان وكيف يتفقان

ادخر لدنياك ادخار الراغب فيها . وتزود من دينك زاد الراغب عنها

نسمع في الارض اليوم صيحة تصم الآذان منشأوها اختلاف المذاهب والاديان . وهي لي كثرة الصائحين فيها قد صارت اشبه شيء بلغط زمرة من المغنين وقد علت اصواتهم واختلفت لهجاتهم وتباينت نغماتهم فيقف السامع الصحيح الاذن مبهوتاً من خلط هؤلاء المغنين لخلطنا بين الدنيا والدين

يريد بعض الناس ان يكون الدين كل شيء . و ينظر غيرهم الى الدين كأنه لا شيء . و بين هؤلاء واولئك افراد وزمر واقوام يتشاحنون و يتجاذبون و يتخاذلون و يقتتلون تعصبا للدين ولكنهم في الحقيقة يسخطون رب العالمين الذي لو شاء لجعلها امة واحدة ووحد لها السراط الى عليين

في تعاليم كنفوشيوس المسالمة والاخاء اساس الدين . وفي الديانات الفتشية وهي احط الاديان في نظر الراقين لاظل لما نحن فيه ان العداء بسبب اختلاف المعتقد بل كل منهم وما يعبد شرط الولاء للقبيلة وفي التوراة عَلَى لسان سليمان الحكيم « من يعلم

روح بني البشر هل هي تصعد الى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل الى اسفل الى الارض · جامعة ص ٣ — ٢١ » فكأن سليمان يوعز الى قومنا بان يفثأوا من حدتهم في احتكار طريق السماء · وفي الانجيل « في بيت ابي منازل كثيرة · وان الذين بلا شريعة فبغير الشريعة يدانون · وان كل من عمل خيراً مقبول عنده » فعلى م التعصب · وفي القرآن الشريف « من يعمل مثقال ذرة خيراً يره · ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره · وان الله رب العالمين » ولم يقل رب النصارى ولا رب المسلمين

وفي حكم العقل ان الله تعالى يجل عنه ان يخلق امما وشعوباً ليجعلها برمتها طعاماً للنار لانها عملت بشريعة الضمير التي سنها هو لتكون شريعة عامة وتجاوزت بعض الامور العرضية التي لم يتفق لها ان تقتنع بها لرسوخ غيرها في مكانها مما لا يضر بالانسانية ولا يغضب رب البرية

وفي حكم الكتب المنزلة والعقل معاً ان الهنا الرحوم الغفار · المحب الاب السماوي · لم يخلقنا ليظهر قوته و بطشه فينا فيرسل بعض ابنائه الى بحيرة النار المتقدة لانهم يسيرون اليه في طريق لا نراها نحن موصلة اليه اما لنقص في مداركنا واما لانه تعالى لم يشأ ان يوحي الينا كامل ارادته في خلقه · او يعقل ان ننسب للاله الذي هذه صفاته محبة التلهي بنظر لحوم ابنائه وهي تشوى في نار جهنم كأنه يسير بتعذيبنا وهو الرحيم الرحمن الغفار لجميع ذنوبنا اذا آمنا به كما نحن مؤمنون ؟

اذاً فالموحدون جميعاً وجهتهم الاله الواحد واليه يسيرون · فلماذا هذه القيامة القائمة عَلَى الارض وهذا التعصب الذميم الذي يفرق الاخ عن اخيه والابن عن ابيه · انزلت علينا آيات بينات بكره كل من خالف معتقدنا و باثارة حرب عوان عَلَى اخواننا في الدين من الموحدين · بل مالنا وللكفرة الملحدين والله رقيب عليهم ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم لانه على كل شيء قدير ·

نعلم ان جميع الاديان توصي بمحبة الناس بعضهم لبعض وبمنع الاعتداء · وبالمسالمة · والاخاء · فضلاً عن شريعة الضمير ووصية كنفوشيوس والسيد المسيح معاً القائلة « مهما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوا هكذا انتم ايضاً بهم »

فأين حكم العقل والضمير وهذه التعاليم السامية من سير البعض منا ممن يتصافحون بالخناجر و يسلمون بالمسدسات لا لسبب سوى كون الفئة الواحدة تسير الى خالقها في طريق موازية لما تسير فيها الأخرى :

اهكذا تكون مقدمات الام التي تريد الرقي في عمرانها · ام نظن ان الله يرضى عن مثل هذه الافعال التي ما انزل بها من سلطان

بقي ان منبت التعصب ليس في الدين نفسه بل في ما ادخل عليه من التقاليد والشروحات والتفاسير المضلة التي قد سممت عقول العامة حتى صاروا ينظرون بعضهم الى بعض نظر العدو الالد على رغم كونهم ابناء وطن واحد تجمعهم جوامع اللغة والقومية والوطنية ووحدة المعتقد بربهم اجمعين

حقاً ان حالتنا في الشرق لما تذرف لها الدموع السخينة · لاننا تركنا الجوهر وتمسكنا بالعرض تركنا العبادة الحقيقية بالروح والحق وصرنا ننظر الى الاسماء لا الى المسميات · فمن كان اسمه محمداً او بطرس او هرون اوحمزة او مارون او نقولا صار كأنه يحمل في عنقه علامة ليقتله كل من يجده من اخوانه في الانسانية واشقائه في الوطنية

فالى مَ ياقومنا نبقى عَلَى هذه الحالة المحزنة نخلط الدين بالدنيا في معاملاتنا وصلواتنا ووظائفنا وخدمنا الوطنية وواجباتنا القومية

الا يدري رؤساؤنا الروحيون ان كلمة منهم تغير مبادئ العامة اكثر من مجلد يكتبه غيرهم من الناس · فلماذا لايتكلمون و يزيلون الوحشة بل الغلظة من قلوب الرعايا مع بقاء المعتقدات عَلَى اصلها مجردة عن الزيادات

هو ذا بعض المفكرين من اخواننا المسلمين في وادي النيل قد جاهروا بوجوب الاصلاح الديني ودعوا الراسخين في العلم الى مجتمع يبحثون فيه لتنقية الدين ما طرأ عَلَى محيطه من الشوائب التفسيرية والعادات التقليدية التي لاتتفق مع جوهر الدين · فلماذا لانحذو نحن حذوهم فنعمم نفعهم وننزع عن الدين صبغة التعصب التي شوهته بها العصور الوسطى ولا تزال عليه الى الآن

يظهر مما تقدم ان الدين والدنيا يتفقان اذا نزعنا عن الدين ما الصقه به المتعصبون من الزوائد الضارة وهو يزداد اختلافاً كلما زدنا تفنناً في تفسير التعصب وتجريجه اغراء للسذج ببقائهم عَلَى ماهم عليه من الجهل المطبق

دينناـــ لاتخف يا اخي التقي فان لا قوة بشرية تقدر عَلَى اختطاف دينك منك ولا عَلَى زعزعة اركانه اذا كان مؤسساً كما تعتقد عَلَى الصخر ·

فدع الزوابع تهب وافرح بعدم اقتدارها على هزه · اما اذا كنت حذراً خائفاً عَلَى

دينك فتحيطه بسور لئلا تسفيه الريح فتقتك اذاً بصاحبه قليلة ، ولذلك تحاول انت ان تملأ نقص هذه الثقة . الا تعلم ان الحق يعلو ولا يعلى عليه وان الصحيح لايتحول الى فاسد باختلاطه بالامور الدنيوية بل يطفو كالزيت فوق عكر الماء وتظهر شوائبه لاقل نظرة كما قد ظهرت الشوائب التي ادخلت فيه الى الآن

كلمة الى حضرات رؤساء الاديان — جاء في الاسفار الدينية « رئيس شعبك لاتقل فيه سوء » . فانتم رؤساء الشعب الروحيون ولذلك فاننا نجل مقامكم ونحترمكم ونضمن لكم حفظ الرئاسة الدينية على شرط ان تفصلوا الدين عن الدنيا لانكم لستم رؤساء فيها ولايجوز ان تكونوا لئلا يلتوي عليكم الامر في سياستنا التي تحتاجون معها الى توحيد القوى العقلية . وبعد هذا نرجوكم ان تفهموا الفلاح والصانع والتاجر والواعظ والكاتب وغيرهم ان يحترف كل منهم حرفته العالمية مجردة عن كل صبغة دينية . واذا جاءكم طلاب الوظائف وارباب الدعاوي واحلتموهم الى المراكز الدنيوية وبثثتم فيهم روح الدين الصحيح القاضي باعتبار جميع الناس اخواناً في الدنيا . واذا جاهرتم بمبدإ الاخاء من على المنابر . واذا نزعتم من قلوب الشعب اشواك الجهل الديني — وهو التعصب الذميم . واذا استطعتم ان تكونوا قدوة نتبعها في هذا السبيل . فانكم اذا فعلتم جميع ذلك تخدمون الدين والانسانية معاً وحينئذ تروننا نزيد مقامكم رفعة ونجل جميعنا رئاستكم شاكرين لانكم بذلك تسكتون السنة المتذمرين

هذه هي الطريقة المثلى لفصل الدين عن الدنيا ولتعزيز المراكز الدينية العليا لان بها يستوفي العمران نصيبه ويحافظ الدين على حقه

فمن لنا من ساداتنا الروحيين بمن يبدأ بالمجاهرة بهذا التساهل وهذا التسامح فنسطرها له باكورة للاصلاح الديني في القرن العشرين

دنيانا — علينا في دنيانا واجبات كثيرة لابد في قضائها من التعاون والتعاضد بقطع النظر عن الدين . هو ذا البلاد في حاجة الى الشركات الوطنية وتوحيد الكلمة القومية في الدفاع عن الوطن وفي تعميره بما حسن من الحضارة الحديثة . فمن يقوم بهذه الاعمال ومتى يتم لنا النجاح اذا بقي الدين حاجزاً بين ابناء المذاهب المتفرقة . او كيف يمكن ان ننهض معاً ونحن ينظر بعضنا الى بعض شزراً كنظر القريب الى الغريب المعتدي . ام نكذب على انفسنا وعلى الله بقولنا ان الدستور قد وحد فينا المبادئ القومية

وماقومنا للآن الا المذاهب متجسمة والضغائن كامنة تكاد تظهر من تحت الرماد في كل ملة ومذهب

هذه هي الحقيقة وادلتها تحيط بها احاطة الهالة بالقمر · والحقيقة اولى ان تقال لئلا يذهب بنا الوهم الى الاعتقاد باننا قد صرنا كما اظهرنا في بدء حياتنا الدستورية

أجل ان فينا العدد العظيم ممن يريدون الاخاء و ينادون به بالسنتهم وجرائدهم واعمالهم ولكن لا يزال في البلاد كثيرون من نصراء الدور السابق ممن يلقون الشقاق في كل ملة و يثنون الناس عن سيرهم في دنياهم متآخين

فاعمال هؤلاء لايكشفها الا حملة الاقلام المناط بهم الدفاع عن الجامعة القومية

ولقد كان لجرائدنا عَلى اختلاف نزعاتها الفضل العظيم في امالة الخواطر وتحويل الرأي العام عن التعصب الى الحرية والمساواة والاخاء ولا نزال نطمع من زملائنا باعادة الكرة المرة بعد المرة عَلى كل خالط للدين بالدنيا

وانا لنعجب من استحكام هذا الشر في بلادنا الشرقية حيث الذكاء يتدفق من العقول في حين اننا لانرى عند غيرنا عشر معشار مانحن فيه من الشقاق

أسبب ذلك كون ارضنا مهبط الوحي ومحتد الصالحين ؟

أنكون اول من قصد الله بنا خيراً فحولناه بجهلنا الى شر عظيم ؟

أهكذا كانت غاية محمد وموسى وعيسى عليهم السلام أجمعين ان يزرعوا في قلوبنا العداوة الى ابد الآبدين ؟

اقصد هؤلاء الداعون الناس الى طاعة ربهم ان يعلموهم الشقاق في دنياهم بواسطة الدين ؟

كلا · ثم الف كلا — اننا نحن السبب في ذلك كله لان نفوسنا جانحة الى الشر والله لايغير قوماً الى الحسنى قسراً اذا هم ابوا ان يغيروا ما بانفسهم · لان الانسان حر في افعاله ليكون لكل نفس ما كسبت وعليها مااكتسبت

وخلاصة مانقوله في هذا الشأن اننا قد شبعنا من العداء وقد كلت خناجرنا من الطعن ومسدساتنا من خطف الارواح فهي تضرع الينا بلسان حالها قائلة استبدلوني بالنظرات الاخوية والمصافحة السلمية والقبلات القلبية · القوني في اليم وسيروا بلا خوف ولا عداء وتضافروا في اعمالكم وتعاونوا في خدمة وطنكم · انسوا ذكري واهملوا امري وتساحوا بالغيرة الوطنية والمحبة الاخوية

لقد آن الوقت للاختلاط في الخدمة والاعمال المالية والاندغام في الدفاع والسعي وراء المصلحة القومية

ولا يتم لكم ذلك الا بترك الشقاق فتتركوني ولا يزول الشقاق الا بفصل الدنيا عن الدين و بذلك تريحوني وتخدمون دنياكم وتكسبون رضى رب العالمين

وفي الختام اننا نبتهل اليه تعالى لينظر الينا بعين الرضا وينزع من قلوبنا شوك الشقاق و يلهمنا رحمة منه الى التوفيق بين مساعينا الدنيوية مع تمسكنا باصول الدين مجردة عن الدخيل . وهو حسبنا ونعم الوكيل «خليل سعد»

غرف التجارة

تتمة ماورد في الجزء الماضي

ذكرت قبلا بعض ما تمتاز به الغرفة البار يزية على غيرها من الغرف الفرنسوية من الامتيازات وقد مضى عليها مائة وسبعة اعوام وهي ذات مقام سام خاص بها ولها خمس لجان علمية استشارية الاولى تبحث في المسائل الاقتصادية كما انها تتوغل بتحقيق مسائل الرسوم الجمركية والادخالية (الاوكتروا) والثانية تشتغل بمسائل الوسائط النقلية والثالثة بالمسائل التجارية والصناعية والرابعة بمسائل الصادرات وتعنى الخامسة بالدروس ولها ايضاً تسع لجان ادارية تشتغل بدور البورصة ومدارس التجارية والمكتبات .... ولها ديوان يتولى كتابة تقاريرها الاسبوعية وقد نظمت هذه الغرفة خلال سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٢ ستة وسبعين ومائة تقرير في مسائل شتى واتحدت مع عدة لجان ألفت في النظارات واوفدت عنها اعضاء الى المؤتمرات الاجنبية .

وتنفق كل عام اربعة وخمسين الف فرنك عَلَى الدائرة الوطنية للتجارة الخارجية وستة وستين الفاً على مدرسة التجارة ومئة وعشرين الفاً عَلَى مدرسة التجارة العالية وخمسة وثلاثين الفاً عَلَى الدروس الليلية وسبعة واربعين عَلَى دور البورصة وثلاثين الفاً عَلَى الاوضاع والاعمال المفيدة للتجارة .

وتتولى غرفة التجارة البار يزية ادارة كل من مدرسة العلوم التجارية العالية التي أنشئت سنة ١٨٨١ وموازنتها ٥٢٧ الف فرنك ومدرسة التجارة العالية التي أنشئت سنة ١٨٢٠ وموازنتها (٥١٠) آلاف فرنك ومدرسة التجارة التي أسست عام ١٨٦٣

وموازنتها ٢٣٥ الف فرنك وتحت حماية غرفة تجارة باريز الجمعية التجارية لتعليم الالسنة الاجنبية وجمعية الترغيب في اصدار الاموال التجارية الفرنسوية وقد اسستا عام ١٨٨١

***

ذكرنا اوضاع الغرف الفرنسوية عامة والغرفة الباريزية خاصة ونبحث الآن في اوضاع الغرف التجارية في البلاد العثمانية واليك البيان :

قضى القرار الصادر عام ١٢٩٣ بتأليف جمعيات زراعية وتجارية مؤلفة من اربعة وعشرين عضواً في القسطنطينية واثني عشر عضواً في حواضر الولايات وثمانية اعضاء في مراكز المتصرفيات واربعة اعضاء في مراكز الاقضية ومن الشروط الاساسية النظامية ان يكون الاعضاء الذين يتوظفون في القسم التجاري من التجار والاعضاء الذين يتوظفون في القسم الزراعي من الزراع وان تكون الغرف ملحقة ومرتبطة بعضها ببعض وان تكون غرف الولايات تابعة لنظارة التجارة مباشرة · وكانت الغاية من كل هذا تنسيق الغرف تنسيقاً اداريًا بحيث تكون مرتبطة بالحكومة ارتباطاً موثقاً غير ان هذا التنسيق الذي لم ينظر في وضعه الى الوسط والاحوال لم يثمر قط الثمرة المطلوبة · وفي اليوم السادس من صفر عام ١٢٩٧ اي بعد اربعة اعوام اعلن النظام الاساسي لغرفة القسطنطينية وفي العشرين من رمضان عام ١٢٩٨ الموافق لليوم الثالث من آب ١٢٩٨ اعلن النظام الداخلي لغرفة التجارة واصدر في هذا التاريخ قوانين تقضي بتأسيس غرف صناعية وتجارية عَلَى حدة ·

وكان اعلان النظام الاساسي لغرف التجارة باسم « النظام الاساسي لغرفة دار السعادة التجارية » ولم تسن الحكومة نظاماً خاصاً بغرف الولايات التجارية · ولم يعلم سر نسبة هذا النظام الى غرفة القسطنطينية عَلَى انه لم يكن مستحيلا درج الاحكام والمواد المتعلقة بغرفة القسطنطينية التجارية في النظام العام للغرف التجارية ·

ولم تمنع هذه الحال تأسيس الغرف في الولايات بل ان هذه حذت حذو استمبول وانشأت غرفاً قياساً عَلَى غرفة العاصمة · وقرر شورى الدولة ان تطبق غرف الملحقات وضعها واعمالها عَلَى غرفة الاستانة وان يراقب موظفو الملكية الغرف ويلاحظوا ما يكفل حسن ادارتها وبقائها وان يناط بالولاة انشاء الغرف في اوقاتها لايجاد الاسباب التي تؤول الى ترقية التجارة الاهلية وانها (الغرف التجارية) مرتبطة بنظارة التجارة وان لها الحق

بمراجعة النظارة اذا دعت الحاجة وابلغ كل هذا الى محل الايجاب واتخذت ايضاً بعض قرارات بما ستجري عَلَى غرف الولايات والاقضية من الامتيازات

ولقد تأسست غرف زراعية في بعض الجهات ولم تؤسس في اكثرها ولم يؤسس غرف صناعية مطلقاً ولذلك طلبت نظارة التجارة ان تقوم غرف التجارة باعمال الغرف الزراعية والصناعية وواجباتها · وقرر مجلس الوكلاء قبول هذا الطلب واقترن بارادة سنية في السابع والعشرين من جمادى الآخرة لعام ١٣٠٦ وعلى اثر الغاء غرف الزراعة والعدول عن تأسيس الغرف الصناعية دعيت الغرف التجارية (غرف التجارة والزراعة والصناعة) ولكن من اللازم اللازب احداث غرف زراعية عَلَى حدة لان العنصر الحيوي في بلادنا هو ولا شك الزراعة · و يتيسر للغرف التجارية ان تقوم باعمال غرف الصناعات ولا بأس بتوحيدها لان الصناعات في بلادنا اقرب الى العدم منها الى الحياة ·

يقضي النظام الاساسي لغرف القسطنطينية التجارية ان تكون مؤلفة من اربعة وعشرين عضواً ·

وشروط العضوية اولاً ان يكون المنتخب (بفتح الخاء) بالغاً الثلاثين من عمره ثانياً ان يكون ممن قضوا في التجارة لا اقل من خمس سنين غير متهم بجنحة او جناية ولا مفلس (الا اذا استرجع اعتباره بعد الافلاس) وان يكون من ذوي الشرف والاستقامة · وتجري الانتخابات بالاكثرية الخفية · وعند تساوي الآراء يرجح الاكبر سناً ولا يجوز انتخاب عضوين من شركة واحدة · ولجنة الانتخاب تتألف من عشرين منتخب اول (بفتح الخاء) عشرة تنتخبهم نظارة التجارة والزراعة (الآن نظارة التجارة والنافعة) وعشرة ينتخبهم التجار فيجتمعون تحت رئاسة ناظر التجارة (وفي الولايات تحت رئاسة الوالي والالوية تحت رئاسة المتصرفين وفي الاقضية تحت رئاسة القائمقامين) · واعضاء الغرفة ينتخبون من بينهم رئيساً اول ورئيساً ثانياً بالاكثرية المطلقة و يعرضون هذا الانتخاب على النظارة لتجيزه ·

مدة العضوية (ولقد استعمل القانون في هذا المقام لفظة وظيفة الاعضاء على ان عضوية غرفة التجارة ليست وظيفة من الوظائف) ثلاثة اعوام ولم يكن يجوز الى تاريخ ١ كانون الثاني لعام ٣٠٥ تجديد انتخاب العضو قبل مرور سنة عَلَى انقضاء عضويته السابقة ولكن المادة المعدلة في هذا التاريخ جوزت تجديد انتخاب العضو غب انقضاء مدته · ومن لا يحضر الجلسات مدة ستة اشهر يعتبر مستقيلا واذا توفي احد الاعضاء اواستقال

اوحكم عليه بجناية اوجنحة تنتخب لجنة الانتخاب غيره عند حلول اول اجتماعها ويتم العضو الجديد المدة الباقية لسلفه • واليك واجبات الغرفة التي ذكرها النظام الاساسي وهي ابلاغ المواد الآتية رأساً وتحريراً الى نظارة الزراعة والتجارة

(١) وسائل ترقية الصناعات

(٢) مايجب عَلَى النظارة القيام به من الاصلاح والتحوير •

(٣) الامور التي من شأنها ترقية التجارة : تعارف الجمارك،الاشغال العامة (الامور العمرانية والنافعة) ، المراسي ، الملاحة في الانهر ، البريد ، اسلاك البرق ، السكك الحديدية، فتح الطرق والشوارع ، تأسيس دور البورصة ، اصدار الجرائد التجارية •

وفي النظام صراحة بان الغرف مطالبة باحداث سجلات وقيود منتظمة لكل ماله علاقة بالاعمال التجارية من الاموال والمسكوكات والاسهام ومما يقضي به نص القانون الزام الغرف بالاجابة عن اسئلة النظارة مؤيدة اجوبتها بهذه السجلات والقيود موقعة عليها بختم الغرفة

ولغرفة التجارة الحق في وضع نظامها الداخلي كما هو مصرح في احدى مواد نظامها المترجم عن نظام عام ١٨٣١ الفرنسوي وقد عملت بموجب هذا الحق وسنت نظامها الداخلي الا انها دفعته الى الدوائر الايجابية ثم قرنته بارادة سنية بلا ضرورة نظامية •

***

يعتبر النظام الداخلي غرفة التجارة مصدر الاخبار التي تتصل بنظارة التجارة عن التجارة والتجار والصلة بين الحكومة والتجار في الاعمال التي تجري بينهما

والواجبات الاساسية عَلَى الغرفة هي البحث والتنقيب عن المصالح التجارية والصناعية والوسائل التي تؤول الى ترقية الصناعة والتجارة والتذرع بها وعن العوائق التي تحول دون تقدمها وابلاغ الحكومة ما تعثر عليه الغرف من نتائج البحث والتحقيق وللغرف الحق باجراء الامور الآتية عدا عن الواجبات التي سبق ذكرها آنفاً والتي ذكرت في النظام الاساسي :

اولاً — تدعو الغرف التجارية التجار واصحاب المصارف (البنوك) والمعامل ليسجلوا اسماءهم في دفاتر الغرف الخاصة والدعوة تعلن بنشرات عامة او في الجرائد •

ثانياً — تسجل سفر التجار (المسجلة اسماؤهم عندها) وقدومهم وافلاسهم

واسترجاعهم الاعتبار التجاري (بعد الافلاس) واذا حكم على احدهم ظناً واتهاماً بجنحة اوجناية يسجل ايضاً هذا الحكم في الدفتر الخاص لهذه الوقائع ·

ثالثاً — تصدق مجاناً الكفالات واوراق الشهادات والتقارير ومقدرة الكفلاء فيما يتعلق بالامور التجارية ·

رابعاً — تستجلب من محال الايجاب وبواسطة نظارة التجارة اوراق اقامة الحجة البرتستو التي تنظم بحق التجار واصحاب البنوك والمعامل لعدم تأديتهم البونويات والسندات المحررة للأمر والسفاتج الموقعة بتواقيعهم ·

خامساً — تستنسخ في دفتر خاص عين الصكوك والعقود التجارية والصرافية والبحرية والصناعية والعمرانية المنعقدة خارج الغرفة عند طلب الفريقين المتعاقدين ·

سادساً — للغرفة التجارية الحق في ابداء ملاحظاتها في تجديد قانون التجارة وتصحيحه والنظامات التي لها علاقة بمحاكم التجارة وفي تأسيس غرف التجارة في الولايات ودور البورصة وتوظيف الدلالين ووكلاء الكامبيو [1] وسن تعرفات للدلة وقوانين لها ولغيرها من الامور التجارية التي يجب ان يكون لها تعرفات ونظامات وفي البنوك والاعمال العمرانية ·

قضت المواد المؤرخة في ٧ المحرم لعام ١٢٩٩ و١٨ تشرين الثاني لعام ١٢٩٧ المذيلة للنظام الداخلي للغرف التجارية بان تنظم الغرف التجارية اوراق الشهادات بالكفالات التي تقدم الى الدوائر الرسمية والمحاكم التجارية والحقوقية باسم التجار وان ترسل الى محل المزايدة مأموراً تنتدبه ليحضر الحجز والمزايدة للاموال وتقدير القيم من قبل الخبراء اذا كان ذلك بقرار من المحكمة · ومن جملة ماتقتضيه المواد المذكورة الزام الدلالين والوسطاء (سماسرة التجارة) بتسجيل اسمائهم في الغرفة التجارية وان يأخذوا منها تذاكر باجراء صناعتهم وان لايقبل في المزايدات والمناقصات للدوائر الاميرية الا التجار والدلالون الذين بيدهم شهادات بانهم مسجلون في دفاتر الغرف التجارية وان يكون تسطير صحائف دفاتر التجار ووضع اشارة (صح) عليها من قبل الغرف — وقد أعيد بعد ذلك حق كتابة صحائف دفاتر التجار ووضع اشارة (صح) الى محرر المقاولات كما في السابق · والمنع الذي ذكر قبل المادة الاخيرة لم يراع الا قليلا ·

***

(١) الوكالات او الاوضاع التي تشتغل بمبادلة الاسهام والاوراق النقدية والحوالات

سبق ان اعضاء غرفة التجارة الاستنبولية اربعة وعشرون وذلك بمقتضى النظام الاساسي . واما تأليف غرف التجارة في الولايات من اثني عشر عضواً وفي الالوية من ستة اعضاء والاقضية من ثلاثة فهو من احكام المقررات واعضاء الغرفة يجب ان يكونوا من تجار احد الطبقتين : الاولى والثانية المسجلة اسماؤهم في غرفة التجارة ويجوز انتخابهم للعضوية من التجار الوطنيين والاجانب عَلَى السواء متى تحقق انهم مسجلون في الغرفة . والصنف الاول من التجار المسجلة اسماؤهم في دفتر الغرفة هم اصحاب المصارف وهؤلاء يدفعون للغرفة خمس ليرات كل سنة . والصنف الثاني من التجار المسجلة اسماؤهم في الغرفة هم الذين يؤدون ثلاث ليرات سنوياً والصنف الثالث منهم يدفعون ليرتين والرابع ليرة واحدة عن بدلات الاشتراك [1] والشركاء الذين لهم توقيع واحد يعتبرون تاجراً واحداً . والتجار يسجلون اولا اسماءهم في دفتر الغرفة ثم يعتبرون من احد الاصناف الاربعة بقرار من الاعضاء ويحق للاعضاء المسجلة اسماؤهم في الصنفين الاول والثاني ان ينتخبوا اعضاء لغرفة التجارة كما ان الاعضاء الموقتين في المحاكم التجارية والخبراء والمميزين لبعض الدعاوي والاشخاص الذين يفحصون الدفاتر التجارية يجب ان يكونوا من الصنفين المذكورين

(المواد المذيلة)

تجتمع اعضاء الغرف التجارية مرة في الاسبوع واذا اقتضت الحال يعقدون اجتماعات غير عادية بدعوة من الرئيس او بطلب كتابي من ستة اعضاء وبعد نصب الرئيسين الاول والثاني ينتخب الاعضاء من بينهم باكثرية الاصوات مشاورين اولاً وثانياً لسنة واميناً عاماً للصندوق . وماعدا هذا يجوز ان يكون للغرفة امين صندوق بكفالة وكتبة للتركية [2] والفرنسوية وسواهم من الموظفين والمستخدمين وتجري مذاكرات

(١) الغرف التجارية العاملة تصدر جرائد ومجلات اقتصادية واحصائية وتقوم باعمال كبرى تنفع التجار بل ان المصالح التجارية قائمة عليها ولذلك يجوز ان يقال بدل الاشتراك عن القيمة التي تدفع الى تلك الغرف ولعل اصل استعمال هذا التعبير (بدلات الاشتراك) ناجم عن هذه المنافع الحقيقية في غير البلاد العثمانية ومنافعها الموهومة في هذه البلاد المنكودة الحظ

(٢) وكأن لغتنا العربية لا حظ لها من الوطنية فلا تذكر في نظامات الحكومة والمعقول ان تجري معاملات الغرف التجارية بالالسنة الاهلية ولكني لا اصدق الا ان

الغرفة بحسب ما تقتضيه اعمالها اليومية وقبل ارفضاض الجلسات تنظم الغرفة يومية المذاكرات عن الاجتماع القادم · وعَلَى الرئيس اعلام الاعضاء كتابة بايام الاجتماع · ولا تبرم القرارات الا اذا حضر الجلسات اثنا عشر عضواً ولكن تجوز المذاكرات اذا اجتمع اقل من ذلك وتكتب الآراء والملاحظات التي يذكرها الاعضاء في اوراق الدعوة للجلسة القادمة والاعضاء الذين لا يحضرون ثانياً اما ان يقبلوا رأياً من هذه الآراء و يبلغوه الى الغرفة كتابة واما ان يحضروا الجلسة المعينة في ورقة الدعوة و يعربوا عن آرائهم الذاتية واذا خالفوا في اجوبتهم الكتابية آراء الاعضاء ولم يحضروا او انهم لم يجيبوا الدعوة كتابة ولم يحضروا الجلسة بتاتاً تعرض الغرفة عن آرائهم و يبرم القرار ولو لم يبلغ عدد الاعضاء المقدار المعين ·

وللغرفة الحق في تعيين لجان مؤلفة من غير الاعضاء للنظر في بعض المسائل ولا يجوز ان يتجاوز عدد اعضاء هذه اللجان الستة وتنتدب الغرف احد اعضائها لينضم الى اللجنة و يقوم بوضع لائحة تتضمن نتائج البحث عن المادة المحولة الى اللجنة ·

وللرئيس الحق في تأليف لجنة للبحث في المواد الجديرة بالقبول المبلغة الى الرئيس تؤلف من ثلاثة رجال ينتخبهن الاعضاء و يقضي النظام الاساسي بأن تكون مداخيل الغرف التجارية عبارة عن بدلات الاشتراكات التي يدفعها التجار و بعض الرسوم (ولم يذكر صاحب المقالة هذه الرسوم) وما زاد عَلَى نفقات الغرفة من المداخيل يجوز انفاقه بقرار الغرفة واذن الحكومة معاً عَلَى انشاء مدارس وجرائد تجارية : ولكن يرصد منه مبلغ لا يقل عن مئتي ليرة لاحوال طارئة · والغرفة مكلفة بتنظيم ميزانيتها لآخر كل سنة ·

وهذا تعريب نص احدى المواد الانتهائية :

(تعرض الغرفة التجارية عَلَى انظار مراحم (؟!) الحكومة الجوائز لذوي الاختراعات الصناعية التي ينجم عنها منافع عامة ·

***

الداء الذي افسد مدارس الحكومة — بل وكثيراً من المدارس الاهلية — يفسد الغرف والاندية التجارية والسياسة التركية المحضة التي تفادي بالغاية الاولى من المدارس في سبيل تتريك الامم تفادي بكل فائدة او ثمرة ولا تسمح للغرف باجراء معاملاتها ومخابراتها بالعربية · ز · خ

ان النظامين الاساسي والداخلي لغرفة التجارة المعدلين بمقررات من شورى الدولة لاستحالة تطبيق موادهما عَلَى الولايات محتاجان الى تعديل مهم يجب ادخاله عليهما :

اولاً : ان النظام الاساسي لغرف التجارة مختصر كثيراً وخاص بالعاصمة وثانياً ان كثيراً من مواد النظام الداخلي يجب ادخالها في النظام الاساسي ولذلك يجب مزج النظامين المذكورين ومراجعة آراء الغرف التجارية في العاصمة والولايات وتدقيق النظامات الاوروبية ثم بعد ذلك يجب عَلَى نظارة التجارة سن لائحة قانونية لتعرض عَلَى مجلس الامة في اجتماعه القادم

ولاشك ان الفوائد التي تنجم عن انشاء الغرف التجارية عَلَى أسس الحقوق والواجبات وتنسيقها بحيث تكون ممثلة للتجار ونائبة عنهم تكون عظيمة . وبعد قبول مجلسي الامة والاعيان اللائحة المذكورة واقترانها بارادة سنية يجب الشروع بالعمل بها دون تأخير ومن الضروري اعطاء حق وضع النظام الداخلي للغرف نفسها بشرط ان لا يكون مناقضاً للنظام الاساسي ويجب ان تسجله الغرفة في نظارة التجارة .

ان تعريف الغرف التجارية المذكور في النظام الداخلي ليس بتعريف يضمن كرامتها ولذلك من الضروري ادخال قيد يتضمن أن للغرف المذكورة حق الدفاع عن المصالح التجارية وصيانتها وبذلك فقط تعلو مكانة هذه الاوضاع .

ويجب تأسيس غرف تجارية في كل حاضرة من حواضر الولايات كما هي الحال في فرنسا وان يكون تأسيسها في مراكز الالوية والاقضية غير محتم واذا ارتأى التجار او الحكومة تأسيسها في الالوية او الاقضية يجب ان يكون ذلك بعد موافقة المحاكم التجارية في مراكز الولايات والالوية والاقضية او موافقة الغرف التجارية في مراكز الولايات او الالوية .

ويجب اعطاء الرخصة بتأسيس الغرفة من قبل الولاية واعلام نظارة التجارة بواقعة الحال . ولا حاجة بحسب النظام الحالي لتصديق انتخاب الاعضاء من قبل الحكومة ويجب ان تبقى الحال كما هي اليوم ولا ارى ايضاً ان يتوقف انتخاب الرئيس على اجازة الولاة والمتصرفين والقائمقامين بل يشترط عَلَى الرئيس الذي ينتخب ان يكون من الوطنيين .

وللاعضاء المراسلين في بلادنا ايضاً شأن كبير ولذلك يجب ان يكون للغرفة اعضاء مراسلون من البلدة التي أسست فيها الغرفة وهي تنتخبهم ويجب ان يحضروا الجلسات و يستفتاء بآرائهم في بعض المسائل كما انه من الضروري ان يكون للغرفة اعضاء مراسلون

في الولايات والبلاد الاجنبية . ويجب ايضاً توسيع حق الانتخاب واعطاؤه لكثير من التجار والصناع الذين يؤدون رسوم التمتع وعملا بهذا المبداء يجب العدول عن القاعدة التي تقضي بأن يكون تعيين النصف من اعضاء لجنة الانتخاب من قبل الحكومة والنصف الآخر من قبل التجار وان يكون حق الانتخاب للعضوية مشروطاً بالاحوال الآتية . ان يكون المرشح للانتخاب مقيماً منذ مدة معينة في البلدة التي تقام فيها الغرفة مشتغلا خلال هذه المدة بصناعة اوتجارة (بكل ماتشمل هاتين الكلمتين من ضروب الاعمال) ومن الذين يؤدون ضريبة التمتع ومن ذوي الشرف والاستقامة .

اما مسألة الجنسية العثمانية فقد سبق ان هذا الشرط غير مصرح به في القانون الفرنسوي ولكنه مرعي في الانتخابات واما عندنا فلم تشترط التابعية العثمانية عَلَى الاعضاء فمنهم الاجنبي ومنهم العثماني عَلَى السواء . ويجب ان تظل الغرف عَلَى هذا الحال الى حين لاسيما وان التجار الاجنب المقيمين في بلادنا منذ مدة طويلة قد درسوا شؤون بلادنا حق الدراسة واذا اضفنا الى ذلك مقدرتهم العلمية وسعة اطلاعهم ووفرة بحثهم تبين لنا انه يستفاد منهم اذا كانوا بين اعضاء غرفنا التجارية انما يشترط عَلَى اولئك الاعضاء الاجانب اقامتهم في بلادنا مدة لاتقل عن عشر سنين مشتغلين خلالها بالتجارة .

جاء في نظام غرف التجارة ان لها الحق في انشاء مدارس وجرائد تجارية ويجب ان يكون لها الحق ايضاً بتأسيس غير ذلك من الاوضاع التجارية وان تتعهد (اذا رغبت) القيام بالامور العمرانية عَلَى طريق الامتياز ولكن الواجب ان تكون خاضعة للشروط التي تشترط عَلَى غيرها من اصحاب الامتيازات .

ولا يمكن لغرفنا التجارية ان تقوم بالاعمال التي تؤول الى ترقية تجارتنا مالم تتوفر في ميزانيتها المداخيل والا فان محافظة الحالة الحاضرة تقضي بان تظل مداخيلها تكاد لاتساوي النفقات الجارية السنوية مما لايجوز البقاء عليه ابداً .

فيجب تقسيم الشركات الانونيم عَلَى درجات معينة والزامها بتأدية مقادير مقررة سنوية تعين بحسب هذه الدرجات . ويجب ان تقرر درجات التجار بقدر مايدفعون من ضرائب التمتع لابمجرد رأي الغرف وتقديرها . ومن اللازم اللازب تسجيل التجار اصحاب هذه الدرجات كافة والزامهم بتأدية الضريبة السنوية .

***

لم يتصل باحد الى هذا العهد ان الغرف التجارية قامت منذ تأسيسها بمشروع يرفع مكانة التجارة في هذه البلاد · ولقد غابت هذه الغرف حيناً من الزمن ثم عادت تظهر في مظهر الحياة ثم افلت بعدالشروق افولاً لاطلوع بعده او عاد بعضها بعدطول الغروب ولم تكن اعمالها في الغالب الاعبارة عن تسويد القرطاس او ابداء بعض الآراء التي لم يلتفت اليها · ولم تلتفت الغرف التجارية الى انشاء مدارس او صحف تجارية البتة · ولاتلقى تبعة هذا الاهمال عَلَى الغرف التجارية بل عَلَى الحكومة السابقة · ولقد سبق ان بعض الغرف التجارية طلبت مرات عديدة اصلاح الاصول الرسومية وتسهيل المصالح التجارية دون ان تتجاوز الى طلب انشاء اوضاع جديدة ولم تثمر هذه المراجعات قط ·

ولما يئس التجارمن الاستفادة من الغرف التجارية تخلوا عنها ولم يعودوا يؤمون ابوابها وقطعوا عنها رواتبهم السنوية ومما يدلنا على درجة ارتباط التجار بغرفتهم هذه مداخيل غرفة القسطنطينية قبل عشر سنين فانها كانت في ذلك الحين ضعفي مداخيلها اليوم ·

هذه الاحوال من جهة وكون انتخاب الاعضاء لغرفة التجارة في العاصمة لم يكن كما وضعه القانون بل كان بيد نظارة النافعة تمنح العضوية من تشاء على نحو ما كانت تجري القاعدة في الاحسان بالرتب والمناصب من جهة اخرى كل هذا وذاك ليس من الامور التي ترتاح اليها نفوس التجار او تطمئن بسببها قلوبهم للغرفة التجارية ·

التجار اكثر واسرع من جماع طبقات الامة معرفة وشعوراً بالانقلاب الكبير الذي يسري الى شؤوننا العامة · ومع ذلك فان حياة حرية التجارة قائمة بتوطيد دعائم الامن ومتى اطمأن جمهور التجار الى ان مصالحهم الاصلية مصونة يجدر بنا الاعتماد عليهم بحيث لا يغادرون مثقال ذرة من واجباتهم ومن الواجب عَلَى الغرف ان تطلب من الحكومة بجد ومضاء تجديد نظام الغرف وتعديله وان تبحث بحثاً مدققاً في ضروريات التجارة ونواقصها في المحال التي تنتسب اليها وتدفع بآرائها وملاحظتها الى نظارة التجارة وان توجه همتها الى انشاء المدارس والصحف التجارية والدروس الليلية التي تكفل توسيع دائرة العلم بين ارباب التجارة · كل ذلك حقيق بالمفاداة ولا شك ان الاعمال المعروفة في هذا السبيل تتكلل بالنجاح

ويجب ان تكون غرفة القسطنطينية التجارية نموذجاً لسائر الغرف وان تدفن

العنعنات الماضية [1] فتجعلها نسياً منسياً : يجب ان تتقدم هذه الغرفة بفتية الافكار وتدخل الاصلاح الحقيقي الى مجلتها المدرسية وغير منكر ان هذه الصحيفة التجارية الوحيدة في البلاد العثمانية لا تفي بالحاجة بمقالاتها التي لا تتجاوز العمودين وفقراتها المترجمة بل يجب عَلَى غرفة القسطنطينية ان تتخذ مجلة غرفة التجارة الفرنسوية مثالا وتنحو نحوها فتنشئ على منوالها صحيفة تجارية جامعة لاخبار التجارة الداخلية والخارجية الجدية المفيدة والموضوعات الاساسية فاذا لم تقم غرفة القسطنطينية بهذه الاعمال ولم تأت بالآثار الدالة على رقي صحيح لا تنال مكانة ارفع من مكانتها في دورها السابق .

اما التجار المسجلة اسماؤهم في دفتر غرفة القسطنطينية فهم (٤٧) من الصنف الاول و (٧٠١٠) من الثاني و (٢٤٠) من الثالث و (٥٠) من الرابع وقد يوجد بين تجار الصنفين الثالث والرابع من يجب ان ينتظموا بين تجار الصنفين الاول والثاني وبين التجار الذين لم يسجلوا اسماءهم في الغرفة كثير يجدر بهم الانتظام في احدى الدرجات الاربع . والامل وطيد بترقي مداخيل الغرفة ولو بقيت اصول تصنيف درجات التجار عَلَى حالتها الحاضرة .

وتبلغ مداخيل غرفة القسطنطينية وحدها (ماعدا مداخيل جريدتها ونفقاتها) ١٧٥،٣٢٦ قرشاً صحيحاً تنفق في مقابلة ذلك ٤٣٥٣٢ قرشاً عَلَى رواتب موظفيها و ٢١٧٣٩ قرشاً عَلَى النفقات المتفرقة و ٢١٦٠٠٠ على اجور دار ونحوه . فالنفقات الادارية وحدها تتجاوز دخل الغرفة ولا ينفق عَلَى المشاريع النافعة من مداخيلها بارة واحدة وما حالة غرف التجارة في الولايات باشفى للصدور واوفى للاماني من غرفة القسطنطينية ولقد رغبت ان اعرف عدد غرف التجارة في الولايات والالوية والاقضية من القيود الرسمية فماذا رأيت ؟..

رأيتني امام كمية تستحق العجب : في بلادنا مئة وخمسون غرفة تجارية عَلَى ان عامة غرف التجارة في فرنسا لا تتجاوز المئة والعشرين .

وبما انني اعتبر الغالب من هذه الغرفة المقيدة في الدفاتر حبراً عَلَى ورق لا اصدق ان الفهرس الذي انقل منه متقارناً للصحة . [2]

(١) يظهر ان الكاتب يقصد بالعنعنات التقاليد القديمة (٢) فهرس غرف التجارة في البلاد العثمانية

وللاجانب في بعض المراكز التجارية العثمانية غرف تجارية ففي القسطنطينية غرف تجارية انكليزية وافرنسية وطليانية ونمسوية والمانية ويونانية ولكل واحدة منها نظام داخلي وللغرفتين الانكليزية والفرنسوية مجلتان بلسان قومهما · أسست غرفة التجارة الانكليزية عام ١٨٨٧ ولها رئيس وثماني اعضاء وعضوان خارجيان وعضوا شرف وكاتب وامين صندوق واربعة كتبة شرف في سلانيك وازمير ومنشستر ولندن ولهذه الغرفة مراسلون في سلانيك وازمير ومنشستر ولندن والولايات العثمانية ·ولها مجلة يبلغ حجمها ستاً وثلاثين صفحة كبرى جامعة لمقالات في التجارة الانكليزية العثمانية والاخبار والاحصاء ·

وفي ازمير ايضاً غرفة تجارية انكليزية ·

ويشترط في عضوية الغرفة التجارية الانكليزية الاشتغال بالتجارة او بالصناعة اوالشؤون المالية ويشترط على العضو ان يكون انكليزياً او من وكلاء المعامل الانكليزية في البلاد العثمانية ·

ورئيس الشرف لغرفة التجارة الفرنسوية هو قنصل فرنسا العام ولها لجنة ادارية مؤلفة من رئيس وكاتب واربعة عشر عضواً ولها اعضاء مراسلون في فرنسا ولجنة مؤلفة من تسعة اشخاص في جناق قلعة ولجنة اخرى مؤلفة من تسعة عشر شخصاً في بورصة ولها مراسلون في سبعين بلداً داخل البلاد وفي الخارج لها من يخابرها في روسيا وفارس ورومانيا والصرب واليونان ·

وتصدر هذه الغرفة شهرياً مجلة في سبعين اوثمانين صفحة منذ اثنين وعشرين حجة بلا انفصال · وتدعى هذه المجلة مجلة الشرق التجارية · وهي جامعة للمقالات والاخبار المفيدة للغاية واني اتمنى ان تعلو مكانة غرفتنا التجارية الى منزلة غرفتي التجارة الفرنسوية والانكليزية وان تتقدم جريدتها تقدم الجرائد اليومية ·

مابين النهرين : تعريب ز · خ ·

آلاسكا والالسكاويون (١)

آلاسكا شبه جزيرة تنيف مساحتها عَلَى اراضي فرنسا ثلاث مرات اصبحت الآن معتركا حيويًا جديداً لبني البشر الا ان وعورة المسالك واختلاف الهواء بها ترك اربعة اخماس من ارضها في عداد المجاهل

وقد كانت هذه البلاد الواقعة في اقصى الغرب الشمالي من اميركا الشمالية والمنفصلة عن قارة آسيا بخليج بهرنغ مستعمرة للدولة الروسية فباعتها من حكومة اميركا ٠

ان البحث لم يهتد الى شيء مهم فيما يتعلق بالسكان الاصليين من وجهة علم الانساب بل ظل اكثره ان لم نقل كله ناقصاً مبهماً ٠ فالشعوب النازلة سواحل البحر قد تمكن بعض المرسلين من درس احوالها اما المتوغلة في الداخل فاكتفى العلم بأخذ روايات من ارتادوها من الذين ضربوا في عرضها للتنقيب عن معادن الذهب اولصيد بعض الحيوانات التي ينتفع من جلودها للفراء الثمينة ٠ وكلا الفريقان مما لا يعول عَلَى قولها ولا يرجى منهما ان يفيا البحث العلمي حقه او بعض حقه ٠

و يستدل من آخر احصاء لسكان هاتيك البلاد الذي جرى سنة ١٩٠٠ للميلاد ان عددهم (٢٩٥٣٦) نسمة يدخل فيهم الاسكيمو ولكن ذلك مما لا يصح الاعتماد عليه لاسباب جمة اهمها ان أغلب تلك الشعوب من الرحل ولم يتيسر الوصول الى بعضها لوعورة المسالك كما ذكر ٠ اضف الى ذلك مادفعته اليهم المدنية الاوربية من آفاتها كالجدري والسل والزهري وداء السكر بعد اكتشاف مناجم كلونديك الذهبية فأن هذه الامراض الفتاكة فعلت وما زالت تفعل في الاهلين مالا يفعله الأسل حتى ان كثيراً من القرى خوت علي

(١) لخريجي المكتب الملكي في الاستانة واعضاء الامرة « الملكية » كما ينعتون انفسهم مجلة تصدر باسمهم ينشرون فيها بنات افكارهم ونتاج قرائحهم فيما يرتأونه من طرق الاصلاح في الادارة والقضاء ولا يخفى ان بينهم الصدر الاعظم والوزير والوالي كما ان في عدادهم مدير المال والمحاسب والقائممقام والمتصرف وغير ذلك من صنوف الموظفين فهم نخبة شبان المملكة ورجال حاضرها ومستقبلها وتكتب هذه المجلة في بعض الاحايين مايجوز ان يقال عنه خارجًا عن صددها الا انه لايخلو من فائدة تعود بالنفع على القراء وهذه المقالة هي من الشق الثاني كتبها عبد الفياض توفيق بك ونحن نعربها لقراء المقتبس ٠

عروشها واصبحت قاعاً صفصفاً عقب انتشار داء الجدري انتشاراً مريعاً من وراء الغاية . ولهذا يتراءى لي ان عدد السكان تنازل الى الخمسة والعشرين الفاً وهم يقسمون الى فريقين فالاول يضم اليه شعوب شيلكاوستيفكنس وياكوتا وهايداح وآباعوت واوك الذين يتفقون في الجنس والنسل . والثاني شعب واحد يدعى دنا ويختلف عن الاول باعتبار علم اصول الشعوب وسلائلهم وهو ينزل البلاد الواسعة التي تمتد من خليج الهودسون الى قلب آلاسكا على ان هذا التقسيم المبني عَلَى علم ناقص لا يلتفت اليه ولا يعمل به الى ان يقوم علماء الانسان بالتتبع العلمي والبحث الكافي و يتفقوا عَلَى ذلك شأنهم في سكان اميركا الاصليين

والذي يزيد المستطلع اشكالا في امرهم مشاكلتهم بعضهم بعضاً حتى انك لتخالهم من عنصر واحد لاتفاق ازيائهم واخلاقهم ومهما كان النقابة دقيق الفكر بعيد النظر لايتمكن من النقد الصحيح والتمييز المصيب فلنحسبهم الآن قوماً واحداً وندرس احوالهم الاجتماعية .

يجد القائلون بأن سكان اميركا الاصليين من المغوليين الذين هبطوا اميركا عن طريق خليج بهرنغ وصخور الاووسيك في آلاسكا من الوثائق مايقوي حجتهم و برهانهم . لاجرم ان غولف استرايت الذي وصل الى سواحل آلاسكا بعد اجتيازه جزر اليابان هو الذي نفخ في الساحليين من شرقي آسيا روح الجرأة والاقدام عَلَى ارتياد هذه البلاد حتى اصبح امر احدى السفن الشراعية اليابانية التي جرفها التيار الحار سنة ١٨٣٣ ميلادية ودفعها الى ساحل آلاسكا مشهوراً لان البرابرة «وفي الاصل اليام يام» جعلوا منها مائدة كانت عيداً لاولهم وآخرهم .

اما الآن فقد وضح الحق وظهر ما كان باطناً من ان آلاسكا كانت مأهولة بالسكان في ازمنة ما قبل التاريخ كسائر اخوانها من البلاد الافريقية و يثبت هذه الحجة ماتراه الآن في عادات الالسكاويين واخلاقهم وطبائعهم ولغتهم فأن كل هذه لم تكن عليها مسحة تدل عَلَى انها آسيوية .

ونحن نتوخى في عجالتنا هذه البحث عن حالتهم الاصلية قبل ان يمازجها ما اكتسبوه من الاحتكاك بالاوربيين فنقول ان هؤلاء قد اجتازوا دور التكامل البدائي للبشر وتباعدوا ما امكن عن الهمجية حتى صاروا اقرب الى البداوة منهم الى التوحش قبل ان تطأها اقدام المكتشفين من الروس .

وترى لهم في البلاد الساحلية الآن البيوت الواسعة القوراء وبعض المصايف والقصور التي اقيمت عَلَى منوال الاوربيين وبالاجمال فهم ارقى علماً واوسع مداركاً من شعوب البوروج الذين مازالوا يلبسون جلود البهائم ·

والغريب في امر هاته البيوت الفطرية انها عَلَى اتساعها وقد يختلف طولها بين المائتي متر وعرضها بين الخمسة عشر والعشرين متراً تكفي لايواء عائلات كثيرة معاً ومع هذا لاترى فيها نافذة خلا بعض ثقوب في سقوفها لانبعاث الدخان المتصاعد من المواقد واجتذاب نور الشمس الى الداخل ولم يكن فيها مايصلها بالخارج سوى بعض الابواب كما ان سطوحها لم تكن مائلة من طرفيها كما هو الحال في غير بنايات بل لها ميل قليل يكفي لتسليط مياه المطر عَلَى الخارج وتنفع هذه السطوح خطباء القوم فيرتقونها ويتخذونها منبراً لدى الحاجة ·

وتبنى هذه البيوت من عيدان الحطب التي لم تصقل ويقطعونها بمقاطع خشبية لان الحديد الذي فيه البأس الشديد والمنافع الجمة للناس لم يعرفوا به بعد ·

ويعتاضون عن الحديد بقرون نوع من الحيوان يسمى عندهم « وايثي » او بقواطع من شجر البابل [1] وفي الشتاء حيث يهجم الثلج بخيله ورجله يضيفون الى البنايات الداخلية طبقة من رفيع القصب وبمثل ذلك ايضاً يفرقون البيت عن اخيه فيكون سداً بين العائلات التي تأوي اليه ·

اما اثاث هذا البيت البدائي فهو موافق له كل الموافقة فلا تجد فيه من الرياش مايضيق معه الرحب بل هو في منتهى البساطة وهنالك مقاعد خشبية تحت الفراش « او هي اسرة النوم » عَلَى طول جدار البيت والفراش هو من السل « قش الحصر » وقد زيد في نسيجه عند موضع الرأس حتى اشبه الوسادة كما ان غطاءهم او لحافهم من جلود الغزلان المدبوغة او نوع من الكلاب الجعدة الشعر وقد اوشك نسلها بالانقراض بينهم ·

لهؤلاء البائسين الذين يطلق عليهم اسم همج بعض صناعات لو انصف المطلعون عليها لقالوا بكبر عقولهم ورقة شعورهم وقد ترى بعض الصناديق من صنعهم على حين لا يعرفون المسمار ولا رأوا آلات النجارة · والحدادة غاية في الضبط وآية في الدقة وطول هذه الصناديق متر وعرضها ستون او سبعون سنتيمترا وعمقها سبعون اوثمانون سنتيمتراً ·

(١) نوع من الاشجار الهندية

وصف احد المرسلين صناعتهم هذه بقوله انهم يأتون بخشبة من شجر الارز و يشقونها عَلَى اربعة وجوه ثم يصقلونها ما امكن و يلفونها لفًا جيداً فيتكون منها زوايا الصندوق الثلاث ثم يخيطون طرفا الخشبة الداخليين بخيطان قوية من جلود الوعل يدخلونها بالمسلة « الابرة » المصنوعة من قرون نوع آخر من الوعل فتحصل معهم الزاوية الرابعة اما اسفله فأنهم يجعلونه من قطعة واحدة من الخشب وله حافة تتصل اطرافها بالزوايا الاربع فيخاط كذلك بدقة غريبة حتى انك لاتجد فيه عوجًا ولا امتا · و يكون غطاء الصندوق من قطعة واحدة ايضاً يمدونها عَلَى شقوق الزوايا المتناظرة فيتم الصندوق الذي يعد من بدائع الابداع · و بعد ان يحفروا علي الغطاء شارة العائلة او الفريق و يدهنونه بلون مناسب يضعون فيه الملابس القيمة والفراء الثمينة التي تلبس في الاعياد والمواسم ·

و يبلغ الشتاء اشده و يقرص البرد في بعض بلادهم فيشقون بأسهما بحفر مستديرة يفتحونها في بطن الارض عَلَى سعة متر او مترين كبيوت الاسكيمو وهنالك يختبئ العشرون او الثلاثون منهم مجتمعين فيحصل الدفء بينهم

وتعلو هذه الحفر اكواخ حقيرة ليس لها من النوافذ الا واحدة في رأسها هي للجيئة والذهاب والهواء والنور اما سبيلهم الي هذه الانفاق فهو عمود من خشب نقروه حتي نتأت منه ارجل اشبه السلم ·

وقد انفق الالسكاويون عَلَى عادة غريبة جرى عليها اغلب الاقوام القطريين و بينهم هنود اميركا الوسطى والجنوبية وهي عزل البنات اللواتي يبلغن اشدهن والنساء اللائي في المحيض في اكواخ خاصة بهن حتى يطهرن [1] ولو جردنا صناعة السلال الدقيقة التي يصنعونها من رفيع القصب نجد كل صناعتهم في حالة ساذجة للغاية · نعم انهم يحيكون بعض الاقمشة المتينة من خيوط خاصة يستخرجونها من الياف شجر الارز و يخلطونها باصواف وعول صيفين وكندا واصواف الكلاب التي مر ذكرها فيتكون عندهم منها نسيج متين يفي بحاجتهم الا ان ذلك مما لا يعد صناعة نافعة ·

وهذه الكلاب هي من الحيوانات الداجنة التي يمكن ان يقال عنها انها وحيدة هذا القوم فهم ينتفعون من جلودها واصوافها وتفيدهم في صيدهم وجر عجلاتهم على الجليد ولكنها وياللاسف قد اوشكت تنقرض كما ذكرنا وقل نسلها قلة يخشي من ورائها ·

---

(١) لم يقتصر ذلك عَلَى الامم القطرية فقد ترى هذه العادة متبعة عند الطائفة السامرية المقيمة في مدينة نابلس وهي تدين بالموسوية وتعمل ببعض التوراة

وللسلال التي اشرنا اليها شهرة واسعة عند اهل الاخصاء في جمع شتات الآثار وروائع الصنائع وهي اهل لان تكون كذلك لان عملها جميل متقن وعلى الرغم من انها لم تطل بطبقة صمغية فقد تجدهم يستخدمونها في امتياح المياه من الآبار ونقلها ولا يرشح الماء من هذا السجل « الدلو » او السلة ابداً ٠

والاغرب من هذا ان النبات الذي يستعمل في صنع هذه السلال يختلف باختلاف الشعوب الا ان ارقها وادقها ما كان من الياف شجر الارز و يوجد من هذه السلال ما اربى عمره عَلَى خمسين عاماً تتداولها الايدي صباح مساء اما صانعوها فأنهم من النساء عَلَى الاعم ٠

وللنساء ولع خاص بالزينة والتبرج فيذهبن مذهب الماديين حتى ان المقارنة النسلية بينهن عَلَى هذه الوتيرة ٠

و تلقى ذلك ظاهراً كل الظهور في بعض الشعوب فترى الاب لايهيمن عَلَى ابنه اوسبطه الاحين تزوجه من امرأة بينا يكون للشاب الخيار بقبول الابنة التي انتخبها له والده او رفضها ٠

اما مايتعلق بوجوه القرابة بين المرأة وزوجها فلم يكن لها من قاعدة مألوفة او خطة مرسومة بل ترك ذلك لاجتهاد كل فريق منهم ٠ فقد ترى لدى بعضهم جوازاً بزواج ابناء العم بينا تلقى زواج فتى وفتاة خاضعين لزعيم واحد من المحظورات عند آخرين فالاولين لم تمنعهم لحمة النسب من الزواج والآخرين منعتهم صلة التبعية فقط

وتجد الزواج عند بعضهم كأنه اتفاق وقتي اوهو اقرب الى الاستمتاع منه الى الزواج والا نكى من كل ذلك ان شرعتهم قد تركت حبل الرجال عَلَى غواربهم واحلت لهم افتراس ابة امرأة في حيهم ٠ نعم انهم اشترطوا في ذلك ان يتبارز الشاب الطالب مع زوج المرأة المطلوبة برازاً لايتخلله سفك دم لان لاسلاح لديهم فاذا ماغلب الاول الثاني عَلَى امره وطرحه ارضاً جاز له التصرف المطلق في امرأته ٠ ولكن ماذا يفيد هذا الشرط وهل يغني عن الحق شيئاً مادامت الغلبة للقوة ؟ واذا كان الزوج الاول ممن يعتقدون قوة خصمه و يستنكف عن مبارزته فيحق حينئذ لذلك الخصم ان يذهب الى بيت الاول و يدعو امرأته الى اللحاق به وهنالك لايسع صاحبتنا الا الجري وراء زوجها الجديد البطل والدخول في داره وحرمه و يظل الاول منزوياً في احدى زوايا

بيته ينظر الى هذه العادة الغريبة شزراً وقد اعتراه اليأس واشبه الهرة التي كسرت اناء الحليب ·[١]

ويقيم الزوجان عَلَى ان يملك كل منهما ماله من اثاث البيت ورياشه ان كان هنالك مايقال له اثاث ورياش ولا يجوز لهما ان يشتركا في شيء من انواع القنيات ومتى توفي الزوج الرجل يسترد ذوو قرباه ما كان له في الدار من مال ومتاع اما اذا سبقت المرأة زوجها الى الموت فلا يكتفي اهلها بأخذ مالها في البيت فقط بل هم يضطرون الزوج الى اعطاء هدية ذات قيمة لتكون عزاء وسلواناً لهم عَلَى فقد ابنتهم ·

ومتى فاجأ الحامل المخاض يدخلها بعض النسوة العجائز الحاضرات غرفة خاصة وبعد ولادتها يغسلن الطفل بالماء الفاتر ويرششن عَلَى جسمه مسحوق شجر الارز ثم يضعونه في سلة عَلَى شكل سرر الاطفال ويعلقونها في دعامة البيت الخشبية او غصن من اغصان الشجر وهذه السلال او السرر مصنوعة بحيث يتسنى للام ان تحملها عَلَى ظهرها اثناء مشيها ·

ويخرج الطفل من سريره مرتين في اليوم عَلَى الاكثر لاخذ افرازاته وتبقى هذه السلة عشاً له الى ان يدرك حد الفطام والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ومتى اتمنهما يدرج الطفل من عشه او سجنه وتذهب الام في ذلك السرير الى جهة نائية من الحرج فتعلقه في احد الاغصان تقدمه الى الملك الموكل بحفظ ذلك الوليد طول حياته ·

وهنالك بدعة سيئة يجري عليها بعض الشعوب في اطفالهم · فهم يلفعون رؤوسهم عقب اليوم الثالث من ولادتهم بعمامة من قشور الشجر وهذه العادة القبيحة التي تغير من شكل عظم الرأس وتهصره وتشوه الخلقة هي في عرفهم علامة خاصة بالنبلاء · ثم يتلو ذلك التلفيع يوم خاص يجتمع فيه لفيف الأسرة او يقيمون حفلة حافلة بتسمية اسم الوليد وبعدها تبدأ دروس التربية الجسمانية وبعد انقضاء السنة الرابعة عن ولادة الصبيان يجهزون عليهم بالضرب بعصي رفيعة صباح كل يوم صيفاً كان اوشتاء ربيعاً كان اوخريفاً ليزيدوا حس جلودهم عَلَى زعمهم وفوق ذلك فهم يرغمونهم عَلَى الاغتسال بالماء البارد في الانهار الجارية ·

ومتى بلغوا العاشرة من حياتهم يدفعونهم من اكواخهم الى الخارج حفاة عراة ليقضوا

(١) عربنا هذا التشبيه بعينه عن الاصل ·

ليلهم نياماً يفترشون الغبراء و يلتحفون السماء او انهم يمضونه وايديهم قيد ماء الجليد عَلَى ضفاف البحيرات ولا يجوز لهم رفعها الا بعد ان تشرق الشمس عليهم فتحل عقال هؤلاء المحكوم عليهم بظلم العقول السخيفة ٠

وعندما يأزف زمان تكاثر الاسماك في المياه و تطفو عليها طبقات من السمك المنتن يبعثون بأولادهم تحت جنح الليل ليستنشقوا تلك الروائح الكريهة و يعتادوها و يمارسوا الفروسية تحت رعاية ملك الحفظ ٠

اما من حيث المعتقد فأنهم بعيدون جداً عن الاعتراف بآله قادر وقائلون بتعدد الارواح التي ملأت السهل والجبل وفي رأيهم ان لكل منهم عملا خاصاً به حتى ان الجماوات والشجر والحجر وآلات الصيد وكل مايقع عليه نظرهم في هذا الكائن الهائل من جماد ونبات وحيوان له ملك موكل به ولذلك تراهم ابداً مشتغلين بالمراسم والعبادات ليرضوا هذه الآلهة الكثيرة و ينعموا بالاً في هذه الحياة الدنيا ٠

مثال ذلك ان افراد الشعوب التي تقتات من الصيد لايتيسر لها اكل لحم الوعل الذي يصيدونه بهناء بل انهم يحتفظون بالدماء والامعاء لئلا تقع تحت يد وحش ضار فيأكلها وذلك لاعتقادهم ان الملك الموكل بذلك يطلع بقية الوعول عَلَى جلية الامر و يريهم النقص الذي حصل من الصائدين في سبيل احترام رفيقهم فلا يعودون يجودون بأنفسهم ليصطادوها بل يلجؤون الى الجبال التي تناطح السحاب و يشكل عَلَى المقلين في العناية بهم امر الصيد ٠

ثم انهم عندما يأتون بصيد الوعل الى بيوتهم لايجوزون به الابواب التي وطئتها اقدام النساء وفي عرفهم ان ظباء النساء وظباء الوعل اعداء متشاكسون ٠

وعندما يزمع احدهم صيد الدب الابيض يطلب الى روح ذلك الحيوان ان تتمثل امامه كحيوان مستسلم ولاتمسه بسوء فان ساعده الحظ ووفق الى صيده يدهن وجهه عَلَى « وجه الانسان » بألوان مختلفة علامة شكره عَلَى نجاحه و يبدأ بتلاوة قصيدة رثاء يمدح فيها خلال الفقيد العزيز وسجاياه الغر (!)

ومن غريب عاداتهم في مباشرة طعام لحم الدب انهم يبدأون برأسه على ان يكون وجوه حاضري الوليمة مصبوغاً بالألوان وان يعلق عظم رأس الدب في اعلى غصن من شجرة باسقة بحيث يراه ابناء جلدته عزيز الجانب رفيع الجناب في الحياة و بعد الممات ٠ يقولون و بعد هذا لا يأنف الحيوان مقابلة الصيادين والتعرض لاسنة حرابهم اواخشابهم ٠

ولا يقتصر هذا الاحترام عَلَى نوع الدب فقط بل يكاد يكون عاماً في جميع الحيوانات . وعند ما يتجاذب الاهلون حديث الصيد ويخصون بالذكر الحيوان الذي يبغون قتله او صيده بالفخاخ يمازج حديثهم الحشمة والادب فيخفتون من اصواتهم لئلا يقرع مسامع الارواح الموكلة بتلك الحيوانات كما انه يكون منسجماً متناسقاً كقولهم : « رفاقنا . لعل اولياء نعمتنا يتكرمون علينا برؤية احدهم فيكون نصيبنا منهم وعلاً اوغزالاً او دبّاً الى غير ذلك »

ولو اكتفوا بهذه التعاليم والتقاليد في الحيوان فقط لكان لهم فيه بعض العذر ولكنهم شملوا بها الفاكهة ايضاً فحالما يبادرون بجني الثمار يكون لديهم راهب او ساحر يتلو عليهم جهاراً دعاء يليق بالمقام ويرضى به الملائكة الموكلة لتتم البركة ويحصل الخير . وبينما الراهب يتلو الادعية والاذكار يقف زعماء الشعب وفي ايديهم العصي يراقبون اعمال الشبان حتى اذا مارأوا احداً فتح عينيه قبل ختام الدعاء اوسعوه ضرباً ولكماً .

عَلَى ان كل ما ذكر لا يعادل الحفلات التي يقيمونها عند حلول موسم صيد نوع من السمك فعند ما تقع سمكة في يد الصياد في اول الموسم يرفعها على ساعدين لانه محظور عليه ان تمسها يده فيأتي بها بكل وقار الى رئيس الرهبان الذي يتقبلها منه بقبول حسن و يرفعها الى مكان خص بها وهيئ لها من غصون الصنوبر .

ثم يقترح عَلَى شيخ جليل من الحضور تكون له الوجاهة والرجاحة في قومه ان يصف حول السمكة العصي التي تشير كل منها الى اسرة من البيوت الكريمة بحسب درجاتها ثم يتناول الراهب الرئيس العصي واحدة بعد واحدة و يمس بها مسبح السمكة الامامي الذي يعتدونه يدها اليمنى ويخاطبها بقوله : لي الشرف ان اقدم لكريم مقامك الأسرة الفلانية التي حضرت الى رحابك الواسع واطلب اليك ان تسمحي لها بان تكون موطئ قدمك الى غير ذلك من ضروب الاطراء وصنوف المديح . وبعد اتمام هذه المراسم يضع السمكة في قدر جديد ويسلقونها على النار بين النشيد والترتيل ثم توزع بين زعماء القوم وتليها الاسماك التي تشرفت بالعيد بعدها وتطبخ هذه ايضاً ثم تعطى الى من لم يكن حرم عليه اكل السمك شرعاً .

لرؤساء الدين عند هذه الطوائف شأن كبير لانهم يعتقدون فيهم انهم وسطاء بينهم وبين الملائكة او الارواح الموكلة وتنتقل الرهبنة من الآباء الى الابناء وتتعاطى هؤلاء الرهبان بعض مواد تخدر الجسم في حين يعنون كل العناية بالاعتكاف والانقطاع

عن الناس فيكون فيهم من وراء ذلك شيء من الجمود والسكينة ·

ومما يدعو الى الانتباه الانصاب القائمة في مداخل البلدان وقبالة البيوت وقد زعم المكتشفون من الروس انها تماثيل تعبد والحقيقة انهذه شارات خاصة لكل أسرة منها شارة فمنها ما يكون كالطير ومنها مايكون كالسمك واشباههما من الحيوان على ان هذه تخدم في تفريق البيوت بعضها عن بعض لانها كلها مبنية عَلَى نسق واحد لايمكن التمييز بينها الا بمميزات خاصة وهذه التماثيل تفي بالغرض المقصود · ولهم نوع من السحرة يطببون المرضى ولكن بأخراج الارواح الشريرة منهم لا بالعلاج النافع الذي لايعرفونه · ثم هم يدعون ان كل أسرة منهم من نسل احد الارواح الموكلة و يعتقدون ان لهم صلة بالسماء كالصينيين ابناء ماء السماء ولله في خلقه شؤون

حيفا عبد الله مخلص

قانون الجمعيات

الفصل الاول

المادة الاولى — الجمعية هي الهيئة المؤلفة من اشخاص عديدين غايتهم توحيد معارفهم اومساعيهم دون ان يقصدوا اقتسام الربح

المادة الثانية — لاتضطر الجمعية الى نيل الرخصة قبل تأليفها الا انها يقضى عليها عقيب تأسيسها اخبار الحكومة طبقاً للمادة السادسة ·

المادة الثالثة — لايجوز تأليف الجمعيات المستندة عَلَى اساس غير مشروع مغاير لاحكام القوانين والآداب العامة او مخل بالامن في المملكة وتمام ملكية الدولة وتغيير شكل الحكومة الحاضرة والتفريق سياسة بين العناصر العثمانية المختلفة ·

المادة الرابعة — محظور تأليف جمعيات سياسية اساسها وعنوانها القومية والجنسية

المادة الخامسة — يشترط في اعضاء الجمعيات ان لاتكون سنهم اقل من عشرين غير محكوم عليهم بجناية او محرومين من الحقوق المدنية ·

المادة السادسة — ممنوع كل المنع تأليف الجمعيات السرية · فاذا أنشئت جمعية تقدم بياناً في الاستانة لنظارة الداخلية وفي الولايات لاكبر موظف ملكي يوقع عليه مؤسسو الجمعية ويختمونه فيبينون فيه عنوان الجمعية ومقصدها ومركز ادارتها واسماء

المكلفين بادارتها وصفتهم ومحل اقامتهم · و يعطى علم وخبر مقابل هـذا البيان · و يربط بالبيان المذكور نسختان عَلَى نظام الجمعية الاساسي المصدق عليهما بطابع (ختم) الجمعية الرسمي ·

و بعد اخذ العلم والخبر يعلن المؤسسون الكيفية عَلَى ان الجمعيات مضطرة ان تخبر الحكومة حالا بالتعديلات والتبديلات التي تجريها سواء في نظامها الاساسي او في هيئة الادارة ومحال الاقامة وهذه التعديلات والتبدلات يعمل بها من يوم اخبار الحكومة ونقيد في سجل خاص يبرز في كل وقت تطلبه العدلية والملكية ·

المادة السابعة — لمركز كل جمعية مجلس ادارة يؤلف من شخصين عَلَى الاقل واذا كان للجمعية فروع يجب ان يكون لكل واحد منها مجلس ادارة مربوط بالمركز و يشترط عَلَى المجالس ان يكون لها اولا سجل تبين فيه هوية الاعضاء وتاريخ دخولهم ثانياً سجل للقررات والمفاوضات والتبليغات ثالثاً سجل فيه مقدار دخل الجمعية ونفقاتها بانواعها ومفرداتها وتبرز هذه السجلات للملكية والعدلية في اي وقت تطلبانها

المادة الثامنة — كل جمعية تعطي بياناً بموجب المادة السادسة تكون بالواسطة مدعية ومدعى عليها في المحاكم كما هو مبين في المادة التاسعة ولها الحق بان تتصرف وتدير ماعدا الاعانات التي تكلف بها الدولة اولا الحصص النقدية التي يعطيها اعضاؤها على ان لاتتجاوز سنويًا الاربع والعشرين ليرة ثانيًا المحل المخصص لاجتماع اعضاء الجمعية وادارتها ثالثًا الاموال الغير المنقولة اللازمة للوصول الى المقصد الذي اتخذته وفقًا لنظامها الخاص · ومحظور عَلَى الجمعيات ان تتصرف بغير ذلك من العقارات

المادة التاسعة — تكون المراجعات والمطالبات باسم الجمعيات لمأموري الحكومة والمحاكم والمجالس الرسمية بعرائض عليها طوابع يوقع عليها الكتاب العموميون والمديرون بتوقيعهم وطابعهم الذاتي ولا تجري غير ذلك من الوسائط · وان امثال هؤلاء الاشخاص الذين يقومون بالمعاملات باسم الجمعية تبين هويتهم في نظام الجمعية الاساسي

المادة العاشرة — يمكن لاعضاء الجمعيات ان ينفصلوا عنها في اي وقت يريدون ولو اشترط في نظاماتها الاساسية عكس ذلك بعد ان يؤدوا ماعليهم من الحصص النقدية التي حان استيفاؤها وتختص بالسنة الحالية

المادة الحادية عشرة — محظور ادخال الاسلحة النارية والجارحة الى المكان الذي تجتمع فيه الجمعية كما انه يحظر حفظهـا فيه الا انه يمكن ان يوجد اسلحة بقدر

للزوم في الاندية المختصة بتعليم الصيد والقنص ولعب السيف عَلَى ان يكون للضابطة علم بذلك ٠

المادة الثانية عشرة — تمنع الحكومة كل جمعية لم تعط بياناً للحكومة ولم تخبر وتعلن عن نفسها حسب المادة الثانية والسادسة و يعاقب بالغرامة النقدية من خمس ليرات الى خمس وعشرين ليرة موءسسوها ومجلس ادارتها وصاحب محل اجتماعها ا ومستأجره عَلَى انه يحكم بجزاء آخر اذا كانت امثال هذه الجمعية موءلفة لمقصد مضر من المقاصد المسطورة في المادة الثالثة والمبينة في قانون الجزاء كما يقضي به القانون المذكور

المادة الثالثة عشرة — يوءخذ جزاء نقدي من ليرتين الى عشر ليرات من الذين يأتون اعمالاً تخالف باقي احكام المادة السادسة ماعدا الاخبار والاعلان واحكام المادة الرابعة والخامسة والسابعة والتاسعة ٠ و يغرم اعضاء الجمعيات التي تمنع بموجب المادة الثانية عشرة وتبقى مخالفة لهذا القانون اوتوءسس من جديد بالجزاء النقدي من عشر ليرات الى خمسين ليرة وبالسجن من شهرين الى سنة ويجازى بعين الجزاء من يعطون محالهم لاجتماع اعضاء جمعية منعت ٠

المادة الرابعة عشرة — اذا كان نظام الجمعية التي تحل برضا اعضائها واختيارهم او بموجب نظامها الداخلي اوتمنعها الحكومة صريحاً يعمل بموجبه بالاموال العائدة اليها والا تعامل على حسب ماتقرره هيئة الجمعية العمومية ٠

اما اذا كانت الجمعية قد منعت لتألفها لاحد الاسباب المضرة المبينة في المادة الثالثة فان الحكومة تأخذ اموالها و تضبطها

المادة الخامسة عشرة — الاندية هي من قبيل الجمعيات المدرجة في هذا الفصل ٠

المادة السادسة عشرة — الجمعيات الموجودة اليوم مضطرة ان تقدم بياناً وتعلن كما تقضي بذلك المادة الثانية والسادسة وان توفق معاملاتها عَلَى احكام باقي مواد هذا القانون خلال شهرين اعتباراً من اعلان هذا القانون ٠

الفصل الثاني

المادة السابعة عشرة — ان اعتبار الجمعية خادمة للمنافع العامة متوقف عَلَى تصديق الحكومة بقرار من شورى الدولة ٠

وهذه الجمعيات يمكنها القيام بالمعاملات الحقوقية كافة التي لاتمنع منها نظاماتها الاساسية ولا بد للاسهم والسندات التي تعود الى حاملها ان تقيد وتحول باسم الجمعية

ولايمكن للجمعية ان تقبل هبة او وصية الا باذن خاص من الحكومة وتباع اموال الهبة او الوصية الغير المنقولة اذا لم تنفع الجمعية في مقصدها و يصرح في قرار البيع بالمدة التي يجب ان تباع في خلالها و يسلم بدل العقار المباع الى صندوق الجمعية

المادة الثامنة عشرة — للضابطة حق تفتيش الجمعيات والاندية فتفتح هذه ابواب محال اجتماعها لمأموري الضابطة في كل وقت · يجب ان يكون مع موظفي الضابطة كي يثبتوا انهم دخلوا محال الاجتماع مستندين عَلَى لزوم حقيقي امر اواذن رسمي يضطرون الى ابرازه و يكون صادراً اليهم من ناظر الضابطة في الاستانة ومن اكبر مأمور ملكي او وكيله في الولايات

المادة التاسعة عشرة — عَلَى ناظري الداخلية والعدلية تنفيذ هذا القانون

في ٢٩ رجب سنة ١٣٢٧ وفي ١٣ آب سنة ١٣٢٥

سير العلم والاجتماع

سعة التأليف ومؤلفو الشيعة

كتبت رصيفتنا العرفان تتمة لما كتبناه في الجزء الاول من المقتبس الخامس في سعة التأليف في الاسلام وذكرت المكثرين من التأليف عند الشيعة فقالت : لم نجد بين رجال القرن الاول من له ثلاثون مصنفا لعدم انتشار التأليف آنئذ وغلبة الأمية ويكفي بان تثبت للشيعة مؤلفين عَلَى حين اذ لم يكن لغيرهم تأليف في ذلك القرن فقد الف امير المؤمنين علي عليه السلام صحيفة في الديات والف سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري في الاخبار والسير والف ابو الاسود الدؤلي في النحو والادب والف كثيرون غيرهم ممن يطول الشرح في تعدادهم

ومن المؤلفين المكثرين من رجال الشيعة في القرن الثاني لوط بن يحيي ابو مخنف المؤرخ المشهور الذي يروي عنه الطبري وغيره من المؤرخين قال النجاشي [1] له كتب كثيرة وعد منها نحو ثلاثين كتاباً كلها في التاريخ والسير

(١) هو احمد بن علي بن احمد بن العباس النجاشي الاسدي المتوفى سنه ٤٥٠ له عدة كتب منها كتابه هذا الذي ننقل عنه وهو مطبوع في الهند مرتب عَلَى حسب الطبقات ترتيباً حسنا وقد ذكر به رواة الشيعة من الصدر الاول الى زمانه وطريقته انه

وهشـام بن الحكم عـدد له النجاشي نحو ثلاثين كتاباً اكثرهـا في الكلام والفلسفة الالهية

ومن رجال الشيعة في القرن الثالث ابراهيم بن محمد الثقفي قال النجاشي له كتب كثيرة والتي اتصل بنا منها ثم عددها نحو اربعين كتاباً

والحسن بن موسى ابو محمد النوبختي قال النجاشي له على الاوائل ؟ كتب كثيرة منها كتاب الآراء والديانات وحجج طبيعية مستخرجة من كتب ارسطاطاليس في الرد على من زعم ان الفلك حي ناطق وكتاب في المرايا وجهة الرؤية فيها وعدد له نحو اربعين كتاباً

وسعد بن عبد الله ابو القاسم القمي عدد له ما ينيف عن ثلاثين كتاباً

وعبد العزيز بن يحيى الجلودي ذكر النجاشي كتبه في اربع صفحات وقد بلغت مائة واربعة وثمانين كتاباً في جملة فنون واغلبها تاريخ واخبار وفقه

وعلي بن محمد العدوي الشمشاطي قال النجاشي له كتب كثيرة عدد منها مايقرب من اربعين كتاباً ومما يلفت النظر منها كتاب الانوار والثمار قال النجاشي قال سلامة بن دكا ان هذا الكتاب الفان وخمسمائة ورقة يشتمل على ذكر ماقيل في الانوار والثمار من الشعر وكتاب النزه والابتهاج قال قال لي سلامة بن دكا انه نحو الفين وخمسمائة ورقة يذكر فيه آداباً واخباراً ومن جملة كتبه مختصر تاريخ الطبري واغلب كتبه ضخمة

والفضل بن شاذان ابو محمد الازدي النيسابوري قال النجاشي : ذكر الكجي انه صنف مائة وثمانين كتاباً وقع الينا منها وعدد نحو خمسين كتاباً

ومحمد بن اورمه ابو جعفر القمي قال النجاشي : ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو حتى دس عليه من يفتك به فوجدوه يصلي من اول الليل الى آخره فتوقفوا عنه وقد عدد له نحو ثلاثين كتاباً ومن العجيب ان بينها كتاباً في الرد على الغلاة وكل كتبه دينية

ومحمد بن جعفر بن احمد بن بطه المؤدب ابو جعفر القمي قال النجاشي : كبير المنزلة بقم كثير الادب والفضل والعلم يتساهل في الحديث ويعلق الاسانيد بالاجازات وفي

يذكر الرجل فيقول يروي عن فلان عن فلان الى ان يتصل بالامام ثم بالنبي وكذلك المؤلفات فانه يقول له كتب او كتاب يرويه فلان عن فلان وقد ذكر بكتابه هذا الفاً ومائتي رجل من رجال الشيعة وكل منهم له المؤلف والمؤلفات

فهرست مارواه غلط كثير وقد عدد له اكثر من خمسين كتاباً اكثر كتبه مسماة باسماء الاعداد فله كتاب الواحد والاثنين الى التسعة والاربعين

ومحمد بن احمد ابو الفضل الجعفي الكوفي المعروف بالصابوني عدد له النجاشي نحو سبعين كتاباً وقد كان زيديا فصار اثني عشريا

وهشام بن محمد السايب قال النجاشي : كان له كتب كثيرة وعدد منها خمسين كتاباً في الانساب والتاريخ والسير

و يونس بن عبد الرحمن قال النجاشي : وكانت له تصانيف كثيرة وعدد منها اكثر من ثلاثين كتاباً

ومن رجال الشيعة المشهورين في سعة التأليف في القرن الرابع احمد بن محمد بن دول القمي قال النجاشي : له مائة كتاب وعدد منها جانباً

وعلي بن احمد ابو قاسم قال النجاشي : كان يقول بانه من آل ابي طالب وغلا في آخر امره وفسد مذهبه وصنف كتباً كثيرة اكثرها على الفساد وقد عدد له نحو خمسين كتابا اغلبها ردود وبها رد على ارسطاطاليس وكتاب في تفسير القرآن وكتاب في النفس

ومحمد بن يعقوب الكليني عدد له النجاشي اربعين كتاباً وقال : صنف الكتاب الكبير المعروف بالكليني يسمى الكافي في عشرين سنة ومات سنة ٣٢٩ سنة تناثر النجوم

ومحمد بن احمد بن الجنيد الكاتب ابو علي الاسكافي عدد له النجاشي مايقرب من مائة وثمانين كتاباً كلها دينية فقه وسير وكلام

ومحمد بن بابويه القمي المشتهر بالشيخ الصدوق عدد له النجاشي نحو مائتي كتاب

وموسى بن الحسن ابو الحسن الاشعري القمي قال النجاشي : صنف ثلاثين كتابا وعدد منها اثني عشر كتابا

ومن المؤلفين في هذا القرن اسماعيل الصاحب بن عباد وابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني وهما وان لم تبلغ تآليف كل منهما الثلاثين فانها تناهز العشرين فضلاً عن تعدد مجلداتها وغزير فائدتها

ومن المكثرين من التأليف في القرن الخامس علي بن الحسين ابو القاسم السيد المرتضى الشهير فقد عدد له النجاشي اربعين كتابا و يقال بان له ثمانين كتاباً وهو صاحب امالي المرتضى الذي طبع في مصر

ومحمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد عدد له النجاشي نحو مائة وستين كتاباً

اما في القرن السادس فيوجد من الشيعة عدة مؤلفين بيد انهم غير مكثرين

ومن المكثرين من التأليف في القرن السابع السيد احمد ابن طاووس قال في الروضات [1] وصنف اثنين وثمانين كتابا في فنون من العلم وعد منها طرفاً صالحاً

والحسن بن المطهر الحلي المشهور بالعلامة عدد له صاحب الروضات سبعين مصنفاً ورأيت على حواشي بعض مصنفاته بأن له ثلاثمائة مصنف

والسيد علي بن طاووس عدد له صاحب الروضات نقلا عن كتب كثيرة اكثر من ثلاثين مصنفاً كل كتاب منها عدة مجلدات

ومحمد الخواجه نصير الدين الطوسي الحكيم المعروف عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتاباً في فنون مختلفة

ومن المكثرين من التأليف في القرن الثامن محمد بن معية الديباجي وهو وان لم يتجاوز ماعدد له صاحب الروضات خمسة عشر كتابا فهي تبلغ الستين مجلدا منها كتاب اخبار الامم فانه قال صاحب الروضات يخرج منه احد وعشرون مجلدا وكان يقدر اتمامه في مائة مجلد كل مجلد اربعمائة ورقة

ومحمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الاول فهو وان لم يذكر له صاحب امل الآمل الا نحو خمسة عشر كتابا فمن المشهور ان له تآليف جمة في فنون مختلفة جزيلة الفائدة

ومحمد بن مكرم الانصاري الافريقي صاحب كتاب لسان العرب المعجم المعروف له كتب كثيرة ويقال ان مختصراته خمسمائة مجلد

اما في القرن التاسع فلم نعثر على مؤلفين مكثرين بين رجال الشيعة وان كان يوجد بينهم عدة مؤلفين مقلين

وممن اشتهر في القرن العاشر بكثرة التأليف زين الدين الشهيد الثاني العاملي ثم الجبعي عدد له تلميذه العودي من المؤلفات المتنوعة ماينيف عن ستين مؤلفاً

وممن اكثر من التأليف في القرن الحادي عشر سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي عدد له صاحب الروضات نحو اربعين مصنفاً وبها الكتب التي وقعت في عشرة مجلدات

وصدر الدين محمد ابراهيم الشيرازي المشتهر بالملا صدرا عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتابا اكثرها في الحكمة الالهية

(١) هو كتاب روضات الجنات لمؤلفه محمد باقر الخوانساري من رجال القرن الثالث عشر جمع كتابه تراجم كثيرين من السنة والشيعة

ومحمد بن الحسن بن علي بن محمد المعروف بالشيخ الحر العاملي صاحب كتاب الوسائل في الحديث وامل الآمل في علماء جبل عامل في التراجم وقد ترجم نفسه به وعدد مصنفاته كما نقله صاحب الروضات فاذا هي تنيف عن اربعين كتابا ورسالة

ومن المؤلفين المكثرين في القرن الثاني عشر اسماعيل المازندراني قال صاحب الروضات بعد ان عدد له اربعة عشر كتاباً ورسالة الى غير ذلك من الرسائل والمؤلفات الكثيرة التي تبلغ نحوا من مائة وخمسين مؤلفا متينا في فنون شتى من العلوم والحكم والمعارف

ومحمد باقر المشهور بالمجلسي عدد له صاحب الروضات نحو خمسين مؤلفاً عربياً [1] وخمسين مؤلفاً فارسيا وبعد الفراغ من تعدادها قال : وعدد ابيات [2] جميع ماذكر من العربي والفارسي الف الف بيت واثنين واربعمائة الف بيت وسبعمائة واذا وزعت على ايام عمره التي هي ثلث وسبعون سنة من غير زيادة ولا نقصان يكون قسمة كل سنة تسعة عشر الف بيت ومائتين وخمسة عشر بيتاً وخمسة عشر حرفاً وهكذا بالترتيب اه

والسيد خلف عدد له صاحب الروضات نقلا عن امل الآمل وغيره من كتب التراجم نحو ثلاثين مؤلفاً

وسليمان البحراني عدد له صاحب الروضات اكثر من خمسين مؤلفا اكثرها رسائل

وعبد الله بن جمعة السماهيجي البحراني عدد له صاحب الروضات نقلا عن بعض اجازاته اكثر من ثلاثين كتاباً ورسالة

والسيد هاشم البحراني عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتاباً وفيها المجلدات الضخمة

ومن المكثرين من التأليف في القرن الثالث عشر من الشيعة الشيخ احمد الاحسائي [3] فقد قال صاحب الروضات بعد ماعدد له ثلاثين مؤلفا الى تمام مائة رسالة وكتاب

---

(١) اكثر مؤلفاته العربية جمعت في كتابه بحار الانوار الذي طبع في بلاد ايران فوقع في سبعة عشر مجلداً ضخما وقد حوى ماهب ودب وبه الغث والسمين

(٢) البيت عبارة عن خمسين حرفاً باصطلاحهم اي سطر واحد

(٣) هذا الرجل مبتدع مذهب الكشفية القائلين بالحلول والشيعة الاثنا عشرية تكفرهم وبه يقول الشاعر

لزين الدين احمد ضوء فضل ... به تجلى القلوب المدلهمة
يريد الحاسدون ليطفئوه ... ويأبى الله الا ان يتمه

ومحمد باقر البهبهاني قال صاحب الروضات نقلا عن صاحب المنتهى له ستون مؤلفاً ثم عدد اكثرها

وملا جعفر الاسترابادي عدد له صاحب الروضات نحو اربعين مؤلفا في علوم مختلفة اكثرها مجلدات ضخمة

وابو القاسم الميرزا القمي صاحب كتاب القوانين في الاصول عدد له صاحب الروضات عدة كتب كلها مجلدات ضخمة وقال وجد بخطه مايؤدي بانه كتب الف رسالة في مسائل مخصوصة من العلوم

ومحمد بن عبد النبي المعروف بميرزا محمد الاخباري (١) نقل صاحب الروضات بان له كتابا في الرجال ترجم به نفسه وعدد مؤلفاته وهي ثمانون مؤلفا في فنون عقلية ونقلية وشهودية وجلها اوكلها مجلدات كبيرة ومنها ماوقع في عدة مجلدات اه ·

مدرسة الاستقلال

ذكرت مجلة العلم الاجتماعي ان مدرسة ديروش في فرنسا احتفلت بمروز عشر سنين عَلَى تأسيسها فذكر رئيسها بهذه المناسبة ماقامت به المدرسة منذ انشائها في تربية العقول ونزع حب الاتكال من النفوس وتحبيب الاستقلال اليها قال ان هذه المدرسة انشأها اديمون ديمولانس (صاحب كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين) وغرضها ان تقصد الى القضاء عَلَى الاساليب والعادات المتبعة في المدارس الداخلية الفرنسوية فهي تعاكس الظلم الناشيء من التدريب المبالغ فيه وتقاوم انهاك القوى في عامة اشكاله وطريقة اتباع الخطط في الدروس ورخاوة التربية الطبيعية وقلة كفاية التربية الصحية وفقدان التربية العملية ونزع الاساليب المتبعة في تربية الاخلاق وتلقين الاديان · وقد ذكرت المجلة ان غاية ماتوخته هذه المدرسة ان توفق بين النمو العقلي في الطفل وعنيت ان تبين للاولاد لماذا يعلمون الشيء الفلاني وان تشوقهم الى تعلمه لحل المسألة الفلانية بحيث يهتمون بنتائجها وكان ممن تخرجوا في تلك المدرسة منذ سنة ١٩٠٥ ان تقدموا للمسابقة فاحرز قصب السبق منهم ٥٦ من ٦٧ وابانوا عن كفاءة مدهشة في المواد التي لاتسألهم عنها المدارس مثل الرياضات البدنية واللغات الحية والموسيقى والمعلومات العملية وتربية الاخلاق · واحسن ثمرات التعليم الاستقلالي انه لم يعمد

(١) الاخباريون الذين ينكرون تعلم علم الاصول ولا يعملون الا بالاخبار ولا يقسمونها الى الاقسام الاربعة بل يأخذونها عَلَى علاتها وهم من المبتدعين

الى البطالة فرد من المتخرجين على اسلوبه بل ان ٢٦ منهم دخلوا في التجارة والصرافة وكثيرون قصدوا البلاد الخارجية وثلاثة دخلوا المدارس التجارية و ١١ في الصناعة وقلما يرغب تلامذة هذه المدرسة في التوظف والاعمال الحرة بل يختارون الصناعات العلمية الحرة فلم يدخل منهم حتى الآن سوى واحد في معمعان السياسة وواحد آثر التوظف» .

مؤتمر العناصر

من اول مظاهر الاخاء بين البشر المؤتمر الذي سيعقد في لندرا في شهر تموز ١٩١١ فهو اول مؤتمر عام للعناصر يساعد على تبادل الاحترام بين عناصر الشرق والغرب وستتلى فيه مفكرات غربية يتلوها اناس من ارقى الرجال من اهل العالمين القديم والحديث وسيكون بينهم خمسة وعشرون رئيساً من مجالس النواب واربعون اسقفاً ومئة وثلاثون استاذاً في الحقوق الدولية وغير ذلك وسيكون لهذا المؤتمر شأن عظيم في مستقبل العناصر البيضاء وغيرها .

استعمار الاسلام

قالت مجلة الاقتصاد الدولية اننا قد ايقظنا اليابان والصين من سباتهما وها قد اصبحنا ولا سيما الاميركان منا نعض الانامل ندماً على ما قدمناه بين يدي تينك الامتين وقد اخذ المسلمون ينهضون وينتبهون ايضاً بحسب رأي المسيو لشاتليه (المقتبس م ٥ ص ٢٧٦) كما يفهم من الارقام التي اتى بها للدلالة على انتباه المسلمين قال ان الصحف الاسلامية تكون الرأي العام الاسلامي على ان تكون منافع الجمارك والاراضي والغابات والمعادن والنقل والاحتكارات والامتيازات وكل ثمرات الارض الاسلامية خاصة بالمسلمين يقول لسان حالها « الاسلام للمسلمين » وقد علقت المجلة على ما نقدم بهذه الجملة الغريبة وها كها بنصها معربة : اننا نعد انفسنا سعداء اذا اكتفى المؤمنون بهذا ولم يأتوا فيستعمروننا على الطريقة التي عمدنا اليها معهم .

ضعاف المدارك

نقلت مجلة الاقتصاديين الباريزية عن احدى المجلات الانكليزية مبحثاً لاحد اطباء انكلترا جاء فيه ان بين عامة الناس والبله الثابتة بلاهتهم في بريطانيا العظمى طبقة كبرى ضعيفة في مداركها وهي عالة على أسرها والمجتمع وعددها لا يقل عن خمسين الفاً قال ان ضعف العقل ارثي واصحابه يشتد غرامهم ويكثر اولادهم على حين يقل

اولاد الاذكياء وبذلك ينتج ضعف الاخلاق والعقل في المجتمع وذلك لان ضعاف العقول يأتون الجرائم والمفاسد اكثر من غيرهم وضعيفات العقل من البنات اقرب بنات جنسهن الى الاغواء . وقد حسبوا جميع سكان ورخوس فكان خمسهم او ربعهم ضعاف العقول فالواجب اذاً تقوية هذه المدارك الضئيلة والمدارس التي أقيمت لغرض تقوية الضعاف في عقولهم لم تثمر الثمرة المطلوبة لانه لم ينجح واحد في الخمسين ممن دخلوها لانها أنشئت عَلَى مبدإ مدارس اقوياء العقول اي عَلَى طريقة مدرسية صرفة لاشأن فيها للصناعات . قالت المجلة فان ادعى صاحب هذا النكر بان هـذا خطر عظيم عَلَى المجتمع أجيب بانه كان منذ كان البشر ولكنه لم يكن محسوساً كما هو الآن لان الملاجيء والاديار تؤوي امثال هؤلاء وكانوا من قبل مشتتين فالخطر وان كان واقعياً الا انه ليس بالدرجة التي يظنها الطبيب المشار اليه نعم ان الاولاد كلهم يصاغون صياغة واحدة من سن السادسة الى الثانية عشرة بمعنى انهم يتعلمون القراءة والكتابة وما تعلم القراءة والكتابة بالامر السهل كما يظهر بل هو من شاق الاعمال التي لا نقدرها حق قدرها فان المستخدم في احدى المكاتب يملي ثلاثين كلمة في الدقيقة اي مايعادل طوله خمسة امتار فتكون هذه الخطوط ثلثمائة متر في الساعة او الف كيلو متر في ثلثمائة يوم من ايام السنة وهي ايام العمل . ولاجل كتابة ١٣٠ كلمة يدور رأس القلم ٤٨٠ دورة في الدقيقة و٢٨٦٨٠٠ دورة في الساعة دع عنك مايتبع ذلك من التعاريج مما لا يقل طوله كله عن مئة الف كيلو متر في السنة ولولا العادة ماسهلت الكتابة وخففت من تعب الاعصاب وهذا هو العمل الذي يقضي عَلَى الاولاد ان يعملوه فهل يستغرب اذا رأينا بعضهم ينوؤن بهذا العبء الثقيل وان ماطلبه الطبيب لضعاف العقول من تعليمهم الصناعات هو احق به ان يطلب لجميع المتعلمين اذا اردنا ان يكون لهم عقل سليم في جسم سليم

تربية الحس

- كتب بول غولتيه من علماء التربية في فرنسا مقالة في نقص تربية الحس في مجلة التربية جاء فيها : لا ارى في التربية اكثر اهمالاً في العادة من تربية الحس فأنه متروك وشأنه ينمو كما يشاء وعَلَى النحو الذي يشاء فيأخذ بالاتفاق ذات اليمين او ذات الشمال في المدرسة والأسرة وترى الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات يعنون بما في جهدهم بتلقين العلوم ولا يلتفتون الى تربية القلب في حين ان الحس اصل القوى كلها ومبدأ كل حياة ولا اثر للذكاء والارادة بدونه عَلَى ماابان ذلك الفلاسفة المحدثون امثال ريبو

وفوليه وبرجسون . فالفكر الذي لايقتبس من حرارته عار عن القوة . فبه تعرف مطويات الضمائر وعناوين الامزجة وغاية الجهد بل هو الصورة المميزة لما في الافراد من مزايا الابداع . قال روسكين (من علماء الاجتماع الانكليز) : اننا نشكو من قلة الحس اكثر من كثرته فقلته ادت ببعض الارواح الى الابتذال فمن آثار قلته عادات واعمال تخالف الانسانية لاخوف يزعجها ولافرح ولاشرف ولاتقوى يهزها فاذا تثاقلت يد المرء في تعاطي العمل وجف قلبه وساءت عاداته وجمد فؤاده يصبح مبتذلاً عَلَى نسبة قلة عواطفه وسرعة ذكائه وجودة مأتاه ومنزعه فالعقل لايعرف غير الحق فهو الانسانية الربانية تستحكم من القلوب فتدرك الالهيات وصالح الاعمال .

فالحس يقرب بين الشخصيات ويسيطر عَلَى العواطف فيجمع الناس في افراحهم ويشركهم بعضهم مع بعض في اتراحهم بل هو السلسلة التي تربط كلاً منا بالعالم كله فهو الموزع الجوهري بين الشخصيات . والافكار والاعمال نتيجة لازمة عنه وهو كذلك الصلات بين الافكار . اذا نقص فلا شيء يحدو نحو الكمال بل ان الكمال يفقد جملة ويجف معين العلم والصناعات والفضائل ويتعذر العلو وتفقد العشرة وتنحل ربط الاجتماع فلا احسان ولاشفقة . اذا فقد الحس تضعف الارادة ويبقى العلم ظلا زائلا ويفنى الذكاء . ولطالما رأينا علماء وهم بله مغفلون لواستقريت احوالهم تجد لافرق بينهم وبين حمر الخلائق لان العلم لم يرق فيهم الحس الرقيق الذي يمكنهم من معرفة مالا يقع مباشرة تحت حواسهم وهو قلما يتعلم في كتاب فالحس من ثم هو الحد الفاصل بين ان يجعل الرجل في مصاف كبار الرجال او في طبقة ضعاف المغفلين

واذا حيد باستعداد الطفل عن الجادة منذ صغره لايلبث ان يكون استعداده مبعث كثير من المفاسد واصل جم من الخطايا يرسل باحسن مافيه من مائية الى الاغصان الشرهة الطفيلية فتهلك الاغصان النافعة وتقوى دواعي الهوى والشهوات فقد قال بول بورجه : « تكاد تكون معظم الامراض العصبية ناشئة من اضطراب العشق ومبدأ كل هذا الاضطراب من رداءة التدبير الصحي الاخلاقي زمان البلوغ » فمن الحس تنشأ المطالب العالية والمطالب الدنيئة وهذه القوة اوهذا الاساس في كل قوة سواء كان في الخير او في الشر ينبغي ان لايترك وشأنه في الولد عَلَى حين هو لدن رخص الى الغاية فاذا هذب عَلَى ما يجب يكون منه ابطال وقديسون والا فلا اقل من اهل حشمة ووقار

واكثر مايكون مربياً للحس بيت العائلة والتربية الاصلية هي التي تجعل الولد عَلَى استقامة لاينالها من تربية اخرى وفي حب الوالدة ولدها معنى من معاني الظرف تصحب المرء الى قبره ولكم كانت عناية الام اكبر مخرج للرجال الاعاظم حتى قالت العقيلة نيكر دي سوسور « ان الحنان هو الحرارة الضرورية لتنمية الجراثيم السعيدة »

والمدارس الداخلية مضرة وهي لصغار السن جريمة و يتضرر البنات وهن سيصبحن ملائكة البيت بدخولهن المدارس الداخلية اذ يبتعدن عن الأُسرة بل عن العالم و يفطم الولد من الحب ولايعرف غير جفاء النظام والعذاب المجرد وقلة مبالاة الادارة بامره. يتعذب ومامن احد يعني به عناية حقيقية او يعرف ذوقه وميوله ولايجد حوله من يبوح اليه بذات نفسه فهو وحيد محروم من الهواء، واحساسه يذبل ان لم نقل يفسد ولذلك كانت المدارس الداخلية في فرنسا لاتخلو من مفاسد تحتق الاخلاق. وقد انتبه الانكليز لذلك فلم يعودوا يرسلون بناتهم الى المدارس الداخلية بل يجعلونهن في بيوت معلماتهن فيعشن بعيدات عن اهلهن ولكن عيشة الظرف والعطف ويسهر معلماتهن عَلَى اخلاقهن و ينجون من ادارة تسير عَلَى هواها كادارة الحبس فالافضل اختيار البيت لتربية الاولاد فيه فليس كالأُسرة التي خرجنا منها وازع يحف طفولتنا بعنايته و يعلمنا الظرف واللطف والطهارة التي كتب فيها رينان الفيلسوف يقول: « اين يتعلم الطفل اوالفتى الطهر وصفاء السريرة اللذين هما اساس كل ادب راسخ و يدرك زهرة العواطف التي تكون ذات يوم بهجة للمرء ودقة الفكر التي هي ذات اشكال لاتدرك بالتصور؟ أيتعلمها في الكتب وفي الدروس التي تلقى عَلَى مسامعه فيصغي اليها اوفي رسائل يستظهرها؟ كلا انه لايتعلمها في شيء من ذلك بل يتعلم في الهواء الذي يعيش فيه والمحيط الاجتماعي الذي يصير اليه يتعلمها بحياته في أُسرته ليس الا. »

فالحنان الآخذ بعنان الأُسرة بمافيه من الانتباه والحب هو الذي يربي حس الطفل من نفسه بعيداً عن قلة الاهتمام والعدوى والحسد بعيداً منذ نعومة اظفاره عما يعبث به. ويجب ان لايدفع الاولاد للخدامين والخدامات فانهم يفسدونهم بضعف عقولهم وقلة عنايتهم حتى ان ولداً في الثالثة عشرة اصبح ابله بصنع خادمة ارادت تسكينه فوضعته في غرفة وأقفلت عليه الباب بضع دقائق حتى اذا فتحت الغرفة وجدته متشنجاً وقد عولج الولد فشفي الا انه بقي ابله طول حياته. فصح فينا ماقاله بلوتارك في القديم: «من الغريب اننا نرى الواحدمنا يستخدم خادماً له في حرث ارضه وآخر لتنظيم داره وغيره

لادارة نفقته فاذا كان له خادم سكير لايستطيع عملا يعهد اليه بتربية ولده » ونحن كم عندنا من معلم ومعلمة خانهم الدهر فعمدوا الى اتخاذ التعليم حرفة وهم ليسوا عَلَى شيء من الاخلاق التي تطلب منهم لتربية خلق المتعلم فيرث الاولاد بهم نقائصهم واحياناً مفاسدهم بل يقتبسون دناءة النفس فيتجردون عن المطالب العالية النضيجة قبل ان يبلغوا السن اللازمة ٠

ولذلك وجب عَلَى الوالدين ان لايتخلوا لاحد عن ملاحظة اولادهم ففي الطفولية يتولون ذلك بانفسهم واثناء الدراسة يشرفون اشرافاً عليهم ولا يدفعونهم الا لمعلمين اكفاء عَلَى ان دلال الولد وملاطفته عَلَى الدوام قلما تنشئ رجالاً او نساء احرياء بالاعتبار لان رخاوة الحس عَلَى هذه الصورة تبعد بالولد عن تحمل المكاره والافراط بالعناية به تعده الى ان لايتوقع الا الدلال فالشاب يتطلب من الزوجة رفيقة لا أُماً والشابة تنتظر ان تكون لعبة لا ملكاً ٠ وهذه العيوب تلحق الولد الوحيد في الغالب لان والديه يبالغان في دلاله ٠

واضر مايكون عَلَى الطفل الاغراق في قضاء رغائبه واعطاؤه من اللعب مالاتشتد حاجته اليه بل يكون من شأنه ان يعوده الاسراف والبذخ وخير من ذلك ان يعود الولد الحرمان والتقشف لان الشدة القليلة في التربية تدعو المربى الى الشجاعة ٠ عرف الاسبارطيون ذلك حق المعرفة وهذا هو السبب في ان الانكليز مازالوا محافظين عَلَى انواع الرياضات العنيفة وضرب السياط في المدرسة ٠ لاجرم ان ذلك يمنع رقة القلب الكاذبة و يبعد من التأنث مما هو من العيوب حتى في النساء ٠

و ينبغي ان لانكتم شيئاً عن الاولاد يطلبون السؤال عنه واذا كان ثمت مالايسوغ لهم ابداؤه نعدهم بان نفصح عنه بعد حين فالجهل فيها ليس من الخير في شيء لان الجهل خطر كل حين وقد كتب المسيو نيكولاي يقول : « ان الاخلاق عبارة عن تعلم مجاهدة الشر لاان يعقد الامل الخيالي بان يكبر الولد في سذاجة تامة في حين هو يعيش في الهواء الفاسد الذي نستنشقه »

فلتربية الحس القوي الذي يقاوم الصدمات يجب ان نجملها تمس الحياة عند بداءة ظهورها والمدرسة مفيدة بهذا الباب لان الاخلاق تتحاك فيها ولابأس بان يغادر الولد البيت و يسيح في الخارج فان ذلك مما يقوي فيه الارادة و يشد عزمه على العيش في الهواء الطلق في هذه الحياة

يجب ان يكون الحس نظام فقد كان علماء التربية حتى الآن يعتبرون الصناعات واسطة للتسلية لا نتيجة لها او الاعيب صبيان وهي في الحقيقة احسن تعويذة لان في مكنتها ان تجعل ابداً في الاحساس مساوقة ونظاماً وتحيله الى ادب غض اذا صح ان الاعتدال هو القصد لا في المأكل والمشرب بل في الفكر والعواطف هو اساس كل فضيلة فقد قال روسكين : ان معرفة الجميل هو الطريق الحقيقي بل هو الدرجة الاولى لمعرفة حقيقة الاشياء الجميلة فان الحياة والسرور بالجمال في عالم المادة هما من القسم الدائمة المقدسة في اعمال الخالق كما الفضيلة في عالم الافكار ·

فمن الواجب كل الوجوب ان يجعل شعور الطفل منذ نعومة اظفاره يحتك بالجمال بوجه عام والفنون بوجه خاص وذلك لا في كتب يدرسها بل فيما يحيط به ويحف حوله وان يوقى النظر الى البشع كما يوقى النظر الى ماينافي الادب

يجب ان لا ينشأ الطفل و يتطلع حواليه الا و يجد الجمال في المسكن والجمال في المناظر فمن سيئات التمدن الحديث ان حرم ابناءه السكنى في بيوت وسط الغابات والاشجار وجعل مساكنهم متصلة بعضها ببعض بحيث لا تفتح النافذة الا لترى واجهة البناء المحاذي لك ولا يفتح الطفل عينه الا على ما هو منحط وبشع على حين يسهل ان نزين مسكننا فليس الجمال هو البذخ بل ان النظافة والنظام المدقق وانتقاء الاثاث والزهور و بعض النفائس والاعلاق في البيت تكفي في حمل الجمال الى مساكننا ولان تفتح لحياتنا اليومية على الدوام باباً يطل على عالم الخيال· والواجب ان يعنى بلباس الطفل على ماينبغي على اسلوب لا ينافي الاقتصاد ولا الظرف · نحن لا نقول كما يقول الفيلسوف كارلايل ان اللباس يوجد النفس الانسانية بل نقول بانه يرتبها و ينظمها · وعليه فالاحسن ان ينظر ايضاً في اختيار اللعب للطفل حتى لا يكون مما تتقزز منه النفس والاولى ان يعهد بصنع العاب الاطفال الى اناس من ارباب الذوق والتفنن على ما كانت عليه الحال في القرن السابع عشر والثامن عشر · ويجب ان لا تحرم المدرسة من مظاهر الجمال لان الطفل يقضي فيها شطراً مهماً من اوقاته واذ كان معظم الوالدين لا يستطيعون ان يجعلوا لاولادهم بيوتاً في الخلاء فالاجدر بالمدارس الثانوية ان تقيم مدارسها في الضواحي ليتيسر للاولاد ان يعودوا في المساء ليبيتوا في دور آبائهم · فقد كتب روسو ان البشر لم يخلقوا ليتجمعوا كما يتجمع النمل في التربة بل لينتشروا في الارض التي يحرثونها فنفس الانسان قتال لاخوانه · وهذه حقيقة لا مجاز والمدن هوة الجنس البشري

فعليك ان تبعث باولاد يجددون حياتهم بانفسهم و ينشطون قواهم وسط الحقول و يستعيضون عن تلك القوى التي يضيعونها في الهواء القذر من الاماكن المأهولة كثيراً ٠

وهكذا يجب ان تكون المدارس الابتدائية في القرى والمدن في اماكن يتخللها الهواء والنور وان يستعاض عن الأدهان التي تطلى بها جدر المدارس بالسواد عادة بالوان زاهية تزيل الوحشة عن قلب الطفل فيستفيد من ذلك عقله وقلبه ٠ واحر بان تكون جدران المدرسة مزينة بجاميع نفيسة ومفروشة حجرها احسن فرش بحيث يكون الجمال عن ايمان الطفل وشماله وقدامه ووراءه ومن اجل هذا اختار بعض علماء التربية ان يربى الاطفال في حدائق خاصة بهم لينشأوا عَلَى التأمل في الكون والنظر في اسراره وبدائعه فالسماء تتعلم بالنظر فيها ولكنها لاتفيدنا بقدر مانتعلم من الصغر من التأمل في عظمتها

يقتضي ان يُطلع الطفل منذ صغره عَلَى ابدع مانقشه النقاشون وصاغه الصائغون وبناه البناؤون وان نبتعد عن تدريسه تاريخ الصناعة لانه لا يفهم منه شيئاً فيدخل الملل الى قلبه بل الاولى ان نشرح له الجمال فقط ونشعره بوجوده ٠ فعلم الطفل ان يكون هو متفنناً لاان يتخذ الصناعات النفيسة حرفة له بل يجب ان يعلم اللازم منها حتى لايكون كما قال روسكين اكثر خجلاً اذا لم يحسن الغناء مما اذا كان لايعرف القراءة والكتابة لانه من الممكن كل الامكان ان يعيش المرء عيشة سعيدة ظريفة بدون كتاب ولاحبر ولكن قلما يتأتى ان لاتميل النفس الى الغناء اذا كان في يوم سعده ٠ ولقد رأى اليونان هذا الرأي فكانوا يزعمون بان في تعليم الطفل الغناء يمدونه طول حياته بزاد ثمين من الحكمة والسرور دع عنك ان الغناء بالاشتراك مع الاصحاب هو آكد الطرق الى تعلم التضامن ٠ ثم انه من النافع تعويد الطفل ان يرسم بقلم الرصاص اوالمنقش الاشكال والالوان الطبيعية فيتعلم بها المارسة اللازمة للصناعات النفيسة و يعتاد النظام والتدقيق الذي يقود عواطفه بالطبع الى التنسيق والذوق فاذا ربي الحس عَلَى هذا الطرز يستعد للتخلق بالفضائل بتقوية الارادة و بدونها لايتأتى قيام شيء في عالم الفضيلة لان الارادة لاتوجد الميول والرغائب تتخير منها وهذا الميل ناشيء مثل كثير من الميول عن الحس الذي يعمل كل العمل فمن اللازم اللازب تقوية ميول الطفل الحسنة بتثقيف ارادته بدون ان يشعر

القدوة هي المربية في هذا الباب فهي تتسلط عَلَى الرجال فما اجدرها ان تكون كذلك للاولاد يسيرون في اعمالهم بسيرتها و ينهجون عَلَى الدهر نهجها فقد ذكروا ان فتاة اخذت في الشهر الخامس عشر من عمرها تقلد اباهـا في تقطيب حاجبه وتعتاد عاداته في الغضب ولهجته في رفع صوته ثم تعلمت الفاظه في قلة الصبر والغضب وهكذا اصبحت تردد افعال ابيها كلها بعد السنة الثالثة . وقانون القدوة الذي هو عمل من اعمال الاقتداء والمحيط يعمل عمله في الحس كما يعمل في الذكاء فقد قال مونتسكيو : « من العادة ان يعلم الاب اولاده مايعلم كما ان من العادة ان يورثهم شهواته »

ولذا كان على الوالدين ان يراقبوا انفسهم في كل مايصدر عنهما بين أُسرتهما وامام اولادهما و يبتعدا عن كل ما شأنه ان يحدث في الولد تأثيراً سيئاً في الافعال او الاقول . ونرى الناس لايبالون ان يأتوا امام الطفل مايفسده في فعاله ومقاله و يعلمه المفاسد كلها قبل ان يعرف ماهيتها . فالغضب وكلمات الكبر والعجب واللذات الشهوانية والوقيعة والكذب تعرض كل يوم امام عيني الطفل واذنيه فتشوه حسه وتفسد نفسه ويعتذر الابوان بان ابنهما لايفهم مايأتيان امامه وهو يدرك العيوب التي تمثل امامه على هذه الصورة و يتوهم بان الواجب يقضي بذلك و يوشك ان يسوء نظره على الدهر

و ياسعد من لم يره ابواه لانهما في الاكثر يدللانه دلالاً يفسده فلا ينتهرانه لتربية نفسه خوفاً من بكائه او ان يفقدوا ابتسامة موقتة فتسوء تربية الطفل والطفلة بصنع ابويهما وانالتهما كل رغائبهما وماذا يظنه الولد في نفسه متى رأى حواليه اناساً عَلَى اهبة تامة لسماع مايقوله والاعجاب به وتدليله واستحسان كل مايصدر من فمه و يصفقون تصفيق السرور لكل مايقوله مما يخالف الادب . فلو كان رجلا لما وسع عقله كل هذا التصفيق والاستحسان فما بالك به وهو طفل .

ومن الناس من يسيرون على عكس هذه الخطة فينا كدون الطفل في اقواله وافعاله و يغضبونه في عامة احواله و يعلمونه الحسد بما يستعملونه معه من ضروب التهديد الشديد الدائم الذي يروقهم تكراره وهذا من مفاسد التربية ايضاً .

فعلى الوالدين ان يباعدا عن الطفل ما يرتكبه من المضرات في تربيته فلا يشتدان عليه ولا يرخيان له العنان بل تكون تربيتهما الى القصد فلا يمنعانه من لذائذه بكل مايطلب و يجيبانه من رغائبه الى كل مايشتهي فقد قيل من يحب كثيراً يعاقب كثيراً فتأديب الطفل من اهم فروض الوالدين واكبر مظهر من مظاهر عنايتهما . والاولاد

كالام يعزون الصرامة ولا يحبون الا ما يحترمون · كل هذا بدون ان يخلوا ساعة من سرور ابنهما حتى يعيش و يكون بحليه سرورا طول حياته

قلنا ان الوالدين ينبغي ان يكونا خير قدوة لابنهما فهو لايتأثر بالفضيلة الا اذا رآها ماثلة بالفعل امامه منذ نعومة اظفاره. وكم من اناس لايتطالون الى هذه الغاية لانهم عاشوا في وسط غير متمدن ومنهم من يحفظون حطة نفس ينم عليها تبذل اخلاقهم ومعلوم ان لهذه تأثيراً في القلب وهكذا الحال في كل الفضائل فاذا شاهدها الطفل اليوم بعد الآخر يتشربها وتطمح نفسه الى ان يأتيها بذاته · فمن ابوين حرين ينشأ طفل مخلص ومن اب محتشم يكون الولد عفيفاً ومن اسرة طاهرة يخلق الولد نقياً نقياً · فالعدوى في هذا الباب اشد فعلاً في الطفل من قانون الوراثة وان للحركات والسكنات افعالا في خلقة الطفل وخلقه ولذلك وجب ان تصدر عن النفس دائمة لا متقطعة.

وكما يقضي عَلَى الابوين ان يكونا خير قدوة لابنهما يجب عليهما ان يبذرا في نفسه البذور الصالحة وذلك بان ينميا فيه حب الذات اوالاعجاب باحسن مافيه فليس احسن في التربية من ان يشعر المربى من نفسه بخجل عما اتاه فليس الاولى البعد عن مكافحة حب الذات بل المناسب تنميته عَلَى النحو اللائق وتسييره الى وجهة الكمال فمن دواعي التربية وضع الثقة في نفس من تربيه فالاديان تدعو منتحليها الى الايمان فمن الضروري كما يقول بعض علماء الاخلاق ان يؤمن المرء بقوته الخاصة بمعزل عن معونة خارجية فاقل شك يطرأ علينا يبتلينا بالعقم و ينضب مادتنا ويحول دون انبجاس ارادتنا القوية

وكما تحافظ على حرمة الولد عليك ان تربيه عَلَى حرمة غيره وان تعرفه بها بان تضرب على العرق الحساس فيه فاذا احببت ان تلقنه معنى الاحسان فاعرض عليه مصائب الناس وقارنها بما يشعر به من هذا القبيل · و يغلط الوالدان اللذان يخفيان عن ابنهما شقاء هما كأنه رذيلة من الرذائل مع ان الفقر احسن مدرسة لتعليم الطفل الذي ولد في الرفاهية حتى لايعتبرها بانها واجبة اومضمونة وتنبه فيه الشعور بالشفقة · فمن النافع ان يعرف منذ طفوليته ان من الناس من خانهم سوء الطالع ليعتاد التحنن عليهم والاسراع الى اغاثتهم

ويحتاج في تربية الحس ليأتي بثمرات جنية الى ان توقد جذوته بالتحميس ليعمل الاعمال العظيمة فالواجب ان يلقن الطفل بين العاشرة والحادية عشرة من سنه الولوع بغاية سامية ارقى مما يقع تحت نظره كل يوم و بذلك تتغذى روحه وينتفع بما لديه من القوى والمواد · وخير ماينفع في هذا الشأن النظر في انواع التعليم كالعلوم وتاريخ

الفنون والآداب فالتعليم اعظم مهماز يربي ميول الطفل ويعده لان يكون من كبار الرجال ويربأ به عن الانغماس في حمأة المصالح المبتذلة . فالتعليم لا يقوم بوظيفته اذا لم يكن فيه مايوسع معارفنا بل يوقد شعلتها بتوجيهها نحو الحق والجمال والخير واساس ذلك التحمس في الانسان

ولا يكتفى في تعلم تاريخ الصناعات والآداب بعرضها وتحليلها بل الواجب ان يعلمها الطفل في اللوحات والهياكل والمصانع والشعر والقصص والخطب فهي لا تأخذ مكاناً من قلبه ويتحمس بها الا بذلك . يعرض عليه ذلك بالعمل ويشرحه للعلم فالتعليم الادبي والصناعي مهما بلغ من غنائه لا يتيسر تلقينه بدون قطع تشرح السر فيه كالتشريح لا يستفيد منه المتعلم اذا لم تكن امامه جثة . فعلينا ان نبتعد عن التحليلات التي لا مستند لها من الحقيقة لانها بقطع النظر عما فيها من الضرر اللاحق بالذهن تعود المرء على العمل بالفارغ وهي خالية من تأثير في الحس فمن واجب الاستاذ ان يطلع تلميذه على مقاصد المؤلفين ويشرح لهم عواطفهم على صورة تتمثل فيها الحياة والشعور وتبعث في روحه احتذاء مثالهم وبذلك لا يكون من تعليم الفنون والآداب فتح السبل التي يفيض منها حس المتعلم بل ان حسه اذا تجمع على هذا النحو تزيد قوته وصفاؤه وتنبع منه ينابيع لا تجف طول الحياة.

يقول بعضهم ان التربية العلمية الصرفة تجعل الذوق قاحلا ولكن ربما كان العلم يتطلب قوة في التحمس كما تتطلب الفنون والآداب من الصانع والكاتب فالبحث عن الحقيقة يستدعي اخلاصاً شديداً كالنظر في الجمال . والمرء كما يقول باسكال اقل سكراً باستحصال تركيب الطبيعة وما فيه من اللانهاية منه في ايجاد شيء من تصوره . فالذين يصرفون حياتهم في البحث ليسوا اقل قوة ممن يخترعون افكاراً من نفوسهم.

قال كلود برنارد : « ان الرغبة الشديدة في المعرفة هي الباعث الوحيد الذي يجذب الباحث ويعضده في اعماله وهذه المعرفة هي التي يراها تفر امامه على الدوام وتكون في الوقت نفسه عذابه الوحيد وسعادته الوحيدة فمن لا يعرف كيف يقاسي المرء العذاب من اجل الحصول على مجهول لا يعرف الافراح التي تصيبه عند اكتشاف الجديد وهي افراح لا يدانيها شيء في العالم » للحقيقة كما للجمال بهاء وجلال ولذلك كم فائدة تكون للحس ولارتقاء العلوم في المستقبل ان يكشف عنها القناع امام اعين من يعلمهم الا انه

يجب لاشراك التلامذة في البحث ان تكرر لهم تلك الحقائق ويطلب منهم ان يبحثوا بانفسهم وان يوفر لهم قسطهم من السرور باكتشافها فيطلعون عَلَى مقدمات العلوم والاكتشافات العظيمة ويشوقهم الى احتذاء مثال من جاهدوا جهاد الابطال امام قوى الطبيعة حتى تبطنوا اسرارها فاذا حمي وطيس البحث ينشأ فيهم حب الغاية المنشودة كما ان من يبدأ باللعب ويكون ضعيفًا لاول امره لا يلبث ان تنبعث له همته ويزيد لبلوغ الغاية غرامه . وهذا يستدعي لتعليم الآداب ان يجمل التلميذ مع اتصال بالحقيقة والطبيعة التي هي ميدان درس العالم بدلا من حصره في مآزق تبعث نفسه عَلَى المقس والتأفف في حين كان يجب ان تذكي فيها شعلة حب العلم فقد قال الفيلسوف رنان : « اننا نشبه بالقديسين والابطال وكبار الرجال في كل عصر وجيل اهل الاخلاق العلية الذين وقفوا انفسهم خاصة للبحث عن الحقيقة غير مبالين بالمال بل ربما فاخروا بفقرهم وبسموا لما يقدم اليهم من التكريم وتساوى في نظرهم المدح والقدح وهم عَلَى ثقة فيما يعملون سعداء لان لهم الحقيقة » ولاسبيل الى نشر ماتعبت به عقول نوابغ الارض في العلم والآداب والصناعات الا عَلَى ايدي اساتذة جهابذة وبغير ذلك لا يرتقي الحس .

والتعليم الديني نافع جداً في تربية الحس فقد قال جبرائيل كومباري : « باعد عن الجنس البشري الاعتقاد بعالم اخروي ارقى مما هو فيه فانك تسلبه بطبيعة الحال جزءاً من القوى اللازمة للتخلق بالفضيله فاذا لم يكن هذا العالم الاخلاقي واسعاً يضيع فيه صوت الانسانية في الفراغ بدون ادنى قوة عاملة تضمن للعدل نصرة ابدية فالانسانية معرضة للسقوط في حياة سافلة لاستهوائها وافتتانها بالمفاسد ومايتسرب اليها من مغريات الملاذ المادية » وسواء علم الناس التعليم الديني او لم يعلموه فمن الثابت ان الخرافات تقوى بضعف الاديان ولقلة العناية بفهم الدين ولكنه لا يضمحل فالواجب تلقين الطفل لباب الدين لا الحشو ولا اللغو ليشب عَلَى المعقول والتشبث باذيال الجوهر بعيداً عن التعصب وصغر العقل فقد قال فكتور هوغو : « ان ما يخفف الالم ويغرس التقوى والقوة والعقل والصبر والطهر والحرية في الانسان هو ان ينظر عَلَى الدوام الى عالم احسن مما هو فيه يلمع من خلال ظلمات هذه الحياة »

المقتبس

الدرر الكامنة

ليس احسن من تراجم الرجال للوقوف على حال السياسة والاجتماع في عصر من العصور ففي جملة ماطبع من كتب التراجم والطبقات كتاب خلاصة الاثر في تراجم اهل القرن الحادي عشر للمحبي المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي المتوفى سنة ١٢٣٣ ولم تطبع تراجم اعيان القرن الثامن والتاسع والعاشر وان كان مثل السبكي في طبقاته والصلاح الكتبي في وفياته قد تعرضا لبعض المترجمين في الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لحافظ عصره قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني الاصل المصري والضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ وان لم يدركا من الرجال من جاء بعد ممن ذكرهم صاحب الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة النجم الغزي المتوفى سنة ١٠٦١ .

وها نحن نتكلم على « الدرر الكامنة » وسنعقبه في الجزئين التاليين بالكلام على الضوء اللامع والكواكب السائرة .

جاء في كشف الظنون : الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لشهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة مجلد ضخم اوله الحمد لله الذي يحيي ويميت الخ جمع فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الاعيان مرتباً على الحروف ذكر في آخره انه فرغ منه في شهور سنة ٨٣٠ ثلاثين وثمانمائة ولم يكمل الغرض لبقايا من التراجم في الزوايا ثم اختصره جلال الدين السيوطي في مجلد ولابن المبرد ايضاً مختصره

اما الكتاب الذي نحن بصدده فمنه في دمشق مخطوط [1] قديم بخط ابراهيم البقاعي مهمل غير معجم وتعسر في الاحايين قراءته وهو في مجلد ضخم من القطع الكبير قال في مقدمته : « اما بعد فهذا تعليق مفيد جمعت فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية من ابتداء سنة احدى وسبعمائة الى آخر سنة ثماني مائة من الاعيان والعلماء والملوك والامراء والكتاب والوزراء والادباء والشعراء وعنيت فيه برواة الحديث النبوي فذكرت من اطلعت عَلَي حاله واشرت الى بعض مروياته اذ الكثير منهم شيوخ شيوخي وبعضهم ادركته ولم القه وبعضهم لقيته ولم اسمع منه وبعضهم سمعت منه وقد استمددت في هذا الكتاب من اعيان العصر لابي الصفا الصفدي ومجاني العصر لشيخ شيوخنا ابي حيان وذهبة العصر لشهاب الدين ابن فضل الله وتاريخ مصر لشيخ شيوخنا الحافظ قطب الدين الحلبي وذيل سير النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي وذيل ذيل المرآة للحافظ علم الدين البرزالي والوفيات للعلامة تقي الدين ابن رافع والذيل عليه للعلامة شهاب الدين ابن حجى وماجمعه صاحبنا تقي الدين المقريزي في اخبار الديار المصرية وخططها ومعاجم كثير من شيوخنا والوفيات للحافظ ابي الحسين بن اسد الدمياطي والذيل عليه لشيخنا الحافظ ابي الفضل بن الحسين العراقي وتاريخ غرناطة للعلامة لسان الدين ابن الخطيب والتاريخ للقاضي ولي الدين ابن خلدون المالكي الى غير ذلك وبالله الكريم عوني واياه اسأل عن الخطإ صوني انه قريب مجيب . »

وهذا المجلد في ٢٦٧ ورقة مرتب عَلَي حروف المعجم يميل فيه المؤلف الى الاختصار وفيه من تراجم المشاهير ترجمة ابي جعفر ابن الزبير والشهاب الاذرعي وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن فضل الله العمري وعماد الدين ابن كثير وابن الوردي وابن الشهاب محمود وابن المطهر الشيعي والصلاح الصفدي والعلائي والطوفي وابن خطيب داريا وابن عقيل وابن القيم وبرهان الدين القيراطي وابن هشام وابن رجب وابن جماعة والتاج السبكي والاردبيلي والتقي السبكي والسلطان محمود غازان والحافظ البرزالي وابن الاكفاني والحافظ الذهبي وشيخ الربوة ولسان الدين ابن الخطيب والخطيب القزويني والكمال ابن الزملكاني وابن دقيق العيد والبدر البلقيني وابن الوكيل وابن سيد الناس وابن نباتة وابن الحاج وابن المكرم والشمس القونوي وابو حيان الاندلسي وقطب الدين الشيرازي والبارزي والحافظ المزي وغيرهم ممن كانوا غرة ذاك القرن

(١) في خزانة كتب الشيخ اسمعيل الميداني من بيت علم مذكور في دمشق

كما ان فيه من الخاملين ممن لا تسقط لهم على تراجم ولو مختصرة الا في هذا السفر ومن اعظم ما يلفت نظرك في هذا الكتاب روح التعصب التي كانت مستحوذة في ذاك العصر ايام كان يقتل كل من يخالف الجمهور في فكر او مذهب فتقرأ فيه صورة مكبرة من حال ذاك القرن الذي استولت فيه على هذه البلاد الجراكسة والتتار ممن اصبحوا ألعوبة في ايدي المتعصبة من رجال الدين وهاك ما قاله في ترجمة اسمعيل بن سعيد الكردي المقري المصري « تفقه وتمهر في القراآت والفقه والعربية وكان طلق العبارة سريع الجواب حسن التلاوة يدري الحاوي والحاجبية ويحفظ الكثير من التوراة والانجيل رمي بالزندقة بسبب انه كان كثير الهزل وحفظت منه كلمات قبيحة حتى صار يقال له اسمعيل الكافر واسمعيل الزنديق وطلب الى تقي الدين الاخناي وادعي عليه بخلط في كلامه فسجن فجاءه شخص من الصالحين فاخبره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له قل : للاخناي يضرب رقبة اسمعيل فانه سب اخي لوطاً فاستدعى به واعد مجلساً وأقيمت عليه البينة بامور معضلة فامر به فقتل بحكم المالكي ابن القصرين في السادس والعشرين من صفر سنة عشرين وسبعمائة نقلته من خط القطب وذكر انه حضر ذلك وقال كان قد نظر في المنطق فدخل في كلام لا فائدة فيه فضبط عليه . وقرأت في تاريخ موسى بن محمد اليوسفي انه كان مشهوراً بالعلم بين الفقهاء وله فضيلة مشهور في الادب » قلنا واقبح بعصر يقتل فيه العالم عقيب رؤيا يراها احد ارباب الخيال .

وممن ضربوا عَلَى الزندقة « ناصر بن ابي الفضل بن اسمعيل المقري الصالحي ولد سنة ٦٦٦ ونشأ جميلا جداً وكان صوته مطرباً فكان يقرأ في الختم والترب وحفظ التنبيه ثم صحب الباجربقي علي فصار يقع منه كلمات معضلة وسلك سبيل التزهد ودخل الى بغداد مع ركب العراق فيقال انهم نقموا عليه شيئاً وهموا به فتوجه الى ماردين ثم فر منها الى حلب فجرى عَلَى عادته في الشطح فانكر عليه كمال الدين بن الزملكاني وهو يومئذ قاضي حلب فقبض عليه وارسله مقيداً الى دمشق فقامت عليه البينة عند القاضي شرف الدين المالكي فاعذر اليه فما ابدى عذراً بل تشهد وصلى ركعتين وجهر بتلاوة القرآن ثم ضربت عنقه وذلك في ربيع الاول سنة ٧٢٦ ويقال انه انشد حين قدم ليقتل

ان كان سفك دمي أقصى مرادهم فما غلت نظرة منهم بسفك دمي

وقال ابن حبيب قلت فيه لما قتل

يا ايها الهيتي هيت الى الردى كم تجتري بلسان خب هالك

ارسلت من حلب لجلق موثقا ونقلت بعد الشافعي لمالك

وفي الحاشية بخط ابن حيان البقاعي : قال ابن كثير ضربت عنقه بسوق الخيل عَلَى كفره واستهتاره بآيات الله وشركه وصحبته الزنادقة كالنجم ابن خلكان والشمس محمد الباجربقي وابن العمار البغدادي قال الشيخ علم الدين : وحضر قتله العلماء والاكابر وارباب الدولة وكان يوماً مشهوداً اعز الله فيه الاسلام (!) واذل فيه الزنادقة واهل البدع وقد شهدت مهلكه وكان شيخنا ابن تيمية ايضاً حاضراً يومئذ وقد أنبه وقرعه عَلَى ما كان يصدر منه اه .»

وقال في ترجمة السكاكيني مانصه : « محمد ابن ابي بكر بن ابي القاسم الهمداني ثم الدمشقي السكاكيني الشيعي ولد سنة ٦٣٥ بدمشق طلب الحديث وتأدب وسمع وهو شاب ابن اسمعيل العراقي والرشيد بن المسلمة ومحمد بن علام في آخرين وتلا بالسبع روى عنه البرزالي والذهبي وآخرون من آخرهم ابو بكر بن المحب وبالاجازة شيخنا برهان الدين التنوخي . وأقعد في صناعة السكاكين عند شيخ رافضي فأفسد عقيدته فاخذ عن جماعة من الامامية وله نظم وقصائد ورد عَلَى العفيف التلمساني في الاتحاد واماً بقرية جسرين مدة وامّ بالمدينة النبوية عند اميرها منصور بن جماز (؟) ولم يحفظ عنه سب في الصحابة بل له نظم في فضائلهم الا انه كان يناظر عَلَى القدر وينكر الجبر وعنده تعبد وسعة علم قال ابن تيمية : هو ممن يتسنن به الشيعي ويتشيع به السني . وقال الذهبي : كان حلو المجالسة ذكياً عالماً فيه اعتزال وينطوي عَلَى دين واسلام وتعبد سمعنا منه وكان صديقاً لابي وكان ينكر الجبر ويناظر على القدر ويقال انه رجع في آخر عمره ونسخ صحيح البخاري ووجد بعد موته بمدة في سنة خمسين وسبعمائة بخط يشبه خطه كتاب يسمى الطرائف في معرفة الطوائف يتضمن الطعن عَلَى دين الاسلام واورد فيه احاديث مشكلة وتكلم عَلَى متونها تكلم عارف لما يقول الا ان واضع الكتاب يدل عَلَى زندقة فيه وقال في آخره وكتبه مصنفه عبدالحميد بن داود المصري وشهد جماعة من اهل دمشق انه خطه فاخذه تقي الدين السبكي عنده وقطعه في الليل وغسله بالماء ونسب اليه عماد الدين ابن كثير الابيات التي اولها

ايامعشر الاسلام ذمي دينكم الابيات ومات السكاكيني في صفر سنة ٧٢١ » وفي الحاشية وجزم ابن كثير ان الكتاب الدال عَلَى الزندقة خطه وقال : ان فيه انتصاراً لليهود واهل الاديان الفاسدة قال ولما مات لم يشهد دفنه القاضي شمس الدين بن مسلم ودفن

بسفح قاسيون وقتل ابنه فيما بعد على قذف أمهات المؤمنين عائشة وغيرهـا رضي الله عنهما .

وتراجم مثل السكاكيني تؤخذ عن امثال الحافظ الذهبي وكفاه فضلا ان مثل الذهبي والبرزالي يعدان من مفاخرها الاخذ عنه وآثار التعصب والحقيقة لاتخفى عَلَى من قرأ العبارة الاخيرة . وقال في ترجمة « علي بن الحسن بن ابي الفضل بن جعفر بن محمد ابن كثير الحلبي الرافضي قدم دمشق واقام بها سنوات فاتفق انه شق الصفوف والناس في صلاة جنازة بالجامع الاموي وهو يعلن بسب من ظلم آل محمد فنهره عماد الدين بن كثير وأغرى به العامة وقال ان هذا يسب الصحابة فحملوه الى القاضي تقي الدين السبكي فاعترف بسب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فعقدوا له مجلساً فحكم نائب المالكي بضرب عنقه تعزيراً وزجراً بعد ان كررت عليه التوبة ثلاثة ايام فاصر فضربت عنقه بسوق الخيل وحرق العوام جسده وذلك في جمادى الاولى سنة سبعمائة وخمس وخمسين » .

ومن انعم النظر في تراجم من قتلوا يتضح له انهم كانوا عَلَى جانب عظيم من العقل والعلم وان اكثر ماروي عنهم متقول عليهم ليجدوا السبيل الى اقناع العامة والحكام لازهاق ارواحهم

وفي الدرر عدة تراجم من هذا القبيل تدل عَلَى انحطاط في ذاك العصر وان الناس كانوا يعمدون للتشفي ممن يحبون الى استفتاء القاضي المالكي لان مذهب مالك يقضي بان يكون التعزير بالقتل او بالحبس والتشهير كما وقع لاحمد بن محمد مري البعلي الحنبلي من اشياع ابن تيمية فرفعوا امره الى القاضي المالكي بالقاهرة « فضرب به ضرباً مبرحاً بحضرته حتى ادماه ثم شهره عَلَى حمار اركبه مقلوباً ثم نودي عليه هذا جزاء من يتكلم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكادت العامة تقتله ثم اعيد الى السجن »

ومثل ماوقع لاحمد بن محمد البقفي المصري الاديب العالم فضربوا عنقه بامر القاضي المالكي بالطبع لانه بدت منه كما قيل امور تنبئ بانه مستهزئ بامور الديانة وانه منحل مستحل المحرمات

ومثل ماوقع لاحمد بن محمد بن اسمعيل الحلبي الاديب المتصوف فضبطت عليه الفاظ موبقة فرفع امره الى الحاكم بحلب فحكم القاضي المالكي صدر الدين الدميري بسفك دمه فقتل وهو القائل

اذا نلت المنى بصديق صدق   فكان وداده وفق المراد

فحاذر ان تعامله بقرض فان القرض مقراض الوداد

ومثله اسمعيل الكردي واحمد الرومي وعثمان الدكالي وفضل الله ابن اليهودي ومحمد الباجريقي وعلي بن الحسن الرافضي وغيرهم ممن ذهبوا شهداء قضاة المالكية والمتعصبة من العامة وبعضهم كانوا في مظهر علماء وهم الذين اوصلوا الامة الى هذه الدرجة من الافكار والتصور .

ومن الغريب انهم كانوا يخوفون حتى من كان على رأيهم من الفقهاء والعلماء فقد ذكر ابن حجر في ترجمة العلاء ابن العطار ان الشيخ شمس الدين النقيب وغيره تكلم في فتاوى تصدر من ابي الحسن بن العطار وادعوا ان فيها تخبيطاً ومخالفة لمذهب القاضي واجتمعوا عند بعض الحكام فبادر جماعة من محبي الشيخ علاء الدين فقالوا له انهم هيأوا شهادات يشهدون عليك بها تخارت قوته وبادر الى الحنفي وصدرت علية دعوى فحكم باسلامه وحقن دمه وبقاء جهاته عليه !!!

وها نحن اولاء ننقل ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية لانها تصور لك مزية هذا الكتاب وهي خير ترجمة عثرنا عليها بل تصور لك ذاك العصر الذي كثر فيه تعذيب العلماء قال ابن حجر رحمه الله : « احمد [1] بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله ابن ابي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين ابو العباس بن شهاب الدين ابن مجدالدين ولد سنة ٦٦١ وتحول به ابوه من حران سنة ٦٧ فسمع من ابن ابي عبد الدائم والقاسم الاربلي والمسلم ابن علان وابن ابي عمر والفخر في آخرين وقرأ بنفسه ونسخ سنن ابي داود وحصل الاجزاء ونظر في الرجال والعلل وتفقه وتمهر وتميز وتقدم وصنف ودرس وافتى وفاق الاقران وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

واول ما انكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الاول سنة ٦٩٨ قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحموية [2] وبحثوا معه ومنع من الكلام ثم حضر مع القاضي امام

---

(١) ساعدنا صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي على استخراج بعض مبهمات وقعت في خط البقاعي والتعليق عليها فنشكر فضله

(٢) المقتبس : طبعت في مصر ضمن الرسائل الثانية والعشرين ومعها رسالة له في اجوبته عما اعترض به عليه

الدين القزويني فانتصر له وقال هو واخوه جلال الدين : من قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً عزرناه

ثم طلب ثاني مرة في سنة خمس وسبعمائة الى مصر فتعصب عليه بيبرس الجاشنكير وانتصر له سلار [١] ثم آل امره الى ان حبس في خزانة البنود مدة ثم نقل في صفر سنة تسع الى الاسكندرية ثم أفرج عنه ، وأعيد الى القاهرة ثم أعيد الى الاسكندرية

ثم حضر الناصر من الكرك فاطلقه ووصل الى دمشق في آخر سنة ٧١٢ وكان السبب في هذه المحنة ان مرسوم السلطان ورد على النائب بامتحانه في معتقده لما وقع اليه من امور تنكر في ذلك فعقد له مجلس في سابع رجب فسئل عن عقيدته فاملى منها شيئاً ثم احضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فقرئ منها وبحثوا في مواضع ثم اجتمعوا في ثاني عشره وقرروا الصفي الهندي يبحث معه ثم أخروه وقدموا الكمال الزملكاني ثم انفصل الامر على انه أشهد على نفسه انه شافعي المعتقد (كذا) فاشاع اتباعه انه انتصر فغضب خصومه ورفعوا واحداً من اتباع ابن تيمية الى الجلال القزويني نائب الحكم بالعادلية فعزره وكذا فعل الحنفي باثنين منهم

ثم في ثاني عشرين رجب قرأ المزي فصلاً من كتاب افعال العباد [٢] للبخاري في الجامع فسمعه بعض الشافعية فغضب وقال : نحن المقصودون بهذا ورفعوه الى القاضي الشافعي فامر بحبسه فبلغ ابن تيمية فتوجه الى الحبس فاخرجه بيده فبلغ القاضي فطلع الى القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب فاشتط ابن تيمية على القاضي لكون نائبه جلال الدين آذى اصحابه في غيبة النائب فامر النائب من ينادي : ان من تكلم في العقائد فعل به كذا . وقصد بذلك تسكين الفتنة

ثم عقد له مجلس في سلخ رجب وجرى فيه بين ابن الزملكاني وابن الوكيل مباحثة فقال : ابن الزملكاني لابن الوكيل ماجرى على الشافعية قليل حتى تكون انت رئيسهم . فظن القاضي نجم الدين ابن صصرى انه عناه فعزل نفسه وقام فاعاده الامراء وولاه النائب وحكم الحنفي بصحة الولاية ونفذها المالكي فرجع الى منزله وعلم ان الولاية لم تصح فصمم على العزل فرسم النائب لنوائبه بالمباشرة الى ان يرد امر السلطان

(١) سلار كان اكبر نواب الملك الناصر وكان في الدولتين الصالحية والظاهرية اي اكبر الوزراء و يقال ان دخله في كل يوم مائة الف درهم

(٢) طبع في الهند في مجموع فيه اربعة كتب

ثم وصل بريدي في اواخر شعبان بعوده ثم وصل بريدي في خامس رمضان بطلب القاضي والشيخ وان ارسلوا بصورة ماجرى للشيخ في سنة ٦٩٨ ثم وصل مملوك النائب واخبر ان الجاشنكير والقاضي المالكي قد قاما في الانكار على الشيخ وان الامر اشتد بمصر عَلَي الحنابلة حتى صفع بعضهم ثم توجه القاضي والشيخ الى القاهرة ومعهما جماعة فوصلا في العشر الاخير من رمضان وعقد مجلس في ثالث عشريه بعد صلاة الجمعة فادعي على ابن تيمية عند المالكي فقال : هذا عدوي ولم يجب عن الدعوى فكرر عليه فاصر فحكم المالكي بحبسه فأقيم من المجلس وحبس في برج ثم بلغ المالكي ان الناس تتردد اليه فقال : يجب التضييق عليه ان لم يقتل والا فقد ثبت كفره [1] فنقلوه ليلة عيد الفطر الى الجب وعاد القاضي الشافعي عَلَي ولايته ونودي بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الحنابلة . فنودي بذلك وقرئ المرسوم قرأه ابن الشهاب محمود في الجامع ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها واشهدوا على انفسهم انهم على معتقد الامام الشافعي (؟)

(١) في محاكمة الاحمدين ومازال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يبتلون في الله تعالى و يصبرون وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون واهل الخير في الامم السالفة يقتلون ويحرقون و ينشر احدهم بالمنشار وهو ثابت عَلَي دينه وقد سم ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسم الحسن وقتل الحسين وابن الزبير وصلب حبيب بن عدي وقتل الحجاج عبد الرحمن ابن ابي ليلي وسعيد بن جبير وغيرهما وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد الرحمن بن ابي ليلي ضربه الحجاج اربعمائة سوط ثم قتله وسعيد ابن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شات والبس جبة صوف وخبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد مائة سوط وذلك انه حدث عن النبي صلى الله عليه تعالى عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا فكان عمر اذا قيل له ابشر قال : كيف بخبيب عَلَي الطريق وابو عمرو بن العلاء ضربه بنو امية خمسمائة سوط والامام موسى الكاظم سجنه هرون حتى مات والامام ابو حنيفة توفي في السجن بعد ان ضرب وقيل انه جرع سماً والامام مالك بن انس ضربه المنصور ايضاً سبعين سوطاً في يمين المكره وكان يقول لا يلزمه اليمين والامام احمد امتحن وسجن وضرب في ايام بني العباس وللشيخ ابن تيمية في هؤلاء الائمة أسوة .

وذكر ولد الشيخ جمال الدين ابن الظاهري في كتاب كتبه لبعض معارفه بدمشق ان جميع من بمصر من القضاة والشيوخ والفقراء والعلماء والعوام يحطون على ابن تيمية الا الحنفي فانه يتعصب له والا الشافعي فانه ساكت عنه وكان من اعظم القائمين عليه الشيخ نصر المنبجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن العربي فكتب اليه كتاباً يعاتبه عَلَى ذلك فما اعجبه لكونه بالغ في الحط عَلَى ابن العربي وتكفيره فصار هو يحط على ابن تيمية ويغري به بيبرس الجاشنكير . وكان بيبرس يفرط في محبة نصر ويعظمه

وقام القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية مع الشيخ نصر وبالغ في أذية الحنابلة . واتفق ان قاضي الحنابلة شرف الدين الحراني كان قليل البضاعة في العلم فبادر الى اجابتهم في المعتقد واستملوه خطه بذلك واتفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين ابن الحريري انتصر لابن تيمية وكتب في حقه محضراً بالثناء عليه بالعلم والفهم وكتب منه بخطه ثلاثة عشر سطراً من جملتها انه : « منذ ثلثمائة سنة ما رأى الناس مثله » فبلغ ذلك ابن مخلوف فسعى في عزل ابن الحريري فعزل وقرر عوضه شمس الدين الاذرعي ثم لم يلبث الاذرعي ان عزل في السنة المقبلة وتعصب سلار لابن تيمية واحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وتكلم معهم في اخراجه فاتفقوا عَلَى انهم يشترطون معه شروطاً وان يرجع عن بعض العقيدة فارسلوا اليه مرات فامتنع من الحضور اليهم واستمر

ولم يزل ابن تيمية في الجب الى ان شفع فيه مهنا امير آل فضل فأُخرج في ربيع الاول في الثالث والعشرين منه وأُحضر الى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء وكتب عليه محضر بانه قال : انا أشعري ثم وجد[1] خطه بما نصه : الذي اعتقد ان القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديم وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وان قوله الرحمن عَلَى العرش استوى ليس عَلَى ظاهره ولا اعلم كنه المراد بل لا يعلمه الا الله والقول في النزول كالقول في الاستواء وكتبه احمد بن تيمية

ثم اشهدوا عليه انه تاب مما ينافي ذلك مختاراً وذلك في خامس عشرين ربيع الاول

(١) المقتبس : في هذه الوجادة نظر لان ابن تيمية قد ملأ الدنيا بفتاويه وهو في محبسه التي تخالف مايقوله خصومه كما يعلمه من راجع فتاويه المصرية التي طبع منها ثلاث مجلدات

سنة سبع وسبعمائة وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم وسكن الحال وأفرج عنه وسكن القاهرة .

ثم اجتمع جمع من الصوفية عند تاج الدين ابن عطاء فطلعوا في العشر الاوسط من شوال الى القلعة وشكوا ابن تيمية انه يتكلم في حق مشايخ الطريق وانه قال لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم فاقتضى الحال ان أمر بالمسير الى الشام فتوجه عَلَى خيل البريد وكل ذلك والقاضي زين الدين ابن مخلوف مشتغل بنفسه بالمرض وقد اشرف عَلَى الموت وبلغه سفر ابن تيمية فراسل النائب فرده من بلبيس وادعى عليه عند ابن جماعة وشهد عليه شرف الدين ابن الصابوني وقيل ابن علاء الدين القونوي ايضاً شهد عليه فاعتقل بسجن حارة الديلم في ثامن عشر شوال الى سلخ صفر سنة تسع وسبعمائة فنقل عنه ان جماعة يترددون اليه وانه يتكلم في نحو ما تقدم فامر بنقله الى الاسكندرية فنقل اليها في سلخ صفر وكان سفره صحبة امير مقدم ولم يمكن احداً من جهته من السفر معه وحبس ببرج شرقي ثم توجه اليه بعض اصحابه فلم يمنعوا منه فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة وكان موضعه فسيحاً فصار الناس يدخلون اليه ويقرؤون عليه ويبحثون معه ، قرأت ذلك في تاريخ البرزالي فلم يزل الى ان عاد الناصر الى السلطنة فشفع فيه عنده فامر باحضاره فاجتمع به في ١٨ شوال سنة تسع فاكرمه وجمع القضاة واصلح بينه وبين القاضي المالكي فاشترط المالكي ان لا يعود فقال له السلطان : قد تاب ، وسكن بالقاهرة وتردد الناس اليه الى ان توجه صحبة الناصر الى الشام بنية الغزاة في سنة ١٢ وذلك في شوال فوصل دمشق في مستهل ذي القعدة فكانت مدة غيبته عنها اكثر من سبع سنين وتلقاه جمع كثير فرحاً بمقدمه وكانت والدته اذ ذاك في قيد الحياة .

ثم قاموا عليه في شهر رمضان سنة ١٩ بسبب مسألة الطلاق واكد عليه المنع من الفتيا ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة عشرين ثم حبس بالقلعة ثم أخرج في عاشوراء سنة احدى وعشرين ثم قاموا عليه مرة اخرى في شعبان سنة ٢٦ بسبب مسألة الزيارة واعتقل بالقلعة فلم يزل بها الى ان مات في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨

قال الصلاح الصفدي : كان كثيراً ما ينشدني :

تموت النفوس باوصابها ولم يدر عوادها ما بها
وما انصفت مهجة تشتكي أذاها الى غير احبابها

وكان ينشد كثيراً :

من لم يقد و يدسْ في خيشومه رهج الخميس فلن يعود خميسا

وأنشد له على لسان الفقراء :

والله مافقرنا اختيار وانما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى واكلنا ماله عيار
تسمع منا اذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

وسرد اسماء تصانيفه في ثلاثة اوراق كبار واورد فيه من امداح اهل عصره كابن الزملكاني قبل ان ينحرف عنه وكأبي حيان كذلك وغيرهما قال ورثاه محمود بن علي الدقوقي ومجير الدين الخياط وصفي الدين عبد المؤمن البغدادي وجمال الدين ابن الاثير وتقي الدين محمد بن سليمان الجعبري وعلاء الدين ابن غانم وشهاب الدين ابن فضل الله وزين الدين ابن الوردي وجمع جم واورد لنفسه فيه مرثية عَلَى قافية الضاد المعجمة

قال الذهبي ماملخصه : كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه قال : وما رأيت اسرع انتزاعاً للآيات الدالة عَلَى المسألة التي يوردها منه ولااشد استحضاراً للمتون وعزوها منه كأن السنة نصب عينيه وعَلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه واما اصول الديانة ومعرفة احوال المخالفين فكان لايشق غباره فيه هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلثمائة مجلد بل اكثر وكان قوالاً بالحق لاتأخذه في الله لومة لائم

قال : ومن خالطه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني الى التغالي فيه ٠ وقد أُوذيت من الفريقين من اصحابه واضداده وكان ابيض اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمة أُذنيه كأن عينيه لسانان ناطقان ٠ ربعة من الرجال بعيد مابين المنكبين جهوري الصوت فصيحاً سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم

قال : ولم ار مثله في ابتهاله واستغاثته بالله وكثرة توجهه وانا لااعتقد فيه عصمة بل انا مخالف له في مسائل اصلية وفرعية فانه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشراً من البشر تعتريه حدة في البحث وغضب وشظف للخصم تزرع له عداوة في النفوس والا لو لاطف خصومه لكان كلمة اجماع كان كبارهم

خاضعين لعلومه معترفين بشفوفه مقرين بندور خطائه وانه بحر لا ساحل له وكنز لا نظير له ولكن ينقمون عليه اخلاقاً وافعالاً وكل احد يؤخذ من قوله ويترك

قال : وكان محافظاً على الصلاة والصوم معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً لا يؤتى من سوء فهم فان له الذكاء المفرط ولا من قلة علم فانه بحر زخار ولا كان متلاعباً بالدين ولا ينفرد بمسائل بالتشهي ولا يطلق لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن ويناظر أسوة من تقدمه من الائمة فله أجر على خطائه واجران على اصابته الى ان قال :

تمرض اياماً بالقلعة تمرضاً جداً الى ان مات ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة وصلي عليه بجامع دمشق وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل واقل ماقيل في عددهم انهم خمسون الفاً

قال الشهاب بن فضل الله لماقدم ابن تيمية على البريد الى القاهرة في سنة سبعمائة نزل عند عمي شرف الدين وحض اهل المملكة على الجهاد واغلظ القول للسلطان والامراء ورتبوا له في مدة اقامته في كل يوم ديناراً ومخفقة طعام فلم يقبل من ذلك وارسل له السلطان بقجة قماش فردها قال ثم حضر عنده شيخنا ابو حيان فقال مارأت عيناي مثل هذا الرجل ثم مدحه بابيات ذكر انه نظمها بديهة وانشده اياها

لما اتانا تقي الدين لاح لنا ... داع الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الاولى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبراً ... بحر تقاذف من امواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم اذ عصت مضر
واظهر الحق اذ آثاره اندرست ... واخمد الشر اذ طارت له شرر
كنا نحدث عن حبر يجيء فها ... انت الامام الذي قد كان ينتظر

قال ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فاغلظ ابن تيمية القول في سيبويه فنافره ابو حيان وقطعه بسببه ثم عاد ذاماً له وصير ذلك ذنباً لا يغفر قال : وحج ابن المحب سنة ٧٣٤ فسمع من ابي حيان اناشيد فقرأ عليه هذه الابيات فقال قد كشطتها من ديواني ولا اذكره فسأله عن السبب فقال : ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيبويه فقال ليس بشيء قال ابوحيان : وهذا لا يستحق الخطاب ويقال ان ابن تيمية قال له ما كان سيبويه نبي النحو ولا كان معصوما بل اخطأ في اكثر من اربعين موضعاً ما تفهمها انت

فكان ذلك سبب مقاطعته اياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذلك في مختصره النهر ورثاه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائية مليحة وترجم له ترجمة هائلة تنقل من المسالك ان شاء الله تعالى ٠ ورثاه زين الدين ابن الوردي بقصيدة لطيفة طائية[1] قال كمال الدين السرمري في اماليه : ومن عجائب ماوقع في الحفظ من اهل زماننا ان ابن تيمية كان يمر بالكتاب فيطالعه مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه

---

(١) اليك قصيدة ابن الوردي نقلا عن ديوانه المطبوع في الجوائب

عثا في عرضه قوم سلاط ... لهم من نثر جوهره التقاط
(تقي الدين احمد) خير حبر ... خروق المعضلات به تخاط
توفي وهو محبوس فريد ... وليس له الى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا ... ملائكة النعيم به احاطوا
قضى نحبا وليس له قرين ... ولا لنظيره لف القماط
فريدا في ندى كف وعلم ... وحل المشكلات به يناط
وكان الى التقى يدعو البرايا ... وينهى فرقة فسقوا ولاطوا
وكان يخاف ابليس سطاه ... بوعظ للقلوب هو السياط
فيا لله ماذا ضم لحد ... ويا لله ما غطى البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا ... مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كسالى ... ولكن في اذاه لهم نشاط
وحبس الدر في الاصداف فخر ... وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشمي له اقتداء ... فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنو تيمية كانوا فبانوا ... نجوم العلم ادركها انهباط
ولكن ياندامة حاسديه ... فشك الشرك كان به يماط
الم يك فيكم رجل رشيد ... يرى سجن الامام فيستشاط
ويا فرح اليهود بما فعلتم ... فان الضد يعجبه الخباط
امام لا ولاية كان يرجو ... ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مال ... ولم يعهد له بكم اختلاط
ففيم سجنتموه وغظتموه ... اما لجزا اذيته اشتراط

وقال الاقشهري في رحلته في حق ابن تيمية : بارع في الفقه والاصلين والفرائض والحساب وفنون أخرى وما من فن الا وله فيه يد طولى وقلمه ولسانه متقاربان

قال الطوفي : سمعته يقول : من سألني مستفيداً حققت له ومن سألني متعنتاً ناقضته فلا يلبث ان ينقطع فاكفى مؤونته وذكر تصانيفه وقال في كتابه ابطال الحيل : عظيم النفع: وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر مالايقدر احد على ان يورده في عدة مجالس كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها مايشاء و يذر . ومن ثم نسب اصحابه الى الغلو فيه واقتضى له ذلك العجب بنفسه حتى زها على ابناء جنسه واستشعر انه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتى انتهى الى عمر فخطأه في شيء فبلغ الشيخ ابراهيم الرقي فانكر عليه فذهب اليه واعتذر واستغفر وقال في حق علي : اخطأ في سبعة عشر شيئاً ثم خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها اطول الاجلين . وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع في الاشاعرة حتى انه سب الغزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه ولما قدم غازان بجيوش التتر الى الشام خرج اليه وكلمه بكلام قوي فهم بقتله ثم نجا واشتهر امره من يومئذ

واتفق ان الشيخ نصراً المنبجي كان قد تقدم في الدولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فيه فبلغه ان ابن تيمية يقع في ابن العربي لانه كان يعتقد انه مستقيم وان الذي ينسب اليه من الاتحاد او الالحاد من قصور فهم من ينكر عليه فارسل ينكر عليه فكتب اليه كتاباً طويلاً ونسبه واصحابه الى الاتحاد الذي هو حقيقة الالحاد فعظم ذلك عليهم واعانه عليه قوم آخرون ضبطوا عليه كلمات في العقائد منكرة (؟) وقعت منه في مواعيده

وسجن الشيخ لايرضاه مثلي ففيه لقدر مثلكم انحطاط
اما والله لولا كتم سري وخوف الشر لانحل الرباط
وكنت اقول ماعندي ولكن باهل العلم ماحسن اشتطاط
فما احد الى الانصاف يدعو وكل في هواه له انخراط
سيظهر قصدكم ياحاسديه ونيتكم اذا نصب الصراط
فها هو مات عنكم واسترحتم فعاطوا ما اردتم ان تعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير رد عليكم وانطوى ذاك البساط

وفتاويه فذكروا انه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر [1] درجتين فقال : كنزولي هذا فنسب الى التجسيم ورده عَلَى من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم اواستغاث فأُشخص من دمشق في رمضان سنة خمس (بعد السبعمائة) فجرى عليه ماجرى وحبس مراراً فاقام عَلَى ذلك نحو اربع سنين اواكثر وهو مع ذلك يشتغل ويفتي الى ان اتفق ان الشيخ نصراً قام عَلَى الشيخ كريم الدين الايلي شيخ خانقاه سعيد السعداء فاخرجه من الخانقاه وعَلَى شمس الدين الحريري فاخرجه من تدريس الشريفية فيقال ان الايلي دخل الخلوة بمصر اربعين يوماً فلم يخرج حتى زالت دولة بيبرس وخمل ذكر نصر واطلق ابن تيمية الى الشام

وافترق الناس فيه شيعاً فمنهم من نسبه الى التجسيم لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك كقوله ان اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وانه مستوي عَلَى العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال انا لااسلم ان التحيز والانقسام من خواص الاجسام فالزم بانه يقول ثبت (؟) التحيز في ذات الله تعالى

ومنهم من ينسبه الى الزندقة لقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم لايستغاث به وان في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس عليه في ذلك النور البكري فانه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين : يعزر فقال البكري لامعنى لهذا القول فانه ان كان تنقيصاً يقتل وان لم يكن تنقيصاً لايعزر

ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله في علي ماتقدم ولقوله انه كان مخذولا حيث ماتوجه وانه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها وانما قاتل للرياسة لا للديانة ولقوله انه كان يحب الرياسة [2] وان عثمان كان يحب المال ولقوله ابو بكر اسلم شيخاً لايدري مايقول وعلي اسلم صبياً والصبي لايصح اسلامه عَلَى قول ولكلامه في قصة خطبة ابنة ابي جهل وما فيها من الثناء عَلَى ... وقصة ابي العاص بن الربيع ومايوجد من مفهومها فانه مشنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم ولا يبغضك الا منافق

ونسبه قوم الى انه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة وكان اذا حوقق والزم يقول لم ارد هذا انما اردت كذا فيذكر احتمالا بعيداً قال : وكان من اذكياء العالم وله في ذلك امور

(١) هو محل التدريس لا منبر الخطابة المعروف في المساجد اليوم

(٢) في كتابه منهاج السنة مايكذب هذه الفرية عَلَى شيخ الاسلام

عظيمة منها ان محمد بن ابي بكر السكاكيني عمل ابياتًا عَلَى لسان ذمي في انكار القدر واولها:

ايا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه باعظم حجة
اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

فوقف عليها ابن تيمية فثني احدى رجليه عَلَى الاخرى واجاب في مجلسه قبل ان يقوم بمائة وتسعة عشر بيتا اولها

سؤالك ياهذا سؤال معاند مخاصم رب العرش باري البرية[1]

وقال شيخ شيوخنا الحافظ ابن سيد الناس في ترجمة ابن تيمية وهو الذي حدا ني عَلَى رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين قال : فالفيته ممن ادرك من العلوم حظًا ، وكان يستوعب السنة والآثار حفظًا ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته، او افتى في الفقه فهو مدرك غايته او ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وروايته ، اوحاضر بالملل والنحل لم ير اوسع من نحلته في ذلك ولا ارفع من درايته ، برز في كل فن عَلَى ابناء جنسه ، فلم ترعين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه . كان يتكلم في التفسير ، فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويردون من بحره العذب النمير ، ويرتعون من ربع فضله في روضة وغدير ، الى ان دب اليه من اهل بلده داء الحسد وألب اهل النظر منهم عَلَى ما ينتقد عليهم من امور المعتقد، فحفظوا عنه في ذلك كلامًا، اوسعوه بسببه ملامًا، وفوقوا لتبديعه سهامًا، وزعموا انه خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه ، ثم نازعه طائفة اخرى ينسبون من الفقر الى طريقة، ويزعمون انهم عَلَى ادق باطن منها واجلى حقيقة، وكشف تلك الطرائق ، وذكر لها مراغم وموابق ، فآضت الى الطائفة الاولى من منازعته ، واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعته ، فاوصلوا الى الامراء امره ، واعمل كل منهم في كفره فكره ، فرتبوا المحاضر ، وألبوا الرويبضة (؟) للسعي بها عند الاكابر وسعوا في نقله الى حاضرة المملكة بالديار المصرية فنقل ، واودع السجن ساعة حضوره واعتقل ، وعقدوا لاراقة دمه مجالس ، وحشدوا لذلك قومًا من عمار الزوايا وسكان المدارس ، من عامل في المنازعة ، مخاتل بالمخادعة ومجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة ، يسومونه ريب المنون ، وربك يعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون ، وليس المجاهر بكفره باسوأ حالاً من المخاتل وقد دبت اليه عقارب مكره ، فرد الله كيد كل في نحره ، ونجاه

(١) شرح نجم الدين الطوفي جواب شيخ الاسلام في نحو كراسين شرحًا لطيفًا وهو موجود في بعض مكاتب دمشق

على يد من اصطفاه والله غالب علَى امره ، ثم لم يخل بعــد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم ينتقل طول عمره من محنة الا الى محنة ، الى ان فوض امره الى بعض القضاة فتقلد ماتقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك الى حيث ذهــابه الى رحمة الله تعالى وانتقاله والى الله ترجع الامور ، وهو المطلع علَى خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وكان يومه مشهوداً ضاقت بجنازته الطريق ، وانتابها المسلمون من كل فج عميق ، يتبركون بمشهده يوم تقوم الاشهاد ، ويتمسكون بسريره حتى كسروا تلك الاعواد .

وقال الذهبي مترجماً له في بعض الاجازات : قرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في العلم والتفسير وافتى ودرس وهو دون العشرين وصنف التصانيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه وتصانيفه نحو اربعة آلاف كراسة واكثر .

وقال في موضع آخر واما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الاربعة فليس له فيه نظير وفي موضع آخر وله باع طويل في معرفة احوال السلف وقلّ ان تذكر مسألة الا ويذكر فيها مذاهب الائمة وقد خالف الائمة الاربعة في عدة مسائل صنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة ولما كان معتقلا بالاسكندرية التمس منه صاحب سبتة ان يجيزله بعض مروياته فكتب له جملة من ذلك في عشرة اوراق باسانيده ومن حفظه بحيث يعجز ان يعمل بعضه اكبر من يكون واقام عدة سنين لايفتي بمذهب معين .

وقال في موضع آخر : بصيراً بطريقة السلف واحتج له بادلة وامور لم يسبق اليها واطلق عبارات احجم عنها غيره حتى قام عليه خلق من العلماء بالمصرين فبدعوه وناظروه وهو ثابت لايداهن ولايحابي بل يقول الحق اذا اداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته فجرى بينهم حملات جزئية ووقعات شامية ومصرية ورموه عن قوس واحدة ثم نجاه الله سبحانه وتعالى وكان دائم الاشتغال كثير الاستغاثة قوي التوكل رابط الجأش له اوراد واذكار يدمنها

وكتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فاجابه ومن جملة الجواب : واما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائماً وقدره في نفسي اكثر من ذلك

واجل مع ماجمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الاوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من ازمان

وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين خليل العلائي في ثبت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء الدين عبدالله محمد بن خليل مانصه : وسمع بهاء الدين المذكور على الشيخين شيخنا وسيدنا وامامنا فيما بيننا و بين الله تعالى شيخ التحقيق السالك بمن اتبعه احسن طريق ذي الفضائل المتكاثرة والحجج الباهرة التي اقرت الامم كافةان هممها عن حصره قاصرة متعنا الله بعلومه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الامام العالم الرباني والحبر البحر القطب النوراني امام الائمة بركة الامة علامة العلماء وارث الانبياء آخر المجتهدين اوحد علماء الدين شيخ الاسلام حجة الاعلام تقي الدين ... سيف المناظرين بحر العلوم كنز المستفيدين ترجمان القرآن أعجوبة الزمان فريد العصر والاوان ... حجة الله على العالمين اللاحق بالصالحين والشبيه للماضين مفتي الفرق ناصر الحق علامة الهدى عمدة الحفاظ ركن الشريعة كنز المعاني والالفاظ ذي الفنون البديعة ابي العباس ابن تيمية اه »

هذه ترجمة نابغة الاسلام واعجوب علماء القرون الوسطى ولو لم يكن في هذا الكتاب سوى ترجمته لكان كافياً في طبعه والكتاب نسخة نفيسة نادرة في بابها لان ناسخه عالم محقق و يعتاد الانسان قراءة خطه على اعجامه بعد قراءة بضع صفحات منه وقد طمست بعض سطوره من اوائل بعض الصفحات لماء او رطوبة اصابته ولكن يسهل اثبات الصحة ولو بمراجعة بعض المظان المطبوعة وغيرها

والكتاب كما تقدم بخط البرهان البقاعي المفسر قال في آخره : قال شيخنا شيخ الاسلام والحفاظ مصنفه ومن خطه نقلت النسخة التي نقلت منها هـذه فرغ منه جامعه سوى ما الحق فيه بعـد تاريخ فراغه في شهور سنة ثلاثين وثماني مائة ثم الحق فيه الى سنة سبع وثلاثين ولم يكمل الغرض من الالحاق لبقايا من التراجم في زوايا لم استوعبها بعد اعان الله تعالى على استكمال ذلك بمنه وكرمه آمين . قلت (البقاعي) وكانت كتابتي فيه للنسخة الاولى في ربيع الآخر سنة ٨٥٥ وعسر عليّ قراءة كثير من النظم الذي في التراجم وغير ذلك ثم نقلته كذلك الى هنا والمرجو من فضل الله تعالى تحرير

ذلك ومقابلته جميعه على الاصل المنقول منه ان تيسر او يحرر ذلك من اصوله ان شاء الله تعالى وكان فراغي من هذه في ١٧ شوال سنة ٨٥٩ بمنزلي بحارة بهاء الدين في القاهرة اه

اما ابن حجر العسقلاني فهو شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن حجر نسبة الى حجر قوم تسكن الجنوب العسقلاني الاصل المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة ولد سنة سبعمائة وثلاث وسبعين وتوفي سنة ثمانمائة واثنتين وخمسين والمؤلف هذا معدود من ائمة الشافعية وله غير ذلك من الكتب منها تاريخ مرتب على السنين [1] سماه انباء الغمر في ابناء العمر وفي المكتبة الظاهرية مسودته بخط مؤلفه وهي لاتكاد تقرأ لما فيها من سقم الحروف والشطب والتعليق قال في مقدمته : وبعد فيقول العبد الضعيف احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن حجر العسقلاني الاصل المصري المولد القاهري الدار هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان منذ مولدي سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة وهلم جرا مفصلا في كل سنة احوال الدول ووفيات الاعيان مستوعباً لرواة الحديث خصوصاً من لقيته او اجاز لي الى ان قال وسميته انباء الغمر بابناء العمر

وهاك نموذجاً من تأليفه : سنة سبع وسبعين وسبع مائة : فيها في المحرم طهر السلطان اولاده وعمل لهم « مهيا » عظيما انفق فيه من الاموال ما لا يحصى وظهرت فيه من الفواحش والقبائح ما لا مزيد عليه واستمر ذلك سبعة ايام ٠ سنة اربع وسبعين وسبع مائة : وفيها كان الوباء بدمشق فدام مدة تسعة اشهر وبلغ العدد في كل يوم مائتي نفر ٠ سنة اربع وتسعين وسبع مائة : هجم عَلَى النائب بدمشق خمس انفس فقتلوه واخرجوا من الحبس من الميكاسه (؟) وهم نحو مائة نفر وملكوا القلعة لحاجبهم الحاجب في عسكر دمشق وضيق عليهم الى ان غلبوا فاحرق عليهم الباب وامسكوا الثائرين فلم يبقوا منهم الا من هرب

وقال في اول الجزء الثاني وهو يبتدئ باول القرن التاسع من الهجرة مانصه : دخلت سنة احدى وثماني مائة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الظاهر ابو سعيد برقوق وسلطان الروم ابو يزيد بن عثمان وسلطان اليمن من نواحي تهامة الملك الاشرف

(١) جلاء العينين في محاكمة الاحمدين للآلوسي

ومن نواحي الجبال الامام الزيدي الحسني وسلطان المغرب الادنى ابو فارس عبدالعزيز الحفصي وسلطان المغرب الاوسط المريني وسلطان المغرب الادنى ابن الاحمر وصاحب البلاد الشرقية تيمور وكان المعروف باللنك وصاحب بغداد احمد بن ادريس وامير مكة حسن بن عجلان والخليفة العباسي ابو عبدالله محمد المتوكل عَلَى الله و يدعى امير المؤمنين و ينازعه بهذا الاسم الامام الزيدي وبعض ملوك المغرب وصاحب اليمن ·

وقد امتد الكتاب الى سنة خمسين وثمانمائة و بدئ به سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وقد ذكر صاحب كشف الظنون اذيالا لانباء الغمر فمن لنا بان نظفر بالاصل والفرع و يطبعا كما يطبع الدرر الكامنة

واما ناسخ الكتاب فهو البرهان البقاعي صاحب المناسبات ترجم له الضوء اللامع ترجمة مطولة وكلها مطاعن لانهما تدارسا العلم في سن الطلب واستفاد كل منهما من الآخر بين عادة الطلبة فما قاله فيه انه ابراهيم بن عمر البقاعي برهان الدين وكنى نفسه ابا الحسن الخرباوي البقاعي صاحب تلك العجائب والنوائب والقلاقل والمسائل المتعارضة المتناقضة ولد فيما زعم تقريباً سنة تسع وثمانمائة بقرية يقال لها خربة روحا من عمل البقاع ونشأ بها ثم تحول الى دمشق ثم فارقها ودخل بيت المقدس ثم القاهرة قال ووقائعه كثيرة واحواله شهيرة ودعاويه مستفيضة اهلكه التيه والعجب وحب الشرف والسمعة بحيث زعم انه قيم العصر بين بكتاب الله وسنة رسوله الى غير ذلك من المطاعن التي وجهها اليه وظهرت فيها نواجذ الشر والعداوة عَلَى انه من اهل العلم المذكورين في عصره والمعدودين من محاسن دهره ولو لم يكن له الا تفسيره في تناسب الآيات والسور الذي لم يؤلف في الاسلام مثله لكفاه فضلا ورحل في آخر امره الى دمشق واتخذها موطنا وتوفي في رجب سنة ٨٨٥ ودفن في مقبرة الحمرية ظاهر الشويكة في دمشق الشام و يوجد في المكتبة الظاهرية من تفسيره المنوه به نسختان عورضت احداها عَلَى مؤلفها وبها خطه رحمه الله

المسلمون والبولونيون

في الغرب من مملكة روسيا وفي الجنوب من بروسيا وفي الشمال من النمسا بلاد متنائية الاطراف واسعة البقاع مخصبة الرباع كثيرة الانهار والغابات والمناجم اسمها بولونيا اي السهل باللغة الصقلبية وهي المعروفة في تواريخ الاتراك باسم « لهستان » قضى عليها نكد الطالع ان تفقد استقلالها لاختلاف كلمة امرائها وابنائها منذ نحو قرن ونصف فتقاسمتها روسيا والنمسا والمانيا وتبلغ مساحة بولونيا الروسية وفيها عاصمة البلاد القديمة « فارسوفيا » ١٢٧٣١٩ كيلومتراً مربعاً وسكانها ٩٦٤٥٦٠٠٠ واذا اضفنا اليهم سكان بولونيا النمسوية وبولونيا الالمانية يبلغ عددهم نحو عشرين مليوناً بحسب تقدير الجغرافيات الحديثة من اهل اوربا يدين نحو نصفهم بالكثلكة وباقيهم اسرائيليون وبرتستانت ومسلمون تاتار

ومناخ هذه البلاد شديد ولكنه معتدل في الجملة اذا قيس بمناخ روسيا وهو حار في الصيف بارد جداً في الشتاء وتقل فيها الثلوج وتجمد الانهار في الشتاء من شهرين ونصف الى ثلاثة اشهر ونصف وقد انتشرت فيها الصناعات لكثرة مافيها من الفحم الحجري فاصبحت اهم اقاليم روسيا من هذه الوجهة اما التجارة فتكاد تكون محصورة في ايدي الاسرائيليين

وتاريخ هذه الامة القديم غامض اشبه باساطير حتى القرن التاسع للميلاد وغاية مايعلم أن هذه الاقطار الممتدة بين البحر الاسود وبحر البلطيق كان يسكنها في الاصل شعوب اسمها الانتس والهنت والفاند ثم نزلها الصقالبة · واول زعيم انشأ مملكة بولونيا فلاح صالح اسمه بياست فحكمها الى سنة ١٣٣٣ ودخلت النصرانية الى بولونيا على يد ميسيسلاس الاول (٩٦٢—٩٩٢) وانضمت بلاد ليتوانيا الى بولونيا في القرن الرابع عشر بزواج هدويج ابنة كازمير الاول (١٣٣٣—١٣٧٠) من لاديسلاس جاجلون

وفي اوائل القرن الخامس عشر اي وفي العهد الذي بدأت تنشأ في اوربا ممالك مطلقة الحكم مستبدة السلطان بدأ الفشل السياسي والفوضى الادارية تدب في مملكة بولونيا مما عجل تقسيمها وحذفها من رقعة السياسة الاوربية وذلك لاختلاف مصالح البلادين ليتوانيا وبولونيا واختلاف لسانيهما فكانت مجالس النواب في الولايات متباينة

المقاصد تعاكس الملك في اقل الامور حتى في عزل الموظفين الذين كانوا يعينون بلا عزل مدة حياتهم واقل صاحب رأي في الانتخاب يوقف عمل الاكثرية ويفسد عليها امرها حتى انقلبت الحال بعد ان كتب النصر لبولونيا عَلَى الهوسيين وفرسان حملة السيوف ان تبقى بلا حكومة ولاجيش ماخلا ايام أسرة جاجلون

قد بدأ انحطاط بولونيا على عهد سيجسموند فازا سنة ١٦١٨ فاصبحت المملكة بدون مالية ولا بيت ملك وطني بل كان ينتقل الملك من فرنسوي يعينه مجلس النواب الى مجري هذا وليس للبلاد حدود طبيعية تحميها من هجمات المهاجمين

ثم عادت الى البلاد بعض حياتها عَلَى عهد يوحنا سوبيسكي (١٦٧٤ — ١٦٩٥) فاصبح لها بعض مجد بجيش لها نظمته فبالجيش البولوني أنقذت « فينا » من ايدي العثمانيين الذين حاصروها ولكن لم تعد نجدة البولونيين للنمساويين بشيء من الفائدة عليهم ولا عَلَى حكومتهم . وخلف المنتخب فريدريك اغطس في ساكس ملكها سوبيسكي فاستند الى امارته سكسونيا فاستقام له امر بولونيا ثم خلع وتداخلت روسيا في امره ثم نشأ خصام بين بيوت الملك في بولونيا يدعي كل منهم حق امتلاك على البلاد وفي سنة ١٧٦٤ قضت ارادة كاترينا الثانية صاحبة روسيا بتأييد ستانيسلاس بونياتوفسكي عَلَى عرش السلطنة البولونية وفي وسط ذاك الاضطراب كثرت الانقسامات الداخلية وجاءت الفتن الدينية التي كانت هادئة هناك فانضمت الى المنافسات السياسية وذلك بما تخلل الامر من عبث الاصابع الاجنبية فاستصرخ الاروام كاترينا الثانية [1] امبراطورة روسيا واستنجد البرتستانت ماري تريز ملكة النمسا وفريدريك الثاني . وكان لروسيا نفوذ في مجلس نواب سنة ١٧٦٦ فسعت الى اطلاق حرية المذهب والفت حرية الانتخاب فاستقام امر الحكومة وكان الاضطراب عَلَى اتمه عندما أُلف سنة ١٧٦٨ اتحاد بار يضمن احترام الاستقلال الوطني ولكن كان قد سبق السيف العذل فتقرر بين روسيا والنمسا سنة ١٧٧٢ تقسيم بولونيا ولم يقاوم في ذلك من الدول سوى الدولة العلية فتقاسمت النمسا والمانيا وروسيا تلك المملكة العظمى وفي سنة ١٧٩٥ قسمت البلاد نهائياً فوقعت العاصمة اي فارسوفيا من حصة روسيا وكراكوفيا وفيها كلية بولونيا العظمى من حظ النمسا ونالت بروسيا بقية المملكة ثم نظم جزء منها مملكة جديدة ولكنها انقضت وثارت سنة ١٨٣٠ فدخل الروس الى فارسوفيا بعد ان ابلى البولونيون بلاء حسناً فانحلت مملكة فارسوفيا

(١) معجم لاروس الجديد *Nouveau Larousse illustré*

واقفلت كلية فيلنا البولونية وصادرت الاموال ونفت الرجال فاصبحت بولونيا ولاية روسية وقام البولونيون سنة ١٨٦٣ ثانية وحملهم على الانتقاض ما رأوه من اشتغال روسيا في حرب الشرق فألف البولونيون منهم عسكراً لا يبقي ولا يذر وبالنظر لقلة عدده تمكنت روسيا من قمع جماح الفتنة بعد سنة من نشوبها وما فتيء منذ ذاك العهد حال بولونيا في الولايات الروسية آيلا الى نزع لغتها وابدالها باللغة الروسية وتدريب اهلها على المناحي الروسية وكذلك حال ولايات بروسيا آخذ بالصبغة الالمانية الجرمانية

هذا اجمال من تاريخ انقسام مملكة بولونيا اما حالتها الادبية والعمرانية فان لغتها من فروع اللغات السلافية الغربية وقريبة جداً من اللغة الكاسوبية واللغة البولابية . وفي بولونيا عدة لهجات وقد نشأ من كلية كراكوفيا التي انشأها كازمير الاكبر عدة رجال في الفلسفة والعلم منهم كوبرنيك الفلكي ونجحت اللغة البولونية عَلَى عهد ملوكها من أسرة جاجلون وذلك بفضل دعاة المذهب البرتستانتي الذين اختاروا نشر تعاليمهم بلغة الشعب وعَلَى عهد يوحنا كوشانوفسكي سلم ذوق اللغة وتألفت على القواعد العلمية المألوفة لليونان والرومان ودام ذلك الى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وهما قرنا الانحطاط لان القوم شغلوا بالفتن الداخلية فلم يعد احد ينظر في الادب وداهمت اللغة مفردات من اللغات الاجنبية .

وقد نشأ للآداب البولونية شعراء وكتاب كبار ومؤلفون ووعاظ واثريون ومؤرخون وجغرافيون وقصصيون ودخل الشعر البولوني على عهد ثورة سنة ١٨٣٠ في طور جديد واثرت في عقول الناهضين من شبانهم احوال الفتن وانطلقت السنهم بالشعر الممزوج بعواطف النفوس المتألمة ودامت طبقة الشعر في ارتقاء الى اواخر القرن التاسع عشر بما نشأ لهم من الشعراء بل والشاعرات المجيدات الذين حركوا كوامن النفوس وهيأوها لمطلب الكمال والاستقلال وساعد القصصيون خاصة بما نشروه من الاساطير والروايات عَلَى ترقية اللغة البولونية وادخال حياة جديدة فيها في العهد الاخير دع عنك من خرج من هذه الامة من الفلاسفة والمؤرخين

وان ما بقي من الآثار القليلة والعاديات في تلك البلاد ليدل دلالة واضحة عَلَى ان قدماء الصقالبة كانوا يحبون الصناعات والفنون وكذلك كانت الحال في القرون الوسطى في بولونيا فان ملوكها حموا حمى الصنائع النفيسة فكانوا يأتون من ايطاليا بالبنائين والنقاشين والمصورين حتى جاراهم البولونيون ونافسوهم في هذه الاعمال بعد .

ولكن الفتن التي استطار شرارها في القرنين الاخيرين سلب من نفوس البولونيين قرارها فهاموا عَلَى وجوههم بعد فقد استقلالهم في طول اوربا واميركا وعرضهما وكثر منهم المهاجرون ولاسيما الى اميركا الشمالية حتى قيل انهم بلغوا نحو مليوني بولوني يحافظون الى اليوم عَلَى لغتهم وآدابهم وعاداتهم القومية

وللبولونيين غرام فائق في احتفاظهم بلغتهم وتناغيهم بتاريخهم فتراهم كلما طال المطال على تمزق ملكهم يحنون لاسترجاعه وتقوى عزائمهم عَلَى المطالبة به ولكن اوربا او الساسة من اهلها قد قدت قلوبهم من حجر فلا تسمع لباك ولا ترحم كل شاك . عَلَى ان البولونيين لم يعتمدوا بعد التجارب الكثيرة الا عَلَى انفسهم فكانوا ومازالوا يستعدون في بلادهم وخارجها للتربية الحربية حتى لا تزول منهم ملكة الكر والفر وقد انشأوا لغرض الاستقلال جمعيات بثوا دعاتها في بلادهم وفي اوربا واميركا يجمعون المال الى ايام الشدة وهذا المال يحفظونه في الغالب في فروع جمعياتهم في سويسرا وقد صرفوها كلها في الفتن الاخيرة التي ثارت في بولونيا الروسية عقيب حرب روسيا مع اليابان فكانت تأتينا اخبار فارسوفيا بفظائع البولونيين وشدة حكومة روسيا في قطع دابر الفتنة . وفي سويسرا ايضاً حفظ البولونيون تاج آخر ملوكهم وصولجانه ونموذجاً من البستهم جعلوها في متحف خاص .

ولما انتشرت الحرية بعض الشيء في روسيا تنفس خناق البولونيين وقاموا يعيدون امجاد آدابهم بمدارسهم ولم تنل روسيا مأرباً من نزع لغتهم وتلقينهم لغتها بالقوة بل عادت اللغة البولونية اكثر انتشاراً مما كانت قبل انقسام بلادهم ومن الغريب ان التشتت الذي اصاب اهلها والسعي الحثيث في معاملة مدارسها بالشدة في المانيا وروسيا لم تسفر الاعن اندماج كثير من اليهود والجرمانيين في الجنسية البولونية لان البولونيين من اقدر الامم عَلَى جلب غيرهم اليهم كأن من خواص شعبهم ان يأخذ ولا يعطي

كانت النمسا ومازالت ارفق الدول الثلاث الكبرى التي تقاسمت بينها بولونيا بهذه الامة ولغتها وآدابها وعاداتها ولذلك كان اخلاص البولونيين لها اكثر من اخلاصهم للالمان والروس لانها ساوتهم بسائر عناصرها فلم يستثقلوا ظلها ولا تبرموا بادارتها .

ولكثرة اندماج الالمانيين والاسرائيليين بالبولونيين من حيث يشعرون ولا يشعرون زادت نفوس فارسوفيا زيادة هائلة حتى بلغت الآن ثمانمائة الف وكانت اقل من خمسين الفاً ايام التقسيم وعدت من عواصم بلاد اوربا وبالنظر لخصب البلاد وعراقتها في

الصناعات والتجارات. ونشاط اهلها اكثر من سائر العناصر السلافية بلغت مداخيل المصنوعات البولونية ٤٢٠ مليون روبل وكانت اقل من ثلاثين و بلغت قيمة الثروة العامة في بولونيا الالمانية نحو الف وثلاثمائة مليون مارك وكانت نحو اربعمائة مليون

وهكذا تجد تجاراتها ولسعة باتساع غاباتها ومناجمها، وخصب تربتها واقتدار اهلها عَلَى الصناعة والتقليد حتى حاكوا اعرق الامم الغربية في الحضارة ويكفي ان كوري مخترع الراديوم هو وعقيلته من اهل بولونيا وان في اهل اوربا كثيرين ممن نعرفهم الآن فرنسويين اوالمانيين او نمسويين او انكليزيين وهم في الحقيقة بولونيون لغة ومنشأ .

وبعد فيجدر وقد اتصل بنا نفس الكلام في هذا البحث الى هذا الحد ان نلم بطرف من تاريخ هذه الامة وعلاقتها بالمسلمين ولاسيما بدولة آل عثمان فقد بدأت الصلات المهمة بين بولونيا والامم الاسلامية (١) عَلَى عهد لاديسلاس جاجلون والسلطان مراد العثماني وحاكم بلاد المجر على ذلك العهد يوحنا هونياد وهو تابع لبولونيا وكانت تحدث مشاكل عَلَى الدوام بين جيشه وجيش السلطان وبعد حروب وفتن كتب فيها النصر تارة للعثمانيين واخرى للمجريين سئمت نفوس الطرفين القتال فطلب السلطان مراد التوسط بالصلح الى صاحب بولونيا فوقع عَلَى صكه في ١٤ ربيع الآخر سنة ٨٤٨هـ (١٤٤٤) لمدة عشر سنين عَلَى ان يعيد السلطان بلاد الصرب الى ملكها وان تضم بلاد الفلاخ الى المجر و يفتدي السلطان صهره محمد جلبي الذي أسر في وقعة كونو بيرا بسبعين الف دوكا (٨٠٥٠٠٠ فرنك)

واذ صادف ان السلطان مراد تنازل عن عرش الملك لابنه محمد طمعت اوربا في السلطنة ورأت ان الفرصة مناسبة للنيل منها وعَلَى عرشها فتى لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره فطلب الى صاحب بولونيا ان يشارك الدول في تحالفهن على العثمانية فابى للعهد الذي عقده قبل مع سلطان العثمانيين فارسل اليه البابا اوجين الرابع يصرح بانه لاخشية في بعض الاحوال من الحنث بالايمان ومثل له بنفسه اذ انه جهز ثمانية سفن على نفقته، وسمى نفسه رئيس العصبة فاضطر صاحب بولونيا ان يسير عَلَى الخطة التي رسمها

---

(١) كتاب بولونيا والاسلام لصديقنا سيف الدين افندي كاشتوت البولوني
Thadée Gasztowtt. La Pologne et l'Islam. Paris Société Française d'Imprimerie et de Librairie 15 Rue de Cluny, 1907

امام الاحبار فانفذ بعوثه الى اقليم تراسيا واشتبك القتال بين المجريين والبولونيين والفلاخيين من جهة والعثمانيين من اخرى ونزل السلطان مراد بنفسه الى ساحة الوغى بدلاً ابنه الذي خلفه فقتل احد شيوخ العسكر العثماني واسمه خوجه خير ملك بولونيا فدب الفشل في الجيش المتحزب كله وذلك في رجب سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤)

قال المؤرخ ليونارد شودزوكو : « قال السلطان مراد بينا هو يطوف ساحة الوغى مع امين سره ازيب بك لما رأى صرعى الحرب من اعدائه : اليس من الغريب ان يكون كل هذا الجيش مؤلفاً من شبان وليس فيه شيخ واحد فاجابه ازيب بك : لو كان فيه شيخ واحد لما القى بنفسه في مثل هذه الورطة المجنونة » وقد فقد جيوش المحاربين في تلك الوقعة اشياء ثمينة ومنها سجلات ملك بولونيا فقدت مع مافقد عند مصرعه وهي خسارة كبرى ·

وفي سنة ١٤٤٧ كان التاتار في بلاد القريم في حروب دائمة فاجمع رأيهم عَلَى ان يحكموا كازمير جاجلون ملك بولونيا ودوق ليتوانيا فيما شجر بينهم فنزل بعض المنكوبين من التاتار في بلاد ليتوانيا عَلَى الرحب والسعة واعطاهم صاحب بولونيا اراضي يتوفرون عَلَى زراعتها واخلصوا له ودافعوا في مواقف القتال عن حوزة بلاده واطلق لهم حريتهم الدينية حتى استمال بذلك قلوبهم وجاء الملك لاديسلاس الرابع وابد امتيازاتهم فانشأوا لهم جوامع ومنارات وبعد ان كانوا بادية رحالة اصبحوا مزارعين ساكنين وادعين وفي سنة ١٤٩٤ جمع يوحنا البر ملك بولونيا بعض امراء النصرانية في جواره وتحالفوا عَلَى قتال العثمانيين فساق السلطان بايزيد جيشاً مؤلفاً من اربعين الف جندي اجتازوا نهر الطونة وانضموا الى الفلاخيين وهجموا سنة ١٨٩٤ عَلَى بلاد بولونيا وكان صدر الامر السلطاني الى والي سيلسترا ان يهاجم البولونيين ففتح العثمانيون البلاد عَلَى ايسر وجه لانبساط سهولها واستولوا عَلَى بعض مواقعها في وقعتين ظفروا فيهما ولكن داهم الجيش العثماني برد قارس وثلج واعاصير فهلك منه اربعون الفاً ولم يسلم سوى عشرة آلاف جندي عادوا ادراجهم يجتازون نهر الطونة

واذ تحالف ملك بولونيا مع ملك المجر وملك ليتوانيا اضطر السلطان بايزيد ان يبعث الى كراكونيا سفراء لعقد الصلح · وفي سنة ١٥٢١ ارسل السلطان سليمان الاول الى بلاد المجر سفيراً فلم يجبه المجريون الا بخنق سفيره فساق السلطان عَلَى المجر قوة من جيشه غلب بها المجر ولئن امدهم صاحب بولونيا بستة آلاف جندي لكن قوة الدولة العلية كانت

اعظم وعاد السلطان سليمان في ربيع سنة ١٥٢٦ ايضاً في قوة من رجاله عَلَى بلاد المجر فامد صاحبها ملك بولونيا ولكن قوة الدولة العثمانية تغلبت فكتب النصر لاعلامها وهلك في المعركة لويز الثاني ملك المجر في خمسة وعشرين الفاً من رجاله

ثم سار سليمان الى جهات المجر وارجع البلاد الى ملكها الشرعي وانقلبت الحال فتحالف سلطان العثمانيين مع ملكي بولونيا وفرنسا وتزوج السلطان سليمان بروكسلان من سبايا البولونيات فشغفته حباً واتخذها سلطانة شرعية وسماها خرّماً وكانت عَلَى غاية من الجمال والادب والذكاء ولكنها صرفت ذكاءها الى الخبث فكانت القاضية عَلَى السلطان ان يعامل ابنه معاملة بربرية شهدت لها تواريخ العثمانيين فقتله بدسائسها

وفي سنة ١٥٧٢ اعانت بولونيا الدولة العلية عند ماتداخلت هذه لاقرار الامن في نصابه في اقليم مولادافيا وسعت الدولة العلية كل السعي ان يبقى التحالف مستحكماً بينها وبين فرنسا وبولونيا لدفع عوادي النمسا ولكن حكم بولونياملوك لم يعدوا لهذا الامر عدته · وفي سنة ١٥٧٦ تحالف السلطان مراد الثالث مع اتين باتوري امير ترانسلفانيا وملك بولونيا وجددت هذه المعاهدة سنة ١٦١٩

ولكن امير ترانسلفانيا واسمه بتلم كابور كان يطمع في الاستيلاء على المجر فحرض العثمانيين والتاتار عَلَى البولونيين فوقعت بين صاحبي بولونيا والعثمانية وقعة اخرى سنة ١٦٢٠ كسر فيها البولونيون وفي سنة ١٦٢١ قام السلطان عثمان الثاني في مئة الف من جنده قاصداً الى بولونيا فدحر جيشه ولما رأى انه فقد منه ستون الفاً اضطر يوم ٢٣ ذي القعدة ١٠٣٠ الى عقد صلح صدق عليه في الاستانة سنة ١٦٢٣ سفير بولونيا

ثم ان روسيا اهاجت خاطر السلطان مراد الرابع على بولونيا ولكن حكمة صاحب بولونيا قضت بحقن الدماء وان كان ازمع السلطان العثماني ان يملأ بجيوشه السهل والوعر في بولونيا لكن السفير البولوني تلطف في السفارة واغضى عما سمع من السلطان من ارادة هذا ان تدين بولونيا بالاسلام وتدك حصونها وتؤدي اليه الجزية فعقدت بين الدولة العثمانية وبولونيا معاهدة سنة ١٦٣٤ كانت نافعة للبولونيين · وفي تلك السنة بدأت روسيا بحجة الدفاع عن مسيحيي الشرق تدس الدسائس ·

خدم نالي بك وهو بولوني واسمه الاصلي بوبوفسكي الباب العالي اعظم خدمة في

القرن السابع عشر كما خدم البولونيين والليتوانيين فقد عينته الدولة مترجماً في الباب العالي وكان يحسن سبع عشرة لغة

وفي سنة ١٦٧٢ زادت الاخطار التي كانت تهدد بولونيا منذ سنة ١٦٥٢ فكان قيصر الروس يدس الدسائس بين القوزاق والتاتار والاتراك ليحملهم عَلَى النيل من البولونيين حتى كان من السلطان محمد الرابع ان اعلن عليهم الحرب في نيسان سنة ١٦٧٢ فاستولى عَلَى كامينيك بودولسكي وليوبول وَلَى اهم المواقع الحصينة من اقليم روتينيا غاليسيا · فطلب صاحب بولونيا الصلح من السلطان وتخلت بولونيا للباب العالي عن بودولي واوكرين وان تدفع اليه جزية سنوية قدرها ٢٢٠ الف دوكا الا ان الامة البولونية لم ترض ان تدفع مثل هذه الجزية لما رأت فيها من العار عليها وآثرت ان تعود الى الحرب تموت في ساحاتها من ان تقبل بشروط ارتضاها ملكها مأفون الرأي ضعيف الحول والطول فعاد السلطان محمد الرابع الى القتال وهاجم سوبيسكي جيوش العثمانيين في شوسيم عَلَى نهر دنيستر واستولى عَلَى المدينة ورجع العثمانيون عَلَى اعقابهم الى بابا طاغ حيث كان السلطان مخيماً فصادف ان مات في ذاك الحين ملك بولونيا فانصرف سوبيسكي الى فارسوفيا للاشتراك في انتخاب ملك لبولونيا فقدر انتخابه ملكاً لها مكافأة له على الخدمة التي قدمها لامة وعاد الى قتال العثمانيين فهزمهم في بودوليا واوكرنيا وفي ١٩ شعبان ١٠٨٧ هـ عقد الصلح عَلَى ان لاتدفع بولونيا شيئاً و يبقى لها قسم من اقليم بودوليا و يحتفظ العثمانيون بكامينيك وان تكون مفاتيح الاماكن المقدسة بيد بولونيا لانها دولة تسامح لاتتعصب لكاثوليكي ولا لرومي ولا لبرتستانتي ولا لغيرهم من اهل الاديان وذلك عَلَى الرغم من ارادة روسيا فصفت العلائق بين الدولة العثمانية وحكومة بولونيا

ولما ساقت الدولة العثمانية عَلَى فينا مائة وخمسين الف رجل وكادت تستولي عليها انجد صاحب بولونيا صاحب النمسا فارتد العثمانيون عن عاصمة النمسا ثم اقتتل الجيش العثماني مع الجيش النمساوي سنة ١٦٩١ في سالانكم على نهر الطونة فغلب العثمانيون اولاً ثم انهزموا فاقدين ثلاثين الفاً من رجالهم وفي سنة ١٦٩٤ رد البولونيون العثمانيين من كامينيك بردولسكي

ونال العثمانيون عَلَى عهد مصطفى الثاني عدة نصرات عَلَى جمهورية البنادقة واستولوا عَلَى الهرسك وامدوها بالذخائر وجاز السلطان في جيشه الطونة ماراً بآق بنار

(كارلسبرج) وتمسوار ولاغوس وقاتل النمساويين فقتل زعيمهم وقتل العثمانيون من الروس في ازوف ثلاثين الفاً ثم فشل العثمانيون في غرة صفر ١١٠٨ في تسيا عَلَى يد النمساويين وكان العثمانيون يريدون انقاذ بلاد المجر من النمساويين

وفي خلال ذلك اجتمع ملوك اوربا للمرة الاولى لحل الاختلافات التي كانت بين الدولة العلية العثمانية وبين سبع دول من دول اوربا وبموجب ماتم من هذا الاجتماع ارجعت الدولة العلية الى بولونيا كامينيك وبودوليا واوكرونيا وتخلت الاولى للثانية عن الخراج الذي كانت تتقاضاه منها ومنذ ذاك العهد تصافت بولونيا والعثمانية لانهما ايقنتا بدسائس حكومات اوربا التي يقصد بها اضعاف الفريقين فكانت اوربا تترك روسيا تعتدي على العثمانية وبولونيا والسويد بدون ان تطالبها باحكام العدل والانصاف ومراعاة حق الجوار نعم كانت تغضي عن روسيا لتنال قسطها من الارض العثمانية والبولونية والسويدية

نشبت حرب هائلة على عهد السلطان احمد الثالث بين السويد وروسيا وبولونيا وسكسونيا دامت منذ سنة ١٧٠٠ الى سنة ١٧٠٩ فانهزم السويديون والبولونيون ولجأوا الى الارض العثمانية فنزلوا في بندر من اقليم بسرابيا فاكرمت العثمانية مثواهم الا ان روسيا لحقت بالمنهزمين الى الارض العثمانية وفي خلال ذلك دخل الاسطول الرومي الى الاستانة فاغتاظ السلطان واعلن الحرب عاهداً بقيادتها العامة الى الصدر محمد باشا البلطجي وحمي وطيس القتال بين عساكر الدولة يعضدها اناس من البولونيين وبين الروس في سهول هوسكب فاركب الله القائد العثماني اكتاف العدو ولكن القائد العثماني عاد فارتشي من كاترينا الاولى ملكة روسيا وعقد بين دولته والامبراطورية الروسية معاهدة اجحفت بحقوق امته فعزله السلطان ونفاه الى جزيرة لمنوس وقتل خنقاً من ارتشوا معه من رجال الدولة اذ ذاك مثل وزير الداخلية ورئيس الكتاب وغيرهما واعلن السلطان ان هذه المعاهدة بين الدولة العلية وروسيا لاغية وعاد الى اعلان الحرب عَلَى العدو سنة ١٧١١ بقيادة يوسف باشا الصدر الاعظم فاوقفت الحرب بسعي الروس في الاستانة وعقدت معاهدة جديدة بين المتحاربين فوقع رجال روسيا عَلَى عهد الصلح ليشغلوا الدولة ويغنموا الوقت فلما ابلغوا مضمون المعاهدة للقيصر ابى الاقرار عليها فاعلن السلطان الحرب في شوال سنة ١١٢٤ ولم يظفر الروس في هذه الوقعة بالعثمانيين الا لان وزارتي لندرا والهاي كانتا تعضدانه عَلَى العثمانية وبولونيا والسويد وبسعاهما اوقفت

الدولة العلية الحروب ووقعت في ادرنة يوم ١٣ حزيران ١٧١٣ عَلَى معاهدة صلح الى مدة خمس وعشرين سنة ولم تراع فيها مصلحة الدولة العلية وعادت روسيا فعقدت معاهدة اخرى مع الدولة العلية سنة ١٧٢٠ من مقتضاها انه يحق لها التدخل في شؤون بولونيا .

توفي السلطان احمد الثالث سنة ١١٤٩ هـ وخلفه السلطان محمود الاول فحارب الفرس واضطر الى التخلي عن تبريز وفي سنة ١١٤٩ وقع الفرس والعثمانيون عَلَى هدنة لتتفرغ الدولة العثمانية لمقاومة اعتداء روسيا والنمسا. وازمعت روسيا ان تجتاز بجيوشها بلاد بولونيا لتداهم الارض العثمانية فاغتاظ لذلك السلطان محمود لانه مخالف للعهد الموقع عليها ولم يسمع الروس لاحتجاج العثمانية فحاصروا مدينة ازوف واضطرت الحكومة العثمانية ان تسوق جيشاً في ٦ صفر ١١٤٩ هـ (١٧٣٦) وكانت قد سقطت المدينة قبل ان يجدها الجيش العثماني واستولت روسيا عَلَى اوتشاكوف وكنبورن وعَلَى كوزلوف وبغجه سراي وآق مسجد من بلاد القريم واتى الروس من الفظائع في هذه الوقائع ماسطره لهم التاريخ باحرف من نار حتى كتب المسيو كاستلنو في تاريخه الذي قدمه الى القيصر اسكندر الاول بشأن هذه الوقائع مانعربه : ان الحملة لم تول روسيا شرفاً فان بلاد القريم أُحرقت ودمرت وربما كان مثل هذا العمل يغتفر عَلَى عهد البربر لما فطروا عليه من الجهل ولكن احراق المدن في القرن الثامن عشر وتخريب اهم المصانع والآثار وتدمير المعابدوابادة المدارس العامة وادخال الظلام عَلَى العقول باحراق خزائن كتب الامة التي تريدالانتفاع بها في انارة افكارها والقاء الشيوخ والنساء والاولاد طعمة للنيران لايقصد منه الحرب بل اهلاك شعب عن بكرة ابيه »

وتحالفت روسيا والنمسا محالفة دفاعية وهجومية واحتالت الثانية لعقد مؤتمر مؤلف من مندوبيها ومندوبي روسيا والدولة العثمانية فرأى الروس بموجب المعاهدة المبرمة ان تلغى جميع المحالفات التي كانت أُبرمت بين الدولة العلية وامبراطورية روسيا وان تسلم الى هذه بلاد القريم وكوبان وجميع البلاد التي نزلها التاتار و يعترف لمولدافيا وفلاخيا بانهما امارتان مستقلتان تحت رعاية روسيا و يعترف بان ملوك الروس هم قياصرة وان تدخل السفن الروسية حرة الى البحر الابيض من خليجي البوسفور والدردنيل فلم ترض الدولة بهذه الشروط المجحفة وعادت النمسا فاستجمعت قواها وحمي الوطيس في بلاد

البلقان وهزم العثمانيون العدو حتى اضطر الروس الى ان يحرقوا بانفسهم اسطولهم في بحر ازوف لئلا يسقط في ايدي العثمانيين

وفي سنة ١٧٣٩ عقد الصلح بوساطة فرنسا بين الدولة العثمانية من جهة ودولتي النمسا وروسيا من اخرى واعادت النمسا بلغراد وسابا كزا ورسونا وغيرها واصبح نهر الطونة والساف تخوماً بينها و بين الدولة العثمانية وقضت المعاهدة الاخيرة عَلَى روسيا ان تهدم حصون ازوف وتاكانروج وتسحب سفنها من بحر ازوف والبحر الاسود ولا تتجر الا عَلَى السفن الاجنبية وان تظل القريم مستقلة وتنال لقاء ذلك حرية المذهب الارثوذكسي في المملكة العثمانية وان تقيم لها سفيراً دائماً في الاستانة ووعد السلطان ان يمنح لقب امبراطورة للقيصرة حنة ايفانوفنا · ولم يجر في هذه المحالفة ذكر لبولونيا · وكان من نتائج هذه المعاهدة ان عرف الارثوذكس عَلَى عهد السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٥٧ بان روسيا تعضدهم في البلاد العثمانية فكان اول عمل لهم ان ينهبوا دير الكاثوليك في يافا وهجموا على الفرنسيسكانيين وغيرهم من البابويين حتى في كنيسة القبر المقدس وكسروا المصابيح والآثار وغيرها وجردوا الرهبان مما كان لهم

ولما ابى اغسطس الثالث ملك بولونيا ان يدخل مع اعداء الدولة العلية في محالفة ضدها اعترف به الباب العالي ملكاً وارسل من قبله الى فارسوفيا عاصمة البولونيين مندوباً سنة ١٧٣٧ وذلك عَلَى عهد السلطان عثمان الثالث وكذلك ابلغ السلطان مصطفى الثالث بعد ثلاث سنين صاحب بولونيا بجلوسه عَلَى العرش و بدأت العلائق الحسنة بين الدولة العلية وحكومة بولونيا حتى كانت الدولة تصدر اوامرها المرة بعد المرة الى عمالها في شوسيم وبندر والى خان القريم ان لا يكدروا صفو الصلات بينهم وبين بولونيا واذا نشأ عَلَى التخوم خلاف يحلونه بالحسنى

وادخلت روسيا في غضون ذلك جنداً لها الى ارض بولونيا فاعترض الباب العالي عليها فاجابته بانها تنوي اطفاء فتنة داخلية وان العهود تقضي بان لا تتداخل العثمانية في الشؤون البولونية ومع هذا امر الباب العالي فاضطرت بولونيا ان تحسم الخلاف الذي كان قد حدث بين الشعب بداعي انتخاب ملك جديد فاتحدت بولونيا عَلَى امر بينها تحت حماية الدولة العلية حتى ان السلطان مصطفى الثالث لما ذهب الى جامع ايوب ليتقلد سيف عثمان الاول عَلَى العادة قدم له الجند كأس مشروب عَلَى نحو ما جرت العادة فاجابهم انه يرجو في الربيع القادم ان يشربه معهم على اسوار بندر وضفاف دينبر

ولقد كانت جل رغائب روسيا في ذاك العهد ان تقسم بلاد السويد والدولة العثمانية و بولونيا فكانت تسعى الى ذلك بكل حيلة وتحيد عن كل محالفة كما فعلت سنة ١٧٦٧ بالاتفاق سراً مع ملك بروسيا وادخلت جيوشها الى بولونيا فاغتاظت الدولة العلية لذلك اذ عدت هذه مقدمة الى جلب الدب الاكبر الى جوارها واعلن السلطان مصطفى الثالث الحرب على كاترينة الثانية سنة ١١٨٢ هـ .

وفي سنة ١٧٦٩ و١٧٧٠ حدثت بين الدولة العلية وروسيا وقائع كتب فيها الظفر للروس ولاسيما في الحرب البحرية التي هاجم فيها الاسطول الروسي الاسطول العثماني في نافارين واحرق السفن العثمانية بقيادة ربان انكليزي واحرقت مدينة تشسما بالقرب من ازمير وسمع صوت القذائف الى بعد خمسين فرسخاً والى ازمير على بعد ستة فراسخ ودام الحريق من الساعة الواحدة بعد نصف الليل الى الساعة السادسة صباحاً وكان ذلك في ٣ ربيع الاول سنة ١١٨٣ هـ فخسر العثمانيون خمس عشرة سفينة في كل منها ٧٤ الى ١٠٠ مدفع وتسع سفن في كل واحدة منها من ١٥ الى ٣٠ وعدة مراكب واستاق الروس سفينة فيها ستون مدفعاً وخمسة زوارق ودامت الحرب بين الدولتين سنة ١٧٧١ و ١٧٧٢ واستولى الروس على القريم واحبوا عقد الصلح الا ان السلطان نشر في المحرم سنة ١١٨٧ (١٧٧٣) منشوراً يعلن فيه الحرب على روسيا فظفر الجيش العثماني في عدة وقائع في سنتي ١٧٧٣ و ١٧٧٤ وردوا الروس عن تجاوز نهر الطونة والى ماوراء سيلسترا وبينا النصر كان حليف اعلامهم توفي السلطان مصطفى الثالث وكان قبيل وفاته اخذ منشوراً من حكومات بروسيا والنمسا وروسيا باتفاقهن على تقسيم بولونيا تقسيماً اولياً وذلك في سنة ١٧٧٢

وخلف عبد الحميد الاول اخاه مصطفى الثالث وفي ايامه اتفقت روسيا والنمسا على حرب الدولة العثمانية فاستوليا على اوتشاكوف سنة ١٧٨٨ وفي خلال ذلك كانت المانيا تحاصر بلغراد فحزن السلطان لما نال مملكته حتى مات قهراً سنة ١٧٨٩ وظل خلفه سليم الثالث يحارب تينك الدولتين ولكن ردت الجيوش العثمانية على اعقابها واستولى الظافرون على بندر وغيرها واستولى النمساويون على بلغراد وسائر مدن الطونة وفي خلال ذلك احبت انكلترا وبروسيا والنمسا ان تحمل روسيا على توقيف الحرب على العثمانيين لاشتغالهن بثورة فرنسا الاولى ولكن كاترينا صاحبة روسيا رأت الفرصة مناسبة لدوام الحرب واتمام رغائبها بشأن العثمانية و بولونيا الا ان جيوش العثمانيين ظفروا في عدة مواقع

بالجيش الرومي وذلك في البحر الاسود بالقرب من يكي قوله ثم بالقرب من آق يار (سباستبول) وانهزم امير البحر الروسي في ٨ ايلول سنة ١٧٩٠ وتبدد اسطوله وبعد خمس وستين سنة في ٨ ايلول اي سنة ١٨٥٥ سقطت سباستبول ايضاً وفي خلال ذلك حدث لروسيا ما شغلها ببولونيا فعقدت الصلح مع الدولة العلية وفي سنة ١٧٩٣ قسمت بولونيا تقسيماً ثانياً وفي سنة ١٧٩٥ قسمت تقسيماً ثالثاً بين الدول الثلاث ولم تفه دولة من الدول ببنت شفة في الاعتراض على هذا العمل الا الدولة العلية التي اعترضت على نزع استقلال بولونيا بالقول والفعل ولكن قدر فكان واستولت روسيا وبروسيا والنمسا على بلاد البولونيين بعد مذابح بيعت فيها الارواح بيع المجان.

ولقد عزمت حكومات اوربا سنة ١٨١٥ ان تقيم في فينا موئتمراً دولياً لتقرير حال السياسة وسعت روسيا ان لا يقبل فيه مندوب من الدولة العلية فنجحت في مسعاها وكان من اثر ذلك ان اخذت روسيا تحرض اليونان والصرب والبلغار من رعايا الدولة العلية على نزع ايديهم من حكومتهم فقضي في دسائسها الوف من هذه العناصر ومن المسلمين ايضاً

وحدثت بين سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤٨ عدة فتن داخلية في البلاد العثمانية وكذلك في بلاد الفلاخ والمجر وتدخل الباب العالي في شوؤن ولايات الطونة واهم ذلك فتنة المجر ولو جرت الدولة العلية عَلَى تحالفها مع بولونيا والمجر وعنصراها من العناصر التي تحب العثمانيين كثيراً لنجت هي وهم من غوائل سياسية كثيرة

قلنا ان الدولة العلية ناهضت لحفظ استقلال بولونيا بالقول والفعل وذلك على عهد مصطفى الثالث الذي اعلن الحرب عَلَى كاترينا الثانية لمجرد الدفاع عن بولونيا فبعثت الدولة الصدر محمد امين باشا الى تخوم نهري الطونة ودنيستر سنة ١٧٦٨ فحاولت كاترينا ان تدخل اليه السم فاكتشفت المكيدة وشنق الاطباء ولكن عاد الصدر فتناول رشوة من روسيا هو وامير مولدافيا وترجمان الباب العالي فلما اكتشف السلطان امرهم امر باعدامهم في آب سنة ١٧٦٩ وارسل الباب العالي قائداً آخر ودام القتال بين البولونيين والعثمانيين من جهة وبين الروس من جهة أُخرى الى سنة ١٧٧٠ وانتهى عَلَى ما مر بك آنفاً بتدمير الاسطول العثماني في تلك الوقعة المشوؤمة

فالمسلمون والبولونيون اصدقاء منذ عرفوا ايكيد لهم اعداوءهم حتى ان بولونيا لم ترسل بجيش منها مع جيوش الصليبيين الى الشرق لما قام هوءلاء باستخلاص البيت المقدس

من ايدي المسلمين . ويكفي في عناية الدولة بالبولونيين وعنايتها بالمجر بين ايضاً انها فتحت صدر بلادها لقبول المنكوبين منهم والعاملين على انهاض بلادهم واسترجاع سلطانهم فانزلتهم في ارضها على الرحب والسعة ووسدت الى بعضهم المناصب واستعانت بهم على تقوية كلمتها الجندية والسياسية حتى ان الدولة لما ارسلت الى مؤتمر بكرش الدولي مندوباً من قبلها في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر اعلنت بان دول اوربا اذا رضيت بان تعيد مملكة بولونيا الى حالتها يعدل الباب العالي علناً عن امتلاك ولايات الطونة ولذلك رأى عقلاء من البولونيين ان تؤلف كتائب بولونية سنة ١٨٥٤ تحت رعاية العثمانية فتألف عسكر القوزاق وكان منهم كتائب الدراغون التي جاءت الى سورية ايام فتنة سنة ١٨٦٠ في جبل لبنان

وكان من كتائب البولونيين في حرب القريم ان ابلوا مع العثمانيين بلاء حسناً ولما انتهت الحرب اقطعتهم الدولة بعض قرى في ضواحي بروسة واسسوا لهم بلدة في ضواحي الاستانة لا تزال الى اليوم وقد دان بعض قوادهم بالاسلام مثل ميخائيل ساجوفسكي الذي سمي بعد محمد صادق باشا ولوبورد زاكي الذي لقب بمحمد حلمي وغيرهما من رجال البولونيين الذين اخلصوا الخدمة للدولة العثمانية . وابن محمد صادق باشا المشار اليه هو مظفر باشا متصرف جبل لبنان السابق .

وهكذا كان الاتراك والبولونيون يتحابان كلما طال المدى خصوصاً والعثمانيون يعلمون حسن معاملة البولونيين ايام استقلالهم للتتار المسلمين النازلين في بلادهم ليتوانيا منذ سنة ١٤١٠ وكيف كانوا يعتمدون عليهم في الدفاع ويؤلفون منهم كتائب تغني غناءها في رد هجمات المهاجمين على بلادهم وكانت لهم حريتهم المذهبية والشخصية حتى كانت تسمح لرجالهم ان يتزوجوا من النساء البولونيات لقلة النساء عند التتار وان يتبعن مذهب رجالهن وما قط تزوجت مسلمة من بولوني كما انه لم يتزوج تاتاري من يهودية

وكانت بلاد بولونيا قديماً الطريق التجاري لبلاد الشرق الى اوربا لان بولونيا كانت اول بلاد المسلمين ولذلك ترى العادات والاذواق واحدة في البولونيين واكثر العثمانيين وبين البلادين من الصلات التجارية شيء كثير ولا سيما بعد ان زادت مدنية البولونيين ونما عددهم الذي بلغ كما قال مؤلف الكتاب الذي اعتمدنا عليه في تعريب هذه النبذة ثلاثين مليوناً وهم نازلون بحر البلطيق الى البحر الاسود ومن نهر اودر الى داوبنا الى دينبر .

ذهب استقلال بولونيا منذ نحو قرن ونصف ودعاة استقلالها مازالوا منبثين في البلاد لم يدخل اليأس على نفوسهم والاب يلقن اباه والام تلقن ولدها الثاغي بالاستقلال ويعلمون ابناءهم تاريخ بلادهم وعظمتها وبطش الحكومات التي تقاسمتهم ولا سيما روسيا ويذكرون لها مذابحها وافاعيلها فيهم فهل يوفق اولئك الدعاة الغيورون الى ماقصدوا اليه ذات يوم ياترى ام يخضعون على الدهر لمن استصفوا ارضهم وديارهم ·

ان انقضاء القرون في حياة الشعوب لاشأن له بقدر كر السنين في حياة الافراد وما المئة سنة بالشيء الكثير على امة تطلب التجديد ونزع ربقتها ممن يظلمها ولذلك يرجى الاستقلال لكل امة كان لها ففقدته كالمصريين والجزائريين والهنديين وغيرهم ممن استعمرت بلادهم واقرب الامم بالاستقلال البولونيون والليتوانيون ·

الفصيح العامي والعامي الفصيح

من مبحث لنعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى اليومية في نيو يورك

ليس في اللغة العربية معجم واحد يستحق ان يدعى نجعة الرائد بوفرة الشواهد وكثرة الفوائد وضبط الشوارد ولا في غير اللفظة مايدل على ازالة الابهام وكشف الغامض بايراد ابيات لفحول الشعراء وعبارات بلغاء المنشئين على صحة الكلمة والعبارة كما نرى في وبستر في الانكليزية وليتره في الفرنساوية فترى اكثر الكتاب يتخرصون في مالا يعذرون عليه ويتوهمون ان البيان في الدخيل والحوشي والبلاغة في العقيم والوحشي وان كل من هرف عرف ·

فاللغة في حاجة الى معجم تقام على كل حرف وكلمة منه شواهد شعرية ونثرية يسلم معها الذوق ويستقيم ويرد الكلام المدعو عامياً الى اصله الفصيح ويعدل عن التقعر الى السهل المقبول

قد تهتأ ثوب اللغة حتى كاد يسقط من تقطعه فترى كل من تحيف بيانه عجمة وجدل عن ادعاء ومكابرة يجتحف الفصيح ويستلب البليغ ويحرك خشاشه غضباً على كل من

ملك من اللغة عنانا وضبط لهـا بيانا و يكون لايدري من اي الدهداء هو ولا يعرف له في عالم الادب اصل او فصل ولكنه يتوهم ان كل كلمة يقرأها ولا يفهم معناهـا تكون من « الحوشي والوحشي ! » . وان كل ماتداولته السنة العـامة ساقط يجب الترفع عنه وتكون الكلمة التي لايفهمها من ابلغ ماجرت به اقلام المنشئين والشعراء الا انه لم يطالع ليعلم ولا تحرى ليفهم و يكون بعض ماتداولته السنة العامة من بقايا افصح اللغات العربية التي اعتورها التصحيف والتحريف وقليل من البحث يرجعها الى اصلها و يقيم من اللسان منآده عَلَى ماوقع من نحو خمسين عاماً اواليوم اذ توكعب المجتهدون أثر بلغاء العربية الاقدمين وتنشطوا للبحث والتنقيب واقبلوا على التدقيق والتحقيق وقد ترجع مثابرتهم اللغة الى رونقها الاول بعد خمسين عاماً تأتي .

وليس لنا حتى في مدارسنا الوطنية اثر « للوطنية » فترى ان كل مدرسة سورية قد اوجبت على تلاميذها التخاطب بلغة غريبة عنهم حتى عند اول دخولهم بابهـا فيتسرب العقوق وشيء من البله الى قلوب وعقول هؤلاء الاولاد المساكين و يكون القائمون على تهذيبهم وتدريبهم من خونة الوطنية ومجرمي الآداب اذ كيف يعقل ان طالباً لايفهم من الفرنساوية او الانكليزية اوالروسية اوالجرمنية كلمة يكلم رفيقه باحداهن قبل انقضاء الاعوام عليه وكيف يقبل السوريون مثل هذه « الشريعة المدرسية » الظالمة التي تكم فم التلميذ وتعوده الخيانة اضطراراً لقضاء حاجاته الضرورية وتنشئه على حب لغة غير لغته ووطن غير وطنه ولو ان المدارس السورية توجب التخاطب بلغة اجنبية في ساعة واحدة معينة للتلاميذ لكان ايجابها معذوراً وان لم يكن له مثيل في اي مدارس اوروبا واميركا وانما هو الاحتقار يركب الصغار ! والمدرسة التي لا تصان فيها اللغة الوطنية تكون عدوة الشعب ولو كان منشئوها من الصرحاء .

ان البلاء ليس في الادعاء وحده بل في اختزال كل منا برأيه والتصرع والتصـاغر للاجنبي والتمرء الظاهر تكلفه والتفوق البادي تحيفه مع الوطني وريح التخاذل حتى في اللغة تنجف كل ذروة باقية في جرفها وتحتمل كل درة كما نعرفها قبل عصفها ولله في تدابيره شؤون .

وهناك آفة جديدة عَلَى اللغة من اهمال معاجمها المعروفة وعـدم تنقيحها وتصحيحها وادخال الموضوعات الحديثة اليها ففي اي معجم نرى تفسيراً عصرياً للمجهر والندي والرعاد والمنطاد مثلا اوجمعاً لشتات ماأجمع عَلَى صحته المحققون اوتوسعاً في الاشتقاق

والنحت والقلب والابدال والتركيب والادغام مما لاغنى عنه في لغة حية بل نرى ان كل معجم يطبع حديثًا يجرد من الكثير من اصوله بدعوى حفظ آداب الناشئة وصون اخلاقها · فليكن ذلك · ولكن بعد بذل شيءٍ من العناية لزيادة الضروري للكبار كانتقاص الضروري للصغار ·

الفيلسوف اللغوي يجد في كل معجم حديث زيادة جديدة وشروحًا مفيدة الا في العربية الباقية كالرسوم الدوارس مع تعدد المدارس · وترى « المثقفين والمهذبين » ينشرون صفحات الحريري والبديع ومجمع البحرين وامثالها لاشراب التلاميذ روح المخادعة والمصانعة والجبانة والخيانة والحيلة والرذيلة عَلَى غير قصد منهم او بقصد استظهار الشوارد والاوابد و يطوون صفحات كل كتاب يكون افيد واعود وانفع وارفع لانهم لايزالون كالفلاحين الشرقيين محافظين عَلَى المحاريث القديمة !

ومن عيوب العربية ايراد جموع لامفرد لها وافعال لامصدر ولاماضي لاحدها فهل تقبل فلسفة اللغة شيئًا من هذا ؟ وهل يعقل ان واضعي اللغة بنوا كلاً من غير اجزاء ؟ اننا لاننسب هذا الخلل الا الى مدعي المحافظة على سلامة اللغة اذ يكونون يحافظون عَلَى قديم عقيم لايسلم به عقل سليم ·

وفي اللغة عيوب كثيرة الصقها بها غير الراسخين ونظن ان أوان النهضة الادبية قد آن وانه يجب ان يعلن دستور اللغة كما اعلن دستور الحكومة

انا مورد الآن ماحضرني من العامي الفصيح للغاية التي بسطتها في التوطئة ·

تواً — اسأل عجوزاً او شيخًا ان يدلك عَلَى بيت او طريق في لبنان فيقول لك « اذهب تواً » و يشير باصبعه والكلمة فصيحة من قولهم جاء تواً اي قاصداً لايعرجه شيءٌ

بربص — يقال بربص الارض اذا ارسل فيها الماء لتجود او بقرها وسقاها سقيًا رويًا وهو المعنى الذي تستعمل العامة. الكلمة له في بعض السواحل والقرى الغزيرة المياه اما في سائر لبنان فيفهمون بالبربصة رش الماء امام البيوت والحوانيت وليس في المعنى شذوذ

دعث — الدعث هو تدقيق الرجل التراب عَلَى وجه الارض بالقدم

ودعس — وقريب منه دعس الشيءَ اذا وطئه شديداً والغريب ان اكثر الصحافيين يعتبرون « دعس » عامية وان الكتاب لايستعملونها لزعمهم ان المعنى العامي غير تام

اما « دعث » فلا يذكرها احد منهم مع ان القرويين يستعملونها « للرص » و يقولون عن الارض المدوسة مدعوثة وعن السطوح التي تكهف : يجب دعسها او دعثها . فليتأمل القارئ

دعك — كلمة فصيحة ويقال دعك: الثوب اذا ألان خشنته الا ان متفرنجي اللغة لا يرون في الكلمة فصاحة فيستعملون « أخلق » وهي لاتدل على شيء من الدعك بل على البذ والإرثاث .

دعر — يقول العرب : عود دعر نخر للرديء الكثير الدخان و يفهمون بالدعارة (بتشديد الراء) سوء الخلق و يقولون دعر العود اذا دخن ولم يتقد وتقول العامة رجل دعر اذا كان متصلباً جافياً وهو من المجاز الذي لاغنى عنه الا ان من الناس من لا يريد ان يمتد نظره الى ابعد من ارنبة انفه .

دغري — في محيط المحيط ان « الدغري تحريف الطوغري بالتركية ومعناه الصحيح والمستقيم » فلماذا لا يرجع الى الاشتقاق العربي فيكون معناه الاقتحام من غير تثبت وهو المعنى الذي يريده اكثر العامة اذ يقولون : اذهب دغري وذهب دغري الى البيت واذا وجد اختلاف فما لا يعتد به .

الثغرة — يلفظ اكثر اللبنانيين الثاء بين لفظها الاصلي ولفظ التاء او الطاء فيقولون انثغرت الثغرة و يستعملون الكلام الفصيح في المواضع التي لايحسن كثير من كتاب هذه الايام استعماله فيها ولا عبرة باللفظ الذي لا يفسد المعنى — لو كان اللفظ يفسد معنى الكلمة لكانت اللغة الانكليزية فاسدة في اكثر كلامها بين اللفظ الانكليزي والاميركي والكندياني والاوسترالي .

الثلم — خط المحراث و يريد البعض جعله غير فصيح من طريقة لفظه التي اشرنا اليها في الثغرة .

احزك الحمل — شده جيداً « والمكارون » يستعملون هذه الكلمة الفصيحة التي لاترضي البعض مع ان معنى « حزكه » عصبه وضغطه واحتزك بالثوب احتزم .

بلصقي — اللبناني يقول : اجلس بلصقي اي بجنبي ولا يوجد اصح من هذا التعبير للمعنى المراد الا ان استعمال العامة له جعله عند بعض الناس غير عربي كما جعل بعض الفضائل مستحى بها الا ان اصحابنا هؤلاء ينظرون الى الكلام نظرهم الى المصنوعات

الوطنية التي ليس لأنفسها وأدقها قيمة عندهم ولو استطاعوا ان يعاضوا عن هواء سورية الثليل بهواء معل بشرط ان لايكون « وطنياً » لما ترددوا ·

مزعه — مزقه والكلمة عربية وعَلَى لسان كل لبناني

شلخه — هبره بالسيف وجريمة العامة انها تستعمل الشلخ للدية والمجل الا ان المنتشرين عَلَى اطراف الجبل والمضطرين الى منازلة ومقاتـلة المغيرين والغزاة يقولون « شلخه بالسيف »

حز — وعَلَى ذكر الشلخ نقول ان نصيب « حز » من (المتعصرين — ونريد بهم الذين يدعون؛؛وسهم عصريين بلغتنا العامية) ليس افضل من نصيب شلخ · يقال : حز الشيء قطعه وفي فقه اللغة للثعالبي انه خاص باللحم الا ان العرب تقول حز الخشبة فرضها والعامة تقول : حزز المنشار جعل فيه أثراً وتقول ايضاً « الحز » للقطع والحزة للقطعة ولا نرى مايعاب به الاشتقاق

حش — قطع الحشيش او طلبه وجمعه والكتاب يؤثرون استعمال « قطع الحشيش » عَلَى حشه مع ان الكلمة اصلية لا يصلح غيرها لمعناها ·

القلت — النقرة في الصخر يجتمع فيها الماء واصلها لنقرة الجبل يستنقع فيها الماء ويستعملها الاولاد من العامة صحيحة دون اكثر الكتاب ·

غطغط — غلب النوم عليه هذا هو المعنى الاعم عند العامة ويأتي بعده معنى غليان القدر فلو قام منشئ بليغ واستعمل الكلمة لقال « المتعصرون » عنه انه يأتي بالوحشي والحوشي او ان الكلمة دخيلة لانهم هكذا يريدون اوهكذا يفهمون ·

زلق — زلقت قدمه زلت · والزلقة الصخرة الملساء وبها سميت قرية في ساحل بيروت وفي التسمية دلالة عَلَى ان اللسان العربي كان في بلادنا فصيحاً ولاتزال الآثار تشهد له الا ان من نكد الدنيا عليه ان عارفيه — بروحه لابلفظه — غير كثار وان جاهليه مع الادعاء بمعرفته جيش جرار

زحل — عن مكانه تنحى وتباعد

زحلقه — دحرجه ومنه تزحلق الاولاد في مطاوعه

شخر — صات من حلقه او انفه ولا ندري مايجعل الكلمة غير فصيحة في استعمالها للغطيط ·

قفقف — في معاجم اللغة : قفقف الرجل ارتعد من البرد وغيره او اضطرب حنكاه

واصطكت اسنانه وهو المعني الذي تستعمله العامة له تماماً الا ان هناك معنى آخر لم نعثر عليه في المتون وانما ورد رواية واسناداً في لسان العرب وهو : قفقفت الدجاجة على بيضها حضنته واستعمال الكلمة شائع في لبنان للعاميين فهل اغرب من هذا النقص في معاجم اللغة

وخش — الشيء كان وخشا اي رديئاً وهذا هو المعنى الذي تريده العامة من الوخش ضد الناعم لانهم لايحصون الاشياء فقط به بل يتناولون بمعناه رذال الناس وخشارتهم و يصيبون بكل فصاحة ٠

طم = بالتراب دفن وغطى

كب = افرغ

طرقة — طريق

من الحاضر — من الجاهز

بتكه قطعه تشديد بتكه للمبالغة

بت — الامر امضاه

بربر = صاح واجلب وتكلم بالفاظ وحشية

قرقر = شقشق (حاجي تقرقر وتبربر)

وكل كلمة مما مر واجبة الاستعمال في موقعها اذ ليس مايسد مسدها

القز = في محيط المحيط ان العامة تستعمل القز لما غزل من الفيالج المبيضة فهل هي تستعملها الا لما استعملها له الشاعر القائل :

« يرفلن في سرق الحرير وقزه » ؟

راز وروز = يقال رازه جربه وامتحنه، وقدره وراز الرجل اختبره قال الحريري

لاتسأل المر من ابوه ورز خلاله ثم صله او فاصرم

وروز كلامه روأ في تقديره وترتيبه فما قول المتفرنجين !

نتش — نتش اللحم جذبه قرصاً والشعر نتفه

النتفة = ما تنتفه باصبعك والفعل نتف بمعنى نزع ٠ يرى المنروي ان معنى العامة في محله وان انكر المنكرون وعلى هذا المثال ثقل وثقل

نش = الغدير أخذ ماؤه في النضوب وهو المعني المستعمل له النش عند العامة اكثر من التحلب والنز ٠ والنز من العامي الفصيح وهو النجل او الماء المتحلب من الارض

بقبق — من من السوريين لم يسمع هذه الكلمة ؟ تقول العامة فلان يقبقق اي يهذر وفي المعاجم ان البقبقة تفريق الكلام على الناس وربما كانت فلسفة الكلمة في المعنى العامي الذي يتناول معنى الهذر والشقشقة والغموض

وهم يقولون ايضاً عند انزالهم الجرة في حوض او الدلو في بئر ان الماء يقبقق فليطلب الادباء الاصل لتثبت لهم فصاحة الكلمة

قرفة — يقال بنو فلان قرفتي اي هم الذين اظن عندهم طلبتي وسل بني فلان عن ناقتك فانهم قرفة اي تجد خبرها عندهم والعامة تستعمل الكلمة كالقراف والمقارفة مصدري قارف اي قارب

وقراف من لا يستفيق دعارة يعدي كما يعدي الصحيح الاجرب

الا ان اصل المقارفة للاشياء الدنيئة وما لاشك فيه ان التعميم الذي جرت عليه العامة ناتج عن المخالطة المفسدة للغة الا ان غرضي الآن هو اثبات صراحة اكثر الكلمات الدارجة واذا وجد في بعضها خلل فذلك من جهل المدعين فوق ماهو من مخالطة الاعاجم اما ترون كيف تستدرك العامة المعنى بقولها : مقارفة التاجر الفلاني حسنة والآخر رديئة فروح اللغة لاتزال فيهم وهم افيد لها من الذين لايفهمون ولا يريدون تفهم معني الكلام

قرف — تقول العامة قرف قمعة الشجرة اي انتزعها والاصل القشر

تف — هذا مثل التف عندي مثل وسخ الظفر وقد لاتكون العامة تفهم ان التف هو وسخ الظفر الا انها تفهم انه شيء لايعبأ به وتستعمل الكلمة فصيحة

تفه — اصل هذه الكلمة تفه وفساد لفظها لا يفسد معناها فهي فصيحة يجب استعمالها على حد ماتستعملها العامة بعد اقامة اللفظ فهي تقول : شيء تفه وامر تفه وكلام تفه وقولها صحيح فصيح

هبط — لازم متعد يقال هبط بمعنى سقط وهبطه بمعنى انزله واكثر استعمال العامة للفعل مشدداً فهم يقولون هبط الحائط فاين المأخذ ؟

مسماك — المسماك عود يكون في الخباء يسمك به البيت اي يرفع قال ذو الرمة الثقفي :

كأن رجليه مسما كان من عشر صقبان لم تتقسم عنهما النجب

والكلمة مستعملة عند القرويين بمعناها الوضعي الا انهم يستعملونها لرفع الكرم ايضاً

ويظن البعض انها لا تعود فصيحة فعلى هذا المذهب الغريب لايجوز لنا ان نضع للجاحمين شكيمة ولا ان نلتي الى الاكفاء مقاليد الامور .

ان بلية اللغة في ابنائها المقيدين لانهم مقيدون ولما كنا نبحث في المسماك فلا بأس من استعمال الكلمة العامية الفصيحة من ان كل من لايكون لطيفاً يكون بالطبع « سميكاً »

هبج — هبجه بالعصا ضربه وهبجه ورمه وتهبج تورم وبما ان العامة تستعمل الفعل بمجرده ومزيده لم يعد عند المنشئين فصيحاً

هبش وهمش — لينظر العارفون اذا كان معنى الجمع والالتقاط تاماً ام لا

جرّس — المنشئون يستعملون شهر والعامة تستعمل جرس للتسميع بالناس واشهار عيوبهم ونقائصهم والكلمة العامية اصح واوقع .

« ماهذه الجرسة ! »

هاش — لاتلتفت ياقارئي الى هوش الكلاب وتهويشهم فان ابناء العربية آخذون بخناقها وانما تذكر قول العامة : « الناس هائشون » وقولهم : « هم في هوشة وكانوا يتهاوشون » للدلالة عَلَى الهرج والهيج والفتنة والفساد والاختلاط وتذكر في الوقت نفسه ان الكلمة عربية فصيحة وان « الهوش والبوش » من فصيح اللغة ايضاً وانه لاينقصنا الا التحقيق والتدقيق

الكلمات التالية كلها من فصيح العربية المحسوبة عامية

الشلشلة القطران والانتشار — التشمير للرفع والتقليص — قشّ الشيء جمعه والاولاد والنساء في لبنان يقولون : نحن ذاهبون الى الحقل او الحرج نقش اي نجمع الوقود — هارش واثب وخارش للناس والكلاب والشيء بالشيء يذكر فالعامة تقول : رجل هرش للشيخ ولنا فعل هرش الرجل يهرش اذا ساء خلقه فاذا كانت كلمة هرش عربية فهرش مصحفة وهل اقدر الائمة لايلحنون ؟ — لازق لاصق — ولصقي ولصق بيتي بجانبي وجانبه — الهتيكة الفضيحة وهي في لسان العرب دون الفيروز ابادي ومحيط المحيط — حاص حوله اي حام — نعر صوّت بخيشومه وصاح : كني تنعر وفلان ينعر — رزه غرزه والشيء في الشيء اثبته : رز الوتد ورز المدل والمد والجراب — صوّل الحنطة والكلس — عزوة الرجل — نُتْفة ونتَفه ونتّفه — الوأف — خارت قوته اي

ضعف — عزره لامه ووبخه — الولودية الصغر — خنخن لم يبين كلامه اي ابدى خنة او غنة في خياشيمه — خنفس عن القوم : كرههم وعدل عنهم ومنه فـلان مخنفس والولد مخنفس . تفاصح تكلف الفصاحة — فلتة لسان وفلت لسانه . السحت الكسب من مال الحرام — نكس رأسه طأطأه — تعوق تأخر وتريث — يسرها الله : سهلها — طعمه مز : فيه مزازة اوطعم بين الحلاوة والحموضة قال الحريري :

لا ابالي من اي كأس تفوقت ولا ماحلاوة من مزازة

همدت النار : ذهبت حرارتها اوطفئت البتة — نصت وتنصت : سكت مستمعاً وتسمع — خبص الشيء بالشيء خلطه وخبصه للمبالغة — الخبتة : التواضع والخشوع — تزنتر : تبختر وهي فصيحة الا ان العامة تكره التزنتر والتبختر — حت : حك وقشر — خبطه : ضربه ضرباً شديداً

تبقط — تقول العامة : فلان يتبقط والمعنى انه يتناول الشيء قليلاً قليلاً او شيئاً شيئاً الا ان استهزاء جهلة المتعلمين بالعامة يجعل الكلام الفصيح غير فصيح عنـد الاغبياء دون سواهم .

قرفص — من اين اتت القرفصاء التي هي ان يجلس الرجل على أليتيه و يلزق فخذيه ببطنه و يحتبي بيديه اذا كان لا يوجد لها فعل بمعناها فان قول العامة « قرفص » يدل على القرفصاء الا ان المعاجم تنكر هذا المعنى مع وضوحه . انشد ابو المهدي

لو امتخطت وبراً وضبّا ولم تنل غير الجمال كسبا
ثم جلست القرفصا منكبّا تحكي اعاريب فلاة هلبا
ثم اتخذت اللات فينا ربّا ما كنت الا نبطياً قلبا

الا ان العربية في حاجة الى التحقيق والتدقيق . انظر الى نوع آخر من هذا الاصل فانهم يدعون اللصوص المتجاهرين « قرافصة » لانهم يقرفصون الاسير اي يشدون يديه تحت رجليه الا انهم لم يذكروا للجمع مفرداً والجموع التي لامفرد لهـا غير قليلة فهل هذا معقول ؟!

نبر — من معاني نبر المعنى الذي اتخذته العامة لرفع الصوت . انشد اللحياني

اني لاسمع نبرة من قولهـا فأكاد ان يغشى عليّ سرورا

فلماذا لاتكون الكلمة فصيحة . لاندري !

نهر — بالله ياابناء العربية ماهذه الفوضى ! تقولون نهر السائل وانتهره زجره والعامة

تستعمل المعنى نفسه الا بعض النداء عن توسع ومايثبت وجود معنى الزجر في نهر العامة انها لا تستعمل الكلمة الا عند الحدة والشدة فمفسدو اللغة هم اكثر حملة الاقلام لا العامة التي لاتزال محافظة عَلَى مالايحافظ عليه اكثر الدارسين . وقريب من نهر نده .

تحوج — متى ذهب الناس في طلب الحاجات يقولون نحن ذاهبون نتحوج وكذلك يقولون عند شراء حوائج العروس ومع ذلك تعتبر الكلمة عامية عن غير تروِ اذ ماهي بضاعة التاجر غير حاجته « وجهاز » العروس غير حاجتها ؟

خش — اهلاً وسهلاً خش . اي ادخل وخشت الحية في الحائط دخلت والكلمة من الفصيح

هت — بماذا تهتني تعيرني وتحط مرتبتي ومنزلتي

مقمق — يجب ان يكون لنا من معنى التكلم باقصى الحلق هذا الفعل بدليل وجود اسم فاعل منه وهو المقامق الا ان معاجم اللغة لاتشير الى شيء من هذا او ان النقص الظاهر فيها تكمله العامة بقولها : فلان يشقشق ويمقمق فليرجع المنقبون الى المتون ويعتبروا

طاح — ذهب وتاه في الارض ومنه « الطائح » عند العامة للفار من وجه الحكومة ولا يوجد كلمة ادل عَلَى المعنى فيجب استعمالها

انثم الجسم — قلنا ان بعض لفظ العامة غير صحيح الا ان كلامهم فصيح ومن الشواهد « انثم الجسم » اي ذاب وضعف وبعض الدروز في لبنان لا يزالون يلفظون الكلمة « عَلَى حقها » ولا يبدلون الثاء سيناً وشيء من العناية يرجع الى اللغة رونقها ولو ان الحكومة تقيم الائمة لاقامة الكلام واللفظ لكانت تخدم البلاد والعباد ما زالت مدارسنا توجب على التلاميذ التخاطب بلغة اجنبية ولاتوجب عليهم التخاطب « ولو لساعة » بفصيح لغتهم كأن التخاطب بفصيح العربية عار وبفصيح سائر اللغات فخار

وقوق — من فصيح اللغة ان الوقواق المكثار والوقواقة المهذارة قال ابو بدر السلمي

ان ابن ترنى امته وقواقه تأتي تقول البوق والحماقه

الا ان المعاجم لاتذكر الفعل الا لنباح الكلب واختلاط صوت الطير وعندي ان الكلمة عَلَى ماتستعملها العامة صحيحة فصيحة اذ كيف يقولون وقواق ووقواقة ولا يقولون وقوق بمعناها ثم ان العامة تستعمل « الوقوقة » في التهكم كأنها تقول ان فلاناً يخلط ويلت فاذا رفض اللغويون الا التقيد بسلاسل التقليد البليد فلا اقل من التسليم بصحة المجاز

لت — ثم ان اللت هو الخلط فلماذا يجوز لنا استعمال الخلط واعتباره فصيحاً ولا يجوز لنا استعمال اللت وهو بمعناه . فكم انت مظلومة ايتها العامة !

فقع — مات من شدة الحر والعامة تقول « فقع ومات » مع تخصيص المعنى بالهم والغم الا ان المراد ظاهر وحوادث الفقع في حمارة الصيف كثيرة في امهات مدن الولايات ويجب استعمال الكلمة الا من « مفاقيع » اللغة .

تصيع الرجل = ضل . من تصيع الماء اضطرب على وجه الارض وفي الحرف معنى التفرق بتردد وتحير فلماذا لا نتوسع في اللغة كما توسع العرب قبلنا .

المداس = الحذاء الذي يلبس في الرجل « والمتفرنجون » يفضلون استعمال اللستيك والصباط والجزمة لان « المداس » مستعمل من العامة فكأنهم يحاولون اظهار تفوقهم بنبذ اصح الكلمات العربية لا لحجة الا ان الكلمة من غير « زيهم » الحديث

حنك فلاناً = دلك حنكه والغريب ان الكلمة تعد عامية متى استعملت لدلك القابلة حلق الطفل قبل ان يرضع فاذا كان معنى الدلك موجوداً فاين « العامية » في الكلمة وهي على فصاحتها . ابعط في كلامه : لم يرسله على وجه قال رؤبة

وقلت اقوال امرئ لم يبعط اعرض عن الناس ولا تسخط

وابعط في السوم تباعد وتجاوز القدر — قال حسان

ونجا اراهط ابعطوا ولو انهم ثبتوا لما رجعوا اذاً بسلام

سفق — سفقه بالكف : لطمه قال ابو منصور سفقت الباب واسفقته أجفته . وسفق وجه الرجل لطمه فاستعمال العامة للسفق في محله .

دمشق — الشيء زينه . قال ابو نخيلة :

« دمشق ذاك الصخر المصخر »

وهذا هو معنى العامة : شاب مدمشق وقامة مدمشقة

دلق — تروى في المعاني التالية ، تدلق السيل عليه واندلق هجم واندفع — اندلق الشيء خرج من مكانه ، وكل ماندر خارجاً فقد اندلق ويقال : طعنه فاندلقت اقتاب بطنه اي خرجت امعاؤه ودلق وادلق السيف اخرجه فاي جريمة لغوية في استعمال العامة للدلق والاندلاق بمعنى الصب والانصباب

عثر — زل ومعثر ساقط وزال والعامة تلفظ الثاء تاء

خثر — جمد وتماسك ومختثر مجمد

لزّ — الشيء شدّه والصقه والقوم اجتمعوا وتضايقوا والشيء بالشيء الزمه به فليعتبر اللغويون

زمك — عن ابن الاعرابي زمكت القربة وزمجتها اذا ملأتها والزمك ادخال الشيء بعضه في بعض والعامة تستعمل المجرد والمشدد استعمالا صحيحاً

زرك — زرك الغلام ساء خلقه · هذا عند اللغويين فصيح ولكن الا يجوز لنا ان نعامل زرك معاملة « سئم » فنقول اسأموسأم وازرك وزرّك ولماذا ؟! قد تكون العامة على صواب

دعقه — في لسان العرب · الدعق الدقّ ومحيط المحيط لايذكر هذا المعنى الذي هو معنى العامة تماماً الا اذا كان لايجوز لنا استعمال الصب للبترول — لانه لم يكن عند العرب ولا لسائل آخر غير الماء والخمر

حوّشه — جمعه وانحاش عنه تقبض ونفر والحواشة مايستحيا منه والعامة تستعمل كل ذلك دون حملة الاقلام

لقلاق بقباق — مهذار كثير الكلام واللقلقة تقطيع الصوت والجلبة ولقلق وقلقل بمعنى واحد للتحريك والهز

لاط — لاطه خلطه وعجنه وقد وردت في كلام الامام علي

الحدّو — الحدو عند الموت من الفصيح

سن — سن الارض ملسها قال الشاعر:

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء نمشي في مرمر مسنون

وهو المعنى الذي تستعمله القروية اللبنانية بعد ان « تطين بيتها او تمرحه » وتسنه وتسن « الحجرية »

شرم — شق وقطع فهو مشروم بكل فصاحة

استملح — الشيء عده مليحاً ·

سبرك سبري — تريد العامة بذلك ان عليك ما علي لان اصلك كاصلي وهيئتك كهيئتي وليس من مغمز

تعنفص — كان ذا صلف وخفة وخيلاء وادعى بما ليس فيه ولا يريدون ان يكون له رباعي

تغنجت : شكلت وتدللت

تغلج : فلان على فلان بغى عليه وظلمه فهو مغلج
ثخنها : غلظها وصلبها

حزر : الشيء قدره وضمنه وحزره التي عليه مايحزره

اقلعت الباخرة = في الجرائد والمجلات والكتب نقرأ هذه العبارة الواجب الاقلاع عنها — كانوا يقولون اقلعت السفينة اي نشرت شراعها اوقلوعها لتمخر شاقة الماء ولم يكن ايام كانوا يستعملون العبارة بخار اما اليوم فلا يجوز ان نقول اقلعت الباخرة بل مخرت اوجرت الا اذا كان المركب غير بخاري وفي مثل هذه العبارة يظهر فضل اللغة العربية ويثبت لهؤلاء الذين لايعرفون شيئاً منها اننا بغنى عن تحدي الفرنجة الذين يقولون « اقلعت الباخرة » لفقر لغاتهم

ضربت بكلامه عرض الحائط = مهما التمس « المجازيون » من الاعذار لا اجد هذا التعبير عربياً فاننا لانضرب عرض الحائط بالكلام لنهمله ونسقطه ونطرحه ونرميه . نحن نقول في العربية جاء ني كتاب فلان فضربت به عرض الحائط وانما لانقول مثل هذا القول عن الكلام نفسه

حررت له وارسلت له = اصعب ما في اللغة عَلَى الدارسين انفسهم احسان استعمال حروف الجر وكل مدقق يتناول الجرائد والمجلات الا العدد القليل منهن يضحك من كثرة السقطات التي لايعذر منشيء عليها وفي مقدرته شراء معجم او في رأسه قوة تمييز بين هذا وذاك المعنى فانت لاتكتب لاحد الا اذا استكتبك ولا ترسل له الا اذا كلفك الارسال اما اذا اردت ان تقول انك تخاطب احداً بالكتابة فيجب ان تستعمل « الى » لا اللام وهكذا في الارسال ثم ان التحرير ليس الكتابة ولا الكتاب او الرسالة بل « انقاذهما من عبودية السقط والخلل » والغريب جداً ان منشئي الجرائد والمجلات يدعون الكاتب محرراً وهم يريدون المنشيء لا المصحح ولا المصلح ولا المهذب ليعذروا والاغرب من ذلك ان بعض جامعي المعاجم العربية سقطوا في ما سقط فيه غير المتمكنين والمدققين وقالوا عن الكتاب والرسالة « تحرير » فأودوا ولم يقوموا .

غب افتقاد شريف الخاطر العاطر = هل عَلَى مثل هذه البلادة في الانشاء بلادة !

كل كلمة بنفسها فصيحة الا ان مجموعها لامعنى له والمسؤولية الحقيقية على المدارس

والاساتذة الذين يسقطون الى الجاهلين ولا يرفعونهم اليهم بل ان الجري على الطرائق القديمة يجعل أكثر الكتابات سقيمة عقيمة « خالية من المعنى ولكن تفرقع »

ابقاء القديم عَلَى قدمه يجب ان يرجع الى عهد بلغاء العربية لا الى العهد المتأخر الذي اعتور اللغة فيه الخلل والفساد فما معنى العاطر والفاخر والشريف مع الخاطر ولماذا لانكتب ونكاتب بفهم وسهولة و بساطة وسلامة ؟

دام بقاؤه = طلب الدوام حماقة وحرام · اي بقاء يدوم ! تدوم المادة بعد استحالة ولكن الذين يطلبون دوام البقاء او يدعون للناس به لا يريدون المادة بل البقاء في دار الفناء وخلود من اعدت لهم اللحود

همى الدمع من عيونها — كم من العيون للمرأة وان تكن العيون عليها كثيرة

الملاحة الجوية — « في طعم هذا الاصطلاح ملح » فانه من غير روح العربية ومن غير فقهها فاذا كنا نحن اصحاب الجرائد اليومية نلتمس الاعذار لضيق اوقاتنا عند ما نلجأ الى الخواطر فما هو عذر اساتذة المعاني والبيان في المدارس والكليات وما هو عذر اصحاب المجلات — المطير اصلح من الملاحة وانما لابد من اختيار كلمة اصلح

المظلم والعامر — خرج من عالم الخرافة « المظلم » الى بلاد الحرية « العامرة »

الجرح يدمي — الجرح لايدمي وانما يدمى

خذ اي كتاب ومجلة وجريدة واعتبر فلسفة كتابتها دون الالفاظ · او المعاني دون المباني · تجد اننا — الا عدداً قليلاً من حملة الاقلام — نتعسف ونتكلف ولانراعي المعاني والبيان لان أكثر المنشئين متطفلون

نحن ابعد ابناء اللغات الحية عن وضع الكلام في مواضعه واقامته في مواقعه لاننا لاندرس فلسفة اللغة بل لان أكثر اصحاب الجرائد والمجلات والمترجمين والمؤلفين من غير الاكفاء الا بالتبجح والادعاء او ان اللغة امست واسطة للكسب والارتزاق حتى بالعبث والنفاق واليك بعض مايخطر في خاطري الآن اجيء به وأكل اليك الحكم

طارت نفسه شعاعاً — تخرصات الاوهام — يغيظه من النظام — هل يعتمد كلام السقيم في « طعم » الماء — رفع الابن باسطاً يديه الى والدته — سقط عليه بالضرب حتى « جلد » به الارض — الجالية والطارئة : دون تمييز بين الاستيطان والعود = يسير و يسري دون فرق بين سفر النهار والليل — « رحلوا » في القطار الى المدينة و الولاية الفلانية · زاره اخوه فاحسن « قراه » = ظعنوا مع اصحابهم الى واشنطون =

شخص البياع الى بوسطن = كان الخواجا فلان يتدفق في خطابه كالسيل المنهمر الا انه اعتذر بانه غير خطيب وشكر الناس وجلس دون ان يتكلم !

ثم ماهي فائدة الحركات في اللغة اذا كنا لانزيد الا نصرف عن جعل الواو « الثقيلة الد » في اولي وعمرو وحيوة وصلوة بحجة التمييز وازالة اللبس وهلا يوجد غير هذه الكلمات في العربية بحاجة الى الضبط ؟ ثم ماهي فائدة الحركات اذا كنا نكتب « إله » ولايجوز لنا ان نكتب موءنثه إلهة ؟ ثم كيف يعقل ان تكون جموع لامفرد لها مثل شلقة ومخاطر ومحاسن وشماطيط وما جمعه الثعالبي وغيره وهل كل مالايكون سمعه الجامع لايكون وضعه الواضع جزيًا عَلَى القياس ؟ وكيف يمكن ان تكون المطاوعة في فعل ولاتكون في آخر مثله تمامًا ؟ وكيف تكون صيغة افعل التفضيل في ما لافعل له كقولهم : هو اقلظ منه او كيف يكون مضارع لاماضي له كقولهم : لم يذر ؟ اومزيد لامجرد له والامثلة متوفرة ؟

وثمت منابت العربية بعد ان كانت مستحلسة وتفاصح كل من لم يكن فصيحًا ولن يكون متفصحًا فوجب ان يرجع الناس الى فقه اللغة الذي لا اعني به كتاب ابي منصور الثعالبي بل فلسفة اللغة حتى لايرسل كل من اغتر بمقدرته الكلام عَلَى عواهنه ويحسب ان من جمع كلمة الى كلمة كان شاعراً وناثراً واماماً وثقة — يجب الاقلال من الترديد المبهم الذي لايزيد الا اعتكالا والاعتدال في تعليم القواعد بحسب كل مذهب والتوثق في معاني البليغ من المنظوم والمنثور والاستكثار من حفظ الجيد ولاسيمامايدعى السهل الممتنع ويجب ان تكون مجلاتنا وجرائدنا المدارس الحقيقية فترفض كل كتابة عليلة بالمعاني الضئيلة وينبه المغرور والشعرور الى مايفسد الذوق ويدعو الى الهزء . ومن فقه اللغة ان نصطلح عَلَى مايذلل لنا صعاب اللفظ عند الترجمة والاستشهاد اي ان يكون لنا مانستطيع معه نقل الكلمة الاعجمية من نكرة وعلم الى معناها الاصلي وقد كان للعرب دوم واشمام فليكن لنا زيادة عَلَى مثالها والله ولي التوفيق

تولستوي

فقدت الحكمة عضواً عاملاً من دعاتها وعمدة ثقة من اعز انصارها ورعاتها وانساناً كاملاً خدم الانسانية بافعاله واقواله وادهش ارباب التقاليد بحسن مثاله وراع قلوب اهل السلطة بحظوته واقباله ونعني به فيلسوف روسيا واحد رجال الاخلاق في هذا العصر الكنت ليون نيكولا يفتش تولستوي الذي هز نعيه ارجاء العالم المدني واكبر رجال الاصلاح هول المصاب به

ولد هذا الحكيم في ياسنايا بوليانا من اعمال ولاية تولا الروسية سنة ١٨٢٨ فيتم من امه وهو ابن سنة ونصف وفقد اباه في العاشرة وهو من بيت وجاهة وغنى وكان جده مسيء الادارة يميل الى البذخ والاسراف ففقد ثروته حتى اضطر الى التوظف فعينته روسيا والياً لقازان وجاء ابنه والد تولستوي ولم يكن على شيء من العفاف حتى العشرين من سنه [1] ورزق ابناً من خادمة زوجه منها اهله ثم تخلى عن الوظائف وتزوج بوالدة تولستوي وكانت غنية تحسن الروسية كتابة وقراءة كما تحسن الانكليزية والالمانية والافرنسية والايطالية والفنون والضرب على البيانو وكانت على جانب من حرية الفكر وسلامة الوجدان والسذاجة

واشتغل والد تولستوي بالزراعة في الاملاك الواسعة التي ورثها عن ابيه واتصلت اليه من زوجه وكان يحب المطالعة واقتنى مكتبة فيها شيء كثير من آداب الفرنسيس وكان من عادته ان لا يقتني كتاباً قبل ان يأتي على مطالعة ما اقتناه من قبل فنشأ ليون تولستوي على اللغة الافرنسية وكان يفهم كتب الفيلسوفين الفرنسيين روسو وفولتير كما يفهم شعر بوشكين شاعر الروس واخذ الافرنسية عن استاذ فرنساوي اسمه سان توما ولم يبلغ الخامسة عشرة حتى كان متشبعاً بآدابها

ربي في المذهب الارثوذكسي ولكن لم يكد يبلغ التاسعة عشرة من عمره حتى تجرد عن الاعتقاد بالكنيسة ولكنه عمد الى التقية فلم يكن يظهر مايضمر وكان وهو طالب يقوم بالفروض والواجبات وغادر سنة ١٨٤٧ الكلية التي كان يدرس فيها ليلتحق بالفلاحين ويحسن اليهم الا انه لم يفلح وفي سنة ١٨٥١ سافر الى قافقاسيا حيث عين ضابطاً في المدفعية واشتهر ببسالته في حصار سواستبول فعين قائد فرقة وكان في خلال تلك المدة

(١) المقتبس م ٢ ص ٤٠١ ترجمة تولستوي لنفسه

قد نشر باكورة كتبه موقعة بالحروف الاولى من اسمه واسم أسرته ثم اقام في بطرسبرج مدة فكتب عدة مصنفات وقصص له وساح سنة ١٨٥٨ في المانيا وسويسرا وفرنسا وعاد الى روسيا بعد تحرير الفلاحين فانشأ في بلده مدرسة نموذجية للفلاحين ومجلة في التربية والتعليم وعين قاضي صلح · وفي سنة ١٨٦٢ تزوج وطابت نفسه وحسن ساوكه ولم يكن من قبل كما قال عن نفسه على حالة حسنة في آدابه وكانت كتبه التي كتبها لاول عهد زواجه احسن ماخطته يده واسلمها فكراً وفي سنة ١٨٧٤ اخذ يتساءل عن مصير الحياة فصارت تبدر بوادر ذلك على أسلة قلمه ولسانه حتى اذا كانت سنة ١٨٨٣ تعرف الى فلاحين كانا انشأ لهما مذهبين دينيين من مقتضاهما ترجيح العهد القديم على العهد الجديد وان اصلاح العالم لايتم الا بالعمل اليدوي والشخصي وبعد ان جاهد تولستوي نفسه تخلى في رواية عن بعض املاكه فوزعها على الفلاحين وترك جزءاً منها لأسرته كان يعمل فيه بنفسه على نحو مايعمل صغار الفلاحين بايديهم ومنذ ذاك الحين لم يترك بلده وطفق يحرث الارض كما يحرث الآداب ويبث الفضيلة وصار قصره مجمع العلماء والفضلاء وفي ٢٤ شباط ١٩٠١ حرم المجمع المقدس الروسي تولستوي لالحاده وخروجه عن ربقة التقاليد الارثوذكسية وتخوفت الحكومة الروسية عادية افكاره فصارت تراقبه حتى كادت تنفيه مع الوف ممن كانت تنفيهم الى سجونها في سبيريا لولا ان لطف الله به ونفس خناق الحرية عن امته بانشاء مجلس الامة

ويعتبر تولستوي بانه من اقدر القصصيين الذين نبغوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد اجاد في ذكرى الماضي من حياة امته ووصف الروح الروسية والاخلاق الروسية بحسن مأتاه وجودة اختياره وتفصيله وتصويره فكان بما رزق من هذه الهبة يصور لك ابطال قصصه كأنهم احياء بل يصور كذلك الاشخاص من الدرجة الثانية والجمهور · وهو قليل العناية بانشائه ولذلك لاتقرأ عليه مسحة التفنن واذ قد نشأ تولستوي لاهوتيا تراه يحاول ان يتقرب مما يراه بانه النصرانية الاصلية · وتطالبه الفلسفة الطبيعية بأنه احد دعاتها والناتخون في ضرامها وان تولستوي ليبحث في كل مكان عن الطبيعة · والجوهر في قاعدة حياته الجديدة هي الطبيعة الصوفية والاخلاق عنده المقام الاول وجماع القول في فلسفته ان « لايقاوم الشر بالشر » · وقد ظهرت كتبه كلها في اللغة الروسية في ثمانية عشر مجلداً وترجم معظمها الى لغات اوربا الراقية وترجم بعضها الى العربية ولا سيما قصصه ·

وهذا الدور الاخير في حياته هو الذي تمنى ان يموت عليه قال في ترجمته نفسه : لما ذكرت ماتيت من خير وما تم عَلَى يدي من شر رأيتني اقسم ادوار حياتي الطويلة باسرها الى اربعة ادوار : اولها ذاك الدور العجيب خصوصاً اذا قيس بالدور الذي يليه — البار البهج الشعري واعني به دور الطفولية . ثم الدور الثاني وهو عشرون سنة كان فيه من الفشاء الغليظ والخدمة والطمع بالمعالي وخصوصاً في المكاسب ما كان . ثم جاء الدور الثالث وهو ثماني عشرة سنة اي منذ تزوجت الى نشوري الروحي وهو الدور الذي يحق له ان يدعى في نظر العالم دور الاخلاق بمعنى اني عشت في هذه الثماني عشرة سنة كما تعيش الأسر بالحشمة والنظام غير مستسلم لمفسدة ينبذها الناس ولكن جميع مصالحي كانت مقصورة عَلَى عنايتي بأسرتي عناية مقرونة بحب الذات ممزوجة بالانانية وعَلَى زيادة ثروتي وعَلَى نجاحي الادبي وعَلَى مختلف حظوظ تنالها نفسي والدور الرابع يرد الى عشرين سنة التي انا فيها الآن واود ان اموت عليها وبها يتمثل لي ما في الحياة الماضية من عظيم الخطر وهو الدور الذي لا ابغي سواه ماخلا اعتيادي الشر الذي اندمج في روحي في الادوار الاخيرة .

هذا مجمل من طفولية تولستوي وشبابه وكهولته وشيخوخته وقد نشأ فيه القيام عَلَى الظالمين ومجاهدة المستبدين من الرؤساء الدينيين والدنيويين مما ثقفه عن خالته تاتيانا الكسندروفنا وكانت من النساء المتهذبات فعلمته الحب والميل الى الوحدة والتأثر من المظالم كما علمه روسو وفولتير نزع ربقة التقاليد الموروثة . ولكن تولستوي لم يتحرر كل التحرير من رق العبودية للمحيط والمنشإ وبتيت فلسفته ترشح من صبابات النصرانية ومدارها لا تقابل الشر بالشر . ولو سارت اوربا عَلَى هذه الفلسفة لما قام عمرانها وانبسط سلطانها عَلَى ما نرى . فلسان حال الغرب « وجزاء سيئة سيئة مثلها » فحكمة تولستوي ليست كحكمة معظم انصار الحكمة في الغرب اليوم مادية صرفة بل هي روحية ممزوجة بطرف من آداب النصرانية تتخللها عقائد اشتراكية متطرفة فهو لا يرى ان يملك الارض احد لانها لله بل ان تترك وشأنها ينتفع بها عباده ويرى ان لا يعاقب المجرمون بالسجن بل ان يصفح عنهم الصفح الجميل ولا يعتقد بالوهية المسيح بل يرى انه انسان ذو مذهب هو خير المذاهب للناس ومن افكاره الاشتراكية بل الفوضوية ان احسن الطرق في الخلاص من ظلم الحكومات ان يمتنع الناس عن الخدمة العسكرية وعن اداء الضرائب وبذلك تضطر الحكومات الى اصلاح امرها

ومن تعاليم تولستوي الادبية ان يبتعد المرء عن مغازلة النساء ويتحد بزوجه قلباً وقالباً ولا يهجرها لان هجرها مفسدة واي مفسدة وان الواجب ان لا يفرق الانسان بين مواطنيه والغرباء لان الناس ابناء اب واحد وام واحدة وان يسعى كل امرئ بازالة عدم المساواة بين البشر حتى يعيشوا بسلام . وله آراء في المعاد بعضها مما لا يقره عليه رجال الدين

ولقد ضاق صدر تولستوي قبيل وفاته من شؤون بيته ويقال انما نشأ ذلك من مقاومة أسرته له في امر خيري كان يريد ان يختم به حياته وهو ان يجعل ريع كتبه مادام الدهر وقفاً على أمته فلم يوافقه على هذا الفكر اهل بيته ولا سيما زوجته المشهورة ببخلها فقام تولستوي ذات يوم ورافق طبيبه على نية الهرب من بيته وركب في الدرجة الثالثة من القطار ليساوي الفقراء ولكن كانت المركبة مكتظة بالركاب حتى لم يكن فيها محل يجلس فيه الشيخ الحكيم فعرض موظف السكة الحديدية عليه ان ينتقل الى الدرجة الاولى او الثانية فابى ونزل في احدى المحطات وهي استكابوفا وبصق دماً وزادت حرارته ثم اسلم الروح في غرفة مدير المحطة ويقال ان الفيلسوف كان ينوي ان يلحق باحد الاديار لينضم الى من فيه يعبد الله على مناحيهم وانه قابل ابنة له راهبة في طريقه وفاوضها بضع ساعات كما خلا ساعات برئيس دير ثان

والاقرب الى الذهن ان تولستوي عزفت نفسه عن الدنيا واحب التجرد عنها وعن الملاذ والابهة في قصره وعن عيشه المحفوف بالخدم والحشم شاء ام ابى واراد ان يفعل الخير بوقفه مداخيل كتبه على الامة فعاكسته زوجه وكان منه انهام على وجهه لا يدري كيف يسير فوافاه حمامه وشق نعيه على امته البالغة مئة وخمسين مليوناً من البشر وعلى كل من اطلع على طرف من افكاره وفلسفته العملية من منوري الارض ولا عجب اذا عدته امته مفخراً من مفاخرها جاد به الزمان وعده اهل الاخلاق والحكمة والاصلاح من اعظم من عملوا لادب النفس واصلاح المجتمع الانساني

سير العلم والاجتماع

الصناعة في مصر

القى علي بك ثروت خطبة في الصناعة في المؤتمر الوطني المصري جاء فيها ماملخصه :

لم يخطئ من قال ان الصناعة أثر الذكاء الانساني في استخدام الطبيعة وتصغير أشكالها والتأليف بين قواها المختلفة ولذلك كانت اقوى الامم من بنت هيكل قوتها على اساس مكين من الصناعة

وقد كانت امتنا المصرية راقية في صنائعها منذ القدم · ولا تزال الآثار التاريخية شاهدا حيًا على مبلغ رقيها الصناعي · وكفى في الدلالة عليه ان البلاد المصرية هي التي ثبتت فيها قوى الفراعنة ومدنيتهم وحفظت معها مدنية العرب

وكان حظها من الصناعة في التاريخ الحديث وافرا فانه لما ولي محمد علي باشا الكبير الاريكة الخديوية افرغ جهده في ترقية الصناعة الاهلية وجلب لها من الخارج ماينقصها من فنون الصناعة الاجنبية

نظر الى البلاد المصرية نظر حكيم فرأى انها بطبيعة تكوينها زراعية صناعية فشمر عن ساعد الجد واخذ ينشئ المصانع المختلفة في كثير من بلاد الوجهين البحري والقبلي · اعانه على ذلك علماء فرنساو بعض اساطين الصناعة فيهاوساعده ايضا كثير من الايطاليين والنمساويين · وقد جاوز عدد المصانع المختلفة التي انشأها مائة وخمسة وسبعين مصنعاً يصنع فيها الخزف والزجاج والجلد والجوخ والانسجة المتنوعة والخيط بانواعه والطرابيش والالبسة والاسلحة والبارود والمعادن والمدافع والسفن الحربية وجميع ماله علاقة بالمعيشة · فكان المصري يلبس ملابس اهلية تصنع في بلاده وكانت المدن الكبيرة والصغيرة والثغور وسائر البلدان العامرة حافلة بهذه المصانع والمعامل المتنوعة

ارسل الارساليات العديدة الى كثير من العواصم الاوربية لاتقان الصناعة حتى اذا عادوا الى بلادهم بعد ذلك آبوا واقفين على اسرار الفنون محيطين بدقائق الصناعات فحلوا محل اولئك المعلمين في المصانع المصرية

انشأ محمد علي مصانع اخرى لصنع الشمع واحواضاً لصنع لوازم المراكب الحربية وداراً لضرب النقود في القلعة فكانت مصر في ذلك العهد ارقى كثيراً من اليابان

أخذت الصناعة تنمو وتزهر حتى بلغت من الانتشار والرقي مبلغاً عظيما وبقيت كذلك حتى عهد الخديوي سعيد وقد اسس معملا كبيراً كان يديره افرنسي كبير هو انجلو بك

ثم اخذت الصنائع الاوربية تفد عَلَى مصر وعَلَى الاخص بعد انشاء السكك الحديدية المصرية فالح قناصل الدول عَلَى سعيد باشا ان يبطل جميع المعامل فأبطلها ماعدا معامل الحربية فانه ابقاها كما انه انشأ مدرسة الفنون والصنائع وقصر التعليم فيها عَلَى تعليم الرسم وفن العمارة وغيرها من الفنون الجميلة

وقد وفدت عَلَى مصر في عهد الخديو سعيد بعثة افرنسية من المهندسين الجيولوجيين للبحث عن المعادن في بلادنا فأذن لهم الخديو ان يعملوا . وفي اثناء عملهم عثروا في السودان عَلَى صنف الفحم الحجري وحملوا منه كمية الى مصر لتجربتها فجربت ووجدت نافعة وأقر عَلَى نفعها انجلو بك ولكن قنصل انكلترا في ذلك العهد الح عَلَى الخديو ان لا يعنى بهذا الامر بدعوى انه يكلف الحكومة المصرية نفقات طائلة فضلا عن ان الفحم من صنف غير جيد فأطاع الخديو وفقدت مصر بذلك مرفقا تجاريا مهما

وقد انشئت في اوائل عهد اسماعيل مدرسة العمليات الكبرى في بولاق وكانت هذه المدرسة قائمة عَلَى نموذج مدارس الصنائع بفرنسا عين لها جيجون بك الفرنسي ناظراً . وقد بلغت من الرقي مبلغا مدهشاً فكان المتخرجون فيها يؤدون عمل المهندس الميكانيكي والمهندس الرياضي معاً . وفي ذلك الوقت أنشئت المطبعة الاميرية في بولاق وانشئ بجوارها معمل لعمل الورق عَلَى اختلاف اصنافه واشكاله وكان ما يخرجه هذا المعمل كافياً لحاجة مصر . وقد بقيت علي تلك الحال حتى هبط الاحتلال بلادنا .

وكذلك انشأ الخديو اسماعيل معامل السكر في الوجه القبلي والمدارس الصناعية في كل بلد من بلاد القطر فكان عهده من هذه الوجهة عهد حياة للصناعة والصناع

قضت سلطة الاحتلال سنة ١٨٨٤ ان يلغى معمل المدافع النحاسية وتباع عددها الكبيرة فبيعت هذه العدد من شركة انكليزية بثمن بخس كما قضى ببيع عدد ضرب النقود الى شركة انكليزية اخرى وكان من هذه العدد ما لم يستعمل بعد وما لم تفتح صناديقه الا ايدي رجال هذه الشركة وصدر الامر ببيع جميع عدد آلات مصنع الورق وذلك في سنة ١٨٨٥ وفي هذه السنة ايضا باعوا آلات وعدد الورشة الكبرى التي كانت الخاصة الخديوية قد انشأتها حين اشترت سراي الجيزة

وفي سنة ١٨٨٧ بيعت العدد والآلات التي كانت تدار بها مغازل القطن وبيعت ورش القطن في الاقاليم واحدة بعد أخرى

وفي عام ١٨٩٨ بيعت جميع آلات دار الصناعة « الترسانة » الكبرى بالاسكندرية وبيعت مراكب البوستة الخديوية واحواضها لشركة انكليزية بمائة وخمسين الف جنيه وهو لايعادل نصف ثمن حوض واحد والاحواض كثيرة والمراكب اكثر

اما مراكب بولاق وترسانتها فان جزءاً عظيماً منها قد بيع

انشأ المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف الاسبق مدرستين صناعيتين احداها في المنصورة والثانية في اسيوط ليكون منهما ابر ملجأ للتلاميذ الذين فصلوا من المدارس التجهيزية التي كانت في المديريات فالغاها الاحتلال اما مدرسة المنصورة فلم تبق طويلا لان الورشتين اللتين يملكهما بعض الانكليز في تلك المدينة قضتا على حياتها . حتى اذا كانت سنة ١٨٩٣ عادت الى حالتها السابقة واصبحت الآن ورشة بسيطة لايتعلم فيها الطلاب الا مبادئ القراءة والكتابة والهندسة والحساب والرسم العملي بعد ان كانت تعلم فيها العلوم الهندسية والميكانيكية العالية

وليس ثمت دليل على عظيم الخطأ في عدم رقي الصناعة في مصر اقطع ولا انصع من الاقوال السديدة التي ذكرها المسيو (ليوبولد جوليين) المهندس الزراعي واحد واضعي تقرير لجنة القطن الاخير فقد قال :

« ان كل امة يكثر فيها وجود المواد الاولى الضرورية للحياة يكثر فيها كذلك وجود المعامل لصنع تلك المواد فيها ومن اهمها القطن فان كل الامم التي تزرعة تنشئ بجواره معامل لغزله ونسجه والانتفاع به عدا مصر فانها لاتزال فقيرة في معاملها خلواً على الاخص من هذا الصنف »

سعى الساعون في تأسيس معملين لنسج المنسوجات القطنية في سنة ١٨٩٩ أحدهما في القاهرة والآخر في الاسكندرية . اما معمل القاهرة فقد اغلق . ولايزال الآخر باقيا وفيه ثلاثون الف مشط وار بعمائة نول

وقد لقي مؤسسوه صعابا جمة في تأسيسه اهمها وضع الحكومة المصرية على منسوجاته ضريبة قدرها ثمانية في المائة

ثم رأت ان تنزل هذه الضريبة الى ثلاثة في المائة لمدة خمس سنوات . فعسى ان

تجعل الحكومة هذا الاعفاء دائما حتى يتيسر لمروجي هذه الصناعة ان ينشروها في كل مكان

على ان في البلاد المصرية غير هذا المعمل نحو ستة آلاف وثلاثمائة نول للنسج وكلها للوطنيين وهي تستورد خيوط الغزل من الممالك الاوربية وقد استوردت في سنة ١٩٠٨ من هذه الخيوط ما قيمته ٢٢٩٠٠٠ ج

على ان ما تستهلكه البلاد المصرية في عام من المنسوجات الاوربية بلغت قيمته في سنة ١٩٠٨ ٤٠٠٠٠٠٠ ج ولو كانت مصر تنسج منسوجاتها في معامل لحسابها لبقيت هذه الملايين في خزائنها ولم تنقل الى خزائن المعامل الاوربية

وقد فكر بعض ذوي النفوس العالية في الحال وفي مقدمتهم المرحوم مصطفى كامل باشا الذي اقترح على الامة في سنة ١٩٠٢ انشاء معهد صناعي كبير يكون بمثابة تذكار لمرور مائة عام على تولية محمد علي باشا الكبير مؤسس البيت الخديوي فلبت جمعية العروة الوثقى بمدينة الاسكندرية نداءه واخذت في الاكتتاب لتأسيس مدرسة محمد علي الصناعية فوجدت من نفوس الامة ارتياحاً واقبل على الاكتتاب الكثيرون وفي مقدمتهم الخديو واعضاء الأسرة الخديوية وكرماء الاوربيين القاطنين في مصر

وما جاءت سنة ١٩٠٨ حتى كان بناؤها عاليا ووضعها محكما وهي اليوم تقدم للثغر احسن الاعمال وتكفي الكثيرين من ابنائه ثم نحا اهل الخير هذا النحو فتأسست مدرسة في اسيوط بهمة محمود باشا سليمان احد كبار الاعيان وتأسست مدرسة في بني سويف وثالثة في الفيوم

وقد عني الامير حسين كامل باشا بالاكتتاب لمدرسة كبرى صناعية لمديرية البحيرة فلبى دعوته كثير من الاعيان الاغنياء وبلغ الاكتتاب نحو ٣٠٠٠٠ جنيه وظهرت هذه المدرسة في اجمل مظهر وهي تعمل الآن اعمالا مفيدة

وكذلك عنيت بطريركية الاقباط واسست مدرسة صناعية كبرى في بولاق اكتتب لها الكثير من ابناء هذه الطائفة بمبالغ طائلة وكذلك مدرسة طوخ الصناعية فانها شيدت في هذه الايام الاخيرة على احسن طراز وغير ذلك من الورش الصغيرة .

واخيراً فكر يوسف كمال بك في ان يخدم امته من طريق العلم والصناعة فاسس مدرسة لتعليم الفنون الجميلة ووقف عليها عقاراً يقدر بخمسين الف جنيه واخذ في تشييد دار كبيرة لها واختار لها مديراً افرنسيا هو المسيو لابلاني النحات النابغة الشهيرة

ووكيلا هو فؤاد افندي حسيب واختار اساتذتها من الاوربيين والمصريين المشهود لهم بعلو الكعب والتفوق في هذه الفنون الجليلة

فاعاد الامير بانشاء هذه المدرسة الى مصر روح النحت والنقش والظل وفن العمارة وغير ذلك من الفنون الجميلة الكبيرة التي تعود عَلَى مصر لا محالة بجليل الفوائد

لحوم البشر

ان عادة اكل اللحوم البشرية غير محصورة في مكان ففي الكتب اليونانية القديمة اشارات اليها والايرلنديون الاقدمون كانوا يأكلون موتاهم وفي مكسيكو وبيرو قبل فتوح اسبانيا كانت تشهر الحروب ليستحصلوا ذبائح من البشر لاعيادهم وولائمهم

لكن بولنيزيا لم تزل محافظة عَلَى هذه العادة الى عصرنا الحاضر ومبتدعو تلك العادة في تلك الجزائر هم سكان جزائر الفيجي وهي عندهم من الفروض الدينية وهم مولعون بطعم لحوم البشر الى درجة ان احدهم كان يعيش مع امرأة له عيشة راضية فلا يكون منه الا ان يقتلها ويقتات بلحمها كما رواه وليم في كتابه عن سكان الفيجي وهم لا يفضلون لحم الطفل عَلَى لحم الرجل او المرأة المسنة بل يأكلون ماتيسر بعد شيه ·

من افظع العقوبات عندهم انهم يبترون اطراف المجرم وهو حي ينظر اليها تشوى وتؤكل

ومن افظع ما يروى ان رجلا من اهل هذه الجزيرة كان يفاخر بانه اكل مدة حياته ۹۰۰ انسان وهو مع ذلك يقري الضيف وليس عنده من الشراسة اكثر من باقي سكان الجزيرة ممن لم يأكلوا لحم بشر مدة حياتهم · ويروى ان شيكا زعيم احدى جزائر الفيجي اسر في ساحة الحرب ما يربو عَلَى مائتي مقاتل من عسكر العدو وفي صباح ذلك اليوم اولم وليمة دعا اهل الجزيرة لحضورها ومشاركته بالتمتع بلحم الاسرى · وفي غينة الجديدة عندما يشيخ الرجل ويصبح غير قادر على العمل يأخذه اهله ويربطونه الى غصن شجرة ويجتمعون حوله يرقصون ويغنون بقولهم « الثمرة قد نضجت الثمرة قد نضجت » ثم يهزون الغصن فيقع الشيخ على الارض فيأكلونه · وفي جزائر الهبريز الجديدة يفضلون اكل لحوم السود عَلَى لحوم البيض وهذه العادة ايضا منتشرة بين سكان كليدونيا الجديدة ·

يقول المستر تيلور في كتابه عن زيلندا الجديدة ان الطريقة المتبعة هي انهم يرسلون سللا مملوءة بلحوم البشر من طرف الزعيم الى اعوانه فمن قبلها منهم يأتي الى الموعد

المضروب بجموعه للمساعدة وهم يعدون من لايذهب الي الحرب ويأكل من لحوم البشر « غير مهذب » وبعد انتهاء المعركة تجتمع جثث القتلى وتنزع لحومها عن العظام وترسل الى بيوت الانصار والحلفاء ٠

والمزية الوحيدة في تلك العادة ان الذين يتولون تقطيع الفريسة وتعريق لحمها يصبحون عَلَى شيء من المعرفة في تركيب اعضاء الانسان لذلك تراهم ماهرين في رد خلع المفاصل ٠ هذا وقد اخذت تخف وطأة هذه العادة منذ اخذت المدنية الحديثة تدخل الى تلك الجزائر اه ٠ ملخصاً عن مجلة الاثري الاميركي

الصور السمائية

تكلم احمد بك زكي في محاضرة التي نشرتها مجلة المقتبس في الجزء السادس من المجلد الخامس تحت عنوان (الكتابة والكتب ودورها) عَلَى كتاب (الصور السمائية) لعبد الرحمن ابن عمر بن محمد بن سهل الصوفي فقال عنه : واذا بحثتم في ارض مصر من الشلالات الى الاشاتيم ومن بادية العرب الى صحراء لوبيا لاتجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية اما الاصل العربي فقد لبس طاقية الاختفاء وتطاير في الفضاء وهجر ديارنا وواصل غيرنا فيما وراء البحار ورحل عن ارض اهين بهـا الى بلاد ظهرت قيمته بين اهلها بحيث ان العرب الذين صدر الكتاب بلغتهم اذا احتاجوا الآن لمراجعته وجب عليهم ان يتاقنوا احدى هاتين اللغتين الفرنسية او الفارسية او ان يذهبوا الى بطرسبرج وان استبعدوها فالى باريس وهنالك يجدون منه خمس نسخ استغفر الله بل ستا لان السادسة هي التي سأتكلم عليها الخ

وحينما تلوت هذه العبارة تذكرت اني رأيت هذا الكتاب من نحو خمس سنين في المكتبة الاحمدية التي نوهت مجلة المقتبس في ذاك الجزء بذكرها وذكرت بعضاً من نفائس كتبهـا فدعاني ذلك ان استفتح المكتبة واعيد النظر الى هذا الكتاب واكتب شيئاً عنه تبشيراً لعشاق هذا العلم بوجود هذا الكتاب في هذه البلاد بلغة الناطقين بالضاد لعلهم يسعون في طبعه و يقتبسون من غر فوائده

اوله بعد البسملة

قـال عبدالرحمن بن عمر المعروف بابي الحسن الصوفي بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى عَلَى رسوله المصطفى وآله (امابعد) فأني رأيت كثيراً من الناس يخوضون في طلب معرفة الكواكب الثابتة في مواضعها من الفلك وصورها ووجدتهم عَلَى فرقتين احداهما

تسلك طريقة المنجمين ومعولها في كرات مصورة من عمل من لم يعرف الكواكب باعيانها وانما عولوا على ماوجدوه في الكتب من اطوالها وعروضها فرسموها في الكرة من غير معرفة خطائها وصوابها فاذا تأمل من يعرفها فيها وجد بعضها مخالفا في النظم والتأليف لما في السماء او عَلَى ماوجدوه في الزيجات وادعى مؤلفها انهم قد رصدوها وعرفوا مواضعها وانما عمدوا الى الكواكب المشهورة التي يعرفها كثير من الخاص والعام مثل عين الثور وقلب الاسد والسماك الاعزل والثلثة التي في جبهة العقرب وقلب العقرب وهذه الكواكب هي التي ذكر بطليوس انه رصدهاباطوالها وعروضها واثبتها في كتابه المعروف بالمجسطي لقربها من منطقة فلك البروج فرصدوها واثبتوا مواضعها في وقت ارصادهم ثم قال بعد كلام طويل :

واما الفرقة الاخرى فانها سلكت طريقة العرب في معرفة الانواء ومنازل القمر ومعولهم عَلى ماوجدت في الكتب المؤلفة في هذا المعنى ووجدنا في الانواء كتبًا كثيرة اتمها واكملها في فنه كتاب ابي حنيفة الدينوري فانه يدل عَلى معرفة تامة بالاخبار الواردة عن العرب في ذلك واشعارها واسجاعها فوق معرفة غيره ممن الفوا الكتب في هذا الفن ولا ادري كيف كانت معرفته بالكواكب عَلَى مذهب العرب عيانا فانه يحكى عن ابن الاعرابي وابن كنانة وغيرهما اشياء كثيرة من امر الكواكب يدل على قلة معرفتهم بها وان ابا حنيفة لو عرف الكواكب لم يسند الخطأ اليهم ثم كل من عرف من الفرقتين احدى الطريقتين لم يعرف الاخرى والف في كتابه اشياء من غير الفن الذي اخذ فيه نادى على نفسه بها بالخطإ وخفة البضاعة فيه منهم ابوحنيفة فانه ذكر في كتابه ان البروج الاثنا عشر لم تسم بهذه الاسماء الا لان نظم كواكبها مشاكل للصورة المسماة باسمها وان الكواكب تنتقل عن اماكنهاواسماءالبروج غير زائلة وان زال نظم الكواكب ولم يعلم ان نظمها لايزول ولايتغير (الى ان قال) وقد كنت اظن بابي حنيفة ان له رياضة بعلم الهيئة والرصد فقد كنت بالدينور في سنة خمس وثلثين وثلثمائة من سني الهجرة في صحبة الاستاذ ابي الفضل محمد بن الحسين نازلاً في حجرته وحكى لي جماعة من المشايخ انه كان رصد الكواكب عَلَى سطح هذه الحجرة سنين كثيرة فلما ظهر تأليفه وتأملت مااودعه كتابه علمت ان الذي كان يراعيه انما كان طلب الظاهر المشهور من الكواكب وما كان يجده في كتب الانواء من ذكر المنازل وما اشبهها والناس كلهم متفقون عَلَى ان لهذه الكواكب حركة الى توالي البروج

ثم قال بعد كلام طويل :

ولما رأيت هؤلاء القوم مع ذكرهم في الآفاق وتقدمهم في الصناعة واقتداء الناس بهم واستعمالهم مؤلفاتهم قد تبع كل واحد منهم من تقدمه من غير تأمل لخطائه وصوابه بالعيان والنظر حتى ظن كل من نظر في مؤلفاتهم ان ذلك عن معرفة بالكواكب ومواقعها ووجدت في كتبهم من التخلف ولاسيما في كتب الانواء من حكاياتهم عن العرب والرواية عنهم اشياء من امر المنازل وسائر الكواكب ظاهرة الفساد لو ذكرتها طال الكتاب بلا فائدة عزمت مرات كثيرة عَلَى اظهار ذلك وكشفه وكان يعتريني فتور في حال واشغال تصدني عن المراد في اخرى الى ان شرفني الله بخدمة الملك عضد الدولة ابي شجاع بن ركن الدولة رحمه الله تعالى وانعم عليَّ بادخالي في جملة خوله وحشمه ووجدته من فنون العلم متمكنا وفي المعرفة بها منبسطا وعَلَى عامة العلماء مقبلا والى جميعهم محسنا ورأيته كثير الذكر لاحوال الكواكب مائلا الى امتحانها والوقوف عَلَى مواقعها من الصور ومواضعها من البروج والدرج بالرصد والعيان ولم اجد بحضرته من المنجمين من يعرف شيئاً من الصور الثماني والاربعين التي ذكرها بطليوس في كتابه المعروف بالمجسطي عَلَى حقيقتها ولا شيء من الكواكب التي في الصور عَلَى مذهب المنجمين ولا عَلَى مـذهب العرب الا اليسير الظاهر المشهور الذي يعرفه الخاص والعام ولم اجد لمن تقدمني من العلماء ايضاً كتاب في احد الفنين يوثق بمعرفة مؤلفه الا كما تقدم ذكره ولا يمكن الرصد الا بمعرفة الصور وكواكب كل صورة بالنظر والعيان فرأيت ان اتقرب اليه بتأليف كتاب جامع يشتمل عَلَى وصف الصور الثماني والاربعين وعَلَى كواكب كل صورة منها وعددها ومواقعها من الصور ومواضعها من فلك البروج باطوالها وعروضها وعدد كواكب الفلك كلها المرصودة التي من الصور والتي حوالى الصور وليست منها

وبعـد كلام طويل اخذ المؤلف يتكلم عَلَى الصور الثماني والاربعين صورة فصورة مع اثبات نفس الصورة ونقشها بحروف وارقام عند موضع كل كوكب غير ان اربع عشرة صورة منها ليس عليها شـيء من الحروف والارقام وخالية من الاشارات الى مواضع الكواكب

وبعد ان ينتهي من الكلام عَلَى كل صورة يذيله بجدول فيه اسمـاء كواكب تلك الصورة وارقام تدل على مواضع تلك الكواكب فيها والكتاب في ١٢٧ صفحة بقطع قريب من الكامل قال ناسخه في آخره : وافق الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة

المسماة بكواكب الصوفي في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس بعد الالف وتحت ذلك ثلاثة اسطر اخر لم يقرأ منهـا سوى (المقري الموقت يومئذ بجامع حلب الشهباء الكبير عمره الله تعالى) حلب : محمد راغب طباخ

المعادن المذخورة

نشر المؤتمر الجيولوجي الدولي الحادي عشر الذي التأم في استوكهلم خلاصة التقارير التي طلبها من علماء طبقات الارض والمهندسين في مناجم العالم عَلَى اختلاف الاصقاع والديار في أن مناجم الحديد في العالم بأسره وتقسيمها فتبين منها ان مايعرف الآن من المناجم في الدنيا يحتوي عَلَى عشرة مليارات طن وربما لا يقل المذخور في بطون تلك المناجم عن خمسين الف طن وما ينبغي للعالم اليوم هو ستون الف طن وكان يكتفى سنة ١٨٧١ بثلاثة عشر مليون طن وسنة ١٨٩١ بستة وعشرين مليون طن وسنة ١٩٠١ باحد وار بعين مليون طن واذا قدرنا مايلزم العالم من الحديد اليوم ومايعرف من مناجمه المذخورة فلا يكفي الحديد سوى قرنين آخرين واذا لم تتدارك الحال بالبحث عن مناجم جديدة يختل المعدل واليك جدولاً بما هو مذخور من الحديد في القارات الخمس ومنه ماعرف ومنه ما يقدر تقديراً وهو بحساب مليون طن :

	مناجم يرجى ان تكون مذخورة		مناجم معروفة مذخورة	
	حديد	حديد ممزوج بتراب	حديد	حديد ممزوج بتراب
اوربا	١٢٠٨٥	٤١٨٢٩	٤٧٣٢	١٢٠٣٢
اميركا	٤٠٧٣١	٨١٨٢٩	٥١٥٤	٩٨٥٥
اوستراليا	٣٧	٦٩	٧٤	١٣٦
آسيا	٢٨٣	٤٥٧	١٥٦	٢٦٠
افريقية	؟	؟	٧٥	١٢٥

وجاء في جدول آخر ذكرت فيه المناجم المعروفة والتي يرجى كشفها في كل مملكة عَلَى حدتها من ممالك اوربا فكانت المملكة العثمانية كثيرة جداً بمناجمها الا انه لايعرف مقدارها الآن وتبين ان فرنسا اكثر ممالك اوربا بمناجمها المعروفة.

مخطوطات ومطبوعات

بدائع الصنائع

في ترتيب الشرائع للامام علاء الدين ابي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي المتوفى سنة ٥٨٧ ﻫ طبع بمصر سنة ١٣٢٨

اعتاد محمد امين افندي الخانجي صاحب المكتبة المشهورة في القاهرة والاستانة ان يطبع للامة كل نافع من آثار سلفها الصالح فاحيا باقدامه عدة أمهات ومنها هذا الكتاب في الفقه الحنفي تعرض فيه مؤلفه الملقب بملك العلماء لاقسام المسائل وفصولها وتخريجها عَلَى قواعدها واصولها ليكون اسرع فهماً واسهل ضبطاً وايسر حفظاً وقد جمع جملا من الفقه مرتبة بالترتيب الصناعي والتأليف الحكمي مع ايراد الدلائل الجلية والنكت القوية وهو في سبعة اجزاء تم الاول والثاني والخامس والسادس والسابع منها وسيتم الجزآن الآخران وقد وقع في نحو ٢٥٠٠ صفحة بالقطع الكامل على ورق جيد وحروف مصرية ولا شك ان المشتغلين بفقه الامام الاعظم يحلون هذا الكتاب محله من الاعتبار كما احل المالكية المدونة الكبرى المنسوبة للامام مالك والشافعية كتاب الام للشافعي فيعد عندهم مرجعاً واسعاً

الدولة الاسلامية او ماضي الشرق وحاضره

تأليف الشيخ احمد الصابوني الحموي طبع الجزء الاول في مطبعة حماة سنة ١٣٢٨ ص ٢٠٠

كان الفاضل صاحب هذا الكتاب نشره مقالات متسلسلة في جريدة لسان الشرق فاستحسنها قراؤها فاعاد طبعها مع زيادات عَلَى هذه الصورة فجاءت شاهدة بفضله و بعد نظره وكتابة التاريخ على هذا الاسلوب اوقع في النفوس واعلق في الاذهان لانها عبارة عن التدبر في اعمال الرجال . فقد تكلم عَلَى طائفة من الخلفاء الراشدين والملوك الامويين والعباسيين فكان كلامه فلسفة عَلَى تاريخهم وبيان الحكمة من اعمالهم . ومما رواه المؤلف نقلا عن ابن عبد ربه ان عثمان حينما كبر وتقدم في العمر شد اسنانه بالذهب وقال غيره انه وضع سناً من ذهب ومعلوم ان تركيب السن من الذهب لا يكون الا بمهارة في الصناعة وعلم بها عظيم . وعبارة المؤلف منسجمة وعساه يوفق الى نشر بقية الاجزاء ليعم نفعه

الاسكا وكلونديك

تأليف جبرائيل افندي عساف مرعي من دوما (لبنان) طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام سنة ١٩٠٩ ص ٢٢٨

مؤلف هذا الكتاب ممن اقاموا زمناً طويلاً في بلاد الاسكا وكلونديك بلاد الذهب فعنَّ له ونعما فعل ان يكتب ما عرفه عن هذه البلاد وغناها ومدنها ومناجمها وركازها وزرعها وضرعها وصيدها وسكانها وحكومتها وادارتها وحالتها الطبيعية وما يتعلق بتلك البلاد من الفوائد الاجتماعية والاقتصادية التي تفيد الجالية العربية الى تلك البلاد وابناء العربية كافة في الاطلاع عَلَى عجائب صنع الله في ارضه وهذه البقعة الصغرى منها التي بلغت مساحتها بحسب الاحصاء الاخير ٥٩٠٨٤٤ ميلا مربعاً اي نحو خمس مساحة الولايات المتحدة و يناهز طول سواحلها البحرية ٢٦ الف ميل وهي كما قال المؤلف سعة بالغة تزيد عن محيط الارض عند خط الاستواء . و بالجملة فان هذا السفر نافع في بابه و ياحبذا لو تصدى كل من ينزل منا قطراً شاسعاً من اقطار الارض فيصفه بما ينبغي خدمة للعلم ورجال المال والاعمال لتذكر لهم عَلَى الدهر مقرونة بالثناء الطيب والذكر العطر

تقويم البشير

ظهر هذا التقويم الذي تصدره مطبعة الآباء اليسوعيين كل سنة وهذه هي السنة الرابعة والثلاثون لظهوره وهو تأليف الاب لويس معلوف وفيه حساب السنين على اختلاف انواعها من شمسية وهجرية وقبطية واسرائيلية واعياد المسيحيين واصوامهم واسماء الرؤساء الروحيين فيهم ومراكزهم في المملكة العثمانية وغيرها ولا سيما البابويين منهم وجدول المعدودات ورؤساء الممالك العثمانية والتقسيمات الادارية في الدولة العثمانية ولا سيما في سورية واسماء الجرائد والمجلات والمطابع في بيروت ولبنان وفيها نحو ٥٧ جريدة ومجلة وبعض وصايا صحية وفوائد علمية وبيتية ولطائف في ١٧٦ صفحة جيدة الطبع والحرف

المقتبس

الضوء اللامع

من كتب التراجم الممتعة التي تجمع بين الفائدة واللذة هذا التاريخ لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن الملقب بشمس الدين السخاوي الاصل القاهري تكلم فيه على رجال عصره بما اعتقده فيهم واطلق لقلمه العنان اما اطلاق حتى لتظنه لا يعرف غير الهجاء مذهباً وكشف عورات اهل جيله وقبيله مشرباً .

قال في كشف الظنون : الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع لشمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ اثنتين وتسعمائة رتبه على الحروف وقد صنف السيوطي في رده مقالة سماها الكاوي في تاريخ السخاوي وشنع عليه فيها وانتخبه الشيخ زين الدين عمر بن احمد الشماع الحلبي المتوفى سنة ٩٣٦ ست وثلاثين وتسعمائة وسماه القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي والشهاب احمد بن العز محمد الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١ احدى وثلاثين وتسعمائة وسماه البدر الطالع من الضوء اللامع لاهل القرن التاسع واختصره الشيخ احمد القسطلاني وسماه النور الساطع في مختصر الضوء اللامع

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة صحيحة من هذا الكتاب ربما كانت اصح نسخة في سورية بل في سورية ومصر وهي في نحو ثلاثة آلاف صفحة كبيرة بخط وسط وقعت في خمس مجلدات ضخام . والمؤلف عالم من علماء الحديث وغيره وله مصنفات أخر وترجم نفسه Autobiographie في كتابه وقد جرت عادة كثير من الاعلام ان يترجموا انفسهم من غير نكير فما قاله انه اخذ عمن دب ودرج وذلك لانه ارتحل من القاهرة على عادة العلماء لان الرحلة ولا سيما للمحدثين

والمؤرخين من لوازمهم وحج فمر عَلَى الينبوع وعقبة ايلة ورابغ وخليص ثم ارتحل الى حلب ماراً ببلبيس وقطيا وغزة والجدل والرملة وبيت المقدس والخليل ونابلس ودمشق وصالحيتها والزبداني وبعلبك وحمص وحماة وسرمين وحلب ومرّ ايضاً بطرابلس وبرزة وكفر بطنا والمزة وداريا وصالحية مصر

وله تصانيف كثيرة في الحديث ومنها تراجم من اخذ عنهم في ثلاثة مجلدات سماه بغية الراوي بمن اخذ عنه السخاوي وفهرست مروياته في ازيد من ثلاث مجلدات والتبر المسبوك في الذيل على تاريخ المقريزي في نحو اربعة اسفار والضوء اللامع الذي نحن بصدد الكلام عليه ويكون ست مجلدات بحسب تقديره · والذيل عَلَى قضاة مصر نسخة في مجلدة والذيل على طبقات القراء لابن الجزري في مجلد والذيل على دول الاسلام للذهبي والوفيات في القرن التاسع وترجمة نفسه والتاريخ المحيط وهو في نحو ثلثمائة رزمة على حروف المعجم قال انه لايعلم من سبقه اليه · وطبقات المالكية اربعة اسفار الى غير ذلك من الشروح والتلاخيص ولد سنة ٨٣١ وقد استغرقت ترجمته نفسه في كتابه هذا ١١ ورقة ونصف ورقة ولم نر فيه اكبر منها

وفي هذا الكتاب من المشاهير الناشري وابراهيم بن ظهيرة والبقاعي والبرهان الطرابلسي واحمد الكوراني وابن الهام وابن الشحنة والمقريزي والحافظ ابن حجر وابن عربشاه وتيمورلنك والقاضي زكريا والحافظ العراقي وابن خلدون والجلال البلقيني والجلال السيوطي · وفيه من غير هذه الطبقة ايضاً طرف صالح جداً منهم من نسب الى بلده ومسقط رأسه ومنهم من اشتهر بالقاب أخرى فتقع فيه عَلَى تراجم البعلبكي والعجلوني والطنبوبي (نسبة لبلدة من اقليم المنوفية بمصر) والادفوي والزنكلوني والمنوفي والاسنوي والقوصي والدمياطي والبوصيري والسمنودي والاسيوطي والسنباطي والاشموني والملوي والمنفلوطي والفارسكوري والبنهاوي والبيجوري والمنشاوي والرشيدي والسكندري والاذرعي والعكاري والبقاعي والسقطي (من سقط الحنا في شرقية مصر او سقط قليشا من البحيرة) والديروطي والفاقوسي والمحلي والدمنهوري والاخميمي والابشيهي والقليوبي والعاهري والمناوي والمحلاوي والكركي والشوبكي · والصعيدي والبليناني والبلبيسي والبصروي والصيداوي والنووي والزفتاوي والبلقيني (نسبة لبلقينة في الغربية) والاسواني والجعبري (نسبة لقلعة جعبر من بلاد حلب) والحمصي

والحموي وغير ذلك من الاعلام الذين نشأوا من قرى مصر والشام ومدنها في ذاك القرن ·

بل وتجد فيه ما هو اغرب واعجب من تراجم امراء الجراكسة والمقدمين في حكومة تلك الايام امثال قايتباي احد ملوك مصر ترجمه في ست ورقات وقشتمر وقطلباي وقطليك وقطلوبغا وقطج وقمرقماس وقراجا وقراسنقر وقرا بلوك وقرا يوسف وقرا قجا وقانباي وقان بردي وقانصوه وقانيك وقانم وكانور وكشبغا واق سنقر ولاجين ومنكلي بغا والطنبغا وامثالهم ممن لا تعثر لهم عَلَى ذكر في غير هذا السفر الحاوي

وترجم كثيراً من العامة وارباب الاحوال والنساء واورد بعض اشعارهن ومنها الجيد مثل شعر فاطمة ابنة القاضي كمال الدين محمد ابن شيرين الحنفي وقد كتبت الى المؤلف بعد مجيء الخبر بموت اخو به من نظمها

قفا واسمعا مني حديث احبتي ... فاوصاف معناهم عن الحسن جلت
اناس اطاعوا الله نارت قلوبهم ... وابصرت الاشياء من غير نبأة
وقد كوشفوا عن كل ما اضمر الفتى ... ونارت قلوب منهم وبصيرة

وهاك ماقاله السخاوي في مقدمة كتابه وفيها الغرض الذى يرمي اليه :

الحمد لله جامع الشتات ورافع من شاء في الحياة و بعد الممات ومقيل المقبل عَلَى الاكثار من الطاعات من ذوي الهيآت من بعد ماتمله صدر عنه من الزلات وقابل توبة من اخلص ورجع عما اقترف من البليات سيما الصادرات في الصبا الغالب معه ترك النظر في العاقبات فضلا عمن نشأ في الطاعات الى ان قال : وبعد فهذا كتاب من اهم مابه يعتنى جمعت فيه من علمته من هذا القرن الذي اوله سنة احدى وثماني مائة ختم بالحسنى وسائر العلماء والقضاة والصلحاء والرواة والادباء والشعراء والخلفاء والملوك والامراء والمباشرين والوزراء مصرياً كان او شامياً حجازياً او يمانياً روميا او هنديا مشرقيا اومغربيا بل وذكرت فيه بعض المذكورين بفضل ونحوه من اهل الذمة اقتفاء في اكثرهم (؟) لمن اضفتهم اليه في غزوه لانه اجتمع لي منهم الجم الغفير وارتفع عني اللبس في جمهورهم الا اليسير مستوفياً من كان منهم في معجم شيخنا وانبائه وتاريخي العيني والمقريزي سيما في عقوده التي رتبها النجم ابن فهد مع اصله للفاسي والطبقات والوفيات المدونة والتراجم كشيوخ ابن فهد التقي وولده تخريجه وغيرها من المعاجم وما علقته من مجامع مفيدنا الزين رضوان او رأيته في استدعاآت ابن شيخنا ونحوه من الاعيان وسائر

من ضبطته ممن اخذ عن شيخنا او عني او اخذت عنه ولو لم يكن كبيراً عينا وربما اثبت من لايذكر لبعض الاغراض التي لايحسن معها الاعتراض والحقت في اثباته كثيراً من الموجودين رجاء انتفاع من لعله يسأل عنهم من المستفيدين مع غلبة الظن الغني عن التوجيه ببقاء من شاء الله منهم الى القرن الذي يليه مرتباً له لتسهيل الكشف عَلَى حروف المعجم الترتيب المعهود في الاسماء والآباء والانساب والجدود مبتدئاً من الرجال بالاسماء ثم بالكنى ثم بالانساب والالقاب وكذا المبهمات بعد الابناء مراعياً في الترتيب لذلك كله حروف الكلمة المقصودة بحيث ابدأ في الالف مثلا بالهمزة الممدودة ثم بالهمزة التي بعدها موحدة والف ثم بالتي بعدها عَلَى ما الف مردوفاً ذلك بالنساء كذلك وكل ما اطلقت فيه شيخنا فمرادي به ابن حجر استاذنا وكنت اردت ايراد شيء مما لعله يكون عندي من حديث من شاء الله من المترجمين فخشيت التطويل سيما ان حصل ايضاحه بالتبيين ولذا اقتصرت عَلَى الرضي والزكي والسراج والعضد والمحيوي ممن بلغت رضي الدين او زكي الدين او سراج الدين او عضد الدين اومحي الدين ممن المصنف عليه محتوي واعرضت لذلك عن الافصاح بالمعطوف عليه للعلم به فاقتصر عَلَى قولي مات سنة ثلاث مثلا دون وثماني مائة وتوفي ٠٠٠٠٠٠ ثم ليعلم ان الاغراض في الناس مختلفة والاعراض بدون التباس في المحظور مؤتلفة ولكنني لم آل في التحري جهداً ولا عدلت عن الاعتدال فيما ارجو قصداً ولذا لم يزل الاكابر يتلقون ما ابديه بالتسليم و يتوقون الاعتراض فضلا عن الاعراض عما القيه والتأثيم حتى كان العز الحنبلي والبرهان بن ظهيرة المعتلي يقولان انك منظور اليك فيما نقول مسطور كلامك المنعش للعقول وقال غيرواحد ممن يعتد بكلامه وتمتد اليه الاعناق في سفره ومقامه من زكيته فهو المعدل ومن مرضته فالضعيف المعلل الى غيرها من الالفاظ الصادرة من الائمة الايقاظ بل كان بعض الفضلاء المعتبرين يصرح بتمني الموت في حياتي لاترجمه بما لعله يخفى عن كثيرين نعم قد يشك من يعلم انني لا اقيم له وزنا فرق بل يختاف (كذا) مايضمحل في وقته حساً ومعنى و يستفيد به التنبيه عَلَى نفسه فيتحقق منه ما كان حدساً او ظناً والله اسأل ان يجنبنا الاعتساف الجانب للانصاف وان يرزقنا كلمة الحق في السخط والرضى ويصرفنا عما لا يرتضى ويقينا شر القضا وسميته الضوء اللامع لاهل القرن التاسع اه »

هذا هو اقل مايقال في الضوء اللامع والامل معقود بان يمثل للطبع عما قريب عَلَى يد

احدى جمعيات المستشرقين في اوربا ولذا اكتفينا بايراد ترجمتين منه لفاضلين احدهما دمشقي والآخر مصري وان كان شامي الاصل وذلك انموذجا لاسلوب المؤلف وانشائه قال في ترجمة العالم المؤرخ الكاتب المشهور ابن عربشاه :

« احمد بن محمد بن عبدالله بن ابرهيم ابن ابي نصر محمد ابن عربشاه ابن ابي بكر الاستاذ الشهاب ابو محمد ابن الشمس الدمشقي الاصل الرومي الحنفي والد التاج عبدالوهاب ويعرف بالعجمي وبابن عربشاه وهو الاكثر وليس هو بقريب لداود وصالح ابني محمد عربشاه الهمدانيين الاصل الدمشقيين الحنفيين ايضاً . ولد في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة احدى وتسعين وسبعمائة بدمشق ونشأ بها فقرأ القرآن عَلَى الزين عمر بن اللبان المقري ثم تحول في سنة ثلاث وثمانمائة في زمن الفتنة مع اخوته وامهم وابن اخته عبدالرحمن بن ابراهيم بن خولان الى سمرقند ثم بمفرده الى بلاد الخطا واقام ببلاد ماوراء النهر مديماً للاشتغال والاخذ عمن هناك من الاستاذين فكان منهم السيد محمد الجرجاني وابن الجزري وهما نزيلا سمرقند الاول بمدرسة ايدكوتمور والثاني بباغ خدا وعبد الاول وعصام الدين ابن العلامة عبد الملك وهما من ذرية صاحب الهداية واحمد الترمذي الواعظ واحمد القصير وحسام الدين الواعظ امام مسجد السيد الامام محمد بخاري الزاهر ولقي في سمرقند في سنة تسع وثمانمائة الشيخ عربان الادهمي الذي استفيض هناك انه ابن ثلثمائة سنة فالله اعلم وبرع في فنون واستفاد اللسان الفارسي والخط الموغولي واتقنهما واجتمع في بلاد الموغول بالبرهان الايدكاني والتاخي جلال الدين السيرامي واخذ عنه وقرأ النحو عَلَى حاجي تلميذ السيد ثم توجه الى خوارزم فاخذ عن نور الله واحمد بن شمس الائمة السيرافي الواعظ وكان يقال له ملك الكلام الفارسي والتركي والعربي ثم الى بلاد الدشت وسراي وحاجي خان وبها (البحر) الزاخر مولانا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد البزازي الكردري فاقام عنده نحو اربع سنين واخذ عنه الفقه واصوله ومما قرأ عليه المنظومة ثم الى قرم واجتمع باحمد بيروق وشرف الدين شارح المنار ومحمود البلغاري ومحمود اللب ابي (؟) وعبد الحميد الشاعر الاديب

ثم قطع بحر الروم الى مملكة ابن عثمان فاقام بها نحو عشر سنين فترجم فيها للملك غياث الدين ابي الفتح محمد بن ابي يزيد ابن مراد بن عثمان كتاب جامع الحكايات ولامع الروايات من الفارسي الى التركي في نحو (٠٠) مجلدات وتفسير ابي الليث السمرقندي القادري بالتركي نظماً وباشر عنده ديوان الانشاء وكتب عنه الى ملوك الاطراف

عربياً وشامياً وتركياً فبالعجمي لقرا يوسف ونحوه وبالتركي لآمر الدشت وسلطانها وبالموغولي لشاروخ وغيره وبالعربي للمؤيد شيخ كل ذلك مع حرصه عَلَى الاستفادة بحيث قرأ المفتاح عَلَى البرهان حيدر الخوافي واخذ عنه العربية ايضاً

فلما مات ابن عثمان رجع الى وطنه القديم فدخل حلب فاقام بها نحو ثلث سنة ثم الشام وكان دخوله لها في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين فجلس بحانوت مسجد القصب مع شهوده يسيرا لكون معظم اوقاته الانعزال عن الناس وقرأ بها على القاضي شهاب الدين بن الحبال الحنبلي صحيح مسلم في سنة ثلاثين فلما قدم العلاء البخاري سنة اثنين وثلاثين مع الركب الشامي من الحجاز انقطع اليه ولازمه في الفقه والاصلين والمعاني والبيان والتصوف وغيرها وكان مما قرأ عليه الكافي في الفقه والبزدوي في اصوله وتقدم في غالب العلوم

وانشأ النظم الفائق والنثر الرائق وصنف نظماً ونثراً مرآة الادب في علم المعاني والبيان والبديع وسلك فيه اسلوباً بديعاً نظم فيه التلخيص وعمل قصائد غزلية كل باب منه قصيدة مفردة عَلَى قافية اشار اليه شيخنا بقوله واوقفني عَلَى منظومة في المعاني والبيان واجاد نظمها وجعل كل باب قصيدة مستقلة غزلاً يؤخذ منه مقصد ذلك الباب انتهى . ومقدمة في النحو . وعقود النصيحة . والرسالة المسماة بعقد الفريد في التوحيد . ونثراً تاريخ تيمورلنك سماه عجائب المقدور في نوائب تيمور . وفاكهة الخلفا ومفاكهة الظرفا . وخضاب الاهاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب . والترجمان المترجم بمنتهى الارب في لغة الترك والعجم والعرب

واشير اليه بالتفنن حتى كان ممن يجله و يعترف له بالفضيلة شيخنا واثنى عَلَى نظمه التلخيص كما قدمته بل كتب عنه من نظمه ليدخله في البلدانيات فقال انشدني بمنزلة برزة بالقرب من قربة القابون التحتاني في سابع رمضان سنة ست وثلاثين لنفسه

السيل يقلع مايلقاه من شجر بين الجبال ومنه الارض تنفطر
حتى يوافي عباب البحر ينظره قد اضمحل فلا يبقى له اثر

مع حرص صاحب الترجمة حين كونه بالقاهرة على ملازمته والاستفادة منه بل امتدحه بقصيدة بديعة اتى فيها بالغاز وتعامي واهاجي وجناسات وتلعب فيها بضروب الادب اودعتها الجواهر والدرر سمعتها منه ومن لطيف ابياتها بيت جمع فيه حروف الهجاء وهو

خض بحر فظ حديثه تغش العلا — واجزم بصدقك ناطقاً اذ تسند

وبيت عاطل وهو

العالم العلم الامام لدى العلا — العامل الحكم الهمام الاوحد

وبيت شطره الاول مما يستحيل بالانعكاس وشطره الثاني عاطل مع كونه مما لا يستحيل ايضاً فالاول مركب من آمن والثاني من احمد وهو

نم آمناً من نم انما آمن — دم حامداً ما ام آدم احمد

وكثر اجتماعهما وطرح شيخنا عليه من الاسئلة التي فيها الفكاهة والمداعبة مما تعرف منه الملاءة والقدرة عَلَى التخلص منه ما اودعته منه اشياء في الجواهر عند الكلام عَلَى قدرة شيخنا في التفسير وغيره رحمهما الله

وكان احد الافراد في اجادة النظم باللغات الثلاث العربية والعجمية والتركية مجيد الخط جيد الاتقان والضبط عذب الكلام بديع المحاضرة مع كثرة التودد ومزيد التواضع وعظة النفس ووفور العقل والرزانة وحسن الشكالة والابهة وسيماء الخير ولوائح الدين عليه ظاهرة وقد لقيته بالقاهرة في الخانقاه الصلاحية سنة خمسين فكتبت عنه من نظمه اشياء وسمعت من لفظه العقد الفريد وعمود النصيحة وكتبهما لي بخطه وبالغ في الادب والتواضع ومات بالخانقاه المذكورة في يوم الاثنين منتصف رجب سنة اربع وخمسين ودفن بتربتها والناس مشغولون بالاستسقاء عند توقف النيل غريباً عن اهله ووطنه بعد ان امتحن عَلَى يد الظاهر جقمق وطلبه لشكوى حميد الدين عليه وادخله سجن المجرمين فدام فيه خمسة ايام ثم اخرج واستمر مريضاً من القهر حتى مات بعد اثني عشر يوماً عوضه الله خيراً وترجمته محتملة للبسط فقد كان من محاسن الزمان وممن ترجمه باختصار المقريزي في عقوده ومما كتبته عنه لنفسه

قميص من القطن من حله — وشربة ماء قراح وقوت

ينال به المرء ما يبتغي — وهذا كثير عَلَى من يموت

ومنه معمياً

وجهك الزاهي كبدر فوق غصن طلعا — واسمك الزاكي كمشكاة سناها لمعا

في بيوت اذن الله لها ان ترفعا — عكسها صحفه تلقى فيه الحسن (؟) اجمعا

ومنه

فعش ماشئت في الدنيا وادرك — بها ماشئت من صيت وصوت

فحبل العيش موصول بقطع وخيط العمر معقود بموت

ومنه

وما الدهر الا سلم فبقدر ما يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات مافيه نزول وانما شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن صار اعلى كان اوفى تهشماً وفاء بما قامت عليه شروطه

وترجمه بعضهم فقال : العلامة احد افراد الدهر في الفضل والسجع وعلم المعاني والبيان والبديع والنحو والصرف والنظم والنثر كان ممن أُسر مع اللنك (اي الاعرج تيمورلنك) ونقل الى سمرقند ثم خرج منها في سنة احدى عشرة وجال في بلاد الشرق ورجع الى دمشق في سنة خمس وعشرين فاقام بها مدة يتكسب بالشهادة في بعض حوانيتها وقدم القاهرة في سنة اربعين وصنف عجائب المقدور في نوائب تيمور من ابتدائه الى انتهائه ابان فيه عن فضل كبير وملكة للسجع وغزارة اطلاع بحيث لخصه المقريزي وترجم موءلفه فقال : نثره سجعاً فعلا ورشحه بالاشعار لحلا ٠ الى ان قال : بانه بحر بلاغة وفصاحة انشدنا كثيراً من شعره وله معرفة بالفقه واللغة ولكن الغالب عليه الادب وله نظم كثير منه كتاب مرآة الادب يشتمل على المعاني والبيان والبديع وهو نظم بطريقة الغزل يكون نحو الفي بيت وكتاب في علم النحو نظمه بطريقة الغزل ايضاً نحو مائتي بيت وقصيدة غزلية في الصرف بديعة مدح بها بعض اعيان الدولة وقصيدة في نحو مائتي بيت وشرحها في مجلد وخضاب الاهاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب بينه و بين البرهان الباعوني وحميد الدين القاضي ابان فيه عن حفظ كثير للغة وكثرة اطلاع وغزارة فضل وسبب منعه ان الباعوني كتب له بستة ابيات التزم فيها بانطا (؟) المسألة اولها

اأحمد لم تكن والله فظاً ولكن لااري لي منك حظا

واستوفى كثيراً من اللغة وكان قد وقع بينه و بين حميد الدين فحصل للشهاب سنة أُخرى مثل نظره في كتب اللغة وعملها في ستة ابيات يعجب من كثرة اطلاعه وسعة دائرته ثم كتب اليه بابيات التزم فيها الراء قبل الالف والراء بعدها ٠

من مجيري من ظلوم منه أُبعدت مزارا

واستوفى ما في الباب قال الشهاب فلم اجد له قافية فكتب له على لسان حميدالدين قصيدة بغدادية اولها

اي خداوند عجبو عن موالاة التناغي

فلم يقدر عَلَى الجواب بمثلها وكتب الي بقوله

ياشهاب الدين يا احـ ـمد ياابن عربشـاه

واستوفى القافية فظفرت باشياء تركها فقلت

قد اتى الفضل عليه حلل اللطف موشاه

فتعجب من سعة دائرته وكثرة اطلاعه ثم قال له انا والله ماعرفتك الا الآن قال فقلت له والله والى الآن ماعرفتني وطال الجواب بينهما علي هذا المنوال حتى ألف من ذلك مجلداً فمن ذلك ما كتب به البرهان

ابن عربشاه كف عني او لا تخذ ما يجيك مني

واعلم باني خصم ألد الشر دأبي والمكر فني

خلفي رجال لهم مجال في الحرب لايخلفون ظني

الى آخرها ومن جملة المراسلات ان البرهان ارسل اليه بعشرة ابيات التزم فيها الباء والياء واستوفي مافي الصحاح اولها

ان القميم وانت يا هذا ابن عين الخبير كذا

واستوفى القوافي وظن اني لم اجد قافية فاجبته وآخر الامر توجه حميد الدين الى مصر وشكاها الى السلطان وقال له البرهان هجاني فلم يرد عليه الا بقوله يكتب له من اليوم بكفه عن هجائك فلما خرج قال السلطان للشمس الكاتب ان الباعوني رجل جيد لولا انه عرف منه شيء ماقاله وألغز اليه ابو اللطف الحصكفي فاجابه بعد ان اجاب شعر القاهرة(؟) بغير المراد ثم الغز هو اليه واجابه بما لم اطل بايراده هنا وشعره كثير جداً وتصنيفه الماضي فاكهة الخلفا ومفاكهة الظرفا في مجلد ضخم فيه عجائب وغرائب عَلَى لسان الحيوانات من اواخر ما الف ٠

ولما دخل مصر بعد الخمسين في الطاعون وجد غالب من ببيت الكمال ابن البارزي مات كزوجته واخته فرثاهم بقصيدة طنانة عَلَى عدة قوافي واظهر في مخالصها من كل قافية الى الاخرى قوة عجيبة وملكة للنظم لاينهض غيره بشق غبارها من قافية اللام الى قافية الالف الى الهاء الى غيرها تزيد عَلَى سبعين بيتاً اولها

الى مَ الدهر يردى بالكمال وبه دي بالردى اهل الكمال اه ٠»

وقال في ترجمة العلامة المقريزي : « احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن

ابراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن ابي الحسن ابن عبد الصمد ابن تميم الثقفي ابو العباس ابن العلا ابن المحيوي الحسيني العبيدي البعلي الاصلي القاهري سبط ابن الصائغ ويعرف بابن المقريزي وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة وكان اصله من بعلبك وجده من كبار المحدثين فتحول ولده الى القاهرة وولي بها بعض الوظائف المتعلقة بالقضاة وكتب التوقيع في ديوان الانشاء وانجب صاحب الترجمة وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين وقال شيخنا: انه رأى بخطه مايدل عَلَى تعينه في سنة ست وستين وذلك بالقاهرة ونشأ بها نشأة حسنة فحفظ القرآن وسمع من جده لامه الشمس ابن الصائغ الحنفي والبرهان الآمدي والعز ابن الكويك والنجم ابن رزين والشمس ابن الخشاب والتنوخي وابن ابي الشيخة وابن ابي المجد والبلقيني والعراقي والهيتمي والفرسيسي وغيرهم بل كان يزعم انه سمع المتسلسل على العماد ابن كثير ولايكاد يصح . وحج فسمع بمكة من النشاوري والاميوطي والشمس ابن سكر وابي الفضل النويري القاضي وسعد الدين الاسفرايني وابي العباس ابن عبد المعطي وجماعة واجاز له الاسنوي والاذرعي وابن البقا السبكي وعلي ابن يوسف الرريدي (؟) وآخرون ومن الشام الحافظ ابو بكر ابن المحب وابو العباس ابن العز وناصر الدين محمد ابن محمد بن داود وطائفة واشتغل كثيراً وطاف عَلَى الشيوخ ولقي الكبار وجالس الائمة فاخذ عنهم وتفقه حنفياً عَلَى مذهب جده لامه وحفظ مختصراً فيه ثم لما ترعرع وذلك بعد موت والده في سنة ست وثمانين وهو حينئذ قد جاز العشرين تحول شافعياً واستقر عليه امره لكنه كان مائلاً الى الظاهر ولذلك قال شيخنا انه احب الحديث فواظب على ذلك وكان يتهم بمذهب ابن حزم ولكنه كان لا يعرفه انتهى هذا مع كون والده وجده حنبليين ونظر في عدة فنون وشارك في الفضائل وكتب بخطه الكثير وانتقى وقال الشعر والنثر وحصل وافاد وناب في الحكم وكتب التوقيع وولي الحسبة بالقاهرة غير مرة اولها في سنة احدى وثماني مائة والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة حسن والامامة بجامع الحاكم ونظره وقرأ الحديث بالمؤيدية عوضاً عن المحب ابن نصر الله حين استقراره في تدريس الحنابلة بها وغير ذلك وحمدت سيرته في مباشراته وكان قد اتصل بالظاهر برقوق ودخل دمشق مع ولده الناصر في سنة عشر وعاد معه وعرض عليه قضاءها مراراً فابى وصحب يشبك الدوادار وقتاً ونالته منه دنيا بل يقال انه اودع عنده نقداً وحج غير مرة وجاور

وكذا دخل دمشق مراراً وتولى بها نظر وقف القلانسي والبيمارستان النوري مع كون شرط نظره لقاضيها الشافعي وتدريس الاشرفية والاقبالية وغيرها ثم اعرض عن ذلك واقام ببلده عاكفاً عَلَى الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبعد فيه صيته، وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الاوحدي كما سبق في ترجمته فاخذها وزادها زوائد غير طائلة ودرر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ذكر فيه من عاصره وامتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاحوال والحفدة والمتاع . وكان يحب ان يكتب بمكة ويحدث به فتيسر له ذلك . والمدخل له . وعقدجواهر الاسفاط في ملوك مصر والفسطاط . والبيان والاعراب عما في ارض مصر من الاعراب . والالمام في تأخر من بارض الحبشة من ملوك الاسلام . والطرفة الغريبة في اخبار حضرموت العجيبة . ومعرفة مايجب لآل البيت النبوي من الحق عَلَى من عاداهم . واتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا . والسلوك بمعرفة دول الملوك يشتمل على الحوادث الى وفاته . والتاريخ الكبير المقفى وهو في ستة عشر مجلداً وكان يقول انه لوكمل عَلَى مايرومه لجاوز الثمانين . والاخبار عن الاعذار . والاشارة والكلام ببناء الكعبة البيت الحرام ومختصره وذكر من حج من الملوك والخلفاء والتخاصم بين بني امية وبني هاشم وشذور العقود وضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري والاوزان والاكيال الشرعية وازالة التعب والعنا في معرفة الحال في الغنا وحصول الانعام والمير في سؤال خاتمة الخير . والمقاصد السنية في معرفة الاجسام المعدنية وتجريد التوحيد ومجمع الفرائد ومنبع الفوائد يشتمل على علمي العقل والنقل المحتوي على فني الجد والهزل بلغت مجلداته نحو المئة وما شاهده وسمعه مما لم ينقل في كتاب . وشارع النجاة يشتمل عَلَى جميع مااختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه الحق منها والاشارة والايماء الى حل لغز الماء وهو ظريف وغير ذلك . وقرض سيرة المؤيد لابن ناهض وقد قرأت بخطه ان تصانيفه زادت عَلَى مائتي مجلدة كبار وان شيوخه بلغت ستمائة نفس وكان حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ولذلك يكثر له فيهم وقوع التحريف والسقط وربما صحف في المتون .

ومما رأيته بخطه في ذلك ابن بدر وهو بفتح الموحدة والدال المهملة فضبطه بخطه بالبدل وعلي ابن منصور الكرخي شيخ السلفي وهو بالجيم فضبطه بالخاء المعجمة وكثيراً مايجعل عبدالله عبيدالله وعكسه بل وبلغني انه جعل ابا طاهر ابن محمش راوي الحديث

المسلسل بالاولية حين حدث به بالخاء المعجمة بدل المهملة واما في المتأخرين فقد انفرد في تراجمهم بما لا يوافق عليه كقوله في ابن الملقن انه كان يبني (؟) الصلاة جداً وكان مع ذلك يكثر الاعتماد علي من لا يوثق به من غير عزو اليه حتى فعل ذلك في نسبه فان مستنده في كونه من العبيديين كونه دخل مع والده جامع الحاكم فقال له : ياولدي هذا جامع جدك لاسيما وما قاله ابن ارفع في نسبة عبد القادر جده انصاريا يخدش في هذا وان توقف صاحب الترجمة فيه لكنه مع ذلك لم يكن يتجاوز في تصانيفه في سياق نسبه عبد الصمد ابن تميم وان اظهر زيادة عَلَي ذلك فلمن يثق به ثم رأيت مايدل عَلَي انه اعتمد في هذه النسبة العرياني المشهور بالكذب فالله اعلم . ومن يصف من يكون كذلك بالحافظ مريد الاصلاح فقد جازف وما احسن قول بعضهم مما في بعضه توقف (كذا)

وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها واما الوقائع الاسلامية ومعرفة الرجال واسمائهم والجرح والتعديل والراتب والسير وغير ذلك من اسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والنحو واطلاع على اقوال السلف والمام بمذهب اهل الكتاب حتى كان يتردد اليه افاضلهم للاستفادة منه مع حسن الخلق وكرم العهد وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصده والمحبة في المذاكرة والمداومة علي التهجد والاوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة فيها والملازمة لبيته حتى ان بعض الرؤساء فيما بلغني عتب عَلَي انقطاعه عنه انشد قول غيره :

قالت الارنب للفوت كلاما   فيه ذكرى لتفهم الالباب
انا اجرى من الكلاب ولكن   خير يومي ان لا تراني الكلاب

ولو انشده قول ابن المبارك

قد ارحنا واسترحنا   من غدو ورواح   واتصال بلئيم   اوكريم ذي سماح
بعفاف وكفاف   وقنوع وصلاح   وجعلنا اليأس مفتا   حًا لابواب النجاح

لكان احسن و (له) الخبرة بالزايرجة والاصطرلاب والرمل والميقات بحيث انه اخذ لابن خلدون طالعاً والتمس منه تعيين وقت ولايته فيقال انه عين له يوماً فكان كذلك وعد من النوادر

كل ذلك مع تبجيل الاكابر له اما مداراة له خوفًا من قلمه او لحسن مذاكرته وقد حدث ببعض تصانيفه ومروياته بمكة والقاهرة سمع منه الفضلاء واخبر انه سمع فضل الخيل للدمياطي عَلَي ابي طلحة الحراوي مرتين فاعتدوا اخباره بذلك وقرئ عليه مرة بل

كتب بخطه قبيل موته بسنة انه لايعلم من يشاركه في روايته ورأيت بخط صاحبنا النجم ابن فهد انه حضره في الرابعة على الحراوي وما علمت مستنده في ذلك .

وقد ترجمه شيخنا في معجمه بقوله وله النظم الفائق والنثر الرائق والتصانيف الباهرة خصوصاً في تاريخ القاهرة فانه احيا معالمها واوضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم اعيانها ولكنه لم يبالغ في انبائه لهذا الحد بل قال واولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً وصنف فيه كتاباً وكان لكثرة ولعه به يحفظ كثيراً منه قال وكان حسن الصحبة حلو المحاضرة وقال العيني : كان مشتغلا بكتابة التواريخ و بضرب الرمل تولى الحسبة بالقاهرة في آخر ايام الظاهر يعني برقوق ثم عزل بمسطره ثم تولى مرة أخرى في ايام الدوادار الكبير سودون ابن اخت الظاهر يعني برقوق عوضاً عن مسطره بحكم ابن مسطره وعزل نفسه بسبب ظلم سودون المذكور وقال ابن خطيب الناصرية في ترجمة جده وهو جد الامام الفاضل المؤرخ تقي الدين وقال غيره : جمع كتاباً فيما شاهده وسمعه مما لم ينقله من كتاب ومن عجب مافيه انه كان في رمضان سنة احدى وتسعين ماراً بين القصرين فسمع العوام يتحدثون ان الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك واجتمع عليه الناس قال : فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك ومن شعره في دمياط :

سقى عهد دمياط وحياه من عهد فقد زادني ذكراه وجداً عَلَى وجدي
ولا زالت الانواء تسقي سحابها دياراً حكت من حسنها جنة الخلد

وهي اكثر من عشرين بيتاً مات في عصر يوم الخميس سادس عشرى رمضان سنة خمس واربعين بالقاهرة بعد مرض طويل وذلك عَلَى ماقاله شيخنا بتكملة ثمانين من عمره ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية رحمه الله وايانا اه . »

هذان نموذجان من الكتاب وكله فوائد جزيلة وهو مرآة صادقة لاحوال القرن التاسع للهجرة وفيه دب الانحطاط عَلَى اشده في جسم الامة الاسلامية

ميزان المقادير في تبيان التقادير

لعلامة الامامية وشيخ الفرقة العلوية الشيخ رضي الدين محمد القزويني وكان احد افاضل القرن الحادي عشر من اعيان قزوين

« عني بنشرها محمود شكري افندي الآلوسي احد كبار علماء العراق العاملين »

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل عَلَى محمد وآل محمد وبعد فيقول المفتقر بجهله بالعلم اليقيني رضي الدين محمد القزويني . كثيراً ماوقعت في الشريعة الحقة المصطفوية عليه وآله الف الف تحية . احكام مبتنية عَلَى مقادير مخصوصة ومسائل مشتملة عَلَى اوزان واكيال ومسافات منصوصة . وجليلاً ما اتفقت من المتدينين اهل الحساب . طوبى لهم وحسن مآب ضوابط متقنة بتقديرات معينة . وقواعد محكمة بتجديدات مبينة فتصفحت فما وصلت الى رسالة مفصلة موضوعة لشأنها وتتبعت فما اطلعت عَلَى مقالة محصلة متكفلة ببيانها . غير انها مسطورة في صحف منتشرة ضبطها محل للقريحة . ومذكورة في كتب متفرقة حفظها مخل للطبيعة . مع ان اكثرها وقعت موقعاً لاختلاف الآراء . واجلها وردت مورداً لافتراق الاهواء . فها انا التي عليك ابيانها في طي هذه الرسالة نوعاً من بسط الكلام واهدي اليك لتبيانها في اثناء تلك المقالة ضرباً من توضيح المرام قاصداً فيها تسهيلاً عَلَى الطلاب . راجياً منها شيئاً من الثواب فانه غير مقصور عَلَى من اكثر العمل ووفره . لكريمة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره

وسميتها ميزان المقادير في تبيان التقادير . فجعلتها تيمناً لها . وتزييناً اياها . هدية لخزانة كتب الدستور الاعظم ملجأ الاكابر والامم . حاوي الرياستين الدينية والدنيوية جامع الفضيلتين العلمية والعملية . مقدر احوال الانام . بالفكر الرزين . مدبر ممالك الاسلام بالعقل المتين . ملاذ اعاظم الفضلاء في الآفاق . سلطان افاخم العلماء بالاستحقاق . معير نقود انظار الاولين والآخرين . خازن مكتوم اسرار السابقين واللاحقين فخر السيادة والنجابة والفضيلة والكمال . عين العظمة والشوكة والجلالة والاقبال . اعتضاد الحضرة المقدسة السلطانية . اعتماد الدولة العلية العالية الخاقانية . ابد الله تعالى ظلال دولته الى يوم الدين . بحرمة جده سيد المرسلين . وآبائه الائمة الطاهرين المعصومين .

فاعلم ان المقادير المذكورة عَلَى ثلاثة اقسام · امامقلدة بالوزن · واما بالكيل · واما بالمساحة · والبحث ع بـا اما ان يكون عَلَى وجه يكشف حقائقها · اوعَلَى سوق يظهر دقائقها فانتظمت الرسالة بتفصيلات افتتاحاً · و بتتميات اختتاماً

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب الوزن

هذه المقـادير ينتهي اكثر تقديراتها بل كلها الى وزن الحبة من الشعيرة المتوسطة لقلة الاختلاف فيها · وسهولة تحصيلها وشيوعها في الامكنة والاوقات فوزنها بين الاوزان كالواحد بين الاعداد فكما ثبت للواحد كسورهم فكذلك قدرت لها اجزاء فأسس البيان بذكرها فيقال لسدس الشعيرة الخردل

ولجزء من اثنين وسبعين جزءاً منها الفلس

فهو نصف سدس الخردل · ولجزء من اربعمائة واثنين وثلاثين جزءاً منها الفتيل و يقال له الفتيلة (١) ايضاً فهو سدس الفلس

ولجزء من الفين وخمسمائة واثنين وتسعين جزءاً منها النقير فهو ايضاً سدس الفتيل

ولجزء من عشرين الفاً وسبعمائة وستة وثلاثين جزءاً منها القطمير فهو ثمن النقير

ولجزء من مائتين وثمانية وار بعين الفاً وثمانماية واثنين وثلاثين جزءاً منها الذرة (٢) فهي نصف سدس القطمير

ولجزء من الف الف وسبعمائة واحد وار بعين الفاً وثمانمائة وار بعة وعشرين جزءاً منها الهباء فهو سبع الذرة

و بعد هذا التأسيس نفصل الاوزان المشهورة المذكورة عَلَى الالسنة عَلَى ما وصل الينا حسبما اقتضاها الترتيب ·

الطسوج وهو قدر حبتين من شعيرتين متوسطتين وهو مشهور و بهٖ فسره اهل اللغة ايضاً ولم اجد فيه خلافاً

---

(١) وقع في القرآن المجيد منها كما في قوله تعالى ولا تظلمون فتيلا وامثاله مجاز بعلاقة معانيها اللغوية لاما اصطلحوا عليه المذكور فيما نحن فيه (منه)

(٢) الذرة النملة الصغيرة والمذكور هنا ليس وزنهـا الواقعي بل هو محض اصطلاح اذ بين وزنها الواقعي وهذا القدر بون بعيد يظهر من قول صاحب القاموس الذر صغار النمل ومائة منها وزنة حبة شعير فالواحدة ذرة (منه)

والقيراط وهو قيراطان قيراط الدرهم وقيراط الدينار · وهذا ايضاً مكي وعراقي فبالحقيقة ثلاثة اقسام

اما قيراط الدرهم فهو اربع شعيرات يبلغ طسوجين في القاموس في م ك ك القيراط طسوجان والطسوج حبتان يعني شعيرتين كذا في الصحاح · وقيل هو ست شعيرات فيبلغ ثلاثة طساسيج يعني قيراط الدرهم

واما القيراط المكي للدينار فهو شعيرتان او ستة اسباع شعيرة يبلغ سطوجاً وثلاثة اسباعه ·

واما القيراط العراقي فهو ثلاث شعيرات وثلاثة اسباع شعيرة يبلغ طسوجاً وخمسة اسباعه في القاموس القيراط والقراط يختلف وزنه بحسب البلاد فبمكة ربع سدس دينار وبالعراق نصف عشره انتهى فالتقدير موافق لما قدرناها به كما ستعرف وهذا العراقي هو المعتبر في باب زكوة الذهب

واما القيراط الواقع في الحديث مع تفسيره بانه مثل جبل احد فمجاز

والدانق وهو اذا اطلق فالمراد به دانق الدرهم وقدره ثماني شعيرات يبلغ قيراطي الدرهم في القاموس في م ك ك · والدانق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج حبتان والحبة سدس من ثمن درهم وهو جزء من ثمانية واربعين جزءاً من درهم وهو بعينه عبارة الصحاح وفي د ن ق فسره بسدس الدرهم وهو ايضاً قيراطان كما ستعرف

والدرهم وهو دراهم الدرهم البغلي [1] وهو اربع وستون شعيرة يبلغ ثمانية دوانيق والدرهم الطبري وهو اثنتان وثلاثون شعيرة يبلغ اربعة دوانيق نصف البغلي في القاموس الطبري ثلثا الدرهم اراد به الدرهم الشرعي · والدرهم الشرعي وهو ثمان واربعون شعيرة يبلغ ستة دوانيق متوسط بينهما وهذا الشرعي هو المعتبر في نصاب زكوة الفضة وامثاله ويقال له الوربة ايضاً

قال العلامة في التحرير الدراهم في صدر الاسلام كانت صنفين بغلية وهي السود [2]

(١) ضبط بعضهم البغلي باسكان الغين المعجمة و بعضهم بفتح الغين المعجمة وتشديد اللام ووجه تسميه به مفصلاً مذكور في الحبل المتين (منه)

(٢) قيل الدراهم السود هي الدرهم من الفضة المسكوكة بالصور كما يكون بين الكفار لا الفلوس ولا يخفى ان ماروي في من لا يحضره الفقيه من انه سأل عبد الرحمن ابن الحاج اوعبد الله عليه السلام عن الدراهم السود تكون مع الرجل وهو يصلي مربوطة او غير

كل درهم ثمانية دوانيق وطبرية كل درهم اربعة دوانيق فجمعا في الاسلام وجعلا درهمين متساويين وزن كل درهم ستة دوانيق فصار وزن كل عشرة دراهم ٠ سبعة مثاقيل بمثقال الذهب وكل درهم نصف مثقال وخمسة وهو الدرهم الذي قدر به النبي من المقادير الشرعية في نصاب الزكوة والقطع ومقدار الديات والجزية وغير ذلك ٠ والدانق ثماني حبات من اوسط حب الشعير انتهى

والمثقال وهو مثقالان المثقال الشرعي وهو المعبر عنه بالدينار بلا خلاف لكن الدينار كثر استعماله في المسكوك من الذهب كما ان اكثر استعمال الدرهم في المسكوك من الفضة قدره ثمان وستون شعيرة واربعة اسباع شعيرة يبلغ درهماً وثلاثة اسباعه بالشرعي ٠ في الصحاح وكذا في القاموس المثقال درهم وثلاثة اسباع درهم والدرهم ستة دوانيق والدانق قيراطان الخ ٠ وهو المعتبر في الاحكام الشرعية بلا خلاف يظهر من تتبع كلام الفقهاء ٠ وما وقع في الحديث من ان المثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصغرها مثل جبل احد واكبرها مابين السماء والارض فمجاز ٠ والمثقال الصيرفي وهو المعروف في زماننا سنة اربع وخمسين والف في اكثر بلاد العجم قدره اربع وثمانون شعيرة على ما وزنا وراعينا في وزنه كمال الاحتياط ٠ والتدقيق يبلغ درهماً وثلاثة ارباع درهم بالشرعي

والوافي وقدره ثمانون شعيرة يبلغ درهماً وثلثي درهم في القاموس الوافي درهم واربعة دوانيق موافقاً لما قدرنا به

والاستار بالكسر وقدره ثلاثمائة وثماني شعيرات واربعة اسباع شعيرة قدره ستة دراهم وثلاثة اسباع درهم بالشرعي يبلغ اربعة مثاقيل ونصف مثقال بالشرعي كذا في الصحاح ٠ والقاموس وقيل هو ستة دراهم وثلث درهم او اربعة مثاقيل نقلهما الشيخ في اواخر كتاب القانون

والاوقية كالوقية بالضم وتشديد الياء وهي اوقيتان الاوقية الجديدة وهي على مابه فسرها الفقهاء ٠ وجمهور اصحاب اللغة والاطباء خمسمائة واربع عشرة وسبعان من الشعيرة قدر عشر دراهم وخمسة اسباع درهم يعني سبعة مثاقيل ونصفا يبلغ استارا وثلثي استار بالمعنى الاول ٠ وعلى ما نقله الشيخ في اواخر القانون هي سبعة مثاقيل يكون

مربوطة فقال ما اشتهي ان يصلي ومعه هذه الدراهم التي فيها التماثيل الحديث لا يؤيد شيئاً منهما كما لايخفى

عشرة دراهم وتبعه العلامة الشيرازي في شرح القانون وصاحب القاموس في و ق ي لكنه وافق في م لك الجمهور كما وافقهم صاحب الصحاح في الموضعين وصرح بانها هي المعتبرة بين الاطباء وسننقل كلامه بعينه وعَلَى مافسره بعض ما يعتد به هي اثنا عشر درهماً يعني ثمانية مثاقيل وخمسي مثقال فلها ثلاثة تفسيرات والمعتمد المشهور هو الاول كما ذكرنا

والاوقية القديمة وهي الف وتسعمائةوعشرون شعيرة قدر اربعين درهماً يعني ثمانية وعشرين مثقالاً تبلغ ثمانية اساتيروثمانية اتساع استار بالمعنى الاول وفي الصحاح تصريح به وبما سبق منه فيموضع آخر كما مر بقوله الاوقية في الحديث اربعون درهما وكذلك كان فيما مضى فاما اليوم فيما يتعارفها الناس ويقدر عليه الاطباء فالاوقية عندهم وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وهو استار وثلثا استار انتهي وماوقع في الحديث من تفسير الاوقية باعظم من جبل احد فمجاز

والنش [1] بالتشديد وهو تسعمائة وستون شعيرة قدر عشرين درهماً يعني اربعة عشر مثقالا يبلغ نصف اوقية قديمة كذا في الصحاح والقاموس ورووا كان صداق ازواج النبي صلى الله عليه وآله اثنتي عشرة اوقية ونشاً اتدرون ما النش هو نصف اوقية عشرون درهما انتهى ذكر هذه الرواية العلامة في منتهى المطلب للاستدلال عَلَى ان الاوقية كانت اربعين درهماً

والرطل وهو ارطال الرطل العراقي ويقال له البغدادي ايضاً وهو المراد عنداطلاق الرطل في الاكثر وفي تفسيره خلاف فعندجمهور الخاصة والرافعي [2] من العامة [3] ستة آلاف ومائتان واربعون شعيرة تبلغ اثنتي عشرة اوقية وثلثي خمسه بالجديدة علي المعنى الاول وبعبارتين أُخر بين احد وتسعون مثقالاً بالشرعي ومائة وثلاثون درهما به وعند

(١) وفي حديث محمد بن علي بن موسى عليه السلام حين تزويج ابنته مأمون وبذلت لها من الصداق مابذله رسول الله صلى الله عليه وآله لازواجه وهي اثنتا عشرة اوقيه ونش عَلَى الخمسمائة الحديث (منه)

(٢) نقله عن الرافعي بهاء الملة والدين في الكشكول (منه)

(٣) «المقتبس» يريد بالخاصة علماء الشيعة وبالعامة علماء السنة وهذا الاطلاق شائع في كتب الامامية فليتأمل

جمهور العامة والعلامة[1] من الخاصة ستة آلاف ومائة واحدى وسبعون شعيرة وثلاثة اسباع شعيرة يبلغ اثنتي عشرة اوقية بالمعنى المذكور بلا زيادة ولانقصان · وبعبارتين أخريين تسعون مثقالا ومائة وثمانية وعشرون درهماً واربعة اسباع درهم وعلى هـذا التفسير صـاحب الصحاح والقاموس اذ فسراه باثنتي عشرة اوقية وهو الرطل المعتبر بين جمهور الاطباء ايضاً لكن على مايظهر مما نقله الشيخ في اواخر القانون حيث فسره باثنتي عشرة اوقية والاوقية بسبعة مثاقيل كما مر يصير اربعة وثمانين مثقالا ولم اجدمن فسره به اصلاً والرطل المـدني وهو رطل ونصف بالعراقي والرطل المكي وهو ضعف الرطل العراقي ويجري فيهما الاحتمالان الناشئان من تفسير الرطل العراقي ففي كل منهما مذهبان على النسبة المذكورة في الرطل العراقي

والمن [2] و يقال له المنا [3] مقصوراً والمشهور منه منان المن المصري والانطاليقي وهو ثمانية آلاف ومائتان وثمانية وعشرون شعيرة قدر ست عشرة اوقية جديدة بالمعنى الاول يبلغ رطلاً وثلث رطل على تفسير العامة وفي القانون ايضـاً ست عشرة اوقية والخلاف في تفسيرها كما مر · والمن الرومي وهو عشرة آلاف وثمانمائة وثماني شعيرات قدر احدى وعشرين اوقية بالمعنى المذكور يبلغ رطلاً وثلاثة ارباع رطل وفي القانون عشرون اوقية يبلغ رطلاً وثلثي رطل بتفسيره

والمن الطبي وهو اثنا عشر الفاً ومائتان واثنان واربعون شعيرة وستة اسباع شعيرة يبلغ رطلين وبعبارة اخرى اربع وعشرون اوقية ولاخلاف فيه الا مايقتضيه مافي القانون من تفسير الاوقية

والمن التبريزي وهو خمسون الفاً واربعمائة شعيرة يبلغ ستمائة مثقال صيرفي كما هو المتعارف في زماننا · والمن الشاهي وهو مائة الف وثمانمائة شعيرة يبلغ الفاً ومائتي مثقال صيرفي ضعف المن التبريزي

والكر بحسب الوزن اما المكيالي والمساحي منه فسيجيء تفسيرها ويعتبر فيه كونه من الماء قدر بالف ومائتي رطل باتفاق فقهائنا رضوان الله عليهم الا القطب الراوندي وسنذكر ماذهب اليه لكنهم اختلفوا في ان هذا الرطل هل هو مـدني او عراقي ذهب

---

(١) صرح به في التحرير واسنده اليه الشهيد في البيان (منه)

(٢) وللمن غير الاوزان المذكورة اطلاقان آخران نقلهما صـاحب القاموس بقوله المن كيل مشهور او ميزان (منه) (٣) بلا تشديد (منه)

الى الاول جماعة منهم ابن بابويه والسيد المرتضى رحمهما الله والى الثاني الشيخان والعلامة ومن تبعهم ففيه مذهبان يرجع بعد ملاحظة الاختلاف الواقع في قدر الرطل العراقي بين الجمهور والعلامة كما ذكرنا الى ثلاثة مذاهب بحسب المآل [١] فعلى مذهب ابن بابويه يصير مائتين واربعة وثلاثين الف درهم شرعي وعلى مذهب الشيخين مائة وستة وخمسين الف درهم وعلى مذهب العلامة مائة واربعة وخمسين الفاً ومائة وخمسة وثمانين درهماً وخمسة اسباع درهم .

ومما يلحق بالاوزان النواة وهي الاوقية من الذهب اواربعة دنانير او ما زنته خمسة دراهم اوثلاثة ونصف ومن العدد عشرون اوعشرة هكذا في القاموس

والربوة بالكسر وهي عشرة آلاف درهم كما في القاموس

والبدرة وهي كيس فيه الف او عشرة آلاف درهم اوسبعة آلاف دينار كما في القاموس وفي بعض كتب اللغة عشرة آلاف درهم اوسبعة آلاف دينار

والقنطار بالكسر قيل مائة وعشرون رطلاً وفي القاموس وزن اربعين اوقية من ذهب اوالف ومائتا دينار اوالف ومائتا اوقية اوسبعون الف دينار اوثمانون الف درهم اومائة [٢] رطل من ذهب اوفضة الى الف او ملأ مسك ثور ذهباً اوفضة انتهى

وهذا الاخير هو الشائع وبعض المفسرين عليه حمل مافي قوله تعالى (وآتيتم احداهن قنطاراً) وما وقع في الاحاديث مع تقديره في بعضها بالف ومائتي اوقية والوقية باعظم من جبل احد وفي بعضها [٣] بخمسة عشر الف مثقال من ذهب والمثقال باربعة وعشرين قيراطاً اصغرها مثل جبل احد [٤] واكبرها مابين السماء والارض فمجاز

---

(١) لايقال يجب ان يكون اربعة مذاهب لسراية الاختلاف في الرطل العراقي الى المدني ايضا لانا نقول لما كان القائل بالمدني من جمهور الخاصة فالمراد بالمدني هو المعنى الاول اي رطل ونصف بالعراقي على تفسير الخاصة (منه)

(٢) تفسيره بمائة رطل يساوي تفسيره بالف ومائتي اوقية لان الرطل عنده اثنتا عشرة اوقية فالترديد بينهما كأنه لخصوصية الموزون فيه اي الذهب والفضة (منه)

(٣) كما روي في الكافي عن ابي عبدالله عليه السلام من قرأ الف آية كتب له قنطار من بر والقنطار خمسة عشر الف مثقال والمثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصغرها مثل جبل احد واكبرها مابين السماء والارض (منه)

(٤) كما روي في الكافي في فضل القرآن عن ابي عبدالله عليه السلام من قرأ

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب الكيل

هذه التقديرات ينتهي اكثرها الى مكيال يقال له المد بالضم معياره تخميناً ملأ كف الانسان المعتدل اذا ملأها ومد يده بهما قاله صاحب القاموس في م د د موافقا لما نقله عن الداودي بتقريب تفسير الصاع ثم قال وبه سمي مدا وقد جربت ذلك فوجدته صحيحاً انتهى ولتعسر ضبطه مع رجوع المقادير المكيلة اليه احتيج الى تقديره بوزن معين سهولة للحفظ وصونا عن التغيير فقدر به فاختلفوا في قدره بحسب اختلاف الروايات عن المقدر فلا بد لنا مقدماً عَلَى سائر تلك المقادير تفسيره وتحقيق وزنه على ماوصل الينا من المذاهب تأسيساً للاصل وتمهيداً للفصل فهذا القسم ايضاً في الحقيقة ينتهي في التقدير الى اوسط حب الشعير وفي تقديره ستة اقوال الاول مائة واثنان وستون درهماً ونصف درهم بالشرعي هو مائة وثلاثة عشر مثقالا وثلاثة ارباع مثقال بالشرعي يبلغ رطلا وربعا بالعراقي عَلَى تفسير جمهور الخاصة وهذا احد احتمالي مذهب ابن ابي نصر البزنطي من المحدثين اذ فسره برطل وربع ومذهبه في قدر الرطل غير معلوم فان وافق الخاصة فذاك والا فمائة وستون درهما وخمسة اسباع درهم هو مائة واثنا عشر مثقالاً ونصف مثقال يبلغ رطلا وربعا عَلَى تفسير العامة فهو الاحتمال الآخر لمذهبه . والثاني مائة واحد وسبعون درهما وثلاثة اسباع درهم هو مائة وعشرون مثقالا يبلغ رطلا وثلثا عَلَى تفسير العامة واليه ذهب النووي [1] من العامة واختاره صاحب القاموس في تفسير الصاع ونسبه صاحب الصحاح الى اهل الحجاز . والثالث مائة وثلاثة وسبعون درهماً وثلث درهم هو مائة واحد وعشرون مثقالا وثلث مثقال يبلغ رطلا وثلثا عَلَى تفسير الخاصة واليه ذهب الرافعي من العامة ومن تبعه . والرابع مائتان وسبعة وخمسون درهما وسبع درهم هو مائة وثمانون مثقالا يبلغ رطلين على تفسير العامة نقله صاحب القاموس ونسبه صاحب الصحاح الى اهل العراق . والخامس مائتان وتسعة وثمانون درهماً وسبعا درهم هو اثنان ومائتا مثقال ونصف مثقال يبلغ رطلين وربعا عَلَى تفسير العامة . واليه ذهب العلامة من الخاصة رحمة الله عليه . والسادس مائتان واثنان

خمسمائة آية في يوم وليلة في صلوة النهار والليل كتب الله عز وجل له في اللوح قنطاراً من حسنات القنطار الف ومائتا اوقية والوقية اعظم من جبل احد

(١) نوى قرية بالشام منها ابو زكريا النووي من القاموس

وتسعون درهما ونصف درهم هو اربعة ومائتا مثقال وثلاثة ارباع مثقال يبلغ رطلين وربعا عَلَى تفسير الخاصة واليه ذهب جمهور فقهائنا رضوان الله عليهم اجمعين (والقسط) وهو مكيال يسع مدين بالمعنى الثاني عَلَى ما يستفاد من القاموس اذ فسره بما يسع نصف صاع والصاع باربعة امداد بذلك المعنى وقيل هو اربعة ارطال بتفسير العامة وحينئذ يبلغ مدين بالمعنى الرابع . ونقل الشيخ في اواخر القانون ان القسط عند الروم رطل ونصف وسدس فيكون عشرين اوقية والقسط الانطاليقي رطل ونصف واعلم انه قال يختلف باختلاف اضافته الى بعض المائعات كما نقل الشيخ ايضاً عن بعضهم ان القسط من الزيت ثماني عشرة اوقية ومن الشراب ثمانون رطلا ومن العسل مائة وثمانمائة ارطال ومن بعضهم ان قسط العسل رطلان ونصف وقد عرفت مراراً ان الرطل على مانقله اثنتا عشرة اوقية كل منها سبعة مثاقيل وذكر بعضهم في تفسير قسط العسل رطلا واحدا ايضاً (والصاع) واعني به صاع النبي صلى الله عليه وآله وهو المدار عليه في زكوة الفطر وغيرها اتفقت اقوالهم جميعاً عَلَى ان الصاع اربعة امداد كيلا ولم اجد خلافاً فيه واما في تقديره بحسب الوزن فاختلفوا فيه بحسب اختلافهم في تقدير المد فمذهب كل في الصاع اربعة امثال ما ذهب اليه في المد ففيه ايضاً ستة مذاهب وسبعة احتمالات فعلى اول احتمالي مذهب البزنطي هو خمسة ارطال عَلَى تفسير الخاصة وعَلَى آخر احتماليه خمسة ارطال عَلَى تفسير العامة وعَلَى مختار النووي وصاحب القاموس والمنسوب الى اهل الحجاز خمسة ارطال وثلث رطل عَلَى تفسير العامة وعَلَى مختار الرافعي خمسة ارطال وثلث رطل عَلَى تفسير الخاصة وعلى ما انسب الى اهل العراق ثمانية ارطال عَلَى تفسير العامة وعَلَى مختار العلامة رحمه الله تسعة ارطال عَلَى تفسير العامة وعَلَى مختار جمهور فقهائنا رضوان الله عليهم تسعة ارطال عَلَى تفسير الخاصة

والكيلجة وهي منٌ وسبعة اثمان منٍ بالطبي يبلغ ثلاثة ارطال وثلاثة ارباع رطل على تفسير العامة كذا في الصحاح والقاموس (والمكوك) كتنور وهو كما في الصحاح ثلاث كيلجات يعني احد عشر رطلا وربع رطل كذا في القاموس

والويبة بتقديم الياء المثناة التحتانية وهي اثنان او اربعة وعشرون مدا كذا في القاموس فيجري فيها المذهب الثاني والرابع اللذان نقلهما في المد ففيها اربعة احتمالات

والفرق وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا عراقياً عَلَى تفسير العامة كما في الصحاح

يبلغ ثمانية امنان وتفسيره بما يسع ثلاثة اصوع لايغاير هذا التفسير اذا كان المختار عند المفسرين به ان الصاع خمسة ارطال وثلث فالترديد في تفسيره بين مايسع ثلاثة اصوع وما يسع ستة عشر رطلا من صاحب القاموس كأنه لاختلاف التعبير مع كونه بعيداً جداً

والقفيز المكيالي اما الارضي منه فسيجيء تفسيره يختلف بحسب البلاد جداً والمنقول ثمانية مكاكيك اعني اربعة وعشرين كيلجة كذا في الصحاح والقاموس

والاردب بكسر الهمزة وتشديد الباء وهو ستة وتسعون مدا يبلغ اربعة وعشرين صاعاً نقله صاحب القاموس وقد عرفت مختاره في الصاع

والجريب المكيالى اما الارضي منه فسيجيء تفسيره قال صاحب القاموس هو مكيال قدر اربعة اقفزة فيبلغ اثنين وثلاثين مكوكا

والوسق هو المعتبر في نصاب زكوة الغلات وهو مائتان واربعون مداً يبلغ ستين صاعاً بالاتفاق نقله اهل اللغة وغيرهم ولم اجد خلافاً فيه فيختلف الآراء في وزنه بحسب اختلافها في المد والصاع ففيه ايضاً ستة مذاهب وسبعة احتمالات والتفريع ظاهر مما ذكرنا في المد والصاع

والكر المكيالي وهو ثلاثة آلاف وثمانمائة واربعون مدا يبلغ اربعين اردباً نقله صاحب القاموس وله معنيان آخران نقلهما ايضاً بقوله وبالضم مكيال للعراق وستة اوقار حمار وهو ستون قفيزاً

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب المساحة

ينتهي تقديرات هذا القسم ايضاً الى قدر الشعيرة المتوسطة لكن لامن حيث الوزن كما مر بل من حيث المساحة اي قدر عرض السطح الصغير منها يعني احد جنبيها وبعضهم لم يقنوا في التقدير عَلَى عرض الشعيرة وتجاوزوا عنها وقدروا عرض الشعيرة ايضاً بعرض شعر البرذون ذنبه كما قال صاحب البهآئية اوعرفه كما صرح به صاحب القسطاس وقيل عرض كل شعيرة ست شعيرات منه وقيل سبع شعرات فبعد هذا التأسيس اعلم ان هذا القسم من المقادير ينقسم الى ثلاثة اقسام اما ان يعتبر فيه المساحة الخطية ٠ واما ان يعتبر فيها المساحة السطيحة ٠ اي مربع الخط ٠ واما ان يعتبر فيها المساحة الجسمية اي مكعبه فالقسم الاول الذي يعتبر فيه المساحة الخطية (الاصبع) وهي قدرت بست

شعيرات متلاصقات بالسطح الاكبر بحيث يكون ظهر كل منها عَلَى بطن الآخر وبها قدرها شارح الجغميني · وقيل سبع وبها قدرها شارح اللمعة ففيها ايضًا مذهبان وفي كل منها يجري احتمالا تقدير الشعير فتصير الاحتمالات في تقديرها اربعة · الاول كونها ست شعيرات والشعيرة ست شعرات · والثاني · كونها سبع شعيرات والشعيرة سبع شعرات · والثالث · كونها ست شعيرات والشعيرة سبع شعرات · والرابع · كونها سبع شعيرات والشعيرة ست شعرات عكس الثالث فنقل الاول صاحب البهائية والقسطاس · ونقل الثاني والثالث الشهيد الثاني في شرحه عَلَى لمعة الفقه · ولم اطلع عَلَى نقل عَلَى الرابع لكنه متحد في المآل مع الثالث اذ حاصل ضرب الستة في السبعة وبالعكس واحد فالمذاهب الواقعة المختلفة في المآل في تقدير الاصبع ثلاثة ·موجب الاول ان يكون ستا وثلاثين شعيرة والثاني ان يكون تسعًا واربعين منها والثالث ان يكون اثنتين واربعين منها فيجري هذا الاختلاف في جميع المقادير الآتية الراجع تقديرها الى الاصبع فكل واحد من التقديرات التي تنتقل بعد عَلَى ذلك الوجه منفلق عن ثلاثة احتمالات بحسب المآل

والقبضة وهي قدرت باربع اصابع مضمومة يبلغ ثمان وعشرين او اربع وعشرين شعيرة ينتهي الى مائة وست وتسعين او مائة وثمان وستين اومائة واربعين شعيرة

والشبر والمعتبر منه شبر المستوي خلقه وهو المقياس لاستعلام الكر من الماء يمكن تقديره تخمينًا بالقبضة والاصبع بان يقال هو ثلاث قبضات او اثنتا عشرة اصبعًا ولكن لم يقدروه بشيء اعتمادًا عَلَى قلة تفاوته مع قيد المستوي ومن اراد التحديد فيمكن ان ينضبط بما قدرناه ويكاد ان لايتخلف عند التتبع

والقدم وهي المعتبرة في الظل وليس لها قدر معين قدرت بسبع القامة من اي شيء كان من الشواخص سواء كان قامة الانسان اوغيره فيختلف بحسب اختلاف اعتبار القامة

والخطوة والقامة من الانسان والمعتبر منهما هو المتعارف الوسط ولم يقدرا بشيء معين

والذراع وهي ثلاث الذراع الشرعية ويقال لها القائم وهي ذراع المحدثين وللاصل فيها من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى او الساعد قدرت باربع وعشرين اصبعًا يبلغ ست قبضات والذراع الحديد ويقال لها السوداء قدرت بسبع وعشرين اصبعًا

يبلغ سبع قبضات الا اصبعاً والذراع الهاشمية وهي ذراع القدماء قدرت باثنين وثلاثين اصبعاً يبلغ ثماني قبضات هذه الثلاثة هي المنقول والاذرع المتداولة في زماننا بحسب البلاد في زماننا غير محدود

والقصبة وهي ست اذرع بالهاشمية وسبع وتسع بالحديد وثماني بالشرعية

والاشل بالتخفيف وهو عبارة عن حبل طوله ستون ذراعاً بالهاشمية يبلغ عشر قصبات

والميل وهو الميل الهاشمي والاصل فيه مدى البصر قدرت بستة وسبعين الف اصبع يبلغ اربعة آلاف بالشرعية هذا هو المشهور في تقديره وروي ثلاثة آلاف وخمسمائة هذه الذراع نقله الشهيد الاول رحمه الله في البيان ففيه مذهبان

والفرسخ وهو ثلاثة اميال عند الاكثر فيختلف باختلاف تقدير الميل فهو اما اثنا عشر الف ذراع بالشرعية يبلغ تسعة آلاف بالهاشمية اوعشرة آلاف وخمسمائة بالشرعية يبلغ سبعة آلاف وثمانمائة وخمساً وسبعين بالهاشمية ونقل صاحب القاموس في تفسيره عشرة آلاف ايضاً وظاهره الشرعي ففيه ثلاثة احتمالات وقول صاحب القاموس في الميل انه ثلاثة اواربعة آلاف ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء او اثنا عشر الف ذراع بذراع المحدثين انتهى اشارة الى الاول لا الى قولين مختلفين فيه وان كانت عبارته موهمة لخلاف المراد معناهـا انه ان اعتبرت في تقدير الفرسخ ذراع القدماء اي الهاشمية وقدر بتسعة آلاف منهـا فالميل الذي يكون ثلث الفرسخ عبارة عن ثلاثة آلاف بهذه الذراع وان اعتبرت فيه ذراع المحدثين اي الشرعية وقدر باثني عشر الف منها فالميل عبارة عن ثلاثة ايضا يعني اربعة آلاف بتلك الذراع ولاتفاوت في التقدير الا بالاعتبار كما اشـار اليه الميبدي في حاشيته على شرح الجغميني بقوله هو ثلاثة اميال بالاتفاق وذرعان الميل اربعة آلاف كل اثنان وثلاثون عند المتقدمين وعلى التقديرين الميل ستة وتسعون الف اصبع انتهى هذا ولكن دعوى الاتفاق في كون الفرسخ ثلاثة اميال مزيفة بما نقلناه عن صاحب القاموس في تفسيره يعني عشرة آلاف ذراع ولم ينقل احد تفسير الميل بما يطابق ثلثه

والبريد وهو عبارة عن اثني عشر ميلاً يبلغ اربعة فراسخ وهو المشهور ونقل صاحب القاموس في تقديره فرسخين ايضاً

والمسافة [1] وهي التي شرع عند القصد اليها مع شروطه القصر في الصلوة والصوم اختلف فيها فقيل اربعة فراسخ يبلغ بريداً بالمعنى المشهور وقيل ثمانية فراسخ يبلغ بريدين بهذا المعنى ففيه مذهبان ويجري في كل واحد الاحتمالات المذكورة في الفرسخ ففيها ستة احتمالات يصير في المآل عندملاحظة المذاهب الثلاثة في الاصبع ثمانية عشر احتمالاً

والقسم الثاني الذي يعتبر فيه المساحة السطحية سعة الدرهم البغلي

وهي المعتبرة في عفو الدم في الصلوة اذا كان ناقصاً عنها اومساوياً لها قدرا فقدره بعض فقهائنا كابن الجنيد رحمه الله بسعة عقد الابهام الاعلى وبعضهم كابن ادريس رحمه الله بما يقرب من اخمص الراحة

والعشير وهو ست وثلاثون ذراعاً هاشمية مسطحة مضروب القصبة في نفسها ويقال لعشر كل شيء ايضاً عشيراً وكأنه هنا ايضاً بذلك الاعتبار لكونه عشر القفيز

والقفيز الارضي وهو ثلاثمائة وستون بهذه الذراع حاصل ضرب القصبة في الاشل وقدره صاحب القاموس بمائة واربعين ذراعاً

والجريب الارضي [2] وهو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع بها مضروب الاشل في نفسه وما ذكرنا في القفيز والجريب هو المنقول وربما يختلف بحسب اختلاف اعتبارات البلاد ٠

الباقي للآتي

---

(١) السوف بالضم موضوعه في الاصل للشم وكثر بالمسافة الاستعمال في البعد لان الدليل اذا كان في مسافة فلاة شم ترابها ليعلم اعلى قصد ام لا كذا في القاموس وذكرها هنا باعتبار حقيقتها الشرعية والاختلافات الواقعة فيها وان كانت نظيراً لنصاب الزكوة في المقادير الموزونة من انها من المسائل الفقهية وليست مما نحن فيه وقس عليها نظائرها المذكورة منه

(٢) وما وقع في بعض خطب امير المؤمنين عليه السلام ان اول من بغى على الله عز وجل عناق بنت آدم واول قتيل قتله الله عناق وكان مجلسها جريباً في جريب الخطبة وان كان بظاهره يقتضي ان يكون الجريب مما يعتبر فيه المساحة الخطية ولكن يظهر من تتبع كلام اهل اللغة والحساب ان حقيقته ما ذكرنا فينبغي ان يحمل ماوقع في تلك الخطبة على التوسع منه

علماؤنا

وكيف ينشئون ابناءهم

ان العالم الذي اصفه في مقالي هذا ليس مما انبتته بلدتنا طرابلس الشام وحدها . بل يوشك ان يكون من مستنبتات كل بلدة من بلادنا الاخرى .

قضى هذا الفاضل حياته في خدمة العلم وتحقيق مسائله والتأليف فيه . وقد ورث هذا الميل من آبائه فأحب ان يورثه ابناً له في السابعة عشرة من عمره فلم يفلح .

وكما ذكر علماء « الطبيعيات » في كتبهم ان الاجسام او المواد قسمان « موصل ردي » و « موصل جيد » يعنون بالاول ما تنتقل فيه الحرارة ببطء . وبالآخر ماتنتقل فيه بسرعة — كذلك الحال في بعض الاشخاص : فان منهم من ينقل ملكات آبائه واستعدادهم العلمي الى ابنائه ومنهم من لا ينقل . والاول يصح ان نسميه «موصل جيد » والثاني « موصل ردي »

وصاحبنا الذي نحكي عنه هو على مايظهر من قبيل القسم الاخير : فانه مع ما أوتيه من سعة العلم والرغبة في تحصيل فنونه — لم يورث ابنه هذا الميل والاستعداد . فكان كسولاً . فاتر الهمة . منطفئ نار العزيمة . وهل ان ضعف الميل في ذلك الفتى امر جبلي فيه او انه عرض له بسبب الاسلوب الذي جرى عليه ابوه في تربيته وتثقيفه ؟ لا اعلم .

وربما كان القارئ أشد علماً مني به اذا اطال روحه واصغى لاتمام الحديث :

قيل للوالد : نراك توبخ ابنك لاقل هفوة . وتنتهره على ملاء من الناس . وقد بلغ الشباب فيحسن بك ان تخاطبه بما يخاطب به عادة من كان في مثل سنه .

فقال : انه يعرف هذا . ويعرف مبلغ تأثير التوبيخ العلني في تشويه اخلاق الناشئين . ولكن هناك ضرورة تستدعي العدول عن هذا الاصل في التربية الى اصل آخر اجل واسمى .

ولما استوضح الامر منه قال : انه كان يؤنب ابنه على سوء عمله في السر . فكان لا يرعوي ولا يزدجر . ثم لما اخذ يوبخ جهرة صار الولد يحاسب نفسه ويصلح سيرته .

قالوا : ولكنك تشتمه لامر تافه لاعلاقة له بما نقول . فقد سمعناك توبخه منذ وضع الكرسي في غير الموضع الذي تريد ان يضعه فيه . وهذا مما لايحسن بحال من الاحوال ان يوبخ عليه . لاسيما وهو لايعلم الغيب الذي وقر في نفسك من لزوم وضع الكرسي في هذا المكان دون ذاك .

فتخلص الاستاذ من الجواب عَلَى هذا الاعتراض الى وصف ذكاء ابنه . وصفاء ذهنه . وانه يفهم ويحفظ مايلقى عليه بسرعة زائدة . وقد حفظ مرة كتاباً صغيراً في قواعد اللغة الفارسية وحذق جميع مسائله في وقت قصير . ثم قال : لكن ابني مع هذا الذكاء النادر كسول لايهتم بحفظ دروسه . ولا يصبر عَلَى المطالعة . ولو فعل لكان في النابغين الاولين . وعد في مقدمة الطلاب الناجحين .

ثم قال : وانني لااطيق ان ارى ابني جاهلاً وان اعيش انا واياه تحت سقف واحد . وقد اعيتني الحيلة في تعليمه . ويخطر لي انه اذا وصل الى سن العشرين وبقي عَلَى ماهو عليه من الكسل والجهل اسلمته الى الجندية . وضننت بدفع البدل النقدي عنه . او انني ارسله الى مكاتب الاستانة . حيث يعفى التلامذة من الخدمة العسكرية .

واخذ يصف مايقاسي من عناء هذا الامر وان ابنه ننغص عليه طيب عيشه . ولذيذ حياته . قال الراوي : فخشعت نفسي لقول الاستاذ . ورثيت لحاله . وقلت له ارى ياسيدي ان حياتك اثمن من ان تكدر صفوها بمثل هذا . وان ابنك اذا لم يكن فيه استعداد وميل لطلب العلم . فاختبر ميوله الأخرى لشؤون الحياة ودعه يشتغل في العمل الذي يحسنه ويميل اليه بطبعه . فاذا كان يميل الى التجارة والكسب فنشطه لسلوك هذا السبيل . واذا رأيته يميل للدخول في سلك موظفي الحكومة فليفعل . فان ذلك اجدى من ان تكلفه مالاطاقة له به من التحصيل .

فاربدّ وجه الاستاذ من سماع هذا الكلام . وقال : ان جميع ماتعلمه انت اعلمه انا وانك للآن لم تدر ما اقول : اما قلت لك ان ابني عَلَى جانب عظيم من الاستعداد والذكاء وانه يحفظ و يفهم مايلقى عليه بسهولة وانه في ساعة واحدة حذق مسائل اللغة الفارسية التي لايدركها غيره في بضعة ايام .

قال الراوي : قلت بلى ياسيدي الاستاذ فهمت كل ماتقول ولكنك انت لم تفهم بعضاً مما اقول :

ان قوة الذكاء والفهم غير قوة الميل والرغبة . فما لم تتوفر في الطالب هاتان القوتان

لايقال عنه انه مستعد للطلب · ولاذو قابلية للعلم · وان ابنك ذكي سريع الفهم · لكنه كسول ضعيف الميل · فهو اذن قد توفرت فيه قوة دون قوة · الا ترى ان كثيرين من الطلاب هم عَلَى العكس من ابنك : ترى الواحد منهم كثير الرغبة والميل لتحصيل العلم متوفراً عَلَى الدرس والمطالعة جهده · لكنه ينقصه قوة الذكاء والفهم المتوفرة في ابنك · فيضيع عمره ولايستفيد شيئاً من العلم · والاليق بمن كان كذلك — اي كان ذكياً لكنه كسول اومجتهداً لكنه بليد — ان يدع طلب العلم ويأخذ في عمل آخر ينتفع به ·

فامتعض الاستاذ وقال : من اين اتيت بهذه الفلسفة ؟ يريد انني تكلمت بكلام غير مفهوم · وهو مايريدون بكلمة الفلسفة احيانا · ثم عاد الاستاذ فشرح ماأُوتيه ابنه من ذكاء وقوة حافظة وغير ذلك من المواهب والمزايا · هذا ماقصه الراوي علينا · وموضع العبرة فيه ان ذلك الاستاذ قد درس عَلَى زعمه علوم الاولين والآخرين لكنه نسي علماً واحداً لم يوفق لدرسه مع انه في اشد الحاجة اليه · ذلك العلم هو علم التربية الذي هو فرض عين عَلَى كل اب عائلة · ومعلم مدرسة · واذا زعم الاستاذ ان هذا العلم درسه في جملة مادرس · نقول له ولكنك لم تكن ذا استعداد وقابلية للانتفاع به · فيرد علينا بانه عَلَى استعداد وقابلية لانه ذكي وسريع الفهم · فنضطرب حينئذ الى السكوت والصبر ·

ومثل الاستاذ كثيرون يريدون ان يلزموا اولادهم بالتحصيل · ويكونون ضعيفي الميل والرغبة فلا يهتمون ان تمضي اعمارهم سبهللا · ويكون من جهة ثانية قد فات الوقت الذي يمكنهم فيه التدرب عَلَى الكسب وتوفير الثروة فيقضون حياتهم في البطالة والخمول وضيق ذات اليد ·

ولو فطن اولياؤهم لحالهم من اول الامر لرَبأُوا بهم عن مثل هذا الموقف · وتخطوا بهم مالايطيقون من العلم الى مايطيقون من العمل · واعانوهم على الانتفاع بميولهم الخاصة · واستثمار مواهبهم الفطرية ·

واكثر مايكون هذا الاغفال في بيوت العلم القديمة فان الآباء فيها يحرصون على تنشئة بنيهم في العلم · وتعويدهم التحصيل منذ الطفولة · ويلزمونهم اياه بكل وسيلة · ولا يكون في كثير منهم ميل اليه · واستعداد له · فيقضون اعمارهم فيه · من غير ان

يكون لهم نصيب منه · سوى القيافة الخاصة · عمامة وطيلسان · وجبة واسعة الاردان ·

وهناك سبب آخر يحمل الآخرين على الاشتغال بطلب العلم من دون أن تتوفر فيهم القابلية له فلا ينالون حظًا منه : اولئك الذين يريدون الفرار من الخدمة العسكرية وتضيق ذات يدهم في الغالب عن البدل النقدي فيشتغلون في التحصيل لهذا الغرض ·

وقد ينبغ بين هؤلاء افراد يصبحون فخراً لقومهم · ونبراس هدى في وطنهم · اما الآخرون وهم معظم الطلاب فيجذقون من العلم القدر الذي ينجيهم من الخدمة العسكرية ثم لايلبثون ان يشغلوا عنه فينسوه رويدا رويدا · ويكونون قد وصلوا الى سن يصعب معها مزاولة عمل اوصناعة فيعيشون كلاً عَلَى اهليهم · يرمقون الرزق ترميقا · ولو انصف هؤلاء انفسهم لما اشتغل بتحصيل العلم منهم الا من اوتي نصيباً من ميل واستعداد للطلب · ورزقًا يكفيه مؤونة الحاجة · والا فخير للمرء منهم ان يتعاطى عملاً يرفه به عيشه · وينقذه من عار البطالة · ويمكنه من اداء البدل العسكري · او انه يقوم بهذه الوظيفة المقدسة · فانها من اشرف الاعمال لاسيما في وقتنا هذا · وقد اصبحت الحكومة دستورية · والجندي فيها مرفه في معيشته · موفور الحرمة في اداء خدمته ·

ولو بلغ طلاب العلوم الاسلامية في احدى المدن مائة طالب مثلاً لكان منهم عشرة يشغلون المناصب الدينية : مثل مفتي · وموظف محكمة · وكاتب صكوك · وعشرة آخرون اغنياء عن الكسب بغنى والديهم · وعشرة سواهم اقدموا عَلَى الكسب بقوة من ارادتهم وهمة نفوسهم · اما السبعون الباقون فيغدون ويروحون في قومهم عَلَى غير الحالة اللائقة بحرمة العلم وكرامة اهله وقد تقود البطالة بعض هؤلاء الى انتياب اماكن اللهو · وينزل الحال بآخرين الى تناول الصدقات · والسقوط عَلَى طعام الاموات ·

وانا لنود ان يكثر هذا العنصر فينا معشر المسلمين : عنصر علماء الدين ولكنا نود لهم قبل كل شيء ان يكونوا موضع احترام العامة واجلال الخاصة ليكون ذلك ادعى للانتفاع بهم · والتلقي عنهم · وان يكون لهم من خزينة الاوقاف ومال الامة رواتب تساعدهم عَلَى اداء وظائفهم · والظهور في مظهر التجمل بين ابناء قومهم · ثم يكون

وراء ذلك من قبل الحكومة او من قبل الرأي العام عيون تراقبهم . وتناقشهم الحساب عَلَى اعمالهم . حتى اذا اقترف احدهم مالا يلائم آداب صنفه . وكرامة دينه . اكره على التجرد من زيه العلمي . ثم ليختر لنفسه صناعة أُخرى او يبقى متشرداً كما يريد . والا فان ظهور اهل الدين في مظهر يزري بهم ويحط من قدرهم يدعو الى النفرة منهم وترفع ابناء الخاصة عن الدخول في سلكهم . فلا يعود ينضم اليهم سوى الحثالة . من اهل الجهالة . وذوي البطالة .

طرابلس الشام : المغربي

صحافتنا وصحافتهم

يا امتنا اذا اردت ان يكون لك حول وطول وكلمة عالية مسموعة ومنزلة مهمة عند دولتك وسائر دول الارض فاقبلي عَلَى صحافتك الوطنية اقبال الشعب الاميركي عَلَى صحافته

صحافة الولايات المتحدة وصحافتنا

عدد سكان ولاية			ميسوري	٣١٦٦٦٦٥	عدد صحافتها	١٠٤٨
«	«	«	اهايو	٤١٥٧٥٤٥	« «	١١٨٩
«	«	«	ابلنيز	٤٨٢١٥٥٠	« «	١٧٤٦
«	«	«	بنسلفانيا	٦٣٠٢١١٥	« «	١٥٢٤
«	«	«	نيورك	٧٢٦٨٨٩٤	« «	١٩٥١
«	«	«	ايوي	٢٢٣١٨٨٣	« «	١١٣٢
«	«	«	مشغن .	٢٤٢٠٩٥٢	« «	٨١٠
«	«	«	انديانا	٢٥١٦٤٦٣	« «	٨٥١
«	«	«	مستشوستس	٢٨٠٥٣٤٦	« «	٦٥٤
«	«	«	تكسس	٣٠٤٨٧١٠	« «	٨٥١
«	«	«	كرولينا الشمالية	١٨٩٣٨١٠	« «	٢٦٦
«	«	«	تنسى	٢٠٢٠٦١٦	« «	٢٩٨
«	«	«	ويسكنسن	٢٠٦٩٠٤٢	« «	٧٣٢
«	«	«	كنتكي	٢١٤٧١٧٤	« «	٣٣٨

عدد سكان ولاية	جورجيا	٢٢١٦٣٣١	عدد صحافتها	٣٩٥
« « »	مسيسبي	١٥٥١٢٧٠	« »	٢٥١
« « »	منسوتا	١٧٥١٣٩٤	« »	٧٧٠
« « »	الاباما	١٨٢٨٦٩٧	« »	٢٣٠
« « »	فرجينا	١٨٥٤١٨٤	« »	٢٤٩
« « »	نيوجرسي	١٨٨٣٦٦٩	« »	٣٩٠
« « »	اركنسس	١٣١١٥٦٤	« »	٢٨٩
« »	كرولينا الجنوبية	١٣٤٠٣١٦	« »	١٥٦
« « »	لوزيانا	١٣٨١٦٢٥	« »	٧٣٦
« « »	كلفرنيا	١٤٨٥٠٥٣	« »	٧٣٨
« « »	فلوريدو	٥٢٨٥٤٢	« »	١٨٣
« « »	ماين	٥٣٩٧٠٠	« »	١٥٨
« « »	كولبوريدو	٦٩٤٤٦٦	« »	٣٧٤
« « »	كنتكشت	٩٠٨٤٢٠	« »	١٧٣
« « »	غربي فرجينيا	٩٥٨٨٠٠	« »	٢١٧
« « »	نبراسكا	١٠٦٦٣٠٠	« »	٦٥٩
« « »	ماريلند	١١٨٨٠٤٤	« »	٢٠٦
« « »	اوكلاهوما	٣٩٨٨٣٣١	« »	٣٠٣
« »	داكوتا الجنوبية	٤٠١٥٧٠	« »	٣٩٣
« « »	نيوهمشر	٤١١٥٨٨	« »	٩٤
« « »	اورغن	٤١٣٥٣٦	« »	٢٤٠
« « »	رودايلند	٢٢٨٥٥٦	« »	٥٩
« « »	واشنطن	٥١٨١٠٣	« »	٩٩
« « »	يوفا	٢٧٦٧٤٩	« »	٨٣
« « »	مقاطعة كولمبيا	٢٧٨٧١٨	« »	٨٢
« « »	داكوتا الشمالية	٤١٩١٦٤٦	« »	٢٣٣
« « »	فزيمونت	٣٤٣٦٤١	« »	٧٦

عدد سكان ولاية مقاطعة الهنود				٣٩٢٠٦٠	عدد صحافتها		١٦٤
«	«	«	نفادا	٤٢٣٣٥	«	«	٣٥
«	«	«	الاسكا	٦٣٥٩٢	«	«	٤٥
«	«	«	اريزونا	١٢٢٩٣١	«	«	٦٦
«	«	«	ايدهو	١٦١٧٧٢	«	«	٩٩
«	«	«	دلوار	١٨٤٧٣٥	«	«	١٤٠
«	«	«	نيومكسيسكو	١٩٥٣١٠	«	«	٦٣

يظهر من مطالعة هذا الجدول الذي جمعته بعد بذل الوقت الطويل ان نفادا اصغر ولاية في الولايات المتحدة بعدد سكانها . فهم يبلغون ٤٢٣٣٥ نفساً وعدد جرائدهم ومجلاتهم كما ترى يبلغ ٣٥ جريدة ومجلة اي انه يصيب كل ١٢٠٩ انفس منهم جريدة واحدة . هذا عدا مايرد عليهم من جرائد سائر الولايات ومجلاتها

وولاية الاسكا تجيء فوق ولاية نفادا في عدد السكان . دع عنك عدم استبحارها في الحضارة والعمران بداعي اقليمها البارد جداً ومع تقصيرها بذرائع الرقي عن شقيقاتها تقرأ ان لسكانها البالغ عددهم ٦٣٥٩٢ نفساً ٤٥ جريدة ومجلة اي انه يصيب كل ١٤١٢ نفساً منهم جريدة

وقس عليّ ولايتي نفادا والاسكا بقية الولايات وقابل بين عدد سكان كل منهما وعدد جرائدها ومجلاتها ولا سيما احط مقاطعة في الجمهورية بمعارفها وعلومها واسباب تقدمها الا وهي مقاطعة بقايا ذلك الشعب القديم شعب سكان اميركا الاصليين الهنود الذين مازال اكثرهم عائشاً عيشة الهمجية — قابل تجد ان لكل ٢٤٥١ نفساً منهم جريدة فعددهم ٣٩٢٠٦٠ نفساً وعدد جرائدهم ومجلاتهم ١٦٤ جريدة ومجلة ثم قابل بين عدد سكان الجمهورية الاميركية وعدد جرائدها وبين عدد سكان البلاد العثمانية وجرائدها وتأمل في الفرق واعتبر وانح باللائمة عَلَى مسببي تأخرنا وتقهقرنا

صحافتنا

لا اعلم وانا سحيق الدار كم هو عدد صحافة ولاية سورية . الا انني لا إخالها تتجاوز عدد الاصابع فقد اتصل بي ان غير جريدة منها دبت فيها الحياة ردحاً من الزمن المدعو بزمن الدستور ثم تمارضت او مرضت ومضت لملاقاة ربها وانه لم يبق غير المقتبسين

والعصر الجديد والراوي وحظ بالخرج في دمشق والاخاء في حماة وحمص في حمص وثنتان اوثلاث لم اقف عَلَى اسمائها

في اعظم مدن العربية

في القرن العشرين الذي اتصلت فيه بلاد العالم بعضها ببعض اتصال شرايين الجسم واختلطت شعوبها اختلاط الحابل بالنابل — في القرن الذي قويت فيه شوكة العلم — في القرن الذي كثرت فيه الثورات والنهضات وظهرت الاختراعات والاكتشافات الا يوجد في اعظم مدينة في البلاد العربية — في مدينة من اعرق مدن الدنيا بقدمها — في بقعة من افضل بقاع المعمورة بارضها وسمائها واقليمها وخيراتها — في دمشق اكثر من خمس اوست جرائد تستحق ان تسمى جرائد ؟

كثرة قرائهم وقلة قرائنا

عدد سكان ولاية نفادا في اميركا يقل عن سكان صالحية الشام على ما ارجح ولايزيد كثيراً عن سكان حي نصارى دمشق ولاولئك ٣٥ جريدة وللدماشقة البالغين ثلاثمائة الف نفس ونيف خمس او ست جرائد او لكل ستين الفاً منهم جريدة وقراء الصحف منهم لايزيدون عن خمسة بالالف عَلَى ما أُقدر واظن ان تقديري هذا في محله . فالطامة الكبرى ليست فقط بقلة جرائد دمشق بل بقلة عدد مشتركيها . فلجريدة حقيرة في الجمهورية الاميركية العظمى مشتركون وقارئون اكثر من أكبر وأقدر وأشهر جريدة في دمشق

مكانة المقتبس من جريدة اميركية كبرى تطبع ستين الف نسخة يومياً

هذا المقتبس على شهرته الواسعة ومقدرة صاحبه المشهورة بين الناطقين بالضاد في مشرق الارض ومغربها وبين الكثيرين من الاميركيين في غربي الولايات [1] يقال انه لايطبع يومياً اكثر من ثلاثة آلاف نسخة يوزع منها الفين وخمسمائة نسخة عَلَى المشتركين والقارئين وخمسمائة نسخة عَلَى رصفائه ومكاتبيه في الجهات في حين ان مكانة المقتبس المعنوية لاتنقص مكانة عن مكانة صحيفة اميركية كبرى تطبع يومياً ستين الف نسخة كبيرة

---

(١) لقد نقلت عشرات من مقالات المقتبس (المجلة والجريدة) الى كثير من جرائد ومجلات الاميركيين في غربي الولايات المتحدة وتهلل لها غير واحد من اكابر الكتاب

مقابلة وانتقاد

في عاصمة نبراسكا البالغ عدد سكانها ٦٥ الفاً عدة جرائد ومجلات ناجحة منها جريدتان عظيمتان سبق ذكرهما تشغل كل منهما بناية عظيمة ومعدل ماتطبعه احداهما يومياً خمسون الف نسخة وما تطبعه الأُخرى اربعون الف نسخة وبكل حرية اقول ان معنويات تينك الجريدتين الخطيرتين لاتفوق معنويات المقتبس وانما تفوقه بما لايقاس بكثرة القارئين والمشتركين وتعدد الصفحات وكبر الحجم وبشيء معنوي هو انك تقرأ عنواناً لكل كتابة او خبر في تينك الجريدتين تفهم منه مايرمي اليه الكاتب قبل ان تطالع الكتابة او المقالة او الرسالة وترى الصور الكثيرة المهمة في كل عدد منهما كل يوم ولاسيما عدد الاحد الكبير البالغ اربعاً وعشرين صفحة كبيرة تقرأ فيه مقالات مشاهير وشهيرات الكتاب والكاتبات في اوربا واميركا

واما المقتبس فانك لاتستطيع ان تفهم شيئاً عن كثير من مقالاته ورسائله واخباره الا بعد ان تقرأ الكتابة كلها واذا كانت طويلة فتضطر احياناً الى قراءة العمود او العمودين او الثلاثة الاعمدة منه لتلم بالموضوع او تقف على مغزاه ومرماه ومن حين صدور اول عدد منه الى يومنا هذا لم ارَ ولم يرَ غيري صورة فيه قطعياً • فاذا كان الداعي الى ذلك هو قلة واردات المقتبس المادية فيعذر واذا كان الداعي هو ان الدين الاسلامي ينهي عن نشر الصور فهل لصاحب المقتبس اولغيره من ائمة الدين ان ينشروا بياناً شافياً بهذا الباب لعلنا نعذر ونقنع • ان الدين الاسلامي الكريم كتبت شرائعه ونشرت في زمان هوغير زمان القرن العشرين وما انطبق على ذلك الزمان لاينطبق على هذا الزمان ولكل عصر حاجات لاتوافق حاجات العصور التي سبقته واذا كانت الصور من بقايا آثار الوثنية التي كانت في اوج مجدها وعزها في اول عهد ظهور الاسلام فعلم القرن العشرين قد محا تلك الآثار او كاد وصار يفهم العالم والجاهل اليوم ان الغرض من نشر الصور هو للافادة التي تتقاضاها اليوم حاجة عصر النور لا للعبادة التي كانت تتقاضاها حاجة عصر الظلمة في القرون المتوسطة

صحف العرب في اميركا

قرآء الصحف العربية في ولايات الاتحاد معدودون ومحدودون فعدد الناطقين باللغة قريش فيها لاينقصون عن مئة وخمسين الف نفس ومع ذلك ترى صحافتهم اكثر

عدداً واكبر حجماً واحسن تبويباً وانظف ورقاً من صحافة ولاية سورية بل ارقى بماديانها . وشاهدي او دليلي عَلَى ذلك جريدة الهدى اليومية الصادرة في نيورك فانها مع كونها في بلاد غريبة نائية عن مواطن اللغة العربية فهي تطبع نحو خمسة آلاف نسخة كل يوم ذات ثماني صفحات كبيرة حافلة بالمقالات المحبرة والاخبار المهمة ومزينة بالرسوم الرامية الى اغراض نافعة واذا حققت وجدت ان ماتطبعه الهدى وحدها كل صباح لايقل عما تطبعه جرائد ولاية سورية مجموعة

لوم وعتاب

لا أُريد ان أُنسب الى اني احرق الأُرَّم واوَّرث نيران المناظرة لغاية او نكاية بين المستصغرين منزلة المهاجرين من المتخلفين والذابين عن حياض المهاجرين فلهؤلاء مكانة سامية ابدعها جدهم وكدهم ولاولئك بتعريضهم عيون لاتبصر واجسام لاتشعر واغراض كلها امراض وانما الوم بل اعتب عَلَى ولاية رجالها ونساؤها واولادها لايقل عددهم عن مليون نفس هم عرب في عرب — عَلَى ولاية شرقها وغربها وجنوبها وشمالها وسماؤها وارضها واطوارها ووهادها وسهولها وهضابها واشجارها واثمارها وانهارها عمرت بالعرب وتخص العرب وليس لهم ولها عَلَى الاقل جريدة تطبع ماتطبعه جريدة عربية في ديار العجمية

كيف يأتي الاصلاح

الاصلاح جاء ويجيء وسيجيء من طريقين اما من طريق الحكومة واما من طريق الشعب ومثال الاول حكومة يابان ومثال الثاني الجمهورية الافرنسية والجمهورية الاميركية والانقلاب العثماني لم يأت من طريق الحكومة ولا من طريق الشعب من حيث مجموعه بل من طريق الجيش . اما والحكومة العثمانية منصرفة قواها جملة الى حل مسائلها ومشاكلها وقد بدا حتى الآن انها لاتكترث او لاتريد ان تكترث بالعربية حيث ام ماتت فقد تحتم عَلَى ابنائها ان يعلوا منارها ويحموا ذمارها ويحملوا لواءها وهذا لايكون فقط بالاحتفاظ ببقايا تلك الكتب العتيقة الباحثة في مذاهب سيبويه ونفطويه واضرابهما مثلا بل يكون في نشر الصحافة الحرة بكثرة في المدائن وفي القصبات وفي المديريات وفي الضواحي والنواحي فالصحافة الحرة الصادقة بلا مدافع اكبر كلية للدولة واكبر مدرسة للامة واكبر جامعة للثورات الادبية المحطمة قيود الجهل والظلم وللنهضات

الجالبة رفعة القدر ووفرة الفخر و يقاس رقي الامم برقي صحافتها فكل امة لها صحافة راقية لها منزلة راقية في السياسة والاجتماع والآداب والعمران والعرفان

صحافة هذا الدور هي غيرها في الماضي

لم تكن الصحافة موجودة بعرفي في دور نيرون القرن العشرين · فتلك التي كان العبيد المستعبدون يدعونها صحافة لم يكن اكثرها الا وريقات او نشرات لنشر آيات التقديس والتدليس والتدنيس بل لاذاعة المين كل المين والتمويه كل التمويه والتجهيل كل التجهيل والتضليل كل التضليل وكان الاستذلال والاستعباد يقضيان بدفن الحقائق واستحياء المخارق · اما وقد عادت الى الشعب بعض حقوقه المعطاة له من الله فمن الغضاضة عَلَى الصحافة ان تستر العيوب والعورات وكل صحافة لاتدل الدولة والامة عَلَى حسناتهما وسيئاتهما بكل مافي كلمة الحرية من معنى الحرية لاتدعى صحافة ولا يرجى لامتها وحكومتها صلاح واصلاح

الذنب ذنب الشعب

نعم ان مضمار الانتقاد اوسع في اميركا منه في الدولة العلية بداعي تقييد الصحافة العثمانية واطلاق حرية اميركا غير ان الذنب عَلَى الشعب · فشعب اميركا مطالب وناهض وقائم والشعب العثماني قاعد وجامد ونائم · النواب هم الذين قيدوا حرية الصحافة وهم ضيقوا الخناق عليها والشعب هو الذي انتخب اولئك النواب وارسلهم الى عاصمته وهو الذي يدفع مرتباتهم ونفقاتهم فالشعب هو سيد النواب والنواب خدامه ولم اسمع ولم يسمع غيري ان ٢٥٠ خادماً يستطيعون ان يستبدوا بثلاثين مليون (سيد) فيا ايها الشعب مرْ نوابك بتعديل قانون صحافتك واحملهم على تلبية امرك فان لبوه كان ماتريد والا فاقلب لهم ظهر المجن في الانتخاب المقبل وانتخب الاصلح فالاصلح حتى تبلغ ضالتك وتعمل عمل البلاد الشعبية · فهل من سامع او مجيب لهذا الصوت الضعيف

اميركا : يوسف جرجس
زخم

(المقتبس) ان اعظم عائق يحول بيننا في هذه المجلة وفي جريدة المقتبس وبين وضع الصور اللازمة القليلة في بادئ الامر هو عدم اضطلاعنا بهذا الامر وعدم

وجود مصور ماهر هنا يحسن حفر الصور عَلَى المناحي المطلوبة . والاسلام لايمنع من التصوير الا المجسم والمنع تحت شروط ايضاً .

ثم ان قلة رواج بضاعة العلم والادب من اكبر الدواعي في تخلف صحافتنا العلمية والسياسيه كما قال صديقنا صاحب المقالة فمجلة المقتبس عَلَى شهرتها لا تطبع سوى الف نسخة في الشهر وجريدة المقتبس عَلَى سعة انتشارها لا تبيع اكثر من الفي نسخة في اليوم فمن لنا بيوم تطبع فيه صحفنا عشرة آلاف فقط لنقلد الصحافة الغربية حذو القذة بالقذة ومكانة الجرائد بمكانة قرائها وبالمحيط العامل الاعظم في رقيها

عمران الكرك

لم تكد الحال تستقر في حوران عَلَى مايجب بعد ان ادبت الحملة العسكرية اشقياء الدروز في جبل حوران حتى ارادت الحكومة ان تحصي نفوس سكان لواء الكرك كما احصت سكان لواء حوران فنشز السكان وانتقضوا عَلَى الحكومة وصادف ان قطعت مرتبات بدو بني صخر والخرشان وغيرهم ممن كانوا يتقاضون انعاماً من السلطنة منذ القديم لحراسة الطرق فتكونت هذه الاسباب وقام البدو الذين حرموا من رواتبهم وهي اربعة آلاف ليرة في السنة وسطوا عَلَى بضع محطات من السكة الحديدية الحجازية واقعة عَلَى طول زهاء مائتي كيلو متر في اراضي اللواء وخربوا بعض القضبان الحديدية ونهبوا احد القطارات التي كانت قادمة من المدينة وسلبوا ما كان مع ركابها من مال ومتاع مما لا يقل ثمنه عن عشرين الف ليرة وقتلوا وجرحوا بعض موظفي الخط الحديدي وكان ذلك عَلَى بضع ساعات من مركز لواء الكرك وقام الكركيون باديهم وحاضرهم واطالوا يد الاعتداء عَلَى التجار والموظفين والحامية ولو لم يلجأ الموظفون الى قلعة الكرك الحصينة ويبقوا فيها عشرة ايام ريثما وافاهم المدد لقضت الثورة عليهم ولا يعلم الى الآن عدد من هلك في الفتنة من التجار والضباط والموظفين والجند ممن كانوا يتجولون في الارباض لاتمام اعمالهم وقد حرقت نيران الفتنة الاماكن الاميرية كلها ونهبت نقود الخزينة ونقود ادارة حصر الدخان ونهبت دور الموظفين واحرق قسم منها وخرب قسم عظيم من المدينة باطلاق القلعة المدافع عليها وقطع العصاة الاسلاك البرقية وهاموا عَلَى وجوههم في البراري والجنود يتأثرونهم الآن في السهل والوعر .

وقد نوى اهالي الطفيلة واهالي معان القيام بمثل هذه الفظائع في الوقت الذي قام فيه الكركيون بثورتهم ولم يؤثرعنهم شيء لمضر

واذ كان النزاع الآن قائماً في ذلك الصقع بين الحكومة والسكان و بعبارة أُخرى بين المدنية والهمجية رأينا ان نلمّ بعمرانه وتاريخه وجغرافيته واقتصاده واستعداده للارتقاء فنقول نقلا عن مصادر عربية وافرنجية وتركية كثيرة : يمتد هذا اللواء من وراء قصر الزرقاء في الحد الجنوبي من لواء حوران الى مدائن صالح جنوباً وهي مسافة يقطعها راكب المطايا في العادة في نحو خمسة عشر يوماً اماعرضه فمن الغرب نهر الأُردن (الشريعة)و بحيرة لوط(البحيرة المنتنة او البحر الميت)ووادي العاربة والوجه والعقبة الفاصلة بينه و بين فلسطين الى بادية الشام شرقاً فالجوف فنجد وهذه المسافة لاتقل عن خمسة ايام وهي تبلغ اكثر اذا تجاوزنا البادية الى وادي السرحان في الشرق ٠

وارضه سهلية جبلية وجباله لاترتفع كثيراً عن سطح البحر وتدعى باسماء البلاد التي بقربها الآن واشهر انهار اللواء وادي الزرقاء ينبع من رأس عمان قال ياقوت: الزرقاء موضع بالشام بناحية عمّان وهو نهر عظيم في شعار ودحال كثيرة وهي ارض شبيب التبعي الحميري وفيه سباع كثيرة مذكورة بالضراوة وهو نهر يصب في الغور ٠ ووادي الصلت وهو ينبجس من قصبة الصلت ووادي السير ينبعث من قرية وادي السير ووادي حسبان ينبض من محل اسمه حسبان ونهر زرقا معين ووادي الوالا ينبع بالقرب من ام الرصاص و ينضم اليه وادي الموجب وهذا الوادي يتألف من اللجون الواقع في منتصف الطريق بين القطرانة والكرك وجميع هذه الاودية او الانهار تصب في نهر الأُردن او الشريعة ومن انهار هذه البلاد وادي الكرك ينبع في قصبة الكرك ويصب في بحيرة لوط ووادي الحسا تجتمع اليه مياه الشراة ومياه وادي مومى و ينابيع شتى فيصب في بحيرة لوط ٠ وهذه الانهار تفيض كعادة معظم الانهار شتاء بما ينهال اليها من السيول وتجف قليلا في الصيف ٠ ومن الانهار مالا يجري الا في الشتاء مثل نهر الثمد ولاينتفع بهذه المياه في السقيا حتى ان نهر الزرقاء الذي يعد من الانهار المتوسطة لا يسقي اكثر الاراضي التي حفافيه بل هي تشرب بماء المطر وكذلك حال اراضي البلاد كلها ماخلا بعض الحدائق القليلة في وادي مومى والصلت

ووادي الموجب ووادي الحسا من اعمق اودية سورية قد ينزل الراكب من ذروتهما الى قرارتهما في ساعة ونصف ويصعد اليهما في اكثر من ذلك

وفي هذا اللواء مناجم كثيرة فبالقرب من زرقا معين عَلَى ساعتين من مادبا جبال ملونة ففيها جبل اصفر وآخر احمر وبالقرب من بحيرة لوط وحمة عفرة من اعمال الطفيلة معادن الكبريت والقصدير والبترول والنحاس · وزرقا معين هذه من الحمامات البخارية اشبه بحمام ابي رباح بالقرب من تدمر · وهي ثلاث حمامات يستحم المستحمون ببخارها ولا يجسر احد ان يمد يده اليها · و يقصدها سياح الافرنج كما يقصدون حمة عفرة من بحيرة لوط حتى اذا بلغوا شاطئها يركبون عَلَى الدواب ثلاث ساعات

وتقل الحراج في هذا اللواء واهمها ما كان بالقرب من بلدة الصلت وفي ارض بني حميدة وهي تبعد عن قصبة الكرك خمس ساعات و يمتد هذا الحرج من الزرقاء قرب معين الى وادي بني حماد وطوله نحو عشر ساعات وفي قضاء الطفيلة حراج واسعة يمشي الانسان بظل لزابها وسنديانها طويلاً ولاسيما في جنوبه قرب قرية ضانا

واكثر الاشجار المثمرة في اللواء التين والعنب والزيتون واكثره في الصلت والطفيلة والكرك والعراق وخنزيرة · واهم الحبوب التي يستنبتونها الحنطة والشعير والذرة والعدس والحمص يصدرونها الى فلسطين او الى دمشق وتباع بعشرات الالوف من الليرات وقبل ان تخترق السكة الحجازية هذا اللواء كانت صادرات بلاد الكرك تباع في فلسطين او تبقى في ارضها لبعد المسافة بينها و بين دمشق واقربها لايقل عن خمسة ايام عَلَى الجمال

ومعظم سكان هذا اللواء بادية رحالة ولا تجد ساكنين في البيوت الا في الكرك والصلت والشوبك ومعان والطفيلة وعيمة وصنفحة و بصيرة وضانا وخنزيرة والعراق وكثربة ومادبا وام الرمان وعمان والفحيص ووادي السير وناعور وعين صويلح ورصيفة و ياجوز وعيون الحمر وبادودة ولبن وام العمد وزيزاء · ويخمن الناس نفوس الاهالي بمئة وخمسين الفاً نحو خمسهم حضر والباقي بادية ينزلون في بيوت شعر عشائر وقبائل وافخاذاً ولكل عشيرة موقع خربة يتخذون من الآبار انابير يخزنون فيها حبوبهم وهم ينتجعون الكلأ · وفي قضاء اللواء اي الكرك ثلاثون الف ساكن منهم ار بعمائة بيت مسيحيون والباقي مسلمون وفي قصبة الصلت عشرة آلاف منهم الفان من المسيحيين وليس بين العرب الرحالة اناس من المسيحيين واهل مادبا كلهم مسيحيون ·

قال القرماني في (معان) انها مدينة صغيرة على قارعة طريق الركب الشامي وهي عَلَى عشر مراحل من دمشق كان غالب اهلها نصارى · والآن ليس فيها احد منهم

ولقد نظمت الحكومة ادارة هذه البلاد سنة ١٣١٠ عَلَى الحساب الهجري وكانت

حكومتها من قبل بيد المشايخ والزعماء فجعلت الكرك مركز اللواء وسمت سائر اللواء باسمه وقسمته الى اربعة اقضية وهي قضاء المركز وقضاء الصلت وقضاء الطفيلة وقضاء معان والى سبع نواح وهي عمان وديبان ومادبا وزيزاه (جيزة) وتبوك وخنزيرة والشوبك ·

وديبان هي شمالي ضفة ارنون (الموجب) على نحو ٤ اميلا من مصبه في بحيرة لوط و٦ اميلا شمالي الكرك وهي المعروفة في الكتب المقدسة باسم ديبون اوديمون وكانت احدى منازل بني اسرائيل [1] واشتهرت ديبان بالحجر الموآبي الذي وجد فيها سنة ١٨٦٨ وهو حجر اسود طوله اكثر من ثلاثة اقدام وعرضه نحو قدمين وسمكه نحو قدم وفيه ٣٤ سطراً من الكتابة الفينيقية العبرانية قرئت كلها وهي من ميشع بن خموسا ملك موآب ملخصها انه بنى هذا المقدس لكموش لانه خلصه من كل معتد وجعله ينظر بازدراء الى اعدائه كلهم قال قد ضايق عمرى ملك اسرائيل موآب اياماً عديدة · ملك ارض ميدبا وسكن هناك هو وابنه ٤٠ سنة اهلكه كموش عَلَى عهدي حينئذ بنيت بعل معون ورممت قريتايم · بنى ملك اسرائيل عطاروت فهاجمت المدينة واخذتها وقتلت كل سكانها قال لي كموش اذهب خذ نبأ من اسرائيل فذهبت وحاربتها من الفجر الى نصف النهار فاخذتها وقتلت سبعة آلاف رجل وجررت آنية يهوه على الارض امام كموش واقام ملك اسرائيل مدة حربه معي في ياهص فطرده كموش من امامي · انا هو الذي بنى عروعير (عراعر) وعمل طريق ارنون انا هو الذي بنى بيت باموت التي أُخربت انا هو الذي بنى نبوسور وديبون وبيت دبلتايم وبيت بعل معون وقال لي كموش انزل وحارب حورونايم وخذها اه ·

اما مدينة ميدبا و يقال لها الآن مادبا فقد تعاقب عليها بنو اسرائيل وموآب وعمون مراراً وهي على مسافة ٦ اميال من حشبون بين الشرق والجنوب الشرقي و١٤ ميلا شرقي بحر لوط وكانت في القرون الاولى مركزاً مهماً للدين المسيحي ومن آثارها الآن كنيسة قديمة قيل هي من القرن الخامس وقد وجدت بها سنة ١٨٩٧ خارطة الارض المقدسة مرسومة بالفسيفساء رسماً متقناً يظهر فيه نهر الأُردن وكثير من المدن الرئيسة وكانت مادبا في الاصل مدينة و يؤخذ من الكتابة التي أُثرت عن الملك ميزا من القرن الحادي عشر ق م انها أُعيدت الى الموآبيين لتصير بعد ذلك تحت تحكم النبطيين اي

(١) جغرافية الكتاب

العرب وكانت عَلَى عهد المكابيين قلعة مهمة استولى عليها هيركان واصبحت عَلَى عهد الرومان جزءاً من العربية الصخرية · والخارطة لم تزل في كنيسة الروم هناك

وعمان كما قال القرماني ·مدينة قديمة خربت قبل الاسلام ولها ذكر في تاريخ الاسرائيليين وهي رسم كبير ويمر بجنبها نهر الزرقاء الذي عَلَى طريق الحاج الشامي وهي من اعمال البلقاء وهي من بناء لوط

واخصب ارض في هذا اللواء ارض البلقاء وهي واقعة بين الأُردن والبرية ووادي الموجب والزرقاء وتمتد من الصلت الى مادبا عَلَى مسيرة تسع ساعات وهي تزرع في الجملة قال القرماني : البلقاء كورة بين الشام ووادي القرى بها قرية الجبارين ومدينة الشراة وبها الرقيم المذكور في القرآن فيما زعم بعضهم وفيها مدن عظيمة وقرى كثيرة الا انها دثرت وخربت فليس بها ديار ولانافخ نار · والقرماني كتب في القرن الحادي عشر .

وارض الصلت وهي عبارة عن مركزه وناحيتي عمان ومادبا هي كما قال القرماني بلدة من اعمال الأُردن بها قلعة يسكنها من يحفظها من قبل ملوك العثمانية وينبع من تحت قلعتها عيون كثيرة وتدخل البلد وبها بساتين كثيرة يجلب منها حب الرمان الى البلاد · ومن اراضي اللواء البائرة الجيدة التربة الشاغرة ارض الشراة المشهورة قديماً وهي تمتد من حصن الشوبك الى وادي موسى وفيها كلها مياه غزيرة وهي ذات تربة حسنة وكلها خراب اليوم · والشوبك عَلَى ١٩ ساعة عن الكرك كما ان وادي موسى عَلَى ٢٥ ساعة عن الكرك ·

ولهذه البلاد تاريخ مجيد قبل الاسلام وبعده ويكفي ان من اعمالها وادي موسى — على ٦٤ ميلا من جنوبي الكرك و ٥٤ ميلا عن الجنوب الشرقي من بحيرة لوط — المعروف عند الافرنج بيترا اي العربية الصخرية او سلع ومن اعمالها بلاد مآب (موآب) المشهورة في تاريخ النصرانية والظاهر ان سلع هي غير بترا وليست مرادفة لها ولا يعرف اليوم اسم بترا الاصلي ولا تاريخها كما ينبغي ويظهر من النواويس القديمة فيها ان تاريخها يرد الى القرن السادس ق·م ولم يجر ذكر للنبطيين اي العرب الذين استولوا على البلاد بعد الادوميين الا في سنة ٣١٢ ق·م في ايام ارسال الملك انتيغونس قائده اتني ثم جاء القائد ديمتريوس ليستولي عَلَى بترا عاصمة البلاد فاخفق القائدان في فتحها وكانت المدينة في الغالب صغيرة وهي حيث وجدت النواويس القديمة ومعظمها عَلَى اكمة هناك لاتمتد الى الوادي · حازت هذه المدينة مكانة كبرى لحصانتها ومناعتها امام غارات

سكان البادية فكانت مخزن القوافل النبطية لوقوعها عَلَى طرق البحر الاحمر اي القلزم ومصر وغزة ودمشق وتدمر ·

واول امير نبطي ذكره التاريخ اسمه ارتياس الاول · وامتد سلطان النبط عَلَى عهد المكابيين الاولين الى شرقي الأردن ولما ضعفت دولة البطالسة والسلوقيين عاد النبط فقوي سلطانهم بسرعة في القرن الثاني قبل الميلاد · وكانت حدود هذه المملكة عَلَى عهد ارتياس الثالث نحو سنة ٨٥ تمتد الى دمشق ولقب ملكها اذ ذاك « محب اليونان » ويستدل عَلَى ان المدنية اليونانية كانت قد استحكمت اواصرها في ارض النبط من المصانع والنواويس التي عثر عليها وهي تنم باجلى بيان عن مدنية يونان (١) وفي ايام هذا الملك حدث المصاف الاول بينه وبين الرومان فاضطر ارتياس ان يؤدي الجزية اليهم · واضطر النبطيون عَلَى عهد الامبراطور بومبي واخلافه ان يقدموا منهم الحين بعد الآخر جنوداً مساعدين للرومانيين ولكن ظلت مملكتهم حرة قوية وانضمت عَلَى عهد ارتياس الرابع الى مملكة دمشق · وفي سنة ١٠٦ للميلاد جعلت بترا واعمالها كلها اسي العربية الصخرية ولاية رومانية وقد انشأ الامبراطور تراجان طريقاً عظيماً وصل فيه بين سورية والبحر الاحمر · وبعد ذلك انقسمت هذه الولاية · وفي نحو سنة ٣٥٨ اصبحت بترا ولاية مستقلة برأسها تحت اسم مملكة فلسطين اوفلسطين المسالمة · وان المصانع والعاديات الرومانية التي لم تبرح محفوظة الى اليوم لتدل بان بترا كانت عَلَى عهد الحكم الروماني قد بلغت شوطاً عالياً من العظمة والارتقاء ولم تبدأ بالسقوط عن مكانتها الا في نحو منتصف القرن الثالث للمسيح لارتقاء مملكة فارس ومملكة تدمر اللتين نازعتاها في التجارة بل لان الفرس ونقوا الى تحويل التجارة عن مصارفها القديمة الى اصقاع الفرات والخليج الفارسي ·

ولما فتح العرب هذه البلاد كان قد محي اسم بترا اوكاد · وزعم الصليبيون لما جاؤا سورية فاتحين ان جبل هارون عَلَى مقربة من بترا هو جبل طورسينا فانشأوا قصراً نجماً في ذروته المقدسة ومنذ ذاك العهد سقطت المدينة في تيه العدم الى ان كان القرن التاسع عشر وقد اكتشف سياح الافرنج مافيها من العاديات وفيها ٧٥٠ ناووساً مهماً

(١) دليل بيدكر لفلسطين وسورية ١٩٠٦

Baedeker. Palestine et Syrie 1906

وهي اهم تلك المصانع ومن العاديات هنا التي تعد من اغرب ماصنع [١] خزانة فرعون وهي هيكل علوه ٨٥ قدماً واسفله دار مربعة قطرها ٣٦ قدماً وعلوها ٢٥

وقال مؤرخو الفرنجة ان معنى سلع في اللغة العبرانية صخر فدعا اليونان والرومان هذه البلاد بترا اي صخراً ودعاها العرب الحجر وقالوا انها مدينة ثمود وان الفرجة الصخرية الواقعة فيها المدينة هي صدع الصخرة الذي خرجت منه ناقة صالح. والحقيقة ان سلع بفتح السين وكسرها والجمع السلوع اسم عربي ومعناه الشقوق في الجبال قال ابو زياد الاسلاع طرق في الجبال يسمى الواحد منها سلعاً وهو ان يصعد الانسان في الشعب وهو بين الجبلين يبلغ اعلى الوادي ثم يمضي فيسند في الجبل حتى يطلع فيشرف عَلَى واد آخر يفصل بينهما هذا المسند الذي سند فيه ثم ينحدر حينئذ في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل منحدراً في فضاء الارض فذاك الرأس الذي اشرف من الواديين السلع ولا يعلوه الا راجل. قال ياقوت: وسلع حصن بوادي موسى بقرب بيت المقدس وبهذا لا يصح ان يطلق سلع عَلَى وادي موسى باجمعه كما توهم بعضهم. والحجر كما قال ياقوت. اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام قال الاصطخري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادي القرى عَلَى يوم بين جبال وبها كانت منازل ثمود. قال الله تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين) قال ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا في اضعاف جبال وتسمى تلك الجبال الاثالث وهي جبال اذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل لا يكاد يرتقي كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدها احد الا بمشقة شديدة وبها بئر ثمود التي قال الله فيها وفي الناقة «لها شرب ولكم شرب يوم معلوم» قال جميل:

اقول لداعي الحب والحجر بيننا ... ووادي القرى لبيك لما دعانيا
فما احدث النأي المفرق بيننا ... سلواً ولا طول اجتماع تقاليا

اما بلاد موآب او مآب فهي جزء من العربية السعيدة او الصخرية بين بحيرة لوط فيما وراء عبر الأردن والبادية عَلَى ضفتي نهر ارنون وكانت عاصمة الموآبيين قلعة رباط موآب. والموآبيون هم ابناء لوط لا يعلم من تاريخهم الا انهم كانوا اولي بأس شديد يخاف اليهود عاديتهم لغزوهم اياهم الحين بعد الآخر واستولى الموآبيون على الاسرائيليين

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

ثماني عشرة سنة (١٣٣٢ — ١٣١٤) عَلَى عهد حكومة القضاة وقد غلب شاول (جاليت) المواَبيين وخضعوا لسلطان داود موقتاً ثم استعبدهم الفرس فالمصريون فالسوريون فالاسكندر فالرومانيون وعَلَى عهد العرب امتزجوا بهم وفنوا فيهم كما فنيت شعوب كثيرة في الفاتحين مع الزمن وآثروا الانضمام اليهم بسائق الدين والمصلحة الدنيوية . امامدينة الكرك فكانت هي عاصمة المواَبيين على مايقول بعض الجغرافيين وكان اسمها كرك موآب .

وكان [1] مقام المواَبيين جنوبي ارنون وامتدوا جنوباً الى ادوم وهم من نسل لوط اتحدوا عَلَى اخوتهم بني عمون وطردوا الرفائيين وسكنوا مكانهم حاربهم شاول وانتصر بهم بحسب رواية التوراة وعند ملك موآب اودع داود ولديه من وجه شاول وقيل ان ملك موآب قتلهما فقتل داود منهم ثلاثين الفاً ووضع الباقين تحت الجزية وقدساعدوا بختنصر في حصار اورشليم واسترجعوا بعد السبي املاكهم القديمة .

وعد ياقوت بلاد مآب مدينة واحدة فقال وهي على طرف الشام من نواحي البلقاء قال احمد بن محمد بن جابر توجه ابو عبيدة بن الجراح في خلافة ابي بكر في سنة ١٣ بعد فتح بصرى بالشام الى مآب من ارض البلقاء وبها جمع العدد فافتتحها عَلَى مثل صلح بصرى وقيل ان فتح مآب قبل فتح بصرى و ينسب اليها الخمر قال حاتم طي :

سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب الشراة من مآب الى زغر
بلاد امرىء لايعرف الذم بيته له المشرب الصافي ولا يعرف الكدر

وقال عبد الله بن رواحة الانصاري :

فلا وابي مآب لنأتينها وان كانت بها عرب وروم

ولم يقل ياقوت ان الكرك عاصمة بلاد مآب بل قال انها قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين ايلة و بحر القلزم والبيت المقدس وهي عَلَى سن جبل عال تحيط بها اودية الا من جهة الربض

وفي المرآة الوضية والى جنوبي نهر الزرقاء الى نهر الموجب البلقاء وشماليها جبل الصلت وليس فيهما موضع مسكون الا قرية الصلت ومن مواضعها القديمة جلعاد وعمون وهي الآن عمان وحشبون وهي الآن حسبان والعال ونبا وماعين وعراعر وديبان وفي جنوب هذه المقاطعة كانت قديماً ارض بني عمون والى جنوبي النهر الموجب وهو نهر

(١) جغرافية الكتاب

ارنون ايضاً والى الاحساء ارض الكرك وهي ارض موآب او ارض قوم لوط ومن قراها الكرك وهي كير موآب وربة هي رابة موآب وزعواء ويقال انها صاغر التي هرب اليها لوط لما نجا من سادوم

وقال ياقوت ان البلقاء كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل ومن البلقاء قرية الجبارين التي ارادها الله تعالى بقوله « ان فيها قوماً جبارين » وبالبلقاء مدينة الشراة شراة الشام وهي ارض معروفة ونسب اليها قوم من الرواة والنسبة اليها بلقاوي . وقال ان الشراة صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في ايام بني مروان ونسب اليها بعض الرواة والنسبة اليها شروي .

وذكر ياقوت ايضاً ان عمان بلد في طرف الشام وكانت قصبة ارض البلقاء وروى عن ابي عبد الله محمد بن احمد البشاري عمان عَلَى سيف البادية ذات قرى ومزارع ورستاقها البلقاء وهي معدن الحبوب والانعام . بها عدة انهار وارحية يديرها الماء ولها جامع ظريف في طرف السوق مسقف الصحن شبه مكة وقصر جالوت عَلَى جبل يطل عليها وبها قبر اورياء النبي عليه السلام وعليه مسجد وملعب سليمان بن داود عليه السلام وهي رخيصة الاسعار كثيرة الفواكه غير ان اهلها جهال والطريق اليها صعبة قال الاحوص بن محمد الانصاري

اقول بعمان وهل طربي به ... الى اهل سلع ان تشوقت نافع
اصاح الم يحزنك ريح مريضة ... وبرق تلالا بالعقيقين لامع
وان غريب الدار مما يشوقه ... نسيم الرياح والبروق اللوامع
وكيف اشتياق المرء يبكي صبابة ... الى من نأى عن داره وهو طامع
وقد كنت اخشى والنوى مطمئنة ... بنا وبكم من علم ماالله صانع
اريد لانسى ذكرها فيشوقني ... رفاق الى ارض الحجاز رواجع

وقال الخطيم العكلي اللص يذكر عمان (بفتح العين)

اعوذ بربي ان ارى الشام بعدها ... وعمان ماغنى الحمام وغردا
فذاك الذي استنكرت ياام مالك ... فاصبحت منه شاحب اللون اسودا
وان الماضي العزم لو تعلمينه ... وركاب اهوال يخاف بها الردى

ونسب اليها بعض الرواة والنسبة عماني .

هذا ماقاله صاحب معجم البلدان وفي كلامه عَلَى بلاد مآب والبلقاء واي المدائن كانت عاصمة تلك الكورة كلام لايمكن للمرء ان يجزم بان البلدة الفلانية كانت قاعدة البلاد والغالب ان الحكومة في الاسلام كانت تنتقل في هذه المدن فتارة بعمان واخرى في الكرك والمفهوم من النصوص الآنفة الذكر ان تلك البلاد كانت قبيل الاسلام و بعده بقرون عامرة بالسكان وفيها قرى ومزارع كثيرة

وتاريخ هذه البلاد مبعثر جداً قبل الاسلام و بعده وليس لدينا من النصوص التي يستأنس بها الا مارواه ياقوت في معجمه من اسماء قرى كانت في وادي مومى ومآب والبلقاء قال : (موءتة) قرية من قرى البلقاء في حدود الشام وقيل موتة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف واليها تنسب المشرفية من السيوف قال ابن السكيت في تفسير قول كثير

اذا الناس ساموكم من الامر خطة   لها خطة فيها السهام المثل
ابى الله للشم الانوف كأنهم   صوارم يجلوها بموءتة صيقل

قال المهلبي مآب واذرح مدينتا الشراة عَلَى اثني عشر ميلا من اذرح ضيعة تعرف بموءتة بها قبر جعفر بن ابي طالب بعث النبي صلى الله عليه وسلم اليها جيشاً في سنة ثمان وامر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال ان أصيب زيد فجعفر بن ابي طالب الامير وان أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة فساروا حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها موتة فالتقى الناس عندها فلقيتهم الروم في جمع عظيم فقاتل زيد حتى قتل فاخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل فاخذ الراية عبد الله بن رواحة فكانت تلك حاله فاجتمع المسلمون الى خالد بن الوليد فانحاز بهم حتى قدم المدينة فجعل الصبيان يحثون عليهم التراب ويقولون يافرار فررتم في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفرار لكنهم الكرار ان شاء الله وقال حسان بن ثابت :

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا   بموتة منهم ذوالجناحين جعفر
وزيد وعبدالله هم خير عصبة   تواصوا واسباب المنية تنظر

وقال : (الموجب) بلد بالشام بين القدس والبلقاء

وقال : في (أُبنى) « بالضم ثم السكون وفتح النون والقصر بوزن حبلى » موضع بالشام

من جهة البلقاء جاء ذكره في قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد حيث امره بالمسير الى الشام وشهر الغارة عَلَى ابنى وفي كتاب نصر أُبنى قرية بمؤتة

وقال : (اذرح) اسم بلد في اطراف الشام من اعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لارض الحجاز . وبين اذرح والجرباء ثلاثة ايام وقيل ميل واحد (والثاني اصح) واقل لان الواقف في هذه ينظر هذه (والجرباء) موضع من اعمال معان بالبلقاء من ارض الشام قرب جبل الشراة من ناحية الحجاز وهي قرية من اذرح وبينهما كان امر الحكمين بين عمرو بن العاص وابي موسى الاشعري

وقال:(زيزاء) من قرى البلقاء كبيرة يطوءها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة واصله في اللغة المكان المرتفع ولذلك قال ذوالرمة

تحدر عن زيزائه القف وارتقى   عن الرمل وانقادت اليه الموارد

وقال مليح

تذكرت ليلى يوم اصبحت قافلا   بزيزاء والذكرى تشوق وتشغف
غداة ترد الدمع عين مريضة   بليلى وتارات تفيض وتذرف
ومن دون ذكراها التي مطرت لنا   بشرقي عمان الشرى والمعرف
واعملت من طود الحجاز نجوده   الي الغور مااجتاز الفقير ولفلف

وقال:(السواد) نواحي قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها فيما احسب

وقال:(شنار) نقب شنار بكسر الشين نقب في جبل من جبال الشراة بين ارض البلقاء والمدينة عَلَى شرقي طريق الحاج يفضي الى ارض واسعة معشبة يشرف عليها جبال فاران وهي في قبلي الكرك .

وقال:(صرفة) قرية من نواحي مآب قرب البلقاء يقال بها قبر يوشع بن نون

وقال:(الصمان) من نواحي الشام بظاهر البلقاء قال حسان بن ثابت:

لمن الدار اقفرت بمعان   بين شاطي اليرموك فالصمان
فالقريات من بلاس فدا   ريا فسكاء فالقصور الدواني

وقال:(عاعال) جبل بالشام مشرف علي البثينة بين الغور وجبال الشراة .

وقال:(طفيل) تصغير طفل وادي طفيل بين تهامة واليمن عن نصر وبوادي موسى قرب البيت المقدس قلعة يقال لهاطفيل عرندل قرية من ارض الشراة من الشام فتحت في ايام عمر بن الخطاب بعد اليرموك .

وقال : (جادية) قرية من عمل البلقاء من ارض الشام عن ابي سعيد الضرير واليها ينسب الجادي وهو الزعفران قال : ويشرق جادي بهن مديف ٠ اي مدوف ٠

وقال : (جبال) من قرى وادي موسى من جبال الشراة قرب الكرك بالشام منها يوسف بن ابراهيم بن مرزوق بن حمد ان ابو يعقوب الصهيبي الجبالي والحافظ ابو القاسم ٠

وقال : (الرُّبة) بلفظ واحدة الرباب عين الربة قرية في طرف الغور بين ارض الأردن والبلقاء ٠

وقال : (زغر) قرية بمشارف الشام واياها عنى ابو دؤاد الايادي حيث قال :

ككتابة الزغري زيـ ـنها من الذهب الدلامص

قال وقيل زغر اسم بنت لوط عليه السلام نزلت بهذه القرية فسميت باسمها وقال حاتم الطائي

سقى الله رب الناس سحًا وديمة جنوب الشراة من مآب الى زغر
بلاد امريء لا يعرف الذم بيته له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر

وقال : (المشارف) جمع مشرف قرى قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من اعمال دمشق اليها تنسب السيوف المشرفية رد الى واحده ثم نسب اليه ٠ وفي مغازي ابن اسحاق في حديث موتة ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ٠

وقال : (معان) بالفتح وآخره نون والمحدثون يقولون بالضم واياه عنى اهل اللغة منهم الحسن بن علي بن عيسى ابو عبيد المعني الازدي المعاني من اهل معان البلقاء والمعان المنزل يقال الكوفة معاني اي منزلي قال الازهري : وميمه ميم مفعل وهي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً الى موتة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة فساروا حتى بلغوا معان فاقاموا بها وارادوا ان يكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم عمن تجمع من الجيوش وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي الف فنهاهم عبدالله بن رواحة وقال انما هي الشهادة او الظعن ثم قال

جلبنا الخيل من أجاء وفرع تغر من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتاً ازل كأن صفحته أديم

اقـامت ليلتين من معان فاعقب بعد فترتهـا جموم
فرحنا والجياد مسومـات تنفس من مناخرها السموم
فـلا وابي مـآب لاتينها وان كانت بها عرب وروم
فعبـأنا اعنتهـا فجـاءت عوابس والغبار لهـا بريم
بذي لجب كأن البيض فيها اذا برزت قوانسهـا النجوم

وروى ياقوت عن ابي محمد الاعرابي في قول الراجز

ياعمرو قارب بينها تقرب وارفع لها صوت قوي صاب
واعص عليها بالقطيع تغضب الا ترى ماحال دون المقرب
من نعف فلا فدباب المعتب

قال — فلا — من دون الشام والمعتب واد من مآب بالشام ومآب كورة من كور الشام ودباب ثنايا يأخذها الطريق

وقال :(تنهج) اسم قرية بها حصن من مشارف البلقـاء من ارض دمشق سكنها شاعر يقال له خالد بن عباد و يعرف بابن ابي سفيان ذكره الحافظ ابو القاسم

وقال :(التيه) الموضع الذي ضل فيه موسى بن عمران عليه السلام وقومه وهي ارض بين ايلة ومصر و بحر القلزم وجبال الشـراة من ارض الشام يقـال انها اربعون فرسخاً في مثلها وقيل اثنا عشر فرسخاً في ثمانية فراسخ واياه اراد المتنبي بقوله

ضربت بها التيه ضرب القما ر امـا لهـذا وامـا لذا

وقال : (الحميمة) بلد من ارض الشراة من اعمال عمان في اطراف الشام كان منزل بني العباس

وقال : (نقنس) بكسر اوله وثانيه ونونه مشددة من قرى البلقاء من ارض الشام كانت لابي سفيان بن حرب ايام كان يتجر الى الشام ثم كانت لولده بعده

وقال :(النقيب) بالضم وهو تصغير نقب وهو معروف موضع في بلادهم بالشام بين تبوك ومعان على طريق حاج الشام

وقال : (وسادة) موضع في طريق المدينة من الشام في آخر جبـال حوران مابين يرفع وقراقر

وقال :(الوعيرة) كأنه تصغير الوعرة حصن من جبال الشراة قرب وادي موسى ٠

هذا ماتيسر تلقفه من معجم البلدان وليس بين اسماء هذه البلاد شيء يعرف الآن

فيما نحسب الا قرية اوقريتان مثل عمان ومعان وماعدا ذلك فقد دثر واصبح خراباً يباباً تدل آثاره عليه وقد بدأ الخراب الحقيقي في هذه البلاد على عهد الصليبيين وكانت اشهر حصونها الكرك والشوبك فقد اخذ بغودين (١) من ملوك الصليبيين الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين والشوبك هي في رواية مسر يقة وقال القرماني (٢) : شوبك بلدة صغيرة كثيرة البساتين من اعمال الشام غالب اهلها نصارى وهي شرقي الغور عَلَى طرف الشام من جهة الحجاز وينبع من تحت قلعتها عينان وقلعتها عَلَى تل مرتفع مطل عَلَى الغور ٠

واستولى الصليبيون عَلَى الكرك وحصنها الملك فولك تحصيناً شديداً حتى كان صاحبها البرنس ارنلط كما يقول مؤرخو العرب او ارنولد كما يقول الافرنج من اشد الصليبيين عدواة للمسلمين كان غزا الحرمين فنذر صلاح الدين يوسف بن ايوب ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان فسقط بيده اسيراً يوم وقعة حطين بالقرب من طبرية وبعث صلاح الدين فاستولى على الكرك

وفي الانس الجليل ان السلطان صلاح الدين لما كان في بلاد انطاكية لم يزل الحصار عَلَى الكرك وكان اخوه الملك العادل عين معه على حفظ البلاد وكان صهره سعدالدين كمشه بالكرك موكلاً بحصاره فراسل الافرنج الملك العادل في الامان فامتنع ثم صالحهم وسلموا الحصن ٠ ولم يكن للكرك شأن كبير قبل الحروب الصليبية ثم غدت عاصمة مملكة يعرف صاحبها بملك الكرك او صاحب الكرك على عهد صلاح الدين ومن بعده الى عهد الجراكسة والغالب ان موقعها الحربي المهم وتوسطها تقريباً بين مصر ودمشق وكانت اذ ذاك حكومتهما واحدة هيأ لها ذلك

قال القرماني : كرك بليدة مشهورة وبها حصن عال عَلَى قلة جبل يقال انه كان دير الروم وجعله المسلمون حصناً فيها قبر جعفر الطيار واصحابه وفي اسفله واد فيه حمام وبساتين كثيرة وكان من دأب ملوك الترك والجراكسة كلما خلعوا سلطاناً ارسلوه الى الكرك

اما الكرك او قلعتها فهي كانت وما زالت من اعظم حصون سورية ولذلك احتلها الصليبيون وحرص صلاح الدين واسرته ان يسترجعوها منهم لانها مفتاح القطرين

(١) خطط المقريزي (٢) في تاريخه المسمى باخبار الدول وآثار الأول وهو مما كتب في القرن الحادي عشر ٠

بل القطر المصري والشامي والحجازي ولذلك تجد ذكرها يتردد كثيراً في التاريخ منذ استولى عليها الافرنج الى ان انقرضت دولة الجراكسة في مصر والشام عَلَى يد السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ هـ٠

ولطالما كانت الكرك موعداً للقاء وميداناً لاهراق الدماء وتكافح الناس في جوارها عَلَى امتلاكها كفاحا واي كفاح يبعث فيه الارواح والاشباح بيع السماح وهاك الآن مثالا من صحف التاريخ المنسية تعتبر بها وتزدجر

قال ابو الفدا في حوادث سنة ثمان وستين وخمسمائة وفيها سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمعا عَلَى الكرك وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك ٠ والرقيم هو كما قال يافوت ايضاً بقرب البلقاء من اطراف الشام عناه كثير بقوله وكان يزيد بن عبد الملك ينزله وقد ذكرته الشعراء

امير المؤمنين اليك نهوي عَلَى البخت الصلادم والعجوم
اذا اتخذت وجوه القوم نصباً اجيج الواهجات من السموم
فكم غادرن دونك من جهيض ومن نعل مطرحة جذيم
يزرن عَلَى تنائيه يزيداً باكناف الموقر والرقيم
تهنئه الوفود اذا اتوه بنصر الله والملك العظيم

والموقر حصن بالبلقاء قال فيه ياقوت انه اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق وكان يزيد بن عبد الملك ينزله قال جرير :

اشاعت قريش للفرزدق خزية وتلك الوفود النادبون الموقرا
عشية لاقى القين قين مجاشع هزبراً ابا شبلين في الغيل قسوراً

وقال كثير :

سقى الله حياً بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب

وقد نشأ من الموقر جملة من المحدثين والنسبة اليها موقري وصرح الشاعر بان الموقر من ارض الشام فقال :

اذنت علي اليوم اذ قلت انني احب من اهل الشام اهل الموقر
بهاليل ثم عصمة الناس كلهم اذا الناس جالوا جولة المتحير

وقال كثير عزة

اقول اذ الحيان كعب وعامر ۞ تلاقوا والتقتنا هناك المناسك
جزى الله حياً بالموقر نصرة ۞ وجادت عليه الرائحات الهواتك
بكل حثيث الوبل زهر غمامه ۞ له درر بالقسطلين مواشك

وفي حوادث سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ان البرنس صاحب الكرك عمل اسطولا في بحر ايلة (وهي مدينة عَلَى ساحل بحر القلزم او الاحمر مما يلي الشام) وساروا في البحر فرقتين فرقة اقامت عَلَى حصن ايلة يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب [1] يفسدون في السواحل و يفنون المسلمين في تلك النواحي فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجاً قط فعمر الملك العادل ابو بكر ابن ايوب اسطولا في بحر عيذاب وارسله مع حسام الدين الحاجب لؤلؤ وهو متولي الاسطول بديار مصر فاوقع بالذين يحاصرون ايلة فقتلهم واسرهم ثم سار في طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا عَلَى الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة وسار لؤلؤ يقفو اثرهم فبلغ رابغ فادركهم بساحل الحورا وتقاتلوا اشد قتال فظفر بهم وقتل اكثرهم واخذ الباقين اسرى وارسل بعضهم الى منى لينحروا بها وعاد بالباقين الى مصر فقتلوا عن آخرهم

وفي السنة التالية سار السلطان صلاح الدين من دمشق للغزوة وكتب الى مصر فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك وحصره وضيق عَلَى من به وملك ربض [2] الكرك و بقيت القلعة وليس بينها و بين الربض غير خندق خشب وقصد السلطان صلاح الدين طمه فلم يقدر لكثرة المقاتلة فجمعت الفرنج فارسها وراجلها فقصدوه فلم يمكن السلطان الا الرحيل فرحل عن الكرك وسار اليهم فاقام في اماكن وعرة واقام السلطان قبالتهم وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك فعلم بامتناعه عليه فرحل عنه ٠

و بعد وقعة حطين كان السلطان صلاح الدين لما سار الى البلاد الشمالية قد جعل عَلَى الكرك وغيرها من يحصرها وخلى اخاه الملك العادل في تلك الجهات يباشر ذلك فارسل اهل الكرك يطلبون الامان فامر الملك العادل المباشرين بحصارها بتسلمها فتسلموا الكرك والشوبك وما بتلك الجهات من البلاد ٠

---

(١) عيذاب بالفتح ثم السكون وذال معجمة وآخره باء موحدة ٠ بليدة عَلَى ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عند والي الصعيد « ياقوت »

(٢) الربض فيما قال بعضهم اساس المدينة والبناء والربض ما حوله من خارج ٠ الاول مضموم والثاني بالتحريك

قال ياقوت في الشوبك انها قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وايلة والقلزم قرب الكرك وذكر يحيى بن علي التنوخي في تاريخه ان بقدور الذي ملك الفرس سار في سنة ٥٠٩ الى بلاد ربيعة من طيء وهي باق والشراة والبلقاء والجبال ووادي موسى ونزل عَلَى حصن قديم خراب يعرف بالشوبك بقرب وادي موسى فعمره ورتب فيه رجاله وبطل السفر من مصر الى الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن . وبعد وفاة صلاح الدين ظلت الكرك والشوبك والبلاد الشرقية بيد الملك العادل سيف الدين ابو بكر ابن ايوب

تقدم ان حصن الشوبك كان من جملة الحصون التي يتنافس فيها الفاتحون في هذه الديار وهو على ١٩ ساعة من الكرك يؤيد ذلك مارواه ابو الفدا [1] في حوادث سنة ٦٢٥ هـ من ان الملك الكامل صاحب مصر ارسل يطلب من ابن اخيه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الشوبك فلم يعطه اياه ولا اجابه اليه فسار الملك الكامل من مصر الى الشام بقصد استخلاص الشوبك وغيره .

وفي حوادث سنة ٦٢٩ ان الملك الكامل سار من دمشق الى الشوبك واحتفل له الملك الناصر داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل ابي بكر ابن ايوب احتفالاً عظيماً بالضيافات والاقامات والتقادم وحصل بينهما الاتحاد التام وكان نزول الملك الكامل باللجون قرب الكرك وهي منزلة الحجاج . وفي سنة ٦٣٣ فترت العلائق بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين عمه الملك الكامل صاحب مصر فسار الاول الى بغداد ملتجئاً الى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف فاصلح الخليفة بينهما وعاد الناصر الى الكرك وفي سنة ٦٣٥ جرى بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك الجواد يونس المتولي عَلَى دمشق مصاف بين جنين ونابلس انتصر فيه الملك الجواد يونس وانهزم الملك الناصر هزيمة قبيحة ونهب عسكره واثقاله وللناصر هذا وقائع مع اسرته وغيرهم ولكن بني ايوب ومن بعدهم عَلَى تنافسهم في الملك كانوا يداً واحدة عَلَى اعدائهم الصليبيين حين الحاجة لان هؤلاء لم تكن انقطعت شأفتهم كلها من بلاد الشام

وفي سنة ٦٤٤ سار الامير فخر الدين يوسف ابن الشيخ من قبل الملك الصالح الى حرب الملك الناصر داود صاحب الكرك فاستولى عَلَى جميع بلاد الملك الناصر وولي

(١) اعتمدنا عَلَى تاريخه في وصف ما انتاب الكرك بعد حرب الصليب

عليها وسار الى الكرك وحاصرها وخرب ضياعها وضعف الملك الناصر ضعفاً بالغاً ولم يبق بيده غير الكرك وحدها ·

وفي سنة ٦٤٧ استولى الملك الصالح ايوب صاحب الديار المصرية عَلَى الكرك وفي السنة التالية ملك القلعتين الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدين وكان اعتقله الملك المعظم تورانشاه في الشوبك فلما قتل هذا بادر النائب عليهما وهو بدر الدين الصوابي الصالحي فافرج عن الملك المغيث وملكه الحصنين وفي سنة ٦٥٦ انضمت البحرية الى المغيث صاحب الكرك والتزم عسكر مصر في غزة فكانت الكسرة عَلَى المغيث ومن معه فولى منهزماً الى الكرك في اسوإ حال ونهبت اثقاله ودهليزه · وفي سنة ٦٥٧ حاصر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حماة الملك المغيث صاحب الكرك بسبب حمايته البحرية واقاموا عَلَى بركة زيزاء (التي يعرفها العامة بجيزة اليوم) مايزيد عَلَى شهرين وفي سنة ٦٦٠ قتل الملك المغيث صاحب الكرك قتله الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر لانه كتب اجوبة عَلَى مكاتبات من التتر الى الملك المغيث في اطماعهم في ملك مصر والشام ورتب الظاهر امور الكرك وعاد الى مصر

وفي سنة ٦٨٠ استقر الصلح بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الملك خضر ابن الملك الظاهر بيبرس صاحب الكرك · وفي سنة ٧٠٨ سار الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية متوجهاً الى الحجاز فسار الى الكرك وكان النائب بها جمال الدين اقوش الاشرفي فعمل سماطاً واحتفل به وعبر السلطان الى المدينة ثم الى القلعة ولما عبر السلطان عَلَى الجسر الى القلعة والامراء ماشون بين يديه والمماليك حول فرسه وخلفه سقط بهم جسر قلعة الكرك وقد حصلت يد فرس السلطان وهو راكبه داخل عتبة الباب فلما احس الفرس بسقوط الجسر اسرع حتى كاد ان يدوس الامراء الماشين بين يديه وسقط من مماليك السلطان خمسة وثلاثون الى الخندق وسقط غيرهم من اهل الكرك ولم يهلك من المماليك غير شخص واحد لم يكن من الخواص ونزل في الوقت السلطان عند الباب واحضر الجنوبات والحبال ورفع الذين وقعوا عن آخرهم وامر بمداواتهم فصلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه وكان ارتفاع الجسر الذي سقطوا منه الى الخندق يقارب خمسين ذراعاً ·

ولما تولى الملك الناصر (١) احمد بن الملك الناصر بن محمد بن قلاوون في الكرك اقام فيها اياماً في لهو ولعب فانكروا عليه اموراً لا تليق بالسلطنة فاتفق اهل الشام على خلعه وارسلوا الى المصريين في ذلك فاجابوهم وسلطنوا اخاه الصالح اسماعيل ووردت المراسيم الى جميع ولايات الاعمال الشامية بتجريد العشرات وغيرهم الى الكرك وعينوا على معاملتي صيداء وبيروت خمسمائة راجل فذهبوا اليها سنة ٧٤٣ ووجدوا في القلعة ومع السلطان احمد خلقاً كثيراً وقد نصبوا على القلعة في اعلاها خمسة مجانيق ومدافع كثيرة وكان الكركيون يظهرون من باب القلعة ويقاتلون احياناً كثيرة وكان الحصار والزحف مستمراً ونصب المحاصرون على القلعة منجنيقاً يرمي بحجار وزنها خمسة وثلاثون رطلاً .

وكان يحكى عن السلطان احمد انه كان شاباً حسن الشكل عبل البدن وكان يلبس ملبوس العرب ووسع اكمامه على زي الكركيين وكان يظهر لهم انه لبس هذا الزي محبة فيهم

وكان يجلس كل يوم بين شراريف القلعة ويرمي سبعة سهام صيغت نصولها من فضة موشاة بذهب كانت تدل على قوة قوسه وكان اذا اراد ان يرمي السهم رفع يده التي فيها القوس فيسقط كمه من سعته الى كتفه حتى يبان شعر ابطه وكان غليظ الذراع ابيض اللون ورأوا له سهماً في حصار الكرك وقد نقش عليه هذان البيتان .

ومن جودنا نرمي العداة باسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
يداوي بها المجروح منها جراحه ويشري بها الاكفان منها قتيلها

وهما للامين بن هرون الرشيد وكان لما حضره عبدالله بن طاهر في بغداد بعساكر اخيه المأمون صنع نصول النشاب من خالص الذهب ونقش عليها هذين البيتين

ولما دخلت سنة اربع واربعين وسبعمائة ضعفت حال السلطان احمد والكركيين وكان زرعهم قد رعي رعاه التركمان والعربان وكان اكثر دوابهم قد نهبت وانقطع عنهم الجلب وحالهم في ضعف واخذت قلعة الكرك سنة خمس واربعين وسبعمائة واخذ سلطانها وقتل وذلك بعد ان تجمعت عساكر الشام على حصارها زهاء سنتين

وبعد فليس في التاريخ الحديث ولاسيما من بعد دخول الدولة العلية الى هذه

(١) تاريخ بيروت لصالح بن يحيي

البلاد شيء ينقل ليفيد في حالة بلاد الكرك اللهم ما كان من انتقاض اهالي هذه البلاد على ابراهيم باشا المصري لما فتحها ايام دخوله الى سورية في اوائل القرن الماضي ونظم ادارتها وجعل لها حامية من جنده فلم يمض الا قليل حتى تمرد السكان وقاموا فذبحوا الحامية والموظفين عن بكرة ابيهم حتى انهم قتلوا كتيبة من جنده كانت آيبة الى مصر فضللوها في الطريق واهلكوها الا قليلا كما ارتكبوا مثل هذا المنكر هذه المرة ولم يفلحوا

ويؤخذ بالقرينة ان معظم البلاد اصبحت بادية بعد هذه الوقعة لغلبة الجهل واختلال الادارة وظلم العمال وكذلك حال القرى يعرف ذلك كل من طاف في اقضية اللواء الاربعة فانه يشاهد خربًا ومياهاً سائبة فقد كان في قضاء الصلت وارض بني صخر نحو ثلثمائة قرية وعدة مدن عامرة وليس فيها اليوم سوى خمس عشرة قرية عامرة بعض الشيء

وبعض الخرب في اللواء بيد العرب المزارعين وبعضها شاغرة وآخر ملك للحكومة ·

وبدو الكرك كثيرون فمنهم في قضاء الصلت الدعجة [1] والايديات وابي نعيم والشوايكة والازايدة والابووندي والعجارمة والمطيريون والحرافيش واراسفة والعدوان والنمر والكائد والصالح والعباد والمناصير والفقهاء والزيود والزيادات والجروم والمشاخلة والفاعور والربيع وبنو صخر وهم يقسمون الى الزبن والهكيش والحفير والقبعين والفايز ومجموع بيوتهم نحو ٤٥٠٠ بيت واشهرها بنو صخر وهي ٧٠٠ بيت والعدوان وهي ٥٠٠ والعباد ٨٠٠ والارض التي تنزلها هذه القبائل شرقي نهر الشريعة وغربي البادية وشمالا وادي الوالا ووادي الثمد وجنوبًا ماء الزرقاء والحدود الفاصلة بين عجلون والصلت وسكان القضاء كله نحو اربعين الفاً وهو اعمر اقضية الكرك

وفي قضاء الطفيلة نحو عشرين الفاً من النفوس وهذه [2] اسماء عشائرهم : الحميدات وهي اعظمها مؤلفة من خمسمائة بيت وعبدين تقرب نفوسها من الحميدات والبحارات مثلها ايضاً والكلالدة والوهبيات والهلالات وعشيرة المناعين وهي رحالة تقضي اكثر ايامها في الجوف بالقرب من نجد وتنزل القضاء بعض اشهر بين محطة الجروف ومدينة الطفيلة وفي هذه المدينة ١٢ الفاً من السكان الحضر ·

وفي قضاء معان عشائر وافخاذ واهمها الحويطات ومنها العمانية وابو تاية والمطالقة ومنها

---

(١) خليل رفعت افندي الحوراني

(٢) الدكتور محمد خيري القباني

البدول والشوبك والنعيمات والديابات والعامرة والمراعية والدرواشة والعطون والزوايدة والطقاطقة والعمارين والرشايدة والسعيديين والراجفة · وفي قضاء معان ايضاً ينزل بنوعطية وهم يقسمون سبعة اقسام منهم المزايدة والخضرة والشبوث والهرامسة ومنازلهم من المدورة الى تبوك

امـا عشائر قضاء الكرك (1) فكثيرة وهي اغوات · اللصايمة · بنو حميدة · بيايضة جلامدة · حباشنة · خرشة · خنزيرة · دنيبات · كفاوين · ضمور · حجايا · سليط · شمايلة · صرايرة · صعوب · طراونة · العمرو · عراق · عكشة وحجازين · غور الصافي غور المزرعة · فقرا · قطاونة · قضاة · كثر ربة · معايطة · مجـالي · مبيضين · مصاروة · مدانات · بقاعين · نوايسة · نعيمات · هلسة

هذه فرق عشائر الكرك واهمها واكثرها عدداً بنو حميدة · سليط · حجايا حباشنة ضمور · صرايرة · طراونة · كثر ربة · معايطة · وتقسم عشيرة بني حميدة الى ثلاث فرق (حمولات) وهي ابو بريز وابن طريف وابو ربيحة · وينقسم ابو بريز الى فرقتين وهما الفواضلة والتوايهة · وكل منهما ينقسم الى اربع جماعات لكل جماعة شيخ · وتنقسم عشيرة ابن طريف الى ست فرق وهي ابن طريف · رواحانة · الحيصة الضرابعة · الشخامبة · شقور وحمادين · بصيرة وتنقسم عشيرة ابي ربيحة الى اربع فرق · هي الشروانة وحوائمة · هواوشة · اللوانسي · قوابمة · وتنقسم عشيرة سليط الى فرقتين بحارات ورجيلات · وتتألف عشيرة الحباشنة من العرود والجعـافرة · وتتألف الضمور من محمود وسحيمات والطراونة من عيـال جبرين وعيالـــ جبران · ومجامعة وعيال عودة ·

اما كثر ربة فهي قرية يسكنها فرقتان وهما القراللة والرماضنة ويتألف القراللة من زغيلات سالم وزغيلات سعيد وسلامات ومهاينة ومخاترة · ويتألف الرمـاضنة من الرواشدة والخثاتنة وشواورة وكساسبة ومطارنة وجوازنة · وتتألف عشيرة المعـايطة من فرقة ساهر ويوسف · ويتألف النعيمات من العبادلة والجعافرة والاحامدة ويتألف الحجايا من محموديين وهدايات وهؤلاء الحجايا لايزرعون ولايفلحون بل هم بادية · والعشـائر التي لهـا شأن عند الحكومة هي · المجالي · طراونة · ضمور · معـايطة ·

(1) حمدي افندي النصر

صرايرة · مدانات · هلسة · اما العشائر التي لها نفوذ على العشائر نفسها فهي المجالي · سايط · حجايا · طراونة · بنو حميدة

هذه اسماء العشائر وفرقها ومكانتها اما اماكن نزولها فان فرق ابي ربيحة · ابي بريز · شخامبة · الحيصة · الرواحنة من عشيرة بني حميدة وسليط وكعابنة والفقرا كلهم ينزلون تحت الخيام في ناحية ديبان من اعمال مركز اللواء · وحدود ديبان هذه من القبلة نهر الموجب ومن الشمال اللب ومن الغرب بحر لوط ومن الشرق ام الرصاص في بقعة من الارض سهلية جبلية يبلغ عرضها اربع ساعات وطولها سبع ساعات · ولاتجد شرقي ام الرصاص ارضاً تزرع ومركز ناحية ديبان وادي الوالا وهو على احدى عشرة ساعة عن مركز اللواء ·

اليك على الجملة اسماء العشائر المزارعة وهي معدودة بادية رحالة في هذا اللواء والحكومة تستوفي منها الى اليوم عشراً مقطوعاً وخراجاً مقطوعاً ووديا (تعداد الجمال وتعداد الغنم) مقطوعاً اي انها تفرض على كل حمولة او عشيرة قدراً من المال وتطالب به من وجدته منهم فيكون بذلك مجال لظلم الضعاف من هذه القبائل يرهقهم مشايخهم وعمال الحكومة وهؤلاء يشتدون في الاكثر في اعنات من يظفرون به او يجتازون منزله وقد يأخذونه بجريرة جاره او اخيه فان بعض اولئك البدو قد يهربون في بعض سني المحل اولغرض آخر فلا يلبث عمال الدولة ان يستوفوا من ابناء تلك القبيلة ماهو في ذمة الهاربين وكثيراً مانقاضت الحكومة من واحد مايفرض على خمسة من عشيرته · مثال ذلك ان العامرة من الحويطات كانوا اغنياء على عهد تأسيس اللواء اي منذ سبع عشرة سنة فلم تمض بضع سنين حتى اصبحوا افقر الفقراء بتلك القاعدة السخيفة في الادارة وتفرقوا تحت كل كوكب ومنهم من انقلب الى حسمه وغزة اواوغل في البادية الى نجد والشرق

نعم ان الحكومة حتى الآن لم تعمل لعمران اللواء عملاً من شأنه رفع الحيف وكشف الظلامات لتعمر البلاد بل على العكس اتت ماخرب به عمرانها وابذعر سكانها فبدلاً من ان ترسل لهم وعاظاً يعلمونهم بلغتهم بعثت اليهم في الدور البائد تسعة من الاتراك تحت اسم وعاظ لايعلمون العربية فاشتغلوا سنين بالتجسس وبث المفاسد وبهذا تأصلت النفرة في قلوب القوم بدلاً من تأليف شاردهم وساعد على ذلك في الاكثر انحطاط

طبقة اكثر الموظفين الذين يعينون في امور الادارة وبذلك زاد الاهلون مراناً عَلَى الاحتيال تخلصاً بزعمهم من فساد الحال وركنوا الى شيوخهم على ظلم فيهم اكثر من حكومتهم التي تريد الخير بهم عَلَى الجملة وان كانت لم تهتد الى الطريق حتى الآن في اختيار الجيادِ من العمال

كان الرجاء معقوداً بتأسيس حكومة الكرك ان تغدو عمالتها كلها بعد هذين العقدين من السنين جنة لما خصتها به الفطرة من المواهب وتنقلب تلك الخيام السوداء كما قال احد العارفين دوراً قوراء فاصبحت بسوء الادارة بيوت ارزاء ولأواء ·

كاد اولئك البادية يضعون ثقتهم بالحكومة يوم تولى امرهم اداري يقيم نصاب العدل ويرفع عن عاتقهم عدوان زعمائهم الجاهلين ولكن جرى الامر عَلَى عكس ذلك فاخذ السكان يستضعفون حكومتهم خصوصاً بعد ان قاموا منذ زهاء سنتين وهجموا على دار الحكومة وكان بلغهم انها تريد احصاء نفوسهم والحقيقة انها كانت في صدد انتخاب نائب منهم يمثلهم في مجلس الامة · ولو احسن متصرفهم اذ ذاك التصرف وصحت عزيمة الحكومة عَلَى انزال العقوبة الشديدة بمن شقوا عصا الطاعة لما حدث اليوم ماحدث فخرب العامر والغامر وتضرر الحاكم والمحكوم عليه ·

فان يوماً في فتنة يخرب مالا يعمر في سنين · وعدل ساعة يحيي الارض اكثر من كل قوة في غير محلها · فوا اسفاه لبلاد مثل هذه تؤوي الملايين من البشر يعيشون من تربتها سعداء وهي اليوم لا ينزلها سوى الوف لا يستفيدون منها ولا يفيدون وها قد زادت اليوم فوق خرابها خراباً · كانت بالامس ممالك ذات منعة وهي الآن بما تجيفها من الدمار عبرة لمن اعتبر فسبحان من يشقي ويسعد ويغني ويفقر

رثاء تولستوي

(تولستوي) تجري آية العلم دمعها عليك ويبكي بائس وفقير
وشعب ضعيف الركن زال نصيره وما كل يوم للضعيف نصير
ويندب فلاحون انت منارهم وانت سراج غيبوه منير
يعانون في الاكواخ ظلماً وظلمة ولا يملكون البث وهو يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى عليهم وتغشى دورهم وتزور
ويأسى عليك الدين اذ لك ابه وللخادميه الناقمين قشور
أيكفر بالانجيل من تلك كتبه أناجيل منها منذر وبشير
وتبكيك إلف فوق (ليلى) ندامة غداة مشي (بالعامري) سرير
تناول ناعيك البلاد كأنه يراع له في راحتيك صرير
وقيل تولى (الشيخ) في الارض هائماً وقيل (بدير) الراهبات اسير
وقيل قضى لم يغن عنه طبيبه وللطب من بطش القضاء عذير

***

اذا أنت جاورت (المعري) في الثرى وجاور (رضوى) في التراب (ثبير)
او اقبل جمع الخالدين عليكما وغالي بمقدار النظير نظير
جماجم تحت الارض عطرنها شذى جناهن مسك فوقها وعبير
بهن تباهي بطن (حواء) واحتوى عليهن بطن الارض فهو فخور
فقل يا حكيم الدهر حدث عن البلى فانت عليم بالامور خبير
أحطت من الموتى قديما وحادثا بما لم يحصل منكر ونكير
طوانا الذي يطوي السموات في غد وينشر بعد الطي وهو قدير
تقادم عهدانا على الموت واستوى طويل زمان في البلى وقصير
كأن لم تضق بالامس عني كنيسة ولم يؤوني دير هناك طهور
ارى راحة بين الجنادل والحصى وكل فراش قد اراح وثير
نظرنا بنور الموت كل حقيقة وكنا كلانا في الحياة ضرير
اليك اعترافي لا لقس وكاهن ونجواي بعد الله وهو غفور
فزهدك لم ينكره في الارض عارف ولا متعال في السماء كبير

بيان يشم الوحي من نفحاته وعلم كعلم الانبياء غزير
ملكت سبيل المترفين ولذني بنون ومال والحياة غرور
اداة شتائي الدفء في ظل شاهق وعدة صيفي جنة وغدير
ومتعت بالدنيا ثمانين حجة ونضر ايامي غنى وحبور
وذكر كضوء الشمس في كل بلدة ولا حظ مثل الشمس حين تسير
فما راعني الا عذارى اجرنني ورب ضعيف تحتمي فيجير
أردت جوار الله والعمر منقض وجاورته في العمر وهو نضير
صبًا ونعيم بين اهل وموطن ولذات دنيا كل ذاك نذور
بهن وما يدرين ما الذنب خشية ومن عجب تخشى الخطيئة حور
اوانس في داج من الدير موحش ولله انس في القلوب ونور
واشبه طهر في النساء بمريم فتاة على نهج المسيح تسير

***

تسائلني هل غير الناس مابهم وهل حدثت غير الامور امور
وهل آثر الاحسان والرفق عالم دواعي الاذى والشر فيه كثير
وهل سلكوا سبل المحبة بينهم كما يتصافى أسرة وعشير
وهل آن من اهل الكتاب تسامح خليق بآداب الكتاب جدير
وهل عالج الاحياء بؤسًا وشقوة وقل فساد بينهم وشرور
قم انظر وانت المالئ الارض حكمة أأجدى نظيم أم افاد نثير
اناس كما تدري ودنيا بحالها ودهر رخيٌّ تارة وعسير
واحوال خلق غابر متجدد تشابه فيها اول واخير
تمر تباعا في الحياة كأنها ملاعب لاترخى لهن ستور
وحرص على الدنيا وميل مع الهوى وغش وافك في الحياة وزور
وقام مقام الفرد في كل امة على الحكم جم يستبد غفير
وحوّر قول الناس مولى وعبده الى قولهم مستأجر واجير
واضحى نفاذ المال لاامر في الورى ولا نهي الا مايرى ويشير
تساس حكومات به وممالك ويذعن اقيال له وصدور

وعصر بنوه في السلاح وحرصه ... علّى السلم يجري ذكرها ويدير
ومن عجب في ظلها وهو وارف ... يصادف شعبا آمنا فيغير
ويأخذ من قوت الفقير وكسبه ... ويؤوي جيوشاً كالحصى ويمير
ولما استقل البر والبحر مذهباً ... تعلق اسباب السماء يطير

احمد شوقي

رثاك امير الشعر في الشرق وانبرى ... لمدحك من كتاب مصر كبير
ولست ابالي حين ارثيك بعده ... اذا قيل عني قد رثاه صغير
فقد كنت عوناً للضعيف وانني ... ضعيف ومالي في الحياة نصير
ولست ابالي حين ابكيك للورى ... حوتك جنان او حواك سعير
فاني احب النابغين لعلمهم ... واعشق روض الفكر وهو نضير
دعوت الى عيسى فضجت كنائس ... وهز لها عرش وماد سرير
وقال اناس انه قول ملحد ... وقال اناس انه لبشير
ولولا حطام رد عنك كيادهم ... لضقت به ذرعاً وساء مصير
ولكن حماك العلم والرأي والحجى ... ومال اذا جد النزال وفير
اذا زرت رهن المحبسين (١) بحفرة ... بها الزهد ثاو والذكاء ستير
وابصرت انس الزهد في وحشة البلى ... وشاهدت وجه الشيخ وهو منير
وايقنت ان الدين لله وحده ... وان قبور الزاهدين قصور
فقف ثم سلم واحتشم ان شيخنا ... مهيب علي رغم الفناء وقور
وسائله عما غاب عنك فانه ... عليم باسرار الحياة بصير
يخبرك الاعمى وان كنت مبصراً ... بما لم تخبر احرف وسطور
كأني بسمع الغيب اسمع كل ما ... يجيب به استاذنا ويحير
يناديك اهلا بالذي عاش عيشنا ... ومات ولم يدرج اليه غرور
قضيت حياة ملؤها البر والتقى ... فانت بأجر المتقين جدير
وسموك فيهم فيلسوفاً وامسكوا ... وما انت الا محسن ومجير
وما انت الا زاهد صاح صيحة ... يرن صداها ساعة ويطير

(١) يريد المعري

سلوت عن الدنيا ولكنهم صبوا ... اليها بما تعطيهم وتمير

حياة الورى حرب وانت تريدها ... سلام واسباب الكفاح كثير

ابت سنة العمران الا تناحراً ... وكدحاً ولو ان البقاء يسير

تحاول رفع الشر والشر واقع ... وتطلب محض الخير وهو عسير

ولولا امتزاج الشر بالخير لم يقم ... دليل علي ان الاله قدير

ولم يبعث الله النبيين للهدى ... ولم يتطلع للسرير امير

ولم يعشق العلياء حر ولم يسد ... كريم ولم يرجو الثراء فقير

ولو كان فينا الخير محضاً لما دعا ... الى الله داع ان تبلج نور

ولا قيل هذا فيلسوف موفق ... ولا قيل هذا عالم وخبير

فكم في طريق الشر خير ونعمة ... وكم في طريق الطيبات شرور

الم تر اني قمت قبلك داعياً ... الى الزهد لا يأوي الي ظهير

اطاعوا ابيكيراً وسقراط قبله ... وخولفت فيما ارتئي واشير

ومت وما ماتت مطامع طامع ... عليها ولا القى القياد ضمير

اذا هدمت للظلم دور تشيدت ... له فوق اكتاف الكواكب دور

افاض كلانا في النصيحة جاهداً ... ومات كلانا والقلوب صخور

فكم قيل عن كهف المساكين باطل ... وكم قيل عن شيخ المعرة زور

وما صد عن فعل الاذى قول مرسل ... ولا راع مفتون الحياة نذير

حافظ ابراهيم

المقتبس

الكواكب السائرة

من المخطوطات في التراجم التي تتصل بطبعها سلسلة تواريخ القرون كتاب الكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة للنجم الغزي ومنه نسخة جيدة في الخزانة الظاهرية بدمشق دخلت في ثلاثة اجزاء وبلغ عدد اوراقها ١٦٤ بالقطع الكامل وفي آخرها جزء رابع جعله المؤلف ذيلا على كتابه هذا وهو خمسون ورقة قال فيه انه الفه لتمام سنة ثلاث وثلاثين بعد الالف وهي السنة التي جاءت بكل عجاب قال وسميته لطيف السمر وقطف الثمر من تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر . وقد كتب الاصل والفرع سنة اثنتين وستين ومئة والف قال المؤلف بعد مقدمة طويلة : واني طالما كنت اتشوق الى تأليف كتاب يجمع تراجم المتأخرين من اهل المئة العاشرة من العلماء الانجاب فلم اجد من تعرض لهذا المعنى او دخل في هذا الباب غير ان الشيخ المحدث النحوي شمس الدين محمد بن طولون الحنفي ألف كتاباً جمع فيه تراجم طوائف من اواخر المئة التاسعة واوائل المئة العاشرة سماها بالتمتع بالاقران.ولم اقف على مجموع هذا الكتاب وانما وقفت على نحو كراسة منه فاستدللت بالصبابة على العباب ووقفت له ايضاً على الجزء الثاني من تاريخه الذي جعله لحوادث الزمان وسماه بمفاكهة الاخوان واوله من مستهل سنة سبع وعشرين وتسعمائة الى ختام سنة احدى وخمسين فرأيته ذكر فيه وفيات من بلغه وفياتهم في تلك المدة لكنه لم يخرج فيه لتراجمهم عن عهده ثم وقفت بعد على الجزء الاول منه فرأيته ابتدأ فيه من اول سنة ثمانين وثمانمائة وهي سنة ميلاده وانتهى فيه الى سنة ست وعشرين وتسعمائة وكنت قد وقفت قبل ذلك على

قطعة من تاريخ كتاب الحافظ العلامة بدر الدين الملائي الحنفي في حوادث القاهرة من سنة سبع عشرة وتسعمائة الى اواخر سنة اربع وثلاثين ثم وقفت عَلَي تعليقة بخط والد شيخنا الشيخ الامام الفقيه ابو الندى شرف الدين يونس العيثاوي الشافعي رحمه الله تعالى علق فيها وفيات شيوخه وبعض اقرانه وترجم اكثرهم فذكر من مآثر كل مترجم مايليق بمقامه ومكانه ثم وقفت علي قطعة صالحة من تاريخ العلامة شهاب الدين احمد الحمصي الخطيب الشافعي الذي ضمنه من مهمات الحوادث والوفيات فاذا هو تاريخ عجيب غير انه سلك فيه مسلك الايجاز والتقريب فدعاني ذلك الى تأليف هذا الكتاب فجمعت فيه من تراجم القوم مايغلو في السوم ويحسن له الانتخاب وتحريت فيه بقدر الطاقة والامكان وجه الحق والصواب وسلكت بين طريقتي الايجاز والاطناب لانه اقرب لتناول المقتصدين وانفع لمن يريد الكشف من احوال المترجمين معتمداً فيما انقله عَلَي خطوط هؤلاء المشايخ اوعَلَي خط من يوثق به من كل ذي قدر في العلم شامخ وقدم في الفضل راسخ او عَلَي ماتلقيته من افواه المعتبرين واخذته عن الفضلاء البارعين مما يدخل في تراجم الاعيان او تاريخ مواليدهم او وفياتهم بحسب الامكان من اهل القرن المذكور من العلماء الاعلام بدمشق المحروسة وحلب وغيرها وبلاد الشام ومن علماء القاهرة والحرمين الشريفين حسبما تيسر لنا مع التحري والاجتهاد في كل مقام وضممت الى ذلك نبذة من تراجم اعيان التخت العثماني ووفيات اعيان الملك السلطاني ممن اتفقت وفياتهم فيما حدث من الزمان منتخباً لذلك من الشقائق النعمانية ومن رحلة والدي المسماة بالمطالع البدرية ومن غيرهما مما بلغني وتحققته وتلقيته عن الثقات وتلقنته واضفت الى ذلك ايضاً من تراجم سلاطين القرن المذكور وملوكه ليتم نظم الكتاب في قلائد عقيانه وسلوكه معتمداً في هذا النوع عَلَي كتاب الاعلام بما في مكة من الاعلام للشيخ العلامة المبرز عن الاقران القطب الحنفي المكي عرف بابن قاضي خان وعَلَي غيره ايضاً مما تيسر لنا الاطلاع عليه في هذا الشأن ثم اني وقفت بعد ذلك عَلَي تاريخ العلامة رضي الدين ابن الحنبلي الحلبي الحنفي المسمى بدر الحبب في تاريخ اعيان حلب وهو كتاب في مجلد ضخم ثخين مشتمل عَلَي الغث والسمين والتافه والثمين وربما فيه بعض التراجم بما لاتعلق له بالمرام وليس له بفن التاريخ التئام وربما اكمل الاسماء لئلا يخلو الحرف من التراجم بنقاش او تاجر او مغن اومطنبر اوعاشق اومعار اوغيرهم من العوام فانتخبت منه تراجم بعض اعيان كتابه وضممتها الى كتابي واعرضت عما لم يقع اختياري عليه مما اتى به وليس في بابه

حسبما قضي به تمييزي وانتخابي لاني وضعت هـذا الكتاب على اسلوب اهل الحديث والاتقان ولم ارسمه كيف اتفق ولا عَلَى اي وضع كان ثم وقفت عَلَى تاريخ مختصر للامام المحدث المسند المعتبر ابي المفاخر عبدالقادر المحيوي ابن النعيمي الشافعي سماه بالعنوان في ضبط مواليد ووفيات اهل الزمان وقد ذيل عليه ولده العلامة المحيوي محي الدين فانتقيت منه مالاغنى لكتابنا عنه ثم وقفت عَلَى طبقات الاولياء الكبرى والوسطى وكلاهما للشيخ القدوة الشعراني عبدالوهاب فانتقيت منه مادخل في شرط كتابي من تراجم الصالحين الانجاب مع ذكرهم الشيخ العلامة الولي المحدث شرف الدين الكناوي من الصالحين ممن يدخل في شروط كتابنا من تراجم المتعينين في شرح منظومته التي جعلها في تقييد اسماء مشاهير الاولياء والعارفين ومع ذكر تراجم اعيان من اخذ عن شيخ الاسلام الوالد من العلماء والصالحين والبارعين ممن يدخل في شرط الكتاب ايضاً ملخصاً لذلك من جزء له كتب فيه تراجم جماعة من طلبته والملازمين فكان كتاباً جامعاً لزبد هذه الامهات ملخصاً لمقاصد جامعيها من العلماء الاثبات وكل ذلك مع توفير القرائن وتهيئة الاسباب وتيسر الجمع والتأليف من قبل الكريم الوهاب وسميته « بالكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة » وقد وقع الاختيار فيه بعد تقديم اسماء المحمدين عَلَى ترتيب حروف المعجم الواقعة في اوائل اسماء المترجمين وعلى تقسيمه الى ثلاث طبقات الطبقة الاولى فيمن وقعت وفاته من اول القرن الى ختام سنة ثلاث وثلاثين الطبقة الثانية فيمن وقعت وفاته من اول سنة اربع وثلاثين الى ختام سنة ست وستين الطبقة الثالثة فيمن وقعت وفاته من اول سنة سبع وستين الى نهاية سنة الف اه ٠

وترجم صاحب خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر المؤلف الغزي في ست ورقات و يؤخذ منها انه ولد سنة ٩٧٧ ونشأ عَلَى شيء من الطلب وله مؤلفات منها هذا التاريخ ومنها شرحه على الفية التصوف لجده وله كتاب في ترجمة والده ٠ وله كتاب التنبيه في التشبيه قال فيه المحبي انه كتاب بديع في سبع مجلدات لم يسبق الى تأليفه وهو ان يذكر ما ينبغي للانسان ما يتشبه به من افعال الانبياء والملائكة والحيوانات المحمودة وما يتشبه من اجتناب مايلزم فعله ٠ وقال انه خاتمة حفاظ الشام وكانت وفاته سنة ١٠٦١ عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة اشهر وانتفع به اناس كثيرون وتلقوا العلم عنه

اليك زبدة ترجمة المؤلف وعصره كما ترى ليس من العصور الراقية في الاسلام ولذلك تراه علي فضل فيه مأخوذاً بمؤثرات عصره يخلط الجيد بالرديء او يشوب الجيد الكثير بهنات لاتليق بمن كان مثله ولكن هو المحيط يعمل في عقل المرء ،الا بعمله كل تعليم وارشاد ٠

خذ مثالاً لذلك مارواه المؤلف من تراجم لاناس تستحي ان تعدهم من العامة لان العامة ارقى منهم عقلاً وديناً ولعمري اي دخل لكتاب في تراجم اعيان قرن ان يدس في جملتهم اناس لاخلاق لهم خرقوا حدود الشريعة بدعواهم خرق العادات وعبثوا بعقول العامة فسرت بدعهم الى الخاصة ٠ قل لنا بابيك اي داع للمؤلف ان يترجم اناساً من البله السخفاء ارباب الجذب مثل ابكر اليمني المجذوب وعبد الله الكردي المجذوب وشعبان المجذوب ومحمد المجذوب وعمر العقيبي المجذوب وابي بكر بن المجنون ومروان المجذوب وذي النون الكملاني المجذوب واحمد ابوطاقية وفرج المصري المجذوب وخميس المجذوب وسويد ابن المجذوب وسويد المجذوب الى غيرهم من المجاذيب والمجانين الذين هم احرى بان يجملوا في دور المعتوهين من ان يحشروا في عداد العلماء العاملين امثال شيخ الاسلام زكريا الانصاري والشيخ حسن البوريني والجلال السيوطي والسيدة عائشة الباعونية وغيرهم ممن كانوا مدار الامة في ذاك القرن

تالله ان شيخ الاسلام زكريا والسيدة الباعونية لايرضيان بان يذكر اسمهما مع اسماء اولئك الذين قضي عليهم باختلال تراكيب ادمغتهم وقضي على الامة بصنع علمائها ان يقدسوهم ويتباركوا بهم فقابلوا ضعف العقول بضعف مثله والخلل بما هو اشد منه عاراً ٠

مانظن عاقلاً يرضى بان يعد في الاولياء سويد المجذوب وهو باقرار المؤلف يتناول الحشيش فيغيب ويهذي ومثله تلك الطبقة من المجاذيب والمجانين وشيخنا المؤلف يقول للناظرين في كتابه اعتقدوا كما اعتقد بهؤلاء السخفاء

وعلى ذلك فالكتاب ليس من الكتب المنقحة لان المؤلف لم يشتغل بعلم التاريخ اشتغاله مثلاً بعلم الحديث ولذلك كان كحاطب ليل في بعض صفحات كتابه ٠ وماذا تفيد الامة ترجمة محمد بن مبارك القابوني مثلاً الذي ترجمه بانه كان رئيساً في عمل الموالد اندي الصوت حسنه بعيد النفس عارفاً بالموسيقى الا انه كان عامياً يلحن وكان احد المؤذنين المشهورين بالجامع الاموي ورئيس المؤذنين بالدرويشية والسبائية ٠

ان نفس القارىء تثلج اذا قرأت ترجمة علي بن ميمون مثلاً وكان بعض اهل عصره يعتقدون فيه الخير والصلاح وهو عَلَى جانب من العلم فما ذا يضر مؤلفنا لو كان اقتصر عَلَى التعريف بمثله و بغيره من العلماء واطرح من عداهم ممن لاغناء فيهم الاتكبير حجم الكتاب وتلويثه بتلك الهنات ربما لايقع كلامنا هذا الموقع المقبول من قلوب بعض من يحبون ان يحسنوا ظنهم بعباد الله اما المؤرخ والاجتماعي فلا يقنعه من الخلق ان يذكروا كلهم بالمحمدة على قاعدة التساوي فيختلط صالحهم بطالحهم وعاقلهم بمجنونهم بل لايرضى الا ان يقدر كل واحد وما يعمل فقد قيل في بعض الآثار اذكروا الفاسق بما فيه وقيمة كل امرىء ما يحسنه ·

ان القول بخرق العادة وتعدي نظام الطبيعة ليس هذا محل الجدال فيه وعلماء الاسلام انفسهم عَلَى اختلاف بينهم فيه ومنهم من تكلم مجمجاً ومنهم من آثر السكوت والسكوت قد يضر في مثل هذه المواطن · اما كرامات الاولياء التي ينسبها بعض احبابهم لهم وهم لايدعونها عَلَى الاغلب عَلَى نحو مانسبوا امورا للجيلي والرفاعي وغيرهما من العلماء فانها تدخل في باب خرق العادة وهذه لاينقل اخبارها الا من يحلمون بها في منامهم و يقظتهم فاذا كان البشر نسبوا الى اناس عرفت ترجمتهم عَلَى مايجب اموراً لم يأتوا بها ولاقالوها فما هم احرياء ان يلبسوا مع ضعف المدارك عَلَى بعض الصالحين كرامات لم تخطر لهم في بال وهاك الآن ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية [١] في هذا المعنى فهو اصرح ماقرأناه وعساه يقف عنده المعتقدون ولا يفوتهم ان كل من قرأ قوانين الوجود وزكن معنى خرق العادة يستحيل عليه ان يؤمن بما نفاه علماء الاسلام حتى في القرون الوسطى قال ابن تيمية :

ومن اظهر الولاية وهو لايؤدي الفرائض ولايجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لاحد ان يقول هذا ولي الله فان هذا ان لم يكن مجنونًا بل كان متولهًا من غير جنون اوكان يغيب عقله بالجنون تارة و يفيق اخرى وهو لا يقوم بالفرائض بل يعتقد انه لايجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر وان كان مجنونًا باطنًا وظاهراً قد ارتفع عنه القلم · وقال نقلاً عن الشيخ ابي سليمان الدارني انه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال ابو القاسم الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن و يكتب الحديث لا يصلح له

(١) الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان

اليك زبدة ترجمة المؤلف وعصره كما ترى ليس من العصور الراقية في الاسلام ولذلك تراه على فضل فيه مأخوذاً بمؤثرات عصره يخلط الجيد بالرديء او يشوب الجيد الكثير بهنات لاتليق بمن كان مثله ولكن هو المحيط يعمل في عقل المرء .الا بعمله كل تعليم وارشاد .

خذ مثالاً لذلك ماارواه المؤلف من تراجم لاناس تستحي ان تعدهم من العامة لان العامة ارقى منهم عقلاً وديناً ولعمري اي دخل لكتاب في تراجم اعيان قرن ان يدس في جملتهم اناس لاخلاق لهم خرقوا حدود الشريعة بدعواهم خرق العادات وعبثوا بعقول العامة فسرت بدعهم الى الخاصة . قل لنا بابيك اي داع للمؤلف ان يترجم اناساً من البله السخفاء ارباب الجذب مثل ابكر اليمني المجذوب وعبد الله الكردي المجذوب وشعبان المجذوب ومحمد المجذوب وعمر العقيبي المجذوب وابي بكر بن المجنون ومروان المجذوب وذي النون الكملاني المجذوب واحمد ابوطاقية وفرج المصري المجذوب وخميس المجذوب وسويد ابن المجذوب وسويد المجذوب الى غيرهم من المجاذيب والمجانين الذين هم احرى بان يجعلوا في دور المعتوهين من ان يحشروا في عداد العلماء العاملين امثال شيخ الاسلام زكريا الانصاري والشيخ حسن البوريني والجلال السيوطي والسيدة عائشة الباعونية وغيرهم ممن كانوا منار الامة في ذاك القرن

تالله ان شيخ الاسلام زكريا والسيدة الباعونية لايرضيان بان يذكر اسمهما مع اسماء اولئك الذين قضي عليهم باختلال تراكيب ادمغتهم وقضي على الامة بصنع علمائها ان يقدسوهم ويتباركوا بهم فقابلوا ضعف العقول بضعف مثله والخلل بما هو اشد منه عاراً .

مانظن عاقلاً يرضي بان يعد في الاولياء سويد المجذوب وهو باقرار المؤلف يتناول الحشيش فيغيب ويهذي ومثله تلك الطبقة من المجاذيب والمجانين وشيخنا المؤلف يقول للناظرين في كتابه اعتقدوا كما اعتقد بهؤلاء السخفاء

وعلى ذلك فالكتاب ليس من الكتب المنقحة لان المؤلف لم يشتغل بعلم التاريخ اشتغاله مثلاً بعلم الحديث ولذلك كان كحاطب ليل في بعض صفحات كتابه . وماذا تفيد الامة ترجمة محمد بن مبارك القابوني مثلاً الذي ترجمه بانه كان رئيساً في عمل الموالد ! ندي الصوت حسنه بعيد النفس عارفاً بالموسيقى الا انه كان عامياً يلحن وكان احد المؤذنين المشهورين بالجامع الاموي ورئيس المؤذنين بالدرويشية والسبائية .

ان نفس القاريء تثلج اذا قرأت ترجمة علي بن ميمون مثلاً وكان بعض اهل عصره يعتقدون فيه الخير والصلاح وهو عَلَى جانب من العلم فما ذا يضر مؤلفنا لو كان اقتصر عَلَى التعريف بمثله و بغيره من العلماء واطرح من عداهم ممن لاغناء فيهم الاتكبير حجم الكتاب وتلويثه بتلك الهنات ربما لا يقع كلامنا هذا الموقع المقبول من قلوب بعض من يحبون ان يحسنوا ظنهم بعباد الله اما المؤرخ والاجتماعي فلا يقنعه من الخلق ان يذكروا كلهم بالمحمدة على قاعدة التساوي فيختلط صالحهم بطالحهم وعاقلهم بمجنونهم بل لا يرضى الا ان يقدر كل واحد وما يعمل فقد قيل في بعض الآثار اذكروا الفاسق بما فيه وقيمة كل امريء ما يحسنه .

ان القول بخرق العادة وتعدي نظام الطبيعة ليس هذا محل الجدال فيه وعلماء الاسلام انفسهم عَلَى اختلاف بينهم فيه ومنهم من تكلم مجمجاً ومنهم من آثر السكوت والسكوت قد يضر في مثل هـذه المواطن . اما كرامات الاولياء التي ينسبها بعض احبابهم لهم وهم لا يدعونها عَلَى الاغلب عَلَى نحو مانسبوا امورا للجيلي والرفاعي وغيرهما من العلماء فانها تدخل في باب خرق العادة وهذه لا ينقل اخبارها الا من يحلمون بها في منامهم و يقظتهم فاذا كان البشر نسبوا الى اناس عرفت ترجمتهم عَلَى مايجب اموراً لم يأتوا بها ولاقالوها فماهم احرياء ان يلبسوا مع ضعف المدارك عَلَى بعض الصالحين كرامات لم تخطر لهم في بال وهاك الآن ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية [1] في هذا المعنى فهو اصرح ماقرأناه وعساه يقف عنـده المعتقدون ولا يفوتهم ان كل من قرأ قوانين الوجود وزكن معنى خرق العادة يستحيل عليه ان يؤمن بما نفاه علماء الاسلام حتى في القرون الوسطى قال ابن تيمية :

ومن اظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لاحد ان يقول هذا ولي الله فان هذا ان لم يكن مجنونًا بل كان متولهًا من غير جنون اوكان يغيب عقله بالجنون تارة و يفيق اخرى وهو لا يقوم بالفرائض بل يعتقد انه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر وان كان مجنونًا باطنًا وظاهراً قد ارتفع عنه القلم . وقال نقلاً عن الشيخ ابي سليمان الداراني انه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال ابو القاسم الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن و يكتب الحديث لا يصلح له

(١) الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان

ان يتكلم في علمنا او قال لايقتدى به وقال ابو عثمان النيسابوري من امر السنة عَلَى نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى عَلَى نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة لان الله تعالى يقول في كتابه القديم « وان تطيعوه تهتدوا » .

وقال : تجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله انه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الامور او بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل ان يشير الى شخص فيموت او يطير في الهواء الى مكة اوغيرها او يمشي على الماء احياناً او يملأ ابريقاً من الهواء او ينفق بعض الاوقات من الغيب او ان يختفي احياناً عن اعين الناس او ان بعض الناس استغاث به وهو غائب اوميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته او يخبر الناس بما سرق لهم او بحال غائب لهم اومريض اونحو ذلك من الامور وليس في شيء من هذه الامور مايدل عَلَى ان صاحبها ولي لله بل قد اتفق اولياء الله على ان الرجل لوطار في الهواء اومشى عَلَى الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لامره ونهيه وكرامات اولياء الله تعالى اعظم من هذه الامور الخارقة للعادة وان كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين واهل الكتاب والمنافقين وتكون لاهل البدع وتكون من الشياطين فلا يجوز ان يظن ان كل من كان له شيء من هذه الامور انه ولي لله بل يعتبر اولياء الله بصفاتهم وافعالهم واحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة و يعرفون بنور الايمان والقرآن وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة مثال ذلك ان هذه المذكورة وامثالها قد توجد في اشخاص و يكون احدهم لايتوضأ ولايصلي الصلوات المكتوبة بل يكون ملابساً للنجاسات معاشراً للكلاب يأوي الى الحمامات والقامين والمقابر والمزابل رائحته خبيثة لايتطهر الطهارة الشرعية ولايتنظف الخ

وبعد هذا ننقل للقارىء نموذجاً من ترجمة المؤلف لرجل جليل في عصره وهو علي بن ميمون دفين مجدل معوش من اعمال شوف لبنان نورده بدون تذييل عليه ليستنتج القارىء لنفسه ان تلك الكرامات التي ينسبها المؤلف للمترجم به لم يقل هو بها بل ادعاها له احبابه ومريدوه ومعظمهم قد يكونون مأخوذين بحبه لاينظرون الى الواقع الا من وجه واحد قال المؤلف مانصه :

علي بن ميمون بن ابي بكر بن علي بن ميمون بن ابي بكر بن يوسف بن اسمعيل بن ابي بكر بن عطاء الله بن ميمون بن سليمان بن يحيى بن نصر يوسف بن عبد الحميد بن

بلتززواز روق (؟) بن. وسكرن بن عربه بن هلال بن محمد بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم كذا باقي النسب في ترجمته لابن طولون الشيخ المرشد المربي القدوة الحجة ولي الله تعالى العارف به السيد الشريف الحسيب النسيب ابو الحسن ابن ميمون الهاشمي القرشي المغربي الغاري الفاسي اصله كما قال ابن طولون من جبل غارا بالغين المعجمة من معاملة فاس . وقال الشيخ موسى الكناوسي اصله من غمارة وسكن مدينة فاس واشتغل بالعلم ودرس ثم تولى القضاء ثم ترك ذلك ولازم الغزو على السواحل وكان رأس العسكر ثم ترك ذلك ايضاً وصحب مشايخ الصوفية ومنهم الشيخ عرفة القيرواني فارسل الشيخ عرفة الى ابي العباس احمد التوزي الدباسي ويقال التباسي بالتاء ومن عنده توجه الى المشرق قال الشيخ موسى دخل ببيروت في اول القرن العاشر وكان اجتماع سيدي محمد بن عراق به اولاً هناك ولما دخل بيروت مكث ثلاثة ايام لم يأكل شيئاً فاتفق ان ابن عمران كان هناك واتى بطعام فقال لبعض جماعته ادع لي ذلك الفقير فقام السيد علي بن ميمون واكل وقال ابن عراق لاصحابه قوموا بنا نزور الامام الاوزاعي فصحبهم ابن ميمون لزيارته ففي اثناء الطريق لعب ابن عراق على جواده كعادة الفرسان فعاب عليه السيد علي ابن ميمون فقال له اتحسن لعب الخيل اكثر مني قال نعم فنزل ابن عراق عن فرسه فتقدم اليها سيدي علي فحل الحزام وشده كما يعرف وركب ولعب على الجواد فعرفوا مقداره في ذلك ثم انفتح الامر بينهما الى ان اشهر الله تعالى الشيخ علي بن ميمون وصار من امره ما صار .

قال الشيخ موسى كذا اخبرني علي الغرياني المغربي عن شيخه علي الكيزواني عن سيدي محمد بن عراق وقال في الشقائق اذ دخل القاهرة وحج منها ثم دخل البلاد الشامية وربى كثيراً من الناس ثم توطن بمدينة بروسا ثم رجع الى البلاد الشامية وتوفي بها قال وكان لايخالف السنة حتى نقل عنه انه قال : لو اتاني السلطان ابو يزيد بن عثمان لا اعامله الا بالسنة . وكان لايقوم للزائرين ولايقومون واذا جاءه احد من اهل العلم يفرش له جلدة شاة تعظيماً له وكان قوالا بالحق لايخاف في الله تعالى لومة لائم وكان له غضب شديد اذا رأى في المريدين منكراً يضربهم بالعصا قال وكان لايقبل وظيفة ولا هدايا الامراء والسلاطين وكان مع ذلك يطعم كل يوم عشرين نفساً من المريدين وله احوال كثيرة ومناقب عظيمة انتهى

وكان من طريقته ماحكاه عنه سيدي محمد بن عراق في كتاب السفينة انه لايرى لبس الخرقة ولا الباسها وذكر الشيخ علوان رضي الله تعالى عنه انه كان لايرى الخلوة ولا يقول بها وكان اذا بلغه ان احداً سبه او ذمه ونسبه الى جهل اوفسق او بدعة يتأول مايتأول عنه وكان يقال عنه كناز وكيماوي ومطالبي فيقول : نعم انا كناز وعندي كنز عظيم ولكن لايطلبونه ولايسألوني عنه وانا كيماوي ولكن لايطلبون ماعندي من الكيميا وانا مطالبي وعند مطلب نفسي مزهود فيه ويشير الى كنز العلم ومطلب المعرفة وكيمياء الحقيقة وكان كثيراً مايقول جواب الزفوت السكوت ٠

ومن وصاياه اجعل تسعة اعشارك صمتاً وعشرك كلاماً ٠ وكان يقول الشيطان لاوحي وفيض فلا تغتروا بما يجري بنفوسكم وعَلَى السنتكم من الكلام في التوحيد والحقائق حتى تشهدوا من قلوبكم ٠ وكان اذا اتاه متظلم من الحكام يقول : له اصلح حالك مع الله فمن اصلح مابينه وبين الله اصلح الله مابينه وبين خلقه وكان ينهى اصحابه عن الدخول بين العوام وبين الحكام ويقول ما رأيت لهم مثلا الا الفار والحيات فان كلاً منهما مفسد في الارض فالحيات مسلطة عَلَى الفار والفار مسلطة عَلَى الناس وكذلك العوام سلط بعضهم عَلَى بعض فسلط الله تعالى الحكام عليهم وكما انه لابد ان يسلط عَلَى الحية قاتلاً يقتلها او يأتيها اجلها سلط عَلَى الظالم ظالماً آخر وكان شديد الانكار عَلَى علماء عصره وكان يسمي القضاة القصاة والمشايخ المسالخ والفقيه الفقيع من فقع اللبن اذا فسد ٠ وكان من كلامه لاينفع الدار الا مافيها وكان يقول ايضاً لاتشتغل بعد اموال التجار وانت مفلس ٠ وكان يقول اسلك ما سلكوا تدرك ما ادركوا ٠ وكان يقول لاتخلطوا الحقائق ويستدل بقوله تعالى « ولاتلبسوا الحق بالباطل » وكان يقول عجبت لمن يقع عليه نظر المفلح كيف لايفلح ٠ قلت وهو منقول عن سيدي احمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه ٠

وكان يقول يبصر احدكم القذاة في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عينه قلت هو حديث رواه الامام احمد من طريق ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه يبصر احدكم القذى في عين اخيه وينسى الجذع في عينه وكان يقول كنزك تحت جدارك وانت تطلبه من عند جارك

وله كلام غير هذا وله من المؤلفات شرح الاجرومية عَلَى طريقة الصوفية وكتاب غربة الاسلام في مصر والشام وما والاها من بلاد الروم والاعجام ورسائل عدة منها

بيان فضل خيار الناس والكشف عن مكر الوسواس ورسالة الاخوان من اهل الفقه وحملة القرآن وكشف الافادة في حق السيادة ومواهب الرحمن وكشف عورات الشيطان وتذكرة السالكين وتذكرة المريد المنيب باخلاق اصحاب الحبيب كذا في ترجمته لابن طولون ومنها رسالة لطيفة سماها تنزيه الصديق عن وصف الزنديق ترجم فيها الشيخ محي الدين بن العربي وذكر في اولها ان سبب تأليفها انه دخل دمشق في سنة اربع وتسعين وثمانمائة فسمع عن بعض اهلها استنقاص الشيخ محي الدين بعد ان زار الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفدي بها في شعبان من هذه السنة وهو الذي عرفه بابن العربي وبمقامه في الصالحية قال وكنت اسمع به في المغرب ولا ادري من حاله سوى انه من اهل العلم والخير فقصدت زيارته فانتهيت الى حمام [1] يقال له حمام الجورة فسألت من الحمامي ان يفتح لي باب مقامه فصعد من بعض الجدران وفتح لي باب مقامه فوجدته ليس فيه اثر العواد وفيه عشب يابس يدل على ان احداً لا يأتيه الى ان قال ثم قعدت عند قدميه الكريمتين كما ينبغي بل اقول قعدت على سوء الادب اذ هو ان اقف خارج المقام بالكلية في مقام السائل المفتقر لكن اخطأت واسأل الله تعالى بلطفه ان يتوب علي من ذلك قال رأيت في مشهد قبره عند رأسه حجراً مكتوباً فيه قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك » الآية فعند ذلك قوي نور اعتقادي في الشيخ وتزايد نوراً على نور حتى ملأ ظاهري وباطني وكنت قصدت بلاد ابن عثمان رجاء الجواز من هناك الى المغرب فدخلت برصة غرة المحرم سنة خمس وتسعين فلما كان سنة تسع وتسعمائة خطر بنا الى تقييد بعض كلمات في اظهار شيء من محمود صفاته

«١» وذكر علي بن ميمون في رسالة له مخطوطة اسمها تنزيه الصديق عن وصف الزنديق مايشبه هذه القصة وقال انه قصد صالحية دمشق سنة اربع وتسعمائة ليزور الشيخ الاكبر فلم يجد من يوصله اليه لشدة خوف العامة من ظلم الفسقة الخاصة المنتقدين وانه سأل عن مقامه فذكر له بالنعت من بعيد وقيل له اسأل على موضع كذا فاذا وصلته فستجد هناك حماماً فهو في جواره قال ثم اتيت حتى انتهيت الى الحمام فسألت الحمامي ان يفتح لي الباب لادخل الى المقام واشاهد القبر فتحيل الحمامي وصعد من بعض الجدارات وفتح باب المقام الخ

ويستدل من هذه القصة ان قبر الشيخ محي الدين بن العربي كانت تحظر زيارته في القرن العاشر على نحو مايزار الآن ويبالغ العامة وبعض الخاصة في التلطف بزيارته فاين هذا مما عليه العامة الآن من شد الرحال اليه كل اسبوع فتأمل

ثم ذكر رحمه الله تعالى ترجمة الشيخ ابن العربي رضي الله تعالى عنه ودل هذا الكلام منه على انه كان له اعتقاد زائد في ابن العربي وهو مما عليه اعيان المتأخرين من العلماء المحققين والصوفية المتعمقين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ودل هذا الكلام منه ايضاً انه رضي الله تعالى عنه دخل دمشق قبل القرن العاشر وذكر سيدي محمد بن عراق رضي الله تعالى عنه في كتاب السفينة ان سيدي علي بن ميمون دخل دمشق سنة اربع وتسعمائة وذكر ابن طولون في تاريخه مفاكهة الاخوان ان سيدي علي ابن ميمون اول مادخل دمشق دخل في اواخر سنة اثنتي عشرة وتسعمائة فهرع الناس اليه للتبرك به ونزل بحارة السكة بالصالحية وصار يعمل بها ميعاداً و يرشد الناس

وممن صعد اليه للاخذ عنه الشيخ عبدالنبي شيخ المالكية والشيخ شمس الدين بن رمضان شيخ الحنفية وسلكا على يديه وخلف انتهى ولاتنافي بين هذا و بين ماتقدم لان ماذكره ابن طولون هو مبلغ علمه اذ لم يعلم بقدمة ابن ميمون الاولى والثانية حتى ذكر هذا الكلام وايضاً فان سيدي علي بن ميمون لم يشتهر في بلاد الغرب بالعلم والمشيخة والارشاد الا بعد رجوعه من الروم الى حماة سنة احدى عشرة ومكث بها مدة طويلة ثم قدم منها الى دمشق في سابع عشرى رجب سنة ثلاث عشرة وتسعمائة كما ذكره سيدي محمد ابن عراق في سفينته وتقدم في ترجمة ابن عراق من هذا الكتاب

قال ابن عراق واقام يعني شيخه ابن ميمون في قدمته هذه ثلاث سنوات وخمسة اشهر واربعة عشر يوماً يربي و يرشد و يسلك و يدعو الى الله تعالى ترَّ (كذا) سيدي الشيخ عبد النبي مفتي المالكية وسيدي محمد بن رمضان مفتي الحنفية وسيدي احمد بن سلطان كذلك وسيدي عبدالرحمن الحوري مفتي الشافعية وسيدي اسماعيل الدنابي خطيب جامع الحنابلة وابو عبدالرحمن قيم الجامع وسيدي عيسى القباقبي المصري وسيدي احمد بن الشيخ حسن وجاره حسن الصواف وسيدي الشيخ داود العجمي انتهى

قلت وكان ممن اصطحب به شيخ الاسلام الجد رضي الله تعالى عنه وكان يحضر سيدي علي بن ميمون درسه ومجالسه فكان الجد رضي الله تعالى عنه يقول لابن ميمون حين يحضر عنده ياسيدي علي امسك لي قلبي امسك لي قلبي

وممن اجتمع به شيخ الاسلام الوالد وكان يومئذ في سن الثمان اوالتسع لكنني لم اتحقق عنه انه اخذ شيئاً ولم يأخذ عنه ... ن شيخنا الشيخ حسن الصلتي المقري يذكر انه رأى سيدي علي ابن ميمون وحضر مجالسه فعلى هذا يكون بحمدالله قد صحبنا في طريق الله تعالى من صحبه ٠

ومن كراماته انه حصلت بين رجلين من الفقراء المتجردين عنده منافرة فخرج احدهما عَلَى وجهه فسمع الشيخ بذلك فقال لمن كان السبب في ذلك اما ان تأتي به واما ان تذهب عني فلم يلبث يسيراً الا والذي خرج على وجهه قد دخل عَلَى الشيخ وهو يبكي وذكر ان الشيخ تشكل له في صورة اسد وكان كلما توجه الى طريق منعه من سلوكها ·

ومن كراماته ان المطر حبس بدمشق في سنة ثلاث عشرة وتسعمائة فكتب سيدي علي بخطه درجًا الى نائب دمشق سيباي فحضر النائب بالدرج الى الجامع الاموي في يوم الجمعة رابع رمضان فقرأه عَلَى مفتي دار العدل السيد كمال الدين بن حمزة وقضاة القضاة الثلاثة الشافعي ابن فرفور والمالكي خيرالدين والحنبلي شمس الدين بن مفلح فاذا فيه آيات من القرآن العظيم واحاديث من السنة في التحذير من الظلم ثم انتقل الى الفقهاء والقضاة فحذرهم من اكل مال الاوقاف ثم حث عَلَى الاستغفار وذكر مايتعلق بذلك ومن نقل ذلك من السلف بحيث ان سيباي ذرف دمعه فهم في اثناء قراءة الدرج وقع المطر وجاء الله تعالى بالغيث كذلك ذكر هذه الواقعة ابن طولون وانا لاشك في انها كرامة ظاهرة وانتقد ابن طولون على الدرج المذكور ان صاحب الترجمة تعرض فيه لذكر الشيخ تقي الدين بن قاضي عجلون ولذكر غيره ولامهم فيه عَلَى ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانا اقول لاانتقاد عليه في ذلك اصلا فانه اراد النتيجة فاعلن ان الفتنة التي وقعت بين التقوي ابن قاضي عجلون وابن اخته السيد كمال الدين وبقية اعيان دمشق بسبب هدم التربة كما تقدم شرحها في ترجمة السيد وغيرها ايضًا انما كانت بسبب توجه سيدي علي بن ميمون بقلبه عليهم وتكدر خاطره ويؤيد ذلك ان هدم التربة المذكورة كان في ثالث رمضان المذكور ثم استفتي الشيخ تقي الدين في هذه الايام في هذه الوقعة وافتى بعدم الهدم ثم هاجت الفتنة بعد ذلك وانتشر شرها وتطاير شررها حتى طلب الشيخ تقي الدين وابن اخته قاصرون الى السلطان الغوري بمصر وصودر باموال كثيرة ولاحول ولاقوة الا بالله

ثم رأيت ابن طولون ترجم سيدي علي بن ميمون في التمتع بالاقران وذكر من مصنفاته بيان فضل خيار الناس والكشف عن منكر الوسواس والرسالة الميمونية في توحيد الجرومية وبيان غربة الاسلام ورسالة الاخوان من اهل الفقه وحملة القرآن وكشف الافادة في حسن السيادة ومواهب الرحمن في كشف عورات الشيطان وغير ذلك وقال قدم دمشق فتلقاه الشيخ عبد النبي وانزله بحارة السكة بالصالحية وهرع الناس للسلام عليه

طلبة العلم والفضلاء والعلماء والقضاة والامراء وصار يسأل كلاً عن اسمه و ينهاه عن ذكر اللقب ان ذكره ثم عن حرفته و يوصيه بتقوى الله تعالى ثم يوجه نفسه الى القبلة و يرفع يديه الى وجهه و يقرأ له الفاتحة و يدعو له و يصرفه وان رأى في ملبسه شيئاً منكراً ذكره .

قال ثم عقد للتسليك مجلساً في منزله فتلمذ له خلق من المذاهب الاربعة كالشيخ عبد النبي من المالكية والشمس بن رمضان من الحنفية والشهاب ابن مفلح من الحنابلة والزين الحموري من الشافعية وآخر من تسلك على يديه منهم القاضي ابو عبدالله محمد ابن عراق وشاع ذكره وبعد صيته وصار كلامه مسموعاً عند الامراء خصوصاً نائب الشام سيباي ولهم فيه اعتقاد زائد

ثم قال ابن طولون اجتمعت به وسلمت عليه ثم ترددت الى مجلسه فما رأت عيني اعظم شأناً منه لكنه كان يستنقص الناس وقال احياناً ما رأيت في هذه المملكة اعلم من ابن حبيب الصفدي قال وكان ابن حبيب مشهوراً بمحبة ابن العربي ويتبجح بها انتهى .

قلت وما ذكره عنه انه كان يستنقص الناس هذا انما كان من سيدي علي بن ميمون على سبيل التنهيض لمن يستنقصه و ينكر عليه لا على سبيل احتقار الناس واستصغارهم وتأييد نفسه عليهم

ومن كرامات ابن ميمون رضي الله تعالى عنه ما ذكره الشيخ علوان في شرح تائية ابن حبيب ان رجلاً من اعيان دمشق وفضلائها في العلم والتدريس قال بلغني انه تفرس فيه ان لا يكون منه نتيجة وكان ذلك بعد ان تجرد ذلك الرجل وارتكب انواعاً من الرياضة والمجاهدات وحكى سيدي محمد بن سيدي علوان في تحفته قال اخبرني شفاهاً جمع ممن سكن قرية مجدل معوش التي هي قرية الشيخ وقبره فيها انه كان في جوارهم وفي قريتهم كروم قد يبست اغصانها وفسدت عروقها وتعطلت بالكلية فمذ دخل الشيخ المذكور تلك الاراضي عادت الاراضي المجدبة مخصبة وعادت اشجار العنب المذكورة ايضاً الى احسن مايكون واينعت ثمارها قال وهي مستمرة من ذلك الى الآن الى هذا الزمان ولم يعرف ذلك الا من بركته .

وذكر ايضاً ان بعض اهل العلم حكى له وقد توجه لزيارة قبر سيدي علي بن ميمون رضي الله تعالى عنه في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة فقال ان من غريب كرامات من انتم متوجهون لزيارته ماشاهدته بعيني ذلك ان رجلاً من الاجناد ارسل كلباً قال او صقراً على غزال فركضت الغزال حتى جاءت الى الارض التي هو مدفون فيها فدخلها واجتمعت

في ظل الشيخ فقيل للجندي دعها فانها قد فعلت فعل العائذ بقبر الشيخ فلم يلتفت الى مقالتهم وجاء اليها وهي قائمة فلم تبرح من مكانها حتى امسكها الجندي بيده وذبحها واكل من لحمها فلما فرغ من اكله اخذه وجع في بطنه واستمر حتى مات من ليلته فلما غسل كان لحمه على المغتسل متقطعاً قطعاً حتى كأنه اكل شيئاً مسموماً قالت فعلمت انا وغيري ان ذلك كله من بركة الشيخ انتهى ·

وكان سبب انتقال سيدي علي بن ميمون من دمشق الى مجدل معوش وهي قرية من معاملة بيروت انه دخل عليه وهو بصالحية دمشق قبض واستمر ملازماً له حتى ترك مجلس التأديب واخذ يستفسر عن الاماكن التي في بطون الاودية ورؤوس الجبال حتى ذكر له سيدي محمد بن عراق مجدل المعوش فهاجر اليها في ثاني عشر المحرم سنة سبع عشرة وتسعمائة قال سيدي محمد بن عراق ولم يصحب غيري والولد علي وكان سنه عشر سنين وشخصاً آخر عملا بالسنة واقمت معه خمسة اشهر وتسعة عشر يوماً وتوفي ليلة الاثنين حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بها في ارض موات بشاهق جبل حسبما اوصى به قال ودفن بعده خارج حضرته المشرفة رجلان وصبيان وامرأتان وايضاً امرأتان وبنتان الرجلان محمد المكناسي وعمر الاندلسي والصبيان عبد الله وكان عمره ثلاث سنين وموسى بن عبدالله التركماني وامرأتان ام ابراهيم وبنتها عائشة زوجة الذعري والمرأتان الآخرتان مريم القدسية وفاطمة الحموية وسألته عند وفاته عن امور منها اين اجعل دار هجرتي فقال : مكان يسلم فيه دينك ودنياك ثم تلا قوله تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة » الآية وقال ابن طولون في حوادث سنة سبع عشرة وتسعمائة من تاريخه ويوم الجمعة تاسع عشريه يعني جمادى الآخرة بعد صلاتها بالجامع الاموي نودي بالسدة بالصلاة غائبة على الشيخ العالم السيد علاء الدين علي بن ميمون المغربي · قال وقد صح انه توفي ليلة الخميس حادي عشره بتل بالقرب من مجدل معوش وبه دفن انتهى · ولم يختلف قول سيدي محمد بن عراق في السفينة وقول ابن طولون والشيخ موسى الكناوي ان سيدي علي بن ميمون توفي في ليلة الحادي عشر من جمادى الآخرة غير ان في كلام ابن طولون انه كان يوم الخميس وتقدم انه كان يوم الاثنين وقول ابن طولون اصح لانه ارخ هو والحمصي وغيرهما مستهل جمادى المذكورة انه كان يوم الاثنين فيكون حادي عشرة يوم الخميس بلا شك رحمه الله تعالى اه »

ميزان المقادير في تبيان التقادير

تتمة ما ورد في الجزء الماضي

والقسم الثالث الذي يعتبر فيه المساحة الجسمية الكر المساحي من الماء

فهو كما انه مقدر بالوزن كما مر مقدر بالمساحة ايضاً واقوال فقهائنا رضوان الله عليهم فيه اربعة . الاول سبعة وعشرون شبراً مكعباً حاصل ضرب ثلاثة عرضا في ثلاثة طولاً في ثلاثة عمقا واليه ذهب الصدوقان وباقي القميين وهو ظاهر بن طاوس وصريح العلامة في المختلف واليه مال بعض المتأخرين ايضاً كالشيخ علي رحمه الله في حاشية المختلف والثاني اثنان واربعون شبراً وسبعة اثمان شبر حاصل ضرب ثلاثة ونصف عرضاً في ثلاثة ونصف طولا في ثلاثة ونصف عمقاً واليه ذهب الاكثر وهو المشهور والثالث نحو مائة شبر واليه ذهب ابن الجنيد والمراد في هذه الثلاثة بلوغه المقادير المذكورة اذا ضرب بعض الابعاد في بعض ومثلوا بالمكعب لتسهيل الفهم والرابع مابلغ مجموع ابعاده عشراً ونصفا . وليس المراد الضرب واليه ذهب القطب الراوندي [1] وعلى هذا القول ليس له قدر معين لابحسب المساحة ولابحسب الوزن و يكون له افراد مختلفة غيرمتناهية بعضها منطبقة على بعض المذاهب الباقية وزنا او مساحة ونسبوا الى القولين الاخيرين في تقدير الكر الشذوذ ولزم على [2] الاخير ان يكون كف من الماء بل اقل اذا انبسط فيما

(١) قال الشيخ بهاء الملة والدين في الحبل المتين وانت خبير بان صدور مثل هذا التحديد العظيم الاختلاف الشديد التفاوت عن القطب الراوندي رحمه الله لايخلو عن غرابة والذي يظهر ان مراده طاب ثراه ان الكر هو الذي لو تساوت ابعاده الثلاثة لكان مجموعها عشرة اشبار ونصفاً وحينئذ ينطبق كلامه على المذهب المشهور والله اعلم بحقائق الامور (منه)

(٢) قوله ولزم على الاخير ان يكون الخ لايخفى انه لاينتهي الكر في القلة على هذا القبول حدا لايكون اقل منه كما يظهر بالتأمل فتأمل فيما نقل الشيخ بهاء الملة والدين في الحبل المتين عن الشهيد الثاني ان ابعد العروض عنها مالوكان كل من عرضه وعمقه شبرا وطوله عشرة اشبار ونصفا واعترض عليه بوجود ماهو ابعد منه كما لوكان طوله

يبلغ طوله وعرضه عشرة اشبار ونصف زائداً على الكر . وحوض مربع كل من ابعاده ثلاثة اشبار ناقصا عنه وهذا بعيد جدا هذا مااردنا ايراده من التفصيلات والآن نسوق الكلام في التتميات وبالله التوفيق

(تتميم) اعلم ان الشيخ في آخر القانون ذكر بعض الاكيال والاوزان المعروفة في اليونانية نافلا بعضها من كناش ساهر وبعضها من كناش ابن سرابيون وقد نقلنا عنه في هذه الرسالة مايحتاج اليه في الجملة حسبما اقتضاه التعريف وطرحنا اكثرها لوجوه الاول انها كانت عَلَى اللغة اليونانية الغير المعروفة في هذه الازمان ولا فائدة في تطويل الرسالة بذكرها الا لفهم بعض مافي الكتب الطبية مما نقل بعينه عن اليونانية وكذا بالفصل الذي ذكره في آخر القانون لتلك الفائدة ومع لايكون لذكرها في تلك الرسالة كثير فائدة والثاني ان نسخ القانون كانت مختلفة في اكثرها وفي تحقيق اللغات اليونانية وتصحيحها عَلَى وجه يطمئن الخاطر عسر تام وفي نقلها بصورتها من غير تصحيحها مسخ غير مفيد . الثالث ان بعضها مماذكره تأصيلا متناقضة وفرع كثيراً منها عَلَى ذلك البعض فصارت اكثرها مضطربة غير محصلة وكان الشيخ نقلها من اصولها من غير تأمل وحساب فعرى كلها عن الفائدة لعدم الاعتماد

ومن جملة الشواهد على ماذكرنا انه قال في موضع القسط الانطاليقي رطل ونصف والرطل اثنتا عشرة اوقية انتهى وفي موضع آخر بعده بسطر وانما يكون اربعين استاراً والرطل عشرين استاراً . والاستار ستة دراهم ودانقان اواربعة مثاقيل انتهى نفسر الرطل اولاً باثنتي عشرة اوقية والاوقية في موضعها بسبعة مثاقيل فبلغ الرطل اربعة وثمانين مثقالاً [1] . وفسره ثانياً بعشرين استاراً والاستار اما بستة دراهم ودانقين فبلغ ثمانية

تسعة اشبار وعرضه شبراً واحدا وعمقه نصف شبر فان مساحته اربعة اشبار ونصف ثم ناقش معه رحمهما الله بان الابعاد الثلاثة في العرض الذي ذكره انما هي اثنا عشر شبرا لاعشرة ونصف هذا (منه)

(١) وفي بعض نسخ القانون موقع او اربعة واربعة بالمواد وفي بعضها وهو اربعة وعَلَى هاتين النسختين يصير اقوى اضطراباً كما لايخفى ولذلك نقلنا عنه في بيان قدر الاستار موافقاً عنه ههنا وطرحنا النسختين الاخيرتين ثم مااخترنا نقله في بيان قدر الرطل من الاحتمالات الثلاثة مع اضطراب كلامه فيه عن المعاضدة بصورته بقول صاحب القاموس وغيره وكذا مانقلنا عنه في بيان قدر الاوقية وان كان المعتمد خلافه كما مر (منه)

وثمانين مثقالاً وكسرا واما باربعة مثاقيل فيبلغ ثمانين مثقالاً فيضطرب قدر الرطل في كلامه بين كونه اربعة وثمانين مثقالاً وكونه ثمانين اوثمانية وثمانين مثقالا وكسرا ومع ذلك لا ينطبق شيء من هذه الثلاثة عَلَى شيء من تفاسيره المشهورة على ماذكرنا في موضعه

تتميم قد عرفت مما تقدم ان الدانق حقيقة هو سدس الدرهم الشرعي الذي هو عبارة عن شعيرتين فاعرف الآن ان الدانق والطسوج يطلقان مجازاً عَلَى سدس كل شيء وربع سدسه مما اعتبر فيه الوزن ام لا كما هو المتعارف الشائع في زماننا فعلى هذا لما كان المثقال المعبر عنه بالدينار بالاتفاق عبارة عن ثماني وستين شعيرة واربعة اسباع شعيرة فيجب ان يكون دانقه هو سدسه الذي عبارة عن احدى عشرة شعيرة وثلاثة اسباع شعيرة وطسوجه هو ربع هذا السدس الذي هوعبارة عن شعيرتين وستة اسباع شعيرة فتبين خطأ من قال ان دانق المثقال اثنتا عشرة حبة وطسوجه ثلاث حبات اذ يلزم ان يكون المثقال اثنين وسبعين شعيرة وقد عرفت انه ثماني وستون شعيرة واربع اسباعها اللهم الا ان يكون في المثقال اصطلاح آخر لم ينقل الينا وكذلك تبين خطأ صاحب الشمسية في الحساب حيث توهم ان طسوج الدينار اربع شعيرات

وقال يجب ان يعلم ان الدوانيق مخرجها من الدينار ستة والطساسيج مخرجها من الدوانيق اربعة والشعيرات مخرجها من الطسوج اربعة ثم بسط الكلام في المثال وتحرير الكسر من مخرج الى مخرج على هذا الحساب وهذا فاحش جداً اذ يلزم حينئذ ان يكون الدينار ستار وتسعين شعيرة ضعف الدرهم الشرعي وحكاية كون الدينار درهماً وثلاثة اسباع درهم وكون عشرة دراهم سبعة دنانير اشهر واشيع من ان يحتاج الى نقل الاسناد وتفصيل عبارات الاقوام وقد مر بعضها وكأن هذا الغلط صار مغلطة لبعض الحسابين ايضاً كصاحب قسطاس المستقيم حيث وافقه في ذلك واقتفى اثره بعض الناظمين ايضاً حيث نظم في بيان اجزاء الدينار شعراً

هست شش دانك قدر ديناري ليك هر دانك اذ طسوج جهار
هر طسوجي جهار جوهرجو شش خردل بود بوقت شمار

مع ان هذا الناظم قد نظم ماهو الحق ايضا في بيان وزن الاستار واجزائه فقال

چار مثقال ونيم استادي هفت مثقال وده درم اى يار
درهمي وده سبع يكمثقال خامشا كنون كه شد سخن بسيار

ولا يتوهم ان مناط ذلك الاختلاف ربما يكون قدر الدرهم ولعل فيه خلافا تفرع عليه ماوقعوا فيه اذ لا مجال لذلك التوهم لمن تتبع الآثار والاخبار وشيوع كونه ثماني وار بعين شعيرة قد جاوز حد التواتر حتى نظم ذلك الناظم ايضاً ونقله صاحب القسطاس

شش دانك بود قدر درم يادت باد دانكيست دو قيراط چنين كفت استاد
قيراط وطسوج چه چون دانستي هر يك ونها بعد بود يادت باد

وقد اخطأ ايضاً صاحب البهائية في الحساب هنا من جهة اخرى وزعم ان الدينار ستون حبة حيث قال في تعليل حفظ نسبة الستين لكون الدينار ستين حبة وكون الدرجة ستين دقيقة وكون الكرستين قفيزاً وكون الدرهم ستين عشيراً انتهى ثم كان مراده بالعشير عشر الدانق من حيث اطلاقه عَلَى عشر كل شيء كما مر والا لم ينقل تفسير العشير بخصوص ذلك وظني ان منشأ هذه الاغلاط قلة تتبع الآثار والكسل في تصفح الاخبار والاخذ بكلام مجهول والاعتماد عَلَى خبر غير منقول

« تتميم » قد ذكرنا ان الدراهم المشهورة المنقولة هي الدراهم الثلاثة البغلي والشرعي والطبري وذكرنا ان مورد الاحكام الشرعية منها هو الشرعي الذي وزنه ستة دوانيق وهو المدار عليه في باب زكوة الفضة وغيره المضبوط بالقراريط والطساسيج فكل ما وقعت من الدراهم المختلفة المغايرة له وزناً بحسب الازمنة يقاس عليه بالحساب فاول نصاب زكوة الفضة مثلا مائتان من تلك الدراهم التي واحدها ستة دوانيق وزكاتها خمسة منها قدر ربع عشرها الذي عبارة عن ثلاثين دانقاً فاذا فرض وزن الدرهم في زمان خمسة دوانيق مثلاً فاول مراتب الزكوة يصير بهذا الحساب ستة منها اذ لا يبلغ ثلاثين دانقاً الا ستة منها واذا فرض في زمان اربعة دوانيق وسبعا دانق مثلا يصير اول مراتب الزكوة حينئذ سبعة منها وهو ظاهر مما قلنا وعَلَى هذا القياس وكأنه قد كانت الدراهم في بعض الازمنة السابقة عَلَى هذين القدر بن اللذين ذكرناهما تمثيلا يستفاد مما روى الشيخ الجليل رحمه الله في الكافي في باب العلة في وضع الزكوة عَلَى ماوضع عن حبيب الخثعمي قال كتب ابو جعفر المنصور الى محمد ابن خالد وكان عامله عَلَى المدينة ان يسأل اهل المدينة عن الخمسة في الزكوة من المائتين كيف صارت وزن سبعة ولم يكن هذا عَلَى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وامره ان يسأل فيمن يسأل عبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد عليهما السلام قال فسأل اهل المدينة فقالوا ادركنا من كان قبلنا عَلَى هذا فبعث الى ابي عبد الله بن الحسن فقال كما قال المستفتون من

اهل المدينة قال : فقال مانقول يا ابا عبدالله فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله جعل في كل اربعين اوقية اوقية فاذا حسبت ذلك كان عَلَى وزن سبعة وقد كان وزن ستة كانت الدراهم خمسة دوانيق قال حبيب : فحسبناه فوجدناه كما قال فاقبل عليه عبد الله بن الحسن فقال : من اين اخذت هذا قال : قرأت في كتاب امك فاطمة عليها السلام قال : ثم انصرفت فبعث اليه محمد بن خالد ابعث اليّ بكتاب فاطمة عليها السلام فارسل اليه ابو عبد الله عليه السلام اني انما اخبرتك اني قرأته ولم اخبرك انه عندي قال حبيب فجعل محمد بن خالد يقول لي ارأيت مثل ذلك قط الحديث

توضيحه ان السائل توهم ان المعتبر في الزكوة هو العدد لا الوزن لما رأى من كثرة اطلاق الدرهم علي المسكوك من الفضة من حيث العدد كما مر وهذا توهم شائع نقله العلامة في منتهى المطلب واستدل عَلَى خلافه بقوله وحكى عن بعض اهل الظاهر اعتبار العدد وهو خطأ للاجماع ولما روى ابو سعيد عن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم ليس فيما دون خمس اواق من الوزن صدقة انتهى فبعثه هذا التوهم الى ان يفتش عن كيفية شيوع سبعة دراهم في زمانه لاول مراتب الزكوة مع انه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كان خمسة دراهم غافلاً لا عن ان المعتبر في الزكوة هو الوزن لا العدد وان دراهم زمانه مختلفة وزنا بالنسبة الى دراهم رسول الله صلى الله عليه وآله فاجابه ابو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام بان رسول الله صلى الله عليه وآله جعل في كل اربعين اوقية اوقية يعني ان المعتبر في الزكوة ربع العشر بحسب الوزن لابحسب العدد وذكر الاوقية تنصيصاً على ذلك اذ هي صريحة في الوزن لايجري فيها توهم العدد فقال عليه السلام فاذا حسبت ذلك كان عَلَى وزن سبعة اي اذا اعتبرت ربع العشر من حيث الوزن فيصير اول مراتب الزكوة وزن سبعة من دراهم هذا الزمان التي وزنها اربعة دوانيق وسبعا دانق ثم اوضح عليه السلام ذلك بنظير له من الدراهم التي كانت قبل زمانه فقال : وقد كانت وزن ستة دراهم خمسة دوانيق يعني وعَلَى هذا الحساب يصير اول مراتب الزكوة وزن ستة دراهم منذ كانت الدراهم خمسة دوانيق بحسب الوزن فلا اعتبار بالعدد والمعتبر هو الوزن فعدد الدراهم عَلَى اي وزن كان يحسب و يقاس عَلَى ماجعل رسول الله صلى الله عليه وآله اصلا في ذلك اي الدراهم التي كان وزنها ستة دوانيق فافهم

« تتميم » من الاوزان الشائعة في زماننا المرجعة للباقية هو المثقال الصيرفي الذي عليه

مدار المسكوكتين المحمدية والعباسية الرائجتين في هذه الايام ينسب اليه المحمدية بخمسة دوانيق والعباسية التي ضعفها بمثله وثلثي مثله وعليه ايضاً مدار المنين التبريزي والشاهي المشهورين بين الانام بكون التبريزي في زماننا ستمائة منه والشاهي الذي ضعفه الفا ومائتين وهذا المثقال مع انه في هذا الزمان مرجع المقادير المذكورة ومقياس الاوزان المشهورة لم يضبط بالشعيرة وامثالها ضبطاً مشاراً اليه ولم يحفظ حفظاً مداراً عليه فبعضهم كالعلامة رحمه الله كأنه ضبط بمائة وثلث شعيرة والفين وثمانمائة وخمسة وثمانين جزءاً من خمسة وخمسة آلاف اجزاء شعيرة يستفاد من ضبطه الصاع صريحاً بخمسمائة وستة وثلاثين مثقالا وربع مثقال بالصيرفي فالرطل العراقي الذي يكون عنده وعند الجمهور من الخاصة تسعا من الصاع مضبوطاً حينئذ بتسعة وخمسين مثقالا ونصف مثقال وثلث وربع مثقال

ومعلوم مما مر ان الرطل العراقي عنده عبارة عن تسعين مثقالاً شرعياً ينتهي الى ستة آلاف ومائة واحدى وسبعين شعيرة وثلث سبع شعيرة فوجب ان تكون المثاقيل الصيرفية المذكورة التي بها ضبط الرطل عبارة عن تلك الشعيرات فبالنسبة مثقال واحد صيرفي يلزم ان يكون عنده مائة وثلث شعيرة والفين وثمانمائة وخمسة وثمانين جزءاً من خمسة وخمسة آلاف اجزاء شعيرة كما قررنا وبعضهم كالشيخ علي رحمه الله كأنه ضبطه بمائة واربع شعيرات وخمسمائة وخمسة وسبعين جزءاً من سبعمائة وسبعين جزءاً من شعيرة يستفاد من ضبطه الصاع والرطل صريحاً بمثل ماضبط به العلامة مع تصريحه بان الرطل عبارة عن احد وتسعين مثقالا شرعياً موافقا الجمهور فينتهي الى ستة آلاف ومائتين واربعين شعيرة زائدة على عدد شعيرات رطل العلامة بثمانية وستين شعيرة واربعة اسباعها قدر مثقال واحد شرعي هو تفاوت مابين الرطلين فحينئذ وجب ان تكون المثاقيل الصيرفية التي بها ضبط الرطل عبارة عن هذه الشعيرات الزائدة على شعيرات رطل العلامة بما ذكرنا فبالنسبة مثقال واحد صيرفي يلزم ان يكون عنده عبارة عن مائة واربع شعيرات وخمسمائة وخمسة وسبعين جزءاً من سبعمائة وسبعين جزءاً من شعيرة كما قلنا ثم لايخفى ان الشيخ رحمه الله ان لم يقتف في ذلك اثر العلامة وضبط ماصح عنده فاتفاقهما صورة في قدر الصاع والرطل بالنسبة الى المثقال الصيرفي مع ذلك الاختلاف معنى من غرائب الاتفاقات واغرب من ذلك ان اقتفى اثره واعتمد على تصحيحه وظن نفسه متبعاً موافقاً له في ذلك وغفل عن تلك الدقيقة الموجبة للاختلاف وعدم الموافقة وبعضهم

من فضلاء العصر ضبطه صريحاً بست وتسعين شعيرة و بعضهم ضبطه بخلاف هذه المذكورات مما يوجب نقله التطويل

وبالجملة لما رأيت هذه الاختلافات حاولت ان اضبطه بنظر دقيق وقصدت ان احفظه بتأمل حقيق فتحقق عندي بتصحيحات قويمة وتفتيشات مستقيمة ان المثقال الصيرفي المتعارف في زماننا عبارة عن اربع وثمانين شعيرة قدر درهم وثلاثة ارباع درهم بالشرعي ولا تظنني مخطئاً اياهم ومصوباً رأيي ان بعض الظن اثم حاشا ان اكون اهلا لذلك ولكن اثبت ماثبت لدى همة فكري القاصر واديت ماوجب عَلَى ذمة ذهني الفاتر هذا مع انه يجوز ان يكون في زمن العلامة والشيخ علي رحمهما الله قدر المثقال الصيرفي زائداً على قدره في زماننا بمقدار التفاوت الواقع في الضبطين وكذا الكلام في التفاوت القليل الواقع بينهما رحمهما الله بحسب زمانيهما وامثال ذلك قد يكون متفاوتة في الازمنة والاعصار و يؤيد ما قلت التفاوت الواقع في المن التبريزي في الزمانين حيث ضبط الشيخ علي رحمه الله المن التبريزي بخمسمائة مثقال صيرفي واليوم ولاشك ستمائة منه و يمكن ان يكون هذا التفاوت الواقع في المن بعينه مناطاً للتفاوت في المثقال بحسب الزمانين اذ خمسمائة من المثقال الذي ضبطه الشيخ قريب جداً من ستمائة من مثقال زماننا حسبما ضبطناه وما يبقى من التفاوت قليل يمكن استناده الى الميزان او الشعير او التسامح او امثالها

«تتميم» اعلم ان انواع الاجسام كما كانت المتساوية فيها وزنا قد تخالفت حيزاً فرطل من الماء مثلا لايملأ نصف مكان رطل من الشعير كذلك المتساوية منها بحسب الحيز قد تكون متخالفة بحسب الوزن فوزن صاع من الشعير مثلا لا يبلغ نصف وزن صاع من الماء وعلى هذا القياس سائر الاجسام حسبما اقتضت صورته النوعية من التخلخل والتكاثف والخفة والثقل وتحقيقه كما تقرر في موضعه ان نسبة وزن الخفيف الى وزن الثقيل يكون كنسبة مكان الثقيل الى مكان الخفيف بل قد يكون نوع واحد من الاجسام يختلف اشخاصه في ذلك بحسب الامكنة والعوارض المختلفة كما لايخفى فتقدير كل معين بوزن معين لايتصور الا بنوع من التخمين وضرب من التسامح فما قال العلامة رحمه الله في التحرير الوسق ستون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وآله اربعة امداد والمد رطلان وربع بالعراقي الى قوله وهذا التقدير تحقيق لاتقريب انتهى محل تأمل اذ تقدير المد عبارة عن كيل مخصوص بالرطل الذي هو وزن مخصوص لايمكن بدون تقريب الا ان

يحمل عَلَى انه لما كانت هذه التقادير مستندة الى الشارع فتكون بمنزلة التحقيق والا فمعلوم ان المد من الماء المعتبر في الوضوء لايوافق المد من اجناس اخر كالحنطة والشعير وامثالها المعتبر في الكفارات بحسب الوزن حتى يقدرا بشيءٍ واحد تحقيقاً فكأنه اراد الشارع توسعة وجعل ذلك الكيل المخصوص والوزن المخصوص في تلك الاحكام بمنزلة الواجبات التخييرية بايهما اخذ المكلف بريءُ ذمته وان اختلفا فاحشا واليه ناظر ظاهر قول بعض الفقهآء [1] في قدر زكوة الفطر هي بالكيل صاع و بالوزن الف ومائة وسبعون درهماً انتهى . فاشكاله بعد ذلك في صورة بلوغه كيلا لاوزنا او بالعكس للخفة او الثقل كأنه مبني عَلَى الاحتياط هذا مع ان الروايات في التقدير مختلفة لاتأبى الجمع بينهما بحمل كل منها عَلَى جنس مناسب لكن لم ينقل من الفقهآء هذه الطريقة بل جمعوها من جهات أُخر او طرحوا بعضها لضعف السند وغيره عَلَى حسب اقتضاء قواعد الاصول حتى انتهى الى الاختلافات بينهم متفرعاً عَلَى اختلافات اصولهم فاتخذ كل مذهب كما نقلنا عنهم في التفصيلات

«تتميم» المقادير الموزونة والمكيلة التي قدمناها مفصلة عَلَى قسمين قسم معتبر بخصوصه في الشرع مذكور في الاحاديث دائر على السنة الفقهاء وقسم ليس كذلك بل متداول بين الحسابين [2] وعامة الناس والقسم الاول ايضاً عَلَى قسمين قسم معتبر عندهم عَلَى سبيل الاصالة وكونه متعلقا للاحكام [3] وقسم [4] ليس كذلك بل مذكور عَلَى سبيل التبعية وكونه مقياساً لشيءٍ آخر ومحدداً له فبالحقيقة ينتهي الى ثلاثة اقسام . ولما كان القسم الاول منها اي المعتبر في الشرع اصالة مما اشتدت حاجة المكلفين اليه من حيث ابتناء فتاوى فقهائنا رضوان الله عليهم حاولنا تسهيلاً عليهم تقويم ضابطة لبيان تلك المقادير خاصة متضمنة لكيفية نسبتها واحدا واحداً من الاوزان المعروفة في زماننا اعني المن التبريزي والمثقال الصيرفي والشعيرة واجزاءها عَلَى ماوصفناها قبل فوضعنا جدولاً واثبتنا فيه المقادير المعتبرة المذكورة و بينا ان كلا منها كم يكون من المن ثم مانقص عنه من المثقال ثم ما كسر عنه من الشعيرة وعَلَى هذاالقياس . وعلمنا ما كان مجاوزاً عن بعض بعلامة البياض . وما كان مطفراً وغير بالغ الى البعض بعلامة الصفر ايضاحاً للقصود

---

(١) هو الشيخ بهاء الملة والدين في رسالته الزكوية للاثنى عشرية (٢) كالوافي والاستار وامثالها (٣) كالدرهم والدينار وامثالها (٤) كالرطل والاوقية وامثالها (منه)

وهذا هو الجدول

		المن التبريزي	المثقال الصيرفي	الشعيرة	الخردل	الفلس	الفتيل	النقير	القطمير	الذرة	الهباء
	الدرهم المعتبر في زكوة الفضة وغيرها بالاتفاق	٠	٠	٤٨							
	الدينار المعتبر في زكوة الذهب وغيرها بالاتفاق	٠	٠	٦٨	٣	٥	٠	٥	١	١	٥
الكر المعتبر في باب الطهارة	على مذهب ابن بابويه	٢٢٢	٥١٤	٢٤							
	على مذهب الشيخين	١٤٨	٣٤٢	٧٢							
	على مذهب العلامة	١٤٦	٥٦٣	٥٣							
المد المعتبر في بعض الكفارات وغيرها	على احد احتمالي مذهب البزنطي	٠	٩٢	٧٢							
	على احد احتمالي مذهبه	٠	٩١	٧	١	٨	٣	٢	٤	٦	٦
	على مذهب العلامة	٠	١٦٥	٢٥	٤	٣	٢	٣	٣	٥	١
	على مذهب الجمهور	٠	١٦٧	١٢							
	على احد احتمالي مذهب البزنطي	٠	٣٧١	٣٦							
الصاع المعتبر في زكوة الفطرة وغيرها	على احد احتمالي مذهبه	٠	٣٤٤	٢٩	٠	١٠	١	٤	٢	٣	٣
	على مذهب العلامة	١	٦١	١٨	٥	١	٤	١	٥	٨	٤
	على مذهب الجمهور	١	٦٨	٤٨							
	على احد احتمالي مذهب البزنطي	٣٧	٨٥	٦٠							

		المن التبريزي	المثقال الصيرفي	الشعيرة	الخردل	الفلس	الفتيل	النقير	القطمير	الذرة	الهباء
الوسق المعتبر في نصاب زكوة الغلات	عَلَى احد احتمالي مذهبه	٣٦	٢٤٠	٦٦	٣	٥	٠	٥	١	١	٥
	عَلَى مذهب العلامة	٦٦	٧٣	٣٩	٢	٦	٥		٦	١٠	٢
	عَلَى مذهب الجمهور	٦٦	١٥٤	٢٤							

« تتميم » يظهر مما مر من التفصيلات ان الاختلافات الواقعة بين فقهائنا رضوان الله عليهم في قدر المد والصاع والوسق كلها مبنية عَلَى خلافين احدهما في قدر الرطل العراقي هل هو تسعون مثقالا او احد وتسعون مثقالا وهذا الخلاف قائم بين العلامة والجمهور وثانيهما في قدر المد هل رطل وربع اورطلان وربع بالعراقي وهذا الخلاف قائم بين ابي نصر البزنطي وغيره من الفقهاء وهم يسندون الى قوله الضعف والشذوذ قال العلامة في التحرير وقول ابن ابي نصر المد رطل وربع تعويل عَلَى رواية ضعيفة انتهى وقال الشهيد في البيان وشذ قول البزنطي ان المد رطل وربع فكون المد رطلين وربعا بالعراقي هو رطل ونصف بالمدني مجملا مع قطع النظر عن الاختلاف الواقع كالمجمع عليه بين فقهائنا والروايات متضافرة عَلَى هذا المعنى دالة اكثرها ايضا على ماذهب اليه الجمهور في قدر الرطل روى الصدوق رحمه الله فيما لايحضره الفقيه في باب الزكوة عن السكوني وليس عَلَى الحنطة والشعير شيء حتى يبلغ خمسة اوساق [1] والصاع اربعة امداد والمد وزن مائتين واثنين وتسعين درهما ونصف وروى الشيخ رحمه الله في الاستبصار في باب ماهية زكوة الفطر عن ابراهيم ابن محمد الهمداني اختلفت الروايات في الفطرة فكتبت الى ابي الحسن صاحب العسكر عليه السلام اسأله عن ذلك فكتب ان الفطرة صاع من قوت بلدك الخ وفي آخر الحديث ترفعه وزنًا ستة ارطال برطل المدينة والرطل مائة

(١) هنا سقط في الاصل

وخمسة و تسعون درهماً ويكون الفطرة الف ومائة وسبعين درهما الحديث وفي باب مقدار الصاع فيه عن جعفر بن ابراهيم بن محمد الهمداني قال كتبت الى ابي الحسن عليه السلام عَلَى يدي ابي جعلت فداك ان اصحابنا اختلفوا في الصاع بعضهم يقول الفطرة بصاع المدني وبعضهم يقول بصاع العراقي فقال كتبت الى الصاع ستة ارطال بالمدني وتسعة ارطال بالعراقي قال واخبرني انه يكون بالوزن الف ومائة وسبعون[1] وزنة وعن علي بن بلال في هذا الباب قال كتبت الى الرجل اسأله عن الفطرة وكم يدفع قال فكتبت ستة ارطال من تمر بالمدني وذلك تسعة ارطال بالبغدادي . وفي باب مقدار الماء الذي يجري في غسل الجنابة والوضوء عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضأ بمد ويغتسل بصاع والمد رطل ونصف والصاع ستة ارطال واما ماروي في هذا الباب من روايتين ظاهرهما خلاف ماظهر من هذه الروايات فقد ذكر الشيخ رحمه الله هنالك وجه التوفيق فيهما فالاولى عن سليمان بن حفص المروزي قال قال ابو الحسن عليه السلام الغسل بصاع من ماء وصاع النبي صلى الله عليه وآله خمسة امداد والمد مائتان وثمانون درهما والدرهم ستة دوانيق والدانق وزن ست حبات والحبة وزن حبة شعير من اوساط الحب لا من صغاره ولا من كباره والثانية عن سماعه قال : سألته عن الذي يجزى من الماء للغسل فقال اغتسل رسول الله صلى الله عليه وآله بصاع وتوضأ بمد وكان الصاع عَلَى عهده خمسة امداد وكان المد قدر رطل وثلاث اواق الحديث فقال الشيخ رحمه الله في وجه التوفيق قوله في هذا الخبر الصاع خمسة امداد وتفسير المد برطل وثلاث اواق مطابق الخبر الذي رواه زرارة لانه فسر برطل ونصف فالصاع يكون ستة ارطال وذلك مطابق لهذا القدر فاما تفسير سليمان المروزي المد بمائتين وثمانين درهما فمطابق للخبرين لانه يكون مقداره ستة ارطال بالمدني ويكون قوله خمسة امداد وهما من الراوي لان المشهور من هذه الرواية اربعة امداد ويجوز ان يكون ذلك اخباراً عما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله اذا شارك في الاغتسال بعض ازواجه يدل عَلَى ذلك مارواه محمد بن مسلم عن احدهما قال سألته عن وقت غسل الجنابة كم يجزى من الماء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغتسل بخمسة امداد بينه وبين صاحبته ويغتسلان جميعاً من اناء واحد انتهى فتوضيح توفيق الرواية الاولى عَلَى ماذكره رحمه الله انه حمل في هذه الرواية الصاع خمسة امداد عَلَى وهم الراوي لان المشهور منها اربعة بدل خمسة فاذا كان الخمسة

(١) اعني الدرهم الشرعي (منه)

وهماً والصواب اربعة امداد حال كون المد مائتين وثمانين درهما فيوافق الصاع في اربعة امثاله مع ستة ارطال فلا يبقى منافاة اوعلى ان يكون خمسة امداد اخبارا عما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله وقت مشاركته بعض ازواجه في قدر ماء الاغتسال فيستقيم ايضا ولا منافاة بين هـذه الصورة وبين ان يكون اربعة امداد في صورة الانفراد وفيه تأمل لان كون المد مائتين وثمانين درهما خلاف الظاهر والمشهور واتفاق الجمهور ويلزم حينئذ ان يكون الصاع الفاً ومائتين وعشرين درهما وهو خلاف ماظهر من الروايات المقبولة عنده الدالة عَلَى انه الف ومائة وسبعون درهما ومع هذا لاقائل به فكيف التوفيق وايضا حمل خمسة امداد على صورة المشاركة بعيد في هذا الحديث جدا اذا لم يقع فيه الاخبار عن ماء الغسل حتى يمكن الحمل عَلَى تلك الصورة بل وقع الاخبار عن قدر الصاع ثم ان في هذه الرواية ان الدانق وزن ست حبات والحبة وزن حبة شعير وهذا ايضا بحسب الظاهر خلاف مااتفق عليه من ان الدانق من الدرهم عبارة عن وزن ثماني شعيرات وان المراد بالحبة والشعير واحد ويلزم عَلَى هذا ان يبلغ دانق الدرهم اثنتي عشرة شعيرة فالدرهم يصير اثنتين وسبعين منها الا ثمـانية واربعين كما هو المتفق عليه وان حملنا قول الشيخ في التوفيق عَلَى ان المد وزن مائتين وثمانين من هذه الدراهم التي واحدها عبارة عن اثنتين وسبعين شعيرة بوساطـة تلك الاصطلاحات وان كان بعضها غير مشهور فلا يستقيم ايضا اذ يوجب ان يكون الصاع حينئذ ثمانين الفا وستمائة واربعين شعيرة يبلغ الفاً وستمائة وثمانين درهما من الدراهم المشهورة ولاقائل به فظهر ان هذه الرواية مشكلة جداً لاتستقيم الا بتكلف بعيد والعلم عند الله واهله واما توضيح توفيق الرواية الثانية علي ماذكره رحمه الله انه ابقى خمسة امداد في هذه الرواية عَلَى حاله لتجبر هذه الزيادة في عدد المد نقصان تفسيره برطل وثلاث اواق فقصده ان المد الذي صاع النبي صلى الله عليه وآله خمسة منه غير المد الذي كان منه اربعة لان هـذا المد كما فسر عبارة عن رطل وثلاث اواق وخمسة منه يعني خمسة ارطال وخمس عشـرة اوقية ينطبق عَلَى اربعة امداد بالمعنى المشهور يعني ستة ارطـال مدنية وفيه ايضا تأمل لانه على تقدير ان يكون المد علي هذا المعنى لايستقيم ايضا اذ توجب ان يكون خمس عشرة اوقية عبارة عن رطل واحد مدني حتى بعد ضمه الى خمسة ارطال بلغت ستة ارطال ولا شيء من الاوقيتين الجديدة والقديمة موافقاً لهذا القدر اذ الجديدة على مابينا اما عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم يبلغ سبعة مثاقيل ونصفا فخمس عشرة منها

مائة واثني عشر مثقالا ونصف مثقال واما عشرة دراهم يبلغ سبعة مثاقيل بخمس عشرة منها مائة وخمسة مثاقيل واما اثنا عشر درهما يبلغ ثمانية مثاقيل وخمس مثقال بخمس عشرة منها مائة وستة وعشرون مثقالاً وظاهر ان لايبلغ شيء من هذه الثلاثة حد الرطل المدني والقديمة اربعون درهما وخمس منها يزيد على الرطل فضلاً عن خمس عشرة ولم ينقل تفسير الاوقية بغير هذه المعاني هذا وان امكن حمل خمسة امداد في هذه الرواية على وهم الراوي مستظهراً بالشهرة والاتفاق وللروايات الصحيحة كما جوز الشيخ رحمه الله في رواية سليمان ولايبعد ان يحمل الرطل هنا على المكي دون المدني والاوقية عَلَى الجديدة بالمعنى الاول فيستقيم بلا تكلف في معنى المد والصاع ايضاً اذ الرطل المكي كما مر عبارة عن رطلين عراقيين وثلث اواق بهذا المعنى يبلغ ربع رطل عراقي عَلَى تفسير العلامة فيصير كلاهما رطلين وربعا بالعراقي وهو رطل ونصف بالمدني فاربعة امثاله يبلغ ستة ارطال مدنية كما هو المستفاد من الروايات المطابقة مع ماذكرنا انه كالمجمع عليه بين الفقهاء ويمكن ان يحمل الرطل على العراقي ايضاً ويؤيد بمذهب البزنطي ولايمكن ان يحمل الاوقية على القديمة اصلا اذ اذا حمل الرطل حينئذ على العراقي ينقص عن المد او يزيد عليه بالنسبة الى المذاهب واذا حمل على المد او المكي يزيد عليه على جميع المذاهب فلا يصير مطابقاً لشيء منها فليس قول صاحب الصحاح في تفسيرها الاوقية في الحديث اربعون درهماً وكذلك فيما مضى انتهى على عمومه فتأمل

« تتميم » قد عرفت مما تقدم في التفصيلات ان الكر المعتبر في باب الطهارة المعروف بماء مقدر شرعاً لاينفعل بالنجاسة مالم تغيره مقدر بتقديرين بالوزن وبالمساحة عَلَى مافصلنا كلاً في موضعه ففيه احتمالان اما ان يكون الوزن اصلا فيه وتكون المساحة طريقاً الى استعلامه لتعسر الوزن في اكثر الحالات واما ان يكون بعكس ذلك بان تكون المساحة اصلا فيه ويكون الوزن طريقاً الى استعلامه حال تعسر المساحة لعدم وقوعه على شكل بركاري كاثر الغدران والاحباب(١) وامثالهما واما ان يكون كل منهما اصلا مستقلا يجوز استعمال ما اراد المكلف منهما بدون تعسر الآخر وان كان بينهما تفاوتا كثيراً كالواجبات التخييرية فظاهر كلام الشيخ ابي جعفر الطوسي رحمه الله هو الاول قال في الاستبصار في باب كمية الكر في ذيل ذكر رواية الوزن بعد ذكر الروايات التي في المساحة فلا ينافي هذا الخبر ماتقدم من الاخبار لانا كنا ذكرنا في كتابنا تهذيب

(١) جمع حب

الاحكام ان العمل عَلَى هذا الخبر على مانصره الشيخ رحمه الله وحملنا ماورد من التحديد بالاشبار علي ان يكون مطابقاً لذلك بان يكون مقدارها المقدار الذي يطابقها فكأنه جعل لنا طريقان احدهما ان نعتبر الارطال اذا كان لنا طريق اليه واذا لم يكن طريق الى ذلك اعتبرنا الاشبار لان ذلك لايتعذر عَلى حال من احوال انتهى . وكذلك ظاهر من عرف الكر بالف ومائتي رطل وظاهر العلامة والشهيد ومن تبعهما رحمهما الله هو الثاني حيث فرعوا اختيار العراقي فيالارطال دون المدني عَلَى مناسبة لما اسسوه من المساحة وكذا ظاهر من عرف الكر بانه ،ابلغ تكسيره باشبار مستوى الخلقة اثنين واربعين وسبعة اثمان وظاهر ابن بابويه رحمه الله هو الثالث لاختياره من اقوال المساحة مالا يناسب ،اذهب اليه بحسب الوزن لان البعد وعدم المناسبة بين تقديريه يأبى عن ان يكون احدها لاستعلام الآخر فيكون كل منهما اصلا مستقلا مأخوذا من رواية معتمد عليها لايضره عدم مناسبة الآخر له وامثال ذلك كثيرة في الشرع فما قيل [1] والعجب من ابن بابويه كيف لم يعتبر العراقي واعتبر المدني مع ان الكر عنده قريب من نصفه عند من اعتبر العراقي انتهى فيه تأمل ثم ان العلامة رحمه الله في المختلف وافق ابن بابويه رحمه الله في المساحة والشهيد رحمه الله في الذكرى وافق الجمهور فيه ومع هذا اختار كل منهما في الوزن الارطال العراقية لادعائه ان تلك الارطال هو المناسب لما اختاره من المساحة دون الارطال المدنية قيل [2] وقد يظن ان بين الكلامين تصادما فان الارطال العراقية ان ناسبت مذهب ابن بابويه كما قال العلامة بعدت عن مناسبة مذهب الجمهور بل تكون الارطال المدنية انسب منها اذ التفاوت بين المذهبين في قدر المساحة قريب من التفاوت بينهما في الوزن والتفصي عن هذا التصادم غير خفي انتهى. واشار الى وجه التفصي في الحاشية بقوله بان يقال مراد الشهيد رحمه الله ان اعتبار الرطل العراقي يناسب التقدير بالاشبار عَلَى كل من الروايتين بخلاف الرطل المدني فانه شديد البعد عما يقتضيه رواية القميين وفيه ايضاً تأمل اذ عَلَى تقدير اعتبار المناسبة لاشك ان الارطال العراقية انسب من الارطال المدنية الى ما اختاره ابن بابويه في المساحة ولكن دعوى كونها انسب من المدنية بالنسبة الى المذهب المشهور في المساحة ايضاً لايكاد يتم بل المدنية انسب منها بكثير وتوضيحه ان ما يملأ من الماء قدر شبر من المكان كما

---

(١) القائل شيخنا بهاء الملة والدين رحمه الله في رسالته الكرية (٢) القائل البهائي في رسالته الكرية (منه)

صح عندنا بتخمين دقيق قريب من التحقيق هو اربعة امنان تبريزية وثلاثمائة وستة وخمسون مثقالاً صيرفياً تبلغ قدر سبعة وعشرين شبراً هو مذهب ابن بابويه في الكر مائة واربعة وعشرين منّاً واثنا عشر مثقالا ولاشك ان الارطال العراقية انسب به من المدنية بكثير يظهر من الرجوع الى الجدول ويبلغ قدر اثنين واربعين شبرا وسبعة اثمان شبر هو مذهب الجمهور مائة وستة وتسعين منّاً وخمسمائة وثلاثة وستين مثقالا ونصف مثقال وظاهر ان الارطال المدنية التي عبارة عن مائتين واثنين وعشرين منّاً واربعة عشر مثقالا وسبعي مثقال كما مر في الجدول اقرب الى هذا القدر من الارطال العراقية التي قدرها عند الشهيد رحمه الله مائة وثمانية واربعون منّاً وثلاثمائة واثنان واربعون مثقالا وستة اسباع مثقال كما مر ايضاً اذ تفاوت الارطال المدنية منه لايبلغ الى ستة وعشرين منّاً وتفاوت الارطال العراقية يزيد عَلَى ثمانية واربعين منّاً فاين هو من هذا ولا يبلغ التفاوت الذي قد يكون في اشخاص المياه المتحدة في المكان بحسب الوزن الى حد يستر ذلك كما تشهد به التجربة ولئن اغمضنا عن ذلك ايضاً فلا شك ان المناسب لمن جعل الاصل في التقدير المساحة وجعل الوزن طريقاً الى استعلام بلوغه ذلك القدر كما فيما نحن فيه ان يكون ما اختاره من الوزن زائدا عليه لا ناقصاً عن باب المقدمة وتحقق كونه غالبا القدر الشرعي يقيناً وزيادة الارطال المدنية على القدر المشهور في المساحة متيقنة عنده ايضاً دون الارطال العراقية اذ مع الاغماض عن تيقن نقصانها عنه بازيد من زيادة المدنية عليه فلا مجال البتة لدعوى تيقن زيادتها عليه المصححة لكونها مستلزمة للبلوغ الى الحد المذكور والعلم عند الله واهله

« تتميم » ينبغي للمكلف المقيد بالشرع المهتم لتحصيل براءة الذمة ان يكون طريقته التمسك بالاحتياط والعمل على وجه يكون به مخرجاً عن عهدة الخلاف في جميع ماذكرنا من المسائل الخلافية فيختار في قدر المد والصاع المعتبرين في الكفارات وزكوة الفطر وامثالها مذهب الجمهور الذي قدروا المد بما يبلغ مائة وسبعة وستين مثقالا صيرفياً واثنتي عشرة شعيرة والصاع بما يبلغ منّاً تبريزيّاً وثمانية وستين مثقالا وثماني واربعين شعيرة اذ هذا التقدير لها اكثر من جميع التقادير الباقية كما مر والاحوط هنا هو الاكثر ويختار في قدر الوسق المعتبر في تحقق نصاب الغلات ثاني احتمالي مذهب البزنطي اعني ستة وثلاثين منّاً تبريزيّاً مع كسوره المثبتة في الجدول حتى يكون خمسة اوساق هو قدر النصاب عبارة عن مائة واثنين وثمانين منّاً وكسر اذ هذا التقدير في النصاب

اقل من سائر التقديرات والاحوط هنا هو الاقل وعلى هذا القياس في قدر الكر ومثاله حسب ما اقتضاه سلوك طريقة الاحتياط · ولا شك انه اصوب خصوصاً في زماننا الذي فيه الآراء متخالفة والحق محجوب والقائم بالحق مستور

اللهم ارزقنا توفيق ادراك ملازمته · وتحقيق ماهو الحق من خدمته · والخروج عن عهدة ماهو الصواب من التكاليف بفراغ البال · والخلاص عما يوجب تفويت الوقت · وتضييع العمر من القيل والقال · هذا آخر ما اردنا ايراده في هذه الرسالة · وقصدنا الاختتام به في تلك المقالة والله الموفق والمعين

السوريون في اميركا

لا يصح اطلاق اسم المهاجرين عَلَى السوريين الذين سافروا من بلادهم الى اميركا لكونهم لم يهاجروا ديارهم كما هو المفهوم من معنى المهاجرة وانما يصح اطلاق اسم المسافرين عليهم لانهم سافروا الى اميركا للتجارة لا للاقامة او لمغادرة اوطانهم بتاتاً او لجعل اميركا وطناً جديداً لهم أبداً

وجعلهم طريق اميركا طريقهم المطروق ذهاباً واياباً مما يثبت هذا · وسل ايّاً كان من السوريين في اميركا الشمالية والجنوبية هل هجرت سورية · يقل كلاً ما هجرتها وانما غادرتها الى حين — نزحت عنها طلباً للاكتساب والاتجار ومتى نجحت ووصلت الى غرضي عدت الى وطني

واما اولئك الذين اشتروا الدور والاملاك في اميركا فلم يشتروها لكي يقيموا في اميركا وانما اشتروها ليتجروا بها ويكسبوا ويثروا فالاتجار في الاراضي والعقار كثيراً مايفيض عَلَى صاحبه ينابيع اللجين والنضار · وسل ايّاً كان من الملاكين السوريين في اميركا الا تريد ان ترجع الى ارض آبائك واجدادك اذا تمكنت من بيع املاكك بالربح يقل بلى أُريد من قلبي ولكن دور العودة لم يأن بعد · وما يقوله الملاكون بهذا الباب يقوله التجار والعمال والاطباء والصحافيون السوريون في اميركا

وحجتهم عَلَى ذلك هي هذه الامور (١) قلة العدل في الوطن (٢) عدم المساواة (٣) شدة التضييق والضغط (٤) عدم وجود الأمن في اراضي سورية المهجورة وغير

المهجورة (٥) عدم وجود المعامل المهمة وقلة ابواب الرزق (٦) كثرة التثبيط وقلة التنشيط (٧) كثرة القول وقلة العمل (٨) الابطاء الطويل والماطلة في المعاملات

هذه هي حججهم الرئيسة وحقهم ان يحتجوا بها . فاذا كانوا قاسوا مشاق الاخطار والاسفار حتى وصلوا الى ديار اتسعت ابواب رزقها وكسبها وكثر عدلها وساد أمنها وعمت مساواتها وحريتها وسبق عملها قولها وكثر تنشيطها وقل تثبيطها — اذا كانت هذه حالة البلاد التي وطئتها اقدام السوريين فحريٌّ بعقلائهم ان يغتنموا فرصة الانتفاع منها والعاقل العاقل من وجد الفرص فانتهزها والجاهل الجاهل من اظفرته بنفسها ولم يغتنمها

السوريون المتخلفون منقسمون الى اربع طوائف في هذا الموضوع . طائفة راضية عن سوريي اميركا . وطائفة غير مبالية بهم . وطائفة غير راضية عنهم وهي غير مخلصة . وطائفة غير راضية الا انها مخلصة

اما الاولى فهي عامة الشعب السوري وهي الاكثر عدداً واما الثانية فهي التي لا يهمها عمرت البلاد او خربت واما الثالثة فهي التي يليق بها ان تسمى بالطائفة « المتعنتة » لانه لا يرضيها شيء فهي ابداً تتذمر وتتأفف وتفاخر وتباهي باقدارها وتستصغر أقدار سواها كأنها خلقت من طينة سماوية وغيرها خلق من طينة ارضية

واما الرابعة فهي الطائفة المخلصة الغيورة عَلَى وطنها وهي القائلة بضرر « سفر » المهاجرين الى اميركا بعرفي او بضرر « مهاجرتهم » بعرفها ، وعرف غيرها

والطائفة القائلة بفائدته هي عامة الامة السورية فأيتهما احق بقولها ودعواها اتلك ام هذه ؟

لاجرم ان دعوى الطائفة الراضية هي الاظهر والاحق واليك البراهين

غادر اكثر السوريين نزلاء اميركا اليوم القطر السوري جاهلين القراءة والكتابة فصاروا في اميركا يقرأون ويكتبون

غادروها جاهلين كثيراً من آداب السلوك فصاروا في اميركا بآداب سلوكهم من الطبقة الاولى

غادروها جاهلين السياسة الوطنية والاجنبية فصاروا في اميركا من اهل الالمام بها وصاروا يفهمون معناها ومبناها ومغزاها ومرماها

غادروها عديمي المعارف العمومية تقريباً فصاروا في اميركا ملمين بكثير من تلك المعارف

غادروها جاهلين اساليب التجارة فصاروا في اميركا من اهل التجارة

غادروها جاهلين الصناعات العصرية فصاروا في اميركا عاملين بكثير منها

غادروها جامدين خاملين فصاروا في اميركا ناهضين

غادروها ونفوسهم صغيرة فصاروا في اميركا من اهل النفوس الكبيرة

غادروها أذلآء فصاروا في اميركا اعزآء

غادروها منقادين لاهل الاستبداد انقياداً أعمى فصاروا في اميركا منورين ومن دعاة الاستقلال الشخصي

غادروها ولا صحافة لهم فصارت صحافتهم في اميركا من ارقى الصحافات العربية في العالم العربي

غادروها فقرآء فصاروا في اميركا من اهل اليسار

غادروها ولا مقام لهم فصاروا في اميركا من اهل المقامات

غادروها ضعفآء الهمة والعزيمة فصاروا في اميركا من اهل العزائم والهمم

هذا بعض ما كانوا عليه في سورية وبعض ماصاروا اليه في اميركا اما ما ارسلوه من المال الى سورية فهو اكثر من عشرة ملايين دولار او مليوني ليرة انكليزية ومن كان مشككاً بذلك فعليه بمراجعة مصرف لندن والمصرف العثماني في بيروت عَلَى الاخص

منذ عامين سألت احد العمال في مصرف اوماها نبراسكا الاول وهو المستر نيسي الذي لا يزال حيًّا يرزق عن قيمة الدراهم التي ارسلها سوريو ولاية نبراسكا الى سورية عَلَى يده من ذلك المصرف فقال : ان ما ارسلوه في شهر واحد بلغ ستين الف دولار اميركي اي اثني عشر الف ليرة انكليزية . فاذا كان هذا ارسله فريق من سوريي ولاية نبراسكا في شهر واحد فكم هي قيمة المبالغ التي ارسلها ويرسلها غيرهم في غير ولايات ؟

وآثار ذلك المبلغ الكبير بادية لذي عينين في لبنان وغير ولاية من ولايات سورية

لما كنت في سورية كنت ارى بأُم عيني المبالغ التي كانت ترد عَلَى اهالي راشيا الوادي وقراها فكانت تلك المبالغ وحدها تختلف كل اسبوع بين الخمسمائة ليرة والالف ليرة حتى كثر المال في ذلك القضاء بين الايدي وكثر الاخذ والعطآء وصار ربا الليرة في الشهر عشر بارات وعشرين بارة بعد ان كان قبل عهد السفر الى اميركا لا يتنزل عن غرشين وثلاثة غروش

والدور الجميلة التي يشاهدها الناس اليوم في الاقاليم والولايات والالوية والمديريات والاقضية التي لها علاقة بسوريي اميركا قد بنيت بمال هؤلاء ولولا هذا المال لكانت بقيت بلدان وضياع كثيرة اقرب الى الخراب منه الى العمران ولولاه لما كانت قدرت الرعية عَلَى تأدية الاموال الاميرية لان البلاد السورية ولاسيما في العقد الاخير من القرن التاسع العشر والعقد الاول من القرن العشرين كانت بحاجة شديدة الى المال. فالاشغال في ذلك العهد المظلم امست في خبر كان. وكان الحكام والموظفون واهل السلطة والسيادة قد اغتصبوا البقية الباقية من مال الامة ولم يبقوا لها الا الموت ذلاً وفقراً وجوعاً وقهراً

واما دعوى القائلين بان ما ربحته سورية ماليًا من طريق اميركا لا يوازي عشر معشار ماخسرته من شبانها ورجالها الذين ذهبوا فدية الغربة فأقول لهم انه من البديهي ان من يموت في سورية يموت في اميركا. فالموت موجود في هذه كما هو موجود في تلك خلا عنك انه اقل بطشًا في اميركا منه في سورية بدليل وفرة الوسائط الصحية في اميركا وقلتها في سورية والسوريون في اميركا محافظون عَلَى صحة اجسامهم اكثر بكثير من محافظتهم عليها في سورية

واما القول بان المال الذي فارق السوريون آباءهم وامهاتهم واقرباءهم من اجله لا يساوي لوعة ام عَلَى فرقة فلذة كبدها فهو قول اعده من تلك الاقوال العتيقة البالية التي كانت وما زالت من اسباب انحطاط الشرق والشرقيين

اجتماع الولد بأمه وابيه واهله دائمًا حسن وجميل ولكن هذا الاجتماع لا يصيّر ذلك الولد رجلا ولهذا ترى رجال الشرق الذين يصح ان يقال فيهم انهم رجال قلائل جداً بل لهذا السبب اصيب الشرق بقحط الرجال

الاميركي يربي ولده ويعلمه وحينما يبلغ رشده يقول له اذهب الى العالم وعاركه ودعه يعاركك واما الشرقي فلا يعلم ولده ولا يربيه تربية الاميركي ولا يعلمه تعليمه وانما يخاف عليه اذا فارق بيته ولو الى بضعة اميال وهو يعتقد بانه بعمله هذا يحب ويغار عَلَى مصلحته وخير مستقبله وان هذا هو اهم ما يطلب منه ولكن قد فاته ان عَلَى هذا الخوف «وعدم هذا الخوف» يتوقف سقوط امم وارتفاع امم واذا لم ينتفع سوريو اميركا غير هذا من اميركا فيكفيهم لانهم عَلَى هذا المبدإ يستطيعون ان يشيدوا بناء امة عالية

واما الذاهبون الى ان بقاعًا جمة من بقاع سورية قد خربت بسبب «مهاجرة»

سوريي اميركا وانهم لو ظلوا في بلادهم يتعهدون زرعها وضرعها وتعميرها لكانت درّت عليهم وعلى سورية انهار الثروة وكانت هذه الثروة اكبر بكثير من ثروتهم التي حصلوها في اميركا ولكانت تلك البقاع زاهية بالحضارة زاهرة بالعمران فهو مذهب فاسد من وجوه جمة

هو مذهب فاسد لان الطور الذي زايلوا فيه وطنهم كان طور الخراب · فكانت سماؤه وأرضه خراباً في خراب وجهاته الاربع خراباً بخراب ولم يستطع في ايامه سوريو اميركا وغير سوريي اميركا ان يثروا ولا ان يعيشوا على الاقل عيشة خالية من ضغط الظالمين وجورهم وتعدي الحاكمين واستبدادهم ولا ان ينبسوا كلمة في الاصلاح والعمران

اما كان الفلاح يهجر ارضه ويقطع غرسه ويهمل ضرعه تخلصاً من الظلم؟ اما كان يترك داره تنعي من بناها كرهاً لاطوعاً لان صبره قد عيل في تلك الايام السوداء ولم يبق في وسعه ان يحتمل فوق ما احتمل بصعوبة لايستطيع بشري ولا وحشي بري ان يطيقهما · لماذا هجرتم اوطانكم وخلانكم واخدانكم واخوانكم واعز الناس لديكم واحبهم اليكم ياايها الاحرار؟ اهو لكونكم لم تقدروا على إطاقة ما لايطاق ام لا؟ كنا نتوقع ان تكونوا عادلين في كتاباتكم عنا في ارض غربتنا· كنا ننتظر إنصافاً لا اجحافاً ولكن شئتم ولمشيئتكم احكام ان يحتقرنا ويرمينا بالعيوب والعورات حتى الذين كنا نعلق على فضلهم ومروءتهم وغيرتهم كبار الآمال بل قضت الاقدار ان يظلمنا حتى حماة العدل وكماة الفضل الا ان الايام بيننا و بينهم ولكل عصر احكام

والخلاصة ان سوريي اميركا لم يخربوا وانما عمروا ودواعي الخراب المشهور في سورية عائدة الى تلك الحكومة المشهور امرها وان صح ان الذنب كله او جله راجع على سوريي اميركا فلما ذا فررتم انتم من وجه الحكومة الجائرة قبل سوريي اميركا او بعدهم ولم تبقوا في سورية لتصلحوا ما افسده سواكم او لتعمروا لا لتساعدوا على ازدياد الخراب

اشاع والي بيروت وكثيرون غيره اشاعات عن سوريي اميركا لم نسمع بها الا منه ومنهم ولعل الغيرة على مصلحة الدولة دعتهم الى تلك الاشاعات · فاذا افترضنا وجود افتقار بعض السوريين في اميركا الى القوت الضروري فانه من المؤكد والمحقق وجود كثيرين من السوريين الغير (بضم الغين والياء) الذين يعنون بذلك البعض

ويطعمونه ويسدون حاجاته وان فرضنا ان السوريين لم يكترثوا بأخيهم الجائع فحكومات هذه البلاد الرحومة الشفوقة تعنى به وان فرضنا انها لا تعنى به فهناك جمعيات في كل ناحية من نواحي هذه الديار غرضها الاعتناء بالفقراء والمعوزين عليَّ انني لم اسمع ولم يسمع غيري ان سورياً مات جوعاً من اول عهد السفر حتى يومنا هذا وكيف يموت السوري جوعاً وقلما فرغ كيسه من المال مهما تكن حالته وحرفته في ارض غربته . واما القول بان هذه الاشاعات هي نتيجة تقارير معتمدي الدولة العثمانية في اميركا فاننا لا ندري كيف ان هؤلاء المعتمدين يبعثون بتلك التقارير وهم لا يعرفون عن سوريي اميركا من حيث مجموعهم شيئاً تقريباً ولا يعرف السوريون عنهم سوى وجودهم في اميركا

انا اكتب عن السوريين لا عن سواهم من العثمانيين في اميركا واذا كان هنالك جمهور من مهاجري اتراك سلانيك وازمير وسواهما لم يفهموا كيفية التماس الرزق في اميركا من ابوابه وكان معتمدو الدوله في اميركا يعنون باخوانهم الاتراك المهاجرين (؟) لانهم اتراك ويهملون سواهم لانهم غير اتراك ويرسلون في احوالهم التقارير حباً بمصلحتهم وغيرة عليهم — فليس المعنى ان السوريين العرب في اميركا صاروا اتراكاً حتى يصح عليهم ما اذاعه عنهم والي بيروت اعتماداً على ما ارسله معتمدو الدولة في اميركا بهذا الباب

اميركا : يوسف جرجس زخم

مقابر (١) المصريين وجنائزهم

في المقابر المنفية

ابتدأت المقابر بلحود تحت الثرى تدفن فيها الاموات بعد درجها في لفائف الاكفان اما مباشرة في جوف الارض او في جرار كبيرة من الخزف ويظن انه سرى لهم ذلك اقتداء بقابيل حين قتل اخاه هابيل وعجز عن مواراة سوأته فبعث الله غراباً ليريه كيف يواري سوأة اخيه ففعلوا مثله -

(١) محاضرة القاها احمد بك كمال العالم الاثري المصري في اواخر ذي الحجة سنة ١٣٢٨ في نادي المدارس العليا

واقدم الجثث ما وجد منها مقرفصاً عَلَى الهيئة التي خلقت بها في احشاء الامهات سوى الرأس فانه يبقى منتصباً لامنطوياً بين الرجلين وقد وجد منها العدد الكثير في وادي القطار بجوار اطفيح من الجهة القبلية الشرقية وفي جهة أبي صير التابعة لمديرية الفيوم وفي نقاده والكوامل وأم الجعاب وجبل السلسلة

ثم استعملت اللحود لدفن الفقراء عَلَى تمادي الزمن وكان للوميات في باديء الامر ثلاثة أحوال

الحالة الاولى — يكون هيكل المومية مجتمعاً فترى فيه الركب منضمة الى الصدر وموضوعة فوق الوجه وتلحد في القبر على جنبها الايسر متجهة نحو الجهة القبلية

الحالة الثانية — يجمعون عظام الميت بعد تجريدها عن اللحم ويفصلون الرأس عن العنق لتحنيط الرأس وحفظه سليماً وذلك في بعض الموميات

الحالة الثالثة — حرق بعض شيء من الجثة أو حرقها كلها مع بعض من الاثاث الذي يتهيأ لوضعه في القبر معها ثم يؤخذ رماد ذلك المحروق و يوضع في قدر

وقد خالف الفقراء في صناعة اللحود اولو الثروة والاعيان فاتخذوا مقابرهم منحوتة في صميم الجبال وعَلَى الاخص في جبل لوبيه كالمقابر التي نراها الآن بجوار الاهرام في مديرية الجيزة فانها آبار تبتديء فوق صخر الجبل ثم بعد عمق يختلف بعداً وطولاً حسبما يشاؤون تنتهي بمنامة مستطيلة يوضع فيها تابوت الميت فهي بهذه الصفة لاتختلف عن مقابرنا الآن الا بعمق الآبار وقد تكون البئر شبه منزل للمنامة غير ضيق فينحتونها في سفح الجبل و يتركون وجهتها الغربية عالية ويجعلون في آخرها منامة مربعة لدفن الميت فيها و يصورون في الجزء الاعلى الذي ترك فوق السطح عَلَى حافة البئر صورة الميت وبجانبه باب وهمي لارشاد الروح (كما كانوا يعتقدون) عند نزولها من السماء الى جثتها حيث ترى شبه صاحبها امامها وباباً معداً لها فلا تضل عن الوصول اليها ويجعلون تحت هذا الباب الصوري مائدة من الحجر ينصب بجانبها مسلتان صغيرتان وقد كان يوضع فوقهما الخبز المقدس والشراب ولحم الطيور مما هو مبين بقلم النقش عَلَى جدران القبر

وان كان الميت من اعيان الدولة او من سراة القوم شادوا له مسطبة وهي بناء جسيم مرتفع كالهرم الناقص شكلاً او كالهرم المدرج الناقص ويجعلون فيها بئراً منحوتة في صخر الجبل يوصل الى سرداب طويل يفضي الى منامة معدة لمواراة جثة الميت

فتكون المسطبة عبارة عن تركيب القبر ثم يرسمون في طول وجهتها من الاعلى نقوشاً تتضمن عنوان صاحب القبر ويكون تحت هذه النقوش المستطيلة باب المقبرة محلى بالنقوش والصور الدالة على الميت وعلى اهله وذويه وتكسى ظاهر تلك المساطب بحيث الاحجار او يبتنونها باللبن — وفي بعض الاحيان يجعلون للمقابر المنحوتة في صخور الجبال قاعات بطرق متواصلة وعلى جدرانها دعوات وصلوات وصور مرسومة بالالوان كما ترى في مقابر سقارة فيستدل من تلك النقوش والصور على عقائدهم الدينية وعلى نسب الميت وسلسلة حسبه مرتبة في الواح ترتيباً حسناً من قبيل الحلية والزينة للمكان وفي بعض الاحيان يجعلون امام القبر ابار انما يعمل فيه مدخل يفضي الى المقامة — واما الملوك فأنهم ميزوا مدافنهم عن مدافن الرعية بان جعلوها اهراما كاملة مبنية بالحجر او باللبن وجعلوا تحتها او في حجمها الاماكن اللازمة للجثة وللاثاث والقرابين والصلوات وشحنوا في بعض الاحيان جدران هذه الاماكن الداخلية بالنقوش الدينية الصعبة المعنى واليها الآن وجه الأثريون مباحثهم ورعايتهم لايضاحها وحل مغمضاتها — وتبنى الاهرام بطريقة بسيطة جداً وهي انهم يتفقون اولا على الرسم المراد ايجاده من البيوت الداخلية وعلى ارتفاع الهرم وطول قاعدته وعرضها ثم يسلمون هذا الرسم الظاهر البيان الى المهندس المعماري وهو يقوم بالعمل طبقاً للاوامر الصادرة اليه فاذا انجز الاشغال اللازمة في صخر الجبل من نحت وتفريغ شرع في البناء فيكسو الاماكن الداخلية المراد كتابتها بالاحجار الملساء ثم يرتفع فوقها بالبناء فاذا اعلا فوق الارض جعل البناء على هيئة المسطبة المائلة الاجناب او المستقيمتها بحيث يجعلها ناقصة عن المقياس المطلوب بمقدار الكسوة الظاهرة التي يغطي بها الهرم بعد بنائه ومتى أتم المسطبة الاولى واراد الشروع في الارتفاع بنى مسطبة ثانية فوقها اقل حجماً منها بحيث يجعل في الفضاء الذي ترك في المسطبة الاولى زلاقة للعمال توصل الى المسطبة الثانية وهذه الزلاقة تقام بدون مونة وتملأ بالرمل والحصا ويستمر العمل من الزلاقة التي فوق الارض الى الزلاقة الثانية التي فوق المسطبة الاولى حتى تنتهي المسطبة الثانية ثم يشرعون في المسطبة الثالثة ويجعلونها اقل حجماً من الثانية ويقيمون لها زلاقة بالكيفية السابقة وهكذا يستمر البناء في اقامة مسطبة بعد اخرى حتى ينتهي العمل بآخر مسطبة فتكون المساطب مدرجة بعضها فوق بعض ثم يهرمون المسطبة العليا ثم الثانية لها وهكذا يستمرون في ملء الفوارغ الموجودة بين المساطب وبعضها متتبعين وضع الكسوة الحجرية من

القمة الى القاعدة حتى يتم الهرم واما الاهرام المقامة باللبن فانها كالاهرام المقامة بالاحجار من حيث الوضع والرسم في الاماكن السفلى ولا تختلف عنها الا بالمادة لانها تقام بوضع اللبن المصنوع بالطين وخلط القش بهيئة مدامك بعضها فوق بعض و يكون بين المدماك والآخر طبقة خفيفة من الرمل في مقام المونة لتثبيت اللبن في مكانه فلا تدكه زلازل الارض ولا تزعزعه الزوابع والعواصف

مقابر طيبة

هذه المقابر منحوتة في جوانب الجبل بوادي يعرف الآن ببيبان الملوك وبآخر يعرف ببيبان الحريم وغالب هذه المقابر يشتمل عَلَى طرقات و بيوت بعمد وفيها نقوش بالوان وبدون حفر تتضمن تقديم القرابين واقامة الصلوات بناء عَلَى ماهو مدون في كتاب الموتى المنقوش صورته على حيطان الاهرام

ولا بد لكل قبر من الباب الوهمي لكونه يقوم مقام الايوان الذي يشاد امام المقابر مشحونًا بالرسوم والنقوش و ينقشون على هذا الباب توسلا الى أسوريس أو الى (خونومو) أو مينو أو أمون أو بيتاح أو أتومو أو (رع) اي الى معبودات منف وعين شمس التي عمت عبادتها المدن والقرى في بعض الاقسام بعد ان كانت معبودات للحاضرات الشهيرة تلك هي أوصاف المقابر على وجه عام

تشييع الجنازة

اذا حضر احدهم الموت جهزوه مدة سبعين يومًا وهي المقررة عندهم للتحنيط ثم وضعوه فوق سرير جميل كالموجود منه بعض نماذج في المتحف المصري ووضعوا تحت هذا السرير اربعة قدور فيها احشاؤه التي نزعت من جوفه وقت التحنيط ولكل قدر غطاء له صورة مخصوصة اما كرأس الانسان او كرأس ابن آوى او كرأس الباشق او كرأس القود أي انها تمثل اولاد حوريس الاربعة وهم (حور) و (أسيت) و (قبح سنو) و (ديوموتف) المعهود لهم حفظ الاحشاء الضرورية للحياة وفي هذه الاثناء يكون القبر قد تهيأ واستعد للميت ويكون نعيه قد بلغ احبابه ومعارفه ومتى اصبح الصباح وحان وقت (اخفاء رأسه في وادي اوتي واجتماعه بالارض) حسب تعريفهم . هنالك تحضر وفود الناس و يرفعون النعش فتقوم زوجته وخادماتها و يتعلقن بالنعش و يمنعن خروجه من البيت وتأخذهن عبرات الحزن فيبكين و ينحن و يولولن فتجتهد الرجال في خلاص النعش ويخرجونه عنوة من باب داره ثم يسيرون به الى

القبر فتبتدي الجنازة بطائفة من العبيد والخدم ومعهم القرابين وهي فطير وازهار وجرار ماء وقارورات فيها شراب ونوافح عطر وطيور مجهزة فوق سلال وعجل يسحبه رجل ليضحي كفارة للميت وعلب في بعضها مأكولات وفي بعضها تماثيل صغيرة لازمة لروح الميت — ومعهم ايضا صوان عليها صحاف فيها فاكهة حولها جريد النخل الاخضر

والطائفة الثانية تحمل الاثاث المعتاد كصناديق الملابس والارائك التي تفتح وتغلق أو ذات المخادع والسرر الجميلة اللازمة للميت تليهم خدمة الاسطبل يقلون عربة كاملة الادوات فيها الجعب والسهام ثم الميراخور يقود عربة يسحبها اثنان من جياد الخيل والطائفة الثالثة وهي اكثر عدداً من الطائفتين الاولى والثانية تقل القناني وصندوقا لقدور الاحشاء ثم قدور الاحشاء نفسها فالوجه المستعار المصنوع من المقوى والمصبوغ باللون الازرق والمموه بالذهب ثم الاسلحة والقضبان وعصي الادارة والقلائد والجعلان والنسور المبسوطة الاجنحة عَلَى هيئة الدائرة لوضعها فوق صدر الميت من قبيل الزينة ايام الاعياد ثم السلال والتماثيل الصغيرة وباشقاً برأس انسان رمزاً الى الروح وقد يكون بعض هذه الاشياء من الذهب المصبوب والبعض الآخر مموه بالذهب حتى ان كل من رآها مارة امامه اخذت ببصره لكثرة بهجتها وبريقها

والطائفة الرابعة فيها النائحات يسرن بضجة وغواش وعبد يصب فوق الارض من وقت لآخر بعض نقط من اللبن كأنه يشير الى ارقاد التراب الثائرة ثم يعقبه قسيس متشح بجلد النمر ينثر بملعقة من الذهب العطر عَلَى جموع الخلق — ومن خلفه يأتي النعش وهو عَلَى شكل سفينة اسورس فيها ناتحتا اسيس ونفتيس وفي مقعدها المحكم الوضع قد وضعت جثة الميت محجوبة عن العيون وحولها زوجته واولاده يليهم احبابه بأفخر الملابس وبيد كل واحد عصا يتوكأ عليها ثم تأتي جيران الميت سائرين بدون نظام وعَلَى هذا الترتيب تمر الجنازة في الطرقات المعوجة بنظام تام وفيها سفينة النعش فوق السحافة تسحبها الثيران وتسير الهوينا مستمرة عَلَى ذلك مدة ساعات

فيما يحصل اثناء تشييع الجنازة

متى خرج النعش من بيت الميت كثر البكاء والنحيب وضجت النائحات المأجورة بالولولة والصراخ فيصحن ويصخبن ويقطعن شعورهن ويبدين من الامور مايستوجب الزفرات والحسرات والاسف الزائد وهذا خلاف ما يحصل من اهل الميت واحبابه

فتراهم في صراخ وانين وبكاء وعويل فالنساء منهم يتناوبن الرثاء والتأبين طائفة بعد أخرى ويقلن ما معناه :

« الى المغرب مسكن اسوريس · الى المغرب انت الذي كنت احسن الناس وكنت تبغض الرياء » فتجيبهن النائحات ويقلن المعبودات نفسها تنعيك لانك ذاهب ايها الرئيس الى المغرب

هذا مايحصل من طوائف النساء واما ما يحصل من سائق الثيران التي تسحب النعش فوق الارض فانه يحث هذه الثيران ويقول لها :

« الى المغرب ايها الثيران الساحبة للنعش الى المغرب (الا ترى) ان سيدكم آت خلفكم » فتجيبه الاحباب قائلين :

« لقد افل طالع الرجل العظيم الذي طالما احب الصدق وكره الكذب » اه

ثم تستمر الجنازة بعد ذلك في سكوت تام برهة من الزمن وبعدها تصيح احدى النائحات بالرثاء والندب فيجيبها النسوة بما يناسب ندبها وهكذا تسير الجنازة بين نعي ونحيب كما هو حاصل الى الآن في الجنائز وعلى الخصوص في الوجه القبلي وكل من سمع بالجنازة وجب عليه الاسراع اليها مراعاة لخاطر اهل الميت ووفاء بما تقضيه عادات البلاد وكذا كل من حضر قدم واجب التعزية والسلوان قائلا « الى المغرب » مضيفاً اليها — بعض عبارات تشف عن حسن خصال الميت وفضائله ومحاسن اعماله المبروزة وعما ناله من الرقي والشرف في دار دنياه · وقد يدرجون في تعازيهم مايشير الى فناء هذه الدنيا والى بقاء الآخرة والى التحفظ والوقاية من هول يوم القيامة · ومتى اقبلت الجنازة الى شاطئ النيل نزلت حملة القرابين في السفن المعدة لهم ونزلت النائحات وعائلة الميت في سفن اخرى ويضعون النعش في مقعد السفينة بعد كساء ظاهره اما بالانسجة المزركشة المدبجة بانواع الالوان او بستار من الجلد المصبوغ بالالوان المصنوعة صناعة جميلة تشهد لصانعها بالفضل والذوق السليم وفي اثناء جواز النيل يكون الناس وقوفاً في السفن ووجوههم نحو النعش وفيما اسلفنا قلنا ان هذا النعش صنع على نمط الفلك السري الذى اعد للمعبود اسوريس واقيمت له عبادة في مدينة العرابة ويعرف عندهم باسم نشميت اي مبرقش بنقط سود ونقط بيض او المرفوع الذكر · وهو رقيق الجسم خفيفة وشكله مستطيل وفي مقدمه ومؤخره زينة من المعدن على هيئة زهر اللوطس وكلاهما مائل ميلا خفيفا الى الامام يخالهما الرائي انهما ينوآن لثقل مافي السفينة وفي وسط هذا

الفلك مقعد مزين بباقات من جريد النخل الاخضر فتطوف حوله زوجة المتوفى واولادها نائمة وبكون معها قسيسان عليهما لباس وعصابات كزي المعبودتين لاسيس ونفتيس ومحلهما خلف النعش لوقايته ويقف القسيس المترئس عَلَى الجنازة امام النعش وبيده مجخرة يحرق فيها البخور وتكون سفينة النائحات خلف سفينة النعش

اما باقي السفن فانها تسبح عَلَى مقربة منهما بقوة المجاذيف وقوة الرجال وهذا التشييع يعرف عندهم بالرحلة او الانتقال الى الدار الآخرة فاذا مارسا النعش عَلَى الشاطيء استقبله جموع الناس بالتبجيل والاكرام مودعين له وقائلين :

« لقد حان لك الدخول بسلام في القبر فعليك منا السلام فاذهب بسلام الى العرابة واهبط بسلام نحوها ونحو بحر الغرب » اه

ولقد كان لجواز النيل عندهم شأن عظيم لان الانتقال من هذه الدنيا الى دار الآخرة تختلف احواله عند الامم اما المصريون فقد عرفوا المكان الذي تذهب منه الارواح لدخولها في دار البقاء وهو عبارة عن فجوة في الجبل الواقع غربي العرابة المدفونة ولا يتأتى للارواح العبور منه في سفينة اسوريس ومن ثم كان عبور الميت للنيل هو استعداد روحه وتأهبها لتوجهها نحو الفجوة الآنفة الذكر وهناك تترقب مجيء الشمس في سفينتها فمتى اقبلت بما فيها من طائفة المعبودات نزلت فيها وسبحت في السماء مخترقة اللجة السماوية برسومها في اثناء ذلك اما حالة في جثتها ومحلاة بملابسها المعتادة كأنها حية في دار دنياها او يجعلونها نائمة في نعش حوله النائحات والقسوس ومن خلفها سفن مشحونة بالقرابين ولقد ذهب اليونان بناءً عَلَى ما بلغهم من الروايات الى ان اغنياء المصريين كانوا يفضلون دفنهم في العرابة بجانب اسوريس وهي البقعة المباركة عندهم ولكن علمنا من بعض جثث اولئك الاعيان الذين قيل بدفنهم في العرابة انهم ملحودون في مقابرهم التي اقاموها في منف او في بني حسن او في طيبة فاتضح ان الرحلة المنصوص عنها في النقوش المصرية القديمة هي للروح لا للجسد — ولنرجع الى امر الجنازة فنقول ان جموع العالم تصيح اثناء تشييع الجنازة وتقول : « الى المغرب الى المغرب دار الحق لقد نعاك وبكاك المكان الذي كنت تهواه » وتقول النائحات بسلام بسلام اذهب بسلام ايها الممدوح الى المغرب سنراك ان شاء الله يوم الحشر لانك ستذهب الآن الى الارض التي تمزج الناس بعضها ببعض »

ثم تصيح الزوجة قائلة

يابعلي يا اخي ياحبيبي قف واستقر في مكانك ولا تبتعد عن المكان الدنيوي الذي انت فيه واوجيعتاه مالي اراك ذاهباً الى السفينة لتجتاز النهر — يا ايها الملاحون لاتسرعوا به بل دعوه لانكم ستعودون الى منازلكم اماهو فراحل الى دار الخلود — لماذا اتيت ايتها السفينة الاسورسية ونزعت مني هذا الذي يفارقني ؟؟

اما الملاحون فلا يعبأون بهذه العبارات المحزنة ولا يعيرون لها اذناً واعية بل يقولون كن ثابتاً فوق سطح السفينة لاننا اقتربنا الى الشاطيء

ومتى اقبلت السفينة المقلة للنعش بقوة وتصادمت بالشاطيء ربما يقع منها بعض الرجال في النهر وكذلك لما تأتي باقي السفن وترسو بجانبها يتساقط منها في لجة النيل بعض القرابين لشدة تلاطمها بالشاطيء لكن لايلتفت احد لذلك بل يستمر الاحباب في تأبينهم ورثائهم قائلين

ما اسعد هذا الممدوح حيث ساعده الحظ فتوجه الى الراحة في قبره الذي اعده لنفسه وسينال من المعبود الرحمة الواسعة فيسمح له بالذهاب الى المغرب محفوفاً بالخدم من جيل لآخر — وهذا الرثاء لايمنعهم عن البكاء والعويل

ثم انهم يخرجون المومياء من السفينة و يضعونها ثانياً فوق السحافة وتنتظم الجنازة في سلكها الاول و تسير بهذا النظام الى سفح الجبل وهناك يتعذر على الثيران سحب النعش فتحمله الرجال فوق اعناقهم و يسيرون به الهوينا الى باب القبر المعد لدفنه حيث يجدون هناك نوع مسطبة يوضع النعش عليها فينصبون صندوق الميت فوق كثيب من الرمل و يجعلون وجهه نحو جموع العالم كأنه حل بيته الجديد صحبة احبابه وكأنه قد تأهب لوداعهم للدخول في سكنه الجديد هنالك يتجدد البكاء والعويل وتعلو الاصوات بالنحيب والانين و يرتفع الصياح والصراخ و يأتي اهل الميت بالازهار فيضعونها فوق صندوقه ثم يعانقونه و يودعونه فتقول الزوجة :

« انا اختك ايها العظيم فلا تتركني فهل تقصد حقيقة ايها الاب العزيز ان اتباعد عنك ؟ متى فارقتك صرت وحيداً فهل لك من انيس يرافقك — انا اخاطبك انت الذي كنت تود المزاح معي مالي اراك ساكتاً لاتتكلم » اه

وتكون جاريتها في هذا الوقت جاثية خلفها فتقول :

« ها قد اخذ سيدي مني وترك خدمه »

ثم تقول النائحات بعدها

« نوحوا عليه نوحوا وابكوه بلا انقطاع وصيحوا باعلى اصواتكم (وقولوا) ايها الرحالة العظيم المتوجه الى ارض الخلود لقد نزعت منا فالآن نخاطبك انت الذي كنت تحب حراك رجليك للمشي مالنا نراك مغلولا مقيداً مكفنا انت الذي كان لك كثير من الملابس الفاخرة وكنت تحب القماش الابيض مالنا نراك الآن راقداً في ثيابك (التي كانت عليك) بالامس

لقد اصبح الذي يبكيك (كأنه) يتيم الامام والقلب محترقاً عليك لما اصابه من الحزن وحائما حول جثتك

وفي اثناء العويل والبكاء على الميت يحرق القسيس البخور ويهرق التراب ويقول (هذا) لجثتك ايها المتوفى فلان الصادق القول لدى المعبود العظيم عند ذلك تختفي المومیا في جدثها وتستقر في ظلمات القبر الى دهر الداهرين

ولما كان القبر مسكناً للميت كمساكن الدنيا للاحياء رأوا ان يجعلوا فيه اماكن للزينة ومصلى يأتي فيها اهل الميت بالقرابين والضحايا في كل يوم عيد وفيه اماكن خصوصية لايدخلها سوى جثة الميت ويزينون داخل تلك الاماكن بالرسوم والكتابة بعد تمليطها ملاطاً لطيفاً يظهر محاسنها ويجعلون تلك الرسوم الواحاً متعاقبة يعلو بعضها بعضاً بهندام ونظام حتى تصل الى السقف فيصورون حرث الارض والزراعة والحصيد وتخزين الغلال وتربية الحيوانات وصيد البر والبحر ومعامل النجارين وصناع العربات والنقاشين والصاغة والزجاجين والخبازين وتحضير الطعام واستعداد الموائد مرفقة بالاغاني ورقص العوالم وكل ذلك طلاسم يعتقدون انها تتحول الى حقائق بسر صيغ يتلونها ليتمتع بها الميت في قبره فان اشتهى شيئاً يتغذى به فما عليه الا ان يختار ماشاء من الابقار او الاشياء الاخرى المرسومة في قبره ومتى وقع نظره عليها تحولت الى حقيقة وتلذذ بها كما كان يتلذذ في دار دنياه تلك هي عقائدهم التي ساقتهم الى زخرف المقابر ولذلك ترى في رسومها صورة صاحب القبر قد اخذت فخذ الثور من يد خادمها وتغذت منه هذا مانفعله اموات فقرائهم

اما اموات الاغنياء وارباب المظاهر فأنهم لايحتاجون غالب الاحيان في اوائل موتهم الى شيء من المرسوم على جدران القبور لان اهلهم وذويهم يقدمون لهم في المواسم وغيرها ماتشتهيه انفسهم من المآكل والمشارب فيذبحون الضحايا من بقر واوز ويقدمون النبيذ والجعة وغيرهما الى امون او اسوريس او فتاح اوخونسو فيأخذ المعبود شيئاً منها

لنفسه ويرسل الباقي الى الميت المراد بتلك القرابين ومن ثم وجدت الاوقاف عَلَى الاموات وبنوها عَلَى شروط كانوا يبرمونها مع قسوس المعابد وهؤلاء يقدمون ما هو موقوف للقبر من الاشياء ويقومون بالصلوات والدعوات في الاوقات المعينة وعليه كانت العناية باحياء ذكر الاموات من الامور المهمة عندهم لكن مع وجود هذه العناية ومرور المدد الطويلة عَلَى الاوقاف كان ينتهي امرها بالانقطاع إما لانقراض العائلة واندراسها او تبديد الاوقاف عقب الانقلابات الكبيرة وبذلك ينقطع الوارد عن الميت فعندئذ لا يجد امامه الا ما هو مرسوم فوق جدران قبره لكن كيف يتسنى للميت القيام والقعود واستمرار الحركة مع ان الموت افقده ذلك والتصبير حول جثته الى جسم لا حراك له ولا قدرة فلا يستطيع المشي ولا التكلم ولا النظر ولا تأدية شيءٍ من الوظائف التي عليها مدار الوجود فلاجل خلاص الجثة من هذه المقيدات المعطلة لعامة حركات الجسم اوجدوا طريقة يسمونها (فتح الفم) وهي ان رئيس القسوس واعوانه وهم اولاد حوريس يوقفون الجثة المحنطة فوق كثيب من الرمل في آخر المصلى المعدة لها ويقرأون عليها الصيغة المتقدمة السرية التي تلاها حوريس على جثة اسوريس ثم يطهرونها بالماء القراح وبالماء الاحمر وبخور الجنوب وبالشب الوارد من الوجه البحري كما يفعل لتماثيل المعبودات عند الشروع في تقديم الضحايا لهم ثم يعملون له العمل اللازم لابقائه من السبات والامانة والخلاصة من لفائف الاكفان ويرجعون له الظل الذي تقلص منه وقت خروج روحه ويردون اليه جميع حركاته فيصير جسمه المحنط حياً في عقيدتهم فيتغذى ويتنعم كما كان في دار دنياه فاذا كان الجزارون يذبحون ثور الجنوب ويقطعونه بعد دفن الميت اسرع القسيس بتناول فخذ هذا الثور ويتقدم لفم الوجه المستعار الموضوع فوق رأس الجثة المحنطة لاعتقاده انها حية وانها تتناول شيئاً من ذلك ولما يجد عدم الفائدة يأخذ آلة من خشب لها نصال من حديد ويشير بها عَلَى فم الجثة مريداً بذلك فتح فمها ثم يتلو صيغة عَلَى المومياء فيصبح في استطاعتها حسب عقيدتهم الذهاب والاياب والنظر والسمع والكلام وتناول شيءٍ من القرابين التي تقدم لها بل وتستطيع ان تدعو كل من رافقها يوم الجنازة الى اول وليمة تقدم لها في قبرها بعد الدفن وذلك انهم متى وضعوا تابوت الجثة في منامتها اتت العبيد بالقرابين وبالقدور الاربعة التي فيها احشاء الميت والصناديق والاثاث والمأكولات التي احضروها مع الجنازة فيتلو عليها القسيس صلاة معلومة عندهم بعد وضعها في القبر ثم يخرج من عندها وتقيم عليها البناؤون سداً محكماً في نور المشاعل وبعد

فتجيز هذا العمل تقدم العبيد مائدة للحاضرين امام القبر او في المصلى فيحضر في هذه الوليمة تمثال الميت المرسوم رسماً بارزاً في آخر القاعة الثانية و يتوهمون انه يتناول ما يخصه من هذه الوليمة حسب عقيدتهم القاضية بان للاشياء روحاً وشبحاً كما للانسان والحيوان فمتى ذهبت الموميا الى قبرها تلابسها الحياة وتتمتع بفضائلها كما كانت في دار دنياها فالشبح الموهوم للكرسي او للسرير هو كرسي وسرير حقيقي لجثة الانسان المدفونة فيتمتع بهما و يتلذذ بما يقدم من الشراب واللحوم لعالم الجنازة كأنها حية معهم وبينما يكونون مغمورين في ملاذ المطاعم تشتغل النساء بالرقص والقصف ويشرن في اغانيهن تارة الى الميت وطوراً الى الاحياء مع مراعاة السجع فيقلن

اكتسب حظ يومك ما الحياة الا لحظة اكتسب حظ يومك لانك متى دخلت قبرك مكثت فيه مكوثاً ازلياً الى دهر الداهرين

فاذا انقضت هذه الوليمة تأهب الجموع للرحيل فعندئذ يقوم العواد امام تمثال الميت وبيده العود ويشرع في نشيد الاغاني القديمة فيقول ما معناه

الدنيا دار انقلاب وتجدد مستمر اذ الامر الذي قضى به اسوريس المعبود الكبير من الغرابة بمكان وهو انه من حسن القضاء (والقدر) انه كلما فني جسم وانقضى حل غيره مكانه وهذا معروف من قديم الزمان (كيف لا) وان الفراعنة الاول الذين كانوا يعبدون ودفنوا في اهرامهم ودفنت معهم في تلك الاهرام جثثهم واشباحهم تركوا ما كان لهم من مقاعد القصور التي شيدوها فانقضى نحبهم فلا تيأس (ايها الحي) بل اتبع شهوتك ومسرورك قدر ما تستطيع وطول ما تعيش في هذه الدنيا فلا تضني نفسك الى ان يأتيك اليوم الذي يتوسل فيه الانسان الى اسوريس صاحب القلب الثابت فلا يسمع له — كل بكاء الناس لا يفيد الميت الذي في قبره فاكتسب حظ يومك ولا تهمل ما فيه مسرتك فلم يستطع احد اخذ شيء من امواله الى دار آخرته ولا احد ذهب اليها وعاد اه

اما اعتقادهم في الجثة فبعضهم يقول انها تبقى في القبر مرتابة الوجود قليلة التحمس بنفسها فلا تبرحه الا اذا انقطع عنها وارد المؤونة اي القرابين التي تقدم لها من لدن اهلها واعتراها الجوع ويحكون انهم يرونها هائمة في القرى وتلقي نفسها بشراهة على البقايا الموجودة فوق الارض وعلى اقبح القاذورات ويحدث عندها القحط عوامل الغيظ وحب الانتقام من الاحياء الذين اهملوا امرها فتهجم عليهم وتعنفهم و تجدد

فيهم الامراض — ويحكون ايضاً ان بعض الجثث او اشباحها مع تقديم القرابين لهـا والقيام بما يلزمها فانها شرسة الطبع فتحملها شراستها الى اضطهاد اقرب اهلها فقد جاء عنهم في الآثار ان رجلا احسن معاشرة زوجته واقام لها جنازة فاخرة يوم وفاتها واوقف لها اشياء كثيرة الا انها تقصدته بالاذى فكانت تأتيه كل يوم بهيئات فظيعة ولم يتيسر له الخلاص من سوء اعمالها فلما فرغت جعبة صبره ولم يستطع تكبد هذا التعنيف المستمر كتب لها جواباً ذكر لها فيه حسن المعاشرة والتودد الذي كان بينهما وسألها عن الاسباب التي دعتها الى هذه الاعمال السيئة فقال لها ما تعريبه :

منذ صرت زوجا لك الى هذا اليوم ما الذي فعلته نكاية فيك واخفيه عنك ماذا تفعلين حينما اعترف (امام الرب) بما فعلته لك وقت عرضنا عليه امام مجلسه حينما ادافع بنفسي عن مظلمتي امام معبودات الآخرة ويحكم عليك بناء على ما احرره لهم في مظلمتي من مساويك (اخبريني) ماذا تفعلين اه

ثم انه علق هذه الكتابة في تمثال من خشب على هيئة المرأة ووضعه في قبر زوجته فلما وصلها هذا الجواب خافت من لقاء ربها ومحاسبتها اراحته من تعنيفها — وكثير منهم يقول ان الروح تغادر قبرها وتهاجر الى ارض اخرى كائنة خلف الفجوة الآنفة الذكر وهي الواقعة في جبل العرابة وفي تلك الارض ممالك حقيقية للاموات كل مملكة تحت رعاية معبود مثل خنتامنتي وبتاح سكري واسوريس وهذه المعبودات تقتبل ارواح المصريين الذين عبدوهم في دار دنياهم فكل من توصل مثلا الى اسوريس كان تابعاً له وفي مملكته وكل من انتهى الى بتاح سكري كان من اتباعه وفي مملكته وسمي وميق اسوريس او وميق خنتيامنتي — واعمر تلك الممالك واكثرها سكانا مملكة اسوريس وهي عبارة عن جملة جزر نرى من هذه الدنيا اكنافها الظاهرة فجهتها البحرية الشرقية السماء وجهتها الشرقية المجرة وهي الشهيرة بأم النجوم ولا يمكن الوصول اليها الا بعد سفر دونه مشاق واخطار فمتى غادرت الروح جدثها جعلت ظهرها نحو الوادي وزجت بكل جسارة وجرأة في اغوار الصحراء فتصادفها احدى الجميزات الباسقات هناك في وسط الرمال وتعرف عند فلاحيهم بالشجرة المسحورة فتشاهد بين افنانها اما المعبودة (نيت) او (حاتحور) او (نوت) فتتقدم لها هذه المعبودة صفحة بها خبز واخرى بها ماء فكل روح قبلت هذه العطية كانت من اتباع هذه المعبودة ولا يمكنها الخروج من مملكتها الا باذنها ورضاها و يوجد فيما وراء الجميزة بلاد محفوفة بالمخاوف مشحونة بالثعابين

والحيوانات الضارية وفيها سهول فيها حميم واباطح تسكنها نسانيس كبيرة تصطاد الارواح بالحبائل ويحكون ان كثيراً من الارواح وقعت في تلك المخاطر فهلكت اما مايكون منها محصناً بالتمائم والتعاويذ متوقياً بسر الطلاسم السحرية القوية فانها تقتحم الاخطار وتنجو منها حتى تصل الى شاطئ بحيرة تسمى (خا) فتشاهد هناك الجزائر السعيدة فيأتيها بحوت عَلَى شكل الطائر ابيس المعروف (بابي حنس) و يأخذها عَلَى جناحه او يأتيها الملاح المقدس و يأخذها في سفينته الى ان يأتي بها الى اوزيريس فيسألها هذا المعبود امام اعضائه وهم اثنان واربعون قاضيا عن اعمالها في دار دنياها و يناقشها الحساب و يزن قلبها تحوت في كفة ميزانه وحينئذ تأتيها معبودة يقال لها (معيت) اي العدالة فتلقنها الاعترافات السلبية لتتبرأ من كل تهمة توجهت اليها ثم تدخل بعدئذ في رياض يقال لها (سخيت ايالو) في زمرة الارواح السعيدة وهي اراض طيبة الخصوبة يعلو فيها القمح الى سبعة اذرع بما في ذلك السنابل التي تبلغ ارتفاع الواحدة منها ذراعين

والموتى هم المكلفون بزراعته وجمع محصولاته وتخزين الغلال وقد ينوب عنهم في هذا العمل الشاق تماثيل صغيرة توضع بجانب جثثهم في القبور و يقال لها (شبتى) اي المجيبة وقت نداء صاحبها لمباشرة اعمال الفلاحة في حقل (ايالو) المذكور في الاوقات المعينة اما باقي اوقاتها فتكون في ولائم مستمرة وفي اغاني ومسامرات ومسرات لانهاية لها

وكثير منهم يقول ببطلان هذه العقيدة وفسادها لما فيها من الخشونة والفظاعة وهؤلاء كانوا يجتهدون في الوقوف عَلَى الحقائق و ينسبون للارواح درجة اشرف وارقى من ذلك

وكانت لكهنة (امونرع) مذاهب في حقيقة ماتؤول اليه الروح وكلها ضروب من تخمين اللاهوتيين لادخل لافراد الشعب فيها ومضمونها ان الانسان سيبعث بعد موته ولا يعلم سر ذلك الا الله الخفي اه

الرأي الصريح

في مقالة « الفصيح العامي والعامي الفصيح »

قرأت في الجزء العاشر من مجلة المقتبس مقالا بعنوان « الفصيح العامي والعامي الفصيح » لحضرة الفاضل نعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى التي تصدر في نيو يورك · قرأته بلهف شديد لاني اميل بسائق من طبعي الى المباحث اللغوية ونقد كلام البلغاء وتمييز القول الفصيح من الغث الركيك · ليكون لي من ذلك مادة استعين بها · وقاعدة احتذي مثالها : اقدمت عَلَى تصفح هذه المقالة وانا معجب باولئك النفر من اخواننا العرب المسيحيين الذين هجروا وطنهم لكنهم لم يهجروا لغتهم · ولم يذلوها في غربتها · بل رفعوا شأنها وحفظوا من كرامتها · بما نشروه من الجرائد · ودبجوه من الرسائل والكتابات المفيدة · وحضرة نعوم افندي من هؤلاء الافاضل الذين خدموا لغتنا العربية بما ينشره في جريدته (الهدى) التي لم اك من قرائها وانما كنت اقرأ احيانًا نبذًا منها في صحفنا العربية أما مقال (الفصيح العامي) الذي قرأته اخيرًا في مجلة المقتبس فقد رأيته اقل قدرًا من ان يعزى الى صاحب جريدة (الهدى) · ولاحظت فيه ركاكة في التعبير · وضعفًا في الاسلوب · ومواضع للنقد والمناقشة بلغت من الكثرة مبلغًا جعلتني استبعد ان تكون فرطت من قلم كاتب المقالة وانما هو الذهول غلب عَلَى مصحح اصولها في ادارة المقتبس فجاءت هكذا مشوهة المحاسن · طامسة المعالم · وان لم يكن الامر كما ذكرت فيكون الوسط الاعجمي الذي يعيش فيه اخواننا المهاجرون اثرت رطانته في صراحة لغتهم · وبدلت عجمته من عروبة السنتهم · والا فكيف نقرأ مقالاً لواحد من اشهر كتابهم في نقد لغة الكتاب وتعداد اغلاطهم في اساليبهم وتراكيب كلامهم · وارشادهم الى الطريقة المثلى في التعبير والتحبير · ثم بعد هذا كله نسمع في المقال نفسه من الركاكة والغموض والسلطة مالا يتفق وجوده في عشرات من المقالات · الا يكون هذا من الغرائب ؟

لو اقتصر الكاتب عَلَى الموضوع الاهم من مقالته : وهو سرد الكلمات العامية التي يحسبها الكتاب دخيلة وهي عربية فصيحة ثم حضهم عَلَى استعمالها لكان اجاد وافاد · لكنه ذهب

في افانين القول كل مذهب وتعرض لنصح المنشئين والزراية عليهم وارشادهم الى الانشاء العالي فسقط في هذا التعرض من عل واتى بأشد مما نهاهم عنه · وحذرهم منه · ولامهم عليــه ·

ولا يكون من الانصاف بعد هذا ان لانذكر نموذجاً مما نوآخذ الكاتب فيه · ثم نلفت انظار القارئ اليه :

اول مايؤخذ عليه قوله في العنوان (الفصيح العامي والعامي الفصيح) فانه تكرار لاحسن فيه · ولا داعي اليه : ان كلمتي (العامي) و (الفصيح) في هذا التركيب وقعتا صفة لمحذوف كأنه يقول (اللفظ الفصيح في اصله العامي في استعماله) ولما عكس وضع الكلمتين كان المعنى (اللفظ العامي في استعماله الفصيح في اصله) وهو نفس المعنى المستفاد من التركيب الاول فكان ذكره زيادة مستغنى عنها · وليس تغليب الكلمتين هنا كما هو في قولهم (كلام الملوك ملوك الكلام) فان هذا القول له معنى خاص لا يستفاد الا بمجموع التركيبين وقد حمل احدهما عَلَى الآخر · اي ان لكلام الملوك ميزة عَلَى سائر كلام الناس كما ان للملوك ميزة عَلَى الناس انفسهم · فالمعنى المستفاد من الموضوع والمحمول حسن في ذاته · وزاده حسناً قلب التركيب وعكس الالفاظ حتى استحق بذلك ان يعد في جملة انواع البديع ·

ثم بعد هذا العنوان اراد الكاتب ان يبين مبلغ حاجتنا الى معجم لغوي يجري في تحليل الالفاظ مجرى معاجم اللغات الاوربية فافتتح الكلام بقوله : (ليس في اللغة العربية معجم واحد يستحق ان يدعى نجعة الرائد بوفرة الشواهد وكثرة الفوائد وضبط الشوارد ولا في غير اللفظة مايدل عَلَى ازالة الابهام الخ) فقوله (ولا في غير اللفظة) غامض في اتصاله بما قبله مبهم في تعيين المراد منه

ثم قال (فترى اكثر الكتاب يتخرصون فيما لا يعذرون عليه ويتوهمون ان البيان في الدخيل والحوشي والبلاغة في العقيم والوحشي وان كل من هرف عرف)

الكاتب الذي خط قلمه هذه العبارة هو الذي قال بعد سطرين (قد تهتأ ثوب اللغة حتى كاد يسقط من تقطعه فترى كل من تحيف بيانه عجمة وجدل عن ادعاء ومكابرة يجنحف الفصيح ويستاب البليغ ويحرك خشاشه غضباً علي كل من ملك من اللغة عناناً وضبط لها بياناً ويكون لا يدري من اي الدهداء هو الخ) اذا سألت معاجم اللغة عن معنى ماورد في هذه الجملة قد تجد ان معنى (تهتأ) تقطع وبلى · لكنك اذا سألت نفسك عما فهمته منها تجدها لا تحير جواباً · ولا تملك خطاباً · واذا الحفت عليها بالسوآل تقول لك يلوح

لي ان الكاتب الفاضل يريد ان يوبخ ادعياء اللغة والانشاء الذين ينتقصون غيرهم . ويعمون عن عيوب انفسهم .

اذا قلنا ان المصحح سها عن تصحيح كلمتين اوثلاث فهل يعقل ان يكون ركبه السهو في كل جمل المقالة فحرّفها وتلعّب بها . ودونك هذه الجملة الاخرى : « وقليل من البحث يرجعها — اي الكلمات العامية — الى اصلها . ويقيم من اللسان منآده . على ماوقع من نحو خمسين عاماً الى اليوم اذ توكف المجتهدون اثر بلغاء العربية الاقدمين وتنشطوا للبحث والتنقيب واقبلوا على التدقيق والتحقيق وقد ترجع مثابرتهم اللغة الى رونقها الاول بعد خمسين عاماً تأتي » الجملة بمجموعها ركيكة ظاهر عليها التكلف . ولعله يريد بقوله «توكف» المجتهدون اثر البلغاء — تتبعوا . ولكن هذا الفعل يتعدى باللام . ويكون معناه التعهد تارة . والتعرض مرة اخرى : فيقال فلان يتوكف لآل فلان اذا تعهدهم بالصلات والعطايا . وفلان يتوكف للامير اي يتعرض له حتى يلقاه . وقوله «مثابرتهم اللغة» صوابه على اللغة لان المثابرة بمعنى المواظبة . وهما يتعديان بعلى يقال : ثابرت على الامر وواظبت عليه . على ان المعهود في مثل مايريده الكاتب ان يقال المثابرة على خدمة اللغة او دراسة اللغة لا المثابرة على اللغة . ثم انحى الكاتب باللائمة على المدارس الاجنبية التي توجب على تلاميذها التخاطب بلغاتها وقال « وبذلك يتسرب العقوق وشيءٌ من البله الى قلوب وعقول هؤلاء الاولاد المساكين » قد نجد لتسرب العقوق الى العقول معنى لكننا لا نجد ابداً لتسرب البله الى عقولهم معنى ولا شبه معنى بسبب التخاطب باللغات الاجنبية

ثم قال الكاتب «ان البلاء ليس في الادعاء وحده بل في اختزال كل منا برأيه . والتصرع والتصاغر للاجنبي والتمروء الظاهر تكلفه والتفوق البادي تحيفه مع الوطني وريح التخاذل حتى في اللغة تنجف كل ذروة باقية في جرفها وتحتمل كل درة كنا نعرفها قبل عصفها . ولله في تدابيره شوءون »

اليس من تعاجيب الدهر ان يقع مثل هذا الكلام في مقال نشر ليكون نبراساً يهدي الكتاب الى مواقع الفصاحة والبلاغة وحسن التعبير . ويتجنب بهم مزالق الركاكة والعسلطة والغموض ؟

واغرب من ذلك ان حضرة الكاتب اراد ان يذكر عيوباً للغة فعد منها عيباً يعده قوم مزية من مزايا اللغة العربية ويحسبه آخرون امراً طبيعياً لاتخلو منه لغة من اللغات . فقد قال :

(ومن عيوب العربية ايراد جموع لامفرد لها وافعال لامصدر ولا ماضي لاحدها ٠ فهل نقبل فلسفة اللغة شيئاً من هذا ؟ وهل يعقل ان واضعي اللغة بنوا كلاً من غير اجزاء ؟ اننا لاننسب هذا الخلل الا الى مدعي المحافظة عَلَى سلامة اللغة او يكونون يحافظون عَلَى قديم عقيم لايسلم به عقل سليم)

لانرى علاقة بين فلسفة اللغة وبين ان يكون في العربية جموع لامفرد لها : عدد اهل اللغة طائفة من الجموع لم يعرف لها مفرد : مثل محاسن ومذاكير وتجاليد ٠ فذهب بعضهم الى انها لامفرد لها ٠ وحقق آخرون ان لها مفردات اهملت في الاستعمال ٠ وربما كان المراد من قول الاولين (لامفرد لها) اي في الاستعمال لا الوضع فلا يكون بين الفريقين خلاف ٠

ولابد من داع دعا اهل اللغة الى اهمال تلك المفردات ٠ وقد قالوا ان جمع (لب) (الباب) لكنهم لما رأوا الجمع ارشق في اللفظ واخف على السمع اكثروا من استعمال الجمع واهمال مفرده وهكذا كان دأب القرآن الكريم في استعمال الجمع دون المفرد ٠

ومثل هذا يقال في الفعل الذي لم يستعمل مصدره اولم يستعمل ماضيه ٠

فليست المسألة اذن من مسائل الفلسفة ٠ وانما هي من مسائل تخير ارشق كلمات اللغة للتخاطب والتفاهم ٠

وفلسفة اللغة لا يصلح ان يكون التعمق فيها مدعاة الاجادة في المنظوم والمنثور ٠ كما كرره الكاتب في مقاله : فان تلك الفلسفة علم نظري اكثر مما هو عملي ٠ وله ثمرة خاصة به غير تجويد الانشاء وتحبير الكلام الذي يتوقف عَلَى استظهار كثير من كلام البلغاء واطالة النظر في اساليبهم والتفطن لمناحي كلامهم ٠ هذا هو الطريق لتحصيل ملكة الانشاء ٠ اما فلسفة اللغة فلا يكون من اثرها ذلك بل ربما كان للاشتغال بها اسوأ الاثر في ضعف تلك الملكة والعجز عن تحدي الكلام البليغ ٠

وقد غلا حضرة الكاتب في الرفع من شأن فلسفة اللغة والحط من قدر زملائه الكتاب الذين لم ينالوا حظاً من تلك الفلسفة حتى قال :

(نحن ابعد ابناء اللغات الحية عن وضع الكلام في مواضعه واقامته في مواقعه لاننا لاندرس فلسفة اللغة بل لان اكثر اصحاب الجرائد والمجلات والمترجمين والمؤلفين من غير الاكفاء الا بالتبجح والادعاء ٠ او ان اللغة امست واسطة للكسب والارتزاق حتى بالعبث والنفاق)

فقد جعل حضرته علة تقصير اخوانه في وضع الكلام مواضعه جهلهم فلسفة اللغة . فهل هذا حق ؟ .

ومما انتقده الكاتب قولهم (دام بقاؤه) فقال (ان طلب الدوام . حماقة وحرام) وانهم في هذا القول قد طلبوا (البقاء في دار الفناء وخلود من اعدت لهم اللحود) . وهذا ذهول من حضرة الكاتب : لان اصل الدوام في اللغة السكون ومنه (ماء دائم). ويستعمل ايضاً في طول البقاء وامتداد المدة . ومنه (ديمة) للمطر الذي يستمر تهطاله بضعة ايام . ومنه ايضاً استعمال (مادام) : فاذا قلت اجتمع بك مادامت في هذه البلدة كان المعنى مدة بقائك فيها . فقول الكتاب دام بقاؤه في الدعاء بمثابة اطال الله بقاءه . نعم قد يراد بالدوام الخلود كما في القرآن الكريم (اكلها دائم وظلها) والضمير يرجع الى الجنة كما ان الخلود نفسه يراد به طول المدة احياناً كما ورد في القرآن الكريم عن اناس لايكونون كافرين ومع هذا خبر عنهم بأنهم يدخلون النار خالدين فيها ففسروا الخلود بانه طول المكث لا المكث الابدي .

ومما انتقده ايضا وسهي عليه فيه قولهم (همي الدمع من عيونها) قال : « كم من عيون لها » يشير الى ان صوابه ان يقال « من عينيها » . لكن اهل اللغة يجوزون استعمال صيغة المثنى في الجمع والجمع في المثنى بل يجوزون احياناً استعمال المفرد في الجمع والجمع في المفرد . ومثلوا لكل ذلك . وذكروا له اسباباً معتبرة عند اصحاب اللغة . ففي القرآن الكريم « فقد صغت قلوبكما » . كان الظاهر ان يقال : « قلباكما » لان المخاطبين اثنان . ولهما قلبان لاقلوب . لكنهم كرهوا اجتماع علامتي تثنية في لفظ واحد . اما مثل « همى الدمع من عيونها » فيأولونه بارادة المبالغة وان المرأة كانت كأنها تبكي بعيون كثيرة . لفرط ما اسبلته من الدموع الغزيرة . واكبر ما يؤاخذ به الكاتب انه عاب اخوانه الصحافيين في امر تكاد تري مثله ماثلاً امام عينيك وملموسا تحت يديك في كل جملة من جمل مقاله . مثال ذلك انه آخذهم في قولهم « ارسلت له » وصوابه « ارسلت اليه » . وانتقاده صحيح لكن الرصفاء لايستحقون عليه كل هذا الازراء والتوبيخ فقد قال في هذا الصدد

(اصعب ما في اللغة على الدارسين انفسهم احسان استعمال حروف الجر وكل مدقق يتناول الجرائد والمجلات الا العدد القليل منهن يضحك من كثرة السقطات التي

لايعذر منشيء عليها وفي مقدرته شراء معجم او في رأسه قوة تميز بين هذا وذاك المعنى الخ)

ولكن هل تحسب حضرة الكاتب في منجاة من كل ماتنقص به زملاءه · وهل تراه احسن استعمال حروف الجر ووضعها مواضعها اللائقة بها ؟

قال في هجو اولئك الزملاء المساكين : (فترى اكثر الكتاب يتخرصون فيما لايعذرون عليه) اخطأ الكاتب في استعمال الحرفين — « في » و « عَلَي » في جملة واحدة قصيرة · يقال تخرص عليه اي كذب وافترى · ولا يقال تخرص فيه · ويقال عذره في فعله · ولا يقال عذره علي فعله : فكان الواجب عَلَي الكاتب ان يقول (يتخرصون عَلَي مالا يعذرون فيه) · عَلَي ان هذه الجملة برمتها لامعنى لها او لامعنى لاستعمال التخرص في هذا المقام

ومما قاله في صدد التهكم بالكتاب والمنشئين : « ولماذا لانكتب ونكاتب بفهم وسهولة وبساطة وسلامة و » حقًا ان حضرته اشفق عَلَي القراء من اذى ماينالهم من كد الذهن اذا اذا قرأوا كثيراً مما يخطئه الكاتبون لكنه لم يشفق هو عليهم في مقاله هذا بل ضربهم بثالثة الاثافي مذ قال في خاتمة المقال · وانا أعيدوه عَلَي اسماع قراء المقتبس وان طال :

« ثم ماهي فائدة الحركات في اللغة اذا كنا لانزيد الا نصرف عن جعل الواو « الثقيلة الد » ؟ في اولى وعمرو وحيوة وصلوة بحجة التمييز وازالة اللبس وهلا يوجد غير هذه الكلمات في العربية بحاجة الى الضبط ؟ ثم ماهي فائدة الحركات اذا كنا نكتب « اله » ولا يجوز لنا ان نكتب مؤنثه إلهة ؟ ثم كيف يعقل ان تكون جموع لا مفرد لها مثل شلقة ومخاطر ومحاسن وشماطيط وما جمعه الثعالبي وغيره وهل كان كل مالايكون سمعه الجامع لايكون وضعه الواضع جريًا عَلَي القياس ؟ وكيف يمكن ان تكون المطاوعة في فعل ولاتكون في آخر مثله تمامًا ؟ وكيف تكون صيغة افعل التفضيل في مالا فعل له كقولهم هو اقلط منه ؟ او كيف يكون مضارع لاماضي له كقولهم لم يذر ؟ اومزيد لامجرد له · والامثلة متوفرة · وثمت منابت العربية بعد ان كانت مستحلسة · وتفاصح كل من لم يكن فصيحًا ولن يكون متفصحا · فوجب ان يرجع الناس الى فقه اللغة الذي لا اعني به كتاب ابي منصور الثعالبي بل فلسفة اللغة حتى لا يرسل كل من اغتر بمقدرته الكلام على عواهنه ويحسب ان من جمع كلمة الى كلمة كان شاعراً اوناثراً واماماً وثقة يجب الاقلال من الترديد المبهم الذي لا يزيد الا اعتكالا والاعتدال في تعليم القواعد بحسب كل

مذهب والتوثق في معاني البليغ من المنظوم والمنثور والاستكثار من حفظ الجيد ولا سيما مايدعى السهل الممتنع ويجب ان تكون مجلاتنا وجرائدنا المدارس الحقيقية فترفض كل كتابة عايلة بالمعاني الضئيلة و ينبئ المغرور والشعرور الى مايفسد الذوق و يدعو الى الهزء ومن فقه اللغة ان نصطلح عَلَى مايذلل لنا صعاب اللفظ عند الترجمة والاستشهاد اي ان يكون لنا مانستطيع معه نقل الكلمة الاعجمية من نكرة وعلم الى معناها الاصلي . وقد كان للعرب روم واشباه فليكن لنا زيادة عَلَى مثالها والله ولي التوفيق اه .

هذا مانؤاخذ اونعاتب به الكاتب الفاضل . ولم نقدم عليه الا عندما آنسنا منه في مقاله غراماً في اللغة العربية . ورغبة في ان تكون مصونة من عبث العابثين بها . وكيد العاملين عَلَى اماتتها: فقد اعرب حفظه الله في غير ما موضع من مقاله المذكور عن غيرة شديدة . وعزمة في اصلاح اللغة اكيدة . من ذلك قوله :« ولو ان الحكومة تقيم الائمة لأقامة الكلام واللفظ لكانت تخدم البلاد والعباد مازالت مدارسنا توجب عَلَى التلاميذ التخاطب بلغة اجنبية ولا توجب عليهم التخاطب — ولو ساعة — بفصيح لغتهم كأن التخاطب بفصيح العربية عار وبفصيح اللغات فخار » فلا جرم ان هذه الغيرة من حضرته منقبة يحمد عليها ومأثرة يجب علينا ان نقتدي به فيها

طرابلس الشام : المغربي

سير العلم والاجتماع

الآداب العربية

وفق احمد بك زكي بعد عناية عشرين سنة الى جمع طائفة من مخطوطات السلف في علوم مختلفة فعرض عَنَي حكومة مصر ان تساعد عَلَى تمثيلها بالطبع فعينت لذلك الف جنيه في ميزانية هذه السنة ووقفت المال الاحتياطي الموجود في دار الكتب المصرية لطبع مايجب طبعه واليك المجموعة النفيسة التي جمعها صديقنا العالم وسيشرع بطبع الكتابين الاولين منها قبل كل شيء وهي بشرى بل بشريان للامة العربية بل ولكل من تهمه مدنية العرب الراقية :

موسوعات

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين النويري

مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري
جوامع العلوم لفريعين تلميذ ابي زيد احمد بن سهل البلخي

ادب وبلاغة وانشاء

الفاخر للمفضل الضبي
ديوان الحماسة الصغرى المعروف بالوحشيات لابي تمام
سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي
التسهيل بالتمثيل وهو المعروف بتسهيل السبيل الى تعليم الترسيل للحميدي
رسائل وخطب واشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الايوبي من جمع حفيده
مجموعة ترسل القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني

حديث

فنون العجائب
اكرام الضيف

آداب الملوك

كتاب التاج للجاحظ
محاسن الملوك
رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن امر بارسال رسول ومن نهى عن ذلك وكيف ينبغي لمن ارسل الى ملك ان يعمل في الاحتياط لنفسه ولمن ارسله ومن ذم من الرسل ومن حمد لابي علي الحسن المعروف بابن الفراء
كتاب تنبيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الامم والممالك)

التراجم

إنباه الرواة عَلَى أنباه النحاة للقاضي الاكرم الوزير القفطي
نزهة الالباب في الالقاب لابن حجر
التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق ابي سعيد جقمق لابن عربشاه
هدية العبد القاصر الى الملك الناصر ابي السعادات محمد بن السلطان الملك الاشرف لعبد الصمد الصالحي

سبك النضار وكسب المفاخر ونثر الدر ونظم الجواهر من سيرة المقر الاشرف السيفي اقباي الاسد الظافر كافل المملكة الغزية (في ايام قايتباي) لعبد الله بن محمد بن عبد الله الزكي الغزي الحنبلي

التاريخ

كتاب المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب

ذيل تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه تأليف ابي شجاع احد وزراء الدولة العباسية

درر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابي بكر بن عبد الله بن ايبك الدواداري المصري

كنز الدرر وجامع الغرر له ايضاً

النسب

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الاشرف ابي النصر قانصوه الغوري

الجغرافيا

صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد احمد بن سهل البلخي (بالخرائط)

صورة الارض وصفة اشكالها ومقدارها في الطول والعرض واقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ماتفرد بالاعمال المجموعة اليها (بالخرائط)

هيئة اشكال الارض ومقدار صوزها في الطول والعرض (بالخرائط)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار Roger للشريف الادريسي (بالخرائط)

علوم طبيعية وميكانيكية

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن المكرم صاحب لسان العرب

الباهر في علم الحيل

الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل (بالاشكال والصور)

رحلة

تاريخ الامير يشبك الظاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحاتهم في آسيا الصغرى في ايام السلطان الملك الاشرف قايتباي)

علم حفظ الصحة

كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة للقوصوني الطبيب في عصر السلطان قانصوه الغوري

علم الحيوانات

الدر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في خزائن العباسيين عند ماهاجمها مع التتر فنقله الى بلاده وامر بترجمته ثم ضاعت النسخة العربية الاصلية وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما فتحوها فترجمه الى العربية ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن)

طب الطيور (مستخرج من خزانة الرشيد)

علم المعادن

الجماهر في الجواهر لفيلسوف الاسلام بالهند ابي الريحان البيروني

ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشي

علم الفلك

التفهيم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني

علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الخراساني بخط بيلك بن عبد الله القبجاقي

علم الموسيقى

كتاب العود والملاهي للمفضل الضبي

كشف الغموم والكرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

علم الحرب

العز والمنافع للمجاهدين بآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)

الانيق في المجانيق (بالصور والاشكال)

التذكرة الهروية في الحيل الحربية للسائح الهروي

ديانات قديمة

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب ثمسطس الذي احرقه بعضهم وترجمها احد المسلمين مع شرح الاناشيد والالحان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين وبديانة المجوس)

كتاب الاصنام لابن الكلبي

فنون متنوعة

لطائف المعارف للنيسابوري

عين السبع مختصر طرد السبع للصلاح الصفدي

الالمام بآداب دخول الحمام

الكوكب الدري في اجوبة السلطان الغوري

نفائس المجالس السلطانية في حقائق الاسرار القرآنية لجمعية من العلماء في عصر السلطان الغوري وهو في جملتهم

الترفق في العطر للفيلسوف الكندي

كتاب الاطعمة المستعملة في مصر على عهد سلاطين المماليك

الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب

بسط الشرق

من اهم مالفت انظار الغربيين في معرض الصناعات الاسلامية في مونيخ في العهد الاخير قسم البسط والسجادات الشرقية فقد قدروا مافيها من الكمال المدهش من حيث الالوان والنقوش والتراكيب وهيهات ان تعبر الالفاظ عن جمال تقطيعها وظرفها وتنوع وضعها وجماع صنعها وانضمام اشكالها وترصيعها وتوزيع زينتها السالمة من كل خلل . قالت احدى المجلات العلمية ومن اهم هذه القطع سجادة اسمها « ربيع كسرى » يرد عهدها الى الدولة الساسانية التي قضت عليها دولة العرب في القرن السابع للميلاد وقد تمازج فيها الذهب بالاحجار الكريمة وفيها صور ينابيع واشجار واطيار واصقاع بديعة تأخذ بمجامع القلب . ولقد نسج الفرس بسطاً من هذا النوع المسماة ببسط الحدائق قبل قيام دولة الاكاسرة بالف سنة فكانوا يصورون فيها غدراناً فيها اسماك واشجار اللوز مزهرة تتسلق عليها الهوام . ولم تكن تجعل هذه السجادات التي لاتدوس عليها الارجل الا متلطفة على الجدر كما هو الحال في اوربا اليوم بل كانت تبسط على الارض . وهي من عهد ارتقاء الصناعات الفارسية اي من القرن السادس عشر وكانت تباع منذ عشرين سنة ببضع مئات من الفرنكات اما اليوم فتباع بما يوازي ثقلها ذهباً . ومما عرض في هذا المعرض بساط اسمه « بساط الصيد » وهو ملك بلاط النمسا ولم يكن امبراطورها فرنسيس يوسف عارفاً بقيمة هذا الكنز الذي يحويه قصره من قبل وهو معمول في القرن السادس عشر ايضاً وفيه صورة وعلة يطاردها اسد وهذه الصورة

في بلاد الصين رمز الى طول الحياة وكثيراً ما كانت الصناعة الفارسية تنقل عن الصين وتقلدها في مناحيها ·

معجم انكليزي

بدأت احدى بيوت المطابع في اكسفورد من بلاد الانكليز بطبع معجم للغة الانكليزية منذ سبع وعشرين سنة برئاسة السير جايمس موري وهو ارقى بموضوعه من المعاجم الكبرى في اللغة الافرنسية مثل لتره والانكليزية مثل وبستر والالمانية مثل كريم · فيذكر هذا المعجم تاريخ كل مفردة وماتوالى عليها من النشوء مع ايراد الشواهد لذلك ويقوم بتأليفه الف ومائتا لغوي انتخبوا من مشاهير علماء اللغة الانكليزية · وقد بلغ مجموع عناوين الكتب في مكتبة تأليفه عدة ملايين تتألف منها خزانة كتب هائلة اقتضت ان ينشئوا لها بناية خاصة من الحديد مخافة ان تسري اليها النيران وهذا المعجم يصدر في اوقات غير معينة وقد بلغوا به الى خرف ت

ويقدرون بانه ينتهي سنة ١٩١٣ اما ثمنه فغال ولكن نفقاته قد جمعت مقدماً باشتراك بعض الكتبية به · فانعم واكرم بامة فيها هذا القدر من العلماء في لغتها عدا من لم يقع عليهم الاختيار وببلاد يطبع فيها مثل هذا المعجم الهائل الذي ربما تجاوز ثلاثين مجلداً وشركته تربح به من اول يوم

بردي قديم

اوصى احد المحسنين للقسم المصري في المتحف البريطاني باعظم قطعة من ورق البردي عرفت حتى الآن وطولها ٤١ سنتمتراً وعرضها ٥٠ سنتمتراً وقد حفظت حروفها ورسومها سالمة من كل سوء · ويرد تاريخها الى ماقبل ٣٠ قرناً وهي عبارة عن صورة ثيبية من كتاب الاموات مشفوعة بابتهال الى الرب عمون اهم معبود في ثيبية وقد كتبت هذه الورقة قبل الف سنة من التاريخ المسيحي لابنة الملكة نيزي خانسو وهي ذات شأن عظيم في تاريخ الاديان ·

صناعات الامراء

تناقلت الصحف ان السلطان المخلوع عبد الحميد سجين قصر الاتيني في سلانيك يصرف بعض اوقاته في النجارة بعد ان أنزل عن عرش السلطنة · والعادة في الملوك والامراء ان يعنوا بصناعة من الصناعات النفيسة في الغالب او عمل من الاعمال اليدوية يروضون بها انفسهم وحواسهم وكانت هذه العادة شائعة كل الشيوع في فارس وبخارى

وافغانستان و بلوجستان وغيرها من الاصقاع الواقعة في النصف الشرقي من قارة آسيا ولكن ما كان من مميزات الآسياويين ايام حضارتهم اصبح الآن من مميزات الاوربيين في استبحار عمرانهم فمن امرائهم من ينصرفون الى علم او فن او صناعة يدوية وقد يصرفون فيها شطراً صالحاً من اوقاتهم خصوصاً اولئك الذين ليس لهم عمل حقيقي من الامراء والملوك . فقد كان الدوق كارل تيودور البافاري عالماً بطب العيون وممتازاً فيه . وكانت الملكة اميلي ملكة البرتقال منصرفة الى دراسة السل الرئوي . وسجل الامير هنري دي بروس الالماني اكتشافه طريقة لتنظيف زجاج السيارات . وعرف ملك بلغاريا بامتيازه في علم الحيل (الميكانيك) وهو الذي يسوق قاطرة القطار الملكي بنفسه . ويخصص ملك نابولي شطراً مهماً من وقته في عمل المعادن . واخترع دوق دولاندبورغ آلة دافعة جديدة للسفن . واخص الامير جواشيم في الحدادة . وكان الامير فردريك سيجسموند معلماً في النجارة . اما امبراطور المانيا غليوم الثاني فقريحته متسعة فهو شاعر ومؤلف قصص فاجعات ومصور بل هو يتوفر ايضاً على تربية المواشي والنباتات وصنع الخزف والفخار . وملكة رومانيا كاتبة من الطراز الاول . والامير اوجين السويدي مصور المناظر الطبيعية . ودوقة دارجيل نقاشة ماهرة . وكان الملك ادوارد السابع يصرف جزءاً عظيماً من وقته في تربية الحيوانات

اعظم البوارج

انشأت شركة ويت ستار الانكليزية بارجتين للسفر بين سوسامبتون احدى موانئ انكلترا ونيويورك في اميركا وهي من اضخم ما عرف حتى الآن دعتهما (اولمبيك) و (تيتانيك) وقد انزلت الاولى الى البحر وقريباً تنزل الثانية وطول كل واحدة منهما ٢٥٩ متراً وربع متر وعمقها ٢٨ متراً و٢١ سنتيمتراً ومحمولها خمسون الف طن ولها ثلاث آلات دافعة وتقطع ٢١ عقدة في الساعة وهي بقوة ٤٦ الف حصان

حكم افرنجية

اذا تولى بعضهم المناصب يؤثرون ان يعملوا اعمالاً سخيفة على ان يبقوا بلا عمل (ارسين هوساي)

للمرء بعض الآمال الخيالية التي قد يتعذر الحصول عليها والتعلق باهداب المحال وطلب الابلق العقوق او الصعود الى العيوق (عمانوئيل ارين)

لاتعمل الحكمة شيئاً مع احساس الضمير العام (كيزو)

الاقتناع هو الارادة الانسانية البالغة ابعد مراقيها (بالزاك)

ابداً يظل المرء غير راض عن حالته اذا قاسه باحسن منه (لافيس) .

اياك والتساهل في النفقات الصغيرة فان ثقباً صغيراً يجري فيه الماء تغرق منه سفينة كبرى « فرانكلين »

ان العلائم الظاهرة للحزن الكبير تأتي على الاحياء كما تكون القباب بلية على الاموات فانها كثيراً ماتكون علامة الكبرياء اكثر مماتكون علامة الحزن والفضيلة «شاتوبريان»

كلنا محكوم علينا ان نموت وما الولادة الا مبدأ الموت « غوتيه »

ان الاكثار من الكلمات للتعبير عن اثر مشهور اشبه بقطعة من الذهب تبدلها بنقود زائفة « بومارشيه »

الاموات غير مرئيين ولكنهم غير غائبين « هوغو »

للقلب عقل لا يعرفه العقل نفسه « باسكال »

اذا سار المرء على خطاء يستحيل ان يصل الى الحقيقة « جوي »

لايجني خريف الحياة الا ماغرسه كل يوم منها « كراتري »

الانسانية تأمرني ان اظن خيراً اكثر مما اظن شراً « بوسويه »

من عاقب وهو في حال الغضب فلا يريد من عقابه الاصلاح بل الانتقام «مونتين»

ان مما يصعب علينا ان لانكون على اتفاق مع حبنا ذاتنا « اسيل »

كلما وقع في نفس الانسان ان ليس شيء مستحيلاً يقوم باعمال اكبر مما كان يظن « ماليرب »

من الامراض ان يتطلب المرء الموت واعظم منها مرضاً ان يخاف الموت

الشهوات كانواع الاطعمة ابسطها هي التي لاتتقزز منها النفس

على المرء ان يطيل نظره في نفسه قبل ان يفكر في الحكم عليه

الطاعة اعظم فرحة للمرأة بعد الحب

على المرء ان يحبب بنفسه لان البشر لايعدلون الا مع من يحبون

كانت الضرورات في المجتمعات القديمة هي الزوائد اما في المجتمات الحديثة فان الزوائد هي الضرورية

اذا اردت ان يظن بك خيراً فلا تذكر انت ذلك (باسكال)

نحب العدل كثيراً وقلما نحب العادلين

الواجب عليَّ ان اقوم بما تفرضه عليَّ الحياة من الواجبات عَلَى اي صورة وكيفية ولكن الواجب القيام بها ·

الكسلان الصحيح الجسم اردأ من المريض لانه يأكل ضعفين ولا يعمل عملاً ·

ان من يهتمون ابداً لصحتهم هم كالبخلاء يجمعون الكنوز بدون ان يستمتعوا بها

ان قلباً مفطوراً عَلَى الاستقامة التامة لا يرضى عن الترقيع في الاخلاق كالاذن الصحيحة السمع لا ترضى عن الموسيقى الرديئة ·

ان من يعتقدون من انفسهم الذكاء اكثر من غيرهم هم اقرب الى الانخداع غالبًا

الديانة أُمٌ يتخلى عنها الانسان عند ما يناديه داعي سعده وهي تنتظرك يوم تصيبك البوائق (دي ليفي)

ان اصلاح نفوس اغلب الناس عبارة عن ادخال القلب والابدال عَلَى رذائلهم

الافكار رأس مال لا تأتي بفائدة الا في ايدي من رزقوا القرائح والعقول ·

تأتي عَلَى المرء احوال يكثر فيها غمه اكثر من الباكين ويتمنى الدموع ان تجري في مآقيه فلا يجدها

السكك العثمانية

اصدر المسيو الكسيس راي كتابه الرابع عشر في احصاءآت السكك الحديدية العثمانية وحساباتها في السنة الماضية جاء فيه ان دخل السكك العثمانية في آسيا كان متوسطاً اما مجموع الدخل في السلطنة فقد زاد عن السنة السابقة اذا حسبنا ما نقص من سكة الروملي من جهة بلغاريا منذ اعلنت استقلالها وقدر النقص ب ٣١٠ كيلومترات · وقد نقصت الضمانات الكيلومترية في السلطنة ٥٧٩ الف فرنك وتنقص كثيراً في ميزانية سنة ١٩١٠ · اما السكة الحجازية فقد بلغ طولها ١٥٠٠ كيلومتر ودخلها ٣ ملايين و ٨٠٠ الف فرنك · وهاك ما اعطته الحكومة العثمانية من الامتيازات الجديدة : ١ً تمديد سكة بغداد يقدر بخط يبلغ طوله ٨٢٠ كيلومتراً وقد بدأت الاشغال في نقط مختلفة منه ومما تقرر ايضاً مد هذا الخط الى حلب · ٢ً تمديد خط حمص — طرابلس وطوله ١٠٢ كيلومتر وصار على اهبة النجاز · ٣ً امتياز فرع من باندرما الى صوما وطوله ١٩٠ كيلومتراً و يتصل بازمير و بحر مرمرة و بذلك تقرب المسافة بين ازمير والاستانة · ٤ً امتياز فرع من بابا الى اسكي كليسا وطوله ٤٠ كيلومتراً وهو لشركة الروملي والخطوط الثلاثة الاخيرة لا ضمانة كيلومترية لها ومجموع

الخطوط الاربعة الجاري العمل بها يبلغ طولها ١١٥٢ كيلو متراً منها ١١٠٢ كيلو متراً في آسيا و٤٠ في اوربا وهذا بيان توزيعها على الامم

٨٢٠ كيلو متراً للالمان و ٢٩٣ للفرنسيين و ٤٠ للنمسويين

وهذا بيان ماتستثمره الامم حالاً من السكك جمعاء في السلطنة

١٦٩٧ كيلو متراً للفرنسيين و ١٥١٩ للالمان و ١٥٠٠ للعثمانيين و٩٥٥ للنمسويين و ٩٠٩ للانكليز و٤١ لامم مختلفة

ويتبين من ذلك ان الالمان اذا اتموا مد الخطوط المعهودة اليهم يصبحون في مقدمة الجميع اذ يبلغ مجموع خطوطهم ٢٣٣٩ كيلو متراً ويتلوهم الفرنسيون بخطوط مجموعها ١٩٨٩ كيلو متراً

مخطوطات ومطبوعات

الدروس العربية

تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٨ ص ٨٨

اعتاد صديقنا صاحب هذا الكتاب ان ينشر من قلمه كل ما فيه تصحيح الافكار وبث اللغة وسفره هذا في النحو من سلسلة كتب في الصرف والنحو وفنون البلاغة والانشاء وقرض الشعر والادبيات واللغة كتبه بعبارة سهلة يفهمها التلميذ وشفعه بتمارين نثرية وشعرية تفيد في احكام ملكة الاعراب فنشكره على غيرته على الآداب ونرجو له اتمام هذه السلسلة

الطريقة القدسية

او طريقة جديدة للقيودات المزدوجة لواضعها الياس بك القدسي طبع بالمطبعة البطريركية الارثوذكسية بدمشق ص ٣٢

اجاد صديقنا في وضع هذا الكتاب في علم الدوبيا او طريقة القيود المزدوجة وقد قال في مقدمته ان الايطاليين كانوا اسبق الامم الى استعمال هذه الطريقة في منتصف القرن الرابع عشر وكان اول كتاب ظهر في انكلترا من نوعه سنة ١٥٦٩ سماه مؤلفه فن حسابات التجار الطليان او مسك الدفاتر بالقيودات المزدوجة وقد وجد في مدينة جنوة سجل امين صندوق البلدية مؤرخاً في سنة ١٣٤٨ وفيه الحسابات مدونة على

هذه الكيفية ولكن هذه الطريقة لم تشع في اوربا الا في القرن السابع عشر والثامن عشر قال ولم تدخل هذه الطريقة الى بلادنا الا نحو سنة ١٨٦٥ اذ قام المعلم سليم غاليه الدمشقي وطبع كتابه البدر المنير في اصول الزنجير والف بعده المعلم طاهر خير الله الشويري كتابه لمحة الناظر في مسك الدفاتر ورسالة ترويض المباشر في مسك الدفاتر وتبعه آخرون ووضعوا كتباً عَلَى الطريقة الايطالية وقد شرح المؤلف طريقته الجديدة المبتكرة احسن شرح يفهمه طالب هذا العلم النافع فله منا الثناء عَلَى غيرته وفضله

ديوان سلامة بن جندل

رواية ابي سعيد الاصمعي نشره الاب لويس شيخو طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٠ ص ٤٩

نشر هذا الديوان في مجلة المشرق اولاً عن نسختي الاستانة والاسكندرية وعلق عليه منشئها الباحث ملحوظات واصطلاحات وعد سلامة في شعراء النصرانية بالطبع . وشعر العرب العرباء كله مما يقتنى فللناشر الاديب الشكر عَلَى عنايته بنشر آثار العرب في اي مظهر اظهرها

كتب متفرقة

الاحكام السلطانية — هذا الكتاب للماوردي المتوفى سنة ٥٤٠ مشهور متداول وقد أعيد طبعه الآن وعني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني ويطلب من محل محمد امين افندي الخانجي في مصر والاستانة

دروس التاريخ الاسلامي — للشيخ محي الدين الخياط وقع في ٩٦ صفحة وهو القسم الثالث منه يشتمل على مجمل تاريخ بني امية في الشرق وخريطة الدول العربية الاسلامية ويطلب من المكتبة الاهلية في بيروت .

الخراج في الشرع الاسلامي — كراسة للمسيو كولوزيو طبعت في تونس باللغة الافرنسية ذكر فيها تاريخ الخراج في ١٦ صفحة

هل اللغة العربية ميتة — كراسة للمسيو كاموسي قدمها الى المجمع العلمي القرطاجني في ١٧ صفحة قال فيها ان العربية لا تشبه الافرنسية فقد ظلت زاهرة الف سنة ومنذ ثلاثمائة سنة وقفت عن النمو اما الافرنسية فقد مضي عليها الف سنة وهي في حال التنبت واخذت تنمو منذ ثلثمائة سنة وليس القرآن هو السبب في وقوف العربية بل ابناؤها وميلهم عن العلم

وقاية الشبان من المرض الافرنجي والسيلان — هو كتاب وضعه الدكتور سعيد ابو جمرة صاحب الافكار البراز بلية منذ بضع سنين ونفدت طبعته الاولى فاعاد طبعه الآن واصفاً هذه الامراض المدهشة وعلاجها وطرق التوقي منها بلسان علمي وقد وقع في ١٧٢ صفحة من قطع الوسط وهو يعد من الامهات في هذا الباب

مجلتان جديدتان

الورقاء — مجلة علمية ادبية صناعية لمنشئها الخور فسقفوس جرجس شلحت تصدر في حلب مرة كل شهرين في ٧٦ صفحة وقيمة اشتراكها ريال في حلب وخمسة فرنكات في غيرها

سمير الصبا — مجلة ادبية فنية فكاهية تصدر في حمص مرة في الشهر لصاحبها شكري افندي فارس لوقا في ١٦ صفحة وقيمة اشتراكها ١٢ غرشاً في حمص و١٥ في غيرها او ٣ فرنكات وربع في الخارج

خاتمة السنة الخامسة

نحمدك اللهم ان يسرت لنا ختام هذه السنة من المقتبس على النحو الذي نحوناه منذ اول تأسيسه . وبعد فقد اضطرتنا الحال الى التعجل في اصدار اجزاء هذه السنة لنعود الى اعتبار المحرم اول سنة المجلة ونجبر المدة التي انقطعت فيها عن الصدور اشهراً في العام الفائت فاصدرنا اجزاء اثني عشر شهراً في نحو ستة اشهر وألفناها كذلك حتى جاءت بفضل الله وبيض ايادي مؤازرينا من اهل البحث والعلم لاتقل في تجويد الموضوعات عن السنين السالفة ان لم نقل انها احسن على كثرة ماانتاب مجرى العمل من العوارض . وفي مأمولنا ان تبدو هذه الصحيفة في سنتها السادسة في مظهر ارقى يكون لائقاً بشأن العصر ونهوض البلاد بكثرة سواد الراغبين في العلم والتعلم اليوم بعد اليوم والله نسأل هدايتنا وتسديدنا والتجاوز عن هفواتنا وسيئاتنا وهذا جهد المقل وما على من يبذل جهده من حرج والسلام

August 4, 1970